المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

الشعوبية

دراسة عقدية

مشروع رسالة علمية مقدم لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب :

أحمد بن عثمان بن حسن سيد

الرقم الجامعي / ٣٣١٠٢٧٢١٦

ج / ٠٥٠٧٧٩٨٢٧٨

إشراف الدكتــور

بدر بن مقبل الظفيري

العام الجامعي : ١٤٣٧ / ١٤٣٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين ، أما بعد : فبفضل من الله وحده تم اختيار موضوع : **الشعوبية – دراسة عقدية** – ، والذي يهدف لتتبع الحركة الشعوبية قديماً وحديثاً . وقد بدأت فيه بتمهيد وضحت فيه دور العقيدة الإسلامية في الحماية من النعرات الجاهلية العصبية ، والتي تكون أيضاً سبباً لانبعاث الشعوبية ، ثم بينت اعتقاد أهل السنة والجماعة واتفاقهم على تفضيل جنس العرب المسلمين ، وما مَنَّ الله به للجزيرة العربية من خصائص وفضائل لها ، دون سواها ، وكل ذلك منة من الله وفضلاً على هذه الأمة . واختتمت التمهيد بأثر اختلاط المسلمين بدول الأعاجم الذي له الأثر الواضح على المسلم المتأثر بهم في عقيدته وعمله . **ثم جاءت أبواب البحث في أربعة أبواب** ، بينت في الباب الأول : معنى الشعوبية لغة واصطلاحاً ، بتعريف شامل يشمل الحركة قديمها وحديثها ، ثم بينت أنواع الشعوبية وكذلك صفات الشعوبيين الذميمة . وفي الباب الثاني شرعت في عرض أهداف الحركة الشعوبية ، والتي اتجهَت إلى ثلاثة اتجاهات ، إلى العقيدة الإسلامية ، وإلى الدول الإسلامية بغية إفسادها وإسقاطها ، وإلى التراث الإسلامي العربي لإفساده وتشويهه ، وقد كان أخطر أهدافها هو نيلها من العقيدة الإسلامية . وأما الباب الثالث فجاء على فصلين ، الأول : عقائد الشعوبيين ، من خلال أبرز المصادر التي غذتها ، ثم ذكرت أبرز العقائد عند الشعوبيين ، ثم طرقهم لنشر تلك الأفكار الهدامة . وأما الفصل الثاني فقد تعرضت فيه لأبرز الدول والحركات الباطنية الشعوبية قديماً وحديثاً في التاريخ الإسلامي ، ودورها في نشر وتأييد الفكر الشعوبي ، ثم بينت أبرز المظاهر الشعوبية في كل دولة منها ، مع استعراض لتحالفها مع أعداء الدول الإسلامية ، أمثال الصليبيين والصهاينة ، حيث عانت الأمة الإسلامية من غزو الشعوبية من جهة الشرق ، ومن الغزو الصليبي والصهيوني من الغرب ، واتفقت سهامهم على الدين ، وفي ثنايا البحث ، والنتائج في الخاتمة سيتضح ذلك التحالف الشعوبي الصليبي. وأما الباب الرابع فقد كان عن خطر الشعوبية وسبل مواجهتها ، بينت فيه موقف العلماء قديماً منها ثم الحكم عليها ، ثم ذكرت أهم أسباب انتشار الحركة الشعوبية ، ثم آثارها على العقيدة والأمة الإسلامية ، وختمت الباب بطرق وسبل مواجهتها ، ثم ختمت البحث بأهم النتائج وذكر التوصيات اللازمة. والله وحده هو الموفق والمعين سبحانه ، فله الشكر والثناء والحمد . ثم أشكر مشرف الرسالة على توجيهاته وملحوظاته ، وكذلك رئيس قسم العقيدة ، وأشكر المرشد وكل أصحاب الفضيلة الذي كانوا في مساعدتي لإخراج خطة البحث ، وأسأل الله لجامعتنا الإسلامية مزيداً من الفضل والتوفيق والسداد والرفعة ، كما أدعو الله أن يوفق ولي أمرنا وعلمائنا لكل خير ، وأن يحفظ لنا دولة التوحيد والسنة المملكة العربية السعودية ، عزيزة بعز التوحيد والسنة ، والحمد لله رب العالمين .

التمهيد : ويتكون من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : دور العقيدة الإسلامية في سد النعرات الجاهلية العصبية

المبحث الثاني : اعتقاد أهل السنة والجماعة في تفضيل جنس العرب

المبحث الثالث : اختلاط المسلمين بدول الأعاجم وأثره على العقيدة

المبحث الأول: دور العقيدة الإسلامية في سد النعرات الجاهلية العصبية

منذ أن أشرقت شمس الرسالة الإسلامية على جزيرة العرب ، وانتشرت بين الناس ، ودخلوا في دين الله أفواجا ، كان ذلك عنوان العز ويوم المجد ، للمسلمين عموماً ، وللعرب خصوصاً ، فضلاً من الله ونعمة. رفع الله قدرهم بهذه الرسالة لما آمنوا بها ، وعلا شأنهم فوق الحضارات القديمة المزعومة ، وتربعوا على سدة العرش والملك ، رغماً عن الأكاسرة والقياصرة ، بل دفع أولئك الجزية عن يدٍ وهم صاغرون . فلم يمض نصف قرن من النبوة إلا وقد اتسعت رقعة الدولة الإسلامية بقيادة الخلافة الراشدة . وامتدت حظيرة المسلمين ، وتبددت ظلمات الشرك ، بفضل هذا الدين العظيم ، الذي لم يدعْ أمراً من براثن الجاهلية إلا وقد سد طرقه ، ولا خصلة حميدة كانوا عليها إلا وأقرهم عليها . وإلا فجزيرة العرب لم تكن معطلة من سجايا الحمد ، ولا خاوية من شيم الثناء والمجد ، لكن كل حميد مع الشرك والجاهلية ففي سفال . فأي معرة أشد من تقديس الأحجار ، والأشجار ، والأنصاب . بل كانت الأحلاف بين القبائل ممدودة ، والحمية بينهم مشدودة ، لكنها صنع بشر ، ما تلبث أن تَخْلَق ، ولا تألوا أن تتقطع أسبابها . ومع وجود اللسان العربي الواحد الذي يجمعهم ، بل أعظم من ذلك ، جوارهم للبيت الحرام ، لكن لم ترتبط قلوبهم ؛ لانعدام الرابطة الحقيقية . فلما ربط الله تعالى قلوبهم بهذا الدين الحنيف ، وتمسكوا به ، اشتد وثاقهم بينهم ، فلم ولن يكن يوم هم أقرب فيه لبعضهم من يومٍ اجتمعوا فيه عليه ، لأنه الدين الذي ارتضاه ولن يقبل من أحد غيره ، ولا هداية إلا به ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا...﴾[1] . لكن شاء الله كوناً أن يحصل بينهم التفرق والتحزب والتنازع ، بسبب الإعراض عن دعوة الإسلام ، والركون إلى دعوات الشياطين ، فشابهوا أهل الكتاب الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم العلم ، فخصلة الفرقة والتحزب هي من صفات اليهود والمشركين ، الذين ذمهم الله في كتابه ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ [2] . وسرت هذه العدوى من أهل الكتاب والمشركين إلى المسلمين وانتشرت بينهم ، وزادها أن جسد الأمة ضعيف المناعة والدفاع

---

[1] سورة المائدة ، آية : ٣ .

[2] سورة الروم ، آية : ٣١ ، ٣٢ ، وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ، ص : ١٩

ضد الأمراض والأوبئة العنصرية المقيتة ، إلا من كتب الله لهم السلامة والعافية من ذاك الداء العضال باستمساكهم بالعروة الوثقى ، والاجتماع عليها ، ونبذ ما سواها .

ومن المعلوم قطعاً أن من مقاصد الدين الحنيف و أعظمها الاجتماع على أساس الدين ، ونبذ الركون إلى غيره ، والجد في بذل الوسع لتحصيله . ومن أدل الأشياء على ذلك ، النظر إلى حال الدولة المسلمة التي أسسها الرسول صلى الله عليه وسلم من كافة فئات البشر والطبقات ، عربيهم وعجميهم ، شريفهم ومولاهم ، ولم يبخس أحداً منهم حقه الذي كان له في قومه ، بل هو القائل ﷺ : " الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ... " [١]. وعند مكاتبته لهرقل قال في وصفه "إلى هرقل عظيم الروم .. " [٢]، وقال أيضاً : " مولى القوم منهم " [٣]. وبين صلوات الله وسلامه وبركاته عليه أن الله إنما أراد من عباده ما يحصل به اجتماعهم وتقاربهم على ضوء ديننا الكريم ، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[٤] .

وحصول التفاوت الدنيوي بين الناس سواء في جنسهم أو نسبهم أو طبقاتهم ، لا يعني تفرقهم ، بل تسخير بعضهم لبعض ، قال تعالى : ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾[٥] ، فالرزاق هو الله سبحانه ، وما على العبد إلا الرضى والتسليم والامتثال ، والسعي فيما يوجب التفاضل الحقيقي في الآخرة قبل الدنيا ، ألا وهو تقوى الله سبحانه :

لعمرك ما الانسان إلا بدينه ... فلا تترك التقوى اتكالاً على النسبْ

---

[١] صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، رقم : ٣٤٩٦ ، وانظر : فتح الباري ٦ / ٦٨٢

[٢] صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، رقم : ٧

[٣] أخرجه النسائي في سننه : كتاب الزكاة ، باب : مولى القوم منهم ، رقم : ٢٦١٢ ، والترمذي في جامعه ، كتاب الزكاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية الصدقة للنبي ﷺ وأهل بيته ومواليه ، رقم : ٦٥٧ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

[٤] سورة آل عمرا ن ، آية : ١٩

[٥] سورة الزخرف ، آية : ٣٢

فقد رفع الإسلامُ سلمانَ فارسٍ　　　　وقد وضع الشركُ الشريفَ أبا لهبْ[1]

إلا أن الشيطان لما أيس أن يُعبد [2]، ورضي بالتحريش ، مقسماً بالله أن يكثر من الغاوين معه في جهنم ، فلم يلبث أن بث جنوده ونفث في روعهم ألا يدعوا سبباً من أسباب الفرقة بين المسلمين إلا ويحيوه ، ولا خصلة من خصال الجاهلية إلا ويعتنقوها ، وإن من أعظم حبائله لذلك هو إحياء النعرات الجاهلية المقيتة ، التي هي حظ الشيطان من هذه الأمة ، فبئس ما نال منهم بتلك الحبائل ، وقبحاً ما تقلد الناس تلك القلائد الجاهلية .

مفهوم النعرات[3] الجاهلية العصبية

استبدال[4] رابطة الاجتماع والمناصرة على أساس الدم أو الوطن أو القبيلة أو المذهب ، بالدين ، وأيضاً يدخل في ذلك كل مظاهر الجاهلية ، من الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والطبقية ، والطاعة العمياء ، والتحاكم للعادات القبلية ، وتقليد الآباء فيما وجدوا عليه من اعتقادات باطلة [5].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " ... وكل ما خرج عن دعوة الإسلام والقرآن : من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة ، فهو من عزاء الجاهلية ... " [6]. ويقول أيضاً : (... ما أضيف إلى الجاهلية من ميتة ، وقتلة ، ونحو ذلك فهو مذموم منهي عنه ، وذلك يقتضي ذم كل

---

(1) ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، جمع وترتيب : عبد العزيز الكرَم ، ص : ١٢ .

(2) في صحيح مسلم ، عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم " ، رقم : ٢٨١٣ .

(3) أصل كلمة النعرة أنه ذباب يلسع البعير فيتولع منها ويتفلت فيركب رأسه ، وسميت بذلك من نعير البعير وهو صوته ، ثم استعيرت للنخوة والأنفة والكبر ، انظر : انظر لسان العرب : ١٤ / ٢٩٦ ، ٢٩٧ والمصباح المنير ، ص : ٥٠١ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر ، ص : ٩٢٦.

(4) سواء كان ذلك الاستبدال جزئياً في بعض الأمور ، أو كلياً حتى يتطور ويصبح ما يعرف بالقومية .

(5) انظر : الأحاديث النبوية في ذم العنصرية الجاهلية ، عبد السلام البرجس ، ص : ٦٣ — ٧٣ ، والعصبية القبلية من منظور إسلامي ، خالد الجريسي ، ص : ٤٩ – ٦٢

(6) مجموع الفتاوى : ٢٨ / ٣٢٨

ما كان من أمور ، وهو المطلوب)[١] .

خطر النعرات الجاهلية العنصرية

تلك الدعوات تناقض ما بناه الإسلام بين المسلمين من التآخي والترابط بين كافة الأجناس ، وتدعو إلى التحزب داخل طائفة معينة أو قبيلة أو فئة ، ويكون حال كل فئة محسورة ومتقوقعة داخل نفسها ، مما يسهل تمزيق جسد الأمة واختراق أعدائها لها ؛ لأنه لا أساس متين يقوم عليه بناؤها وعمادها ، وهذه الدعاوى أيضاً من الوسائل التي أحياها المستعمر الصليبي للتفريق بين المسلمين [٢].

ومن أخطار تلك الدعاوى : الطعن في كمال الدين وشموله ، بعد أن رضيه الله لنا ديناً ، وأمرنا بالدخول فيه كافة ، فإن الركون إلى تلك الدعوات هو تفضيل للجاهلية على الحق [٣]. كما أن من مكامن الخطورة في هذه النعرات الجاهلية أنها تفسد الحضارة الإسلامية التي بناها وشيدها فيما مضى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وبذلوا فيها مهج الأرواح ومقل العيون حتى ساد الإسلام في الآفاق ، ورفرفت راياته على المفاوز وشم الجبال ، وتعطل أيضاً مسير الحضارة في مستقبلها أو تجعلها في وطأة الرابضين العاجزين ، الذين يظنون أن علياء المجد تكون في النخوات الجاهلية ، التي هي كسراب يحسبه الظمآن ماءً ؛ لأن الأرواح تنكرت لبعضها البعض بسبب ما أملته شياطينهم فترتب على ذلك نفور الأجساد بل اقتتالها فيما بينها ، وأصبحوا متفرقين حتى ذهبت ريحهم ، وطمع فيهم كل طامع [٤]. ومن مخاطر تلك النعرات الجاهلية أنها لا تقف في آثارها وتداعياتها عند حد معين ، بل تتعاظم وتكبر حتى تدخل في تلك الحمية النصرة في الباطل ، وتقديمه على الحق ، واستبدال السمين بالهزيل ، بل ما هو أعظم من ذلك إذ تصبح عثرة في طريق الهداية والدخول في دين الله ، وما قصة أبي طالب عم رسول الله ﷺ حين غلبته حمية دين

---

[١] اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ١١٥

[٢] انظر : الشبهات والأخطاء في الفكر الإسلامي ، أنور الجندي ، ص : ٢٩٩ ، ٣٠٠

[٣] انظر : الأحاديث النبوية في ذم العنصرية الجاهلية ، ص : ٢٥

[٤] انظر : محاضرات إسلامية هادفة ، عمر الأشقر ، ص : ٣٥٩ ، ٣٦٠

الآباء والأجداد عنا ببعيدة ، حين مات وقال : (... أنه على ملة عبد المطلب) [١].

ومن مخاطر تلك العصبيات الجاهلية أنها تمحو الأجر والثواب ، وتوجب العقاب حتى لو كانت تلك العصبية في مصلحة للأمة كالجهاد ونحوه ؛ لأن القتال حينئذٍ ليس لإعلاء كلمة الله ، بل لحظ النفس والقبلية والعصبية الممقوتة ، والسير خلف راية عِمِّية [٢] جاهلية ، فإذا كان هذا حالها مع ما فيه منفعة ، فكيف لو كانت دون ذلك [٣]. وقل مثل ذلك فيمن أحل الحلال وحرم الحرام ليس عبادة وامتثالاً لربه ، بل لأن الحاكم أو الشيخ الفلاني قال وأمر به ، فاتخذوه بذلك طاغوتاً ، عياذاً بالله [٤].

وكذلك من مخاطر تلك العادات الجاهلية أنها من أسباب انتشار البدع والضلالات بين المسلمين ، إضافة لكونها سبباً رئيساً للخلاف والشحناء والبغضاء ، فإن وجود مثل تلك الحميات ستكون طريقاً لتشييخ الجهال ، واتخاذهم رؤوساً جهالاً يفتون بغير علم ، ويقلدهم أتباعهم في ذلك عصبية وحمية حتى لو خالفوا الحق ، وهذا من أسباب ضياع الدين واندراسه [٥].

وإذا ضاع الدين واندرس بسبب تلك الأمور الجاهلية ، فسيتسلط أعداء الدين الإسلامي على أهله ، ويستبيحون بيضتهم وديارهم ويفسدونها ، كما أفسدوا قلوبهم بإحياء تلك النعرات المفسدة ، وستصبح بلاد المسلمين مثوى للاعتقادات الباطلة ، والمذاهب المنحلة . فلا بد من وقفة صادقة قوية ، وعزيمة أبية ؛ لتسد تلك النعرات الجاهلية ، وتذهب حض شياطين الإنس والجن من المسلمين ؛ ليكن بعدها أساس اجتماع الناس والحب والبغض والمناصرة في العقيدة الإسلامية ، ومنها ينطلق المسلمون لتعزيز واجبهم الديني في استكمال بناء الحضارة الإسلامية ،

---

[١] أخرج القصة البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار ، باب قصة أبي طالب ، رقم : ٣٨٨٤ ، وانظر فتح الباري : ٧ /٢٤٤.

[٢] العمية : بكسر العين وضمها ، من العماء ، أي : الضلالة ، كالقتال في عصبية الأهواء ، والموت في فتنة وجهالة ، انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ص : ٦٤٣ .

[٣] انظر : مجموع الفتاوى ٢٨ / ٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣

[٤] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ٢ / ١١٠١ – ١١٣١

[٥] انظر : الاعتصام للشاطبي ، ١ / ١٧٤ – ١٧٦.

بتبليغ دين الله سبحانه في شتى البلاد ، ودعوة الناس إلى الفقه في الدين ، ومجانبة مشابهة المشركين واليهود والنصارى والمجوس في الإعراض عن دين الله ، والبراءة من الشرك وأهله ومن المذاهب والحركات الفكرية الهدامة ، التي ما فتئت تنخر في جسد الأمة الإسلامية ، وتحذير شباب المسلمين وفتياتهم من تلك المهالك ، فإن أعظم ما غزا بلاد المسلمين اليوم ، هو تلك المذاهب الفكرية ، والحركات الهدامة التي اختطفت عقول الشباب وسبت قلوبهم للاغترار بدنيا زائفة ، وتضييع الدين ومسئولية قيامه للعالمين . والنتيجة المؤلمة أننا لم نستفد حقاً من الحضارة المادية الدنيوية ونسخرها لرفعة بلادنا الإسلامية ، ولا سلم ديننا الذي هو عصمة أمرنا ورأس مالنا ، إلا من رحم الله وقليل ما هم .

أثر العقيدة الإسلامية

أعظم ما ينجو به الناس لإطفاء تلك النعرات هو السير على منهج العقيدة الإسلامية ، وجعلها منهج حياة شامل في كل شئون الدين والدنيا ، ولا يقتصر الأمر في العقيدة على أصول الاعتقاد ومسائله فقط ، ولا شك أن هذا الأساس المتين ، لكن يجب أن تكون العقيدة الإسلامية كما تقدم ذكره آنفاً أنها هي المنهج الوحيد الشامل للحياة ، وأن يستشعر ذلك أبناء المسلمين في كل واجباتهم وفيما يأتون أو يذرون ، كل ذلك وفق العقيدة الإسلامية .

وقد رسخ الرسول ﷺ للناس كافة كيفية السير على منهج العقيدة الإسلامية ، وكيف يعامل الناس بعضهم البعض ، وعلى أي شيء تكون ، ورسخ فيهم حرمة الدماء المعصومة ، وأداء الأمانات ، والسمع والطاعة لولاة أمور المسلمين في غير معصية ، وغيرها من أسس العقيدة الإسلامية العظيمة ، في حجة الوداع التي قبض بعدها بقليل [١] .

ومما يدل على أهمية إرساء رسولنا الكريم ﷺ لذلك المنهاج ، أنه جعل ذلك في محفل عظيم كبير لن يتكرر مثله في التاريخ الإسلامي ، فكان ذلك المنهاج الإسلامي هو الذي يجب السير عليه ، ولا يقبل من أحد غيره ، وهو رسالة لكل موحد بأن يستمسك ويعتصم بهذا الدين الحق ، الذي يجب أن يسود ويدخله الناس أفواجاً .

---

[١] انظر : مع الرسول ﷺ في حجة الوداع ، عطية محمد سالم ، ص : ٩١ – ٩٦

ومما جاء في خطبة الرسول ﷺ في ذلك المحفل العظيم : (فإن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ...)[١] وقال : (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ...) [٢] ، وفيه التحذير من مشابهة الكفار الذين يتقاتلون فيما بينهم ، وأن ذلك من شعب الكفر [٣]. ومما رسخه الرسول ﷺ في ذلك المشهد العظيم وهو يؤدي فرض حجه ﷺ طاعة ولي الأمر المسلم والتحذير من الخروج عليه وما سيترتب على ذلك الخلاف ، فقال : (إنْ أُمِّر عليكم عبد مُجَدّعٌ أسود ، يقودكم بكتاب الله تعالى ، فاسمعوا له وأطيعوا)[٤] ، وهي رسالة عظيمة في أن الفلاح والنجاح والفضل في اتباع كتاب الله والعمل به ، لا بما سنه الجهال بالعادات الجاهلية والنعرات العنصرية ، التي شرعت ما لم يأذن به الله .

ومما ذكره أهل العلم من الفوائد العظيمة في حجة الوداع أن الله سبحانه أكمل برسوله ﷺ الدين وأتم به النعمة ، وليس بعد الكمال إلا النقص ، وليس بعد الصفاء إلا الكدر والقتر ، وفي قوله : (... فليبلغ الشاهد منكم الغائب ...)[٥] ، وجوب تبليغ ذلك الدين بكماله ، صافياً مصفى كما سلمه الرسول ﷺ لأتباعه [٦]. وفي الحقيقة أن خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع فيها من الفوائد والأسس العظام التي يحتاجها الباحث لمعالجة النعرات الجاهلية العصبية ، لكن يصعب تتبعها هنا ، ولعل ما تقدمت الإشارة إليه يفي بالمطلوب .

وممن يقع على عاتقهم السير بالناس على منهاج العقيدة الإسلامية ، العلماء الربانيون ، فهم أولى الناس بذلك وأعلمهم وأخشاهم لله ، من خلال التعليم والخطب والتأليف ، ومتابعة دعاة الجاهلية والرد عليهم وتحذير الناس من سلوك طريقتهم ، والرفع بهم للسلطان ؛ لأن يتول تأديبهم بعد استنفاذ نصحهم . وقد كان هذا الشيء دأب العلماء الربانيين قديماً ، ومنهم على سبيل

---

[١] صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب الخطبة بمنى ، رقم : ١٧٤٢

[٢] المرجع السابق ، حديث رقم : ١٧٤١

[٣] انظر : فتح الباري ١٣ / ٣٢ – ٣٦

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه ، رقم : ٣١٢٥

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الحج ، باب الخطبة بمنى ، رقم : ١٧٣٩

[٦] انظر : مع الرسول ﷺ في حجة الوداع ، ص : ١٠٨

المثال : الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، أمير المؤمنين في الحديث ، وصاحب كتاب الصحيح في الحديث النبوي . فمما أودعه في كتابه الصحيح الذي تلقته الأمة بالقبول – كتاب المناقب – ، وأول ما استفتح به ، قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[١]، ثم ذكر جملة من الأحاديث في هذا الباب[٢].

وكأن الإمام رحمه الله يبين لمن بعده بأن أعظم المناقب وأفضلها ، تقوى الله ، وهي الميزان الحقيقي في الدنيا والآخرة [٣]. ومثله الإمام أبو داود السجستاني في كتابه السنن ، حيث بوب كتاباً في الأدب ومما جاء فيه النهي عن التفاخر بالأحساب ، ومنه قوله ﷺ (لَيَدعنَّ رجال فخرهم بأقوام ، إنما هم فَحم من فحم جهنم ، أو ليكونُنَّ أهون على الله من الجِعلان التي تدفع بأنفها النتن)[٤]. وفي هذا الوعيد الشديد لأهل العصبيات والنعرات الجاهلية ، حيث شبه حالهم بالجعلان التي تحيا وتقوى بنتن العذرة والأذى ، بل تدحرجه بأنفها ، فكأن من استبدل رابطة الدين والتقوى بأمور العصبيات الجاهلية ، حاله كحال تلك الجعلان ، ومنزلته كمنزلة من استبدل الريح الطيب والعبق – وهو الدين والتقوى - بالأذى والنتن – وهو العصبيات الجاهلية – ، عياذاً بالله [٥].

وبوب كذلك باباً في النهي عن العصبية والتحامي بها ، ومنها حديث : عن أبي عقبة – وكان مولىً من أهل فارس – قال : شهدت مع رسول الله ﷺ أُحُداً ، فضربتُ رجلاً من المشركين فقلت : خذها مني وأنا الغلام الفارسي ، فالتفت إليَّ رسول الله ﷺ فقال : (فهلاّ قلتَ : خذها مني وأنا الغلام الأنصاري) [٦] ، فأبو عقبة لما غضب على ذلك الرجل قدم نسبته إلى قومه

---

[١] سورة الحجرات ، آية : ١٣

[٢] انظر : صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، رقم : ٣٤٨٩ – ٣٤٩٩ ، وفتح الباري : ٦ / ٦٧٩ – ٦٨٦

[٣] انظر : فتح الباري ٦ / ٦٧٩ ، والأحاديث النبوية في ذم العنصرية الجاهلية ، ص : ٨٩ – ٩٣

[٤] الحديث رقم : ٥١١٦ ، وصححه ابن تيمية ، انظر : الاقتضاء ، ص : ١١٤

[٥] انظر : عون المعبود ، لأبي الطيب العظيم آبادي ، ٧ / ٢٩٢

[٦] رقم الحديث : ٥١٢٣.

فارس وهم كفار حينئذٍ ، وترك النسب الأفضل وهو الانتساب لأهل الإسلام الأنصار ؛ ولهذا حثه الرسول ﷺ لو انتسب للأنصار المسلمين وترك النسبة للمشركين ، مع أن النسبة لكونه من فارس جائزة لكن تقديم الوصف الأفضل أفضل لذلك ، أو لكونه ذكرها حمية وعصبية فحثه على تركها ، وفيه بيان بأن الانتساب للدين الحق هو الشرف الأصيل [1].

ولا يزال أهل العلم والفتيا ينبهون الناس على خطر التحاكم للعادات القبلية وترك التحاكم للدين وللمحاكم الشرعية ، ففي فتوى اللجنة الدائمة ، رقم : ١٦٨٩٤ ، عنوان الفتوى : (التحاكم إلى العادات والأعراف القبلية) ، بعد استفتاء عن التحاكم لبعض القوانين الجاهلية والعادات القبلية ، (... ولا يحل لمشايخ القبائل الحكم بين الناس بما تمليه الأعراف والمبادئ القبلية ، والواجب عليهم إرشاد من جاءهم بأن يذهب إلى القضاة في المحاكم الشرعية ، الذين ولاهم إمام المسلمين للحكم بين الناس بالشرع المطهر ...)[2].

ويقول الشيخ ابن باز : (... ولا يجوز لأي أحد أن يحكم بين القبيلة بحكم الطاغوت والأجداد والأسلاف ... ولا يجوز تحكيم شيوخ القبائل ، ولا أشخاص معينين من أي قبيلة ، كل هذا منكر ، وكل هذا لا يجوز وباطل ، والذي يراه جائزاً ، ويراه أمراً معتبراً يكون كافراً ... نعم يجوز الإصلاح بين الناس بما لا يخالف الشرع ...)[3] .

ويقول الشيخ صالح الفوزان : (... والانتماء للأحزاب الجاهلية ، والقوميات العنصرية ، هو الآخر كفرٌ وردةٌ عن دين الإسلام ؛ لأن الإسلام يرفض العصبيات ، والنعرات الجاهلية ... وهذه الحزبيات تفرق المسلمين ، والله قد أمر بالاجتماع والتعاون على البر والتقوى ، ونهى عن التفرق والاختلاف)[4]. ويقول أيضاً : (... ويريد أصحاب هذه الحزبيات أن يجعلوها بديلة عن الإسلام الذي من الله به على البشرية)[5].

---

[1] انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ١١٣، وعون المعبود : ٧ / ٢٩٥.

[2] فتاوى اللجنة الدائمة : ١ / ٣٧٢.

[3] فتاوى نور على الدرب : ٤ / ١٣٢ - ١٣٤

[4] عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها ... ، ص : ١٥٥ ، ١٥٦

[5] المرجع السابق ، ص : ١٥٨ ، وانظر ، ص : ١٤٩ - ١٥٨

فالواجب على المسلمين ترك كل تلك النعرات والعصبيات ، والدعوة بدعوة الإسلام والقرآن ، والتناصح والتواصي بالتمسك بتعاليم الدين الحنيف ، فإن الشرع يحث على أن يبدأ المسلم في الدعوة إلى الله بنفسه وأهل بيته وقومه وعصبته ، وأن يكون لقومه ولعموم المسلمين ، مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر ، مهتدياً بهدي رسوله ﷺ في دعوته – وأنذر عشيرتك الأقربين – ، فبعد نزول هذه الآية ، امتثل أمر ربه ، ونادى أهل بيته وقومه وعشيرته ، وأخبرهم بأنه لا يغني عنهم من الله شيئاً [(١)].

وكذلك جاءت الآثار في الحث على تعلم الأنساب بقدر ما يعين المسلم على صلة رحمه وتعاهدهم بالزيارة والوصال . وحصول الفضل العظيم على صلة الأرحام ، مترتب على معرفة الأنساب ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم محبة في الأهل ، مثراة في المال ، منسأة في الأثر) [(٢)].

ومن فضل الله علينا أن هذا الدين العظيم وسط بين الغالي فيه والجافي عنه ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ...﴾[(٣)] .

يقول ابن تيمية : " والشيطان يريد من الإنسان الإسراف في أموره كلها ، فإنه إن رآه مائلاً إلى الرحمة زين له الرحمة حتى لا يبغض ما أبغضه الله ، ولا يغار لما يغار الله منه ، وإن رآه مائلاً إلى الشدة زين له الشدة في غير ذات الله حتى يترك من الإحسان والبر واللين والصلة والرحمة ما يأمره به الله ورسوله ، ويتعدى في الشدة فيزيد في الذم والبغض والعقاب على ما يحبه الله ورسوله ، فهذا يترك ما أمر الله به من الرحمة والإحسان وهو مذموم مذنب في ذلك ، ويسرف فيما أمر الله

---

(١) انظر القصة ، صحيح البخاري ، كتاب الوصايا ، باب : هل يدخل النساء والولد في الأقارب ؟ ، رقم : ٢٧٥٣ ، وفتح الباري : ٥ / ٥٠٣ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم : ٣ / ٤٦١ – ٤٦٥

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب البر والصلة ، باب : ما جاء في تعليم النسب ، رقم : ١٩٧٩، والبخاري في الأدب المفرد ، نحوه موقوفاً على عمر بن الخطاب وابن عباس ، رقم : ٧٢ ، ٧٣ وانظر : فتح الباري : ٦ / ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، والسلسة الصحيحة للألباني ، رقم : ٢٧٦ ، ص : ١ / ٥٥٨ – ٥٦١ ، فالحديث صح مرفوعاً وموقوفاً .

(٣) سورة البقرة ، آية : ١٤٣.

به ورسوله من الشدة حتى يتعدى الحدود وهو من إسرافه في أمره ، فالأول مذنب ، والثاني مسرف ، (والله لا يحب المسرفين) ، فليقولا جميعاً : (ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين) " [1] .

---

[1] مجموع الفتاوى : ١٥ / ٢٩٢ .

المبحث الثاني : اعتقاد أهل السنة والجماعة في تفضيل جنس العرب

من عقيدة أهل السنة والجماعة ، السلف الصالح ، أنهم يقولون بفضل جنس العرب على غيرهم من أجناس المسلمين ، ودونوا ذلك في كتب العقائد والسنة . فقد جاء عن الإمام أحمد – رحمه الله – في العقيدة التي رواها عنه أحمد بن جعفر الإصطخري ، قوله : (ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ، ونحبهم ...) [(١)]. وكذلك الإمام حرب الكرماني[(٢)] في مسائله التي صدرها بقوله : (هذا مذهب أئمة العلم ، وأصحاب الأثر ، وأهل السنة المعروفين بها ، المقتدى بهم فيها ، من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا . وأدركتُ من أدركتُ من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب ، أو طعن فيها ، أو عاب قائلها ، فهو مخالف مبتدع ، خارج من الجماعة ، زائل عن منهج السنة الحق . وهو مذهب : أحمد ، وإسحاق بن إبراهيم بن مخلد[(٣)] ، وعبد الله ابن الزبير الحميدي[(٤)] ، وسعيد بن منصور[(٥)]

---

(١) العقيدة للإمام أحمد بن حنبل ، جمع : محمد الشعباني ، ص : ٩٨ ، وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ٢٣١ ، ٢٣٢

(٢) هو الإمام الجليل : حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي الكرماني ، أبو محمد ، ممن صحب الإمام أحمد كثيراً ، كان إماماً في السنة ، ومجاهداً ضد المبتدعة ، وكتابه المسائل من أشهر ما نقل عنه توفي عام : ٢٨٠هـ ، انظر : السير للذهبي : ١٠ / ٥٨٦ ، وطبقات الحنابلة ، لابن أبي يعلى : ١ / ٣٨٨ .

(٣) هو : إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي ، المشهور بابن راهويه ، الإمام الحافظ الفقيه المحدث ، ولد سنة : ١٦١هـ ، روى عنه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي ، توفي سنة : ٢٣٨ هـ ، انظر : وفيات الأعيان ، لابن خلكان : ١ / ١٠٨ ، والأعلام ١ / ٢٩٢

(٤) هو : أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي ، ولاءً ، الحُميدي المكي ، ثقة حافظ فقيه ، من كبار شيوخ البخاري ، ومن أصحاب ابن عيينة ، له مسند مشهور ، توفي ، عام : ٢١٩ هـ ، انظر : تقريب التهذيب ، لابن حجر ، ص : ٥٠٦

(٥) هو : أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني ، ونزيل مكة ، إمام حافظ ثقة ، صاحب السنن ، أخرج له أصحاب الكتب الستة ، توفي عام : ٢١٧هـ ، انظر : ميزان الاعتدال للذهبي : ٢ / ١٥٩ ، وتقريب التهذيب ، ص : ٣٨٩

، وغيرهم ممن جالسْنا ، وأخذنا عنهم العلم ، فكان من قولهم ...)[1] ، ومما ذكره من اعتقاد أهل السنة قوله : (ويعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ويحبهم ...) [2].

ويقول الإمام البربهاري [3]: (واعرف لبني هاشم فضلهم ؛ لقرابتهم من رسول الله ﷺ ، واعرف فضل قريش ، والعرب ، وجميع الأفخاذ ، فاعرف قدرهم ، وحقوقهم في الإسلام ...) [4].

ويقول ابن تيمية : (... فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة : اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم ، عبرانيهم وسريانيهم ، رومهم ، وفرسهم ، وغيرهم ، وأن قريشاً أفضل العرب وأن بني هاشم أفضل قريش ، وأن رسول الله ﷺ أفضل بني هاشم ، فهو أفضل الخلق نفساً ، وأفضلهم نسباً ...) [5]. ثم حذر من مخالفة أهل السنة في هذا الباب بقوله : (... وذهبت فرقة من الناس على أن لا فضل لجنس العرب على جنس العجم ، وهؤلاء يُسمَّون الشعوبية ؛ لانتصارهم للشعوب التي هي مغاير للقبائل ، كما قيل : القبائل للعرب ، والشعوب للعجم ، ومن الناس من قد يفضل بعض أنواع العجم على العرب ، والغالب أن مثل هذا الكلام لا يقدر إلا عن نوع نفاق : إما في الاعتقاد ، وإما في العمل المنبعث عن هوى النفس ، مع شبهات اقتضت ذلك ...) [6].

وهذا التفضيل دلت عليه السنة الصحيحة ، فعن واثلة بن الأسقع ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى

---

[1] كتاب السنة من مسائل الإمام حرب بن إسماعيل الكرماني ، ص : ٢٧ ، ٢٨ .

[2] كتاب السنة ، ص : ٤٦ ، وهو مشابه لما ذكره الإصطخري في رسالته عن الإمام أحمد .

[3] هو : الإمام أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري ، الفقيه الإمام من كبار الحنابلة في زمانه ، اشتهر بالسنة وحربه على المبتدعة ، وكان داعية للأثر ، توفي عام : ٣٢٨هـ ، انظر : السير ١١ / ٥٥٧ ، وطبقات الحنابلة : ٣ / ٣٦ .

[4] شرح السنة ، ص : ٩٨ ، ٩٩

[5] اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ٢٣١ .

[6] المرجع السابق ، ص : ٢٣٢.

من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم) [١]. قال ابن تيمية :(وقد بين ﷺ أن هذا التفضيل يوجب المحبة لبني هاشم ، ثم لقريش ، ثم للعرب [٢].

ومن الأدلة كذلك : ما أخرجه الترمذي عن المطلب بن أبي وداعة قال : جاء العباس إلى رسول ﷺ فكأنه سمع شيئاً ، فقام النبي ﷺ على المنبر فقال : (من أنا ؟ فقالوا : أنت رسول الله عليك السلام ، قال : (أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل ، فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً وخيرهم نسباً) [٣]، والحديث يشبه في دلالته ما دل عليه حديث واثلة المتقدم من تفضيل العرب على غيرهم [٤].

ومن الأدلة على أن بغض العرب من علامات النفاق ، عن سلمان رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : (يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك " ، قلت : يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانا الله ، قال : " تبغض العرب فتبغضني " [٥]. قال ابن تيمية : (فقد جعل النبي ﷺ بغض العرب سبباً لفراق الدين ، وجعل بغضهم مقتضياً لبغضه . ويشبه أن يكون النبي ﷺ خاطب بهذا سلمان — وهو سابق الفرس ، ذو الفضائل المأثورة — تنبيهاً لغيره من سائر الفرس ، لما أعلمه الله من أن الشيطان قد يدعو النفوس إلى شيء من هذا ...) [٦]. قال الشيخ ابن عثيمين في تعليقه على ذلك : (قال النبي ذلك لسلمان ؛ لأنه فارسي ، والفرس والعرب أمتان متعاديتان من قديم

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه ، رقم : ٢٢٧٦ ، وانظر : محجة القرب إلى محبة العرب ، للعراقي ، ص : ٧٧

[٢] اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ٢٣٥.

[٣] جامع الترمذي ، كتاب الدعوات ، رقم : ٣٥٣٢ ، وقال : هذا حديث حسن ، وقال ابن تيمية : فإن الحجة قائمة بالحديث على كل تقدير ، لا سيما وله شواهد تؤيد معناه : الاقتضاء ، ص : ٢٣٦ . وقد بوب الإمام الترمذي باباً في فضل العرب ، في جامعه في كتاب المناقب .

[٤] انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ٢٣٥

[٥] أخرجه الترمذي ، في جامعه ، كتاب المناقب ، رقم : ٣٩٣٦ ، قال عنه : هذا حديث حسن غريب ... ، والحديث له شواهد يتقوى بها ، ذكرها الحافظ العراقي في محجة القرب ، انظر : ص / ٧٠ — ٧٨ ، ٨٣ — ٨٥ ، ١٠٥ — ١٠٨ .

[٦] اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ٢٣٩ ، ٢٤٠

الزمان ؛ ولهذا خاف أن يكون في قلبه شيء من ذلك ، وفي هذا دليل على عقل سلمان رضي الله عنه ، قال : كيف أبغضك وبك هداني الله ؟ ...) [1].

ومع اعتقاد أهل السنة في ذلك التفضيل إلا أن ثمة مهمات في هذا الباب ، لا بد من أخذها بعين الاعتبار ، وهي :

- أن أساس التفضيل والمؤاخاة هو : التمسك بدين الله القويم وسنة رسوله الكريم ﷺ، وبالتقوى ، ((إن أكرمكم عند الله أتقاكم)) قال ابن تيمية : (إذ الفضل الحقيقي : هو اتباع ما بعث الله به محمداً ﷺ من الإيمان والعلم ، باطناً وظاهراً ، فكل من كان فيه أمكن ، كان أفضل . والفضل إنما هو بالأسماء المحمودة في الكتاب والسنة ، مثل : الإسلام والإيمان ، والبر والتقوى ، والعلم والعمل الصالح ، والإحسان ، ونحو ذلك . لا بمجرد كون الإنسان عربياً أو أعجمياً أو أسود أو أبيض ...) [2]. وقد ثبت في الحديث الصحيح ، أن النبي ﷺ قال : " إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي ، إنما وليي الله وصالح المؤمنين ... " [3]، وفيه أن الرسول ﷺ نفى الولاية عمن ليس بمؤمن ، وأثبتها في حق المؤمن ولو من غير آله [4].
- أن التفضيل الذي قاله أهل السنة هو : تفضيل جنس على جنس ليس فرد على فرد ، فقد يوجد أفراد من غير العرب سبقوا في الفضل والمنزلة في دين الله ، بل هذا كثير ومشهور [5].
- أن التفضيل لا يدل على تخصيص العرب بأحكام شرعية دون غيرهم ، بل الشرع عام لكل مسلم ، عربي وغير عربي ، والرسول ﷺ بعث للثقلين جميعاً ، إلا ما جاء عن تخصيص قريش بالإمامة ، وبتحريم الصدقة على بني هاشم كما بين ذلك أهل العلم [6].

---

[1] تعليق الشيخ ابن عثيمين على اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ٢٣٨.

[2] المرجع السابق ، ص : ٢٢٧

[3] أخرجه البخاري ، كتاب الأدب ، باب تُبَل الرحم ببلالها ، رقم : ٥٩٩٠

[4] انظر : فتح الباري ١٠ / ٥٣٩ – ٥٤٢

[5] انظر : المرجع السابق نفسه ، ومجموع الفتاوى ١٩ / ٢٩

[6] انظر : مجموع الفتاوى ١٩ / ٢٩

● من المسائل المهمة في هذا الباب ، التنبيه على فضل وشرف جزيرة العرب [١]، وما جاء فيها من خصائص وفضائل ، حيث أن هذه الجزيرة المباركة نزل فيها القرآن الكريم على سيد الأولين والآخرين ، في أطهر بقعة في الأرض ، وبدأت منها دعوة التوحيد ، وانطلقت منها إلى كل حدب وصوب ، فاجتمعت كل تلك الفضائل بفضل من الله ورحمته وبركاته .

ومن الفضائل التي خص الله بها تلك الجزيرة المباركة ، ما أخبر به الرسول ﷺ بقوله : (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)[٢] ، وبقوله : : " أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب " [٣] . حتى لا يحصل فيها دينان ، بل تظل مأرز الإيمان والإسلام . ومن فضائل هذه الجزيرة أنها تضم الحرمين الشريفين ، يفد إليهما المسلمون عامة من شتى أقطار الأرض ، ولا يوجد مكان يُقصد كما يُقصدان ، سواء للعبادة أو غيرها . والخصائص والفضائل لهذه الجزيرة كثيرة ، وقد نبه عليها غير وحد من أهل العلم [٤].

وهذه الفضائل تحتم وتؤكد على أهلها أن يكونوا على قدر ذلك الشرف بالاقتداء بهدي سنة الرسول ﷺ ، وبتبليغ دين الله سبحانه ، والاحتفاء بمن قدم من المسلمين لزيارتها وقصد الحرمين الشريفين . وأن لا يدعو وسيلة للرقي بها إلا ويسلكوه ، ولا سبباً يعود عليها بالأذى إلا ويتركوه

---

[١] اسم العرب يطلق لمن جمع ثلاثة أوصاف : الأول : من كان لسانهم باللغة العربية ، الثاني : من كانوا من أولاد العرب ، الثالث : أن مساكنهم كانت أرض العرب ، وهي جزيرة العرب ، وحدودها : من بحر القلزم – البحر الأحمر – إلى بحر البصرة – الخليج العربي – ، ومن أقصى حجر باليمن إلى أوائل الشام ، فاليمن كلها داخلة فيها ، ليست الشام . انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ٢٥٠ ، ومسبوك الذهب لمرعي الكرمي ، ص : ١٦ – ٢٠ ، وصفة جزيرة العرب ، الحسن الهمداني ، ص : ٥٥ ، وخصائص جزيرة العرب ، بكر أبو زيد ، ص : ١٣ – ٢٤

[٢] متفق عليه ، أخرجه البخاري ، كتاب الجزية والموادعة ، باب : أخرجوا اليهود من جزيرة العرب ... ، رقم : ٣١٦٨ ، ومسلم رقم : ١٦٣٧

[٣] متفق عليه ، أخرجه البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب هل يستشفع إلى أهل الذمة ... ، برقم : ٣٠٥٣ ، ومسلم ، رقم : ١٦٣٧

[٤] انظر : خصائص جزيرة العرب ، ص : ٢٥ – ٥٦ ، وصفة جزيرة العرب ، ص : ٣، والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ، عبد الإله الأحمدي ، ٢ / ٣٣١ .

ويجتنبوه ، ويتعاونوا فيما بينهم لصد الأذى عنها ، بل ذلك واجب على كل مسلم ، سواء كان ذلك الأذى حسي أو معنوي ، ديني أو دنيوي . وأعداء الدين يسعون لحرب أهل هذه الجزيرة من الناحية العقدية والفكرية والأخلاقية ، بما يبثون إليها من مذاهب منحلة وأفكار ضالة ، وفحش ومجون ، فسهامهم مصوبة إلى أبناءها من جهة الشبهات والشهوات ، وعليه : فالخطر قائم والواجب في دفعه وإزالته متحتم ولازم ، يقول الشيخ ابن عثيمين : (ونحن أهل هذه الجزيرة علينا مسؤولية عظيمة ليست على بقية الناس ، فمن هنا ظهر الإسلام وإليه يعود ، في هذه الجزيرة ، قال رسول البرية عليه الصلاة والسلام في مرض موته : " أخرجوا المشركين من جزيرة العرب "[١]، وقال :" لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً " [٢]، وقال : " أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب " [٣]. وإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام أمرنا بإخراج أجسادهم ، فإنه يأمرنا أمراً أولوياً بإخراج أفكارهم وأخلاقهم التي يبثونها بين الناس ليضلوا عباد الله عز وجل ، ولو أن الرسول عليه الصلاة والسلام أمامنا الآن يقول في مرض موته ، وهو على فراش الموت : " أخرجوا المشركين من جزيرة العرب " ، هل لأنهم أجسام بشر مثلنا ؟! لا ، بل لأنهم يبثون شركهم وشرورهم بيننا ، فهذه الجزيرة لها شأن عظيم وميزان كبير في نظر الشارع ، باعتبار حماية الدين الإسلامي ...) [٤].

---

[١] تقدم تخريجه

[٢] أخرجه مسلم ، رقم : ١٧٦٧

[٣] تقدم تخريجه .

[٤] شرح العقيدة السفارينية ، ص : ٢٣ ، ٢٤

المبحث الثالث : اختلاط المسلمين بدول الأعاجم وأثره على العقيدة

كان من هدي السلف رحمهم الله ومن تبعهم بإحسان مجانبة ديار الكفر والعجم [1]، لما فيها من الشرك والوثنيات ، والعلوم التي تضر بالعقيدة كالفلسفة والتنجيم والشعوذة والسحر وغيرها . ولم يكن دخولهم لتلك الديار إلا لغرض الدعوة ونشر الدين أو الفتوحات الإسلامية ، أو غرض مباح كالتجارة ونحوها ، ولا يقيمون إقامة دائمة بديار المشركين ، ممتثلين في ذلك أمر الرسول ﷺ : " أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين " قالوا يا رسول الله : لمَ ؟ قال : " لا تَرَايا[2] ناراهما " [3]، وقوله : " من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله " [4]. لأن الإقامة بينهم ومجامعتهم في موطن واحد ، تبعث على موالاتهم وحبهم ، والتأثر بهم ، وهجر ديار الإسلام وتكثير سوادهم ، وكذلك ما ذكره أهل العلم من أن المشاكلة في الظاهر تدعو إلى المشاكلة في الباطن ، وهذا ما لا يحمد عقباه [5]. كذلك من الآثار السيئة على شعائر الدين : التأثير على اللغة العربية ، التي هي شعار المسلمين ؛ لأن من أسباب العجمة الرطانة [6] ،

---

[1] والتحذير من ديار العجم ليس لذات العجمة ، بل لما لحق ديارهم من بعد عن الدين الحق ، وإلا ففي الأعراب من حذر منهم الشرع ، وفي الأعاجم من فاق العرب ، فلا تلازم بين الجنس والمدح والذم ، انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ٢٢٤، ٢٢٥

[2] أصلها تتراءى ، وحذفت التاء والهمزة للتخفيف ، وقيل في معنى ذلك : لا يستوي حكمهما ، وقيل : أن الله فرق بين دار الإسلام ودار الكفر ، فلا يجوز أن يساكن الكفار في بلادهم ، وقيل : لا يتشبه المسلم بسمات الكفار ، لا في هديهم ولا في أشكالهم ، انظر : عون المعبود ٤ / ١٦٧ .

[3] أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الجهاد ، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود ، رقم : ٢٦٤٥ ، والترمذي في جامعه ، في كتاب السير عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين ، برقم : ١٦٠٤ ، وصححه الألباني .

[4] أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الجهاد ، باب في الإقامة بأرض الشرك ، رقم : ٢٧٨٧ ، وصححه الألباني .

[5] انظر : عون المعبود ٤ / ١٦٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، وتحفة الأحوذي : ٥ / ٢١٩ ، ٢٢٠ ، والاقتضاء ، ص : ٣١٣

[6] الرطانة ، هي : التكلم بالأعجمية ، انظر : مختار الصحاح ، ص : ٢٢٦

والاختلاط بالعجم والمكوث في بلادهم لغير حاجة ، يؤدي إلى البعد عن اللغة التي هي من أهم الأدوات العلمية لإدراك مقاصد الشريعة ، وفهم النصوص على مرادها الشرعي ، وقد قرر أهل العلم كراهة التخاطب بغير العربية لغير حاجة (١). وكان عمر ﷺ يقول : سوء اللحن أسوأ من سوء الرمي (٢).

ومن هديهم الحيطة والحذر فيما كانوا يجدون من آثار أهل الكتاب أو الوثنيين من كتبهم أو دورهم أو ما يتعلق بعباداتهم التي تضر بالعقيدة الصافية ، كل ذلك كان يتعامل معه السلف والأئمة تعاملاً حسناً ، ولا يتركون لعامة الناس أن يأخذوا بآثار الوثنيين أو غيرهم ، بل كانوا يسدون ذلك الباب سداً منيعاً . وكان قادة المسلمين يكتبون للخلفاء الراشدين ويسترشدون بهديهم في كيفية التعامل في بلاد العجم (٣)، يقول ابن تيمية : (ولما ظهر قبر دانيال بتُسْتَرَ(٤) ، كتب فيه أبو موسى رضي الله عنه إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فكتب إليه عمر : إذا كان بالنهار فاحفر ثلاثة عشر قبراً ،ثم ادفنه بالليل في واحد منها ، وعفر قبره لئلا يفتتن به الناس ...) (٥) .

وكان من هدي عمر ﷺ أنه ينهى عن دخول العُلُوج (٦) المدينة ، حتى غُلب على ذلك (٧). وهذا وهم أئمة في الدين ، والسابقون في الفضائل ، فكيف بمن بعدهم ، ينبغي أن يكونوا أحوط في ذلك وأبعد عن ديار الشرك والكفر . والشاهد مما تقدم أن اختلاط المسلمين بديار العجم له آثاره على العقيدة والدين ، وحتى ينضبط هذا الباب لا بد أن نعرف الأصول الجامعة المانعة لذلك الخطر العظيم ، وتلك الأصول كما قررها أهل العلم :

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ٢٤٦ ، والاعتصام للشاطبي : ٢ / ٢٨٥ – ٢٩٥

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات : ٣ / ٢٦٥

(٣) انظر : البداية والنهاية ٧ / ١٥٣

(٤) تُسْتَرَ من أشهر مدن خوزستان ، انظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ٢ / ٣٧

(٥) مجموع الفتاوى : ١٥ / ١٥٤ ، وانظر : البداية والنهاية ٧ / ١٥٣

(٦) العُلُوج ، جمع عِلْج ، وهو : الواحد من كفار العجم ، انظر : مختار الصحاح ، ص : ٣٩٥

(٧) انظر : الطبقات لابن سعد ، ص : ٣ / ٣٢٧ ، ٣٢٥ ، وسير أعلام النبلاء : ٢ / ٤٧٢

أولاً : سد الذرائع

وهذا الباب العظيم من أعظم ما تحفظ به العقائد ، وتمنع به الشبهات والشهوات ، وتدرأ به الفتن ، فكل ما يفضي إلى شرك أو كفر أو بدعة أو مضرة على العقيدة والشريعة ، يجب سد الذريعة الموصلة إليه ، قال تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1] .

ففي هذه الآية نهى الله عن سب الآلهة لأنه سيكون ذريعة لسب الله عز وجل من قبل أولئك المشركين ، مع أن آلهة المشركين مستحقة للتحقير والذم ، ولكن منع من ذلك حسماً لما هو أخطر وأشد [2] . يقول ابن القيم : (وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف ، فإنه : أمر ونهي . والأمر نوعان : أحدهما ، مقصود لنفسه ، والثاني : وسيلة إلى المقصود . والنهي نوعان ، أحدهما : ما يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه ، والثاني : ما يكون وسيلة إلى المفسدة ، فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام ، أحد أرباع الدين)[3] . والسفر إلى بلاد الأعاجم يفضي إلى التشبه بهم ، وحضور أعيادهم ، وضعف البراء منهم ، خصوصاً في هذه الأزمان التي فُتن الناس فيها ببلاد الغرب ، وأصبح السفر إليها لغير ضرورة وحاجة ، أشبه بالشيء المعتاد عند كثير من المسلمين إلا ما رحم ربك ، بل ينادي من لا بصيرة عنده بالاحتذاء بهم في الحرية والانفلات ، وهذا الشيء جعل الغرب يشعر بالانتصار والفخر على المسلمين ، وسهل عليهم اختراق البلاد الإسلامية ، وزرع سمومهم فيها ، وولّد الهزيمة لدى المسلمين [4]، والله المستعان .

وقد طبق الصحابة رضي الله عنهم ، هذه القاعدة العظيمة ، فعن عمر ابن الخطاب ﷺ (حينما خرج من مكة إلى المدينة ، صلى الغداة ثم رأى الناس يذهبون مذهباً ، فقال : أين يذهب هؤلاء ؟ قيل : يا أمير المؤمنين ، مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ ، فهم يأتون يصلون فيه ، فقال : إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا ، يتبعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبيعاً ، من أدركته الصلاة

---

[1] سورة الأنعام ، آية : ١٠٨

[2] انظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ٧ / ٤٤ ، وإعلام الموقعين : ٥ / ٥

[3] إعلام الموقعين : ٥ / ٦٦

[4] انظر : دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة ، أحمد عبد العال ، ص : ٣٣

منكم في هذا المسجد فليصل فيه ومن لا فليمض ولا يتعمدها)[1]، وعنه ﷺ أنه (أمر بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ ، فقطعها ؛ لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها ، فخاف عليهم الفتنة) [2]. قال ابن عثيمين : (يستفاد من هذا الفعل الراشد أن كل ما خيف منه الفتنة ، وإن كان في الأصل مباحاً ، فإنه تجب إزالته سدً للذريعة) [3].

الثاني : حرمة التشبه باليهود والنصارى والمشركين

وهذا من الأصول التي قررها الشرع ، وأمر بها المؤمنين ، فكل ما كان من عبادة وعرف وعادات المشركين والكتابيين والوثنيين ، فالشرع قد أمر وألزم باجتنابه[4]، قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾[5]، وقال تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [6] . وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال : " لتتبعن سَنَن من كان قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لسلكتموه ، قلنا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن " ؟ [7] . وعن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال :" لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع " قيل : يا رسول الله كفارس والروم ؟ فقال : " ومن الناس إلا أولئك ؟ " [8].

وكل تلك الأحاديث الصحيحة التي أخبر بها النبي ﷺ للتحذير من سننهم وعاداتهم [9]، وفيه أن

---

[1] أخرجه ابن وضاح في البدع ، رقم : ١٠٥ ، ص : ٧٨ .

[2] المرجع السابق ، ص : ٧٩ ، وانظر : الاقتضاء ، ص : ٥٢٦ ، وتحذير الساجد ، الألباني ، ص : ١٢٤

[3] تعليق ابن عثيمين على اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ٥٢٦.

[4] انظر : إعلام الموقعين : ٥ / ١٢ ، ١٣

[5] سورة المائدة : ٥١ – ٥٢

[6] سورة الروم ، آية : ٣١

[7] متفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل ، رقم : ٣٤٥٦ ، ومسلم ، رقم : ٢٦٦٩

[8] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام ، باب قول النبي ﷺ : " لتتبعن سنن من كان قبلكم "

[9] اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ١١٧

الناس سيتبعونهم إلا من رحم الله ، وجعله من خاصته وأهل سنة رسوله ﷺ ، ولهذا نهى عن التشبه بهم ، وأن من فعله فهو مثلهم ، وفي الحديث : " من تشبه بقوم فهو منهم " [١]، قال ابن تيمية : (وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم ، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم ، كما في قوله : (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) [٢].

الثالث : الأمر بمخالفة المشركين وأهل الكتاب

وهذا الأصل مأمور به ، ومقصود شرعاً ، فإن النصوص كما دلت على حرمة التشبه بالكفار وأهل الكتاب والمشركين ، فكذلك وجهت بمخالفة ما يفعلونه سواء في العبادات واللباس ونحو ذلك ، عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " خالفوا المشركين ، ووفروا اللحى ، واحفوا الشوارب " [٣] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : " إن اليهود والنصارى لا يصبغون ، فخالفوهم " [٤]. وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " جُزُّوا الشوارب وأرخوا اللحى ، خالفوا المجوس " [٥].

وفي هذه الأحاديث يأمر النبي ﷺ بمخالفة أهل الكتاب والأعاجم والمشركين فيما يصنعونه في أمور اللباس والزينة [٦]، فكيف بما يتعلق بالعبادة وحماية جناب التوحيد ، فقد سد الشرع كل ما يؤدي إلى الشرك وذرائعه من أمور الجاهلية ، وأمر بمخالفة أهلها [٧] ، ففي الحديث : " لعنة الله

---

[١] أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب اللباس ، باب لبس الشهرة ، رقم : ٤٠٣١ ، وجوده ابن تيمية ، انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ١٢٥ ، وانظر : إرواء الغليل ، رقم : ١٢٦٩ ، ص : ٥ / ١٠٩.

[٢] اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ١٢٦ ، وانظر : ص ٢٦٣ وما بعدها ، وللتوسع عن التشبه وضوابطه راجع المرجع المذكور .

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب اللباس ، باب تقليم الأظفار ، رقم : ٥٨٩٢

[٤] المرجع السابق ، باب الخضاب ، رقم : ٥٨٩٩

[٥] أخرجه مسلم في صحيحه ، برقم : ٢٦٠

[٦] انظر : فتح الباري ١٠ / ٤٥٤ – ٤٥٦

[٧] انظر : مسائل الجاهلية للإمام محمد بن عبد الوهاب ، ص : ٢٢١ – ٢٣٦

على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " [1] ، قالت عائشة رضي الله عنها : يحذر ما صنعوا . وأيضاً قوله ﷺ : " أولئكِ قوم إذا مات فيهم العبد الصالح – أو الرجل الصالح – بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله " [2] .

وكان هذا الغلو من تلك الأمم سبب للشرك والبدع ، ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾[3] ، وهذا الغلو الذي نهى الله عنه يشمل الإفراط والتفريط ، والتعمق والجفاء ، والحق وسط بين طرفين ، وهدىً بين ضلالتين [4]. ومما يدل على ذلك حال الفرق المخالفة ، فإن منها ما غلا غلو شديداً ، كالخوارج ، ومنها ما جفا كالمرجئة ، والوسط هم أهل السنة والجماعة في كل أمور الدين .

---

[1] صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة في البيعة ، رقم : ٤٣٥ ، ومسلم رقم : ٥٢٦

[2] متفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة في البيعة ، رقم : ٤٣٤ ، ومسلم رقم : ٥٢٨ ، وانظر : تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ، ص : ٢٩

[3] سورة النساء ، آية : ١٧١

[4] انظر : أضواء البيان ١ / ٣٤٠ ، ٣٤١ ، وسيأتي في البحث ما يدل على أن الشعوبيين استغلوا الغلو لبعث حركتهم .

الباب الأول : التعريف بالشعوبية ، ونشأتها وعوامل ظهورها ، وقسمته إلى فصلين:

الفصل الأول :التعريف بالشعوبية

الفصل الثاني : نشأة الشعوبية وعوامل ظهورها

الفصل الأول : التعريف بالشعوبية ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم الشعوبية ، وذكر أقوال العلماء في بيانها

المبحث الثاني : أنواع الشعوبية

المبحث الثالث : صفات الشعوبيين

المبحث الأول : التعريف بالشعوبية ، وذكر أقوال العلماء في بيانها

تعريف الشعوبية في اللغة :

مأخوذة من كلمة (شَعْب)

قال ابن فارس : الشين والعين والباء أصلان صحيحان مختلفان ، أحدهما : يدل على الافتراق ، والآخر : يدل على الاجتماع . قال الخليل : من عجائب الكلام ووسع العربية أن الشعب يكون تفريقاً ويكون اجتماعاً . وقال ابن دريد : الشَعْب : الافتراق ، والشَعْب : الاجتماع .

وقولهم للصدع في الشيء : شَعْب ، ومن الشعْب : ما تشعب من قبائل العرب والعجم ، والجمع شعوب . ويقال : الشعْب الحي العظيم . وقيل انشعبت بهم الطرق إذا : تفرقت .

والشِّعب : ما انفرج بين الجبلين ، والشُّعوب : المنية لأنها تشعب : أي : تفرق .

وأما الباب الآخر[١] ، فقولهم : شَعَب الصدع إذا لاءمه ، وقد يجوز أن يكون الشعب الذي في باب القبائل سمي للاجتماع والائتلاف ، ويقولون : تفرق شَعْب بني فلان ، وهذا يدل على الاجتماع [٢].

ويظهر مما تقدم أن كلمة – شَعْب – تدل على معنيين : **الجمع والفرقة** ، ويدخل فيهما الإصلاح والإفساد ، والطبقة العظيمة من الناس التي يتفرع منها القبائل ، وكل معنىً من المعنيين الأصليين يتضمن تفريعات ودلالات ، فمثلاً : الجمع يدل على : الإصلاح ورأب الصدع ، والموائمة ، والطبقة العظيمة من الناس . والفُرْقة : تدل على التباين والتفرق والمنية أو الموت ، والطريق بين الجبلين ، والصدع الذي في الإناء ، ونحو ذلك .

مدلول كلمة – شَعْب – في القرآن الكريم [٣]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ ،

---

[١] أي : الأصل الثاني للكلمة الدال على الاجتماع

[٢] معجم مقاييس اللغة ، ٣ / ١٩٠ – ١٩٢ ، وانظر : لسان العرب : ٨ / ٨٤ – ٨٦ .

[٣] ورد كلمة – شعوب وشعب – في القرآن الكريم في سورتي الحجرات والمرسلات ، لكن معنى آية المرسلات خارج نطاق البحث .

قال القرطبي : " الشعوب رؤوس القبائل ، مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج . واحدها شَعْب ، سموا به لتشعبهم واجتماعهم ، كشعب أغصان الشجرة. والشعب القبيلة العظيمة ، وهو أبو القبائل الذي ينسبون اليه ، أي : يجمعهم ويضمهم .

قال ابن عباس رضي الله عنه : الشعوب : الجمهور ، مثل : مضر ، والقبائل : الأفخاذ .

وقال مجاهد : الشعوب : البعيد من النسب ، والقبائل : دون ذلك ، وعنه أيضاً : أن الشعوب النسب الأقرب ، وقاله قتادة .

وقيل : أن الشعوب بطون العجم ، والقبائل بطون العرب ، وقال ابن عباس في رواية : إن الشعوب الموالي ، والقبائل العرب .

قال الماوردي : ويحتمل أن الشعوب هم المضافون إلى النواحي والشعاب ، والقبائل : هم المشتركون في الأنساب ، قال الشاعر :

وتفرقوا شُعَباً فكل جزيرة فيها أمير المؤمنين ومنبر " [1].

ويقول الشيخ الشنقيطي – رحمه الله – : " والشعوب : جمع شعب ، وهم الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها الناس ، وهي : الشعب ، والقبيلة ، والعمارة ، والبطن ، والفخذ ، والفصيلة . فالشعب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن يجمع الأفخاذ ، والفخذ يجمع الفصائل . خزيمة شَعْب ، وكنانة قبيلة ، وقريش عمارة ، وقصي بطن ، وهاشم فخذ ، والعباس فصيلة . وسميت الشعوب ؛ لأن القبائل تتشعب منها " [2].

ويقول الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – : (... فالله تعالى جعل بني آدم شعوباً وهم أصول القبائل ، وقبائل وهم ما دون الشعوب ، فمثلاً : بنو تميم يعتبرون شعبا ، وأفخاذ بني تميم المتفرعون من الأصل يسمون قبائل) [3].

فالشَّعْب إذن هو : الأصل الذي تفرعت منه باقي طبقات الناس ، والطبقات التي ذكرت في

---

[1] الجامع لأحكام القرآن : ١٦ / ٢٣٧ – ٢٣٨ .

[2] أضواء البيان ، ٧ / ٤٢٢ .

[3] تفسير سورة الحجرات ، ص ٥٨ .

القرآن ، هي ثلاث طبقات : الشعوب والقبائل ، والفصيلة . ويتضح مما سبق أن معنى هذه الكلمة التي في سورة الحجرات لا يخرج عن معناها اللغوي .

وأما في السنة والآثار : فقد وردت كلمة – شَعْب – ولم تخرج عن المعاني السابقة ، ومنها على سبيل المثال ، " ما رواه أنس رضي الله عنه : أن قَدَح النبي ﷺ انكسر ، فاتخذ مكان الشَعْب سلسلة من فضة " [1] . قال الحافظ ابن حجر : " والشعب بفتح المعجمة وسكون العين المهملة وهو الصدع ، وكأنه سد الشقوق بخيوط من فضة فصارت مثل السلسلة " [2].

وفي غريب الحديث لابن الجوزي قال : (وتطلق – أي شعب أو الشعوب – ، ويراد بها : العجم ، قال مسروق : " أسلم رجل من الشعوب " . قال أبو عبيدة : المراد ها هنا العجم . وفي صفة عائشة رضي الله عنها لأبيها رضي الله عنه (يرأَب شَعْبها : أي شعب الأمة إذا افترقت كلمتها ، لَأَمَ بينها) [3].

إلا أن السؤال المهم بعد عرض معاني كلمة الشعب أو الشعوب ، كيف ارتبط اسم : الشعوبية ، بهذه الكلمة ؟

الذي يظهر والله أعلم أن اسم – الشعوبية – ارتبط بهذه الكلمة من أربع جهات :

الأولى : إطلاق كلمة الشعوب على الأعاجم الذين هم أول من أظهر الحركة وكانوا أساس مادتها .

الثانية : دلالة هذه الكلمة على معنى الفرقة والفساد ، وهما صفتان لازمتان لهذه الحركة العدائية ، فكم قد فرقت بين المسلمين وأفسدت عليهم دينهم وديارهم .

الثالثة : أن قيام هذه الحركة كان بدعوى أخذ الحق لباقي الشعوب من غير العرب ، فأطلق عليها

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فرض الخمس ، باب : ما ذكر من درع النبي وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه ..... برقم : ٣١٠٩

(2) فتح الباري ، ١٠ / ١٣٠

(3) باب الشين مع العين ، ص ١/ ٥٤٢ – ٥٤٣

ذلك اللقب [١].

الرابعة : أن كلمة – الشعوبية – أصبح لها مدلول عقدي غالٍ ، يرتبط بالحركات الفارسية المجوسية الغالية ، التي رفضت الإسلام ، وتبنت عقائد مخالفة لإفساد العقيدة الإسلامية .

تعريف الشعوبية اصطلاحاً

تناول بعض الباحثين مفهوم الشعوبية ، وتنوعت عباراتهم فيها ، لكن المعنى متقارب ، ويدور حول تفضيل الشعوبيين أنفسهم على العرب ، أو استصغار شأن العرب واحتقارهم ، أو عدم القول بتفضيل جنس العرب على غيرهم ، أو معنى عام من حيث وصف كل نزعة قومية سواء كانت ضد العرب أم غيرهم بالشعوبية ، وهذا توسع في إطلاق وصف الشعوبية ، لكنه ربما يقبل من جهة المعنى العام ، وحتى يتم تحرير مفهوم الشعوبية اصطلاحاً ، نعرض جملة من تلك التعاريف :

- " الشعوبية : فرقة لا تفضل العرب على العجم " [٢]
- " والشعوبية : فرقة لا تفضل العرب على العجم ، والشعوبي الذي يصغر شأن العرب ، ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم " [٣]
- قال ابن تيمية : " وذهبت فرقة من الناس على أن لا فضل لجنس العرب على جنس العجم ، وهؤلاء يسمون الشعوبية ، لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل ، كما قيل : القبائل للعرب ، والشعوب للعجم " [٤].
- " كل من ناهضوا العرب في القديم والحديث ، وفي الشرق والغرب ، وكانوا ينقصون من قدر حضارتهم وتاريخهم ؛ لأغراض في نفوسهم لا تخفى عن أرباب البصائر " [٥].

---

[١] انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ، ص : ٢٣٢

[٢] الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ١٦ / ٢٣٧ .

[٣] لسان العرب : ٨ / ٨٦ .

[٤] اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ٢٣٢

[٥] محمد كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية ، ١ / ٣٥ .

- " العودة إلى ماضي الشعوب والتفاخر بعصبياتها الجغرافية والتاريخية ، ونبذ رسالة العرب التي تهدف إلى خلق مجتمع جديد ... " [١].
- " أن الشعوبية هم : " أهل التسوية " [٢]، وهذا كانوا يعرفون به أول ظهورها حيث كانوا يطالبون بمساواتهم بالعرب في جميع شؤون الدولة .
- فكرة سياسية أدبية اتخذت الدين ستاراً لها ، ونشأت عنها حركات بعضها أدبي ، وبعضها ديني ، وبعضها ثوري "[٣]

وجميع ما تقدم من التعريفات والبيان صحيح فيما دل عليه ، إلا أن التعريف الشامل الجامع للشعوبية هو أن نقول :

الشعوبية اصطلاحاً لها إطلاقان : عام وخاص

العام : ويطلق على ثلاث اتجاهات ، **الأول** : من لا يرى فضل جنس العرب على باقي الأجناس من الناس .

الثاني : كل من استصغر واحتقر شأن العرب ، واستهدفهم في دينهم ودنياهم .

الثالث : كل من تعصب ووالى وعادى على جنسه وعرقه ، ويدخل في عموم هذا العرب ، وغيرهم من باقي الشعوب [٤].

وأما الإطلاق الخاص هو القول بأن الشعوبية :

(حركة فكرية عدائية فارسية ، تهدف إلى هدم العقيدة الإسلامية ، وإفساد التراث الإسلامي العربي ، وإحياء الإمبراطورية المجوسية الفارسية) .

---

(١) إبراهيم العدوي ، المجتمع العربي ومناهضة الشعوبية ، نقلا عن : الزندقة والشعوبية لسميرة مختار الليثي ، ص ٧٥.

(٢) البيان والتبيين ، للجاحظ : ٣ / ٣ .

(٣) الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، زاهية قدورة ، ص: ٢٢ ، ٢٣ .

(٤) انظر : الشعوبية الجديدة ، محمد رمضان ، ص : ٨٢ ، ٨٥

فالحركة الشعوبية هذه فارسية المنشأ ، قامت مناوئة للمسلمين بعد قيامهم بالفتوحات الإسلامية وإسقاط دولة كسرى ، تجمع في طياتها أصنافاً من الزندقة والإلحاد وتحريف الإسلام عن مراد الله سبحانه وتعالى . أو تكون مظلة للفرق الباطنية التي أفسدت العقيدة الإسلامية قديماً وحديثاً ، يقول البغدادي : " ... ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم ، بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم ، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان ؛ لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال وقت ظهوره ؛ لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها عن أربعين يوماً ، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر " [1]، فكيف إذا ما علمنا أن الباطنية واليهود والنصارى والمجوس جمعتهم الحركة الشعوبية وجندتهم على الإسلام والعروبة .

بل حتى مظاهر التغريب المعاصر ، اكتنفتها الحركة الشعوبية ؛ لأنها تسير ضمن أهدافها ، خصوصاً في جانب التفسخ الأخلاقي ، والإلحاد ، ومحاربة اللغة العربية وعلومها [2].

وهذه الحركة متصلة ومستمرة منذ نشأتها حتى يومنا هذا ، وتزداد خطورة عن ذي قبل ؛ لاشتراك الغرب الصليبي الكافر والصهاينة مع المجوس الفرس في حملتهم ضد البلاد العربية المسلمة ، وكذلك للوهَن الحاصل في المسلمين ؛ بسبب البعد عن الوحيين ، ونتيجة لعدم الاعتزاز بالمظهر العربي المسلم ؛ ولتواطؤ بعض العرب المسلمين الذين فسدت نياتهم وعقائدهم ، وانسلخوا حتى من نخوتهم العربية التي فطروا عليها ؛ وكذلك الخوف والهلع من التمدد الفارسي المجوسي ، فلا يكاد يخلو مجلس اليوم أو صحيفة إلا ويتناقل رواده ما يقوم به الفرس المجوس وخطرهم . وهذا لا شك من حيث بيان خطر العدو والإعداد له مشروع وواجب ، ولكن غير المشروع أن يصبح الأمر كالإرجاف وسط المسلمين حتى يدب فيهم الخوف والهلع والجُبْن عن القيام بالواجب من جهاد أولئك الشعوبيين وغيرهم من أعداء الملة والدين .

وفي الحقيقة أن العدو الشعوبي المجوسي ، قد تمكن في عدد من الدول العربية الاسلامية في هذه الأزمان ، وأوجد له من ينفذ له أهدافه أو يعينه على ذلك . حيث أنه لم يتوقف عداؤه على

---

(1) الفَرْق بين الفِرَق ، ص ٢٨٩

(2) انظر :كتاب الثقافة العربية المعاصرة في معارك التغريب والشعوبية ، أنور الجندي ، ص ٩ – ١٣

العقيدة والميراث العربي الاسلامي ، بل تعداه إلى إفساد البلاد العربية المسلمة ، وتخريب أنظمتها التي تنظم شئون حياتها ، ثم ملئها بالفوضى والاضطرابات . إن الحركة الشعوبية لم تَعُد صراعاً وعراكاً بين جنس وجنس ، أو بين ثقافة وأخرى ، بل أصبحت مذهباً فكرياً هداماً ، له أهدافه ومآربه التي سيؤول منها إلى هدم الدين الإسلامي ، وخرق القيم الإسلامية التي تميزت بها أمة العرب المسلمة عن غيرها ، والتي هيأها الله لأن تنهض بالرسالة المحمدية بعد أن آمنت وصدقت في إيمانها ، فالفضل كله وأوله وآخره لهذا الدين العظيم الذي لولاه لما كان للعرب دولة أو شوكة .

وأرجو من الله أولاً وأخيراً أن يكون هذا البحث سبباً للإسهام في صد تلك الحركة العدائية ، وموقظاً لذوي الهمم للدفاع عن حظيرة الإسلام ، فهو الموفق وحده لا إله إلا هو .

المبحث الثاني : أنواع الشعوبية

إن المتأمل في حقيقة الحركة الشعوبية يجد أنها خرجت من رحم القوميات الفاسدة ، والحميات الجاهلية ، والنزعات العرقية ، التي لم تطمئن بالعقيدة الإسلامية السمحة ، بل جعلت تحريف الدين مطية إلى انتحال الوثنيات ، واستبدلت رابطة الدين بوشائج هشة واهنة كبيت العنكبوت . فالإسلام براء من كل دعوة قومية أو نزعة قبلية ، سواء أكانت تحت مظلة الشعوبية أو غيرها .

ولهذه النزعات الشعوبية صوراً عديدة ، وأشكالاً كثيرة ، اختلفت في مظهرها ، واتفقت في حقيقتها وكنهها ، التي لا تخرج عن مفهوم الشعوبية العام ، فرأيت أن أذكر أبرزها ، تنبيهاً من الوقوع فيها .

أولاً : **الشعوبية المجوسية (الفارسية)**

وهي التي بدأت بهذه الحركة ، فهي منبع كل حركة شعوبية بعدها ، وحاضنة لكل نزعة باطنية تهدف لهدم الإسلام ودولته ، ممتدة حتى هذا العصر. وهذه الحركة الشعوبية الفارسية اتخذت في بداياتها من بلاد خراسان وإيران مثوى لها ، رغبة في إحياء الملك الفارسي الكسروي . فشاع في تلك الديار إحياء الديانات الوثنية الثنوية [(١)] ، من زرادشتية ومزدكية ومانوية [(٢)]، وغيرها ، مع نشر العقائد الباطنية ، والعداء للخلافة الإسلامية العربية والخروج عليها . واستمرت هذه الحركة إلى أن وصلت بغداد ، عاصمة الدولة العباسية المسلمة حينها وتجاوزتها . لكن لأن هذه الشعوبية الآنفة الذكر هي أساس موضوع البحث ، فسأكتفي هنا بما تقدم ، مجملاً هنا سعيها في جانبين اثنين ، تسعى من خلالهما لأهدافها :

الأول : الفكري : عن طريق الزنادقة والباطنية ، الذين ينشرون فكرهم عن طريق الشعر والأدب والترجمة وغير ذلك . وكان لهذا الاتجاه الأثر الخطير في تفسخ المجتمع المسلم ، ونشر الإباحية .

[(١)] تطلق – الثنوية – ، على كل مذهب أو نحلة تقول بوجود قدرة أو إرادة فاعلة مع الله في الكون ، أو القول بإثنية الإله ، ومن أشهر الفرق القائلة بذلك : المجوس ، فعندهم أن الخير له إله ، والشر له إله . انظر : الملل والنحل : ١ / ١٩٦ ، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوني ، ص : ٥٤١ ، والثنوية جذورها وتطورها ... ، عزيزة كوشك ، ص : ٣٧ .

[(٢)] سيأتي بيان تلك العقائد الباطلة في الباب الثالث إن شاء الله .

الثاني : العملي الثوري : وهو القيام بحركات ثورية بدأت من بلاد فارس إلى نواحي الدولة العباسية وما بعدها . وكانت تتستر بحب آل البيت ونصرتهم ، أو بدعوى المساواة [(١)].

ثانياً : الشعوبية اليهودية

لا يخفى على كل مسلم حقد اليهود على الإسلام وأهله ، وسعيهم في كل حين إلى الفتك بالدين الحنيف ، كما أخبر الله تعالى عنهم ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾[(٢)] وقال تعالى : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[(٣)] .

ويعظمون شعبهم أشد التعظيم فلا يرون لأحد معهم حق ولا فضل ، قال تعالى :

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾[(٤)]

ويرون من سواهم عبيد لهم ، يشبهونهم بالحمير التي يركبها اليهود ، أو بالأميين ، كما أخبر عنهم : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[(٥)] وهذه الأنَفَة فيهم جعلتهم يصفون أنفسهم بشعب الله المختار ، وأنهم أحباء الله – زعموا – ، قال تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾، رد الله عليهم : ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾[(٦)].

فما أشد بغضهم للمسلمين وخصوصاً العرب منهم ، لا يقيمون لهم وزناً ولا يألون جهداً في التخطيط للنيل منهم ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً ، فلا يكاد يخلو بلد مسلم منكوب إلا ولليهود دور

---

(١) انظر الشعوبية والزندقة وأثرهما في ظهور العقائد والفرق المنحرفة ، محمد أحمد الخطيب ، ص ١٨ ، ١٩ .

(٢) البقرة ، آية : ١٠٩

(٣) البقرة ، آية : ١٢٠

(٤) البقرة ، آية : ١١١

(٥) آل عمران ، آية : ٧٥ ، وسيأتي قريباً نقولاتهم من كتبهم .

(٦) المائدة ، آية : ١٨

فيه ، إما بأنفسهم أو بأذنابهم المنافقين الشعوبيين .

والشعوبية اليهودية تهدف إلى هدم كل الأديان عامة ، والإسلام على الخصوص . فلا يوجد مظهر من مظاهر الإسلام إلا وتهدف لسحقه والنيل منه . والكلام عن خطر اليهود ومنظماتهم طويل جداً وليس هنا مجاله ، لكن هذه توطئة لتقريب وتوضيح دخولهم في أنواع الشعوبية . ومظاهر الشعوبية فيهم كثيرة ، منها :

أولاً : غلو اليهود في جنسهم وترفعهم على كل أحد ، لدرجة احتقارهم كلَّ جنس غيرهم واعتباره دونهم ، وهل هذه إلا الشعوبية عينها ؟ ، وكتبهم طافحة بذلك التنظير ، منها على سبيل المثال ما ورد في التلمود : ((الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة ، فإذا ضرب أميٌّ إسرائيلي فكأنه ضرب العزة الإلهية ... وأنه إذا لم يُخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ، ولما خلقت الأمطار والشمس ... والفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب)) [١]

((وتتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده ، ومن ثَمَّ كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح ؛ لأن الأرواح الغير يهودية هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات ...)) [٢]، ((الخارج عن دين اليهود حيوان على العموم ، فسمه كلباً أو حماراً أو خنزيراً ، والنطفة التي هو منها هي نطفة حيوان)) [٣].

وحسدهم للمسلمين لم يكن لدنيا مأثورة ، بل هم أهل الأموال والربا ، إنما حسدوا المسلمين والعرب خصوصاً ، أنْ كان خاتم النبيين وسيد الأولين عربي ﷺ. فلما عرفوا هذا الفضل والشرف حسدوا العرب على ذلك وعادوهم ، مع أنهم يعلمون يقيناً أنه الحق من عند ربهم . ولذا حاولوا عدة مرات أن يقتلوا الرسول صلى الله عليه وسلم كما كان يفعل أسلافهم مع أنبيائهم ، ولكن الله غالب على أمره .

---

[١] الكنز المرصود في قواعد التلمود ، روهلنج ، اشيل لوران ، ص : ٥١.

[٢] المرجع السابق ، ص : ٤٦ .

[٣] المرجع السابق ، ص : ٥٣.

ومن تلك المرات ما حصل من يهود بني النضير[١] ، والمرأة اليهودية التي سممت الشاة وأهدتها للرسول صلى الله عليه وسلم [٢]. وكذلك تحزبهم مع الأحزاب التي أحاطت بالرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين في المدينة . فإذا كان تحريف الدين بالزندقة والتأويلات الباطنية من طريقة الشعوبيين ، فكيف بمن يحاول الفتك برسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم .

ثانياً : دورهم في احتلال ديار المسلمين ومقدساتهم

يسعى اليهود مع كل عدو للبلاد العربية والإسلامية يريد احتلالها أو تخريبها ، أو فعل أي وجه من أوجه الإفساد ، إما بالسلاح أو التخطيط أو نحوه . ولم يسلم منهم إلا الصليبين والمجوس . وقضية فلسطين أكبر شاهد وخير برهان على ذلك ، وما لحق أهلها من مآسي القتل والتشريد والسجن ، واحتلال المسجد الأقصى – أولى القبلتين - . بل يرون أحقيتهم بالقدس ، وأنه مكان يومهم الموعود . وكذلك دورهم في غزو العراق – ٢٠٠٣م - في العصر الحاضر واختراقه واحتلاله وتسليمه لقمة سائغة للرافضة المجوس ، عبر اتحادهم مع الصليبين النصارى والمجوس ، فكم من ثروات وخيرات سبوها من ديار المسلمين وصيروها مثوى للمرتزقة ومنظمات الجرائم ، وأوحالاً للفرق الباطنية والخوارج التي جندت حتى أبناء المسلمين وعادوا وبالاً على بلادهم [٣]. وبعد ذلك انتقلوا إلى البلاد العربية المسلمة وخدعوا سفهائها وجندوا كل منافق للثورات على حكامهم بدعوى الحقوق والتغيير والقضاء على الاستبداد أو ما يسمى زوراً : الربيع العربي [٤].

---

[١] انظر القصة في صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب : حديث بني النضير ومخرج الرسول إليهم في دية الرجلين ، وما أرادوا من الغدر برسول الله ﷺ، رقم : ٤٠٢٨

[٢] انظر : صحيح البخاري : رقم : ٢٦١٧ ، وصحيح مسلم ، برقم : ٢١٩٠.

[٣] انظر : أسرار وخفايا المقاومة العراقية ... ، عادل الجوجري ، ص : ١٢١ ، ١٣٢

[٤] وحقه أن يسمى – الحريق الغربي - ، حيث يهدف اليهود الصهاينة ومن معهم ، تقسيم الدول المسلمة وفق مخططات ووثائق وضعوها ؛ لتفريق كلمة المسلمين ونهب الخيرات الموجودة في بلادهم ، على سبيل المثال : خطة موشي ديان عام ١٩٥٧م لتقسيم مصر والدول العربية ، وخطة عوديد ينون ، وخطة برنارد لويس ، ولمزيد من التفصيل انظر كتاب : خيوط العنكبوت ..الحلم الصهيوني ومخططات تقسيم الوطن العربي ، علي مقلد ، ص : ٦٧ – ١٠٦ .

ثالثاً : صلة اليهود ودعمهم للفرق الباطنية المتزندقة

تقدم الكلام على أن اليهود يكيدون للإسلام وأهله في كل زمان ومكان ، ولن يتوقفوا عن ذلك حتى يهلك آخرهم مع الدجال . وهذا الكيد منهم لا يقف على سبيل واحد أو جهة معينة ، بل يحاربون الإسلام من الداخل والخارج . يقفون صفاً واحداً مع من يستبيح ديار المسلمين من الكفار الصليبيين أو مع أذنابهم ممن ينتسب ظاهراً للإسلام .

وأي فرقة من فرق الزندقة والباطنية التي تنخر عظم المسلمين ، تجد أن اليهود يعترفون بهم ويدعمون حركتهم لأنهم لن يجدوا أخبث من منافق كأولئك الذين يوكلون إليهم إهلاك الحرث والنسل وإفساد الدين . ومن تلك الفرق الهالكة الباطنية المتزندقة – البهائية[1] – عدوة الإسلام ، ومثوى الباطنيين . فقد لقيت هذه الفرقة من اليهود الصهاينة والماسونيين رعاية ، ربما لم تحظ بها فرقة تنسب للإسلام . وخطر البهائية على عقيدة المسلمين كبير ، ومما يوضح ذلك أن نشاط البهائية لا يتوقف على النشاط السري والكتمان كما هي عادت الباطنية ، بل ظاهراً وفي محافل وجحافل . فأنت تجد امتداد هذه الفرق في بلاد المسلمين وكذلك أوروبا وأمريكا ، بل في كثير من بلاد الغرب لا يرون الإسلام إلا أنه البهائية ، وغيرها من الفرق الباطنية كالقاديانية . وتفصيل الكلام عن البهائية طويل وطويل ، له مراجعه ومظانه [2] ، وما تقدم هو توطئة لبيان مظهر الإتحاد اليهودي الشعوبي مع الفكر البهائي الباطني ، الذي نشأ في دولة المجوس الشعوبية ، وبيان ذلك من وجهين :

الوجه الأول : تشابه عقائد البهائية الباطنية مع الفكر الشعوبي الباطني ، فالبهائية تقول بالحلول وأن لكل ظاهر باطن ، وأن الصورة الإلهية تجسدت في الصورة البشرية – يعنون به البهاء – .

---

[1] البهائية : فرقة أسسها الميرزا علي محمد رضا الشيرازي ، وأعلن أنه الباب سنة ١٢٦٠ هـ ، وخلفه الميرزا حسين علي الملقب بالبهاء ، وله كتاب سماه – الأقدس – ، يسكن البهائيون : إيران ، وقليل منهم في العراق وسوريا ولبنان ومصر ، ومركزهم حالياً مدينة عكا ، بفلسطين ، وتوفي بها الميرزا حسين علي عام : ١٨٩٢ م ،وجعلوا قبره مزاراً لهم ، ثم خلفه ابنه : عباس أفندي ، انظر : أطلس الفرق والمذاهب الاسلامية ، شوقي أبو خليل ، ص : ٥٢ ، ٥٣ .

[2] انظر على سبيل المثال كتاب البهائية للشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله .

ويقولون بالتناسخ وإنكار اليوم الآخر وتأويل الجنة والنار . ويدعون لوحدة الأديان وأن البهائية نسخت الإسلام .كما يرون أحقية اليهود بدولة القدس ويعترفون ويصرحون بذلك ؛ ولذا ؛ ينادون بإلغاء الجهاد في معتقداتهم [1].

وبمقارنة بسيطة حول ما ذكر من عقائدهم مع ما يهدف إليه الشعوبيون[2] تجد التشابه الواضح والتقارب الكبير ، فكلا الطرفين يهدف لهدم الدين والدول الإسلامية وتعطيل الشريعة ، إضافة إلى أن العلاقة بينهما حميمة الوصال ، متناهية في الكمال .

الوجه الثاني : الرعاية اليهودية للحركة البهائية الباطنية ، وتوضيح ذلك في النقاط التالية :

١- لم تزل البهائية تحضى برعاية يهودية قديمة ، فبعد نفي الدولة العثمانية للبهاء إلى عكا ، سعوا بكثرة الأموال لفكه من سجنه ، واستمرت رعايتهم له حتى وفاته . ثم تتابعت هذه الرعاية لابنه – عباس الملقب عبد البهاء – ، رغم حكم الدولة العثمانية عليه بالإقامة الجبرية في عكا . إلا أن هذا الحكم أشبه بالصوري ، لأنهم كانوا يقيمون له الحفلات والندوات ويزوره سفراء الدول الغربية ، فأي حكم جبري هذا ؟ ، حتى انتهى ذلك الحكم بعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٣٢٧هـ [3].

٢- اعتراف اليهود الصهاينة بالبهائية الباطنية

يعترف اليهود بالحركة البهائية ويرون أن لها الحق في إقامة دعوتها ومناشطها ، وأنهم دعاة للإسلام الحقيقي . يتضح ذلك بإقامة اليهود المؤتمر العالمي للبهائية في – ٥ أغسطس ١٩٦٨م – ، حيث حضره جموع من شتى بلدان العالم ، ومما قرروه في هذا المؤتمر : أن الحركتين اليهودية والبهائية متممتان لبعضهما البعض ، وتجتمعان في أكثر النقاط [4]. وكذلك جعلوا لهم مندوباً دائماً في

---

[1] انظر : البهائية والقاديانية ، أسعد السحمراني ، ص : ٩١ – ٩٨

[2] سيأتي الكلام عن أهداف الشعوبية في الباب الثاني إن شاء الله .

[3] انظر كتاب : صلة البهائية بالاستعمار والصهيونية ، محمد بن عبد العزيز العلي ، ص ٤٣ وما بعدها ، وكتاب : البهائية والقاديانية ، أسعد السحمراني ، ص : ١١٧ – ١٢٤ ، والدولة العثمانية من الإمارة إلى الخلافة وسلاطين بني عثمان ، منصور عبد الحكيم ، ص : ٤٠٥.

[4] وهنا دلالة واضحة على دخول الفكر البهائي واليهودي الصهيوني تحت الحركة الشعوبية .

الأمم المتحدة في نيويورك وجنيف ونيروبي [١] ؛ ولذا تعتبر البهائية من فروع الماسونية اليهودية [٢].

٣ – بناء بيت العدل البهائي العالمي في حيفا

وهذا البيت هو مركزهم الذي يجتمعون فيه لمتابعة سير حركتهم ، وتتبع نشاطها على مرأى ومسمع ، وبرعاية يهودية مغدقة . وفيه يقام الاجتماع السنوي العالمي ، الذي يذكر الناس بقيام هذه الحركة والدعوة إليها ، ويحضره رموزهم ، ويُدعى إليه من كآفة أرجاء العالم .

والعجيب هنا حين نقارن هذه الرعاية اليهودية في تلك الأجواء في حيفا وعكا ، بحال المسلمين في بيت المقدس وغزة ؟! هنا القتل والتشريد وهناك النوادي والاحتفالات !! .

رابعاً : العلاقة الحميمة بين الشعوبية المجوسية والشعوبية اليهودية [٣]

وهذه العلاقة ليست وليدة اليوم ، بل أشبه بعلاقة الأبوة بالبنوة سواء بسواء ، فلا يكاد يكون تجمع مجوسي فارسي إلا بحضور يهودي والعكس بالعكس . وقد عقد الأئمة والعلماء في كتبهم فصولاً وتقريرات في التشابه بين اليهود والمجوس الروافض [٤].

والكلام عن العلاقة الشعوبية بين اليهود والفرس سيكون كالآتي :

العلاقة القديمة بين الفرس واليهود قبل الإسلام

تعود هذه العلاقة بين الفرس المجوس واليهود إلى قبل الميلاد بحوالي ستة قرون ، أيام الملك الفارسي – كورش– إمبراطور الفارسية الأخمينية [٥]، فبعد إهلاك ملك بابل – نبوخذ نصر – اليهود وتشريدهم ، سبى اليهود إلى بابل – العراق – [٦]. ولم يغب عنهم هذا السبي والعار الذي لحق بهم ، فظلوا يكيدون بدولة بابل ويضعفونها من الداخل انتقاماً من ملكها ، ولما أراد الملك

---

(١) انظر كتاب : صلة البهائية بالاستعمار والصهيونية ، ص ٧١ – ٨١ .

(٢) انظر كتاب : دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة ، ص : ٦٣ – ٦٧ .

(٣) الوجه الرابع من مظاهر الشعوبية اليهودية

(٤) ومن أفضل من نبه على ذلك شيخ الإسلام بن تيمية بكتابه : منهاج السنة النبوية .

(٥) انظر : موسوعة تاريخ إيران السياسي ، حسن الجاف ، ١ / ٣٧ .

(٦) انظر : حقيقة الغزو البابلي ، فاضل الربيعي ، ص : ١٤٥ – ١٧٨

الفارسي كورش أن يتوسع في إمبراطوريته ، تواطأ معه اليهود وأصبحوا له كالجبهة الداخلية في بلاد بابل ، وهيئوها لغزو كورش الفارسي ، واستطاع أن يغزو بابل وينال منها ويضمها لمملكة فارس الإيرانية ، بقوته وبما قدمه له اليهود من تآمر . ثم احتفظ الملك الفارسي لهم بهذا الجميل وأصبح لليهود شأن عند الفرس من ذلك اليوم ، وكذلك خيّر من شاء بالمكوث عنده في بلاد فارس أو الخروج منها ، فاحتفظ اليهود لملِك فارس كورش ، بذلك الجميل ؛ ولذا تجد في أسفار التوراة اليهودية – خصوصاً سفر عزرا[1] – اعتراف للملك الفارسي بموقفه مع اليهود والثناء عليه في عدة مواضع [2].

وتطورت العلاقة الفارسية اليهودية حتى وصل اليهود إلى بيت الملك الفارسي ، حيث أصبح ملوك الفرس يتزوجون من نساء اليهود . ومن ملوكهم الذين تزوجوا من اليهود : الملك أحشويروش (٤٨٦ – ٤٥٦ ق . م) [3]، حيث تزوج بامرأة يهودية تدعى : - أَسْتير - ، ونَعَم اليهود بعد ذلك بكل الخيرات والمزايا أكثر من ذي قبل ، وبعد موت زوجها الملك تولت بعده حكم البلاد الفارسية ، وصارت أول امرأة يهودية تحكم بلاد فارس الإيرانية . وفي العهد القديم سَفْر باسمها – سفر أستير - ، ويقرأ هذا السفر في بعض المناسبات الدينية ، عرفاناً من اليهود لهذه المرأة اليهودية لما قدمته لبني جلدتها . كذلك تجد من منظمات الماسونية اليوم ، منظمة باسم : منظمة أستير أو منظمة الهاداساه ، وهي منظمة خاصة بالنساء الصهيونيات [4].

وهذه العلاقة الفارسية المجوسية اليهودية كان لها كذلك الأثر الديني في تشابه الرافضة الفرس مع اليهود في عقائدهم وأفكارهم ، وسيأتي توضيح ذلك في النقطة القادمة من هذا المبحث.

---

(١) عزرا : هو زعيم الجماعة اليهودية التي خرجت من بابل لفلسطين ؛ لإصلاح شأن اليهود هناك ، وهو كاتب الشريعة الموسوية ، انظر : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، عبد الوهاب المسيري ، ص : ٤ / ٢٠١

(٢) انظر: المرجع السابق : ٤ /١٩٣ – ١٩٨ .

(٣) انظر : موسوعة تاريخ إيران السياسي ، ص : ١ / ٤٦ ، ٤٧ .

(٤) انظر : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ص : ٤ / ٢٠٠ ، والتشابه بين عقائد اليهود وعقائد الشيعة ، خالد القاسمي ، ص : ٣٧ - ٤٧

العلاقة بين اليهود والفرس الشعوبيين بعد الإسلام وأثرها

كان تأسيس تلك العلاقة اليهودية الفارسية على يد الزنديق اليهودي : عبد الله بن سبأ ، كان من يهود اليمن ، ويعرف بابن السوداء ؛ لأن أمه كانت حبشية يهودية ، فنسب إليها [1]. ظهر ابن سبأ في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وكان يظهر الإسلام ويبطن الكفر والزندقة والتخطيط للنيل من الإسلام وأهله . أخذ يتنقل في بلاد المسلمين ويروج فيها بعض أفكاره وشبهه ؛ ليفسد على الناس عقيدتهم ، وكان يتنقل بين العراق والشام ومصر وغيرها ، ويلقي بين الناس بعض الشبه الكفرية ليلقى لها رواجاً ، فكان يقول : عجباً لمن يزعم رجوع عيسى ، ويكذب بأن محمداً يرجع ، فوجد من يسمع له تلك الشبهة ، التي عرفت فيما بعد بعقيدة – الرجعة – . وأثار كذلك فكرة – الوصية – ، حيث يزعم أن لكل نبي وصي ، أخذاً من اليهود الذين قالوا بأن يوشع بن نون كان وصياً لموسى عليه السلام [2] ، وأشاع أن وصيَّ النبي صلى الله عليه وسلم ، هو : علي بن أبي طالب ، لأنه ابن عمه وزوج ابنته ، ولعلمه بمكانة آل البيت عند الناس ، فاستغل هذا الأمر [3]. وبعد ذلك أخذ ينشر بين الناس أن الخلافة انتزعت من علي وهو أولى بها ، وبدأ بالطعن في الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه وفي خلافته ، وكان سبباً قوياً في تأليب الناس على عثمان وحصاره ، وهو رأس الفتنة فيها يومئذ ، حتى قتل عثمان رضي الله عنه محاصراً في بيته عام ٣٥هـ [4].

وفي خلافة علي رضي الله عنه بدأ بفكرة الحلول وأن الله يحل في من شاء من خلقه ، وأشاع بأن الله حل في علي بن أبي طالب ، ثم صرح بعد ذلك بأن علياً هو الله ، وكان يقول له : أنت أنت ، أي : الإله ، وتبعه على هذا جمع من الناس والدهماء ، ولكن علياً عاقبهم وحرقهم بالنار ، فازدادوا فتنة وقالوا : لا يعذب بالنار إلا رب النار . ونفى بعضهم ، وممن نُفي رأس الفتنة ابن

---

[1] انظر : تاريخ الطبري ، ١ / ٩٧٦ ، وقرن السبئية ، حسني شيخ عثمان ، ص : ٢٢

[2] انظر : فرق الشيعة للنوبختي ، ص : ٣٢ ، ٣٣ .

[3] انظر : المرجع السابق ، والوافي بالوفيات : ١٧ / ١٠٠ ، وانظر : عبد الله بن سبأ ودروه في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ، سليمان العودة ، ص : ٣٧ ، ١١١ ، ١٦٨ .

[4] انظر : سير أعلام النبلاء ، ٢ / ٥٢٨ ، وشبهات عن بني أمية ، سيد جمعة ، ص : ٢٥٥ – ٢٦٨

سبأ ، نفاه إلى ساباط المدائن[1] ، وهناك أيضاً لقيت أفكاره انتشاراً ، وصارت مهيأة للتشيع الفارسي المجوسي ، ومصدراً للفكر الشعوبي العدائي ، وأصبحت له فرقة مشهورة معروفة بعقائدها الكفرية الباطنية الزنديقية ، تسمى : السبئية ، وهذه الفرقة تفرقت وانقسمت إلى عدة فرق وأقسام ، يجمعها الفكر الشعوبي الباطني والإلحاد والزندقة [2].

وأصبحت العقائد السبئية موجودة في غالب الفرق الشعوبية الفارسية المجوسية ، فالحلول والتناسخ ، والوصية ، والرجعة ، والغلو في آل البيت ، وتحريف القرآن والطعن فيه ، كل تلك كانت من عقائد وأفكار الفرق الشعوبية الفارسية المجوسية . إضافة لما ورثوه من الطعن في الحكام المسلمين والخروج عليهم ، وإقامة الفوضى والثورات داخل البلاد العربية الاسلامية ، والعنصرية القومية ، كل تلك الطرق كانت من تأثير العلاقة اليهودية الفارسية ، التي أسسها اليهودي ابن سبأ [3].

ولم يقتصر تأثير اليهود على الشيعة الرافضة في العقائد فقط ، بل حتى في شرائعهم العملية ، في العبادات والمعاملات ، فلقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن في اليهود فرقة اسمها : "... السامرة ، وهم رافضة اليهود ، هم في اليهود كالرافضة في المسلمين ، والرافضة تشابههم من وجوه كثيرة : فإن السامرة لا تؤمن بنبي بعد موسى وهارون غير يوشع ، وكذلك الرافضة : لا تقر لأحد من الخلفاء والصحابة بفضل ولا إمامة إلا لعليٍّ . والسامرة تُنجّس وتحرم ما باشره غيرهم من المائعات ، وكذلك الرافضة . والسامرة لا يأكلون إلا ذبائح أنفسهم ، وكذلك الرافضة فإنهم يحرمون ذبائح أهل الكتاب ، ويحرم أكثرهم ذبائح الجمهور ؛ لأنهم مرتدون عندهم ، وذبيحة المرتد لا تباح ... " [4].

ويقول أيضاً : " ... وقالت اليهود : لا يصلح الملك إلا في آل داود ، وقالت الرافضة : لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي . وقال اليهود : لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال

---

[1] انظر : معجم البلدان ، ٣ / ٢٠٩

[2] انظر : الفرق ، ص : ٢٣٥ – ٢٣٧ ، ومقالات الإسلاميين ، ص : ٣٢ ، والفصل: ٣ / ١٨٦ ، وانظر أيضاً : التشابه بين عقائد اليهود وعقائد الشيعة ، ص : ٤٨ – ٥٣ .

[3] انظر : قرن السبئية ، ص : ٢٥ – ٩٨.

[4] منهاج السنة النبوية : ٣ / ٣٠٦

، وينزل سيف من السماء ، وقالت الرافضة : لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي ، وينادي منادٍ من السماء . واليهود يؤخرون الصلاة إلى اشتباك النجوم ، وكذلك الرافضة يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم .... واليهود حرفوا التوراة ، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن ... واليهود لا يرون المسح على الخفين ، وكذلك الرافضة . واليهود يستحلون أموال الناس كلهم ، وكذلك الرافضة .... واليهود تبغض جبريل ، ويقولون : هو عدونا من الملائكة ، وكذلك الرافضة يقولون : غلط جبريل بالوحي على محمد ﷺ .... " [١].

وقد ذهب بعض الباحثين أيضاً إلى أن طائفة الفريسيين من اليهود ، هم الذين تأثروا بالفرس وديانتهم الزرادشتية ، وهذا يدل أن التأثير بين الديانتين كان من الطرفين [٢].

والعلاقة اليهودية الفارسية اليوم مستمرة وعلى أشدها ، ففي إيران تجد أن الديانة اليهودية مسموح ومعترف بها ، والكنائس اليهودية قائمة ومتزايدة ، ويحظى اليهود بمنازل عالية حتى في السلك العسكري الإيراني ، يسمح لهم بتولي المناصب ، وتجد لهم مقابر خاصة ، ونوادٍ كذلك ، بل إن أكبر تجمع لليهود فيما يسمى بالشرق الأوسط ، هو في إيران الفارسية ، إضافة لممارستهم لقوانينهم في العلاقات والأحوال الشخصية ، التي ينشئونها لأنفسهم داخل إيران أيضاً . والمستشفيات الخاصة بهم ، وكذلك المكتبات. ولا يستغرب هذا إذا علمنا أن الخميني بعد قيام ثورته ، أصدر فتواه يأمر فيها بحماية اليهود. وفي المقابل يوجد الإيرانيون الفرس في دولة اليهود بشكل كبير ، ويسمح لهم بنشاطهم الفارسي الرافضي المجوسي ، ويدخلون في أعلى مستويات نخبهم السياسية ، حتى أن عدداً من القيادات الإسرائيلية اليهودية ، كانت ذات أصول إيرانية فارسية ، فمثلاً : الرئيس الإسرائيلي – موشيه كاتساف – كان مولوداً في إيران ، وكذلك – شاوول موفاز – ، الذي كان رئيساً لأركان الجيش الإسرائيلي ووزيراً للدفاع ، مولود في إيران [٣].

---

[١] المرجع السابق : ١ / ١٦ ، ٢٢ .

[٢] انظر كتاب : الزرادشتية المجوسية ، ر. س . زيهنير ، ص : ٦١ – ٦٣ ، ترجمة : سهيل زكار .

[٣] انظر كتاب : حلف المصالح المشتركة ، التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة ، تريتا بارزي ، ترجمة : أمين الأيوبي، ص : ٢٥ – ٣٧ .

وأما ما ينشره الفرس الإيرانيون اليوم وأذنابهم من نصرة القضية الفلسطينة وردع اليهود ، فهي أشبه بالهرطقات التي تنطلي على من لا بصيرة عنده ، وهي من الشعارات الزائفة التي يرددها الشعوبيون اليوم ، فكما أن اليهود يؤيدون حق الفرس المجوس في استعادة إمبراطوريتهم ، فكذلك الفرس المجوس يرون لليهود حق في دولتهم . ولن يجد الشعوبيون المجوس أوفى لهم من شيعتهم اليهود على مر العصور ؛ ولذا اتفقت سهامهم على بلاد المسلمين ، ولن تنقطع تلك العلاقة ، فقد قال الرسول ﷺ: " يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة " [١].

ثالثاً : الدعوات القومية [٢]

مفهوم القومية : هي الشعور بالانتماء والولاء إلى مجموعة متحدة ، يشتركون في أصل عرقي واحد ، ولغة واحدة ، وروابط تاريخية ، وإن تعددت أوطانهم ، مع السعي لإيجاد وطن واحد على تلك الأسس القومية ، مع نبذ رابطة الدين [٣].

هذه الدعوات القومية الهدامة من الوسائل التي صدرها المستعمرون الصليبيون ، وإخوانهم الصهاينة اليهود لبلاد المسلمين ؛ لأنها قد عصفت بالدول الأوروبية وفرقتها شذر مذر ، وكانت سبب هزيمتهم من المسلمين أيام غزواتهم الصليبية إضافة إلى الاجتماع والتوحيد اللذين كانا السمتان البارزتان للمسلمين يومها ، فلم يستطيعوا اختراق الصف الموحد بالقوة والعتاد ، ولكن تفننهم في أسباب العداوة والبغضاء جعلهم يصدرون هذه الدعوات الجاهلية لبلاد المسلمين ، ويشجعون قيامها لعلمهم بأنها ستصنع فيهم كما صنعته في دولهم سابقاً . وحول هذا النوع من النزعات الشعوبية يقول عبد الفتاح دويدار : " وكان من هذه الأسباب[٤] التي توصلت إليها أوروبا ، سبب يهمنا هنا وهو اتحاد المسلمين وتفرق أوروبا ، أو بمعنى آخر : انصهار المسلمين في

---

[١] صحيح مسلم ، برقم : ٢٩٤٤.

[٢] النوع الثالث من أنواع الشعوبية ، وسأذكر هنا نموذجين للقوميات ، هما : القومية العربية والطورانية التركية ؛ لأنهما من أخطر الدعوات القومية انتشاراً في البلاد الاسلامية.

[٣] انظر : دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة ، ص : ١٣٥، ومذاهب فكرية معاصرة ، محمد مزروعة ، ص : ٥١١ .

[٤] أي أسباب هزيمة الغرب الكافر أيام الحروب الصليبية من المسلمين .

وحدة إسلامية ، وتفرق أوروبا بحسب القوميات ... إذاً أوروبا اصطلمت بنار القوميات مرات ، من أهمها مرتان : حين كانت السبب في هزيمتها أمام المسلمين ، والثانية : حين كانت السبب في حروب استمرت أكثر من قرنين بين دول أوروبا ، وأغرقت أوروبا في دماء ما كانت تسيل لولا داء القوميات . عرف العدو كل هذه الدروس ، واستوعبها ، وفكر ووضع خططه ليرمي المسلمين بهذا الداء الذي ما أصاب أمة إلا وقتلها ، وهو داء التفرق . وأقرب طريق إليه هو إحياء القوميات والعداوات القديمة ... وإليك خطط العدو وتصريحاته لتفريق المسلمين وإحياء القوميات ، يقول – بعض زعمائهم – عن عمل فرنسا في المغرب فيما يخص التعليم : من الخطر أن نترك كتلة ملتحمة من المغاربة تتكون ، ولغتها واحدة ، وأنظمتها واحدة . لا بد أن نستعمل لفائدتنا العبارة القديمة – فرق تسد – ، إن وجود البربري هو آلة مفيدة لموازنة العنصر العربي ، ويمكننا أن نستخدمه ضد المخزن – الحكومة – نفسه .... ومن الخطوات العملية الأخرى التي اتُخذت للتفريق بين العرب والبربر وجعل كيان مستقل لكل منهما أنْ استصدرت فرنسا من السلطان عام – ١٩٣٠م – مرسوماً عرف بالظهير البربري ، ينص على الاعتراف بكيان بربري مفترق عن الكيان العربي ، وبعادات وتقاليد بربرية مفترقة عن العادات والتقاليد العربية الإسلامية ، وتأليف هيئات قبائلية باسم الجماعات ؛ للنظر في شؤون القبائل البربرية ، ووفق عاداتها وتقاليدها القديمة ، وجعل لكل جماعة سكرتيراً فرنسياً ؛ ليكون الموحي النافذ في مختلف الشؤون ، وذلك تنفيذاً لخطة التفريق بين سكان مراكش الذين غدوا شعباً واحداً ، طابعه العام العروبة والإسلام ، وإثارة النعرات بينهم ، وسلخ القبائل البربرية عن الإسلام والعروبة ، وتهيئة المجال للتبشير بالنصرانية بينهما ، مرفقا بدعاية أهل البربر الأوروبي وديانتهم المسيحية ، وكون العروبة والإسلام أجنبيين عنهم ... " [(١)] .

إن الدعوة والتنادي إلى الاجتماع على أساس الدم أو القرابة أو اللغة أو البلد هي نوع من الفرقة والخلاف الذي نهى الله عنه ورسولُه صلى الله عليه وسلم . بل هو تبديل لشرع الله عز وجل ، إذْ إن الله سبحانه خص العرب بأن يكون خاتم الرسل منهم ، والقرآن الكريم المهيمن على الكتب

[(١)] النزعات والدعوات القومية والشعوبية ، ص ٣٤ ، ٣٥ ، بتصرف يسير ، وأطلت النقل منه لأنه خلاصة واقعية لأثر النزعات والقوميات الشعوبية .

المنزلة قبله ، بلغتهم التي يعرفونها ويتنادمون بها ، والاجتماع على غير ذلك هو التبديل لشرع الله بعينه . لا شك أن اللغة من الدين ، والوصية بالقرابة وحماية الدماء والأنساب مأمور به شرعاً ، لكن ليست هي أساس الاجتماع الذي أراده الله سبحانه ، بل هي تبع لقيام الدين العظيم ، والاستقامة على الحنيفية السمحة .

والدعوة إلى القوميات سواء كانت عربية أو تركية طورانية ، هي نوع من الدعوات الجاهلية المذمومة ، التي لا تقيم للإسلام وزناً ، يقول الشيخ ابن باز – رحمه الله - : (ولا ريب أن الدعوة إلى القومية العربية من أمر الجاهلية ؛ لأنها دعوة إلى غير الإسلام ، ومناصرة لغير الحق ، وكم جرت الجاهلية أهلها من ويلات وحروب طاحنة ، وقودها النفوس والأموال والأعراض ، وعاقبتها تمزيق الشمل وغرس العداوة والشحناء في القلوب ، والتفريق بين القبائل والشعوب) [1].

إذن فكل قومية ليست من الإسلام في شيء ، وكلها جاهلية أظلم من أخرى ، فنبرأ إلى الله من شعوبية باطنية مجوسية ، وقومية عربية ملحدة .

والعصبيات والنعرات كانت موجودة منذ وجود الإنسان ، ولا يخلو منها قطر ، إلا ما شاء الله ، إلا أنها في العصور المتأخرة اشتدت وطئتها ، وبان أمرها ، وأصبحت دعوة قائمة لها منظروها ومفكروها [2].

تعريف القومية العربية : " حركة سياسية فكرية متعصبة ، تدعو إلى تمجيد العرب ، وإقامة دولة موحدة لهم على أساس من رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ ، وإحلالها محل رابطة الدين " [3].

نشأتها : نشأت فكرة الدعوة إلى القومية العربية من منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، حيث بدأت باجتماعات خاصة ، تحولت إلى جمعيات أدبية عربية في دمشق وبيروت وباريس ، ثم حركة سياسية في المؤتمر العربي الأول المعقود في باريس : ١٩١٢ م ، على يد بعض الطلاب العرب الذي باركه الصليبيون ثم انتشرت في البلاد العربية حتى صارت اتجاهاً فكرياً عقدياً ،

---

[1] مجموع فتاوى الشيخ ابن باز : ١ / ٢٨٩ – ٢٩٠

[2] انظر : محاضرات إسلامية هادفة ، عمر الأشقر ، ص : ٣٦٢ - ٣٦٦

[3] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة : ١ / ٤٤٤.

وبدأت الأحزاب القومية العربية تتشكل وتتكاثر [١].

أبرز معتقداتها

أولاً : تقديس الجنس العربي وأن الرابطة تكون على أساس الدم واللغة والتاريخ المشترك والأرض ، ولا مكان للدين في رابطة الاجتماع لديهم ، حتى دعوتهم للعناية باللغة العربية ، ليس لأنها لغة الوحيين ، بل كونها لسان الجنس العربي.

ثانياً : إقصاء الدين عن السياسة ، والأمور الاجتماعية ، والتشريعية [٢].

الجذور التي قامت عليها والأفكار التي تأثرت بها

أولاً : القوميات الأوروبية في ألمانيا وفرنسا ، ويذهب بعض الباحثين إلى أن الثورة الفرنسية التي قامت في : ١٧٨٩م [٣]، هي البداية الفعلية لظهور الفكر القومي في أوروبا [٤].

ثانياً : الاستعمار الغربي الصليبي الذي شجع تلك الفكرة التي تعمل على تمزيق المسلمين ، حيث أن فكرة القومية العربية جاءت بعد تصاعد القومية التركية الطورانية والتي كان للمستعمرين الأوروبيين واليهود الصهاينة دور في إحيائها ، ومن ثم أصبحت القوميتان متناحرتين ، فترتب على ذلك تفريق الأمة ، وضياع الدين ، وهذا ما أراده أعداء الأمة الصليبيون [٥].

ومن شؤم هذه الدعوة تأثيرها حتى على قضايا المسلمين العامة ، ومنها كمثال : قضية فلسطين ، أصبحت النداءات بها من أجل العروبة والحمية ، مما سيؤدي لضياع تلك القضية ، ويخشى من تتابع هذه الدعوة ، أن يأتي أجيال للمسلمين ما يدرون ما فلسطين ولا المسجد الأقصى ، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله في جواب له حول القضية الفلسطينية : " ... ومما تجدر الإشارة

---

[١] انظر : دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة ، ص : ١٥٤- ١٥٨ .

[٢] انظر : مذاهب فكرية معاصرة ، ص : ٥١٧ – ٥٢٠ .

[٣] انظر : موسوعة السياسة ، عبد الوهاب الكيالي : ١ / ٩١٣ .

[٤] انظر : دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة ، ص : ١٣٧ – ١٣٨

[٥] انظر : جذور القومية والعلمانية ، عدنان زرزور ، ص : ٤٧ ، ٥٠ .

إليه في هذا الصدد ، أن القضية الفلسطينية قضية إسلامية أولاً وأخيراً ، ولكن أعداء الإسلام بذلوا جهوداً جبارة لإبعادها عن الخط الإسلامي ، وإفهام المسلمين من غير العرب ، أنها قضية عربية ، لا شأن لغير العرب بها ، ويبدو أنهم نجحوا إلى حد ما في ذلك ، ولذا فإنني أرى أنه لا يمكن الوصول إلى حل لتلك القضية إلا باعتبار القضية إسلامية ، وبالتكاتف بين المسلمين لإنقاذها " [١].

ومما يدل اليوم على كذب وزيف الروابط القومية ، ما كان يردده دعاة القومية العربية من البعثيين في الشام ، بوحدة الصف العربي ودوله والوقوف صفاً في أوجه المعتدين ، فهاهم اليوم يضعون أيديهم في أيد المجوس الفرس وكذلك بأيد اليهود الصهاينة ، لتخريب بلاد الشام وقتل أهلها وتشريدهم ، ومنع مظاهر الإسلام .

---

[١] مجموع فتاوى ابن باز : ١ / ٢٧٧ .

القومية التركية (الطورانية)

الطورانية هي : حركة قومية عنصرية تركية ، ظهرت في الأتراك العثمانيين ، تقوم على أساس تمجيد الأتراك ، وتوحيدهم على رابطة العرق واللغة والأرض والثقافة (١). وسميت بالطورانية أو التورانية نسبة إلى بلاد طوران (٢) التي هي مهد الشعوب التركية (٣) .

نشأتها : نشأت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل العشرين ، تحت تأثير القوى الاستعمارية من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا بإحياء النزعات القومية ، والتحكم اليهودي الصهيوني في مجريات الدولة العثمانية ، خصوصاً بعد قيام حزب الاتحاد والترقي (٤)، فأثرت فيهم للدعوة لقوميتهم ، حيث نادى بعض المدسوسين ، بأن الدولة العثمانية كبيرة ومتسعة ولا تكفي رابطة الإسلام للمّ شمل العثمانيين ، إذ لا بد من رابطة أخرى وميثاق جديد يربط بين أفرادها ، فابتدعوا تقسيماً جديداً ، بحيث يقسم الناس إلى عثمانيين وأجانب ، ثم تمادى بهم الحال إلى أن صار التقسيم إلى أتراك طورانيين وغير أتراك (٥).

وهي من الحركات القومية العنصرية التي ظهرت وانتشرت في البلاد الإسلامية ، التي لا تقل سوءاً

---

(١) انظر : انظر : الطورانية التركية بين الأصولية والفاشية ، جهاد صالح ، ص : ٣٤ ، وموسوعة السياسة : ٣ / ٧٨٩ .

(٢) طوران : بضم أوله ، وآخره نون ، من قرى هراة ، وطوران أيضاً : ناحية قصبتها قُصْدار من أرض السند ، وهي مدينة صغيرة لها رساتيق وخصب وقرى ومدن ، وطوران أيضاً : ناحية المدائن ، انظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي : ٤ / ٦٠ – ٦١ ، وأما توران – بالتاء – ، بلاد ما وراء النهر بأجمعها تسمى بذلك ، ويقال لمكلها : توران شاه ، انظر : معجم البلدان : ٢ / ٧٢ . وأصل هذا الاسم يعود لهضبة في آسيا الوسطى موطن الأتراك القديم ، نزحوا منها إلى ما وراء النهر ، انظر : موسوعة السياسة : ٣ / ٧٨٩ .

(٣) والأتراك من جنس المغول ، أو طبقة من طبقاتهم ، وهم فئات كثيرة منهم أهل المدن ومنهم أهل البراري والجبال ، قيل أنهم من ولد يافث بن نوح ، انظر : القصد والأمم لابن عبد البر ، ص : ٣٩ ، ٤٠ ، والإسلام والحضارة العربية : ١ / ٣٠١ .

(٤) انظر : جذور القومية والعلمانية ، ص : ٥٠ .

(٥) انظر : أطلس الفرق ، ص : ٢٨٨ ، ودراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة : ١٤١ – ١٤٨

عن سابقتها ولا تألوا أن تفتق في المسلمين ، وتذكي فيهم نيران الفرقة والشتات .

عوامل قيامها ونشاطها

أولاً : تعلقها بالجانب التركي العثماني الذي كان يحكم جزءا كبيراً من العالم الإسلامي ، إضافة لوجود القوة السياسية العسكرية التي تعصبت لهذه الحركة وتبنتها [1].

ثانياً : تشوف الجانب التركي إلى قيام حضارة تركية صرفة لا علاقة لأي جنس آخر بها ، خصوصا بعد اتساع الدولة التركية العثمانية ، وتغلبها على كثير من الدول ؛ لأن الدولة التركية يجاورها ثلاث حضارات تتصارع فيما بينها ، العربية والفارسية والأوروبية ، ولكل منها دولة أو دول قائمة .

ثالثاً : كثرة المهاجرين الأتراك خارج بلادهم ، الذي كان لهم دور كبير في تفعيل تلك القومية ، خصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى التي كان الانتصار فيها للألمان القوميين النازيين على الروس ، وكانت الدولة العثمانية في صف الألمان ، مما أغرى الطورانيين بمحاولة ضم البلاد التركمانية التي تحكمها روسيا ، ولعل قربهم من النازيين القوميين الأوروبيين أثّر فيهم[2].

رابعاً : أنها كانت في آخر الدولة العثمانية ، والتي اتصفت بالضعف وتسلط الصليبيين ، وكذلك لم تكن كأول عهدها ، مما سهل على أعداء الإسلام اختراق الدول الإسلامية ، وبث الفرقة والقوميات الجاهلية فيهم .

أهدافها :

١. تزكية القومية التركية دون غيرهم وتحقيق سيادة العنصر التركي على غيره من العناصر الأخرى [3].
٢. أن يكون الأتراك أمة مستقلة بذاتها عن الأمة الاسلامية أو أي أمة أخرى ، حتى كان من شعائرهم التي يرددها بعض غلاتهم : (نحن أتراك فكعبتنا طوران) [1].

---

[1] انظر : الطورانية التركية ، ص : ١٣ ، ١٥

[2] انظر : موسوعة السياسة ، ص : ٣ / ٧٩٠ .

[3] انظر : الطورانية التركية ، ص : ٢٤ .

٣.السعي لإنشاء العلاقات الخاصة متعددة المصالح مع بلاد الأناضول التركية [٢].

٤.تطهير اللغة التركية من أي لغة أخرى ، وجعلها اللغة الأم بين اللغات [٣].

٥.تنمية الروح العسكرية لدى التركي فقط ، لتكون حمايته وحميته لجانبه القومي [٤].

الوسائل التي يتخذونها لإحياء ونشر الطورانية

أولاً : العناية بأحوال الشعب التركي خاصة ، ودراسة أحواله ، وبث الفكر القومي لديه ، وتجميعهم على أساسه .

ثانياً : تدريس التاريخ القومي للطورانيين ، وحث الطلاب منذ صغر سنهم على المنافسة فيه ، حتى تكونت لديهم قوة من الفتيان عرفت (إيز جي) أي : قافلة الأثر ، كانت فيما بعد هذه القوة وسيلة لمن يريدونه للعمل العسكري التركي[٥].

ثانياً : طباعة الكتب المؤيدة لهذا المبدأ العنصري ، وإنشاء الروايات الأدبية [٦] والتاريخية له ، كرواية – بني طوران – ، والأناشيد الحماسية التي كانوا يتغنون فيها بمدائح للمغولي جنكيز خان ، ويشيدون بمعاركه وفتوحاته ، كذلك الصحف اليومية التي تشيد بالأمجاد التركية دون غيرها من القوميات [٧].

ثالثاً : إيجاد الجمعيات والندوات التي تنسق وتدعو للقومية الطورانية ، ومساندتها بفروع تنبثق عنها ، فمثلاً : جمعية – الاتحاد والترقي– التي تبنت هذه النزعة ، تفرعت عنها جمعية كبيرة سموها

---

[١] دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة ، ص : ١٤٨ .

[٢] انظر : موسوعة السياسة ، ٣ / ٧٨٩ .

[٣] انظر : الطورانية التركية ، ص : ٣٣ .

[٤] انظر :المرجع السابق ، ص : ٢٦ .

[٥] انظر : المرجع السابق ، ص : ٢٥ ، ٣٣ .

[٦] في عام ١٨٩٥م أنشئوا مدرسة أدبية للأدب التركي الشعبي عرفت باسم : أدب إدلي ، انظر موقع الموسوعة العربية ، مقال بعنوان : الطورانية .

[٧] انظر : الطورانية التركية ، ص : ٣٤ ، ودراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة ، ص ، ١٤٨ .

بـ (ترك أوجاغي) أي : طائفة الترك أو العائلة التركية ، جعلوا غايتها محو الإسلام ، والدعوة لقوميتهم الجاهلية ، ومركزها في الأستانة ، ومتفرعة في عدة دول [١].

ومما يدل على تحريفهم للدين من خلال تعاليم هذه الجمعية ، أنهم أوجدوا كتاباً باسم — قوم ترك – ، ملئوه بالتعاليم المحرفة ، وفرضوا قراءته على الناس ، ومما جاء فيه : أن أركان الدين هي : العقل ، وكلمة الشهادة ، والجهاد معهم مالاً وبدناً ، والسعي للوازم الحرب تحت دولتهم التي استحدثوها بتلك الطريقة القومية الجاهلية ، ومن لا يؤمن بالجهاد معهم فهو عندهم مرتد . وعن أركان الدين المعروفة ، الصلاة والصوم والحج والشهادتين ، يقولون : هي ليست من أركان الدين لكن من الدين[٢]، وهذا أشبه بتحريف الباطنية ، الذين أخذوا الألفاظ وعطلوها عن معانيها الشرعية ، إلى معان باطنية ملحدة . واتخذ الطورانيون شعاراً لجمعيتهم ولاتحادهم ، وهو صورة ذئب أغبر أو أبيض ، وهو آلهة من آلهة الترك القدماء [٣].

رابعاً : سلب الأسر الغير مسلمة أطفالَها ، وتنشئتهم نشأة متعصبة للأتراك ، ومعاداة كل ما هو غير تركي ، وهو ما عرف عنهم ما يسمى — ضريبة الغلمان — [٤].

خامساً : محاولة الطورانيين لتتريك كل ما هو عربي ، وصهره وجعله في كينونة تركية ، ذلك أنهم يوقنون بالقوة العربية المسلمة ، كونها الحاضنة الأولى للدين الإسلامي ، ولا سبيل لهم لإحياء تلك النعرة التركية إلا بتقييد الجوانب العربية ، إذا ما علمنا أن النظرة الطورانية للعرب هي نظرة عدائية بحتة ، كما جاء في بعض مراسلات الاتحاديين الطورانيين (عرّضوا العرب لرصاص العدو ، واعملوا على التخلص منهم ، لأن قتلهم يفيدنا ، أما الكرد فاحتفظوا بهم لأنهم يلزمون لنا في بلاد الآرمن ...)[٥] .

وقد اتجهوا في ذلك التتريك إلى عدة مجالات ، منها :

---

[١] انظر : الطورانية التركية ، ص ٣٢ — ٣٥.

[٢] انظر : المرجع السابق ، ص : ٢٦ ، ٢٧ .

[٣] انظر : المرجع السابق ، ص : ٣٤ ، ٣٨ ، ودراسات في المذاهب المعاصرة ، ص : ١٤٨ .

[٤] الطورانية التركية ، ص ٢٤ .

[٥] انظر المرجع السابق ص ٣٤ ، ٣٥ .

– في مجال اللغة العربية : أضعفوا استعمال اللغة العربية ، واستعاضوا عنها باللغة التركية ، حتى كتبوها بما يخالف الأحرف العربية مما صعب قراءتها ، بعد أن كانت اللغة التركية تكتب بالحروف العربية ، واشتد إقصائهم للغة العربية حتى كانت قواعد اللغة العربية تدرس بالألفاظ التركية [١].

– أهملوا التعليم للناشئة والصبية ، خصوصاً العربية وعلومها ، وقَلّت المدارس فأطبق الجهل [٢].

– منع وإحراق الكتب التي تتحدث عن التاريخ العربي الإسلامي [٣].

– في مجال التوظيف والأعمال والتحاكم : ألزموا الناس في مخاطباتهم باللغة التركية ، حتى في الولايات العربية التي يحكمونها [٤].

– في مجال الأراضي والإقطاعات : فرضت على غير التركي ضرائب باهضة مما حدا بغير التركي أن يسجل أرضه باسم مالكين كبار هرباً من الضرائب الباهضة [٥].

– في مجال التعامل مع الأسر العربية الكبيرة : عملوا على كسب الأسر الكبيرة ذات التأثير الشعبي ، بإعطائهم امتيازات مالية لهم ولعائلاتهم ، ومن يرفض هذا التوجه ينكّل به ويسام سوء العذاب ، وقد ينفى لبلد آخر[٦].

مما تقدم يتضح جلياً أن القومية الطورانية لا تقل خطورة عن سابقاتها ، فالعلاقة التي يؤصلونها هي على أساس القومية فقط ، وليس للإسلام دور فيها ، وكان لهذه النزعة آثار سيئة جداً على المسلمين منها :

١. كانت من أسباب سقوط الدولة العثمانية ، حيث تأججت القوميات الأخرى عليها وتفرقت بهم الأيادي ، وأصبح همّ كل شعب ما يحمله من عنصرية مقيتة ، إلا ما شاء الله .
٢. تسببها في تسلط الغرب الصليبي وكذلك الصهاينة على بلاد المسلمين وتقسيمها .

---

[١] انظر : الطورانية التركية ، ص : ٤٩ .
[٢] انظر : الإسلام والحضارة العربية ، ١ / ٣١٥ .
[٣] انظر : الطورانية التركية ، ص : ٤٣ .
[٤] انظر : الإسلام والحضارة العربية : ١ / ٣١٥ .
[٥] انظر : الطورانية التركية ، ص : ١٩ .
[٦] انظر : المرجع السابق ، ص : ٢٨ .

٣. إهمال اللغة العربية بجميع مظاهرها ، بل التآمر عليها .

٤.ظهور القوميات الأخرى على غرارها ، مثل : القومية العربية ، وتغلغلت العلمانية في بلاد المسلمين منادية بالتحرر من الأديان تبعاً للدول الأوروبية .

٥.انتشار العقائد الشركية والبدع وضعف الولاء من أجل التوحيد .

وفي الحقيقة أن من أدق ما وُصِفت به القومية الطورانية وأثرها على الإسلام والمسلمين هو ما ذكره الأستاذ محمد كرد علي ، بأنها : صورة من الغزو المغولي [1].

---

(1) انظر : الإسلام والحضارة العربية ، ١ / ٣١٥ .

المبحث الثالث : صفات الشعوبيين

بعد تعريف الشعوبية وبيان أنواعها ، نحتاج للتعرف على أبرز الصفات أو الأخلاق التي يتصف بها الشعوبيون ، واشتهروا بها في تعاملهم مع غيرهم ، والهدف من ذكرها : أن هذا مزيداً لبيان حالهم ، وسوء طويتهم التي ينطوون عليها ؛ وحتى لا ينخدع أحد بما يظهر منهم أحياناً من صفات تحمد ، يهدفون بها صيد العامة والسذج ؛ لإيقاعهم في شباكهم الباطنية ، خصوصاً في هذا الزمن الذي قرّبت فيه وسائل الإعلام والاتصال كل شيء ، وحسنت القبيح ، وقبحت الحسن ، وقلبت الأمور على المجتمع ، إلا ما شاء الله . فأولئك الشعوبيون جمعوا مع سوء معتقدهم الصفات الذميمة ، وهذا دأب عامة الفرق الباطنية وغلاة الشيعة ، وأهل التغريب والتفرنج ، الذين استظلوا بالحركة الشعوبية ، ومن أظهر صفاتهم ما يلي :

أولاً : انحلالهم الأخلاقي

ينتشر بين أولئك الإباحية والفسق والخنا ، التي ربما قد لا تجدها عند الكفار الأصليين ، وهدفهم بذلك أن يصطادوا بها مرضى القلوب ، وضعاف النفوس ؛ ليستميلوهم إلى حركتهم ، ويزووهم إليها . ولعل هذه الإباحية فيهم ورثوها عن الديانات المجوسية القديمة التي كانت فيهم قبل الإسلام ، خصوصاً المزدكية (١) ، الذين اتصفوا بالإباحية الشديدة ، حتى دعوا إلى المشاركة في النساء والأولاد والأرزاق ، وأباحوا كل شيء . واشتد هذا منهم في أيام الملك قباذ بن فيروز (٢)،

---

(١) المزدكية : من الديانات المجوسية الفارسية ، سميت بذلك نسبة لرئيسها – مزدك– وهو داعٍ فارسي ، انتشرت دعوته في عهد الملك قباذ الأول ، بدأت في الري ثم انتشرت ، اشتهرت هذه الفرقة : بالإباحية ونكاح المحارم ، وزعموا أن الناس شركاء في الأموال والنساء ، واستمرت فتنتهم إلى أن قتلهم كسرى أنو شروان الفارسي في زمانه ، ولكن استمر وجودهم حتى بعد الإسلام ، فالبابكية والمازيارية امتداد لهم وعلى مبادئهم ، انظر ، الفرق ، ص : ٢٧١ – ٢٧٤ ، والملل والنحل ، ص : ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٢) هو : قباذ بن فيروز بن يزدجرد ، من ملوك الفرس الساسانيين ، حكم أربعين سنة ، وهو أبو كسرى أنو شروان ، ظهر في عهده مزدك ، وانتشرت الإباحية بعد أن تقلد مذهب المزدكية ، ولسوء مذهبه خلعه الناس ثم نصبوا أخاه ، ولكنه عاد مرة أخرى واسترجع الملك بعد أن ترك المزدكية ، ثم سلم لولده الحكم ؛ لأن له الفضل في ترك أبيه لمذهب المزدكية ، انظر : فارس نامه ، ص : ٣٣ ، ٨٢ – ٨٤

أواخر القرن الخامس الميلادي ، الذي تبنى في أول أمره المزدكية وحماها ، يهدف بذلك سحب البساط من تحت رجال الدين في دولته ، ولتقليل نفوذهم . يقول الطبري : " فافترض السفلة ذلك ، واعتنقوه ، وكانفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم ، فابتُلي الناس بهم ، وقويَ أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله ، لا يستطيع الامتناع منهم ، وحملوا قباذ على تزيين ذلك وتوعدوه بخلعه ، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى صاروا لا يعرف الرجل منهم ولده ، ولا المولود أباه " [١]. مما جعل الزرادشتية يؤلبون عليه الناس ، ويعزلونه [٢].

وأما بعد الإسلام فاشتهر الشعوبيون بذلك أيضاً ، وخطورتهم على الناس بعد الإسلام أشد من ذي قبل ، لقربهم من دولة الإسلام ، بل اختلاطهم بهم ، حيث يزينون للناس ذلك الفجور إما بالمتعة أو غيرها ، ويزداد خطرهم في البلاد التي تبعد عن دولة الإسلام ويكون فيها الباطل أظهر من الحق .

ومن أكثر الفرق الشعوبية حضوراً في هذا : الخرمية [٣](البابكية) ، فالخرمية هي صورة شبيهة بالمزدكية ، إذ أن من مبادئها استحلال المحرمات ، والخمر . ولهم ليال يجتمعون فيها ويشاع بينهم فعل الفسق والفجور .

وكذلك الراوندية [٤]من الفرق الإلحادية الإباحية ، حتى قيل بأن الرجل منهم يدعو الجماعة لمنزله

---

[١] تاريخ الطبري : ١ / ٣١٠

[٢] انظر : موسوعة تاريخ إيران ، ١ / ١٠٢ .

[٣] فرقة تنسب إلى بلدة خرَّم بالقرب من أردبيل ، وخرم تعني بالفارسية : المرح والسرور ، لأن الشائع عندهم إباحة أنواع المتع ، وهي امتداد للمزدكية ، ومنها : المازيّارية والمبيضة والبابكية ، كان أول ظهورهم عام : ١٣٧ هـ ، انظر : أطلس الفرق ، ص ١٠٨ ، ١٠٩.

[٤] الراوندية : فرقة من غلاة الشيعة الشعوبية ، وتعود في عقائدها للمجوسية ، وتقول بالإمامة في العباس بن عبد المطلب وذريته وغلت غلواً شديداً في أبي جعفر المنصور ، عرف عنها استحلال المحرمات وترك الفرائض والإلحاد والزندقة ، ومؤسسها : أبو هريرة عبد الله الراوندي ، على الأشهر ، وراوندي : نسبة إلى بلدة راوند بين قاشان وأصفهان ، وكان لهذه الفرقة أثر خطير في نشر الحركة الشعوبية والزندقة ، انظر : فرق الشيعة للنوبختي ، ص : ٤٦ ، ٥٢ ، ٦٤ ، ومقالات الإسلاميين ، ١/ ٣٧.

على امرأته ، فالراوندية أحيت المزدكية ومثلها الخرّمية [1]. وقد ذكر عبد القاهر البغدادي أن البابكية من الفرق الإباحية ، والمازيّاريّة كذلك ، التي سارت وقامت لإعادة البابكية الخرمية والأخذ بثأرها [2].

وكذلك الرافضة ساعدوا الحركة الشعوبية في انحلالها ، فألبسوا استحلال فروج النساء بالمتعة الشيعية ، التي تبيح للمتمتع ما شاء مع من شاء ، طالما أنه ينتمي للفرقة الاثني عشرية الرافضية ، وساعدوا بذلك الإباحية الشعوبية في انتشارها قديماً وحديثاً. ومن أشهر مراجعهم اليوم الذي يشتهر بتلك الفتاوى الإباحية المنكرة ، علي السيستاني[3] ، الذي يفتي بشرعية المتعة وأنه يجوز للمرأة أن تتكسب من المتعة ، وحتى المتزوجة يجيز لها ذلك وبدون اشتراط إذن زوجها [4]. وفي الحقيقة أن هذا احتقار منهم وابتذال للنساء ، وهذا من تأثير التعاليم المجوسية على الرافضة [5].

ثانياً : أنهم أهل عصبية عنصرية وتفاخر على غيرهم

خصوصاً على العرب ، فلا يقيمون لهم وزناً ، ولا يرونهم شيئاً ، بل يصورون الرجل العربي بتصاوير ذميمة ، وأنهم ليسوا أهل حضارة ولا أهل كتاب أو حرفة أو صنعة ، بل غاية ما عندهم – حسب نظرتهم – أن العرب أهل رعي وماشية ومنادمة بالشعر ، والهجاء فيما بينهم . بل تجدهم يحترمون كل جنس وطبقة غير العرب ، وهذا الشيء متأصل فيهم . ومن أوضح الأدلة على ذلك المناظرة الشهيرة التي جرت بين النعمان بن المنذر ، وكسرى ملك الفرس ، التي ذكرها كثير من المؤرخين . حدثت في مجلس كسرى ، ومما جاء فيها من كلام كسرى في وصفه للعرب "

---

(1) الحركات الهدامة في الإسلام – الراوندية والبابكية – ، قحطان الدوري ، ص ٤٦ .

(2) انظر : الفرق بين الفرق ، ص : ٢٧١ .

(3) هو : علي الحسيني السيستاني ، أصله من إيران ، ولد في : ٤ أغسطس ١٩٣٠م ، ويعتبر اليوم من أكبر المرجعيات الشيعية في العالم ، زعيم الحوزة العلمية في النجف في العراق حالياً ، والتي تعتبر مدرسة العلوم الشرعية للإثني عشرية ، انظر: المرجع الشيعي علي السيستاني تحت المجهر ، محمد العيد ، ص : ٧.

(4) انظر : المرجع السابق ، ص : ١٢ – ٢٢ .

(5) انظر كتاب : الرسالة الخنفرية في الرد على الشيعة الجعفرية في مسألة نكاح المتعة وإثبات حرمتها الشرعية وكشف أسرارها وجذورها التاريخية : ٢ / ٥٩٧ وما بعدها .

... لقد فكرت في أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرت في حال من يقدم عليّ من وفود الأمم ، فوجدت الروم لها حظ في اجتماع ألفتها وعظم سلطانها وكثرة مدائنها ووثيق بنيانها ، وأن لها دِيناً يبين حلالها وحرامها ويرد سفيهها ويقيم جاهلها . ورأيت الهند نحواً من ذلك .... وكذلك الصين في اجتماعها وكثرة صناعات أيديها .... ، ولم أرَ للعرب شيئا من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا ، ولا حزم ولا قوة . ومع أن مما يدل على مهانتها وذلها وصغر همتها محلتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة والطيرة الحائرة يقتلون أولادهم من الفاقة ، ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ... " [١]. ولما أراد الملك الفارسي أبرْويز أن يخطب ابنة النعمان بن المنذر ، فامتنع ، غضب عليها الملك الكسروي ، كيف يتجرأ ويرفض خطبته ، فلم يزل يتتبعه حتى قتله [٢].

ومن شدة تعصبهم أنهم ينسبون أنفسهم إلى إسحاق بن يعقوب عليهما السلام ، وقالوا أن أمه سارة عربية حرة ، وأما أم العرب فهي هاجر جارية لها ، قائلين بأنهم الأصل والعرب فرع لهم . والأنبياء قاطبة من العجم ، ولم يكن من العرب إلا أربعة أنبياء. فأي عصبية هذه وأي مجازفة وغمط يتصفون به ، وأما نسبتهم لإسحاق عليه السلام باطلة ، لكنها دعوى شابهوا فيها أسلافهم اليهود [٣]. ولكن شاء الله سبحانه أن يزول ملك كسرى المجوسي على يد من كان يكيل لهم بذلك الوصف القبيح ، وهذا كان يوم تلقّف الدين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فاتحين البلاد شرقاً وغرباً ، بعد أن فتح الله قلوبهم بالدين والتوحيد واطمأنوا به .

وهذه العنصرية ضد كل شأن عربي مسلم ما زالت مستمرة في هذا الزمن ، ومن الأدلة على ذلك : قضية العرب الأحواز ، التي احتلها الإيرانيون المجوس ، وهي من أظهر ما يستدل به على عنصريتهم الفارسية الشعوبية ، حيث احتلوها وغيروا كل شيء في هذه الجزيرة العربية الأصل وبدلوه بالفارسي ، حتى اسمها تم تغييره إلى – خوزستان – ، ومنعوا أهلها من التخاطب بالعربية ، أو تسمية أبناءهم بالأسماء العربية ، وأنزلوا بأهلها الهلاك ، وساموهم سوء العذاب [٤] .

---

[١] انظر : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، محمود شكري الألوسي ، ص ١٤٧ – ١٥٨.

[٢] انظر : فضل العرب ، لابن قتيبة ، ص : ٨٧

[٣] انظر : المرجع السابق ، ١ / ٤٦ – ٥١ .

[٤] انظر: تصاعد المد الإيراني ، السيد أبو داود ، ص ٣٠١ – ٣١٢.

ثالثاً : إعجابهم الشديد بالحضارة الفارسية المجوسية وإحياؤهم لها

مما يعرف به الشعوبيون إعجابهم الشديد بالحضارة الفارسية ، وأنهم أهل الفنون والصناعة. ولا شك أن إتقان العلوم والفنون هو من الحضارة المرغوبة ، لكن الغير مرغوب أن يصيّر سبباً للاحتقار والاستعداء على الغير. وهذا الإعجاب المزعوم كان الشعوبيون يتعمّدون إظهاره ليس من باب تبادل المنافع والعلوم بين الناس ، أو من باب الاستفادة منه فيما يعود على الدولة بالقوة والنمو والتطور ، بل كانوا يحدثون ذلك عصبية لدولتهم الآفلة ، ومحاولة لإظهار عاداتهم القديمة ، وكثر هذا في الدولة العباسية التي كانت حركتهم فيها على أوجها وفَوْرِها .

ومن الأمثلة على ذلك : في عهد المأمون [(١)] ، كان الفضل بن سهل [(٢)] يجلس على كرسي مجنّح ، له جناحان ، وهي من الطقوس التي اتصف بها أمراء المجوس الفرس ، ويحُمل عليه إذا أراد الدخول على المأمون ، فلا يزال كذلك حتى تقع عين المأمون عليه . وكان يأمر بخلع لبس السواد ، شعار العباسيين ، واستبداله بالأخضر ، فكانت الأعلام والقلانس بالخضرة ، وهي شعار للفرس المجوس [(٣)].

كذلك عنايتهم بالكتب الأدبية التي تتكلم عن الحضارة الفارسية ، وعلى سبيل المثال : لما نظَم

[(١)] هو : عبد الله أبو العباس ابن هارون الرشيد ، ولد سنة : ١٧٠هـ ، أمه أم ولد اسمها مراجل ، سابع الخلفاء العباسيين ، جمع الفقهاء من الآفاق ، وبرع في الفقه والعربية ، ولما كبر عُني بالفلسفة وعلوم الأوائل ، فجرّه ذلك إلى القول بخلق القرآن ، وحمل الناس على تلك الفتنة وعذبهم عليها ، توفي سنة : ٢١٨هـ ، انظر : البداية والنهاية ١٠ / ١١٣ ، والسير ٩ / ٤١ .

[(٢)] هو : أبو العباس الفضل بن سهل السَّرَخْسي ، ولد سنة : ١٥٤هـ ، كان مجوسياً ، أسلم على يد المأمون ، وكان وزيراً له ، لقب : بذي الرياستين لأنه ولي الوزارة والسيف ، وكان يتشيع ، ومنجماً مشهوراً ، وله دور كبير في الفتنة بين الأمين والمأمون ، قُتل بأمر المأمون لما ثقل أمره عليه ، وكان مقتله عام : ٢٠٢هـ ، انظر : وفيات الأعيان : ٢ / ٢٥٨ – ٢٥٩ ، والأعلام : ٥ / ١٤٩ .

[(٣)] انظر : الوزراء والكتاب ، محمد بن عبدوس الجهشياري ، ص : ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، والشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية ، ص ١١٣– ١١٥ ، وكتاب : الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول ، حسين عطوان ، ص ١٦٢ – ١٦٥، وانظر : ص : ٩٠ من هذا البحث .

أبان بن عبد الحميد [1] كتاب – كليلة ودمنة – ، أعطاه يحيى بن خالد البرمكي[2] عشرة آلآف دينار . وفي الترجمة لقوا تشجيعاً واحتفاءً من البرامكة لما كانت بيدهم الوزارة ، فترجم إسحاق بن يزيد ، كتاب – سيرة الفُرْس " اختيار نامه " – ، وكانت هذه الترجمة تستهدف إحياء الحضارة الفارسية [3].

وهذا الإعجاب بالحضارة الفارسية مازال فيهم ليومك هذا ، واشتد في هذا العصر بعد قيام ثورتهم الخمينية الإيرانية . ومن القرائن الدالة على ذلك :

- اللغة الرسمية المعتمدة حسب الدستور الإيراني هي الفارسية مع أن الثورة تزعم أنها إسلامية ، فأين لغة الإسلام ؟! .
- الاعتراف في الدستور الإيراني بالديانات المجوسية الفارسية القديمة ، كالزرادشتية ، وإحياء الأعياد الفارسية ، كالنيروز ، وإحلال الشهور الفارسية بدلاً عن الهجرية .
- إصرار إيران الفارسية على تسمية الخليج العربي – بالفارسي – ، بل صعّدوا ذلك حتى على مستوى محركات البحث في الشبكة العنكبوتية وشركات الطيران ، فهم يرفضون نسبته للعرب .
- التمييز العنصري الذي يعاني منه غير الفرس في إيران ، كالآذاريين والبلوش والعرب والأكراد ، بل وصف أحد رؤسائهم عام : ١٩٨٥م ، العرب بقوله : (غجر متخلفون) ، وكذلك مرشد الثورة الحالي – خامنئي – يصف العرب في بعض خطبه ، عام ١٩٩٧م بقوله : (متخلفون وجاهليون) ......

---

[1] انظر : صفحة : ٢١٢ ، من هذا البحث .

[2] هو : أبو الفضل يحيى بن خالد بن بَرْمَك ، وُلد سنة : ١٢٠هـ ، وزير هارون الرشيد ، كان جدهم برمك من مجوس بلْخ ، ويحيى هذا هو الذي تولى تربية هارون الرشيد بأمر أبيه الخليفة المهدي ، ورضَع الرشيد من زوجته فكان يدعوه يا أبي ، عُرف عنه عنايته بالأدب واللغة والشعراء ، بلغ في الدولة العباسية مبلغاً عظيماً ، وكان ممن حُبس في نكبة البرامكة ومعه ابنه الفضل ، توفي سنة : ١٩٠هـ ، انظر : وفيات الأعيان : ٣ / ٣١١– ٣١٥ ، والسير : ٨ / ٤٧.

[3] انظر الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية ، ص ١١٣ – ١١٥ ، وسيأتي الحديث عن دور الترجمة في الحركة الشعوبية ، ص : ٢١٠ من هذا البحث .

● إصدار الرئيس الإيراني قراراً عام : ٢٠٠٦ م بتفريس كل جوانب الحياة الإيرانية العلمية والثقافية والأدبية وغيرها [١].

رابعاً : شهرتهم بالظَرْف والضحك والملاطفة

وهذه الصفة تطبّعوا بها حتى يواروا بها زندقتهم أمام الناس ، وكذلك جعلوها وسيلة للجذب ، ولتكوين صورة مليحة يسترون بها سوءاتهم . وانتشر هذا الطبع فيهم حتى قيل في الحكمة المدسوسة (أظْرَف من زنديق) ، وهذا من العجب العجاب ، إذ كيف تنصرف العقول عن وصفهم بالإلحاد والزندقة لأجل الظرف والتضاحك ، ولكن هي من حبائل إبليس وجنده ، يصطاد بها من شاء في شباكه .

ولعل هذا الأسلوب اتخذوه أيام خلافة المهدي[٢] ، الذي ضيّق الخناق عليهم وأنشأ ديواناً خاصاً بملاحقة الزنادقة سماه — ديوان الزنادقة – ، لتتبعهم والبحث عنهم في الآفاق ، بعد أن أدرك خطرهم على الناس والدولة العباسية ، وأصبح رئيس هذا الديوان يطلق عليه (صاحب الزنادقة) ، ومما عهد إليه محو تعاليم الزندقة من النفوس بالتوعية والنصح والإرشاد [٣]، ولقد حمد صنيعه هذا في الزنادقة والملحدين أئمةُ السنة [٤].

خامساً : شدة الفتك والانتقام

من مظاهر العدائية في أهل هذه الحركة الشعوبية ، أنهم يشدون وطأتهم على غيرهم من المسلمين خصوصا أهل السنة ، ويتفنون في تعذيبهم والتنكيل بهم ، سيما مع القادة البارزين أو من له

---

[١] انظر كتاب : تصاعد المد الإيراني ، ص ٤٤١ — ٤٤٩ .

[٢] هو : محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي ، أبو عبد الله المهدي ، ولد بإيذَج من كور الأهواز ، ولي بعد وفاة أبيه المنصور ، مات سنة : ١٦٩هـ ، في ماسبذان ، صريعاً عن دابته ، وقيل مسموماً ، كان محمود العهد والسيرة ، وشديداً على الزنادقة ، انظر : البداية والنهاية : ١٠ / ٩ ، والسير ٧ / ٢٨٧.

[٣] انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص : ٢٤٥ ، والزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليهما : ص ١٣١ .

[٤] انظر : الانتصار لأهل الأثر ، لابن تيمية ، ص : ٣٢ ، ٣٣

شأن بين الناس . فكم من عالم أو قائد دبروا له وبيتوا عليه حتى أهلكوه . وهذا قد عرف عنهم منذ زمن الدولة العباسية ، فقد وجد من فِرَقهم من يعرف بـ (الخنّاقين) ، وهم من غلاة الشعوبية والزنادقة ، يقول الجاحظ في وصف فعلهم : " إن الخناقين يظاهر بعضهم بعضاً ، فلا يكونوا في البلاد إلا معاً ، ولا يسافرون إلا معاً ، فربما استولوا على درب بأسره أو على طريق بأسره ، ولا ينزلون إلا في طريق نافذ ويكون خلف دورهم إما صحاري وإما بساتين وإما مزابل وأشباه ذلك ، وفي كل دار كلاب مربوطة ، ودفوف وطبول ، ولا يزالون يجعلون على أبوابهم معلم كتّاب منهم ، فإذا خنق أهل دار إنساناً ، ضرب النساء بالدفوف ، وضرب بعضهم الكلاب فسمع المعلم فصاح بالصبيان : صيحوا . فأجابه أهل كل دار بالدفوف والصنوج كما يفعل نساء أهل القرى ، وهيجوا الكلاب ، فلو كان المخنوق حماراً لما شعر بمكانه أحد " [١].

وكذلك عرف عن فرقة المنصورية [٢] استباحة خنق مخالفيهم.

كما عرف عن الحشاشين [٣] مثل هذه الاغتيالات ، فقد فتكوا بمجموعة من قواد المسلمين ، ووصلوا للقائد صلاح الدين الأيوبي أكثر من مرة إلا أن الله نجاه منهم [٤]. فهي أشبه بما يعرف بتصفية الحسابات بين العصابات الإجرامية ، أو ما يسمى باللسان العصري اليوم – ميليشيات إرهابية – ، وهذا يدل على توغلهم الشديد في سفك الدماء والتسلط على المسلمين [٥].

ولعل هذا العداء الشديد والفتك الثخين نابع من شدة حسدهم وحنق صدورهم بأهل التوحيد والسنة ، وقد وصف الجاحظ تلك الصفة الذميمة فيهم بقوله : (... ثم اعلم أنك لم ترَ قوماً قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه ، ولا أشد استهلاكاً لعرضه ، ولا أطول نصَباً

---

[١] الحيوان للجاحظ : ٢ / ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، وانظر نفس المرجع : ٢ / ٢٦٦ – ٢٧١.

[٢] وهي من غلاة الرافضة وزنادقتهم ، أتباع أبي منصور العجلي ، غلا في جعفر الصادق ، ثم ادعى النبوة ، انظر : الفرق بين الفرق ، ص ٢٤٧ .

[٣] وتسمى أيضاً بالنزارية ، أنصار نزار بن المستنصر الفاطمي ، ومن عقائدهم : لا بد من وجود إمام قائم يشهد بذاته على صدق نبوة الرسول، انظر: أطلس الفرق: ٣٥٤، وانظر: ١٨٨ من هذا البحث.

[٤] انظر: أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبين ، يوسف الشيخ ، ص : ١٩٧ – ٢١٨ .

[٥] الجذور التاريخية للشعوبية ، عبد العزيز الدوري ، ص : ٨٩

، ولا أقل غُنْماً من أهل هذه النحلة ...) [١].

ولا يزالون على ذلك اليوم ، ومن القرائن ما ذكره أحد الدكاترة في جامعة طهران – يدعى : زيبا كلام – ، بأنهم يكرهون العرب ، ولبغضهم العرب فإنهم يشتمون ويلعنون أهل السنة ، وذكر بأن هذا الشيء موجود في طبقة المثقفين عندهم ، ومما ذكره أنهم يحقدون على العرب منذ يوم القادسية ، وأنهم لن ينسوا للعرب ذلك الموقف [٢]. نسأل الله العافية والمعافاة ، فإذا كان حال مثقفيهم وأساتذة الجامعات ، فكيف بغيرهم ؟! .

وكذلك لا يزال الفتك والانتقام والاغتيالات طريقة معروفة عن الشعوبيين اليوم ، وعلى سبيل المثال ما يسمى بـــ (حزب الله) بكافة فروعه ، في الخليج أو لبنان أو العراق أو اليمن ، فكم من عمليات اغتيالات قاموا بها ونسبت إليهم ، ومنها :

- محاولة إسقاط الحكم في البحرين عام : ١٩٩٦م .
- اختطاف الطائرة الجابرية في الكويت عام ١٩٨٨م ، وقتلوا بعض الركاب وألقوا بهم من متن الطائرة .
- محاولة اغتيال أمير دولة الكويت عام ١٩٨٥م .
- القيام بثورة ضد الدولة السعودية مزامنة مع الثورة الخمينية ، التي سميت – ثورة القطيف – عام ١٤٠٠ هـ [٣].

فهو امتداد لتاريخهم الدموي ، الذي عاث في الأرض فساداً ، إضافة إلى ما يقوم به من تجنيد وتدريب . ومما ينبه عليه ما يحصل من سياسات داخل هذا الحزب الرافضي الشعوبي ، تلونه وتقلب جلده حين يخشى من وطأة الحكومات عليه أو مقاومة الناس لجرائمه ، فمثلاً : كان وجوده في اليمن بهذا الاسم – حزب الله – لكن لما بدأ الناس في مقته والتحذير منه غيروا

---

[١] البيان والتبيين : ٣ / ١٩ .

[٢] انظر : اللقاء في موقع العربية نت ، نشر بتاريخ : ٧ ذو القعدة ١٤٣٢هـ الموافق : ٥ أكتوبر ٢٠١١م https://www.alarabiya.net/articles/٢٠١١/١٠/٠٥/١٧٠٣٤٩.html

[٣] انظر كتاب : ماذا تعرف عن حزب الله ؟ ، علي الصادق : ٣٧ – ٦٢ .

مسماهم إلى – حزب الشباب المؤمن – الذي عرف فيما بعد بالحركة الحوثية [1].

هذه أبرز صفات الشعوبيين التي رأيت التنبيه عليها من خلال استقراء أحوالهم وتعاملاتهم مع الناس أو الحكام ، أو مما كتبه بعض من تكلم عن الشعوبية والزندقة ، ومن الملاحظ أن تلك الصفات والسمات هي غالبة عليهم .

---

[1] انظر : المرجع السابق ، ص ٦٣ – ٦٩ ، وسيأتي مزيد بيان عن هذا الحزب وعن الحوثيين في الكلام عن الدولة الصفوية الإيرانية .

الفصل الثاني : نشأة الشعوبية وعوامل ظهورها ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : جذور الشعوبية والظروف التي نشأت فيها

المبحث الثاني : العقيدة التي قامت عليها الشعوبية

المبحث الثالث : عوامل ظهور الشعوبية وتطورها وانتشارها

المبحث الأول : جذور الشعوبية والظروف التي نشأت فيها

بعد أن استعرضنا في الفصل الأول تعريف الشعوبية وأنواعها وصفات أهلها ، يتصل الكلام في هذا الفصل لأنْ نفتش عن جذور هذه الحركة العدائية ، وهل لها من مستند قديم ؟ ، حيث أن الغالب في الحركات الفكرية العقدية أنها تستند على فكر موروث من ماض غابر ، فلا تنشأ اتفاقا هكذا .

وبعد النظر والتأمل في ماهية الحركة الشعوبية ، والقراءة في عدد مما أُلِّف فيها ، وجدت أن لها جذوراً ممتدة إلى الإمبراطورية الفارسية القديمة ، وارتباطها بهذه الإمبراطورية يدور على أربعة مؤثرات ، كانت هي الوقود الكامن الذي انقدحت منه الحركة الشعوبية ، واشتعلت جذوتها واصطلى بها البلاد والعباد ، وهذه الأربعة المؤثرات أسوقها كما يلي :

أولا : تاريخ ملوك الفرس : الذين حكموا بلاد فارس(١) ، حيث يبدأ تاريخها بعهد كيومرث — الذي هو أول ملوك العالم كما يزعم الفرس في تواريخهم ، وأنه هو الذي سن قوانين الحكم والأنظمة ، بل بالغوا وجازفوا حيث عدوه هو آدم عليه السلام . وأما أول إمبراطورية قامت لهم وحكموا بها كثير من دول العالم ، فكانت على يد كورش الكبير الأخميني قبل الميلاد (٢).

وكانت مدة حكم أولئك الملوك من بداية كيومرث حتى سقوط دولة فارس في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه — أربعة آلاف ومائة وثمانون سنة تقريباً – ، بعدد اثنين وسبعين ملكاً ، وأطول مدة كانت في عهد الساسانيين ، حوالي أربعمائة وثلاثين عاماً ، ويُقسّم ملوكهم

---

(١) فارس : ولاية واسعة وإقليم فسيح ، أول حدودها من جهة العراق أَرّجان ، ومن جهة كرمان السيرجان ، ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ، ومن جهة السند مُكران ، وفارس اسم بلد ، لا ينصرف ، والعجم تنطقه : بارس ، سميت فارس : قيل : بفارس بن عَلَم بن سام بن نوح عليه السلام ، وقيل : فارس بن طهمورث وإليه ينسب الفرس ، لأنهم من ولده ، وكان ملكاً عادلاً ، وفارس : خمس أكوار : إصطخر وسابور وأردشير خُرّه ودارابجرد وأرّجان ، قيل : هي مائة وخمسون فرسخاً طولاً وعرضاً ، فتحت في عهد عمر رضي الله عنه ، وبها مدن وقرى وأنهار وقلاع عديدة ، انظر : معجم البلدان : ٤ / ٢٨٦ – ٢٨٨

(٢) انظر : موسوعة تاريخ إيران ، ١ / ٣٧ .

إلى أربع طبقات :

الأولى : البشداديون ، **الثانية** : الكيانيون ، **الثالثة** : الأشكانيون ، **الرابعة** : الساسانيون [(١)].

وأما ما تميز به الغالب من ذلك الحكم فلم يكن شورياً بين أعيانه ، بل كان حكماً متسلطاً مستبداً في كثير من فتراته ، حيث أن الإمبراطور يتسلط على جميع الثروات في الدولة ، حتى التي يباشرها الوزراء والكتاب تؤول إليه وتسلب من صاحبها فور الاستغناء عنه أو القضاء عليه حينما يحل عليه الغضب الكسروي . وكذلك مما تميز به ذلك الحكم ما أضافه أولئك الملوك على أنفسهم من القداسة الدينية وأن شرعيتهم مستمدة من العناية الإلهية ، وهذا ما يعرف عندهم بـ (قانون النعمة الإلهية) ، وخلاصة ما تدل عليه : أن استحقاقهم للملك جاء مباشرة من الله. وهذا المبدأ استمر معهم عهوداً طويلة ؛ ولذا يشتهر ملوكهم بألقاب تدل على قداسة وتعظيم ، مثل : ظل الله ، قبلة العالم ، آية الله [(٢)].

إلا أن هذه الخرافة التي ألبسوها أنفسهم رجعت عليهم ، وذلك حينما تكون الدولة في حالة ضعف أو تسلط وجور ، تحصل المعارضة من الناس والرعية ؛ زعماً منهم أن النعمة الإلهية انفكت عن ذلك الملك أو سلبت منه ولا بد من إسقاطه ، وينشأ على إثر ذلك الانقلاب والفوضى والثورات التي اتصفوا بها [(٣)].

ثانياً : موقف المجتمع الفارسي من تعامل ملوكهم

نتيجة للتسلط الكسروي على الناس وتسخيرهم كالعبيد ؛ جعل هذا نظرة الناس إلى ملوكهم بأنهم غير شرعيين ، ويجب إزاحتهم لأنهم صاروا مصدر الشر والظلم ، استناداً للمعتقد المجوسي بأن مدبر الكون إلهين ، إله الخير وإله الشر ، فإذا غلب على المَلِك شرُّه ، ظنوا أن هذا من تسلط إله الشر على إله الخير ؛ فيحصل العصيان والثورات والفوضى.

---

(١) انظر كتاب فارس نامه لابن البلخي ، ص : ٢٤ – ١٠٢ ، وهذا الكتاب عني بملوك فارس ومدة حكمهم وأخبارهم ، وكذلك أوصاف بلاد فارس وأنهارها وأكوارها ، وانظر : إيران في عهد الساسانيين ، آرثر كريستنسن ، ص : ٧٢ – ٨٣ .

(٢) انظر : الفُرْس – إيران في العصور القديمة والوسطى والحديثة – ، هوما كاتوزيان ، ، ص : ١٨ – ٢٤.

(٣) انظر المرجع السابق ، ص : ١٩

بيد أنه في حالة وجود ملك عادل - وهذا قليل في الدولة الفارسية – فإن نظرة الشعب له تكون نظرة تقديس وتبجيل ، بل ويؤرخون بحياته وموته ، فليس عندهم قاعدة مطردة للتعامل بين الحاكم والمحكوم [1]. وتلك الثورات والفوضى أثرت حتى على سياسة الملوك مع أقاربهم ، حيث أصبح الملك الكسروي لا يثق لا في ابن أو أب ، فضلا عن وزير أو كاتب . وقد عرف في تاريخهم من قتل أبناءه أو أباه أو سمّل أعينهم [2]، حتى دب الذعر والهلع فيمن ينال منصباً أو يسوس أمراً ؛ لأنه يدرك أنه في أي لحظة سيصير إلى زوال . وهذا أثر على عمر الدولة وامتدادها وتغير أحوالها [3]، رغم طول تاريخ الملك الفارسي الإيراني ، لكن إذا عرفت أنهم اتصفوا بالثورات والانقلابات والفوضى والاستبداد ، أدركت يقيناً أن هذا يحصل في أمة ذاك حالها.

ثالثاً : طبيعة بلاد فارس وأهلها

يعرف عن بلاد فارس سعتها وكثرة أنهارها وبحارها ، وتعدد مبانيها ، والتفنن في الجانب المعماري ، كذلك الحرف والمهن كالنسيج والحياكة ، وغيرها من الفنون التي يجيدونها ، بعكس ما عرف عن الجزيرة العربية من شهرتها بالقحط والجفاف وقلة القطع الخضراء . وعُرف عن أهل فارس الغرور والأنفة ، ربما جمال طبيعتهم غرز فيهم ذلك الأمر ، فيدعون أنفسهم بالأحرار ، ويقال : فارس في العجم كقريش في العرب ، ولقبوا بعض أئمة آل البيت بألقاب متضمنة عنصرية فارسية ، كلقبهم علي بن الحسين زين العابدين رحمه الله ، بـ (ابن الخيّرَتَيْن) ، لأنهم يزعمون أن الحسين بن علي رضي الله عنهما تزوج شهربانويه بنت يزدجرد الفارسي ، بعد أن نحلها له أبوه علي بن أبي طالب ، وكان ذلك حينما ولى علياً رجلاً يدعى : حريث بن جابر الحنفي ، على جهة من المشرق ، فأرسل إلى على بن أبي طالب بابنتي يزدجرد ، فنحل ابنه الحسين واحدة ،

---

[1] انظر : إيران في عهد الساسانيين ، ص : ٤ – ١٦.

[2] على سبيل المثال : الملك شيرويه بن أبرويز الذي حكم ٦٢٧ – ٦٢٩ م ، تولى الحكم بعد قتله لأبيه ، وقتل معه سبعة عشر فرداً من إخوته وأبنائهم ،حتى قيل أنه بعد قتلهم فشى الطاعون والأمراض والجدب في بلاد فارس ، انظر كتاب فارس نامه ، ص ٩٩ .

[3] وُجد من حكم منهم أربعين يوماً فقط ثم قتل واسمه شهريار، وهذا يدل على شدة الفوضى والنزاع ، وهناك من مكث ثلاثة أشهر فقط وقيل اسمه : كسرى قباذ بن هرمز . انظر: فارس نامه ، ص : ١٠٠

والأخرى لمحمد بن أبي بكر [١]. وكذلك من الأمثال الفارسية المشهورة : الإيراني يشرب الماء من النهر ، والعربي يأكل الجرذان [٢]، وهذا يدل على العنصرية المقيتة في الأدبيات الفارسية .

وقيل : أن الحجاج أرسل أحد الحكماء عنده لينظر له بلاد فارس وأهلها ويأتي له بوصفهم ، فلما عاد ذلك الرسول قال واصفاً : فارس فيها جبال ورجال ، وفيها من كل بلد بلد[٣]. كما عُرف عن الفرس الاستشاط والغضب ، والاستعلاء وحب الرياسة ؛ ولذا قيل أن اسم الفُرْس اشتق من ذلك ، فقيل : فُرْس ، إذا فَرَس غيره ، وقهره ، وغلبه [٤].

رابعاً : تأثير المعتقدات المجوسية

العقيدة المجوسية الزرادشتية عقيدة وثنية شركية ، تقوم على أن للعالم الهين ، إله الخير والنور وإله الشر والظلمة ، وهذه العقيدة الشركية تجسد الصراع الداخلي ، سواء كان روحياً أو نفسانياً بين أفراد أهلها ، حيث قسمت الناس إلى فسطاطين : فسطاط الخير والنور وآلهتهم آهورامازدا ، وفسطاط الشر وآلهتهم أهريمان ، فعندما يتغلب الشر على الخير يعتقدون أن هذا من تسلط آلهة الشر على آلهة الخير والظلمة [٥] .

فالملاحظ حتى في معتقداتهم يحضر الصراع والفوضى ، وهذه هي حال أهل الشرك والوثنيات ، ثم صارت صبغة شعوبية عدائية غالبة على أهلها ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[٦] .

---

[١] انظر : الأنوار النعمانية ، نعمة الله الجزائري ، ص : ١ / ٢٦٩ .

[٢] انظر: كلب أصفهان — الذات المكبوتة في جدلية الصراع بين العرب وإيران ، صلاح النصراوي ص: ٧٧.

[٣] انظر كتاب : فارس نامه ، ص : ٢١ ، ١١٤ وما بعدها .

[٤] انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ١٥ / ٤٣١ ، ٤٣٢ .

[٥] انظر : موسوعة الأديان القديمة ، معتقدات آسيوية ... ، كامل سعفان ، ص : ٩٠ — ١١١ ، وإيران في عهد الساسانيين ، ص : ١٩ — ٣١ ، وسيأتي تفصيل عقائد الشعوبيين في الباب الثالث .

[٦] سورة الأنعام ، آية : ١٢٥

خامساً : تأثير الديانات الأخرى في الفرس

منها الديانة اليهودية التي عرف عن أهلها العنصرية المقيتة ، وأنهم يرون أنفسهم طبقة عليا لا يبلغها غيرهم ، وحيث أن اليهود والفرس اختلطوا منذ القديم وتشابهت عقائدهم ، تأثر الفرس بإخوانهم اليهود ، بل تداخل الطرفان وتشبّعا ببعض ، فكان ذلك أساساً قديماً للعصبية الشعوبية من الجانبين . كذلك تأثر الفرس أيضاً بالعقائد الهندوسية ، التي من مبادئها تصنيف الناس إلى طبقات متفاوتة في مجتمعاتهم ، وإعطاء الطبقات العليا من الميزات والقداسة المطلقة ، والعكس في طبقاتهم الدونية [1].

ويتضح مما سبق ذكره أن الحركة الشعوبية لها جذورها التي تمدها في غيها ، وهذه الجذور ولّدت لها مظاهر شعوبية ، صبَغَتها في طبيعة أهلها وتعاملاتهم ، والتي تلخص فيما يلي :

- إضافة القداسة على ملوكهم مع التسلط والاستبداد الحاصل عليهم .
- النظرة المتفاوتة من الشعوبيين أنفسهم إلى حكامهم ، فهي إما إفراط أو تفريط ، ولا قاعدة مطردة لديهم يمشون عليها ، مع الأخذ في الاعتبار أن هذا التعامل مع الحكام الذين من بني جلدتهم ، فكيف بمن يرونه غازياً لهم أو سالبا منهم دولتهم ؟!!
- الفوضى والثورات والنزاعات الداخلية الغالبة عليهم .
- الغطرسة والاستعلاء في التعامل ، وأن بلادهم تمثل حضارة قديمة وعريقة ، لا يملكها العرب .
- العقائد والوثنيات ، والتي صارت مصدراً للزندقة والإلحاد فيما بعد ، وإذكاء العصبيات والثورات والفوضى .
- تأثرهم بالديانات الأخرى ، كاليهودية والهندوسية [2].

ولا شك أن هذه الأمور كانت حاضرة في أذهان الأعاجم من الفرس المجوس وغيرهم ، الذين لم تطمئن قلوبهم بالإسلام أو الذين لم يدخلوا فيه ، وكانت كامنة في عقولهم ، خصوصاً من كان من بلاد فارس وإيران ، فلم تحتج كبير جهد لاستخراجها ، بل سرعان ما ظهرت على السطح

---

[1] انظر : التشابه بين عقائد اليهود وعقائد الشيعة ، ٧٤ – ٨٣ ، وانظر ، ص : ٤٣ من هذا البحث.

[2] سيأتي الكلام عن الهندوسية ، ص : ٢٢٥ ، من هذا البحث .

حينما وُجد من يبعثها ويحركها ، ولأنهم أهل تلك البلاد ويدينون بالعقائد الفارسية القديمة ؛ صارت بعدها حركة وثورة ، وقامت لها شوكة ودولة .

وأما الظروف التي نشأت فيها الحركة الشعوبية ، فكانت في أواخر الدولة الأموية ، وكان حالها شر حال ، من الضعف والنزاعات والخلافات وظهور البدع وترك الجهاد ، حتى دب الفسق والفجور في بيت الحكم الأموي ، فكيف بمن دونه ؟! .

وحالة الضعف هذه أشبه بحالة المرض الذي تنشط فيه الجراثيم والميكروبات ، فتجد لها مسلكاً ومكاناً ، أما في حالة القوة والنمو فتخنس وتزول ، وهذه سنة الله في كونه ، أن الباطل لا يصعد إلا على كتف الحق وأنقاضه ، والباطل لا يذيبه إلا ضياء الحق ، ولا يقشع ظلامه إلا شمس الهدى .

بعد أن وطد الحكم الأموي أركان دولته ، وفتحت البلدان ، ونشرت الدين ، طافت عليها خضراء الدمن ، وركنت إلى الغرور وبذخ الأموال والمجون ، خصوصاً بعد أن سلم هشام بن عبد الملك الولاية ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، الملقب بالفاسق : (١٢٥- ١٢٦هـ) ، الذي ضيع أمور الدولة وشؤونها ، واشتهر بشرب الخمر والفسق وبآلات اللهو[1] ، هذا إذا ما علمنا أن المجوس الفرس يكيدون ويخططون سراً ، لينقلبوا عليه ويسقطوا دولته ، لأنهم لن ينفعهم أن يبدؤوا دعوتهم وهناك دولة قائمة يعلمون أنه مهما بلغ ضعفها ستكر عليهم وتغزوهم ، فحرصوا على إسقاطها. ولما علم هشام بن عبد الملك في آخر حياته بفسق ومجون هذا الوليد ، غضب عليه وزجره وهدده بخلعه الخلافة ، وحتى يظهر للناس توبته أمّره على الحج بالناس ، ولكن ما كان من هذا الوليد إلا أن اصطحب معه آلاته وشرابه إلى مكة ، حتى قيل أنه حاول أن يصعد على ظهر الكعبة ويجاهر بذلك الفسق ، ومن هنا رمي بالزندقة ، إضافة إلى ما ينسب إليه من معارضة القرآن ، وقد مات مقتولاً سنة ١٢٦هـ ، وقال ابن كثير : إنما قتل لفسقه ، وقيل : لزندقته [2]. كذلك من الظروف التي كانت تحيط بالمسلمين ، الفرقة والنزاعات الظاهرة ، سواء من داخل بيت الخلافة أو بين عامة الناس والقبائل .

---

[1] انظر : الكامل في التاريخ : ٤ / ٤٦٨ ، والأعلام ، ٨ / ١٢٣

[2] انظر البداية والنهاية ، ٩ / ٢١٢ – ٢١٦، وتاريخ الخلفاء ، ص : ٢٢٢ – ٢٢٤.

أما بيت الخلافة الأموية فقد دب النزاع بين الوليد بن يزيد الآنف ذكره ، وبين يزيد بن الوليد بن عبد الملك الملقب بالناقص ، نظراً لمجون الخليفة الفاسق وتضييعه شؤون الدولة وتعديه حتى على أبناء عمومته وأقربائه ، فانتدب هذا يزيد في جمع من الفوارس ليخلعوا عن الوليد بن يزيد الخلافة ، وبعد عدة منازلات ومناورات قُتل الوليد الملقب بالفاسق على يد يزيد بن الوليد الملقب بالناقص ، وهو خير منه في حب الخير ودفع الشر عن البلاد ، إلا أنه ارتكب بعض الأمور التي أثرت على سياسته ، حيث قام بإنقاص الجنود والناس من أعطياتهم [(١)]، كذلك عزْله للقائد يوسف بن عمر أمير العراق ، الذي حنق عليه بسبب ذلك ودارت بينهما الدوائر ، توفي الخليفة الناقص أواخر سنة ١٢٦هـ [(٢)]. وكذلك من النزاعات في بيت الخلافة ما قام به مروان بن محمد الأموي[(٣)] ، حين كان أميراً على أرمينيا وأذربيجان بمطالبته بدم الوليد بن يزيد الفاسق ، واستحث إخوة الوليد لذلك ، وبعد عدة صراعات استطاع أن يعزل الخليفة حينها إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك أخو الخليفة الناقص ، وأن يتولى الخلافة ، وبعد تمام بيعته ذهب لقبر يزيد بن الوليد الناقص ، فنبشه وصلبه ، وهذا من شدة نقمته عليه [(٤)]. وغير ذلك كثير من الصراعات الداخلية التي وسعت الخرق وفتقت الجسد وأكلته ، فإن كان هذا داخل بيت الحكم ، الذي هو عنوان الدولة ومظهرها ، فكيف بما هو خارج بيت الولاية ؟! . لا شك أنها كثيرة ومتشعبة ، وماذا يرتجى ورأس الهرم عليل إلا أن يكون الجسد هزيل .

وأما الصراعات الخارجية التي كانت تدب في البلاد فكثيرة ، منها :

الفتنة التي قام بها الحارث بن سريج [(٥)]، حيث مالأ بلاد الترك على المسلمين وقيل أنه تنصر ، ثم

[(١)] وقيل سمي بالناقص لأجل ذلك ، انظر : الكامل في التاريخ : ٤ / ٤٨٧.

[(٢)] انظر : البداية والنهاية : ٩ / ٢١٧ – ٢٢٧ ، وتاريخ الخلفاء ، ص : ٢٢٤ ، ٢٢٥.

[(٣)] هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، أبو عبد الملك ، يلقب بالحمار ، ويلقب بالجَعْدي نسبة لمؤدبه الجعد بن درهم ، وهو آخر خلفاء بني أمية ، مات مقتولاً ، انظر : البداية والنهارية : ٩ / ٢٢٨ وما بعدها ، والسير : ٦ / ٣٣١ ، تاريخ الخلفاء ، ص : ٢٢٦ ، ٢٢٧

[(٤)] انظر : البداية والنهاية : ٩ / ٢٢٨

[(٥)] هو : الحارث بن سريج التميمي ، من القواد الشجعان في عهد الدولة الأموية ، إلا أنه خرج عن طاعة بني أمية ، كان سكنه بخراسان ، فثار على أميرها سنة : ١١٦هـ ، ولبس السواد وخلع البيعة في عهد هشام

=

عاد وتاب أيام خلافة الناقص ، واستمر على مناوئة مع نصر بن سيار[1]، والي خراسان في الخلافة الأموية ، فلما ولي مروان بن محمد ، استوحش ودعا إلى الخروج في خراسان ، وخلع مروان بن محمد ، ودعا الناس إلى سمعه وطاعته في المجامع والطرق ، وسانده الجهم بن صفوان على ذلك [2].

واتفقت مع دعوة الحارث كذلك دعوة جُديع بن علي الكرماني [3] ، حيث تعاونا الاثنان على نصر بن سيار ، إلا أن الخلاف حصل بينهما فقتل الكرمانيُ الحارثَ بن سريج عام ١٢٨هـ .

بن عبد الملك ، ودعا لبيعة الرضي ، واجتمع معه الآلاف وسيطر على عدة أماكن حول خراسان . ولما قاتله الخليفة الأموي وهُزم هرب إلى بلاد الترك وأقام بها طويلاً . وفي عهد يزيد بن عبد الملك أرسلوا إليه الأمان عن طريق نصر بن سيار أمير خراسان حينها ، ووعده بأن يعيد عليه ما أُخذ منه وأن يكرمه ، فعاد . ولما ولي مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، عاد الحارث إلى شق عصا الطاعة ، واستمر على مناوئة واقتتال مع نصر بن سيار ومع جديع الكرماني الذي هو أيضاً خرج عن طاعة بني أمية ، وقد وقع بينه وبين الحارث خلافات كثيرة ، كانت نهايتها مقتل الحارث بن سريج على يد جديع الكرماني ، عام : ١٢٨هـ ، انظر : تاريخ الطبري : ٢ / ١٦٩٢، ١٧٨٨، ١٨٠٧ ، والكامل في التاريخ : ٤ / ٤١٠ ، ٤٩٧ ، ٥ / ٧ ، ١٧ ، والأعلام : ٢ / ١٥٤ .

[1] هو : نصر بن سيَّار بن رافع بن حَرِّي بن ربيعة الكناني ، ولد سنة ٤٦ هـ ، أمير من دهاة الشجعان ، كان شيخ مضر بخراسان ، ووالي بلخ وخرسان في عهد مروان بن محمد ، شارك في عدة غزوات وفتوحات ، وكان من الخطباء الشعراء ، وظل في صراع مع أبي مسلم الخراساني ، حتى توفي سنة : ١٣١هـ ، انظر : السير ٦ / ٢٦٠ ، والوافي بالوفيات ٢٧ / ٤١ ، والأعلام : ٨ / ٢٣.

[2] ومساندة الجهمية له تدل على دور الفرق المبتدعة في إحياء الفكر الشعوبي ، كما تؤكد استغلال الحركة الشعوبية وجود الفرق المخالفة .

[3] هو : جُدَيع بن علي الأزدي ، من شيوخ خراسان وفرسانها ، ولد بكِرْمان فنسب إليها ، سجنه نصر بن سيار اتقاءً لشره ، فغضبت قبيلته الأزد ، ولما فرّ من السجن جمع معه ثلاثة آلآف ، فصالحه نصر بن سيار ، مات مقتولاً على يد نصر بن سيار ، عام ١٢٩ هـ ، انظر : الأعلام : ٢ / ١١٤

بعد ذلك قتُل الكرماني على يد نصر بن سيار بعد محاولته الاتصال بأبي مسلم الخراساني [(١)]، الذي كان يخادع الطرفين (نصراً والكرماني) ، حتى أجهز أحدهما على الآخر ، فكانت الرزية على الكرماني . بعد ذلك استمرت ملاحقة أبي مسلم لنصر بن سيار حتى مات مطارَداً ، عام ١٣١هـ [(٢)]. وبهذا انتزعت منه ولاية خراسان ، وظهور أبي مسلم الخراساني هنا ، يعد بداية ظهور للحركة الشعوبية .

من الثورات الحاصلة كذلك ، دخول أبي حمزة الخارجي المدينة واستيلائه عليها ، عام ١٣٠هـ ، حيث بدأ الناس واعظاً ومذكراً ، وصعد منبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم بدأ يشتد على

[(١)] أبو مسلم الخراساني ، هو : عبد الرحمن بن مسلم ، وقيل : عثمان ، الخراساني ، القائم بالدعوة العباسية ، وقيل هو : إبراهيم بن عثمان بن يسار بن شذوس بن جودرن ، من ولد بزرجمهر بن البختكان الفارسي ، قال له إبراهيم الإمام العباسي : غيّر اسمك ، فما يتم لنا الأمر حتى تغير اسمك ، فسمى نفسه عبد الرحمن ، كان أبوه من رستاق فريذين من قرية تسمى سنجرد ، وقيل من قرية — ماخوان — على ثلاثة فراسخ من مرو ، كان يجلب المواشي للكوفة ، ولد أبو مسلم سنة : ١٠٠هـ ، وكان رجلاً فارساً شجاعاً ذكياً ، وتعلم العربية وأجادها ، وكان فصيحاً باللسانين ، العربي والفارسي ، ولما التقى بالنقباء العباسيين في خراسان ، أُعجبوا به وبكلامه وأدبه فأخذوه معهم وأهدوه إلى إبراهيم الإمام ، فأعجب به ، وظل يخدمه حضراً وسفراً ، وبعد ذلك أعادوه لخراسان ليقوم لهم بدعوة العباسيين ، وبدأ بالدعوة إلى البيت العباسي الهاشمي ، ثم لما ظهرت قوة دعوته بدأ يدعو لأبي العباس السفاح بالخلافة ، وذُكر من قوته وشدة بأسه أنه لا يضحك حتى في انتصاراته وأنه قليل لإتيان النساء ، وكان يخرج في موكب بين طرفيه مسافة فرسخ ، ولما استقام الأمر لأبي العباس السفاح ، وأُعلنت بيعته ، أكرم أبا مسلم أشد الإكرام ، وقلده أمور الجيش وتنظيمه وتعيين الأمراء ، وكان السفاح يعظم أبا مسلماً تعظيماً شديداً ، ولما مات السفاح ، وتولى أبو جعفر المنصور ، صدرت من أبي مسلم أمور غيرت نظرة المنصور إليه ، فعزم على قتله ، وظل يترصد له ، حتى استطاع قتله والتخلص منه ، عام : ١٣٧هـ ، انظر : وفيات الأعيان : ٢ / ٦٩ — ٧٤ ، والأخبار الطوال للدينوري ، ص : ٣٣٧، والسير : ٦ / ٣٠٩ . وقد كان له دور كبير في قيام الحركة الشعوبية وظهور الفرس بعد قيام الدولة العباسية ، وغلت فيه الفرق الشعوبية لحد الزندقة ،كالرزامية والمقنعية والأبومسلمية والخرمية ، انظر : الفرق ، ص : ٢٦١،٢٦٢ وثار الشعوبيون على العباسيين بعد قتله ، انظر : الكامل في التاريخ : ١١٤/٥.

[(٢)] انظر : البداية والنهاية : ٩ / ٢٣١ – ٢٣٨

الناس ويظهر عقيدة الخوارج ، فكان يرمي الزاني والسارق بالكفر ، واستوحش الناس منه ، فبعث إليه مروان بن محمد بجيش كبير وأطفأ فتنته وقطع دابره ، وكانت هذه من حسنات مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية [1]. كذلك من الثورات التي خرجت وكان لها أثر كبير على الدولة الأموية ، ثورة زيد بن علي بن الحسين [2] عام : ١٢٢هـ ، الذي بويع له بالكوفة ، وظهر أمره ، ثم ما حصل له من خذلان الرافضة ، فكانت عاقبته القتل والصلب [3]. كذلك ما حصل من نشوب العصبيات القبلية واشتدادها في أواخر الدولة الأموية ، والتي استعرت بين القبائل النزارية الهاشمية والقبائل اليمانية ، وحصل تلاسن بين الشعراء ، ولما مال مروان بن محمد لليمانية ، ولّد ذلك حقداً على الدولة الأموية فانصرف أهل اليمن إلى الدعوة العباسية التي كانت قد بدأت تلوح في الأفق ، وتنادي بالدعوة لبني هاشم ، ونزع خلافة بني أمية [4].

ونتيجة لهذه الظروف من الفرقة والتعصبات وحقد المجوس وغيرهم ، ظهرت أيضاً ضغائن الأعاجم والموالي الذين لم تطمئن قلوبهم للفتح الاسلامي ، حيث كان وجود العصبيات القبلية ذريعة إلى الدعوة والمناداة بإسقاط الدولة الأموية ، ليس حباً في تسليم الخلافة لبني هاشم ، بل محاولة لإسقاط الدولة العربية المسلمة ، وإدخال بقايا الدولة الفارسية المجوسية في هذه الصراعات التي كانت لبنتهم الأولى في إظهار الحركة الشعوبية ، لكن بمسمى آخر أو قالب مموه ، تكتنفه دعايات الترويج إلى المساواة بالعرب ، والتهويل من تسلط البيت الأموي على العجم وسلبهم حقوقهم[5]، وبهذه الإلماحات تجسدت لنا الظروف التي نشأت فيها الحركة الشعوبية .

---

[1] انظر : المرجع السابق : ٩ / ٢٣٩ ، ٢٤٠

[2] هو : زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو الحسين العلوي الهاشمي ، كان فقيهاً ، حرضه أهل الكوفة على قتال الأمويين ، وانتهى خروجه بمقتله سنة ١٢٢هـ بعد أن خذله الرافضة ، وإليه تنسب الطائفة الزيدية ، انظر : السير ٦ / ١٩٦ ، والأعلام : ٣ / ٥٩ .

[3] البداية والنهاية : ٩ / ١٩٤ – ١٩٥ .

[4] انظر : الأخبار الطوال ، ص : ٣٤٩ – ٣٥٧ ، ومروج الذهب : ٣ / ٢٢٩ – ٢٣٣ .

[5] انظر : شبهات عن بني أمية ، ص : ٤٠ – ٤٤ .

المبحث الثاني : العقيدة التي قامت عليها الشعوبية

قبل أن أبين العقيدة التي قامت عليها الشعوبية ، يستلزم أن نسلط الضوء على كيفية قيام هذه الحركة وتتابعها حتى ظهرت شوكتهم . بيد أنه يجب علينا أن نعلم أن الحركة الشعوبية كمظلة للزنادقة والباطنية ، فمن صورها أن يكتنفها شيء من الخفاء والغموض الذي هو أثر ونتيجة لنفاقهم وزندقتهم. وهذا من أشد ما يفتك بالمسلمين ، فتجد المجوسي الباطني يتظاهر بالإسلام ، لكنه معول هدم ، ولا يزيد المسلمين إلا وبالاً ، ولا يزالون كذلك على هذا النهج التخريبي .

ومن صورها كذلك استغلال النكبات والمآسي التي تمر ببلاد المسلمين ، خصوصاً العربية المسلمة منها ، تجدهم مع تلك الأحوال يبرزون كرؤوس الشياطين ، مع التنديد والتشويه لمذهب أهل السنة ، حيث يحاولون إلصاق كل تهمة أو منقصة فيه .

كذلك من شأن تلك الحركة أنها تتشكل في كل عصر ومصر حسب قوتها وضعفها ، ولا يكاد يخلو منها زمان ، تخبو قليلاً ثم تظهر . فتأتي في أوقات على صورة ثورة سياسية عقدية من داخل الدولة المسلمة ، تحاول هز أركانها وإفساد عقائدها ، كالثورة الخرمية ، وثورة سنباذ والمقنع [1].

أو في هيئة دويلة تهدف لشق الدولة الاسلامية ، كدولة بني بويه[2] ، أو القرامطة[3] . أو تقوم في كنف دولة كبيرة وقوية لها سياستها وديانتها كالعبيديين ، والدولة الصفوية القديمة والحديثة المعاصرة .

كذلك علينا أن نعي جيداً أن هؤلاء الشعوبيين ليسوا على طبقة واحدة أو اتجاه واحد ، فمن كان قيادياً في بلاده ليس كمن كان كاتباً أو مدوناً ، ومن كان من الدهاقنة [4] والوزراء ليس

---

[1] سيأتي الكلام عن الثورات الشعوبية في الباب الثاني

[2] قامت هذه الطائفة في العهد العباسي الثاني ، سيطرت على أجزاء من بلاد إيران ، واستمرت حوالي مائة وثلاثة عشر سنة – من عام ٣٣٤ إلى ٤٤٧ هـ – ، وترجع أصولهم للفرس ، انظر : التاريخ الإسلامي ٦ / ١٤١ .

[3] انظر ، ص : ٢٩٨ من هذا البحث .

[4] الدهاقنة : جمع دُهقان ، مُعَرَّب ، بمعنى : تاجر ، ويطلق أيضاً على : رئيس القرية أو الإقليم ، وعلى التاجر ، انظر: لسان العرب ٥ / ٣١٦ ، والمصباح المنير ، ص : ١٦٩ .

كمن كان مزراعاً أو مستعملاً. فبلوغ كل صنف من أولئك حظَّه الدنيوي في بلاده أو منصبه ، سيكون تأثيره وردة فعله مبنياً عليه بعد الفتح الإسلامي لبلاد فارس ، وموقفه من تحكم القيادة العربية المسلمة ببلاده وضمها للخلافة الاسلامية ، سيؤثر فيه. وكذلك طريقة التعامل الجديد بين الوجود العربي في الديار الفارسية ، الذي كان في أوله على منهاج الخلافة الراشدة ، ثم اختلافه بعد تلك الحقبة الراشدة.

لكن المؤثر الأساسي في ردة فعل الفرس المجوس بعد الفتح الاسلامي لبلاد فارس لم يكن لأجل الجانب الدنيوي أولاً ، بل كان تبعاً لصدق إيمانهم ودخولهم في الإسلام من عدمه ، ومن حيث السبر والتتبع يظهر أن حالهم في ذلك إلى ثلاث فئات:

الأولى : فريق آمن بالإسلام واطمأن به ، فدخلوا في دين الله أفواجاً ، فهؤلاء إخوتنا وأهلونا ، بل منهم من هم سادتنا في العلم والإمامة ، وهم كثير ولله الحمد ، وإمامهم وسلفهم الصحابي الجليل سلمان الفارسي – رضي الله عنه – ، مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم حينما وضع يده على سلمانَ ثم قال : " لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء " [1].

الثانية : قوم ظلّوا على مجوسيتهم وعصبيتهم الفارسية ، ودخلوا في بلاد المسلمين ، وظلوا ينتهزون الفرص للنيل من المسلمين ، ولينتقموا لسقوط دولتهم المجوسية ، أو يشاركوا في صفوف الخارجين على الخلافة العربية المسلمة ، ومن القرائن على ذلك :

موقف أبو لؤلؤة فيروز المجوسي من الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حيث اغتال أميرَ المؤمنين في صلاة الفجر ، ثم قتل نفسه. وقد سبق أن دار حوار بين الخليفة عمر رضي الله عنه وبين أبي لؤلؤة المجوسي ، أدرك منه عمر رضي الله عنه ما يحاك عليه ، حيث قال :" أما العبد فقد أوعدني آنفاً ..." [2].

وهذه الحادثة تدل على بداية ظهور الفكر الشعوبي على أرض الواقع ، وتطبيق الانتقام الشعوبي

---

[1] صحيح مسلم ، رقم : ٢٥٤٦

[2] أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ، كتاب المغازي ، في حديث أبي لؤلؤة قاتل عمر ، رقم : ١٠٥٣٦ ، وانظر: مروج الذهب : ٢ / ٣٠٢ ، والبداية والنهاية : ٧ / ١٩٢.

المجوسي الفارسي ، من الخلافة العربية المسلمة الراشدة.

حيث أن جرأة ذاك المجوسي على قتل الخليفة عمر بن الخطاب ، الذي يهابه القريب والبعيد ، لهي دليل على الحقد الشعوبي الدفين تجاه العرب والمسلمين ، ويبعد قطعاً أن يكون ذاك المجوسي فعل فعلته للمطالبة بالمساواة بغيره ، كما يروج لذلك أهل التسوية ، ومَنْ تبعهم على ذلك ممن نظر للشعوبية بأنها حركة اجتماعية فقط لطلب المساواة ؛ لأن الخليفة عمرُ رضي الله عنه ، كان عادلاً وقَّافاً على حدود الله ، شهد بعدله المسلم وغير المسلم ، بل قد ثبت عنه رضي الله عنه أنه أمر بالمعروف لذاك المجوسي الذي قتله ، فلما علم عمر أن قاتله هو أبو لؤلؤة ، قال : ... الصنَع[١] ؟ قاتله الله ، لقد أمرت به معروفاً ... " [٢]، وإلا فما هو الذنب الذي اقترفه عمر رضي الله عنه ، حتى يغتاله ذاك المجوسي الزنديق؟! .

وقد خطب عمرُ رضي الله عنه خطبة بالناس وذكر فيها كلاماً عظيماً ، – والذي يظهر والله أعلم – أنها تشهد لهذه القصة بأن تكون بداية لانطلاق الكيد الشعوبي المجوسي بالخلافة المسلمة العربية ، وبالكيد للدين الاسلامي كله ، فكان مما قاله رضي الله عنه في خطبته : " إني رأيت كأن ديكاً نقرني ثلاث نَقَرَات[٣]، وإني لا أُراه إلا حضور أجلي ، وإن أقواماً يأمرونني أن أستخلف ، وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته ... وإني قد علمت أن أقواماً يطعنون في هذا الأمر[٤] ، أنا ضَرَبْتهم بيدي هذه على الإسلام[٥] ، فإن فعلوا ذلك ، فأولئك أعداء الله

---

[١] الصنَع : هو الماهر بالصناعة والحاذق فيها ، انظر : المصباح المنير ، ص : ٢٨٧

[٢] انظر : القصة كاملة في صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان وفيه مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، برقم : ٣٧٠٠ ، وانظر فتح الباري : ٧ / ٧٩

[٣] وعند ابن سعد في الطبقات أنه : حكى لأسماء بنت عميس – رضي الله عنها– ما رأى ، فحدثته أنه يقتله رجل من الأعاجم . انظر : ٣ / ٣١١ .

[٤] أي في أمر الخلافة .

[٥] أي : جاهدتهم وقاتلتهم حتى دخلوا في الإسلام ، وأذعنوا له .

الكفرة الضُّلَّال[1] ..." [2].

وظل هذا الموقف الشعوبي من أبي لؤلؤة المجوسي الزنديق محل إعجاب وإكبار من قبل أولئك الفرس المجوس الشعوبيين ، ويذكره علماؤهم في مصنفاتهم بالتراجم الدالة على فخرهم به وإكبارهم بصنيعه ، ومنهم : الميرزا عبد الله أفندي الأصبهاني[3] ، في كتابه : رياض العلماء وحياض الفضلاء ، فيقول عنه : " أبو لؤلؤة فيروز ، الملقب بشجاع الدين ، النهاوندي الأصل والمولد ، ثم المدني ، قاتل عمر بن الخطاب .... " [4] ، ويقول أيضاً : " ... وإنما أوردنا هذا الرجل في كتابنا هذا مع أنه ليس من العلماء ولا من طبقة الرجال المتأخرين عن زمن الغيبة ، لوجهين : الأول : أن هذا الرجل لم يتعرضوا من أحواله في كتب رجال أصحابنا بما يكتفى به ، فضلاً عن بعض أحواله . الثاني : أن العلم ثمرته العمل ، وإنما كان عمله أكمل الأعمال ، وأتمها وأجملها ، جزاه الله خيراً .... " [5] ، ثم قال : " ... ثما اعلم أن فيروز الموفق لقتل عمر هذا كان من أكابر المسلمين والمجاهدين ، بل من خلّص أتباع أمير المؤمنين عليه السلام ، وما قالت العامة في ذمه لغاية عنادهم ، كله هذيان ... " [6].

فهم يعظمون أبا لؤلؤة أشد التعظيم ، ويكنونه بشجاع الدين وغيره من الألقاب ، وجعلوا له مزاراً في إيران ، وجعلوا اليوم الذي اغتال فيه عمر بن الخطاب ، عيداً مُعظّماً عندهم ، يستحلون فيه المحرمات ، زعماً بأن التكاليف ترتفع عنهم في ذلك اليوم ، ويسمونه – يوم الغفران – ، ولا يزال

---

[1] بيان منه رضي الله عنه أنه لا يطعن في خلافة المسلمين ولا ينال منها ويكيد لها إلا الكفرة الضلال ، كما هو فعل الشعوبيين .

[2] صحيح مسلم ، برقم : ٥٦٧.

[3] هو : الميرزا عبد الله بن عيسى الأصبهاني ، المشهور بالتبريزي الأفندي ، من كبار علماء المذهب الإمامي في القرن الثاني عشر الهجري ، وممن يوصف عندهم بالحجة ، له مصنفات كثيرة بالعربية والفارسية ، ومن أشهرها : كتابه هذا – رياض العلماء – ، توفي عام : ١١٣٠هـ ، انظر : أعيان الشيعة ، محسن الأمين ، والأعلام : ٤ / ١١٢ .

[4] رياض العلماء : ٤ / ٣٧٨

[5] المرجع السابق : ٤ / ٣٨١ ، ٣٨٢ .

[6] المرجع السابق : ٤ / ٣٨٤ .

الفرس المجوس منذ ذلك الحين وحتى يومك هذا على هذا الاعتقاد وما يلحقه من طقوس واحتفالات ، وابتدعوا أدعية وأذكاراً على ذلك الخليفة الراشد ، وكل ذلك لأن دولتهم المجوسية الفارسية ، زالت على يده رضي الله عنه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً (١).

إن تعظيم الفرس المجوس لذلك الاغتيال الآثم ، وتلفيق الطقوس المجوسية عليه ، لهو دليل واضح على الحقد الشعوبي السرمدي ، وكما خطط أولئك لاغتيال الخليفة الراشد ، فلن يتوقفوا عند ذلك بل سيتعدون إلى غيره ، وقد حصل وما زال ، فالاغتيالات والغيلة من دأبهم وصفاتهم على مر التاريخ . وهذا يدل أيضاً على أن الحركة الشعوبية لا تقف فقط عند الجانب الفكري العقدي ، بل تتعداه إلى الجانب العملي باستهداف المسلمين في دولتهم وأمرائهم وعلمائهم وأنفسهم .

الثالثة : قوم أظهروا الإسلام وأبطنوا العصبية الفارسية ، وظلت الاتهامات تحوم حول صدق إيمانهم ، لكن ظهر منهم ما يستحقون الاتهام عليه ، ومن ذلك : موقف الهرمزان الفارسي ملك الأهواز الذي لما اعْتُقل بعد (فتح تُسْتَر ، سنة ١٧ هـ) ، طلب أن ينزل على حكم الخليفة عمر بن الخطاب ، ولما وقف على عمر ، لم يُسْلم مباشرة ، بل أخذ يراوغ ويحاور أمير المؤمنين ، ولما رأى أنه لن ينجيه إلا أن يسلم ، أظهر إسلامه (٢). وقد كان الهرمزان على علاقة بأبي لؤلؤة المجوسي في المدينة ، واتُّهم بالتخطيط معه لاغتيال الخليفة عمر رضي الله عنه ، ومما يدل على ذلك ما أخرجه الإمام عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه ، حيث قال : " قال الزهري : فأخبرني سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن بن أبي بكر -ولم نجرب عليه كذبة قط - قال : حين قُتل عمرُ انتهيت إلى الهرمزان وجُفَيْنَة وأبي لؤلؤة وهم نَجِيٌّ ، فبَغَتُّهُم فثاروا وسقط من بينهم خنجر له رأسان ، نصابه في وسطه فقال عبد الرحمن : فانظروا بما قُتل عمر ؟ فنظروا فوجدوه خنجراً على النعت الذي نعت عبد الرحمن قال : فخرج عبيد الله بن عمر مشتملاً على السيف حتى أتى الهرمزان فقال : اصحبني حتى ننظر إلى فرَس لي وكان الهرمزان بصيراً بالخيل ، فخرج يمشي بين يديه ، فعلاه عبيدُ الله بالسيف ، فلما وجد حرَّ السيف قال : لا إله إلا الله ، فقتله ، ثم أتى جفينةَ -وكان نصرانياً - فدعاه فلما أشرف له علاه بالسيف فصَلَب بين عينيه ، ثم أتى ابنةَ

---

(١) انظر : يوم الغفران ، للشيخ : محمد مال الله الخالدي ، ص : ٦٣ وما بعدها .

(٢) انظر : تاريخ الطبري ١ / ٨٥١ – ٨٥٤ ، والبداية والنهاية : ٧ / ١٥٠، ١٥١

أبي لؤلؤة ، جارية صغيرة تدّعي الإسلام – فقتلها ، فأظلمت المدينة يومئذ على أهلها ، ثم أقبل بالسيف صلتاً في يده وهو يقول : والله لا أترك في المدينة سبياً إلا قتلته وغيرَهم ، وكأنه يعرّض بناس من المهاجرين ، فجعلوا يقولون له : ألْقِ السيف ، ويأبى ويهابونه أن يقربوا منه ، حتى أتاه عمرو بن العاص فقال : أعطني السيف يا ابن أخي ، فأعطاه إياه ، ثم ثار إليه عثمان فأخذ برأسه فتناصيا حتى حجز الناس بينهما ، فلما ولي عثمانُ قال : أشيروا علي في هذا الرجل الذي فتق في الإسلام ما فتق ، يعني عبيد الله بن عمر ، فأشار عليه المهاجرون أن يقتله ، وقال جماعة من الناس : أَقُتِل عمر أمس وتريدون أن تتبعوه ابنه اليوم ؟ أَبْعَدَ الله الهرمزان وجفينة قال : فقام عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الأمر ولَك على الناس من سلطان ، إنما كان هذا الأمر ولا سلطان لك ، فاصفح عنه يا أمير المؤمنين قال : فتفرق الناس على خطبة عمرو ، وودَى عثمانُ الرجلين والجارية " [1]. " قال الزهري : وأخبرني حمزة بن عبد الله بن عمر قال : يرحم الله حفصة إن كانت لممن شجع عبيد الله على قتل الهرمزان وجفينة " [2].

وبعد مقتل عمر رضي الله عنه بدأ يظهر النزاع والخلاف بين العرب والعجم ، واشتدت النزعة العدائية من الفرس المجوس قابلتها عصبية عربية اشتدت بين الطرفين ، نتج عنها امتداد الخلاف بين القبائل وحلفائهم من الأعاجم والموالي ، فذهبت كل عصبة تشد قومها ؛ فنشأت الفرقة بينهم. ثم ظهرت دعوى من العجم عموماً والفرس أنْشَطُهم أيام الدولة الأموية ، وهي الدعوة إلى المساواة بالعرب في كل شيء ، وأن الجنس العربي لا يفضل الجنس الفارسي ، وهم الذين عرفوا بـ (أهل التسوية) . والذي يظهر أن هذه الدعوة ظهرت بعد أن كان كثير من الفرس قد تقلد وظائف في الدولة الأموية ، خصوصاً في جانب المكاتبات ودواوين الخراج ، فقد كان كُتّاب ديوان الخراج في العراق بالفارسية ، وديوان الشام بالرومية ، ثم استعاض الخلفاء الأمويون بالكُتّاب

---

(١) مصنف عبد الرزاق ، كتاب المغازي ، رقم : ١٠٥٣٨.

(٢) المرجع السابق ، رقم : ١٠٥٣٩، وعند ابن سعد في الطبقات أن عبد الرحمن بن عوف ﷺ رأى السكين التي قُتل بها عمر ، فقال : رأيت هذه أمس مع الهرمزان وجُفينة ، فقلت ما تصنعان بهذه السكين ؟ فقالا: نقطع بها اللحم ... ، انظر : ٣ / ٣٢٤ .

من العرب وباللغة العربية ، فامتعض الفرس وغيرهم من هذا الصنيع [1].

وبعد الدعوة إلى المساواة ظهرت الدعوة إلى تفضيل جنس العجم على العرب من خلال القصائد والأشعار ، والطعن في العرب وذكر مثالب فيهم ، ثم بعد ذلك صارت الدعوة للشعوبية بصراحة وعلن ، وترتب عليها الخروج والثورات على الخلافة الإسلامية ، حتى ظهرت عقيدتهم التي تجسد حقيقتهم وأهدافهم ، وهي : هدم الدين الإسلامي ، وإحياء الوثنيات المجوسية ، والسعي لاستعادة الحكم الفارسي الكسروي [2].

هذه هي عقيدتهم التي بنوا عليها حركتهم العنصرية القومية قديماً وحديثاً ، وإذا كانت لهم هذه العقيدة ، فلا بد أن يسعوا ليقيموا لها دولة وشوكة ؛ لذا تجد أن من أساسيات هذه الدعوة إسقاط جميع الدول الإسلامية العربية ، وتجدهم أيضاً في كل ثورة خارجة على الدول الإسلامية وخصوصاً العربية منها . كما أوجدوا لهم ديناً من خلق أنفسهم بما وضعوه من تحريفات وزندقة وإلحاد ، مع العداوة الشديدة والحقد الدفين على الإسلام وأهله ، الذي يشوه كل حسن مهما بلغ حسنه ، فمهما فعل المسلمون من خير لا يرونه شيئاً ؛ لذا تجدهم يجتهدون في تشويه التاريخ الاسلامي بمعونة الغرب المستشرقين [3].

فمتى أيقنا ما هي العقيدة التي قاموا عليها ، أيقنا أن الشعوبية بلاء ووباء على الإسلام وأهله .

---

[1] انظر : تاريخ ابن خلدون : ١ / ١٣٦ ، ١٣٧.

[2] انظر : موسوعة السياسة ، ٣ / ٤٨٣ .

[3] انظر : محاضرات إسلامية هادفة ، ص : ٩٢ – ١٠٣

المبحث الثالث : عوامل ظهور الشعوبية وتطورها وانتشارها

في إطار تتبع الحركة الشعوبية لا بد من النظر إلى العوامل التي ارتبطت بها هذه الحركة وساعدت في ظهورها بين الناس ، فقد تكلمنا سابقاً بأن هذه الحركة الخبيثة تتشكل وتتلون حسب قوتها وضعفها . وهذه العوامل إما أن يكون إحداثها من أولئك الشعوبيين ، أو من غيرهم لكنهم استغلوها في صالحهم ، وامتطوها لنيل مآربهم ، وفي كلا الحالين ثمة خطر عظيم ، وتحذير لا بد أن يستبين : وهو أن الحركات الهدامة التي تحارب المسلمين ، تستدعي قلوباً واعية وفهوماً مدركة ، تعرف الصديق من العدو ، وتفضح مظاهر التزييف والتعتيم ، التي يندس خلفها أعداء الدين . وقد رأينا في المبحث السابق كيف ادعى الشعوبيون الطلب بالمساواة ، وحقيقتهم الدعوة إلى إسقاط الخلافة العربية المسلمة . وأبرز العوامل التي كان لها دور في إظهار هذه الحركة ، هي :

أولاً : ظهور الدعوة العباسية (بدايات قيام الدولة العباسية)

كانت الدعوة العباسية قائمة في السر ، وتخطط لإزالة حكم بني أمية ، واسترجاع الخلافة للبيت الهاشمي. وكان مركزهم الحُمَيْمة[(١)] ، ونقطة اتصالاتهم الكوفة ، وأما انطلاقها فكان بخراسان ، التي كان أميرها للأمويين نصر بن سيار آنذاك . وقد استغل العباسيون وقائدهم إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، الاحتقان الموجود في نفوس فئة من الأعاجم والموالي ، فكانوا يداً محاربة بقوة في ذلك . ولقيت هذه الدعوة رواجاً كبيراً ، إضافة للاستعطاف بالدعوة لتمكين آل البيت من الخلافة. بدأ إبراهيم الإمام بمكاتبة القواد ومن معه على هذه الطريقة ، وكان من أبرزهم أبو مسلم الخراساني ، حيث أوعز إليه بإظهار الدعوة للدولة العباسية بخراسان التي كانت تشهد اضطرابات فكرية عقدية ، وسياسية على بني أمية ، وكان لبعدها عن عاصمة الدولة سبباً لذلك أيضاً ، حتى قيل إن إبراهيم الإمام أوعز لأبي مسلم بتغير اسمه من باب التخفي والتلون عن الأمويين [(٢)].

استطاع أبو مسلم أن يُحكم قبضته على خراسان وأن ينتزعها من بني أمية ، ثم أظهر الدعوة إلى

---

(١) الحُميمة : بلفظ تصغير – الحُمَّة – ، بلد من أرض الشراة من أعمال عَمَّان في أطراف الشام ، كانت منزل بني العباس ، انظر : معجم البلدان : ١ / ٣٨٤

(٢) انظر : الكامل في التاريخ : ٤ / ٤٦١ .

بيعة الخليفة الجديد إبراهيم الإمام ، حتى نصب له الراية ، وعقد له اللواء في رمضان سنة ١٢٩هـ ، واجتمع حوله الناس بالآلاف ، واستمر بالتقدم حتى ضم مرو عاصمة خراسان ، إلى أن وصل إلى البصرة بالعراق واقتحمها ، وتمت البيعة في بغداد لأبي العباس السفاح عام ١٣٢هـ (١).

ومما يدل على ظهور النزعة الشعوبية هنا أن حركة أبي مسلم ومن معه في خراسان قابلها حركة وثورة من العرب الموجودين في خراسان ، وذلك بعد تولي أبي مسلم الخراساني الفارسي مقاليد كل شيء وأصبح أبو العباس السفاح لا ينفك عن مشورته ورأيه في كل شؤون الدولة. استغل أبو مسلم هذا النفوذ ، وعين في كثير من المناصب جمعاً من أعوانه ومن على طريقته. وقد ضاق أبو جعفر المنصور ذرعاً بأبي مسلم ، لِما رأى من نفوذه وطاعة الجند له ، وكذلك شدة سطوته حتى قيل أنه قتل ستمائة ألف صبراً ، فأشار على السفاح بقتله والتخلص منه ؛ لأنه أدرك أن الرجل يخطط لانتزاع الخلافة العباسية بعد أن كان داعياً لها ، حيث أن أبا مسلم يتحلى أيضاً بالقوة والشجاعة والفروسية والدهاء ، وهذا يسهل عليه تولي القيادة ، إلا أن السفاح لم يقبل بذلك ، لكن أبا جعفر المنصور بعد توليه الحكم استطاع التخلص من أبي مسلم وأن يقتله (٢). ومع قتل أبي مسلم كان أتباعه يحاولون الانتقام والأخذ بالثأر ، والمنصور يداريهم ويحاول استرضائهم نظراً لكثرتهم ، ولخوف المنصور أن يؤثروا على الدولة في خلافته (٣). والشاهد مما تقدم عرضه أنه كان لقيام الدعوة العباسية دور في تقريب وتقوية أولئك الفرس المجوس ، الذي يكيدون بالخلافة العربية الإسلامية .

الثاني : إسناد المناصب المهمة في الدولة لذوي الولاء المجوسي الفارسي

المناصب المهمة والحساسة في أي دولة وخلافة لا ينبغي أن توعز إلا لذوي الأمانة والدين ؛ لأنها أشبه بمفاصل الجسم ، فمتى وجدت من يعطلها ، انشلت حركة الجسم . وكذلك في شؤون الدولة لا بد من تحقق الجانب الديني والدنيوي فيمن يباشر مهام الحكم . ولم يؤت الإسلام وأهله في أكثر نكباته إلا من هذا الباب ، حين يُوسّد الأمر لغير أهله .

---

(١) انظر : الأخبار الطوال ، ص : ٣٢٣ – ٣٦٩ ، والعرب والفرس ، عبد المنعم سلطان : ٥٥ – ٧٦

(٢) انظر : الكامل في التاريخ : ٥ / ١٠٥ – ١١٢.

(٣) انظر : التاريخ الإسلامي ، ص :٥ / ٩٤ – ١٠٦

وقد كان هذا العامل سبباً في إظهار الحركة الشعوبية الفارسية ، ومن الأمثلة على ذلك تولي البرامكة للمناصب المهمة في الدولة العباسية ، حتى تحكموا بشؤون الدولة ، وحظوا بمنازل لم يحظ بها أحد ، واستفحلوا حتى استعصوا على الخليفة نفسه – هارون الرشيد [1]– .

يرجع نسب البرامكة إلى برمك ، وهو لقب كان يطلق على جد هذه الأسرة ، ويعني : رئيس سدنة المعبد ، وكان هذا المعبد قرب بلخ من قرى خراسان ، كان يعرف باسم – نوبنهار أي : المعبد الجديد ، يقوم عليه وعلى النار المجوسية التي يعظمونها . وأول جد أظهر إسلامه من هذه الأسرة هو خالد بن برمك[2] ، الذي دخل في الدعوة العباسية منذ بدايتها مع أبي مسلم الخراساني ، وحارب معه الأمويين ، ثم بعد ذلك استعمله أبو العباس السفاح على الدواوين، ثم على بعض الأقاليم أيام المنصور ، حتى توفي عام ١٦٥هـ. استمر ابنه بعده يحيى بن خالد في عهد المنصور والياً لبعض الولايات والقيام على شؤون العسكر ، وازداد نفوذه بأن كان مربياً وكاتباً لهارون الرشيد ، واستمر في نفوذه يعزل من يشاء ويضع من يشاء [3].

يوصف البرامكة بالثقافة الهندية والفارسية ، ولهم عناية بالأدب واللغة ومجالسها ، وكانت تلك مصدراً لاستمالة الناس إليهم ، حتى حلت بهم النكبة المشهورة على يد الرشيد ، عام ١٨٧هـ .

قيل :لأنهم أظهروا الزندقة وقربوا أهلها [4]، وقيل : لوضعهم مجالس اللهو والخمور في دار الخلافة ، وقيل : لأنهم كانوا يحاولون بالرشيد أن يضع ناراً على الكعبة ، يريدون إحياء الشعائر المجوسية

---

[1] هو الخليفة : هارون الملقب بالرشيد ابن محمد (الخليفة المهدي) ابن الخليفة المنصور ، ولد سنة ١٤٩هـ ، خامس الخلفاء العباسيين ، ولد بالري لما كان أبوه أميراً عليها ، نشأ بدار الخلافة ببغداد ، كان عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه ، فصيحاً ، كثير الغزوات ، ويلقب : بجبّار بني العباس ، كان كريماً متواضعاً ، يحج سنة ويغزو سنة ، محباً للعلم وأهله ، وكان يجتمع له العلماء والشعراء والكتاب ، توفي سنة ١٩٣هـ ، ومدة خلافته : ثلاثة وعشرون سنة ، انظر : السير ٨ / ١٨٩ ، وتاريخ الخلفاء : ٢٥٣ – ٢٦٤، والأعلام : ٨ / ٦٢.

[2] انظر : الأعلام : ٢ / ٢٩٥

[3] انظر : العرب والفرس ، ص ١٧٢– ١٨٠.

[4] انظر : الفهرست لابن النديم ، ص : ٤٥٨ .

، ديانتهم القديمة ، ولا يستغرب هذا ممن ولاءهم الدائم للفرس المجوس[1].

ولم تنته ردة فعل الفرس المجوس بعد هذا ، بل شوهوا تاريخ خلافة هارون الرشيد ، ووصفوه بأبشع القصص والأخلاق [2]. ومن المهم الإشارة إليه ، أن هذه الحادثة لها مثيلاتها التي تكررت من قبل ومن بعد ، التي تبين الولاء الفارسي المجوسي لمن وَلِي منصباً في الخلافة : فالمنصور تخلص من أبي مسلم ، والمأمون تخلص من الفضل بن سهل وقتله [3] ، والمعتصم الخليفة العباسي قتل قائد جيشه الأفشين بعد محاكمته [4] ، وكل أولئك تقلدوا مناصب مهمة في الدول العباسية ، ويوالون الفرس المجوس ، فهل يعقل أن يكون ذلك محض مصادفة ؟ ، لا شك أن الشعوبية ، وحب السيطرة والاستيلاء على الخلافة كانت تجري في دمائهم .

الثالث : تأثير الشعوبيين على بيت الحكم

وذلك من خلال ارتباطهم بالبيت الحاكم من جهة النكاح أو التسري ، وهذا قد وجد كثيراً في الدولة العباسية. حيث كان هذا التوسع مدخلاً لنفوذ الفرس إلى التأثير على أداء شؤون الدولة . فإذا ما علمنا أن أم الرشيد هي خيزران – أم ولد فارسية – . أعتقها المهدي ثم تزوجها ، وصارت أماً لابنيه : الهادي وهارون الرشيد .

وُصِفَت بعصبيتها الفارسية ، وتدخلها في أمور الحكم ، زيادة في النفوذ . حتى قيل أن المواكب كانت تغدوا وتروح على بابها قبل التوجه للخليفة نفسه [5].

كذلك المأمون أمه أم ولد فارسية اسمها – مراجل الباذغيسية [6]– ، وهذا كان له الأثر الكبير على حياة المأمون أيام ولاية أبيه الرشيد وبعده . فإذا كان هذا هو حال أقارب الخليفة ، فسيؤثر ذلك حتماً على البيت ، وسيؤثر على شخصية الحاكم وطريقة إدارته للخلافة ، وسيكون مدخلاً

---

(1) انظر : التبصير في الدين ، ص : ١٤٢. ، والبداية والنهاية : ١٠ / ٤١ – ٥٠.

(2) انظر : التاريخ الإسلامي ٥ / ١٥١ .

(3) سيأتي الكلام عنه قريباً .

(4) سيأتي ذكره في الحديث عن ثورة بابك الخرّمي .

(5) انظر : الأعلام : ٢ / ٣٢٨

(6) نسبة إلى – باذغيس – ، وهي ناحية من أعمال هراة ومرو الروذ ، انظر : معجم البلدان : ١ / ٣٩٧ .

لنفوذ المجوس الفرس .

ومن الشواهد على ذلك : ارتباط الفضل بن سهل الفارسي بالمأمون وإغرائه بنقل العاصمة إلى خراسان ، ثم إشعال نار الفتنة مع أخيه الأمين ، التي كانت نهايتها قتل المأمون للأمين [(١)]. واستمر الفضل هذا في التصاقه بالمأمون ، وأثر عليه من جهة حجب الأخبار عنه ، وعزله عن متابعة شؤون الخلافة . وأصبح الفضل هو الذي يدير شئون الدولة في بلاد خراسان وما حولها ويعين من يشاء باسم المأمون[(٢)]، فجعل أخاه الحسن بن سهل أميراً على منطقة الغرب الإسلامي (فارس وكور الجبل والأهواز والعراق والحجاز واليمن) ، وعين طاهر بن الحسين[(٣)] على أجزاء من الشمال والغرب وجعل عاصمتها الرقة ، وعين بعض أقاربه في شئون الخراج والمكاتبات ، وبهذا أصبحت الدولة تحت سيطرة الإدارة الفارسية [(٤)]. واستطاع الفضل بن سهل أن يقنع المأمون بأن يعهد إلى علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بالولاية ، ولقبه بالرضا لآل محمد ، لكن قيل أن الكاظم توفي قبل أن يتم ذلك الأمر[(٥)]. ولعلم الفضل من قبل بأن المأمون كان متعاطفاً مع العلويين ، ومتأثراً بكثرة أعوانه من الفرس ، فوافق هذا ما عند الفرس المجوس من الدعوة لإعادة الخلافة لبني هاشم ، وفي الحقيقة أن الفضل بن سهل كان يمهد لإسقاط الخلافة العباسية ، ويتولاها بنفسه ، ليعيد مملكته الفارسية ، كما كان يمني نفسه بذلك ، بل من شدة تأثير الفرس على المأمون وتأثره بهم أنه لبس الخصرة وهي شعارة الفرس المجوس ، وخلع السواد

---

(١) انظر : البداية والنهاية : ١٠ / ٦٩ – ٨٥.

(٢) وسماه المأمون بذي الرياستين ، أي : رئاسة الحرب وتدبير البلاد ، انظر : الوزراء والكتاب : ٤٢٩ .

(٣) هو : أبو الطيب طاهر بن الحسين بن مصعب بن رُزيق بن ماهان من سلالة الملك الفارسي رستم ، الخزاعي ولاء ، كان يلقب بذي اليمينين ، وكان من أكبر أعوان المأمون ، وهو الذي تولى قتل الأمين في الفتنة التي دارت بين الأمين والمأمون ، وسببها تأثير الفرس على المأمون ، ولي خراسان ، وتوسع بعد ذلك في إدارة شئون الدولة ، وبعد فترة استوحش منه المأمون ، قيل : لأنه الذي دبر مقتل أخيه الأمين ، مات مطعوناً ، وقيل : مسموماً ، انظر : وفيات الأعيان : ١ / ٤٣٣ – ٤٣٦ ، والأعلام : ٣ / ٢٢١ .

(٤) انظر : البداية والنهاية : ١٠ / ٩٦

(٥) انظر : السير ٨ / ٢٥٢ .

وهو لباس دولته [1].

وقام الفضل بإحياء بعض الشعائر الفارسية ، حيث كان يُحمل كالخليفة على كرسي مجنح ، وكان يلبس الأخضر من اللباس وهو عادة أمراء الفرس . وبعد استفحال ذلك النفوذ ، أدى ذلك إلى غضب القواد العرب من سياسة المأمون التي سلمها للفرس ، واستأثروا بكل شؤون الدولة ، وأصبح أولئك القواد ينكرون ذلك الفعل على المأمون ، ومن أشهرهم : هرثمة بن أعين[2] ، وهرثمة هذا كان يسمي الفضل ويصفه بالمجوسية حتى أمام المأمون ، ويندد بأفعاله وتدخلاته في شئون البلاد. وفي إحدى المرات دخل هرثمة على المأمون ليكلمه في ذلك ، فصادف وجود الفضل بن سهل وهو يحمل على كرسي مجنح ، فغضب هرثمة من ذلك المنظر ، ورفض أن يخرج من المجلس حتى يُدفع إليه الفضل بن سهل لينتقم منه ، فغضب المأمون لذلك وأمر بهرثمة للحبس، فقُتل بعد ذلك بأمر الفضل بن سهل [3].

وهكذا هي طريقة الشعوبيين ، أن يتخلصوا من كل مَنْ يحاول أن يصد حركتهم وتمددها .

وبعد مقتل هرثمة ازداد غضب الناس على المأمون وأصبحوا يعيبون عليه ويلقبونه بـ أمير الكافرين. وقامت كذلك بعض الثورات على المأمون ، مثل : ثورة إبراهيم بن المهدي في بغداد ، رداً على نقل العاصمة لخراسان ، واستيلاء الفرس على كثير من أمور الدولة [4]. وأصبحت البلاد في فوضى واضطراب ، وهذا ما يريده الشعوبيون . لكن استطاع المأمون أن يقضي على تلك

---

[1] انظر : تاريخ الإسلام ، حسن إبراهيم : ٢ / ٥٨ – ٦٢ .

[2] هو : هرثمة بن أعين ، أمير من القادة الشجعان ، كانت له عناية بالعمران ، ولاه الرشيد مصر ووجهه إلى أفريقية لإخضاع عصاتها ، وبعد ذلك ولاه الرشيد على خراسان ، ولما كانت الفتنة بين الأمين والمأمون ، انحاز للمأمون ، اتهمه المأمون بممالأة إبراهيم بن المهدي أو بالتراخي في قتال أبي السرايا في ثورته ، وكان دخوله على المأمون ليحذره من الفضل بن سهل واستيلاء الفرس على شئون الخلافة ، سبب لحبسه وقتله ؛ لأن الفضل كان يبغض هرثمة ، فقيل : أنه دس إليه من يقتله في حبسه ، انظر : البداية والنهاية ١٠ / ٨٩ ، والأعلام : ٨ / ٨١ .

[3] انظر : الوزراء والكتاب ، ص : ٤٤١ – ٤٤٣ .

[4] انظر : البداية والنهاية : ١٠ / ٩٠

الثورات ، حيث كان لعودته لبغداد وإعادتها عاصمة للعباسيين دور في إخماد تلك الثورات والخلافات .

فقد قيض الله للمأمون رجلاً يدعى – نعيم بن خازم – ، نبهه وبين له مكائد الفرس عليه وعلى دولته ، ومما قاله مخاطباً الفضل بن سهل بحضور المأمون :(إنك تريد أن تزيل الملك عن بني العباس إلى ولد علي ، ثم تحتال عليهم ، تصيّر الملك كسروياً ، ولولا أنك أردت ذلك ، لما عدلت عن لبسة علي وولده وهي البياض ، إلى الخضرة وهي لباس كسرى والمجوس ، ثم أقبل على المأمون فقال : اللهَ اللهَ يا أمير المؤمنين ، لا يخدعنك عن دينك وملكك ، فإن أهل خراسان لا يجيبون إلى بيعة رجل تقطر سيوفهم من دمه ...) [1]. وفي نهاية الأمر سلط اللهُ المأمونَ على الفضل وقتله .

وبعد انتهاء أمر الفضل بن سهل ، ظهر موقف – طاهرُ بن الحسين – ، حيث كان قائداً لجيش المأمون في حربه على الأمين ، واشتد فتكه بالأمين وقتله وقطع رأسه ومثل به .

وبعد ذلك ولاه المأمون على خراسان واشتد تمرده على المأمون ، وبانت حقيقة ما يضمره ، فبدأ بحذف اسم المأمون من خطب الجمع ، وأمسك عن الدعاء له . وكان يحاول أن ينفصل عن الدولة العباسية بخراسان ، ويكوّن الدولة الطاهرية ، وعاصمتها مرو ، فلما بلغ ذلك المأمون عزله ، وانتهى أمره بقتله مسموماً على الراجح [2].

وفي ظل السيطرة الفارسية على أمور البلاد ، ظهر إحياء المظاهر المجوسية الفارسية ، من اللباس والاحتفال بالأعياد الفارسية والتهادي في أعياد النيروز وغيرها من الأعياد الفارسية ، ونُشرت حركة الأدب الفارسي ؛ التي استغلها الشعوبيون لتشويه الأدب العربي ، والكتابة في مثالب العرب والطعون فيهم [3].

إن تلك المحاولات من أولئك الشعوبيين تُظْهر عياناً ، وشيئاً فشيئاً ، ما هو كامن في نفوسهم من

---

[1] الوزراء والكتاب ، ص ٤٣٧

[2] انظر : العرب والفرس ، ٢١٤ – ٢١٩

[3] انظر : تاريخ الإسلام ، ٢ / ٣٥٤ – ٣٥٧ .

الإرث الكسروي المجوسي ، ليبددوا نور الفتوحات الإسلامية التي عمت البلاد ، ويعيدوا ظلمات المجوسية واستعباد الكسروية .

فمع بلوغهم المناصب الدنيوية العليا إلا أن نهمتهم لم ترتوي ، ولن ترتوي إلا إذا رأوا أنفسهم يطئون المسلمين بأقدامهم ، ثم يطفئون أنوار التوحيد ، ويعيدون الناس إلى الجاهلية الأولى .

الرابع : التشيع

من المعلوم أن حركة التشيع صارت مظهراً لكل عدو حاقد ، يريد الفتك بالمسلمين من الداخل ، حتى الباطنية لم يألوا أن يدخلوا في حركة التشيع ليخرجوا منها إلى دعواتهم الضالة ، ويفرّخوا من خلالها صنوف الزندقة ، وأضرب الإلحاد .

ولعلم أعداء الملة من الشعوبيين بما لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة ، كان لهم حظ من ذلك التشيع المزعوم. وفي الواقع أن حقيقة دعواهم هو التعصب للعرق الفارسي الشعوبي ، ولهذا شواهد : حيث قاموا بنصرة الخليفة العباسي المأمون على أخيه الأمين ؛ لأن أم المأمون فارسية — كما تقدم — وأم الأمين عباسية قرشية [1]. فلو كانت دعواهم التشيّعية صحيحة فلماذا قدموا المأمون على الأمين ، إذا ما علمنا أن الأمين هو المعهود له أولاً بالخلافة ؟ ، بل على العكس التفوا حول المأمون ، وصرفوه إلى بلاد فارس وخراسان ، وفتنوا بينه وبين أخيه الأمين ، وقد تقدمت الإشارة لذلك ، وكل ذلك كان تحت غطاء التشيع وإعادة الخلافة لآل البيت [2].

واشتدت الدعوة للتشيع من الفرس في خراسان مع ظهور الدعوة العباسية ، ومن الأمثلة على ذلك رجل يدعى : بكير بن ماهان ، فبعد انضمامه للدعوة العباسية ، قام بتنظيم الناس إلى قسمين : عرب ، وموالي وعجم ، وجعل على كل فئة نقباء.

---

[1] هي زبيدة ابنة جعفر المنصور الهاشمية العباسية ، أم جعفر ، زوجة هارون الرشيد وابنة عمه ، من فضليات النساء ، وإليها تنسب عين زبيدة في مكة ، اضطهدها رجال المأمون بعد وفاة الرشيد وقتل الأمين ، ثم كتبت للمأمون فأكرمها وجعل لها قصراً بدار الخلافة ، وكانت مشهورة بالكرم وبذل الخير ، توفيت سنة : ٢١٦هـ ، انظر : البداية والنهاية ١٠ / ١١٠ ، والأعلام : ٣ / ٤٢ .

[2] انظر : الكامل في التاريخ ، ٥ / ٣٥٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٥ .

استمرت الدعوة في السر ، وكانوا يتسترون بزي الحجاج أو التجار . وبعد تمدد هذه الدعوة بدأ بكير بن ماهان ينحرف بها شيئاً فشيئاً ، ويحمل الناس إلى المذهب المجوسي ، وإباحة المحارم ، ونحو ذلك من تعاليم المزدكية . ثم غير اسمه إلى – خدّاش – ، زاعماً بأن هذا بإيعاز من الإمام العباسي . وبدأ يظهر الوصايا الكاذبة بالنيل من العرب وإبادتهم وإحياء أمجاد الفرس ، إلى أن سلط الله عليه والي خراسان للأمويين ، أسد القسري [١]، فقتله[٢].

فهذه الدعوة بدأت بالتشيع لآل البيت ثم خرجت منها إلى الدعوة للعقائد المجوسية وانتهت إلى الدعوة الشعوبية ومحاولة الانفصال وتكوين إمارة خاصة بالفرس الشعوبيين ، وأكتفي هنا بما تقدم لأن جانب التشيع عند الشعوبيين الفرس واضح وسيتكرر في مواضع أخرى .

الخامس : علاقة الشعوبيين بالفرق والأحزاب المخالفة

كان لوجود الفرق المخالفة أثر في ظهور النزعة الشعوبية ، حيث أن بعض الفرق أسست لها مبادئ وأصول كانت سبباً في اعتناق الشعوبيين لها. ومن ذلك الخوارج ، فمن العقائد التي ينادون بها : هو أنه لا حاجة إلى حاكم أو خليفة بين الناس ، وكذلك الدعوة للمساواة بين الناس عرباً وعجماً ، قرشي ومولى[٣] . وبمثل هذه العقائد خرجوا على الحكام ، وقتلوا الناس .

وهذه العقائد لاقت قبولاً عند الفرس الشعوبيين ، من جهة إزاحة الحكام العرب وإسقاط دولهم ، فخرجوا مع الخوارج وظاهروهم ، وكذلك الخوارج كانوا في دعواتهم يستميلون العجم والموالي ، ويؤلبونهم على الحكام بدعوى وجوب رفع الظلم والتسلط الحاصل من الولاة .

وفي الدولة الأموية لم يقم للشعوبيين من الفرس ثورة خالصة فيما يظهر ، لكنهم اشتركوا في عدد

---

[١] هو : أسد بن عبد الله القَسْري البجلي ، أمير من الشجعان ، ولد ونشأ بدمشق ، ولاه أخوه خالد القسري خراسان ، وكان دهاقنة الفرس يهابونه وأسلم البعض على يديه ، توفي في بَلْخ ، سنة ١٢٠هـ ، انظر : البداية والنهاية ٩ / ١٩٠ ، والأعلام : ١ / ٢٩٨ .

[٢] انظر : تاريخ الطبري ، ٢ / ١٧٠٠ ، والأخبار الطوال ، ص : ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، وانظر كتاب : دور الموالي في سقوط الدولة الأموية ، إيمان علي بالنور ، ص : ١٨٣ – ١٩٣.

[٣] انظر : مقالات الإسلاميين : ١ / ٨٤ – ١١٣.

من الثورات التي خرجت على الدولة الأموية [(١)]. فقد كانت الخوراج من أكثر الفرق بلاء على المسلمين ، وكثيراً ما كانوا يهاجمون بعض البلاد في الدولة الأموية كالكوفة والبصرة ، ثم يفرون إلى ناحية بلاد فارس وخراسان ويقيمون فيها ، حينما يدفعهم خلفاء بني أمية عن البلاد [(٢)] .

ومن أشهر الثورات التي خرجت على الدولة الأموية : خروج المختار بن أبي عبيد الثقفي [(٣)]، التي كان من أكثر أتباعه فيها ، أبناء العجم في الكوفة ، وهم من بقايا الفرس الذين نزحوا للعراق بعد الفتح الإسلامي ، وكانوا يسمون بالحُمْر ، أو الحمراء [(٤)] . وكان المختار يزين لأولئك بأن يتبعوه لأنه يطالب بدم الحسين بن علي ، وأنه مرسول من قِبَل المهدي ابن الحنفية [(٥)].

ونتيجة لمثل هذا التظاهر بين الخوارج والفرس ؛ حصل تأثير من العقائد المجوسية على الخوارج أنفسهم ، فمن أشهر فرق الخوارج التي تأثرت بالمجوسية : الميمونية ، أتباع الخارجي ميمون بن عمران [(٦)]، الذي أخذ عن دين المجوس إباحة بنات الأولاد ، وبنات أولاد الإخوة والأخوات ، والعمات ، والخالات ، وبنات الأخ ، وبنات الأخوات ، وهذا من تعاليم المجوسية [(٧)].

وكذلك اليزيدية ، أتباع يزيد بن أنيسة ، الخارجي الإباضي ، الذي تأثر بتعاليم المجوسية وزعم أن الله سيبعث رسولاً من العجم ، وينسخ الإسلام ، وحرف معنى الصابئة في القرآن ، حيث زعم أنهم أتباع ذاك الرسول العجمي الذي سيأتي ، وكان يتولى من شهد بنبوة النبي صلى الله عليه

---

(١) وأما في الدولة العباسية فقامت عدة ثورات شعوبية فارسية ، سيأتي بيانها لاحقاً إن شاء الله .

(٢) انظر : الأخبار الطوال ، ص : ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ .

(٣) سيأتي الكلام عنه ، ص : ١٠٩ ، من هذا البحث .

(٤) انظر : الأخبار الطوال ، ص : ٢٨٨ .

(٥) انظر : تاريخ الطبري ، ١ / ١٣٣٦ ، ١٣٤٠ ، والأخبار الطوال ، ص : ٢٨٨ .

(٦) هو : ميمون بن عمران ، رأس فرقة الميمونية من الخوارج من العجاردة ، وميمون هذا انفرد عن العجاردة بإثبات القدر خيره وشره للعبد ، وإثبات الفعل للعبد خلقاً وإبداعاً ، وان الله يريد الخير دون الشر ، ولم تستحل الميمونية مال أحد خالفهم ما لم يقتل ، ولا يرون سورة يوسف من القرآن ، انظر : الأعلام : ٧ / ٣٤١ .

(٧) ، انظر : الفرق ، ص : ٢٨٧ ، ومقالات الإسلاميين : ص ٨٨ ، ٨٩ .

وسلم وإن لم يدخل في الإسلام ؛ ولذا عدها البغدادي من الفرق الخارجة عن فرق الإسلام (١).

ولا يزال الارتباط والتعاون بين الشعوبيين الفرس والخوارج في زمننا هذا . وهذا نجده في دعم الفرس الإيرانيين للتنظيمات الخارجية ، ومن أمثلة ذلك : تنظيم القاعدة (٢) الذي ينال دعماً من الفرس الصفويين اليوم .

فنظراً لأن دولة إيران الشعوبية هي على حدود مع دولة أفغانستان وباكستان ، اللتين يوجد بهما ذلك التنظيم ، فقد أصبحت إيران هي الممر لأفراد تلك العصابة. فبعد انهيار حكم طالبان ، فر بعض قياداته لإيران ، واتفق الطرفان أن يسْلم الفُرس في دولتهم من حركات وتفجيرات وشغب تلك القاعدة. وفي عام : ٢٠٠١م ، أرسلت الحكومة الإيرانية وفداً لأفغانستان لتضمن تنقل أفراد التنظيم القاعدي مع عوائلهم ، بل كانت عائلة زعيم ذلك التنظيم محتجزة لدى الحكومة الإيرانية الفارسية ، وهذا وفق ما قاله عمر بن لادن لبعض وسائل الإعلام وأن أخاه – خالداً – ناشد المرشد الأعلى للثورة الخمينية – خامنئي – ليأمر بإطلاق سراح تلك العائلة. وبعد حوالي سنة أسست القاعدة لها مجلساً إدارياً في إيران بتكليف من زعيمها أسامة بن لادن ؛ لمساندة التنظيم بأفغانستان وباكستان (٣).

لكن هذا لا يعني أن إيران تتفق مع القاعدة في عقائدها ، لكن توجهها حسب أهدافها ، وتستفيد منهم في التفجير والتدمير الحاصل في البلاد العربية الإسلامية ، خصوصاً دول الخليج . وقدمت لهذا التنظيم التدريبات العسكرية والخطط لتنفيذ مآربها ، وإلا ما تفسير أن تعاني معظم الدول الإسلامية من تخريب القاعدة عدا إيران التي لا يكاد يذكر لهم فيها خطر ، بل على العكس من ذلك كانت لهم أشبه بالحاضنة.

وكذلك من صور تعاون الشعوبيين اليوم مع فرق الخوارج : ما حصل من زيارة مفتي الإباضيين (٤)

---

(١) انظر : الفرق ، ص : ٢٨٥ ، ومقالات الإسلاميين ، ص : ٩٦ ، والملل والنحل : ١ / ١٠٨.

(٢) انظر : القصة الكاملة لخوارج عصرنا ، إبراهيم المحيميد ، ص : ٢٧٦.

(٣) انظر مقالاً بعنوان : إيران والقاعدة خلف الكواليس ، جاسم محمد ، نشر بتاريخ : ٢٩ يونيو ٢٠٠٢ م ، موقع السكينة على الرابط : http://www.assakina.com/news/news٢/١٦٢٣٢.html

(٤) الإباضية : أتباع إمامهم : عبد الله بن إباض ، وهي من فرق الخوارج المشهورة ، ومن عقائدها : أن كفار =

في عمان – أحمد الخليلي – إلى إيران. حيث قام بزيارة للمزارات هناك ، وعدد من المدارس والحوزات ، ومدينة قم . والتقى بالأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية – محسن الأراكي – [1]. وهذا من التناقض البين العجيب ، فكيف يلتقي من يزعم التشيع لآل البيت بمن ينال منهم ؟! .

لكن يظهر أن ثمة أهداف مشتركة فيما بينهم جعلت الفئتين تتقاربان تحت مظلة التقارب بين المذاهب الإسلامية ، وهذا يؤكد أن الفرس الشعوبيين يتسترون قديماً وحاضراً بالتشيع لآل البيت.

وكذلك من الفرق القديمة التي تسلل إليها الشعوبيون : الجهمية [2]، ولا غرابة في ذلك ، فالجهمية من غلاة المرجئة ، حيث إن الإيمان عندهم هو المعرفة فقط ، وأما الكفر فهو الجهل به ، ولا يخفى ما في هذا المقالة من الكفر العظيم . وهذا التقعيد عند غلاة المرجئة من الجهمية وغيرهم ، فتح باب الزندقة والتعطيل والإباحية على مصراعيه ، وصار الشعوبيون يندسون في صفوف الجهمية ، إذ إن دخولهم معهم أهون عندهم من الدخول في صفوف الخوارج أو الراوفض ، هرباً من سطوة السيف ، فاشتهرت الجهمية بالزندقة ، والتعطيل ، وتحريف النصوص .

ومما يوضح دور الجهمية مع الشعوبيين في بلاد فارس وخراسان أيضاً ، ما قام به الجهم بن

الأمة – يقصدون بذلك مخالفيهم من هذه الأمة – برآء من الشرك والإيمان ، وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ، ولكن كفار ، وأجازوا شهادتهم ، وحرموا دمائهم في السر ، واستحلوها علانية . افترقت الإباضية إلى : الحفصية ، والحارثية ، واليزيدية ، وأصحاب طاعة لا يراد الله بها . واليزيدية من غلاتهم ، وقد تقدم الكلام عنها ، ولهم وجود في عمان وزنجبار والمغرب العربي ، انظر : الفرق بين الفرق : ١٠٨ – ١١٧ ، والملل والنحل : ١ / ١٠٧ ، ١٠٨ ، ومقالات الإسلاميين ، ١ / ٩٥ – ١٠٣

(١) انظر الخبر في موقع : عمان ديلي – www.omandaily.com ، وعنوانه : الخليلي يطلع على المعالم الدينية في إيران ، نشر في : ٣٠ سبتمبر ٢٠١٣ م .

(٢) الجهمية : أتباع الجهم بن صفوان ، قالت بالجبر والاضطرار وأنكرت الاستطاعة كلها ، وزعموا أن الجنة والنار تفنيان ، ووصفوا علم الله بأنه حادث ، تنكر جميع الأسماء والصفات ، وهذه الطائفة كفرها السلف ، انظر : الفرق: ص : ٢٠٩ ، ومقالات الإسلاميين ، ص : ١١٤ ، وراجع كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد .

صفوان [١] ، الذي نشط في دعوته في خراسان ، حتى انضم لدعوة الحارث بن سريج ، الذي خرج على الدولة الأموية ، ثم بعد أن اقتنع بمذهب الجهم ، كان يقرأ على الناس مذهب جهم في مجامعهم ؛ حتى فتنهم وأضلهم ، وكان الجهم معه في عسكره وخطيباً له [٢].

ومن الفرق المعاصرة التي ارتبط بها الشعوبيون الفرس اليوم وحصل بينهما التعاون والتوافق : فرقة الإخوان المسلمين ، فالعلاقة بين الفرس الإيرانيين مع فرقة الإخوان المسلمين قديمة وحميمة ، تسبق الثورة الخمينية ، فقد زار الخميني مقر جماعة الإخوان بمصر عام : ١٩٣٨م ، والتقى بمؤسسها حسن البنا [٣]. وبعد الدعوة للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، زار محمد تقي القمي مصر في ١٩٤٥ م ، والتقى أيضاً بمؤسس الجماعة ، وزار الجماعة أيضاً مؤسس الحركة الشيعية الثورية الإيرانية – نواب صفوي ، الذي كان حينها معارضاً لحاكم إيران – الشاه محمد رضا بهلوي – ، بدعوة من الإخوان المسلمين [٤].

وبعد الثورة الخمينية كانت فرقة الإخوان المسلمين ، أول المبادرين بالتهاني والتأييد للثورة ، بل ذكر أحد رموز هذه الجماعة ، وهو يوسف القرضاوي ، أن من ثمار دعوة الإخوان المسلمين ، قيام الثورة الخمينية في إيران ، ووصفها بالإسلامية [٥].

---

[١] هو : الجهم بن صفوان السمرقندي ، الراسبي بالولاء ، أبو محرز ، رأس الجهمية ، كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج ، الخارج على أمراء خراسان ، قتله نصر بن سيار ، قال عنه الذهبي : الضال المبتدع ، هلك في زمان صغار التابعين ، وما علمته روى شيئاً ، لكنه زرع شراً عظيماً . انظر : ميزان الاعتدال : ١ / ٤٢٦ ، والأعلام : ٢ / ١٤١

[٢] انظر كتاب : الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليهما ، ص : ٥١ – ٥٨ ، ومقالات الجهم بن صفوان وأثرها في الفرق الإسلامية ، ياسر قاضي ، ١ / ٥٥ – ٨٢

[٣] انظر : مقالاً بعنوان : الإخوان المسلمون في إيران ، من الخميني إلى خامنئي ، نشر بتاريخ : ١٧ أبريل ٢٠١٤ م ، موقع بوابة الحركات الإسلامية ، على الرابط : http://www.islamist-movements.com/٢٤٦١

[٤] انظر : المصيبة السوداء – أسرار التقارب السياسي والعقائدي بين إيران والإخوان – ، محمد عبد الحليم أبو جاد ، ص : ١٩ ، ٤٦ .

[٥] انظر : أمتنا بين قرنين ، يوسف القرضاوي ، ص : ١١٢ ، ١١٣

وبعد ذلك تأسست جماعة الإخوان في إيران تحت مسمى – جماعة الدعوة والإصلاح – بعد انتصار الخميني مباشرة ، وأصبح لها نشاطاً محموماً داخل إيران . وصدر عن الجماعة كتابات تفخر بما قام به الخميني وتشيد به ، وقاموا بعمل نُصُب تذكارية للإيرانيين الذين ماتوا بسبب قيامهم بالثورة المزعومة ، وقاموا بتنشيط الترجمة الفارسية فيما يتعلق بكتابات الجماعة ، ودعوا للتقارب بين المذهب السني والشيعي . يقول عمر التلمساني – وهو المرشد الثاني لجماعة الإخوان المسلمين – : ولم تفتر علاقة الإخوان بزعماء الشيعة ، فاتصلوا بآية الله الكاشاني ، واستضافوا في مصر نواب صفوي ، كل هذا فعله الإخوان لا ليحملوا الشيعة على ترك مذهبهم ، ولكنهم فعلوه لغرض نبيل ، يدعوا إليه إسلامهم ، وهو محاولة التقريب بين المذاهب الإسلامية إلى أقرب حد ممكن (١) .

وفي موسم حج ١٩٤٨ م التقى حسن البنا مع آية الله الكاشاني – أحد أكبر مراجع الشيعة في العالم – ، واتفقا على عقد مؤتمر عام للتقريب بين الشيعة والسنة ، ولكن البنا لم يتمكن من إكمال هذا المشروع بنفسه بسبب قتله ، لكن استمرت الجماعة على هذا النهج . وكان نتيجة التقريب بين الطرفين : أن الطرفين يقرران بأن الخلاف بينهما من جنس الخلاف الفقهي المعروف بين المذاهب الفقهية الأربعة ، وأن الجميع مجتهد وينشد الحقيقة وإن اختلفت الأساليب (٢).

وهذا والله من الافتيات والبهتان على المسلمين ، فكيف يصنف الخلاف بينهما بالفقهي ، والرافضة لا يشتركون معنا في أي أصل من أصول الاعتقاد ، بل لا يرون السنة مذهباً صحيحاً ، يصح التعبد به . وهذا يؤكد توغل الجانب الشعوبي في بلاد المسلمين وانتشاره ، وكذلك مساعدة بعض الفرق المعاصرة له .

وفي : ٢٨ يناير ١٩٨٢ م ، صرح مرشد الإخوان المسلمين : محمد مهدي عاكف ، في مقابلة له مع وكالة الأنباء الإيرانية بأن : الإخوان يؤيدون أفكار ومفاهيم الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، وأن أفكار الخميني خصوصاً فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ، هي امتداد لتوجه الإخوان نحو

---

(١) مجلة الدعوة – المجلة الرئيسة للجماعة ، عدد ١٠٥ ، نقلاً عن كتاب : المدثرون بعباءات الدين ، محمد عبد الحليم أبو جاد ، ص : ١٢٠

(٢) انظر : الإخوان المسلمون وإيران : الخميني – الخامنئي ، محمد سيد رصاص ، ص : ٩١– ٩٢ .

مكافحة الاحتلال [١].

ويقول : سالم البهنساوي – من قيادات جماعة الإخوان المسلمين – : " منذ أن تكونت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية ، والتي ساهم فيها الإمام البنا ، والإمام القمي ، والتعاون قائم بين الإخوان المسلمين والشيعة ...." [٢].

وبعد وفاة الهالك الخميني أصدرت تلك الجماعة التعزيات والمواساة للشيعة الفرس في وفاة مرشدهم ، ومنهم قائد الجماعة المدعو: حامد أبو النصر ، حيث يقول : " ... الإخوان المسلمون يحتسبون عند الله فقيد الإسلام الإمام الخميني ، القائد الذي فجر الثورة الاسلامية ضد الطغاة ، ويسألون الله له المغفرة والرحمة ، ويقدمون خالص العزاء لحكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، والشعب الإيراني الكريم ..." [٣] .

وهذه العلاقة ممتدة لهذا الوقت ، ولم تتوقف من الطرفين ، فعقب ما سمي بالثورة المصرية التي قامت في : ٢٥ يناير ٢٠١١م ، وجه خامنئي – المرشد الأعلى للثورة الإيرانية الحالي – تحيته للثوار في ميدان التحرير الذي تجمع فيه أتباع تلك الجماعة ، ووصفهم بأنهم أبناء حسن البنا ، وأشار إلى ذكر سيد قطب في خطبته . وألقى خطبته باللغة العربية ، وجعل فوز حزب جماعة الإخوان امتداداً للثورة الخمينية [٤]. بل إن خامنئي نفسه لم يخف إعجابه بسيد قطب ، وهو من زعماء الجماعة ، حيث كان خامنئي له عناية بكتب سيد قطب وترجمتها ، فقد ترجم بالفارسية بعض كتب سيد قطب ، وقدم لها ، ونصح بقراءتها والعناية بها [٥]. وقد صرح مستشار المرشد الأعلى المدعو – علي أكبر ولايتي [٦]– بأن الإخوان المسلمين هم أقرب المجموعات الاسلامية

---

[١] انظر : المصيبة السوداء ، ص : ٢٤ .

[٢] المدثرون بعباءة التدين ، ص : ١٢٠ .

[٣] المصيبة السوداء ، ص : ٢٠ ، ٢١ .

[٤] وكان خطابه ذلك في خطبة جمعة في يوم : ٤ فبراير ٢٠١١م ، ، انظر : الإخوان المسلمون وإيران ، ص : ١١٠ – ١١٣ .

[٥] انظر : المصيبة السوداء ، ص : ١٤٢ ، ١٤٣ .

[٦] كان وزير الخارجية في إيران .

كافة إلى طهران ، وقال : نحن والإخوان أصدقاء ، ونقوم بدعمهم ، وهم الأقرب إلينا عقائدياً ، وذكّرهم بقدم العلاقة ، وبزيارة نواب الدين صفوي لهم في الخمسينات الميلادية الماضية ، وذكر كذلك دعمهم لهذه الجماعة [١].

وبعد فوز الرئيس المصري : محمد مرسي — القيادي بالجماعة – بالرئاسة المصرية ، كانت إيران أول المهنئين له ، وصرحت الخارجية الإيرانية الرسمية مهنئة بذاك الفوز ، كان رئيسها محمود أحمدي نجاد ، أول رئيس يزور مصر ، واشتدت العلاقة بينهما في ظل حكم هذه الفرقة لمصر ، وزاد عدد الحسينيات الرافضية بمصر ، وأصبحت الدعوة للمذهب الرافضي على أشدها [٢].

وفي رد مطمئن للرافضة بعد تلك الثورة المزعومة صرح أحد كبار قادتهم وهو : كمال الهلباوي[٣] قائلاً – في تصريح لجريدة الوطن السياسية الكويتية ، بتاريخ : ٨ / ٧ / ٢٠١٢م – : وضع الشيعة في دول الربيع العربي سيكون أفضل حالاً بوصول الإخوان للحكم .

وبعد الإطاحة بحاكم مصر الذي ينتمي للإخوان المسلمين ، شجبت إيران ذلك واشتد نكيرها ، وأصدر فرع الجماعة بإيران البيانات التي تشجب ذلك العمل وتصفه بالمؤامرة [٤]. والعجيب أنها لم تشجب الاطاحة بالحاكم الذي قبله ، كما شجبت ونددت بما حصل للآخر منهما . والشاهد مما تقدم إثبات العلاقة الحميمة والمؤثرة بين الفرقتين ، فما الذي ستجنيه الأمة من العلاقة بمثل أولئك الروافض المجوس الشعوبيين ، والذين لم يَعُد منهجهم ولا أهدافهم أو عقيدتهم تخفى على العامة فضلاً عن الخاصة. إن من يتولى أولئك الروافض الشعوبيين ، لا شك أنه متهم في ديانته وعقيدته ومنهجه الذي يسير عليه .

---

(١) انظر : موقع قناة العربية ، خبر بعنوان : ولايتي : الإخوان أقرب الجماعات الاسلامية لمعتقداتنا ، بتاريخ : ٢٣ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ ، الموافق : ٤ أبريل ٢٠١٣ م ، http://www.alarabiya.net

(٢) انظر : الإخوان المسلمون وإيران ، ص : ١١١ .

(٣) كان يشغل منصب المتحدث لجماعة الإخوان في الغرب ومؤسس الرابطة الإسلامية في بريطانيا .

(٤) انظر كتاب الخميني والجماعة ، محمد الزمزمي ، ص ٧٥ — ٩٢ .

الباب الثاني : أهداف الشعوبية ، وقسمته إلى تمهيد وثلاثة فصول :

التمهيد : الهدف الأساسي لقيام الشعوبية

الفصل الأول : هدم العقيدة الاسلامية

الفصل الثاني : هدم دولة الإسلام

الفصل الثالث : إسقاط ما للعرب من تاريخ وقيم مشهودة

التمهيد

بعد أن ظهرت الشعوبية وقامت كحركة فكرية هدامة ، وسياسية عدائية ، كان لا بد من تتبع غاياتها وسبر أهدافها ، حيث أن التسلسل الشعوبي لمحاربة العقيدة الاسلامية ، والشريعة جمعاً ، لا يتوقف عند سبيل محدد ، ولا يتردد في طَرْقه لجميع سبل الهدم والتخريب ، والحيلولة دون الاهتداء بنور الوحيين ، بإظهار غياهب الشرك والزندقة والنفاق ، وإرهاق العباد وإزهاقهم بقتر الإلحاد وظلمة الكفر ، ودياجير الغلو ، وبعث الوحشة والاشمئزاز تجاه الإسلام وأهله. ثم تصوير الدخول في الدين الحنيف وسنة المصطفى ﷺ بقيود الأغلال والآصار ، والحرمان من المنفعة الدنيوية ، أو بتصويره كنظام الجباية الجائرة ، والضرائب الماكسة ، التي يُدلى بها إلى ظلمة الحكام ، وفسقة الأئمة المضلين. أو بإقطاعات دهاقنة الفرس المجوس التي تسلطت على حمى الناس ، وأذاقتهم شدة البأس. أو بوضع أسس وتنظيرات فلسفية باطنية جوفاء ، معطِّلِة لمدلول النص الشرعي ، وليست إلى العقل في شيء ، بل إنها أطبقت عليه فصار لا يدرك حقاً ولا يرد باطلاً ، حتى سلخت الروح من الجسد ، فالشعوبيون أعداء الدين والنبوة والصحابة [1]. ثم صار بعد ذلك الانسلاخ من الدين الذي يترتب على انتشار الفكر الشعوبي الباطني ، يأتي الدعاء إلى تعاليم المجوسية الوثنية ، والتبعية للعنصرية الفارسية. وحيث أن الشعوبيين يعلمون يقيناً بأن مصدر القوة والثبات عند المسلمين هو الاستمساك بعقيدتهم الاسلامية ، والاعتصام بحبل الله المتين ، والاجتماع تحت ظل هذه العقيدة. لذلك هم يحرصون ويهدفون إلى زعزعة وهدم ذلك المصدر ، والطعن فيه ، وبث الشكوك والأوهام والخواطر الشيطانية ، حتى ينهدم ركن العقيدة والتوحيد ، ويصبح حال المسلم الموحد كجثمانٍ أجوف أخرق ، لا إيمان فيه ولا اعتقاد. ويعلمون كذلك أن من أساس القوة والثبات والنصر ، الاجتماع في ظل الدولة المسلمة ، تحت راية واحدة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وقد كان هذا هو الحال أيام الخلافة الراشدة .

لكن لما حصل النزاع والتفرق وانتشرت الأهواء وأهلها ؛ أصبح الفكر الشعوبي من تلك الأهواء التي تسللت خلال المسلمين ، وشقت صفوفهم ، في صورة المناداة بالعدل والمساواة والتشيع لآل البيت ، ثم أصبحت المطالبة بإسقاط الدولة العربية المسلمة في صورة إعادة الخلافة لقريش . ولم

---

[1] انظر : قرن السبئية ، ص : ١٥ ، ١٦ .

يعد الأمر فقط متعلقاً بإظهار عقائد دينية وثنية أو استحلال المحرمات ، بل قامت دويلات ذات ولاء فارسي مجوسي ؛ تمهيداً لإعادة الإمبراطورية الفارسية المجوسية ، والانتقام من الدولة العربية المسلمة .

وإن تلكم الدويلات لم يكن قيامها مجرد شغف سياسي ، وطمع دنيوي ، ولا محض مصادقة ، بل شيء مدبر بليل ، كِيد به على الإسلام وأهله .

فقيام القرامطة الباطنية ، والبويهية ، والعبيدية الإسماعيلية ، والصفوية القديمة والحديثة ، كلها امتداد للفكر الشعوبي المجوسي ، وامتداد لحركات ثورية فتقت جسد الدولة المسلمة ، كالمقنعية ، وحركة سنباذ ، والزنج ، والراوندية ، والبابكية [1].

وفي العصر الحاضر ما يسمى بالثورة الخمينية الإمامية ، وفروعها التي صدّرتها لبعض البلاد ، كلها قوالب شعوبية باطنية ، إن اختلفت هياكلها ظاهراً ، لكن اتفقت في داخلها على إفساد الإسلام ديناً ودولة وأهلاً. وهذه الحركة العدائية لم تعد مجرد دعوى أو صراع قومي عنصري ، بل أصبحت مذهباً فكرياً هداماً ، هدفها الأساسي يبدأ بهدم العقيدة الإسلامية ، ثم بعدها القضاء على الدول العربية الاسلامية وتراثها ؛ لذا كان لزاماً البحث والنظر لتتبع أهداف هذه الحركة الشعوبية ، وبيان غاياتها ، وتتبع طرائقهم المنحرفة في تحقيق مرادهم .

---

[1] سيأتي الكلام عن الثورات والدول الشعوبية لاحقاً.

الفصل الأول : هدم العقيدة الإسلامية ، وبيانه في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الدعوة إلى الغلو والزندقة

المبحث الثاني : نشر التأويلات الباطنية المنحرفة

المبحث الثالث : التشكيك والطعن في العقيدة الاسلامية

المبحث الأول : الدعوة إلى الغلو[1] والزندقة [2]

وهذا الجانب من الشعوبيين من أخطر ما ولجوا منه لهدم العقيدة ، وأكثر ما استغله الشعوبيون لإظهار الغلو ثم الزندقة ، مدخلان مهمان ، هما : التشيع لآل البيت وإظهار ودهم ، ثم التعصب لأئمتهم وقادتهم .

فأما التشيع المزعوم لآل البيت ، فقد كان العباءة التي يدس بها الشعوبيون غلوهم وزندقتهم ، حيث إن الفرس المجوس الذين هم السواد الأعظم من الشعوبيين ورثوا الغلو في ملوكهم ، وسلموهم أمور دنياهم ودياناتهم ، إذ يعتقدون انتقال الملك بالوراثة ، لأن الملك عندهم جزء من النور الإلهي[3]. وبعد سقوط دولة المجوس الفرس على أيدي المسلمين بقي سواد عظيم منهم يدين بالمجوسية ، التي هي دينهم الغالب عليهم ، لكن في الباطن. وبعد حصول الفرقة والاختلاف بين الناس ، وانقضاء الخلافة الراشدة ، وظهور التشيع المزعوم ؛ كان الفرس المجوس من أكثر الناس الذين تظاهروا بنصرة آل البيت ؛ لأن عقيدتهم الغالية في ملوكهم لا تصلح –

---

(1) الغلو : أي التشدد ومجاوزة الحد ، وغالى في أمره ، أي : بالغ . وقيل هو : البحث عن بواطن الأشياء والكشف عن عللها وغوامض مُتَعَبَّدَاتها ، انظر : المصباح المنير ، ص : ٣٦٨ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر ، ص : ٦٧٧ . وعرفه ابن تيمية بقوله : " هو مجاوزة الحد ، بأن يزاد الشيء في حَمده أو ذمه على ما يستحق ، ونحو ذلك " ، اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ١٦٣ ، وعليه فالغلو يدخل فيه الإفراط والتفريط .

(2) قال الإمام أحمد عن الزنادقة : هم الذين ينتحلون الإسلام وهم على دينٍ غير ذلك . انظر : المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ، جمع وتحقيق : عبد الإله الأحمدي ، ص: ١ / ٦٨.

وقال ابن تيمية : " الزنديق : هو المنافق ، وإنما يقتله من يقتله إذا ظهر منه أنه يكتم النفاق " ، مجموع الفتاوى: ٧ / ٢١٥ . وقيل هو : الذي يظهر منه ما يدل على إسراره على الكفر ، كطعنه في الإسلام أو مدح ملل الكفر أو نحو ذلك ، بخلاف المنافق الأصلي الذي يُظهر الإيمان ويبطن الكفر ، فالزنديق زائد عن معنى المنافق بأنه يظهر منه ما يدل على كفره . انظر كتاب : الزنادقة ، فرَقهم وعقائدهم وموقف أئمة المسلمين منهم ، سعد العريفي ، ص : ١ / ٢٨ — ٦٥ .

(3) انظر : الفرس — إيران في العصور القديمة والوسطى والحديثة ، ص : ١٨ ، ١٩ ، ٩٨ ، وموسوعة الأديان القديمة ، ص : ٩٨ ، ٩٩ .

حسب زعمهم – إلا في آل البيت ، لاجتماع فضلهم وقربهم من الرسول صلى الله عليه وسلم[١] ؛ لذا أظهروا زورا وبهتانا نصرتهم وضرورة إمامتهم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصوروا للناس أن ذهاب الإمامة عنهم أعظم الظلم ، وعطلوا الشرائع لأجل هذا الغلو المبطن ، فراج هذا الكلام على ضعاف النفوس ، وعلى من لم تطمئن قلوبهم بالإيمان. وأول من روج لهذا التشيع الباطني المزعوم في المسلمين : عبد الله بن سبأ اليهودي [٢]، الذي أسس الغلو والزندقة للتشيع المزعوم ، ثم صار تحريف ابن سبأ صبغة فارسية مجوسية [٣]، فأي تشيع هذا الذي بدأ بغلو في قرابة النبي صلى الله عليه وسلم ثم بزندقة وانسلاخ من العقيدة الصحيحة ؟!!.

يقول ابن تيمية :"وأصل الرفض من المنافقين الزنادقة ؛ فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق ، وأظهر الغلو في عليٍّ ، بدعوى الإمامة والنص عليه ، وادعى العصمة له ، ولهذا كان مبدأه من النفاق " [٤] ، ويقول ابن تيمية أيضاً : " ... ولهذا كان الرفض أعظم أبواب النفاق والزندقة ، فإنه يكون الرجل واقفاً ثم يصير مفضلاً ثم يصير سباباً ثم يصير غالياً ، ثم يصير جاحداً معطلاً ؛ ولهذا انضمت إلى الرافضة أئمة الزنادقة من الإسماعيلية والنصيرية ، وأنواعهم من القرامطة والباطنية والدرزية ، وأمثالهم من طوائف الزندقة والنفاق " [٥].

ويقول الشيخ إحسان إلهي ظهير[٦] رحمه الله : " ... وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح ،

---

[١] انظر : الفرس ... ، ص : ٩٩

[٢] تقدم الكلام عن دوره ، انظر : صفحة ، ٤٥ ، من هذا البحث .

[٣] انظر : قرن السبئية ، ص : ٣٨

[٤] مجموع الفتاوى : ٤ / ٤٣٥

[٥] مجموع الفتاوى : ٤ / ٤٢٨ – ٤٢٩

[٦] هو الشيخ المجاهد: إحسان إلهي بن ظهور إلهي بن أحمد الدين بن نظام الدين بن ألطاف ، من عائلة – سيتي – ، وهم تجار أقمشة ، ويطلق عليها عائلة – الشيخ – ، ولد في مدينة سيالكوت عام ١٩٤٥م ، وهي من المدن القديمة في باكستان شمال البنجاب ، نشأ نشاة دينية علمية ، وعائلته معروفة بالاستقامة والدين ، تعلم العلوم الشرعية ، والتحق بالجامعة الاسلامية بالمدينة ، وتخرج منها ، وكان مجاهداً ضد الرافضة وسائر الفرق الضالة ، وله مؤلفات عديدة في ذلك ، وكان كبار العلماء والمشايخ يجلونه ويقدرون مواقفه وجهاده ، توفي مقتولاً رحمه الله في : الأول من شعبان عام ١٤٠٧ هـ – =

وتجسيم الله ، والحلول ، ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس ، من قبل الإسلام ، وتستر بعض الفرس بالتشيع ، وحاربوا الدولة الأموية ، وما في نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم والسعي لاستقلالهم ..." [1].

وعند النظر لكتب أصول المذهب الرافضي تجد هذا الغلو مسطراً ، وينسبونه زوراً إلى بعض أئمة أهل البيت ، ومن أشهر كتبهم ،- **أصول الكافي** - . فقد بوب صاحبه باباً بعنوان : **باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم** ، وذكر فيه جملة من الآثار المنسوبة ، ومنها : (... عن أبي عبد الله عليه السلام يقول : " إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار ، وأعلم ما كان وما يكون ، قال : ثم مكث هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه فقال : علمت ذلك من كتاب الله عز وجل ، إن الله عز وجل يقول فيه : تبيان كل شيء ") [2].

واشتهر الغلو والزندقة في غلاة الرافضة باسم التشيع ، وصارت ديانة لهم ، فمن تلك الفرق التي عرفت بالغلو والزندقة : الكيسانية أو المختارية ، أتباع المختار بن أبي عبيد[3] ، حيث غلو في

١٩٨٧م ، وكان مقتله عن طريق تفجير المنصة التي كان يحاضر عليها في لاهور ، وكانت تلك الحادثة شنيعة توفي فيها جمع من الناس وأصيب الكثير ، وبعد تلقي الخبر ، نُقل للعلاج بالرياض ، حتى وافته المنية ، ودفن بالرياض ، وأمّ الناس الإمامُ ابن باز رحمه الله ، ورحم الله الشيخ إحسان وكتبه في الشهداء ، انظر: الشيخ إحسان إلهي ظهير منهجه وجهوده في تقرير العقيدة والرد على الفرق المخالفة ، للدكتور : علي بن موسى الزهراني ، ص : ٣٥ – ٢٣٣.

[1] الشيعة والتشيع ، ص : ٣٦١

[2] أصول الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ، ١ / ١٨٨ .

[3] هو : المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، أبو إسحاق ، من الزعماء الثائرين على بني أمية ، من أهل الطائف وانتقل إلى المدينة في زمن عمر ، ولما قتل الحسين بن علي انحرف عن أمير البصرة عبيدالله بن زياد ، فقبض عليه وحبسه وجلده ، ونفاه إلى الطائف ، ولما مات يزيد بن معاوية ، وقام عبد الله بن الزبير بطلب الخلافة ، ذهب المختار إليه وعاهده ، ثم توجه للكوفة لينال من قتلة الحسين ، ودعا بعد ذلك لمحمد بن الحنفية وزعم أنه المهدي وأنه استخلفه ، وظل يتتبع قتلة الحسين واستولى على عدد من المدن ، ثم بدأت تظهر منه بعض الأمور ، كادعاء النبوة ، وبعض الإلهامات ، وقيل أن عقيدة البداء

=

محمد بن الحنفية [1]، وقالوا بأنه لم يمت ، وأن معه أسد عن يمينه ونمر عن يساره يحرسانه ، وسيعود للخلافة . ومن زندقتهم كذلك القول بالبداء على الله [2]، وادعى النبوة. وخرج المختار هذا على الدولة الأموية زاعماً مطالبته بدم الحسين بن علي ، وعاث في الأرض فساداً . وقيل أنه إنما انتظم له أمره لأسباب : الأول : انتسابه لمحمد بن الحنفية ، والثاني :مطالبته بدم الحسين. كذلك سبب ثالث : كون كثرة أتباعه من الموالي والعجم الفرس وغيرهم [3]، وبحركة المختار تكونت بواعث للفكر الشعوبي الثوري ، من غلو وزندقة وتخريب للخلافة الإسلامية.

ومن غلاة الرافضة الباطنية الشعوبية التي دعت إلى الغلو والزندقة بعد تشيعها وساهمت في نشر الفكر الشعوبي : فرقة المنصورية ، أتباع أبي منصور العجلي ، الذي غلا غلو شديداً في جعفر الصادق وحصر الولاية فيه[4]، ثم بعد وفاة الصادق ، زعم أنه وصيه من بعده وخليفته. وكان من

كانت من ابتداعه ، وإليه تنسب فرقة الكيسانية ، قتل سنة ٦٧هـ . انظر : وفيات الأعيان ٢ / ٣١٦ ، والسير : ٥ / ٤٥ ، الأعلام ٧ / ١٩٢ .

[1] هو : محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، أخو الحسن والحسين ، إلا أن أمه خولة بنت جعفر الحفنية ،ويقال أنها من سبي اليمامة ؛ ولذا ينسب لها تمييزاً له عن الحسن والحسين ، كان عالماً ورعاً شجاعاً قوياً، وكان المختار بن أبي عبيد يدعو لإمامته ويزعم أنه المهدي ، والكيسانية تزعم أنه لم يمت ، توفي : ٨١هـ ، انظر : وفيات الأعيان : ٢ / ٣١٥ ، ٣١٦ ، والأعلام : ٦ / ٢٧٠.

[2] عقيدة البداء : أصلها مستمد من اليهود ، وتلقفها عنهم الرافضة ، ولها معنيان في اللغة : الظهور بعد الخفاء ، ونشأة الرأي الجديد ، وكلا المعنيين منتفٍ عن الله سبحانه وتعالى ، لكن عند الروافض أن الله يفاجأ بالأشياء دون علمه بها ، فهم ينسبون بذلك الجهل إلى الله – تعالى الله عما يقولون – ، انظر : مصطلحات في كتب العقائد ، محمد الحمد ، ص : ٢٦١ – ٢٦٣ .

[3] انظر : الملل والنحل ، ص : ٣٥ ، والفرق : ٤٨ – ٦٢، وسميت الكيسانية ، قيل : لأنه كان اسماً للمختار ، وقيل هو مولى لعلي بن أبي طالب كان اسمه كيسان ، انظر المرجعين السابقين .

[4] وقد طبعت مناظرة لجعفر الصادق رحمه الله مع أحد الرافضة تبين تبرؤه من مسلك الرافضة والرد عليهم ، بعنوان : مناظرة جعفر بن محمد الصادق مع الرافضي في التفضيل بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما . تحقيق الدكتور : علي الشبل ، انظر ، ص : ٩٤ – ١٣٦. وجعفر الصادق رحمه الله براء منهم ، يقول ابن تيمية : ....جعفر بن محمد من أئمة الدين باتفاق أهل السنة " ، منهاج السنة : ١ / ٤٩٧ .

إلحاده وزندقته أنه زعم أنه عُرج به إلى السماء ، وأن الله مسح بيده على رأسه ، وأمره بالبلاغ ، وأنه هو المقصود بالكسف في القرآن (سورة الطور ، آية : ٤٤) .

وأنكر الإيمان بالجنة والنار ، وتأول الجنة بنعيم الدنيا ، والآخرة بفتن الدنيا ومحنها ، واستحل النساء والمحارم ، الخمر والخنزير والميسر. وإضافة لزندقة هذه الفرقة ، كانت من الفرق التي تبطش بالناس الذين لا يستجيبون لدعوتها ، وعرفوا أيضا بخنق مخالفيهم – وهذا من صفات الشعوبيين كما تقدم – . واستمر في زندقته حتى قضى عليه يوسف بن عمر الثقفي [1]، وصلبه. وبعد القضاء على أبي منصور ، استمر ابنه الحسين من بعده ، وادعى منزلة أبيه ، بل جاوزه في الضلال وادعى النبوة . وكانت نهايته على يد الخليفة العباسي المهدي ، فقتله وصلبه ، بعد إقراره بزندقته وضلاله[2] .

ومن الفرق الشعوبية التي كان لها دور هدام : الرِّزامية أو تعرف بالأبي مسلمية ، التي غلت في أبي مسلم الخراساني الفارسي[3] ، وتعصبت له ، وقالت بحلول روح الإله فيه ، وقالوا بتناسخ الأرواح ، واستحلال ما يحل لأسلافهم – وهذا من بقايا تأثرهم بالعقائد المجوسية –.

وسبب تعصبهم لأبي مسلم هذا ؛ لعرقه الفارسي ، ولدوره الكبير في سقوط الدولة الأموية والخروج عليها ، ونهوضه بالحركة الشعوبية في بلاد خراسان ، حيث حاول نقل الخلافة العربية المسلمة لبلاد فارس . ومن غلو الرزامية فيه أنهم قالوا بانتقال الإمامة إليه بعد موت السفاح ، بل فضلوه حتى على الملائكة [4].

---

[1] هو : يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفي ، ابن عم الحجّاج بن يوسف الثقفي ، ولاه هشام بن عبد الملك اليمن ثم العراق ومعه خراسان ، قتل خالداً القسري تحت العذاب ، عزله يزيد بن الوليد ، وقبض عليه وحبسه في دمشق ، ثم قتل بالسجن ، كان يوصف بالفصاحة والكرم ، ويميل لطريقة الحجاج في الشدة ، قيل : أنه كان يضرب به المثل في الحمق ، فيقال : أتيه من أحمق ثقيف !! ، انظر : وفيات الأعيان : ٣ / ٤٦٢ – ٤٦٧ ، والأعلام : ٨ / ٢٤٣

[2] انظر : مقالات الاسلاميين : ١ / ٢٨ ، والفرق ، ص : ٢٤٧ ، ٢٤٨

[3] تقدم تعريفه ص : ٧٨ .

[4] وقد ذكر البغدادي أن الرزامية أقرت بموت أبي مسلم ، لكن انشقت عنها الأبو مسلمية التي لم تقل بموته

=

وفي الحقيقة أن دور أبا مسلم الخراساني كان خطيراً ، لا من جهة الخطر على العقيدة ، ولا من جهة محاولته في إقامة دولة للفرس المجوس ، ولما فيه من الصفات القيادية والحربية ، ولكن سلط الله عليه الخليفة المنصور ، وكفى الناسَ والبلادَ شره .

ومن أشهر الفرق الشعوبية غلواً وزندقةً : الراوندية : الذين انتهوا بالإمامة إلى أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني ، وغلوا فيه لنسبه الهاشمي ، وزعموا أنه إلههم الذي يطعمهم ويسقيهم ، وكانوا يطوفون حول قصره ويقولون : هذا قصر ربنا [(١)].

وهذا القول من هذه الفرقة المجوسية المارقة ، تظاهرت به لتكسب ود المنصور وتقترب من بيت الخلافة ، وإلا فهم يبطنون بغضه ، ويهدفون لعزله ، وإقامة دولة المجوس بعد ذلك. بدليل أنه بعد تحذيره لهم خرجوا عليه وشقوا عصا الطاعة ، وقاربوا على الفتك به. والمهم أنه استطاع القضاء عليهم بعد غلوهم وزندقتهم فيه ، وغلوهم في العرق المجوسي الفارسي خاصة ، إضافة لنشرهم الإباحية الماجنة بين الناس ، من نكاح المحارم ، وشرب الخمور ، وإحيائهم للعقائد المجوسية الفارسية [(٢)] .

والغلو والزندقة سمتان بارزتان لغالب الثورات الشعوبية التي ذكرت هنا ، أو التي ستذكر لاحقاً ، وما تقدم مثال لذلك .

ومن الفرق القديمة التي تأثرت بالمجوسية ، وكان لها دور في انتشار الغلو، بل أوجدت محدثاً آخر للمخلوقات : القدرية ، التي تقول بأن العبد يخلق فعله بنفسه ، وأن الله لم يخلق أفعال العباد ولم يشأها منهم [(٣)]. وقالوا ذلك حتى لا ينسبوا لله خلق الشر والمعاصي والآفات ، وهذا غلو منهم.

بل غلت فيه وزعموا أنه صار إلهاً بحلول روح الإله فيه ، انظر الفرق ، ص : ٢٦١ ، ٢٦٢ . والأشعري في المقالات ذكر أن الرزامية والأبو مسلمية انشقتا عن الراوندية ، انظر : ١ / ٣٧.

[(١)] انظر : الكامل في التاريخ ، ٥ / ١٢٠.

[(٢)] انظر مقالات الإسلاميين : ١ / ٣٧ ، والحركات الهدامة في الإسلام ، ص: ٣٥ – ٦٨

[(٣)] انظر : مقالات الإسلاميين ، ٢ / ٤٠٠ ، والتبصير في الدين ، ص : ٦٤ ، وموسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ، ص : ٣١٦ ، ٣١٧

وكذلك غلت في إثبات قدرة العبد وأن له قدرة مستقلة ؛ ولذا اشتهر وصفهم بمجوس هذه الأمة في كتب العقائد عند أهل السنة [1]. وهذا واضح إذ إن تأثير ذلك آت من دين المجوس ، الذين يقولون بأن للكون خالقين ، إله الخير وإله الشر [2]. وكذلك وجدت فرقة فارسية مجوسية قديمة ، تسمى : الزرفانية [3]، تقول بأن الكون يسيطر عليه شيء محايد ، وهو القدر ، الذي يعيد الحوادث إلى شيئين متصارعين متكافئين [4]. وبمثل هذه الهرطقات والزندقة تأثرت الفرق المخالفة ، ونشرت أفكارها المفسدة بين المسلمين .

والدعوة للغلو والزندقة من الجانب الشعوبي مستمرة منذ نشأتها ، وموجودة في عصرنا الحاضر ، وللأسف بقوة ظاهرة في بلاد المسلمين. وهي داخلة في تسلسل الفرق الشعوبية عبر التاريخ ، ومن الأمثلة القوية المعاصرة على ذلك ، بل من الأسباب الرئيسة : الدعوة الخمينية ، التي كانت حاضنة ومحيية للحركة الشعوبية الباطنية ، سواء فيما يعتقده مؤسسها ، أو فيما ينشره ويدعو إليه في ثورته المزعومة ، ومن ذلك قول الخميني : (وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا منزلة لا يبلغها ملك مقرب ولا نبي مرسل ...) [5]، وغلوه هذا حمله إلى إنكار خلافة الشيخين ، وأن كل فتنة حصلت فهي بسبب حادثة السقيفة ، بل أدهى وأمر مما تقدم ، أنه يقول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينجح في إقامة دولة إسلامية ، وبأن ولاية معاوية – رضي الله عنه – لم تكن إسلامية ، وبأن ثورته لو قامت ستكون أفضل من حكم معاوية [6].

ومن الدعوات المعاصرة التي ساندت النزعة الشعوبية في الغلو والزندقة : الدعوة القاديانية ، التي

---

[1] انظر : شرح أصول الاعتقاد : ٤ / ٧٠٧- ٧١٥ ، والشريعة : ١ / ٤٧٦ – ٤٧٩ ، وكتاب القدر لأبي بكر جعفر الفريابي : ١١٤ - ١٢٤

[2] انظر : تاريخ الفكر الفلسفي ، محمد أبو ريان ، ص : ٨٠ ، ٨١

[3] الزرفانية تعني بالفارسية : الزمن أو الدهر ، وكانت ديانة مشهورة عند ملوك الفرس الساسانيين ، ويزعم الزرفانيون بأن أهورامازدا وأهرمن أخوين ولدا من زرفان ، ثم حصل بينهما صراع دائم ، انظر : الفرس ...، ص : ٧٧ .

[4] المرجع السابق ، ص : ٨٣

[5] الحكومة الإسلامية ، ص : ٥٢

[6] انظر : الشيعة والتشيع ، ص : ٣١٥ – ٣١٨ . وسيأتي الكلام لاحقاً عن الثورة الخمينية .

أسسها ودعا إليها غلام أحمد ميرزا في بلاد الهند ، بمعونة الاستعمار البريطاني الصليبي . وهدفها مسخ الدين الاسلامي وإلغاء شريعة الجهاد ضد الكفار .

وهذه الدعوة ترى نفسها ناسخة للشريعة الاسلامية وبديلة لها ، وغلت في زعيمها وادعت أنه نبي مرسل ، وبأن قاديان أفضل من مكة والمدينة [١]. وتتخذ من بلاد الهند وباكستان مقراً لها ، ولها وجود كبير في بلاد أوروبا وأفريقيا ، ويعاملها الغرب الفاجر متعمداً على أنها الإسلام الحقيقي ، وأنهم مسالمون بخلاف الإسلام المعروف ، وكذلك لها وجود ونشاط في إيران الفارسية

وهي تحاول أن تجد لها مقراً في البلاد العربية المسلمة أو قريباً منها ؛ ولذا أوجدت لها مركزاً نشيطاً ومدعوماً في فلسطين ، وتحاول من خلاله بث فكرها ودعوتها للبلاد العربية المسلمة .

ومن زندقة القاديانية أنهم عملوا ترجمة محرفة للقرآن الكريم ، ثم طبعوها ونشروها بين الناس ، وفي الحقيقة أن القاديانية من أشد الدعوات خطراً على العقيدة وعلى الدعوة إلى الله [٢].

والذي يظهر – والله أعلم – أنها مساندة للحركة الشعوبية لوجود التشابه والتقارب ؛ حيث أن دعوتهم قامت لنسخ شريعة الإسلام ، وكذلك الفكر الشعوبي المجوسي يدعو للمجوسية الفارسية. ثم التعصب عند القاديانيين لغلام أحمد الباكستاني ورفعه لمنزلة النبوة ، والخليفة من بعده أيضاً من نفس جنسه ، هو جزء من الفكر الشعوبي الذي يدعو لتفضيل العجم على العرب ، وأي تفضيل بعد الوصف بالنبوة ؟! [٣].

وكذلك محاولات القاديانيين للدخول للدول الإسلامية لقصد إفسادها ، ثم تواطئهم مع الغرب الصليبي ، واليهود الصهاينة ، هو جزء من الحرب على البلاد الإسلامية ، ومثلها كذلك البهائية

---

(١) انظر : أطلس الفرق والمذاهب ، ص : ٢٧٠.

(٢) انظر : البهائية والقاديانية ، ص : ١٣٥ – ١٦١ ، وللتوسع عن القاديانية ، انظر كتاب : القاديانية – دراسات وتحليل – ، للشيخ إحسان إلهي ظهير .

(٣) وقد صدرت الفتاوى العلمية من هيئة كبار العلماء ، واللجنة الدائمة للفتوى بالسعودية ، ورابطة العالم الإسلامي ، بكفر هذه الفرقة وضلال عقائدها ، انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، جمع : أحمد الدويش ، ٢ / ٣١٢ – ٣١٤ .

ومبادئها [١] ، وقد تقدم الكلام عن دورها في الباب الأول .

ومما تقدم عرضه يلاحظ بأن غالب الفرق الشعوبية يجتمع فيها الغلو والزندقة ، والدخول إليه من جهة التشيع والتعصب للعرق الفارسي المجوسي خصوصاً أو التعصب للعجم عموماً ، مما يؤكد أن الاستهداف منهم للعقيدة الاسلامية ليس من باب الصدفة أو ضرب المحاولات ، أو ردة فعل على ظلم الولاة وعدم المساواة مع العرب كما يقال ، بل هو شيء ممنهج ، يعد ويدبر له .

وعندما نذكر هذا الكلام ليس من باب التقوّل أو الخيال ، بل نحكي واقعاً حقيقياً. وإلا فأين هذه الفرق الشعوبية التي تزعم الإسلام وتنتسب له عن جهاد المعتدين على ديار المسلمين من اليهود والنصارى والمنافقين [٢]. فلم نسمع يوماً أن فرقة من أولئك استعادت للإسلام مجداً ، أو بادرت بفتح ديار الكفار وأفاضت على المسلمين مغنماً ، أو ساندت خليفة للمسلمين في الجهاد أو كانت تحت لواءه. ففي حين نشوء هذا الفكر الشعوبي وظهوره ثم تعديه على المسلمين ، كانت دول الروم تؤذي المسلمين وتتعدى على بعض البلاد ما بين فترة وأخرى ، خصوصاً على بلاد الشام .

وكذلك أين هم عن دول الباطنية من العبيدية والقرامطة حينما كانت تفتك بالمسلمين وتشرد بهم ، وتؤذي أهل العلم وتقتلهم ، بل وتتعدى على الأماكن المقدسة الطاهرة ؟!

والجواب على هذه التساؤلات يحضر حين نعلم يقيناً بأن هذه الفرق الشعوبية الباطنية لا تستهدف إلا الإسلام عقيدة ودولة وتراثاً ؛ لأنهم يعتقدون بأن الدين الاسلامي هو عدوهم الأول ، وبأن العقيدة الحنيفية السمحة هي أساس القوة عند المسلمين الذين أسقطوا دولة مجوس الفارسية ، وبأن للعرب خصوصاً حظوة وتراث وتاريخ إسلامي مجيد .

---

[١] ومثلها النصيرية والدروز والإسماعيلية والصفويين ، وسيأتي الكلام عنهم لاحقاً إن شاء الله .

[٢] بل إنهم في صف أعداء الدين ، وسيأتي لاحقاً ما يدل على تواطؤ الفرق الشعوبية معهم .

المبحث الثاني : نشر التأويلات الباطنية المنحرفة

بعد أن تكلمت في المبحث الماضي عن طرق الشعوبيين في إفساد العقيدة وهدمها من جهة الغلو والزندقة ، أبين هنا كيفية تحريفهم لأصول العقيدة الصحيحة ؛ لتكون النتيجة الانسلاخ من الدين إلى التأويلات الباطنية المجوسية الوثنية . ولكن ما هي العلاقة بين الشعوبيين المجوس وبين الباطنيين الزنادقة ، حتى ينشر الشعوبيون تأويلاتهم الباطنية ؟!!

لا شك أن العلاقة بين المجوس الفرس الشعوبيين والباطنية ، حميمة جداً ، من حيث المنشأ والتأسيس ، ومن حيث نشر العقائد الباطنية والتدين بها ؛ ولذا تعد من فرق المجوس[1] .

فالشعوبيون المجوس هم من أوائل من أسس للفكر الباطني ، حيث أن المجوس أهل وثنية وشرك ، يقولون بإلهين اثنين ، إله النور ، وينسبون له فعل الخير ، وإله الشر وينسبون إليه فعل الشر ، وجعلوا الاثنين مدبران للخلق ، فكانت هذه من بذور الفكر الباطني . وكذلك الباطنية حرفوا الشرائع إلى قسمين : ظاهر : وهذا ما عليه سائر الناس وجميع أتباع الأنبياء ، وهو عندهم ليس بعلم ولا دين . والباطن : وهو ما هم عليه من الزندقة والنفاق وأنه اليقين الذي لا يبلغه أحد إلا عن طريقهم ، حتى نسبوا خلق الحوادث والتأثير في الكون لأئمتهم ، وتأولوا وحرفوا نصوص الشريعة حتى سلخوها عن معانيها فصارت معطلة جوفاء – عياذاً بالله – . وكل من كان على الديانة الظاهرة فهو هالك ، ومن دخل معهم في الباطنية فهو ناجٍ ومُسْلِم . يقول البغدادي : " ... وذكر أصحاب التاريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس ، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم ، ولم يجسروا على إظهاره خوفاً من سيوف المسلمين ، فوضع الأغمار منهم أسساً ، مَنْ قَبِلِها صار في الباطن إلى تفضيل أديان المجوس ، وتأولوا آيات القرآن وسنن النبي صلى الله عليه وسلم على موافقة أسسهم .... وذكر زعماء الباطنية في كتبهم أن الإله خلق النفس فالإله هو الأول ، والنفس هو الثاني ، وهما مدبرا هذا العالم ..... ثم قال البغدادي عن ذلك التقرير منهم : ... هو بعينه قول المجوس بإضافة الحوادث لصانعين أحدهما قديم والآخر محدث ، إلا أن الباطنية عبرت عن الصانعين بالأول والثاني ، وعبرت المجوس عنهما بيزْدان

---

[1] انظر : الفرق ، ص : ٣٢.

وأهرمن ، فهذا هو الذي يدور في قلوب الباطنية ، ووضعوا أساساً يؤدي إليه ". [١]

ويقول الديلمي[٢] : " اتفق أهل المقالات أن أول من أسس هذا المذهب الميشوم – أي الباطنية – ، قوم من أولاد المجوس ، وبقايا الخرَّمية ، والفلاسفة واليهود ، فجمعهم ناد ، واشتوروا – أي تشاوروا – ، وقالوا : إن محمداً غلب علينا وأبطل ديننا ، واتفق له أعوان ، ونصروا مذهبه ، ولم يكن نبياً ، ولا مطمع لنا في نزع ما في أيديهم من المملكة بالسيف والمحاربة ؛ لقوة شوكتهم وكثرة جنودهم ، وكذلك لا مطمع لنا فيهم من طريق المناظرة ؛ لما فيهم من العلماء والفضلاء والمتكلمين المحققين ، وكثرة كتبهم وتصانيفهم . واتفقوا على وضع حيلة يتوصلون بها إلى فساد دينهم من حيث لا يشعرون ، وبنوا أمورهم على التلبيس والتدليس ، فأسسوا القواعد لذلك ، وبثوا دعاتهم في الأقطار ، وأمروهم بالتشبث بجماعة فيهم مطمع ، والانتماء إلى الروافض وإن كانوا بمنزلة غيرهم من الأمة عندهم في أنهم على ضلال .... " [٣] .

ولذا تجد أن الباطنية والمجوس بينهما تقارب كبير ، وتشابه حتى في التعامل مع الشرائع وأصول الدين. فالمجوس إما أن يظهروا الإسلام ويبطنوا مجوسيتهم ، ويروجوا لها. أو تجدهم يحرفونه تحريفاً شديداً على غير ما أنزل الله تعالى ، خصوصاً من باب التشيع الرافضي. وكذلك الباطنية من أوسع أبوابهم لتحريف الدين هو التشيع ، وتأويل الدين إلى ظاهر وباطن كذلك تجد أن المجوس الشعوبيين لا يدينون بالخلافة العربية المسلمة ، ومثلها الباطنية ، ماضياً وحاضراً. قال البغدادي : " ... ويؤكد ما قلناه من ميل الباطنية إلى دين المجوس ، أنا لا نجد على ظهر الأرض مجوسياً إلا وهو مواد لهم ، منتظر لظهورهم على الديار ، يظنون أن الملْك يعود إليهم بذلك ... " [٤].

وصدق البغدادي رحمه الله ، فالشعوبيون المجوس من الفرس يعدون العدة لهذا اليوم ، والباطنية

---

[١] الفرق : ص ٢٩٢، وانظر : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، محمد الخطيب ، ص : ٢٠ – ٢٩

[٢] هو : محمد بن الحسن الديلمي ، فقيه زيدي ، أصله من الديلم ، انتقل إلى اليمن ، وسكن صنعاء ، توفي بوادي مر عام ٧١١هـ ، في رجوعه لبلاده ، له كتاب : قواعد عقائد آل محمد ، وبيان الباطنية هذا منه ، انظر : الأعلام : ٦ / ٨٦ ، ٨٧

[٣] بيان مذهب الباطنية وبطلانه ، ص : ١٩ .

[٤] الفرق ، ص : ٢٩٣ .

معهم في ذلك. فلا تكاد تثور للشعوبيين ثائرة ، أو تقوم لهم شوكة ، إلا والباطنية معهم في خندق واحد ، مهما أخفوا ذلك ، ومهما نالوا حظهم من المناصب والحظوة في دول المسلمين . ومن الأمثلة على ذلك : دعوة الخرّمية الباطنية المجوسية ، لما قامت كان الأفشين قائد جيش المعتصم ، متواطئاً معهم ، وكانت بينه وبين بابك الخرمي مكاتبات [1] ، وكان هو سبب التأخر في النيل منهم لسنوات ، والخليفة المعتصم أدرك ذلك ، لكن لحظوة الأفشين حينها في الدولة وعند الناس ، أخر معاقبته حتى تم القضاء على الخرمية[2]. وكذلك الراوندية ، كانت داعية لدين المجوس الفرس ودولتهم وتعاليمهم ، وقد تقدم الكلام عنها.

ومن الأدلة كذلك على تقارب الشعوبيين الفرس والباطنيين ، أنك تجد كثيراً ممن يرُوج عليهم الفكر الباطني من الشعوبية ، الذين يفضلون العجم على العرب ويتمنون عود الملك للعجم ، وإقامة دولة تخصهم من دون العرب [3]. ولذلك يصرح الباطنيون أنهم لا يعترفون ولا يدينون إلا بالمجوسية ، كما جاء عن أبي سعيد الجنّابي[4] القرمطي الباطني ، قوله : " الإسلام ليس بشيء ، وكذلك اليهودية والنصرانية ، إنْ صح شيء فالمجوسية " [5].

وأما طرق الباطنيين الشعوبيين في تحريف أصول الاعتقاد وإبطالها ، فمن باب التأويل الباطني ، الذي يصيّر أصول الشريعة وأحكامها ألفاظاً جوفاء معطلة ، فبنوا تحريفهم للعقيدة على أصول أصلوها ، باطلة ، تهدم أركان الدين وشرائعه ، وهذه القواعد تكاد تكون ديدن أهل الفكر الشعوبي المجوسي الباطني ، وأكثر تلك القواعد التي ساروا عليها في دعوتهم الباطنية الشعوبية :

---

[1] انظر : التبصير في الدين ، ص : ١٤١، وفضائح الباطنية للغزالي ، ص : ١٤

[2] انظر البداية والنهاية : ١٠ / ١٢٩ ،والشعوبية والزندقة وانتصار الإسلام عليهما ، ص : ١٤٩ – ١٦٦

[3] انظر الفرَق ، ص : ٣٠٦ .

[4] هو : الحسن بن بَهرام الجنابي القرمطي ، أبو سعيد ، كبير القرامطة ، كان دقاقاً من أهل جنابة بفارس ، نفي منها فأقام بالبحرين تاجراً ، وجعل يدعو لنحلته ، ولما عظم أمره حاربه الخليفة فغلب الجنابيُّ ، فصالحه الخليفة المقتدر العباسي ، وكان أتباعه يسمونه : السيد ، استولى على هجر والأحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين ، قتل عام ٣٠١هـ ، على يد خادم له ، انظر : الأعلام ٢ / ١٨٥ .

[5] بيان مذهب الباطنية وبطلانه ، ص :٨٢ ، وانظر : جناية التاويل الفاسد ، محمد لوح ، ص : ٣٦٨ .

تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن [1]. وهذا التقعيد الباطني الملحد أشد وأعظم ما استعملوه في دعوتهم الباطنية لتحريف الدين الاسلامي ، وترتب عليه إسقاط كل الأحكام الشرعية. فعندهم أن نصوص الاعتقاد ، وبقية أركان الإسلام ، والمعاملات والآداب ، شريعة ظاهرة للعامة من الناس ، أشبه بالأغلال والآصار ، وليست هي المقصودة. إنما المقصود معان باطنة لا يعرفها إلا أئمتهم الباطنيون. ولا يعد الرجل مؤمناً عندهم إلا إذا اعتقد هذا المعنى الباطني . فصارت آيات التوحيد بعد تأويلهم هي لتأليه وعصمة أئمتهم وقداستهم ، وتحكمهم في الكون كله . والصلاة عندهم الوصول لأئمتهم وعدم الانقطاع عنهم ، والصوم كتمان أسرار المذهب وعدم نشره إلا لأهله . والزكاة عندهم : بث علومهم وبذلها ونشرها لمن يتفرسون فيه الدخول معهم . والحج هو قصد السفر إلى أئمتهم ومشاهدهم الشركية المنصوبة . وأوّلوا نصوص الجنة والنار ، بأن الجنة النعيم في الدنيا ولذتها ، والنار : الشقاء في الدنيا وعذابها ونكدها ؛ ولذا ينكرون المعاد والحساب والجزاء المترتب على ذلك[2].

جذور فكرة التأويل الباطني

" ... ونظرية الظاهر والباطن هذه ترجع إلى جذور يهودية وفلسفية يونانية ، إذ يكاد دارسوا تاريخ الأديان والفكر البشري يتفقون على أن أول من عرف بإخضاع النصوص للظاهر والباطن هو ، فيلو اليهودي [3] ، المتفلسف ، الذي لازم اليونانيين ، وأخذ عنهم الفلسفة ، غير أنه وجد نفسه أمام هجمات المنكرين اليونان على نصوص الكتاب المقدس ، فوجد نفسه مضطراً للدفاع عن عقيدته ، وعن الكتاب المقدس ، فلم يجد بدأً من اللجوء إلى القول بالظاهر والباطن ،

---

(1) انظر : التبصير في الدين ، ص : ١٤٢ ، ١٤٣.

(2) انظر : : فضائح الباطنية ، ص : ٥٥ ، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، ص : ١٣٢ — ١٣٤

(3) هو : فيلون (٢٠ ق.م — ٤٠ م) ، من مواليد الإسكندرية ، ومن أكابر فلاسفة اليهود اليونانيين ، تأثر بالفلسفة اليونانية الأفلاطونية ، وكان معتزاً بيهوديته حتى عرف بفيلون اليهودي ، له عناية بالتوراة ، فشرحها باليونانية ، وكان يدمج شرحه بالفلسفة ، انظر : موسوعة آباء الكنيسة ، عادل فرج ، ١ / ٥ وموسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود ، عبد المنعم حفني ، ص : ١٦٤ — ١٦٧. والمرجع الأول ذكر اسمه بدون — نون – ، والثاني بإثباته ، لكني نقلت اسمه في البحث كما هو في مرجع الكلام المنقول .

فابتدع النهج التأويلي ، وأصبح يقول : إن التأويل بالباطن هو روح النص المقدس ، والتفسير بالمعنى الحرفي هو جسم هذا النص المقدس ، ثم انتقلت طريقة التاويل عن طريق القول بالظاهر والباطن إلى أريجانوس[1] تلميذه ، وتلميذه أفلوطين [2] أيضاً ، وقد تأثر هذا الرجل بفيلو تأثراً بالغاً ، حتى قال : إن الكتاب المقدس يُفسَّر على ثلاثة أوجه : الرجل البسيط يكفيه جسد الكتاب – يعني الظاهر – والرجل المتقدم في الفهم يدرك روح الكتاب ، والرجل الكامل هو الذي يفهم الناموس النفساني الذي يطلع على الغيب " [3] .

ثم أظهر هذه الفكرة الباطنية في الإسلام عبد الله بن سبأ اليهودي ، الذي ادعى الألوهية لعلي بن أبي طالب ، لأنه بزندقته يقول : إن علي بن أبي طالب صاحب علم السرائر والبواطن ، ثم

---

[1] أريجانوس : من أشهر علماء النصرانية الإسكندرية المصرية ، ولد بالإسكندرية عام : ١٨٥م ، ووالده هو : ليونيداس ، كان عارفاً بالكتب المقدسة ، وقيل أنه قُتل في عهد الاضطهاد المسيحي عام ٢٠٢م . نشأ أوريجانوس وتربى على التعاليم المسيحية حتى علمها ، وترقى فيها حتى صار مديراً للمدرسة الإسكندرية النصرانية ، له رحلات خارج مصر ، إلى فلسطين واليونان وغيرها ، وهو من أشهر رموز النصرانية الذين عنوا بالكتب المقدسة تعليماً وشرحاً وتأليفاً ، وله تفسير للكتاب المقدس ، حتى لقبوه بـ مؤسس العلوم الكنسية ، من أشهر أعماله : (الكابلا) ، أي : الكتاب المقدس ذي الأعمدة الستة ، وغيرها ، للاستزادة ، انظر : تاريخ الفكر المسيحي ، حنا جرجس الخضري ، ١ / ٥٢٩ – ٥٦٢ .

[2] أفلوطين : فيلسوف يوناني مشهور ، ويعرف بالشيخ اليوناني ، مجدد الأفلاطونية الحديثة ، ومن أشهر تأصيلاته الفلسفية أنه يتصور الواحد اللا معين كامل الوجود ، وهذا الكامل يفيض فيحدث عنه شيئ غيره ، ثم هذا الشيء المحدَث يتأمل فيصير عقلاً ، والعقل تفيض عنه النفس الكلية ، ثم تحدث من ذلك الكواكب ونفوس البشر وسائر المحسوسات ، وكانت هذه النظرية الأفلاطونية الحديثة مصدراً رئيسي للتصوف ، وكذلك لنظرية الفيض والإشراق التي قال بها أصحاب وحدة الوجود ، توفي : ٢٠٥م ، انظر : المعجم الفلسفي ، مراد وهبه ، ص : ٧٧ ، أفلوطين عند العرب ، عبد الرحمن بدوي ، ص : ٣٢ .

[3] جناية التأويل الفاسد ، ص : ٣٦٤ – ٣٦٥ ، والحركات الباطنية ، ص : ٣٠ – ٣٥.

صارت هذه الفكرة عند الفرق الباطنية والشعوبية ديناً يدينون به [1].

ومنها أيضاً نشأت عقيدة التقيّة عند الرافضة ، التي هي في حقيقتها النفاق ، فتجدهم بين الناس يظهرون الإسلام ، وإذا خلوا إلى مجالسهم ، صرحوا بزندقتهم وفجورهم ، وهي أشبه ما تكون بفكرة الباطن والظاهر ، وقد كان للتقية الرافضية دور في نشر الفكر الشعوبي [2].

وهنا نلحظ التقارب والتشابه الشعوبي بين اليهود والروافض والباطنية ، فيما يعتقدونه ويهدفون إليه من حرب ضروس على الإسلام وأهله ودوله .

ومما يساعد على نشر التأويلات الباطنية الشعوبية في هذا العصر عند التأمل في حقيقته ، ما يسمى بمشروع – التقارب السني الشيعي [3] –، فكيف يكون هذا التقارب وما هي أسسه ؟! إذا ما علمنا أن الجانب الشعوبي الرافضي لا يأبه بالسنة وأهلها خصوصاً العرب منهم ، ويهدف لهدم دولهم وعقيدتهم. حيث يصرح كبراؤهم بأنهم لا يرون العرب شيئاً ولا يتشرفون بهم ، وهذا يصرحون به جهاراً اليوم في وسائل الإعلام والتواصل ، ومن قبلهم إمامهم الخميني الذي يصف أهل نجد بالوحوش وبأنهم من أذل الشعوب في العالم وأكثرهم وحشية [4]. فإن كان هذا هو دأب أئمتهم فأتباعهم من باب أولى ، وليس فقط تعصبهم المقيت تجاه العرب ، بل لكل الأجناس [5].

وأما من جهة الاعتقاد : فكيف يتقارب مع من يشرك ويدعو غير الله ، عند القبور والمشاهد ، بل يدعون الناس لقصدها والرحل إليها للعبادة ، وتقديسها ، وفضلوا مشاهدهم على الكعبة ، قبلة المسلمين ، هذا من جهة ما هم عليه من الشركيات [6].

بقي النظر إلى الجانب الذي ينتسب للسنة ويدخل ضمن هذه الدعوى الحادثة ، فإما أن يصحح

---

(1) انظر : التبصير في الدين ، ص : ١٢٣ ، ١٢٤

(2) انظر : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، ص : ٤٦ – ٥٤

(3) انظر : حقيقة دعوة التقريب للشيخ بكر أبو زيد ، ص : ٢٧ — ٥٥ .

(4) انظر : كشف الأسرار ، الخميني ، ص : ٣٦ .

(5) انظر : اغتيال العقل الشيعي ، على الكاش ، ص : ٤٦٩ .

(6) انظر : العتبات المقدسة في الكوفة ، محمد سعيد الطريحي ، ص : ٤٤ ، ٥٤ ، ١٨٠ .

مذهبهم الذي هم عليه أو جزءاً منه ، وحينئذ لم يعد تقارباً ، بل صار شركاً في ثوب التشيع والرفض . وإما أن يسكت عما هم عليه ، ولا يبين فساد عقائدهم ومذاهبهم ، ولا يرد عليهم تبعاً لدعوى التقارب المزعوم ، وحينئذٍ : ما الموقف من الآيات الدالة على توحيد الله وتجريده له سبحانه والدعوة إليه والبراءة من الشرك وأهله ومحاربتهم ، إلا أنه سيتجاهلها هذا المتقارِب وينصرف عنها . وعندها سيكون عدم امتثال ما جاءت به النصوص الصريحة مساواة للحق والباطل ، وهدماً للتوحيد بمعاول التقارب الرافضي الشعوبي ، إذ حينها ما هو الفرق بين التأويل الباطني الشعوبي ، وبين الدخول في هذا التقارب المبطن المزعوم ، إلا تعطيل العقيدة والتوحيد .

ومن الأمثلة على الفرق الباطنية الشعوبية ، التي لها وجود ونشاط محموم في القديم والحديث : فرقة النصيرية الباطنية [١].

فمن عقائدها أنها تؤله خمسة من آل البيت ، وهم : النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ، وزعموا أن روح الإله حل في علي بن أبي طالب ، لأنه عالم بباطن السرائر . ومن زندقة هذه الفرقة وتناقضها أنهم يعظمون عبد الرحمن بن ملجم [٢] ، قاتل علي بن أبي طالب ؛ لأنه خلص اللاهوت من الناسوت ، بقتله علياً ، وهذا محض الجنون والزندقة . وكذلك ادعوا تأليه سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وغلو فيه غلواً شديداً ، وفي المقابل من ذلك طعنوا

---

[١] النصيرية : أتباع رجل يدعى : محمد بن نصير النميري ، ويكنى أبو شعيب ، من الغلاة الزنادقة ، وهو مؤسس الفرقة النصيرية ، ادعى النبوة ، وادعى الربوبية لأبي الحسن العسكري الملقب بالهادي ، وعاشر الإئمة عند الاثني عشرية ، وزعم أن الذي بعثه هو أبو الحسن العسكري . كان يقول بالتناسخ ، وبالإباحية حتى بين الذكران ، وينكر أن يكون شيء محرم ، توفي عام ٢٦٠هـ ، انظر: فرق الشيعة ، ص : ٩٥ ، ٩٦ ، والفرق ، ص : ٢٦٠ ، والتبصير في الدين ، ص : ١٢٩ .

[٢] هو : عبد الرحمن بن ملجم المرادي الحميري ، أدرك الجاهلية وهاجر في خلافة عمر ، فارس شديد ، قرأ على معاذ بن جبل ، وكان من القراء ، شهد فتح مصر وسكن بها ، كان من شيعة علي بن أبي طالب ، ثم خرج عليه ، وقتله ، ثم قتل بعد ذلك ، غلت فيه النصيرية الباطنية غلواً شديداً ؛ لأنه بزعمهم خلص اللاهوت من الناسوت ، وهو عند الخوارج من المعظمين . انظر : الوافي بالوفيات ١٨ / ١٧١ ، والأعلام : ٣ / ٣٣٩.

ونالوا من أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، ويرون سبهم جهاداً [١].

وبعد ظهور أمر هذه الفرقة ادعى مؤسسها أبو شعيب النميري أن الإله حل فيه بعد ذهاب الأئمة الخمسة ، وتبعه على هذا الإلحاد أتباعه. وتتصف هذه الفرقة أيضاً بالتكتم والسرية ، كسائر الفرق الباطنية ، ولا تنشر كتبها ورسائلها للعامة ، ويتعاملون بالرموز ، فمثلاً : عندهم الرمز – ع م س – يعني : محمد وعلي وسلمان ، وهذا يدل على تأثرهم بالتثليث[٢].

ومن أشهر كتبهم المقدسة : كتاب – المجموع – ، ويتضمن ستة عشر سورة ، وفيها كثير من المعتقدات النصيرية ، التي ملئت غلواً في علي بن أبي طالب وفي الحسنين وزين العابدين ، وفي سلمان الفارسي ، وغيرهم ، بل ألهوهم من دون الله [٣]. وأذكر طرفاً من بعض السور التي وردت فيه ، السورة الأولى باسم : (سورة الأزل) ، ومنها : " ... يا أمير النحل ، يا علي بن أبي طالب ، الدليل عليه ، والكل أنت ، هو يا هو ، يا من لا يعلم ما هو إلا هو ، وأسألك بمسائل السين ، سلكون سلكا سلِك سالِك سلِك بما سألك به السائلون ، وبمرشد المرشدين ، وبعليٍّ زين العابدين ، أن تؤلف ما بين قلوبنا وقلوب إخواننا المؤمنين ....) [٤]. وفي السورة الثانية ، والمسماة : (سورة تقديسة ابن الولي) ، ومنها : " ... أحسن ما يرى النائم في منامه وهو يسمع الحس ، ولم ير الشخص وهو ينادي ، ويقول : لبيك لبيك يا أمير النحل ، يا علي بن أبي طالب ، يا رغبة كل راغب ، يا قديم باللاهوت ، يا معدن الملكوت ، أنت إلهنا باطناً ، وإمامنا ظاهراً ... " [٥]. وكذلك في السورة الرابعة – سورة النسبة – ، ومنها : " ... أحسن توفيقي بالله وطريقي لله ، وأحسن سمعي واستماعي من شيخي وسيدي ومرشدي المنعم الله عليَّ ، كما أنعم عليه بمعرفة ع م س ، وهي بشهادة أن لا إله إلا علي بن أبي طالب ، الأصلع الأنزع المعبود ،

---

[١] انظر : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، ص : ٣٥٦ – ٣٦٠ .

[٢] انظر : مذاهب الإسلاميين ، عبد الرحمن بدوي ، ص: ١١٨٦ ، والحركات الباطنية ، ص :٣٢١.

[٣] الحركات الباطنية ، ص : ٤٠٠ .

[٤] كتاب المجموع ، ص : ١ .

[٥] المرجع السابق ، ص : ٣ .

ولا حجاب إلا السيد محمد المحمود ، ولا باب إلا السيد سلمان الفارسي المقصود ..." [١]. وأكتفي بما ذكر من سور كتابهم المقدس ، وأستغفر الله من كل شرك وأسأله الثبات على الحق إلى أن نلقاه ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

ومن عقائدهم القول بتناسخ الأرواح ، وانتقال الروح من جسم لآخر ؛ ولهذا فهم ينكرون المعاد ، ويؤولون آيات الجزاء والحساب والجنة والنار ، ويستحلون المحرمات من الزنا وشرب الخمور ونكاح المحارم ، وهذه العقائد هي خليط من المجوسية الفارسية والنصرانية والهندوسية [٢].

والنصيرية الباطنية من أشد الفرق الشعوبية ضرراً على الإسلام والمسلمين ، وتاريخها يشهد عليها بذلك ، منذ نشأتها وحتى عصرنا الحاضر . فمع الاجتياح المغولي التتري ، كانوا أكثر الفرق عوناً للتتار على المسلمين ، في بغداد وبلاد الشام [٣]. وكذلك احتلوا أجزاء من بلاد الشام والأردن وغيرها ، ووصلوا لمدينة طبرية [٤].

وما يزال موقفها العدائي الشعوبي من بلاد المسلمين مستمراً ، ففي بلاد سوريا ولبنان كانوا أكثر الفرق عوناً للمستعمر الصليبي الفرنسي. فمع دخول الصليبيين عام ١٩٢٠م لبلاد الشام ، سارعوا لمساعدة الصليبيين الذين أتوا لتخريب بلاد المسلمين العربية ، وصفوا معهم صفاً واحداً ، حتى كانوا يدلون المستعمر على تجمعات الأهالي وأماكنهم للفتك بهم وتشريدهم [٥].

وجد الصليبيون في تلك الفرقة بغيتهم ، وحصل بين مشايخ النصيرية وقادة الاستعمار زيارات ومراسالات. حتى أسسوا للنصيرية دولة باسم — الدولة العلوية ١٩٢٠ — ١٩٣٦م ، ورئيسها سليمان مرشد ، الذي تزندق وادعى الألوهية ، ومن شخصيات هذه الدويلة النصيرية : محمد أمين غالب ، صاحب كتاب (تاريخ العلويين) ، وكان سبب إطلاق هذه التسمية على النصيرية

---

[١] المرجع السابق ، ص : ٥ .

[٢] انظر : الفرق : ٢٥٧ ، والملل والنحل : ١ / ١٥٢، والنصيرية وآراؤها الكلامية والرد عليها ، زينب البلادي ، ص : ٧٤ — ١٨٧.

[٣] انظر البداية والنهاية ، ص : ١٢ / ٢٧٢ — ٢٨٨ .

[٤] انظر: الفصل لابن حزم ، ٣ / ١٩٠ .

[٥] انظر : النصيرية دراسة تحليلية ، تقي شرف الدين ، ص : ١٦٢ ، ١٦٣.

من باب التلبيس والإيهام بأنها دولة شيعية تنتصر لآل البيت ، وكذلك محاولة للتقارب مع التمدد الرافضي الفارسي. وهذا التغيير بالغ المكر والخديعة من المستعمر ، حيث استطاع توصيف النصيرية بهذا الوصف لعلمه بنفور الناس من النصيريين ، وقبولهم لموضوع التشيع. ثم أُلزمت الجهات الحكومية بهذا التغيير في المسمى من النصيرية إلى العلوية [1].

وكانت الطوائف الباطنية الأخرى كالإسماعيلية والدروز في صف النصيرية الباطنية ، ويساندونها حينما كانوا يخططون لإقامة الحكومة النصيرية الباطنية في سوريا [2] ، بل كانت لهم مواقف مخزية ومتصفة بالخيانة والنفاق أيام الحرب مع اليهود ١٩٦٧م ضد المسلمين [3].

وبعد الاستعمار وتشكيل الأحزاب السياسية هناك ، كانت النصيرية والمستعمرين يهدفون لأن تكون هذه الفرقة أقوى الأحزاب ومسيطرة على البلاد ، فأسسوا لها حزباً سياسياً باسم — الكتلة الوطنية — الذي أصبح ناطقاً للتوجه النصيري الباطني . وهذه الفرقة سفكت دماء أهل سوريا المسلمين سفكاً شديداً ، وقتلت وشردت وسجنت بالآلاف .

ومن فعائلها الشعوبية أنها سلمت جزءاً من بلاد الشام للصهاينة اليهود[4] ، ليقتسموا معهم ديار المسلمين ، وهذا يؤكد التقارب والتواطؤ الشعوبي بين كافة أصنافه .

ومن دسائسهم الشعوبية كذلك ، اتحادهم مع الرافضة المجوس في بلاد فارس ، للسيطرة على بلاد الشام وإيران والعراق ، وتهجير أهل السنة أو تعذيبهم في السجون أو بتهديم البيوت وتدمير المساكن ، وكذلك في التخطيط مع الفرس المجوس للنيل من الدول الاسلامية الأخرى . وفي هذه الوقت تنعم النصيرية بدعم واضح من الغرب الصليبي الكافر ، ومن الصهاينة اليهود ، خصوصاً بعد ما سمي — بالربيع العربي - ، الذي كان ضحيته المسلمين وبلادهم بتخطيط الغرب الكافر ، وأذنابهم من الروافض والمنافقين [5].

---

[1] انظر : تاريخ سورية المعاصر ، كمال ديب ، ص : ٤٢، والحركات الباطنية ، ص : ٣٣٤- ٣٣٨.

[2] انظر : النصيرية دراسة تحليلية ، ص : ١٧٢.

[3] انظر : طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها ، سليمان الحلبي ، ص : ١٠٩.

[4] انظر : الحركات الباطنية ، ص:٣٣٦.

[5] انظر : النصيرية الباطنية وعلاقتها بالمجازر العدوانية في سورية ، أحمد محمود علي ، ص : ٦٢ — ٧٠

وفي الحقيقة أن الحديث عن النصيرية وخطرها طويل ، ويزداد طولاً حين يُستعرض تاريخهم الدموي ، إضافة إلى فسادهم العقدي والأخلاقي ، ولكن ما ذكر نموذج لخطرهم الشعوبي الباطني

وأختم هذا المبحث بفتوى شيخ الإسلام ابن تيمية عن النصيرية الباطنية ، حيث قال :

" ... هؤلاء القوم المسمَّون بالنصيرية ، هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية ، أكفر من اليهود والنصارى ، بل وأكفر من كثير من المشركين ، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين ، مثل : كفار التتار والفرنج وغيرهم ؛ فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع ، وموالات أهل البيت ، وهي في الحقيقة لا يؤمنون بالله ، ولا برسوله ، ولا بكتابه ، ولا بأمر ولا نهي ، ولا ثواب ولا عقاب ، ولا جنة ولا نار ، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ ، ولا بملة من الملل السالفة ، بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين يتأولونه على أمور يفترونها ؛ يدعون أنها علم الباطن .... إذ مقصودهم إنكار الإيمان وشرائع الإسلام بكل طريق مع التظاهر بأن لهذه الأمور حقائق يعرفونها .... ولهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة .... ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم ، وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين ... ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل ، وانقهار النصارى ، بل ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار . ومن أعظم أعيادهم إذا استولى – والعياذ بالله تعالى – النصارى على ثغور المسلمين .... وقد اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء لا تجوز مناكحتهم ، ولا يجوز أن يُنْكِح الرجل مولاته منهم ، ولا يتزوج منهم امرأة ، ولا تباح ذبائحهم ..... ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين ، ولا يصلى على من مات منهم ... ، ثم قال رحمه الله : " وأما استخدام مثل هؤلاء في ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم ، فإنه من الكبائر ، وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعي الغنم ، فإنهم من أغش الناس للمسلمين ولولاة أمورهم ، وهم أحرص الناس على فساد المملكة والدولة .... ولا ريب أن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات ..... ويجب على كل مسلم أن يقوم في ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب ، فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم ، بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم ... " [١].

---

[١] مجموع الفتاوى ، ص : ٣٥ / ١٤٩ – ١٥٩ ، وانظر أيضا : ٣٥ / ١٦١ – ١٦٢.

وفي الحقيقة أنك حين تتأمل في كلام ابن تيمية رحمه الله في النصيرية ، تجد أن كلامه في النصيرية يدور حول أهداف الشعوبية : هدم العقيدة ، وإسقاط الدول الإسلامية بفرح غزو الصليبيين للبلاد الإسلامية وإعانتهم عليها ، وما ذكره عنها في ذلك الزمان ، ها هي اليوم تعيده !! بل بصورة أشد جرماً .

المبحث الثالث : التشكيك والطعن في العقيدة الإسلامية

وهذا الطعن والتشكيك ليس مستغرباً من أمثال أولئك الشعوبيين ؛ لأن قلوبهم لم تطمئن يوماً بتوحيد الله وعبادته ، ولم يمكّنوا هذه العقيدة الاسلامية أن تحرر أنفسهم من وثن الشرك والزندقة ، بل ردوها كبراً وحسداً. وليتهم اكتفوا بأنفسهم ، بل نصبوا شباكهم الإلحادية ليتصيدوا بها قلوبَ الناس وأفكارَهم ، حتى يظل المرء في حيرة من دينه ، واضطراب واشمئزاز في روحه ، وهذا الطعن والتشكيك من قبل الشعوبيين وأذنابهم يدور على ثلاثة أمور :

أولاً : ما يتعلق بحق الله سبحانه

وهو توحيده وتعظميه وعبادته ، الذي هو أعظم الحقوق ، وغاية خلق العباد ، لكن لم يأت به الشعوبيون ، ولم يرفعوا به رأساً. فهم أهل شرك واتحاد وحلول ، حتى في الربوبية أشركوا مع الله . فمن طعنهم في حق الله : تشبيهه بخلقه في أفعاله وصفاته ، أو على النقيض من ذلك ، حيث ينفون عن الله صفات الكمال ، ونعوت الجلال ، فجمعوا بين النقيضين .

ومن طعونهم في حق الله : ، قولهم بحلول الله في أجساد أئمتهم – تعالى الله عن ذلك – وأن أئمتهم جزء من النور الإلهي ، كما فعلت السبئية مع على بن أبي طالب ، حين زعموا أن الله حل فيه ، ثم ألهوه ، وصارت بعد ذلك صبغة شعوبية باطنية [١].

ومن طعونهم في صفات الله تعالى ، ما قالته فرقة الكيسانية ، بجواز البداء[٢] على الله ، وهذا القول اخترعه المختار بن أبي عبيد الثقفي ، عندما وعد الناس بغلبته على من خرج عليه من أهل الكوفة ، وأن الله أوحى إليه بذلك ، فلما هُزم قال : الله وعدني ثم بدا له أمر آخر [٣].

وقد كان لغلاة الرافضة دور في نشر الطعونات الشعوبية التي طعنت في حق الله ، ومنها فرقة الهشامية : وهم أتباع هشام بن الحكم [٤] الرافضي ، الذي شبه الله بخلقه ، ووصفه بالجسم

---

[١] انظر : الفرق ، ص : ٢٣٥

[٢] تقدم التعريف بهذه الفرقة وبمعنى البداء ، ص : ١٠٩ ، ١١٠ من هذا البحث .

[٣] انظر الفرق ، ص : ٤٨ – ٦٢

[٤] هو : هشام بن الحكم الشيباني بالولاء ، الكوفي ، زعيم فرقة الهشامية الرافضية ، ولد بالكوفة ، من غلاة

=

والطول والعرض ، وقال هو : سبعة أشبار بشبر نفسه – تعالى الله عن ذلك – ، ومن زندقته أنه أنكر علم الله بالأشياء قبل حدوثها ، وقال بألوهية علي بن أبي طالب ، وجوّز المعصية على الأنبياء أما الإمامة فغلا فيها بقوله : أن الإمام لا تجوز عليه المعصية [1] ، وقد ذكر البغدادي وكذلك الشهرستاني أن ابن الراوندي كان ينقل عن هشام هذا مقولاته وعقائده[2]، وهذا يدل على أن الفرق الشعوبية تتناقل عقائدها الباطلة ، وتتواصى عليها .

وكذلك كان لمفوضة الرافضة ، طعون وزندقة في حق الله تعالى على الخلق والتدبير ، حيث تزعم مفوضة الرافضة أن الله فوض لمحمد خلق العالم ، ثم محمد فوض علياً بعد ذلك . يقول البغدادي : وهذه الفرق شر من المجوس الذين زعموا أن الإله خلق الشيطان ثم الشيطان خلق الشرور ، وشر من النصارى الذين سمَّوا عيسى عليه السلام مدبراً ثانياً ، فمن عد مفوضة الرافضة من فرق الإسلام ، فهو بمنزلة من عد المجوس والنصارى من فرق الإسلام [3].

وأما من جهة توحيد العبادة وإقامة حق الله فيه ، فهم أهل شرك وقبوريات ، ولأن المجوس الفرس هم أساس الفكر الشعوبي ؛ فلا يزال هذا الطعن فيهم إلى يومنا هذا. فغلوهم في الحسين بن علي ﵁ وغيره ، وبناء المشاهد والمزارات في النجف وقم وكربلاء ، ودعوة الناس لقصدها وشد الرحل لها ، أصبح أمراً مشاهداً علناً [4] ، وينقل في وسائل الإعلام والتواصل ، وبشكل حي ومباشر ، وهذا من غربة التوحيد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ومن الفرق التي ساندت الشعوبية وكان لها دور في الطعن في حق الله تعالى : الجهمية ، حيث يزعمون أن التوحيد هو المعرفة فقط ، وأن الكفر هو الجهل بالله ، فمن عرف الله عندهم مجرد

الرافضة ، وكان جبرياً مجسماً ، كان ملازماً ليحيى بن خالد البرمكي ، ولما حدثت نكبة البرامكة استتر ، ومات على إثرها ، انظر : الوافي بالوفيات : ٢٦ / ٥٧ ، ولسان الميزان : ٨ / ٣٣٤ .

(١) انظر : مقالات الإسلاميين ، ١ / ٤٤ ، ٥٥ ، ٦٦ ، والملل والنحل : ١ / ١٤٩ .

(٢) انظر : الفرق : ٧٢- ٧٦ ، والملل والنحل : ١٤٩ ، ١٥٠

(٣) انظر الفرق : ٢٥٥ ، ٢٥٦.

(٤) انظر : بطلان عقائد الشيعة ، محمد التونسوي ، ص : ١٥ ، ١٠٧ .

معرفة فهو مؤمن ، وبمثل هذا القول دخلت الإباحية وسائر الزنادقة في الإسلام [1].

ومن طعون الشعوبية الزنادقة في حق الله تعالى ، طعنهم والتشكيك في كلام الله تعالى ، وهو القرآن الكريم ، مصدر التشريع الأول ، وتبيان كل شيء ، حيث ناله منهم الأذى الكثير ، وألحدوا فيه غاية الإلحاد . ومن ذلك ما سنته لهم الرافضة بأن القرآن الذي بين أيدي المسلمين ناقص ، وأنه ليس هو المصحف الكامل ، حيث يزعمون أنه قد ذهب منه قدر ثلثيه ، وما بقي منه موقفهم منه التأويل والتحريف ، والزيادة والنقصان ، وألفوا في ذلك الكتب والرسائل للقول بتحريف القرآن الكريم ، يقول البحراني في مقدمة تفسيره : " ... اعلم أن الحق الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله ﷺ شيء من التغييرات ، وأسقط الذين جمعوه كثيراً من الكلمات والآيات ... " [2] ، ثم يقول : " ... وعندي في وضوح صحة هذا القول ، بعد تتبع الأخبار ، وتفحص الآثار ، بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع ، وأنه من مفاسد غصب الخلافة ... " [3] . وألف كذلك النوري الطبرسي الرافضي كتاباً في هذا الباب ، سماه : - فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب - .

وهذا القول من الرافضة طعن في إخبار الله بحفظه كتابه ، وطعن في قداسة القرآن الكريم ، وتشكيك للناس والعامة ، خصوصاً حديثي الإسلام في البلاد غير الاسلامية ؛ لأن الاعتقاد بمثل هذا الشيء ينبني عليه الضلال في الاعتقاد والشرائع كلها ، وتحريف الدين .

وأما الفرق الباطنية التي هي مرتع خصب للفكر الشعوبي فموقفهم من القرآن أشد سوءاً وكفراً وزندقة ، فهم يجعلون للقرآن معنىً ظاهراً ، ومعنىً باطناً ، حرفوا به الكلم عن مواضعه ، وجعلوا

---

[1] تقدم الكلام عن دور الجهمية في قيام الفكر الشعوبي في الباب الأول ، انظر ص : ٩٨.

[2] مقدمة تفسيره البرهان ، المسماة : مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ، ص : ٦٢ . والبحراني هو لقب للمؤلف واشتهر به ، واسمه : هاشم بن سليمان بن إسماعيل الكتكاني التوبلي الحسيني ، من علماء الإمامية في القرن الثاني عشر الهجري ، وتفسيره البرهان من أشهر مؤلفاته ، توفي عام : ١١٠٧هـ ، انظر : الأعلام ٨ / ٦٦

[3] مقدمة تفسير البرهان ، ص : ٨٤ ، وانظر : الشيعة والقرآن للشيخ إحسان إلهي ظهير ، ص : ٢٧ — ١٠٥.

ألفاظ القرآن معطلة وفق أهوائهم الباطنية الدنيئة ، وحملوها ما لا تحتمل ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، يقول ابن تيمية :" وأما المنافقون من هذه الأمة الذين لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة ، فإنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحاني ، وهؤلاء مثل : القرامطة الباطنية الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة ، ومثل المتفلسفة الصابئة المنتسبين إلى الإسلام ، وطائفة ممن ضاهوهم ، من كاتب أو متطبب أو متكلم أو متصوف ، كأصحاب – رسائل إخوان الصفا – ، وغيرهم ، أو منافق ، وهؤلاء كلهم يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان" [1].

فمن الفرق الباطنية الشعوبية : الإسماعيلية [2] ، فهم لا يؤمنون بكتاب الله ، ولا بنزوله من عند الله ، ويحرفونه تحريفاً شديداً ، لا يقوم على عقل ، فضلاً عن علم وحكمة .

فمثلاً : يقول الداعية الإسماعيلي – جعفر بن منصور اليمن – ، في كتابه الكشف : (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) قال : كأني أنظر إلى قائم الحق وقد انشق أمر النطقاء ، وظهر بعالمه فيزهر له الأفق ...) [3]. وفي قوله : (والطور وكتاب مسطور ...) ، قال : (الطور الناطق ، والكتاب المسطور العلم ، والرق المنشور الحجة صلوات الله عليه ، والبيت المعمور الذرية ...) [4].

وفي قوله تعالى : (فلا أقسم بالخنس ...) ، يقول : (قال أمير المؤمنين : الأوصياء مني وأنا

---

[1] مجموع الفتاوى : ٤ / ٣١٤ .

[2] هي : فرقة تنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، وزعموا أن الإمامة فيه بعد أبيه جعفر الصادق ، وافترقوا فريقين : فرقة منتظرة لإسماعيل بن جعفر ، وفرقة قالت : إن الإمام بعد إسماعيل هو ابنه محمد وإلى هذا القول مالت الإسماعيلية من الباطنية ، ، ومن عقائدهم أن الأئمة تدور أحكامهم على سبعة سبعة كأيام الأسبوع والسماوات السبع ، ويزعمون أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ، وكذلك من لم يبايع إمامه الإسماعيلي ، ومن ألقابهم : الباطنية ، القرامطة ، التعليمية ، انظر : فرق الشيعة ، ص : ٧٨ ، والفرق ، ص : ٧٠ ، والملل والنحل : ١ / ١٥٥ – ١٦٢

[3] كتاب الكشف ، ص : ٢٩

[4] المرجع السابق نفسه .

منهم ، فخنس أنفسنا ونجري ونكنس من عدونا إلى الدردور وهو سيف القائم ...) [1]. وفي قوله : (وأوحى ربك إلى النحل ...) ، قال : (فالنحل هم الأئمة المحلون علم الله لأنهم مستودعون هدى الله ونورة ، والجبال : الدعاة الذين هم مقام الحجج ...) ، (ومن الشجر) قال : (وهم الدعاة الذين هم تحت الحجج ، (مما يعرشون) ، يعني : ومما يتوالدون ، يقول الله للأئمة : (ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً) فالثمرات العلم ، وسبل الله : العمل) [2].

ومن الفرق الباطنية ذات الفكر الشعوبي أيضاً ، فرقة الدروز[3] ، وهي امتداد للإسماعيلية الباطنية ، ومنبثقة عنها .

وعقيدتهم في القرآن العظيم : أنه ليس بكلام الله ، وإنما من كلام سلمان الفارسي، ومحمد ﷺ تلقاه عنه ، وموقفهم من حروف القرآن وكلماته : التأويل الباطني .

ومن الأمثلة على ذلك ، ما يوجد في كتابهم المعظم عندهم – رسائل الحكمة [4] – ، من تأويلات باطنية كثيرة لآيات القرآن العظيم ، ومنها :

---

[1] كتاب الكشف ، ص : ٣٠ .

[2] المرجع السابق ، ص : ٤٢ .

[3] هي : فرقة باطنية تأسست في عهد الحاكم بأمر الله العبيدي ، ومؤسسها : محمد بن إسماعيل الدُّرزي المعروف بأنوشتكين ، لقب بالدرزي نسبة إلى – أولاد درزة– أي : صانعي الثياب ، وسانده حمزة بن علي الزوزني الذي قال بربوبية الحاكم ، ولما اختلف الدرزي مع حمزة واتهمه بالتعجل في الكشف عن المذهب ، هرب الدرزي للشام وبث دعوته هناك ، ويعرف الدروز باسم – الموحدين– ، لهم أعياد ثلاثة : عيد النبي شعيب يوافق ٢٥ نيسان ، وعيد الأضحى ، وعيد النبي سبلان ، ولهم وجود عند هضبة الجولان ، ولبنان وقرب دمشق وجبل حوران . انظر : أطلس الفرق والمذاهب الاسلامية ، ص : ١١٨،١١٩ .

[4] رسائل الحكمة من المكتب المقدسة عند الدروز التي يستمدون منها عقائدهم ، وفيها دعوتهم إلى تأليه الحاكم العبيدي وأن التوحيد عندهم هو معرفة الحاكم ، وهي مائة واحدى عشرة رسالة ، انظر : موسوعة الفرق والجماعات ، ص : ٢٢٢ .

((وقد سمعتم في مجالس الحكمة الباطنية بأن الزكاة ولاية علي بن أبي طالب والأئمة من ذريته والتبري من أعدائه أبي بكر وعمر وعثمان .... ومن مات ولم يعرف إمام زمانه وهو حي مات موتة جاهلية ، وهو معرفة توحيد مولانا [1] جل ذكره ...)) [2].

((الصوم عند أهل الظاهر وكافة المسلمين يعتقدون بأن الناطق قال لهم : صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ... ومولانا جل ذكره هدم الصوم بكماله مدة سنين بكثرة ، بتكذيب هذا الخبر ... وأمر بالإفطار في اليوم الذي يعتقدون المسلمون كلهم بأنه خاتم الصوم ولا يقبل منهم الشهر إلا بصيامه ... وباطن الصوم فقد قالوا فيه الشيوخ بأن الصوم هو الصمت ...)) [3]. ((والعامة يرون أن هذه الآية حكاية عن لقمان الحكيم لولده [4] ، فكذبوا وحرفوا القول وإنما هو قول السابق وهو سلمان ، وإنما سمَّى الناطق ولده لحد التعليم والمادة إذ كانوا سائر النطقاء والأوصياء أولاد السابق المبدع الأول هو سلمان ، فقال لمحمد : " أقم الصلاة "، إشارة إلى توحيد مولانا جل ذكره ولحدوده ودعاته ...)) [5].

وفي العصر الحاضر حاول بعض رموز الدروز أن يخترع مصحفاً خاصاً بالطائفة الدرزية وسماه : – المنفرد بذاته أو مصحف الدروز– ، يتداول بينهم بشكل سري ، وتكتم شديد ، لكن تباين الموقف الدرزي من ذلك المصحف المخترَع ما بين مؤيد وممانع ، وهو مليء بالشركيات والوثنيات ، ويدعو إلى تأليه الحاكم بأمر الله العبيدي [6].

ومن نماذج ما فيه من تحريف ، على سبيل المثال : في آية الكرسي (له ما في السماوات ...)

---

(1) يقصد بمولاه الحاكم العبيدي !!

(2) رسائل الحكمة ، ١ / ٥٧ . وهذا القسم من الرسائل معنون بـ – النقض الخفي – ، وفيه الدعوة لهدم أركان الإسلام الخمسة ، ولتأليه الحاكم .

(3) المرجع السابق : ١ / ٥٨

(4) يقصد بها الآية رقم : ١٧ ، من سورة لقمان ، (يا بني أقم الصلاة ...) .

(5) رسائل الحكمة ، ١ / ٩٩ .

(6) انظر كتاب : حل الرموز في عقائد الدروز ، محمد سليم الآمدي ، ص : ٤٨ — ٥٠ من قسم الدراسة لمحقق الكتاب .

يعني : النطقاء والأسس [1]. (من ذا الذي يشفع ...) يعني : من ذا الذي يقدر على إطلاق داع أو مأذون إلا بمشيئته ، ومن ذلك أيضاً في قوله تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو ....) ، أي : شهد محمد ، (أنه) إشارة إلى مولانا جل ذكره ... ، (لا إله إلا هو ...) أي : لاهوت مولانا جل ذكره ، و(الملائكة) أي : الحجج ، وفي قوله : (نور على نور ...) : النور الأول : قائم الزمان ، والثاني : حجته .

وفي قوله : (منها خلقناكم ...) : يعني الظاهر ، (وفيها نعيدكم ...) ، أي : الباطن ، إلى غير ذلك ... عياذاً بالله من الكفر العظيم [2].

والدروز من الفرق الباطنية التي أسست على الفكر الفارسي المجوسي الشعوبي ، من إنكار العقيدة والغيبيات ، وتأويل الشرائع ، واعتقاد نسخها بمعتقداتهم ، واستحلال المحرمات .

ولهم وجود في لبنان بشكل كبير ، ولهم حزب سياسي قوي باسم : الحزب التقدمي الاشتراكي ، أسسه : كمال جنبلاط اللبناني الدرزي سنة ١٩٤٩ م ، ثم أسس الجبهة الوطنية عام ١٩٥١م ، وشغل مناصب في الدولة لعدة وزارات في لبنان ، حتى اغتيل سنة ١٩٧٧م ، وابنه وليد كمال جنبلاط هو رئيس الحزب التقدمي الحالي [3].

ثانياً : ما يتعلق بحق النبي ﷺ

لقد نال الرسولَ من طعون الزنادقة والباطنية الشيء الكثير ، ولكن هذه المقولات منهم لم تزد مقام النبي ﷺ إلا رفعة ومجداً وسؤدداً في قلوب أمته . وللشعوبيين في ذلك طرق وأبواب تدور

---

[1] الناطق والأساس من أسماء المراتب الكلية عند دعاة الإسماعيلية ، فالناطق هو : الذي يؤسس التعاليم الدينية للعبادات الظاهرة ، والناطق ، هو : الذي يقبل تلك التعاليم ببركته ويؤسس التعاليم الباطنية بتأويلها ، وثالثها وأكملها عندهم : الإمام ، وهو : الذي تجتمع له السلطة الدينية الكبرى ، ويتولى توجيه الدعاة ، انظر : حركة الحشاشين تاريخ وعقائد ، محمد عثمان الخشت ، ص : ١٨٠ .

[2] انظر : حل الرموز في عقائد الدروز ، ص : ٣٠٦ – ٣٢١ .

[3] انظر : المرجع السابق ، في حاشية رقم : ٤ ، ص : ٤٨ ، ٤٩ .

حول أربعة أمور :

١-إنكار النبوة والرسالة والقدح في الأنبياء

حيث أن الفرق الباطنية الشعوبية من النصيرية والقرامطة والدروز وغيرها ، تنكر النبوة ، وينكرون معجزات الأنبياء ، ولا يؤمنون بالملائكة ، ويسبون ويشتمون الأنبياء والرسل ، وينالون من أعراضهم. ويطعنون في الأنبياء بأنهم قوم أحبوا الرياسة والزعامة ، فساسوا العامة بأفكارهم ودعوتهم ، واستخدموا الحيل والنواميس لذلك – حسب زعمهم – .

وقد ذكر البغدادي أنه وقف على رسالة من عبيد الله بن الحسين القيرواني العبيدي الباطني [١]، والد الخلفاء العبيديين ، إلى سليمان بن الحسن القرمطي[٢]، ملأها بالكفر والزندقة ، ومما ذكره قوله : " ... وإنا وإياهم – أي من على دعوته الباطنية – ، مجمعون على رد نواميس الأنبياء ... ثم قال : ولا تكن كصاحب الأمة المنكوسة حين سألوه عن الروح – يقصد الرسول ﷺ– ، فقال : الروح من أمر ربي ، لما لم يعلم ولم يحضره جواب المسألة ، ولا تكن كموسى في دعواه التي لم يكن له عليها برهان سوى المخرقة بحسن الحيلة والشعبذة ، ولما لم يجد المحقق[٣] في زمانه عنده برهاناً قال : لئن اتخذت إلهاً غيري ... وقال لقومه : أنا ربكم الأعلى ؛ لأنه كان صاحب الزمان في وقته . ومما نقل أيضاً عن ذلك العبيدي الزنديق قوله : وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء ، وليست له زوجة في حسنها ، فيحرمها على نفسه ، ويُنكحها من أجنبي ، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبي ، وما وجه ذلك إلا أن صاحبهم – يقصد الرسول ﷺ– ، حرم عليهم الطيبات ، وخوفهم بغائب لا

---

(١) سيأتي بيانه في الكلام عن الدولة العبيدية في الباب الثالث .

(٢) هو : أبو طاهر سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي القرمطي الباطني ، من زعماء القرامطة ، وهو الذي استباح البلد الحرام ، وقتل الحجاج ، واقتلع الحجر الأسود ، من كبار زنادقة القرامطة ، وإفساده في مكة وغيرها من بلاد المسلمين مشهور ، تولى زعامة القرامطة بعد أن خرج على أخيه الكبير سعيد الذي خلّفه أبوه أبو سعيد الجنابي ، ذكر الذهبي أن وفاته سنة : ٣٠٢هـ ، انظر : السير ١٢ / ١٨ ، والأعلام : ٣ / ١٢٣ .

(٣) يقصد بذلك فرعون وينعته بأنه محقق ، وفيه ذم مبطن لرسول الله موسى عليه السلام .

يُعقل ، وهو الإله الذي يزعمونه ، وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبداً من البعث من القبور والحساب والجنة والنار ، حتى استعبدهم بذلك عاجلاً ...[1].

ومثلهم الدروز ، ففي رسائل الحكمة عندهم : (... وكل شريعة من الشرائع الأربعة : البراهمة المتعلقين بإبراهيم ، واليهود المنسوبين إلى موسى ، والنصارى المعروفين بعيسى ، وأتباع محمد بن أبي كبشة ومسوخ شريعته ، يعتقدون ويقرون بأن الباري جلت قدرته يتجلى في يوم القيامة لبريته ، ويحاسب الخلق ويمزق السموات ويبدل الأرض بهويته . والكل منهم جاهل بحقيقة المعنى ، مائل عن المقصد الأفضل متمسك بالأدنى ...) [2] ، وفيها أيضاً : (... ثم انظروا ما موّه به صاحب شريعة الإسلام ، ما هو بالله أعظم من الشطن والتلبس وعبادة الأصنام ، فقال : إنه أسري به في ليلة واحدة من مكة إلى مسجد بيت المقدس ... ولم يكن له دين ولا رِعَة يزجراه عما لفق من الزور والكذب ...) [3].

هذا هو موقفهم من نبينا ﷺ ومن سائر الأنبياء ، حيث ملئوا قلوبهم وصحفهم حقداً وكفراً وزندقة على أنبياء الله ورسله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ومن الفرق التي وافقت الشعوبيين في طعنهم لمقام النبوة ،: الغرابية ، من غلاة الرافضة ، حيث زعموا أن النبوة لعلي بن أبي طالب ، لكن جبريل غلط وأرسلها لمحمد ، وهذه الفرقة تدعو أتباعها للعن النبي صلى الله عليه وسلم – عياذاً بالله من الزندقة – ، كما تدعو إلى لعن جبريل عليه السلام ؛ ولهذا ذكر البغدادي أنها أكفر من اليهود [4].

ومن غلاة الرافضة أيضاً الذين نالوا من النبي صلى الله عليه وسلم وطعنوا في نبوته ، فرقة الذَّمية ، فيزعمون أن النبي ادَّعى النبوة لنفسه ، وادعوا تأليه على بن أبي طالب ، وأنه هو الذي بعث محمداً بالنبوة لكن محمداً نسبها لنفسه – عياذاً بالله من زندقتهم – ، وقال البغدادي : وهذه

---

[1] انظر الفرق ، ص : ٣٠٠ – ٣٠٣

[2] ٤ / ٤٤٦ .

[3] رسائل الحكمة : ٥ / ٦١٨ .

[4] انظر الفرق ، ص : ٢٥٥ ، وسميت غرابية لقولهم أن علياً يشبه الرسول ، كشبه الغراب بالغراب .

الفرقة خارجة عن فرق الإسلام ؛ لكفرها بنبوة محمد ﷺ [1].

ومن الفرق ذات الفكر الشعوبي في هذا الشأن : فرقة الرافضة الإمامية الاثني عشرية [2]، وهي من الفرق التي آذت وطعنت النبيَّ صلى الله عليه وسلم في عرضه ، في أمهات المؤمنين رضي الله عنهم ، وقذفوا واتهموا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وينبزونها بالحميراء ، ويتبرؤون منها ، وهذه الصنائع لا تصدر إلا من أهل النفاق والكفر [3].

وعندهم بأن القائم المهدي إذا قام فإنه يقيم على عائشة الحد وينتقم منها ، فقد روى المجلسي :

(... أن أبا جعفر عليه السلام قال : لو قام قائمنا لقد ردت إليه الحميراء ، حتى يجلدها الحد ، وحتى ينتقم لابنة محمد فاطمة رضي الله عنها ، منها) [4].

ولقد سئلت عائشة رضي الله عنها عمن لا يراها بأم المؤمنين ، فردت بقولها : " ... صدق ، أنا أم المؤمنين ، فأما الكافرون فلست لهم بأم " [5].

والرافضة الإمامية اليوم أضافوا لما سبق من طعونهم في حق نبينا ﷺ أسلوباً جديداً مبطناً في النيل من مكانة الرسول ﷺ ، وهو عن طريق التمثيل أو المسلسلات أو الأفلام ، فقاموا بتمثيل وإنتاج فيلم إيراني مجوسي فارسي باسم – محمد رسول الله – ، يزعمون فيه تصوير حياة الرسول ﷺ وعرضوا فيه بعض اللقطات التي تمثل جسد الرسول ﷺ وهيئته ، وتم عرض هذا الفيلم في مهرجان مونتريال بكندا : في ١٢ / ذو القعدة ١٤٣٦هـ ، وهذا والله من سوء أدبهم مع الأنبياء أجمعين ، وهم حالهم اليوم كحال سلفهم المجوس والباطنيين في أذية الأنبياء والمرسلين وأتباعهم. ولقد شجبت واستنكرت المراجع العلمية والهيئات ذلك الشيء ، وجرّمت هذا الفعل الآثم ومن فيه ، وأفتوا بحرمته ، كهيئة كبار العلماء بالسعودية ، واللجنة الدائمة للإفتاء ، ورابطة العالم الاسلامي

---

[1] انظر الفرق ، ص : ٢٥٦

[2] انظر المرجع السابق ، ص : ٦٢ – ٧٩ ، والملل والنحل ، ص : ١٣٠ – ١٣٩

[3] انظر :بطلان عقائد الشيعة ، ص : ٥٣ ، وكتاب السنة والشيعة ، ص : ٤٧ – ٤٩.

[4] بحار الأنوار : ١٣ / ٣٥٥ .

[5] أخرجه الآجري في الشريعة ، رقم : ١٩٠٨ ، ص : ٢ / ٦٠٤ ، واللآلكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، رقم : ٢٧٦٨ ، ص : ٨ / ١٥٢٣ .

، والهيئة العالمية للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته ، ومجمع الأزهر بمصر [1].

ومما قاله سماحة المفتي العام الشيخ عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله : إن عرض هذا الفيلم لا يجوز ... ، ووصفه بأنه فيلم مجوسي وعمل عدو للإسلام ، وحذر من تداوله ؛ لأنه من الاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، والحط من قدره ، ووصفه بأنه عمل فاجر وتشويه للإسلام [2].

٢–ادعاء النبوة

ظلت فكرة ادعاء النبوة من كافة الفرق الباطنية الشعوبية لازمة لهم ، لا تكاد تخلو منها فرقة ، حيث تبدأ الفرقة بإظهار غلو شديد لإمامهم في التقديس والتعظيم ، ثم ما يلبث أن يدّعي النبوة أو تُدّعى له. وهذه الفكرة اكتسبوها من سلفهم المجوس الفرس والهندوس ، وهي من بقايا سفسطة الفلاسفة اليونانيين ، التي تجعل النبوة مكتسبة لغير الأنبياء ، وقد كان للعقائد اليونانية الوثنية تأثير على كثير من الديانات والفرق [3].

وحيث أن تلك العقائد كانت متداولة في بلاد الفرس ، ومع اختلاطهم مع المسلمين بعد الفتوحات ، ظل هذا الأمر كامناً فيهم ، كغيره من باقي العقائد المنحرفة. ثم عزز هذا الادعاء ما أضافه وأسسه لهم عبد الله بن سبأ اليهودي بإحياء هذه الفكرة ، وجعلها في علي بن أبي طالب وذريته ، وأصبحت بعد ذلك شائعة في الفرق الشعوبية من الرافضة والباطنية وغيرها [4]. والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها :

فرقة البيانية : أتباع بيان بن سمعان [5]، حيث زعموا أن النبوة انتقلت من محمد ابن الحنفية إلي

---

[1] للاطلاع على البيانات انظر : الموقع الرسمي للهيئة العالمية للتعريف الرسول ﷺ ونصرته ، قسم بيانات الهيئة ، http://mercyprophet.org أو الموقع الرسمي لرابطة العالم الاسلامي ، قسم البيانات الرسمية : http://www.themwl.org/web

[2] انظر : البيان في الموقع الرسمي للمفتي العام : http://www.mufti.af.org.sa/node/٣٥٥١

[3] انظر : الآثار العقدية للوثنية اليونانية ، علي الشبل ، ص : ٥٢ – ٧٨

[4] انظر : الزنادقة ... ، ص : ١ / ٣٢١ .

[5] هو : بيان بن سمعان النهدي ، قال عنه الذهبي : بيان الزنديق . ظهر بالعراق بعد المائة ، وزعم ألوهية

=

ابنه أبي هاشم ، ثم انتهت إلى بيان هذا ، بوصية من أبي هاشم ابن الحنفية. وقد طغى هذا الرجل وتزندق حيث ادعى النبوة ، وأنه نسخ شريعة محمد ﷺ ، وزعم أن الرب حل فيه ، وأنه هو المذكور في الآية :(هذا بيان للناس...)[1]. وأن اسمه الاسم الأعظم الذي يجاب به الدعاء ، ويهزم به العسكر ، ثم زعم أنه الإله. وكتب إلى محمد بن علي الباقر بأن يؤمن به ويدعوه لنفسه ، ولقد مكن الله منه خالداً القسري ، فقتله وصلبه ، وأراح الخلق منه [2].

ولهذه الفرقة امتداد آخر ، وهي فرقة الحربية ، أتباع عبد الله بن حرب [3]، حيث كان على معتقدات بيان ، وبعد وفاة بيان زعمت فرقته الحربية ، أن لزعيمهم هذا ما لبيان من الصفات[4]. وكذلك المختار بن أبي عبيد ، صاحب فرقة الكيسانية ، ادعى النبوة ، وقد تقدم الكلام عنه. وكذلك أبو منصور العجلي صاحب فرقة المنصورية ادعى النبوة ، وقد تقدم ، والشاهد أن لغلاة الرافضة دور خطير في تعزيز الموقف الشعوبي العدائي تجاه النبوة .

وفي العصر الحاضر ما تزال فكرة ادعاء النبوة متتابعة في الفرق الشعوبية المعاصرة ، فالقاديانية ، ادعى زعيمها النبوة وتبعته على ذلك فرقته [5].

وادعاء النبوة لا شك أنه من أكبر الطعون في نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ خاتم النبيين

علي بن أبي طالب وبأن الله حل فيه ، ثم في ابنه ابن الحنفية ، ثم ابنه أبي هاشم ، ثم زعم أن الله حل فيه . ادعى النبوة ، وكتب للناس بذلك ليصدقوا به ، قتله خالد القسري ، انظر : فرق الشيعة ، ص : ٤٦ ، وميزان الاعتدال للذهبي ، ١ / ٣٥٧.

[1] سورة آل عمران : ١٣٨.

[2] انظر الفرق : ٢٣٩ — ٢٤٥ ، وانظر: عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني ، ص : ٤٥٧ ، والملل والنحل : ١٢٢ - ١٢٣

[3] هو : عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي ، زعيم فرقة الحربية ، كان أول أمره على مذهب بيان بن سمعان ، ثم زعم أن روح الله انتقلت من أبي هاشم ابن ابن الحنفية إليه ، انظر : فرق الشيعة ، ص : ٤٦ ، ومقالات الإسلاميين ١ / ٢٦ ، والفرق ، ص : ٢٤٥ .

[4] الفرق ، ص : ٢٤٥

[5] انظر : صفحة : ١١٣ من هذا البحث .

، وشريعته ناسخة لما قبلها ، فأنْ يأتي من يدعي بعده النبوة ، فيلزم من ذلك أفضليته على نبوة نبينا ﷺ، ويلزم عليه دعوة الناس لنفسه وترك الدعوة المحمدية ، ويفتح أبواب الزندقة والإلحاد والشبه على مصارعها ، إلى غير ذلك من الطعون والبوائق . إضافة إلى أن مثل هذه الأفعال المستَهجَنة المقيتة ، تناقض ما هو مستقر في فطر الخلق من تعظيمهم لأنبيائهم .

٣-الطعن في الحديث النبوي

وهذا أيضاً من عادة الزنادقة والشعوبيين ؛ لنشر مذاهبهم ولتشكيك الناس في الدين الحق المستقيم. حيث يلفقون أخباراً وأحاديث موضوعة ؛ تثير الشبه والشكوك حول العقيدة والشريعة ؛ يهدفون بذلك لهدم الدين الحنيف .

أو يسردون للناس والدهماء أحاديث ويزعمون تعارضها أو تناقضها ، أو عدم ثبوتها وفق قواعد محدثة وباطلة ؛ ليشككوا الناس في قبولها ، وللأسف يجدون لهم أتباعاً .

يقول الإمام ابن قتيبة رحمه الله : " وقد تدبرتُ – رحمك الله – كلام العايبيين والزارين فوجدتهم يقولون على الله ما لا يعلمون ، ويعيبون الناس بما يأتون ، ويبصرون القذى في عيون الناس ، وعيونهم تَطْرفُ على الأجذاع ، ويتهمون غيرهم في النقل ، ولا يتهمون آراءهم في التأويل .... ولو ردوا المشكل منهما ، إلى أهل العلم بهما ، وضح لهم المنهج ، واتسع لهم المخرج ، ولكن يمنع من ذلك طلب الرياسة ، وحب الاتباع ، واعتقاد الإخوان بالمقالات. والناس أسراب طير يتبع بعضهم بعضاً ، ولو ظهر لهم من يدعي النبوة ، مع معرفتهم بأن رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء ، أو من يدعي الربوبية ، لوجد على ذلك أتباعاً وأشياعاً ... " [1].

أو يقومون بتلفيق الأحاديث الموضوعة التي تفضل طائفة على أخرى ، أو تفضيل جنس على آخر ؛ حتى يحصل النزاع والقتال بين المسلمين .

وقد كان من عادة الشعوبيين أن يضعوا الحديث وينشروه بين الناس ، ليظهروا تفضيل جنسهم على العرب وغيرهم ، كحديث : (إن الله إذا غضب أنزل الوحي بالعربية ، وإذا رضي أنزل الوحي بالفارسية) ، وحديث : (إن كلام الذين حول العرش بالفارسية ، وإن الله إذا أوحى أمراً

---

[1] تأويل مختلف الحديث ، ص : ٦١ – ٦٢ .

فيه يسر أوحاه بالفارسية ، وإذا أوحى أمراً فيه شدة أوحاه بالعربية)[1] [2].

ومن الأمثلة على الوضاعين في الحديث لغرض الزندقة والطعن في الحديث :

ابن أبي العوجاء [3] : قال عنه الذهبي : زنديق مُعْثِر[4] ، وقال ابن عدي : لما أُخذ لتضرب عنقه قال : لقد وضعت فيكم أربعة آلآف حديثاً ، أحرم الحلال ، وأحلل الحرام .[5]

ومنهم كذلك : محمد بن سعيد المصلوب[6] ، كان يضع الحديث لزندقته ، وقد ذكر جمع من المحدثين أنه وضاع ، قال عنه الإمام أحمد رحمه الله : محمد بن سعيد قتله أبو جعفر في الزندقة ، حدث بحديث موضوع [7].

ومنهم كذلك : إسحاق بن محمد النخعي الأحمر ، كذاب مارق من غُلاة الرافضة ، كان زنديقاً ، يضع الحديث. وكان خبيث المذهب يقول : إن علياً هو الله ، وأنه ظهر في الحسن ثم في الحسين ، وأنه هو الذي بعث محمداً. وتبعه جماعة يعرفون — بالإسحاقية- ، على نحلة النصيرية ، سمي الأحمر : لأنه كان أبْرصاً ، فيطلي برَصَه بما يغيره ، فسمي بالأحمر ، وألف كتاباً زعم أنه في

---

[1] انظر الموضوعات لابن الجوزي ، ص : ١/١١١ ، ١١٢، والوضع في الحديث لعمر فلاته ١ / ٢٦١ - ٢٦٢

[2] وقابل هذا الفعل الشنيع من يضع أحاديث تفضل العرب على الفرس وتذمهم ، وكلا الأمرين باطلين

[3] هو : عبد الكريم بن أبي العوجاء ، اشتهر بالزندقة والفجور ، والوضع في الحديث ، وكان يتهم بإفساد الأحداث أيضاً بسوء معتقده ، وقيل : بأنه كان يصحح الثنوية ، واشتهر كذلك بالكلام والاعتزال ، ومن بوائقه أنه كان يدس الكلام الباطل والروايات المكذوبة في بعض كتب أهل العلم ، كالإمام حماد بن سلمة ، لأن ابن أبي العوجاء كان ربيباً لحماد ، مات مقتولاً بسبب زندقته في خلافة المهدي العباسي ، انظر : لسان الميزان ٤ / ٢٩٢ ، ٥ / ٢٤١ ، والكامل في التاريخ : ٥ / ٢٠٧ .

[4] معثر : أي كثير العثرات والزلات والضلالات ، انظر : المصباح المنير ، ص : ٣٢٠

[5] انظر : ميزان الاعتدال للذهبي : ٢ / ٦٤٤

[6] هو : هو محمد بن سعيد بن حسان بن قيس الأسدي ، الشامي المصلوب ، وضاع للحديث ، كذبه أئمة أهل السنة ، كالإمام أحمد وغيره ، وقتل بسبب زندقته ، انظر : تقريب التهذيب ، ص : ٨٤٧ .

[7] انظر : ميزان الاعتدال : ٣ / ٥٦١ — ٥٦٣ ، والوضع في الحديث ، ص : ٣ / ٢٧٦ ، ٢٧٧.

التوحيد ، قال عنه الذهبي : بل أتى بزندقة وقرمطة [1].

٤-الطعن في الصحابة ﷺ

يعتقد أهل السنة والجماعة أن للصحابة فضلاً ومنزلة عظيمة ليس لغيرهم ، بعد الأنبياء والرسل ، وهم صفوة الأمة ، زكاهم الله تعالى في كتابه ، ووعدهم الحسنى . فهم نقلة الدين ، وحملة الرسالة ، وأهل الفهوم السليمة . جاهدوا في الله حق جهاده حتى عمَّ الإسلام شرقاً وغرباً ، ومع هذا لا يرون عصمتهم ، بل يحصل منهم الخطأ ، لكنه مغفور لهم ؛ لسابقتهم ، ولصحبتهم رسولَ ﷺ ، وهم بين أجر وأجرين ، رضي الله عنهم وجمعنا بهم في جنات النعيم

ولا ينال من مقامهم إلا زنديق منافق ، في قلبه مرض على الدين وأهله ، إذ لا يعرف الطعن فيهم إلا عن الزنادقة والمنافقين وأهل البدع الضالين من الروافض والخوارج وغيرهم .

والطاعن فيهم قد طعن في الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه لم يؤمن بتفضيله وصحبته لهم ؛ ولم يقبل شهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن آذاهم فقد آذى رسول الله ﷺ ففي الأثر (... ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه)[2]. وكان الإمام مالك يرى فيمن سب الصحابة أن لا سهم له مع المسلمين في الفيء [3]، وكان رحمه الله يرى — في رواية عنه — كفر الروافض الذين يبغضون الصحابة مستدلاً بآية الفتح [4].

قال القرطبي معلقاً على ذلك : (لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله ، فمن نقص أحداً منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين ، وأبطل شرائع المسلمين)[5]. وقد كان السلف والأئمة رحمهم الله يتهمون من يتكلم في الصحابة ولا يرونه على الإسلام ،

---

[1] انظر : ميزان الاعتدال : ١ / ١٩٦ — ١٩٨، والأعلام ١/ ٢٩٥ .

[2] أخرجه اللآلكائي في شرح أصول الاعتقاد ، برقم : ٢٣٤٦ ، ٧ / ١٣٢١ ، ١٣٢٢.

[3] انظر أصول السنة لابن أبي زمنين ، رقم : ١٩٠ ، ص : ٢٩٦

[4] آية رقم : ٢٩ ، وانظر تفسير ابن كثير ٤ / ٢٥٩

[5] أحكام القرآن : ١٦ / ٢٠٦

ويرون وجوب تأديبه [١] .

والفرق الشعوبية والباطنية قد نالت من الصحابة واعتدت عليهم ، واشتد طعنهم فيهم ، بل وكفروهم ، وصرحوا بذلك ، وهذا ديدنهم ليومنا هذا. فمن الفرق التي طعنت في الصحابة : الرافضة على اختلاف درجاتهم ، ومنهم : الكاملية ، أتباع رجل يقال له أبو كامل ، حيث كفّر الصحابة بزعمه أنهم تركوا بيعة علي بن أبي طالب ، ثم كفر علياً لأنه لم يقاتلهم [٢]. وكذلك الرافضة الإمامية الاثني عشرية ، حيث كفروا كل الصحابة إلا نفراً يسيراً على اختلاف بين روايات عندهم ، إلا ثلاثاً أو إلا سبعاً ، وطعنوا في حقهم ، ونبزوهم بالألقاب البذيئة ، مما لا يكاد يخفى على أحد اليوم [٣].

وممن حمل هذه الطعونات الشعوبية من الرافضة الإمامية في هذا العصر تجاه الصحابة : الخميني ، فهو يطعن في خلافة الشيخين ، ولا يرى صحة خلافتهما ، بل يصرح بأنهما خالفا القرآن ، وتلاعبا بأحكام الحلال والحرام ، ويصف أبا بكر بالجهل ، ويطعن كذلك في خلافة معاوية ﷺ ، وضلال الخميني وزندقته بطعونه في الصحابة مسطرة في كتبه [٤].

ومن الفرق الشعوبية التي نالت من الصحابة ، السبئية ، حيث طعنوا في الصحابة ، ومنهم أخذ المجوس الفرس والرافضة والباطنية الطعن في الصحابة ، يقول إحسان إلهي ظهير : " والجدير بالذكر أن كتب الشيعة الاثني عشرية ، لا يخلو كتاب من كتبهم سواء كان في التفسير أو الحديث أو التاريخ أو السيرة أو الرجال أو الكلام أو العقائد أو غير ذلك ، من نفس المطاعن التي كان يرددها السبئيون ضد عثمان – رضي الله عنه – وحكومته وعماله ، لا فرق بين هؤلاء وأولئك إلا الإضافات والزيادات التي اختارها شيعة اليوم ، ولم تكن معروفة أيام السبئية " [٥].

---

[١] انظر : المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة : ٢ / ٣٦٣ ، ٣٦٤.

[٢] انظر الفرق ص ٦٢ ، والملل والنحل ص ١٤١

[٣] انظر : أصول الكافي للكليني ، ١ / ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، وانظر : الشيعة والسنة ، ص : ٣٢ – ٤٩ ، ٥٥ – ٥٧ .

[٤] انظر : كشف الأسرار ، ص : ١١٩.

[٥] انظر الشيعة والتشيع ، ص : ٣١٨ .

وهذا التداخل بين شيعة المجوس وشيعة اليهود منذ القديم حتى اليوم ، يدل على التقارب الشعوبي بينهما ، ويؤكد عمق العلاقة بين الفئتين على اختلاف الأزمان والأماكن ؛ للتخطيط والنيل من الإسلام وأهله .

ومن الفرق التي طعنت في الصحابة وزعمت كفرهم ، وساندت الحركة الشعوبية في زمننا الحالي : فرقة الجارودية ، أتباع أبي الجارود[1] ، وهذه الفرقة انبثقت من الزيدية ، وهي إلى الرفض أقرب ، حيث يزعمون بأن إمامة علي كانت نصاً بالوصف دون التعيين ، وقالوا بكفر الصحابة لأنهم تركوا بيعة علي ، وهذه الفرقة استمرت في انقسامها حسب اختلافهم في إمامة الحسن والحسين بعد أبيهما رضي الله عنهم [2].

ولا يزال لها وجود كبير اليوم في شمال اليمن – محافظة صعدة – ، وهذه الفرقة لها نشاط محموم ضد السنة وأهلها ، ومنها نشأت الحركة الحوثية التي صارت رافضية اثني عشرية ، وقد أحدثوا في بلاد اليمن وما جاورها الفساد والدمار ، وسيأتي التفصيل عنهم إن شاء الله [3].

وفي هذا العصر أيضاً ظهرت فرق مبتدعة مارقة ، ودعوات محدثة ، تطعن في العقيدة والشريعة ، وافقت في توجهها الفكر الشعوبي ، حين طعنت في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومنها من أنكرت السنة والعمل بها ، أو ردت الأحاديث التي لم توافق العقل. وهذه الدعوات والفرق شابهت الشعوبية من جهة خروجها من بلاد أعجمية ، ليس للسنة فيها نور ساطع ، أو في بلاد غربية كافرة لا تؤمن إلا بالمحسوس ، وما شهدته الأبصار . مما يؤكد هدفها من الطعن في الإسلام ، وفي مصدري التشريع الكتاب والسنة .

ومن تلك الفرق التي ظهرت في العصور المتأخرة : فرقة القرآنيين [4]، التي تزعم الإيمان فقط

---

[1] هو : زياد بن المنذر الهمذاني الخراساني ، أبو الجارود ، رأس الجارودية ، من غلاة الشيعة ، كوفي ، افترق أصحابه فرقاً ، وفيهم من كفر الصحابة ، وكان يزعم بأن النبي ﷺ نص على إمامة علي بالوصف لا بالتسمية ، توفي بعد ١٥٠هـ ، انظر : الأعلام : ٣ / ٥٥

[2] انظر الفرق ص : ٤١ – ٤٣

[3] انظر صفحة : ٤٠٨ ، من هذا البحث .

[4] أسسها : عبد الله جَكْرالَوي عام ١٩٠٢م ، في مسجد جينيان والي ، بلاهور عاصمة البنجاب بباكستان

=

بالقرآن دون السنة ، وتجحد السنة وتنكرها ، وتنكر أنها وحي من عند الله . وهذه الفرقة خرجت بعد القاديانية ، ومن العجب أنها من نفس البلاد التي خرجت منها القاديانية ، وخلال الاستعمار الصليبي للهند. حيث لم يمانع المستعمرون خروج هذه الفرقة وانتشار أفكارها ، مما يؤكد دعم اليهود والنصارى الصليبيين للفرق التي تهدم الدين باسم الدين . وهذه الفرقة أحدثت بين عامة المسلمين هنالك ، شكوكاً واضطرابات في دينهم ، حين طعنوا في عصمة السنة ، بل أنكروا نسبتها للرسول ﷺ، وزعموا أن السنة تفرق بين الناس ؛ نظراً لكثرة الروايات. ومن طعونهم في السنة ، أن المدينة كان فيها منافقون ، لم يعرفهم الرسول ﷺ ، فكيف يعرفهم من بعده ؟! إلى غير ذلك من الشبه والتأويلات الباطنية الشعوبية [1].

وأما حقيقة موقفهم من القرآن الذين يزعمون الإيمان به فهو التحريف الباطني ، ومن ذلك :

تعريف للشرك : حيث يرون أن الشرك هو امتثال الأحكام التي شرعتها السنة ، وأرشدت إليها ، لأن الطاعة عندهم فقط لما شرعة القرآن ، وما عداه يعد شركاً . ومن تأويلهم : تعريفهم للعرش ، قالوا : هو كناية عن السلطة والملك .

ومن تأويلهم أيضاً : إنكار المعجزات عدا القرآن الكريم ، وينكرون عذاب القبر ونعيمه.

وأما الصلاة التي هي عمود الدين ، فلهم فيها مواقف واختلافات عجيبة ، فمنهم من ينكر عدد

، وبدأ بإنكار السنة كلها ، وكان يسمي فرقته : أهل الذكر والقرآن ، حتى أعلن اعتماده فقط على القرآن الكريم ، وعبد الله جكرالوي ، وُلد في بلدة – جكْرالَهْ– بمقاطعة ميانوالي ، ببنجاب باكستان ، أواخر ١٨٣٠ م ، تعلم على يد والده ثم سافر لدلهي لطلب الحديث الشريف ، وكان بداية انحرافه هو مناظرته ابن عمه – القاضي قمر الدين – الحفني ، بطرح معضلات في الحديث الشريف حتى أوقعته في اللبس ، وبدأ يؤلف الكتب ويطبعها عن مذهبه ، وكان على اتصال بالمستعمرين ، أفتى بكفره علماء شبه القارة الهندية في باكستان والهند وبنغلادش ، توفي إثر مرض عام ١٩١٢م ، انظر : كتاب : القرآنيون وشبهاتهم حول السنة ، خادم حسين إلهي بخش ، ص : ١٩ – ٣٢

[1] للاطلاع على تلك الشبه التي يوردونها والرد عليها ، انظر كتاب : القرآنيون وشبهاتهم حول السنة ، ص : ٢٠٩ – ٢٥٦ ، وكتاب العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ، محمد حامد الناصر ، ص : ٧٩ – ٨١

الركعات[1] ، ومنهم من يقول يجزئ أي صفة لأنه لم يرد في القرآن صفة محددة ، ومنهم من يقول أن تحديد القبلة ليس للصلاة بل لتوحيد الناس لاحترام القوانين ، ومنهم من يوافق بها الناس لكن بليٍّ وتحريف للآيات القرآنية . وهذه الفرقة لها نشاط في بلاد الهند وباكستان ، ويخادعون الناس بتعظيمهم المزعوم للقرآن ، وهي في الحقيقة طعونات باطنية شعوبية واضحة ، هدفها تحريف العقيدة الاسلامية ، وقد تقدم ذكر بعض الأمثلة على ذلك [2].

وهذه الدعوة القرآنية تأثرت بها بعض البلاد العربية الاسلامية ، وصار لها فيها نشاط ، وحسب ما بحثت فأول من أوجد لها نشاطاً في بلد عربي مسلم هو المدعو : أحمد صبحي منصور ، في حدود عام ١٩٧٧م ، وهو أكاديمي جامعي مصري ، وبدأ نشر دعوته بمصر ، حيث دعا بزعمه أن الإسلام هو القرآن فقط ، ويجحد السنة ، وأسس له مركزاً لنشر هذا المذهب الضال سماه – مركز ابن خلدون – ، وبدأ يكتب مقالاته التي تحارب السنة ، وتؤول القرآن تأويلاً باطلاً ، وينال من الصحابة ، خصوصاً أبا هريرة رضي الله عنه ، ويهاجم بشدة في مقالاته دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله . ولما ضيق عليه وحوكم بناء على إنكاره السنة ، وهجومه على بعض الفرق ، ثم دخل السجن ، غادر بعد خروجه لاجئاً لأمريكا ، وأنشأ هناك المركز العالمي للقرآن الكريم ، وله موقع على شبكة الانترنت ، ويترجم مقالاته للانجليزية ، وهذا من عموم البلوى بهذه الفرقة ، وفي الحقيقة أن هذا الرجل وفكره ونشاطه بحاجة لدراسة خاصة مستقلة ، لتتبع ضلالاته والرد عليها .[3]

ومن الدعوات المحدثة التي كانت سبباً للطعن والتشكيك في العقيدة الاسلامية : الاتجاهات العقلية الحديثة ، التي تأثرت بأصول المعتزلة ، وبالفلسفة اليونانية والأدب الفارسي . وهذه الاتجاهات قد جعلت العقل حاكماً على الشرع بزعم التجديد لدراسة النص الشرعي . فتجدهم يعارضون القرآن والسنة بحسب تأصيلاتهم العقلانية الباطلة ، أو يردون الأحاديث ويضعفونها بناء

---

[1] لأن تفصيل صفات الصلوات وضحتها السنة وهم لا يؤمنون بالسنة .

[2] انظر القرآنيون ... ، ص : ٢٩٨ – ٤٤١ ، وانظر كتاب : العصرانيون ...، ص ٨٤ – ٩١

[3] موقعه على الانترنت بعنوان : أهل القرآن ، www.ahlalquraan.com ، يوجد به جميع مقالاته ونشاطاته ، وهذه المعلومات مستقاة منه .

على ذلك ، مثل موقفهم من حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم ، وانشقاق القمر[١] ، وكذلك إنكارهم لمعجزات الأنبياء ، والأخبار الغيبية ، ومن ذلك تأويلهم للجن بأنها نوع من الميكروبات الخفية ، ويؤولون حديث (يجري الشيطان في ابن آدم مجرى الدم ...) بأن المراد بذلك الجراثيم التي في خلايا الجسم [٢].

وأما موقفهم من السنة النبوية : فلهم فيها طعونات وتشكيكات ، يردون الأحاديث إما لأنها آحاد ، كحديث نزول عيسى ابن مريم عليه السلام ، والدجال ، والإسراء والمعراج ، وحديث الذباب ، وقصة موسى عليه السلام مع ملك الموت . وهم متأثرون جداً بتشكيكات المستشرقين في صحة الحديث النبوي وتدوينه ، ولهم مواقفهم سيئة مع الصحابة وعدالتهم ، حيث يرون جريان النقد عليهم كغيرهم من الرواة [٣].

والخطر في هذه الدعوات ما يحصل منها من طعون وتشكيك ، فلا هي تبرأت من النصوص الشرعية بوضوح وعلانية ، ولا هي التي سلم منها الدين ، والذي يظهر أنها شابهت الفكر الشعوبي في موقفه من العقيدة ونصوصها بالتأويلات الباطلة الفاسدة ، التي تشبه التأويلات الباطنية . وكذلك من جهة الدعوة للحرية في الاعتقاد والعلاقات الشخصية ، التي فتحت أبواب الزندقة والإلحاد وما يسمى بتقارب الأديان ، وكذلك فتحت الإباحية في العلاقات بين الجنسين والتفسخ الأخلاقي. ومن جهة الدعوة لهجرة العقول إلى بلاد الغرب الكافر التي نتج عنها تفضيل بلاد الكفر على الإسلام عند بعض ضعاف النفوس فضلاً عن المفتونين بهم ، ثم يتبع ذلك الهجرة إليهم والتوطن عندهم ، لتظل ديار المسلمين خاوية معطلة ، وتكون لقمة سائغة في يد أعدائها المتربصين .

ومن أخطر تلك الدعوات أيضاً – مذهب الحداثة – التي ضمتها الحركةُ الشعوبية في مجراها ، وهي امتداد للفكر الشعوبي القديم والحديث .

---

[١] انظر : كتاب العصرانيون ، ص ٤٣ ، ٤٤.

[٢] انظر : كتاب العصرانيون ، ص : ٥٧.

[٣] انظر : المرجع السابق ، ص : ٦٢ – ٦٨ ، وللتوسع عن الاتجاهات العقلانية الحديثة وأثرها على العقيدة الاسلامية ، راجع كتاب : الاتجاهات العقلانية الحديثة ، ناصر العقل .

فموقفهم من أصول الاعتقاد : كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر ، وبالقرآن الكريم ، ورسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، والصحابة ، والفتوحات الاسلامية ، هو مشابه تماماً للفرق الشعوبية من الروافض والباطنيين الشعوبيين والقوميين ، فهم ما بين منكر ومحرف تحريفاً باطنياً . وأما موقفهم من اللغة العربية وأدبها ، وكذلك من المصطلحات الشرعية والعربية ، فهو الازدراء والاحتقار والمناداة بالخروج عنها ، وكذلك إعجابهم الشديد وولائهم للغرب الصليبي الفاجر ، وإقرارهم بالتبعية له . فصار للحداثة الغربية امتداد في بلاد العرب المسلمين ، فتبعتها الحداثة العربية ، وفي الحقيقة أنها غربية ، تبعاً لنشأتها ومصدرها [1].

والحداثة ألفت أتباعها في البلاد العربية من الروافض والنصيرية وسائر الباطنيين الشعوبيين ، أمثال : أدونيس ، وهو في الأصل سوري نصيري [2]. ومما يؤكد مشابهتها للشعوبية ، دعواهم أيضاً للانحلال الأخلاقي ، والتفسخ ، والعلاقات المفتوحة بين الجنسين [3]، وفي الحقيقة أن الحداثة وخطرها له مظانه ، وما تقدم إشارة بأنها امتداد للفكر الشعوبي المنحرف [4].

---

[1] انظر : الانحراف العقدي في أدب الحداثة ، سعيد بن ناصر الغامدي ، ص : ٦٩٩ — ٧٠٦

[2] انظر : أعلام وأقزام في ميزان الإسلام ، سيد العفاني ، ١ / ٢١.

[3] انظر : المرجع السابق ، ص : ١ / ٤٧

[4] وللتوسع عن خطر الحداثة على العقيدة ، راجع : الانحراف العقدي في أدب الحداثة .

الفصل الثاني : هدم دولة الإسلام ، وبيانه في خمسة مباحث :

المبحث الأول : نشر المثالب والطعون المكذوبة في حكام المسلمين

المبحث الثاني : القيام بالثورات داخل الدولة الاسلامية

المبحث الثالث : نشر الشعارات والدعايات الكاذبة

المبحث الرابع : تمجيد دولة الفرس الوثنية والعمل على إحيائها

المبحث الخامس : التحالف مع أعداء الدولة الاسلامية لإسقاطها

المبحث الأول : نشر المثالب والطعون المكذوبة في حكام المسلمين

إذا علمنا أن غالب النزعة الشعوبية وأنشط أهلها هم من الفرس المجوس ، قديماً وحديثاً ، فقد كان امتحانهم بزوال ملكهم الكسروي الفارسي على يد أمة العرب المسلمة ، من حيث لم يحتسبوا ، وكان وقعه قوياً وشديداً على نفوسهم ، وازداد حقدهم وضغينتهم على المسلمين بذلك ، إذ كيف يزول ملكهم على أمة كان الفرس لا يحسبون لها حساباً ، ولا يعدونهم من الأمم ذات الحضارة والكتب والتراث [1].

فاشتدت العداوة منهم على الإسلام وأهله ودولته ، وباتوا يخططون ويكيدون ، سواء من جهة العقائد أو الثورات في البلاد ، أو بتهييج العامة وباقي الشعوب من الترك والزنج والأكراد وغيرهم

وقد كانت هذه العداوة أيضاً سبباً لخروج فرق الضلال والبدع لمهاجمة الإسلام بها ، يقول ابن حزم رحمه الله : " ... والأصل في أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام ، أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم ، وجلالة الخطر في أنفسهم ، حتى أنهم كانوا يسمُّون أنفسهم الأحرار والأبناء ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب ، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً ، تعاظمهم الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى ، ففي كل ذلك يُظهر الله تعالى الحق ، وكان من قائمتهم ، منقاذ ، والمقنع ، وأستابين [2]، وبابك وغيرهم.... فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع ، فأظهر قوم منهم الإسلام ، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله ﷺ ، واشتشناع ظلم علي رضي الله عنه ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام . فقوم منهم أخلوهم إلى القول بأن رجلاً يُنتظر يُدعى المهدي ، عنده حقيقة الدين ، إذ لا يجوز أن يؤخذ الدين من هؤلاء الكفار ، إذ نسبوا أصحاب رسول الله ﷺ إلى الكفر . وقوم خرجوا إلى

---

[1] وقد كان أحد ملوك الفرس يدعى سابور بن هرمز ، لقب بذي الأكتاف لكثرة ما يقتل العرب ويقطع أكتافهم ، ولما سئل عن السبب قال متغطرساً : لأن العرب يزعمون أنه لهم دولة !! ، انظر تاريخ ابن خلدون ، ١ /٤٧٦ ، والأخبار الطوال ، ص : ٤٨ ، ٤٩

[2] لعله يقصد أستاذسيس المجوسي الذي ثار على خلافة الدولة العباسية ، وسيأتي الكلام عمن ذكرهم ابن حزم في المبحث القادم إن شاء الله ، باستثناء المدعو : منقاذ ، فلم يتبين لي من هو ؟.

نبوة من ادعوا له النبوة ، وقوم سلكوا بهم المسلك الذي ذكرنا من القول بالحلول وسقوط الشرائع ، وآخرون تلاعبوا فأوجبوا عليهم خمسين صلاة في كل يوم وليلة . وآخرون قالوا : بل هي سبع عشر صلاة ، في كل صلاة خمسة عشر ركعة ، وهذا قول عبد الله بن عمرو الكندي [1]، قبل أن يصير خارجياً صفرياً ، وقد سلك هذا المسلك أيضاً عبد الله بن سبأ الحميري اليهودي ، فإنه لعنه الله أظهر الإسلام لكيد أهله ، فهو أصل إثارة الناس على عثمان رضي الله عنه ، وأحرقه علي بن أبي طالب رضي الله عنه [2]، ومنهم طوائف أعلنوا بالإلهية ، ومن هذه الأصول الملعونة حدثت الإسماعيلية والقرامطة ، وهما طائفتان مجاهرتان بترك الإسلام جملة ، قائلتان بالمجوسية المحضة .... فإذا بلغ الناس إلى هذين الشعبين أخرجوا عن الإسلام كيف شاءوا ، وهذا هو غرضهم فقط .... " [3].

وهذا التوصيف الدقيق من ابن حزم يبين الحقد الشعوبي على الإسلام وأهله ، والسعي لإسقاط دوله ، كما هي فَعْلتهم منذ الدولة الأموية والعباسية ، وحتى يومنا هذا لا زالت الحركة الشعوبية تستهدف البلاد العربية المسلمة ، وما نشاهده اليوم في العراق والشام واليمن ومصر ودول الخليج العربي ، منهم ومن أذنابهم ، ما هو إلا حلقة في سلسلة العداء الشعوبي الذي يستهدف هدم دول المسلمين .

ومما سلكه أهل الحركة الشعوبية في محاربتهم لدول الإسلام ، حيث يلفقون الأخبار المكذوبة في حكام المسلمين ، وينشرونها بين العامة والخاصة ؛ لإثارة الصدور وإغارة الأحقاد عليهم ، حتى يكونوا وقوداً لثوراتهم في إسقاط الدول . وإلا فقد كان الناس أيام النبوة والخلافة الراشدة على سلم وطاعة ، وأول من أثار هذا الأمر بين الناس وأججه هو اليهودي الزنديق عبد الله بن سبأ ، حيث ألّب الناس على الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وطعن فيه وفي بني أمية ، بأن عثمان ولى المناصب لعصبته من بني أمية ، وأجزل العطايا من بيت المال لهم دون غيرهم ، وغير ذلك من الطعون الكاذبة ، وكانت الفتن والثورات بعد ذلك إلى يومك هذا .

وقد كان ابن سبأ يخادع الناس ويحرضهم على هذا الفعل في صورة الأمر بالمعروف والنهي عن

---

[1] زعيم فرقة الحربية ، انظر : الفرق ، ص : ٢٤٥.

[2] الذي يظهر أن ابن سبأ لم يكن ضمن الذين أُحرقوا ، بل نفاه للمدائن ، انظر : فرق الشيعة ، ص : ٣٣

[3] الفصل ، ص : ٥٩٢ – ٥٩٣ .

المنكر ؛ ليستميل قلوبهم بهذا التلبيس والخداع ، حيث كان يقول : - ابدؤوا بالطعن على أمرائكم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تستميلوا قلوب الناس ، وادعوهم إلى هذا الأمر [١].

ومع خروج الخوارج وفرقهم العديدة ازداد هذا الأمر واستفحل بين الناس وأخذ الخوارج يسوقون الناس عرباً وعجماً وموالي في ثوراتهم ، على بني أمية والعباسيين وغيرهم . والفرس أيام مملكتهم مشهورون بالشغب والثورات ، وقد تقدم الكلام عن هذا ، وهذه الفكرة السيئة كغيرها صارت ديدناً للشعوبيين من شيعة اليهود وشيعة المجوس. ومما كان يثيره أولئك الشعوبيون على خلفاء الدولة الأموية : أنهم لا يكرمون بني هاشم ، ولا يجزلون لهم في العطاء ، ويبعدونهم ؛ ليثيروا الناس عليهم بذلك ، ويظهروا أنفسهم بنصرة آل البيت . وقد كان بني أمية يكرمون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفضلهم في ذلك الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، فقد كان يجزل العطاء للحسن والحسين رضي الله عنهما ، وكانا يقبلان منه ذلك[٢] . وكذلك الوليد بن عبد الملك قد أقطع لبني هاشم مكاناً خاصاً بهم يستقرون فيه ، وهي : – الحُميمة – وحل بها علي بن عبد الله بن عباس واستقر بها ومن معه [٣].

وأما من خرج على الدولة الأموية من بني هاشم فهو مستحق للعقاب كغيره من المسلمين ، وكذلك لا يعني هذا أن الأمويين لم يحصل منهم ظلم أو تعدٍ ، لكن هذا شيء وأن يتخذ ذريعة للثورات والطعون شيء آخر .

ومما كان يشاع على حكام بني أمية أنهم يقتلون الهاشميين بالسم ، بعد طلبهم زيارتهم ، ويتشبثون في ذلك بقصة قدوم أبي هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب — المشهور بأبي هاشم عبد الله ابن محمد ابن الحنفية [٤]— على سليمان بن عبد الملك ، عندما أكرمه واستقبله ، فلما

---

[١] انظر : تاريخ الطبري ، ١ / ٩٦٧ ، ولا تزال هذه عادة خوارج القعدة الذين يؤلبون الناس على الحكام .

[٢] أخرجه الآجري ، في كتاب الشريعة ، رقم ، ١٩٦٠ ، وقد بوب الآجري باباً بعنوان : ذكر تعظيم معاوية لأهل بيت رسول الله ﷺ وإكرامه إياهم ، انظر : ٢ / ٦٢٧ ، ٦٢٨ .

[٣] انظر الدولة العباسية ، محمود شاكر ، ص : ٤٠ وما بعدها

[٤] انظر : السير ٥ / ١٤٣ ، والأعلام : ٤ / ١١٦ .

انصرف من عنده متوجهاً للمدينة ، مات في الطريق . وحقيقة قصة التسميم تلك ، أنها ملفقة وشائعة لا تقبلها العقول ، حيث أن أبا هاشم هذا ، لم يتوف بعد مغادرته من عند سليمان بن عبد الملك إلا بعد شهرين تقريباً ، كما يذكر أهل التأريخ ، يقول محمود شاكر : (... ولو كان قد وضع لأبي هاشم السم لقضي عليه بشكل سريع ، وعادة الملوك أن تضع السم الزعاف ، ولكن أبا هاشم قد عاش بعد مغادرته سليمان ما يزيد على الشهرين ، وذلك عام ٩٩هـ) [١] .

وبعد حصول هذه القصة كانت هي الفكرة الأولى لانتقام بني هاشم من بني أمية ودولتهم على يد محمد الإمام ، حيث يذكر بعض المؤرخين أن أبا هاشم أوعز لابن عمه محمد الإمام بن علي بن عبد الله بن عباس بأن يأخذ ثأره من بني أمية ، والله أعلم[٢].

وفي الدولة العباسية تعرض خلفاؤها للهجمة الشعوبية والطعون فيهم ، واشتدت الهجمات على من كان له أثر كبير على ديار المسلمين ، وسأذكر بعض الأمثلة على ذلك ، منهم : الخليفة هارون الرشيد ، حيث لفقوا عليه الشائعات واتهموه بالفسق والمجون وشرب الخمور ، والانشغال بالنساء والجواري ، وأنه ترك شئون الدولة لوزرائه من البرامكة وغيرهم ، وحتى اتهموه في عرضه في زوجته زبيدة بنت أبي جعفر المنصور بزعمهم أن أبا نواس كان يسمر إليها ، وفي أخته العباسة واتهامها بعلاقتها بجعفر البرمكي ، إلى غير ذلك من الشائعات المغلوطة ، والتي وُجدت وللأسف في بعض كتب التأريخ الاسلامية ، وهي من القصص المدخولة على تاريخ الدولة الاسلامية ، وأما هو فمشهور بصلاحه وإكرامه لأهل الفضل والعلم ، وجهاده وفتوحاته للبلاد [٣]، ولكن النزعة الشعوبية تستهدف من لهم شأن وشوكة في المسلمين لغرض تشويه صورتهم ، وتحسين الخروج عليهم .

ومن الخلفاء العباسيين أيضاً الذين نالتهم الهجمة الشعوبية ، الخليفة العباسي المتوكل [٤] ، الذي

---

[١] الدولة العباسية :، ص : ٥ /٤٠ ، ٤١

[٢] انظر : المرجع السابق : ٥ / ١٤ ، ١٥ ، والسير : ٥ / ١٤٣- ١٤٤.

[٣] انظر تاريخ ابن خلدون ، ص : ٨ وما بعدها .

[٤] هو : جعفر بن المعتصم بن الرشيد ، أمه أم ولد ، اسمها شجاع ، ولد سنة خمس وقيل سبع ومائتين ، بويع له في ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ بعد الخليفة الواثق ، وفي عهده ظهرت السنة ، ورفعت المحنة في =

عرف بنصرة السنة وقمع الاعتزال والبدعة ، وإكرامه لإمام أهل السنة ، الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، وهو الذي منع القول بخلق القرآن ، وهدم القباب التي كانت تبنى بكربلاء ، ومن مناقبه أنه جعل لأهل الذمة لباساً يخالف لبس المسلمين ، واستمر بجهاد الروم وعزل إمام المعتزلة ابن أبي دؤاد [1] ، ، واستمر بجهاد الروم ، إلى غير ذلك من سيرته المحمودة [2].

وأما أهل الحركة الشعوبية فكانوا يشيعون عنه الفسق وشرب الخمور ، ومنادمة القينات .

ومن الخلفاء العباسيين أيضاً الذين تعرضوا لطعون الشعوبيين الخليفة العباسي المعتضد بالله [3]، الذي كان ملكاً شجاعاً ومهاباً في دولته ، حتى لقب بالسفاح الثاني ، وفي عهده قلت الفتن والثورات لقوته وعنايته بشؤون البلاد ، وانتشر الخير على يديه ، وكان ناصراً للإسلام والمسلمين ، ووضع عنهم المكوس ، وكان يصرح بأنه لم يصب فرجاً حراماً ، ومن أشهر أعماله أيضاً أنه منع الوراقين من بيع كتب الفلاسفة ، وكان يطارد القصاصين والمنجمين ويمنعهم [4]، ولقد بين ابن تيمية عناية المتوكل والمعتضد بالإسلام في عهديهما وأن السنة قويت شوكتها ، وكانا حسنيِّ السيرة في رعيتهما ، بعكس أيام البويهيين والقرامطة [5]. ولكن تلك الصنائع الطيبة هي مثالب في نظر الشعوبيين ، ولن تشفع له عندهم ، حيث وصفوهما بالظلم والبطش والفسق كسابقيه . ومن العجب أن الثلاثة الخلفاء الذين ذكرناهم هم من أشد من طُعن فيه من قبل الشعوبيين

القول بخلق القرآن ، توفي مقتولاً عام ٢٤٧ هـ . انظر : السير ١٠ / ٤٥ .

(١) هو : أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك الإيادي ، أبو عبد الله ، أحد القضاة المشهورين من أئمة المعتزلة الضلال ، رأس فتنة القول بخلق القرآن ، اتصل بالمأمون فأكرمه وبعد وفاته أوصى به المعتصم ، كان متكلماً فصيحاً ، عزله الخليفة المتوكل فأصيب بالفالج ومات على إثره ، سنة ٢٤٠ هـ ، وكان سبباً لفتنة علماء السنة في القول بخلق القرآن ، انظر : الأعلام : ١ / ١٢٤

(٢) انظر تاريخ الخلفاء ، ص : ٣٠٥ — ٣١٤ ، وتاريخ الدولة العباسية ، ص : ٦ /٨٦ — ٨٨

(٣) هو : أبو العباس أحمد بن طلحة بن الخليفة المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد ، ولد في ذي القعدة سنة ٢٤٢هـ ، بويع له ٢٧٩هـ ، وتوفي عام ٢٨٩ هـ . انظر تاريخ الخلفاء ، ص ٣٢٤ .

(٤) انظر تاريخ الخلفاء ، ص : ٣٢٤ — ٣٣٠

(٥) انظر : الانتصار لأهل الأثر ، ص : ٣٤ ، ٣٥ .

وغيرهم ، ودسوا عنهم الأخبار المكذوبة في كتب التأريخ وغيرها عن طريق الترجمة والتحريف في الطبعات ونحو ذلك ، رغم حسن سيرهم ، ونصرتهم للإسلام والمسلمين ، مما يؤكد أن إشاعة تلك الأمور على الحكام المسلمين وتزوير التاريخ فيهم ، هو من دأب الشعوبيين ومَنْ لفّ لفهم للنيل من دولة الإسلام [١].

وفي الوقت الحاضر لا يزال الشعوبيون يثيرون وينشرون الفتن والطعون في حكام المسلمين ، خصوصاً تجاه البلاد العربية الإسلامية ، ومن أكثر الطوائف الشعوبية في ذلك ، الرافضة المجوس الفرس في إيران ومن يتبعهم ، ومن الأمثلة على تلك الطعونات ما صرح به إمامهم الخامنئي في كلمته بمناسبة عيد الفطر لعام ١٤٣٦هـ ، حيث وصف بأن ما يتعرض له الناس من حكوماتهم في بلاد البحرين واليمن وسوريا [٢]من ظلم واضطهاد وتعدي ، قاصداً بذلك الرافضة الذين على ملته ، وقد ذكر أنه باستطاعة جمهورية إيران بأن تكون عوناً لهم على ما يلقونه ...[٣] ، وهذا تحريض مبطن منه لأن يثور الناس على حكامهم .

وقد ترتب على تعديه استدعاء القائم بأعمال سفارته في دولة البحرين وتسليمه مذكرة احتجاج على هذه التصريحات ، وكذلك أصدرت دولة البحرين بياناً شديداً في الرد على تدخل هذا الرجل وتشغيبه ، ومما جاء فيه : " ... وتؤكد مملكة البحرين أن استمرار التصريحات الاستفزازية المتعمدة من جانب مسئولي الجمهورية الاسلامية الإيرانية ، وعلى اختلاف مستوياتهم وتدخلاتهم ، يدعم التخريب وإثارة الفتن ، ويعكس بجلاء موقفها العدائي ، ويكشف بكل وضوح إستراتيجيتها الحقيقية القائمة على التدخل في شؤون مملكة البحرين ...." [٤].

---

[١] انظر : قرن السبئية ، ص : ٩٨

[٢] وفي هذا البيان منه يتضح المكر والتلبيس ... فمن الذي يعيث فساداً في تلك البلاد إلا شيعته ومن يدين له بالولاية من النصيرية والحوثيين ومن يدعون بحزب الله !! .

[٣] يوجد نص كلمته على شبكة المعارف الإسلامية ، www.almaaref.org ، في: ١٨ / ٧ / ٢٠١٥ م .

[٤] نشر هذا البيان الموقع الرسمي لوزارة الخارجية البحرينية
http://www.mofa.gov.bh/Default.aspx?tabid=٨٢٦٦&language=ar-BH&ItemId=٥٢٩٦
بتاريخ : ٢٥ يوليو ٢٠١٥ م ، وكذلك شجب هذا الأمر مجلس التعاوني الخليجي ، وللاطلاع أيضا على هذا الخبر ، انظر : موقع BBC العربي بتاريخ : ١٦ مايو ٢٠١٥م ، وموقع CNN العربي بتاريخ :

=

وبسبب استمرار التخريب الإيراني في مملكة البحرين فقد قررت حكومتها بتاريخ : ١ / ١٠ / ٢٠١٥م ، استدعاء سفيرها بإيران ، ثم طرد السفير الإيراني الموجود بالبحرين ، مما يؤكد استمرار التخريب الشعوبي الفارسي في البلاد العربية الاسلامية ، بهدف زعزعتها وعدم استقرارها [١] .

وهذا الرد والبيان من قبل مملكة البحرين يدل على عدة أمور وحقائق :

- أن هذا الطعن والتدخل متكرر ومستمر مما يدل على أن له أبعاداً وأطماعاً داخلية في دولة البحرين .
- أن هذا التعدي مرضيّ من قبل مسئولي دولة الفرس على اختلاف مستوياتهم ، حيث لم يتم الاعتذار عنه أو تأويله بأي عذر مقبول .
- أنه وسيلة لتخريب دولة من دول المسلمين يأمن أهلها بإظهار شعائر الإسلام ومجامعه .
- يدل على عداوة دفينة ، قديمة وحديثة بعيدة المدى على البحرين ، وعلى بقية الدول العربية المسلمة المذكورة ، بدليل أن دولة الفرس المجوسية الحالية تعترف بدعمها للنظام النصيري الطاغي في الشام ، وبتعاونها ودعمها للحركة الحوثية في بلاد اليمن ، ولحزب الله في لبنان

ومما ينبغي معرفة حقيقته أن هذا التعدي من خامنئي المرشد الثاني للثورة الشعوبية الخمينية ، ليس من باب المراشقات السياسية أو ما يسمى بشراء الأصوات والجماهير في المجاميع ، بل هو منطلق من توجه شعوبي يهدف لاستعادة الملك الفارسي ، وإسقاط الدول العربية المسلمة .

وكذلك مما يشيعه الرافضة الشعوبيون ويطعنون به في هذا العصر ، موقفهم العدائي الشعوبي من بلاد التوحيد والسنة ، السعودية – أعزها الله – ،حيث يزعمون أن الشيعة يتعرضون للظلم والاستبداد من قبل الحكومة ، وأنهم لا ينالون حظوظهم الدنيوية أو المدنية ، ولا يسمح لهم بإقامة مزاراتهم الشركية ، ويزعمون أنهم يضايَقون في الحرمين الشريفين ، وفي البقيع ، وفي غيرها

١٩يوليو ٢٠١٥ م .

[١] انظر الخبر بتفاصيله بالموقع الرسمي لوزارة الخارجية البحرينية :
http://www.mofa.gov.bh/Default.aspx?tabid=٨٢٦٦&language=ar-BH&ItemId=٥٥٢٦

من الأماكن التي يغشونها لإحياء عقائدهم . وأما الحقيقة فتقول أن ما يتعلق بحقوقهم الدنيوية فهم ينعمون بها في ظل هذا البلد الأمين ، ويمارسون التجارة والزراعة وسائر المنافع الدنيوية [1]، وبالنسبة للمناصب العليا فلولي الأمر المسلم الصلاحية في وضع ما يراه مناسباً ، ومن واجباته العينية القيام بالإسلام وشعائره وحمايته مما يناقضه ، وحفظ الأمن ومصالح الناس .

وممن تزعم هذه المطالبات التي هي في حقيقتها طعون وإشاعة للفوضى داخل دولة قائمة وحاكمة بالكتاب والسنة ، المدعو : نمر النمر ، الذي كان يجاهر بمطالبه الرافضية ، ويتهم الدولة بالظلم والطغيان ، وأنها سلبت حقوق الشيعة – الرافضة – ، بل يصرح بأنه يريد الانفصال وأن يكون تبعاً لدولة إيران الفارسية ، ويخوف الناس بها وبقوتها المزعومة ، وله خطابات عديدة توضح تعديه وطعونه على بلاد التوحيد والسنة [2]، وأنه يخدم التوجه الشعوبي الفارسي داخل البلاد [3].

ومن تشغيباته الثورية أنه ألقى خطاباً سيئاً بعد وفاة الأمير نايف بن عبد العزيز رحمه الله [4]، كالمستبشر بوفاته [5]، ثم بعد ذلك قبض عليه وأصيب أثناء محاولته الهرب ، وبعد ذلك أقيمت له محاكمة شرعية ، ثم صدر الحكم بقتله ، وتم تنفيذه فيه وفي غيره من المعتدين ، وصدرت

---

(1) انظر كتاب : الحراك الشيعي في السعودية ، بدر الإبراهيم و محمد الصادق ، ص : ٨٥ – ٩٠

(2) تجدها في قناة اليوتيوب أو في موقعه الشخصي على الرابط : https://www.sknemer.com/web/

(3) انظر كتاب الحراك الشيعي في السعودية ، ص : ٢٨٤ - ٢٩٧

(4) هو الأمير الراحل نايف بن عبد العزيز آل سعود ، ولد بالطائف عام ١٣٥٣هـ ، وهو الابن الثالث والعشرون للمؤسس الملك عبد العزيز من الذكور ، نشأة نشأةً علمية ، وحفظ القرآن من صغره ، واحتفلت به مدرسة الأمراء حين أتم الحفظ ، وممن تعلم على يديهم الشيخ عبد الله خيام إمام الحرم المكي والعالم المعروف ، تقلد عدة مناصب ، وكيلاً لأمارة الرياض في عهد والده ، ثم أميراً لها ثم نائب لوزير الداخلية ثم وزيراً للداخلية حتى وفاته ، وشغل أيضاً ولاية العهد ، وله مناصب ومهام عديدة وكبيرة في الدولة على المستوى المحلي والدولي ، كان ناصراً للسنة ، انظر ترجمته في كتاب: غيض من فيض من سيرة أسد السنة ، إبراهيم محمد الغامدي ، وكتاب : نايف رجل السياسة ومحنك القيادة ، للناشر : محمد عباس السحلي .

(5) انظر على الرابط بقناة اليوتيوب : https://www.youtube.com/watch?v=٤x٣٥٨ZGNgeA

البيانات الرسمية السعودية بذلك [١].

ومما يدل أيضاً على تعدي أهل الحركة الشعوبية الإيرانية ، ما نقلته وسائل الإعلام الرسمية عن القبض على خلية تجسسية لها علاقة بالاستخبارات الإيرانية الفارسية ، تقوم بالتجسس على القطاعات المصرفية في الدولة وعلى بعض المواقع الحكومية السعودية ، وبين المتحدث بأن الخلية قد قبضوا مبالغ مالية من تلك الجهة الممولة ، التي هي دولة المجوس الشعوبية [٢].

وفي تصريح لأحد الوزراء الإيرانيين ، المدعو : حيدر مصلحي ، وزير الاستخبارات السابق ، حيث قال : إن إيران تسيطر على أربع عواصم عربية ، وأن الثورة الشيعية لا حدود لها ، وهي لكل الشيعة ، وأكد أن الحركة الحوثية – التي عبثت وأفسدت في اليمن ونشرت الشركيات والمظاهر الرافضية – هي من نتاج الثورة الإيرانية[٣] .

وعند التأمل لمثل هذه التصريحات تجد أن لها أهدافاً ، ولم تُلْقَ هكذا ، خصوصاً أن قائليها من خاصة المسئولين في دولة الفرس الإيرانية ، فمن أهدافها :

بث الخوف والرعب في نفوس المسلمين من غير الفرس من قوة الفرس الإيرانيين وأنه باستطاعتهم السيطرة على البلاد العربية وضمها لمشروعهم التوسعي .

من أهدافها : محاولة تصحيحهم لنتائج الثورة الفارسية المجوسية وأنها الإسلام الصحيح ، وتصوير مذهبهم الرافضي بأنه هو الصواب .

وكذلك من أهدافها : إظهار القادة العرب المسلمين في صورة ضعيفة ، وأنهم لا يستطيعون مقاومة المد الفارسي الشعوبي ، أو أنهم متفرقون ، وبذلك يظهر الطعن فيهم من قبل بقية الناس

---

[١] بتاريخ : ٢٢ / ٣ / ١٤٣٧هـ

[٢] انظر موقع وزارة الداخلية السعودية ، إدارة الأمن الفكري ، قسم المقالات ، بعنوان : عملاء إيران والقطاع المصرفي .

[٣] انظر الخبر على موقع قناة العربية ، http://ara.tv/٨e٣٢a

بعنوان : وزير إيراني سابق : نسيطر على ٤ عواصم عربية ، بتاريخ : ١٢ جمادى الثانية ١٤٣٦هـ ، الموافق : ٢ أبريل ٢٠١٥م .

، وتنتشر الفوضى والوحشة بينهم وبين أفراد الناس .

ومن أهدافها : إغراء بقية أعداء الأمة الاسلامية من الصهاينة والصليبيين وغيرهم بأن الفرصة سانحة للدخول للبلاد العربية الاسلامية ، وبث المخططات العدائية والتخريبية فيها .

المبحث الثاني : القيام بالثورات داخل الدولة الاسلامية

استغل الشعوبيون الخلافات والنزاعات القبلية التي كانت تحصل بين قبائل العرب وحلفائهم ، والتي كانت من أسباب تفتيت جسد الدولة الاسلامية ، وتمزيق صفوفها ، وجعلتها لقمة سائغة للأعداء . ومن أشهر تلك النزاعات التي حصلت ، الخلاف بين القيسية واليمانية ، حيث كانت أشهر القبائل العربية تعود لهاتين القبيلتين ، وهاتين القبيلتين تعودان إلى جِذْم[١] العرب ، عدنان وقحطان[٢] . وبعد فتح الشام كثرت تلك القبائل العربية هناك ، إضافة لوجودها بالحجاز والعراق وخراسان وبلاد فارس ، لكن كان لها وجود كبير في الشام ، وفي خلافة معاوية رضي الله عنه استطاع بحنكته وحسن تدبيره أن يوازن بين تلك القبائل ويطفئ جذوة خلافها ، وبعد وفاته ومبايعة يزيد ، اختلفت القبيلتان ،حيث ذهبت القيسية مع ابن الزبير ورأوه مستحقاً ، وأما اليمانية فذهبت مع يزيد ابن معاوية ، واشتد الخلاف بين الطرفين حتى وصل للاقتتال ونشبت بينهما معركة : مرج راهط عام ٦٤ هـ ، وقتل فيها خلق كثير من الطرفين ، واستطاع مروان بن الحكم الأموي أن ينتصر على القيسية ومن معهم ، وانتهى الأمر واستتب ليزيد بن معاوية ، وبعد ذلك كان الخلاف بين الطرفين ينشب وينفك مع كل خليفة أموي [٣].

ومع بداية الدعوة العباسية في خراسان في أواخر خلافة مروان بن محمد ، كان أهل تلك البلاد من الفرس والترك والأكراد والعرب قد تأثروا بالخلاف الذي حصل بين تلك القبيلتين ، ومال القيسيون ومن حالفهم إلى بني العباس باعتبار أنهم هاشميون وأنهم ينادون بأن يتولى الحكم بنو هاشم ، وعندها قرب مروان بن محمد اليمانية وأقصى القيسية وزاد هذا من الخلاف والنزاع. استغل الشعوبيون بقيادة أبي مسلم الخراساني هذا النزاع وبدؤوا يظهرون الدعوة لبيعة إبراهيم الإمام وخلع بني أمية ، والنصرة لآل البيت كما يزعمون ، وكانوا يُذْكون نار العصبية بين الناس ، حتى قيل أن أبا مسلم كان يقول لأتباعه : أكثروا ذكر هذه الضغائن والإحن ؛ فإنها تبعث على

---

[١] الجذم هو أصل الشيء ، انظر المصباح المنير ، ص : ٨٧

[٢] انظر : القصد والأمم لابن عبد البر ، ص : ٥٠ وما بعدها .

[٣] انظر : تاريخ الطبري : ١/ ١٣٢٤ – ١٣٢٨ ، والبداية والنهاية : ٨ / ٢٤٦

الإقدام [1]. وقد ذكر ابن كثير رحمه الله أن إبراهيم الإمام قد وجه رسالة إلى أبي مسلم يأمره فيها بإظهار دعوته ، وألا يدع من يحسن العربية إلا ويقتله .[2]

وقد كان الشعوبيون الفرس قد تشبعوا حينها بفكرة حركتهم والنيل من العرب والمسلمين عموماً أكثر من نصرتهم للعباسيين ، وما قيامهم للعباسيين إلا أشبه بالمطية لنيل مآربهم ، حتى إن أبا مسلم الخراساني كان يجهز ويتخلص من القواد العرب الذين في صفه حين يلاحظ أن وجودهم قد يبدد ما يرمي إليه ، ومن القرائن على ذلك : ما حصل من أبي مسلم من قتله أحدَ قواده العرب ويدعى : لاهز بن قريظ التميمي ، الذي أرسله إلى والي خراسان نصر بن سيار لأنْ يظهر له الدعوة إلى نصرة بني هاشم وأن يكون بصفه من باب المخادعة ، إلا أن لاهزاً تحركت فيه عصبيته لنصر بن سيار لأنه مضري مثله ، حيث قرأ عليه الآية : (... إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ...) الآية .

ففهم ذلك نصرُ ولم ينزل لرغبة أبي مسلم الخراساني ، وبعد ذلك أدرك أبو مسلم أن وجود مثل هذا القائد معه خطر على حركته الشعوبية ضد العرب ، فتخلص منه بقتله ، وقد ذكر ابن كثير أن ظهور أبي مسلم كان أشد بأساً من الخوارج وأقوى شوكة وأعظم أتباعاً [3].

وهذا المثال ذكرته لأبين أن الحركة الشعوبية قد ظهرت على السطح وأصبحت تتخلص ممن يعكر قيامها ، وتتهيأ لأن تستقل بنفسها عن الدولة العربية المسلمة ، ولكن قد يقول قائل : إن أبا مسلم نفذ أمر قائده العربي الهاشمي ، فكيف تعدونها شعوبية ؟

الجواب : وإن كان كذلك لكن للشعوبيين الفرس دور كبير فيه ، بتجييش الموالي والعجم ، ثم التخلص من قادة العرب ، وبقيام الثورات التي تناهض الدولة الأموية والعباسية من الفرس المجوس وتنادي بالثأر لأبي مسلم من العباسيين وتدعو للغلو فيه ، ليؤكد أن هذا الرجل كان له اليد الطولى في قيام هذه الحركة ، ونحن هنا نتتبع قيام هذه الحركة بغض النظر عن الأطراف الأخرى التي استفادت من ذلك ، مع أنه لا شك أن للعباسيين دور في تقريب مثل أولئك الشعوبيين .

---

[1] انظر : الأخبار الطوال ، ص : ٣٤٧ — ٣٥٩ ، والدولة الأموية ، السيد خلف ، ص ١٠٣ .

[2] البداية والنهاية : ٩ / ٢٣٧

[3] المرجع السابق : ٩ / ٢٣٤ ، وانظر أيضاً : الأخبار الطوال ، ص : ٣٦٠ - ٣٦٩

وبعد ذلك أرسل نصر بن سيار أمير خراسان لبني أمية رسالته التحذيرية للخليفة مروان بن محمد ، يحذره بأن هناك أمراً يدبر للخلافة والمسلمين ، ولم يعد الخلاف بين قيسي ويماني ، وكان مما قاله :

أرى بين الرماد وميض جمر وأخشى أن يكون له ضرامُ

فإن النار بالعيدان تُذكى وإن الحرب مبدؤها كلامُ

فقلت من التعجب ليت شعري أأيقاظٌ أمية أم نيامُ [١]

لكن أبا مسلم استطاع أن يظهر دعوته للعباسيين ويسيطر على خراسان وعاصمتها مرو ، وأعلن البيعة في الجوامع والديار لأبي العباس السفاح ، وبعد ذلك نال حظوة كبيرة عند السفاح ، وأصبح يدير الأمور ، ويولي الفرس على الإمارات [٢].

ومن الثورات التي أثرت كذلك على الدولة الأموية ما قام به الحارث بن سريج الذي مالأ الجهم بن صفوان الراسبي ، والحارث تنصر وذهب لبلاد الروم يطلب نجدتهم ، وبعد أن أعطاه الأمويون الأمان عاد ، لكنه لم يبايع مروان بن محمد وخرج عليه ، ونصر دعوة جهم وزندقته [٣].

والذي يظهر من خلال ما تقدم أن ثورات الشعوبيين في عهد الأمويين كانت في نهاية دولتهم ، ولم يكن الشعوبيون فيها طرفاً واحداً مستقلاً ، بل من عدة أجناس وإن كان للفرس دور كبير فيها ، لكن استغلال الشعوبيين لتلك الخلافات والثورات ، جعلها كالأساس لثوراتهم الفارسية الشعوبية في الدولة العباسية وما بعدها .

وأما في الدولة العباسية فقد بان أمرهم وكثرت ثوراتهم وكادت أن تجهز على الخلافة العباسية ، وكانت ثوراتهم شعوبية خالصة ، تدعو للديانات المجوسية ، وللحكم الفارسي الكسروي ، وسأذكر أهم وأخطر الثورات الشعوبية التي ظهرت في الدولة العباسية .

---

[١] انظر البداية والنهاية ، ٩ / ٢٣٦

[٢] الأخبار الطوال ، ص : ٣٧٠

[٣] انظر : البداية والنهاية ، ص : ٢٣١ ، ٢٣٢ ، وانظر صفحة : ٧٦ ، من هذا البحث .

ثورة سنباذ

ثورة سنباذ هذا هي أول ثورة فارسية مجوسية على الدولة العباسية ، عام ١٣٨هـ ، وسنباذ هذا لقب نفسه فيروز إصبهبذ – معناه القائد المنتصر – ، كان من جنود أبي مسلم الخراساني ، ونال عنده حظوة ومنزلة ، ولما قُتل أبو مسلم ، قام سنباذ بثورته انتقاماً لأبي مسلم ، ومحاولة لإسقاط الدولة العباسية . وسنباذ هذا كان مجوسياً زنديقاً ادعى النبوة ، ودعا إلى قتل العرب وخلع خلافتهم وكان يبشر بزوال دولتهم ، وكان يرى وجوب ذلك ، وهمّ بالزحف إلى الكعبة ، وأحيا الديانات الفارسية ودعا إليها ، وهو ممن أحيا فكرة المهدية عند الشعوبية ، وزعم أن أبا مسلم لم يمت وأنه سيظهر هو والمهدي ومزدك .

فتن به خلق كثير قيل أنهم بلغوا مائة ألف ، وساندته الخرّمية في ثورته ، ولما عظُم أمره أرسل إليه الخليفة المنصور جيشاً بقيادة جهور العجلي [١] ، واستطاع أن يلاحقه ويقتله ، ويقتل معه خلقاً كثيراً من أتباعه [٢].

وثورة سنباذ كانت ثورة شعوبية خالصة ، حيث اجتمع فيها أهداف الشعوبية كلها ، الدعوة للعقائد المجوسية ، والنيل من الخلافة العربية المسلمة ، بل أعظم من ذلك التربص بالهجوم على قبلة المسلمين ، والدعوة لإقامة دولة فارسية . وقيام مثل هذه الثورة بسرعتها وقوتها وكثرة أتباعها ، وغلوها في أبي مسلم الخراساني ، ليؤكد أن هذه الشعوبية كامنة في نفوسهم ، ثم دبروا لها حتى

---

[١] هو : جهور بن مرّار العجلي ، من القواد الشجعان في الدولة العباسية في عهد المنصور ، عينه أبو جعفر المنصور على جيش كبير ليخمد ثورة المجوسي سنباذ ، واستطاع جهور القضاء على سنباذ ومن معه ، وبعد تلك الواقعة خلع جهورُ الطاعة عن أبي جعفر المنصور واستولى على ما غنمه من هزيمة سنباذ ، فأرسل إليه المنصور جيشاً كبيراً بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعي ، الذي استطاع القضاء على جهور ومن معه ، وقيل أن الذي قتل جهورَ هم أتباعُه ، وكان مقتله عام : ١٣٨هـ ، انظر : البداية والنهاية ٩ / ٢٦٩، ٢٧٠ ، والأعلام : ٢ / ١٣٦ .

[٢] انظر : تاريخ الطبري ، ٢ / ١٨٨٨ ، والبداية والنهاية ٩ / ٢٦٩ ، والعرب والفرس : ١٠٨ – ١٠٩ ، وانظر الحركات الفارسية الغير إسلامية في المشرق في العصر العباسي الأول ، معزوزة الزيتاوي ، ص : ١١٨ – ١٣٤ .

قامت ثورتهم التي كان لها الأثر الكبير في انتشار الزندقة والكفر والفتك بالمسلمين .

ثورة أستاذ سيس

وهي من الثورات الفارسية المجوسية التي خرجت على الخلافة العباسية بعد استقرارها ، وكانت تلك الثورة قوية أفسدت في الأرض وقتلت خلقاً كثيراً . قيل إن هذا الرجل ادعى النبوة ، ودعا للخروج عن طاعة العرب في دولتهم ، وقيام دولة فارسية مستقلة ، كثر أتباعه حتى قيل أنهم بلغوا الثلاثمائة ألف . أرسل إليه الخليفة المنصور جيشاً بقيادة خازم بن خزيمة وتحت متابعة ابنه المهدي ، فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم وأسر كثيراً ، إلا أن أستاذ سيس هذا استطاع الهرب وأن ينزل تحت حكم بعض الأمراء ، وانتهى الأمر بأن يقيد هذا الرجل ومن معه ، ويطلق الأسارى الذين تم أسرهم ، وفي الحقيقة أن إطلاق مثل أولئك كان لا ينبغي ، لأنهم يحملون في نفوسهم حقداً وغلاً على المسلمين ، وكذلك لما هم عليه من الزندقة والفكر الشعوبي ، سينتشر وسيكون له أثر على الناس بعد ذلك ، ولكن ما شاء الله كان ، وقد كانت هذه الثورة تشبه سابقتها من حيث الأهداف والمضمون [1].

الحركة المقنعية (المبيضة)

قام بها رجل مجوسي زنديق عام ١٦٣ هـ ، قيل اسمه : عطاء وقيل : هشام ، والأشهر أنه عطاء ، وكان لديه علم بالسحر والشعوذة والحيل الشيطانية . كان بداية ظهوره حينما عهد الخليفة المنصور لابنه المهدي بولاية العهد ، وجعل ذلك ذريعة لخروجه وثورته . لقبت حركته بالمبيضة ؛ لأنهم كانوا يلبسون الأبيض خلافاً للعباسيين الذين اشتهروا بلبس الأسود ، وفيه هذا إشارة منهم لشدة المنازعة والمنابذة . عُرف باحتياله على الناس بالسحر والمخاريق والخفة ، حتى قيل أنه من شدة تمكنه من الحيل الشيطانية والشعوذة ، أنه أظهر للناس كالقمر يشاهدونه ، وهذا من شدة إغوائه للناس ، وادعى أن روح الإله حلت فيه ، بل طغى في ذلك حتى ادعى الربوبية ، ففُتن به الناس ، ووضع عنهم الفروض والواجبات ، ودعاهم للإباحية الممسوخة ، وأحيا العقيدة المزدكية ، وأوجب الإدانة بها على الناس وكان يقتل من لا يؤمن بها ، ومن تعظيم

---

[1] انظر : تاريخ الطبري : ٢ / ١٩٧٥ ، ١٩٧٦ ، والبداية والنهاية ٩ / ٢٩٧ ، وانظر أيضاً : تاريخ ابن خلدون : ١ / ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، والحركات الفارسية غير الاسلامية في المشرق : ١٣٥ – ١٣٩.

الناس له أنهم كانوا يسجدون له تعظيماً ، ويطلبون منه الدعاء والعون من دون الله . كان يلبس قناعاً[1] على وجهه ولما سُئل أن يزيله قال : أخاف أن أحرقكم بنور وجهي . ومن زندقته أنه كان يقول بتناسخ الأرواح وأن الله حل في آدم ثم نوح ثم إلى أن وصل لأبي مسلم ثم انتهت إليه هو ، وهذا يدل على تشابه عقائده مع الرزامية التي غلت في أبي مسلم الخراساني ، كما يدل على التقارب الفكري بين الفرق الشعوبية .

أرسل إليه المهدي جيشاً ليقضي عليه ، وبعد محاصرته سقى نفسه وأهله السم ، وقيل أنه أحرق نفسه ، وكان يشيع أنه لن يموت بل سيعود ، وهذا إشاعة منه للزندقة والكفر حتى بعد وفاته [2].

لقد كانت هذه الحركة المقنعية من أشد الثورات على الدولة العباسية وعلى المسلمين عامة ؛ لشدة زندقتها وفتكها بالمسلمين ؛ ولعداوتها للخلافة العربية المسلمة .

البابكية (الخرّمية)

وهذه الحركة الثورية على الإسلام وأهله تعد أخطر الحركات المجوسية التي أرهقت الدولة العباسية ؛ حيث استمرت حوالي اثنين وعشرين سنة ، في خلافة المأمون والمعتصم ، وتعود عقائدها إلى المزدكية قبل الإسلام .

ظهرت في أذربيجان وخراسان وعدد من قرى تلك الأقاليم الإيرانية ، استطاع قائدها بابك الخرّمي أن يجمع له جيشاً كبيراً ، قيل : أنه بلغ عشرين ألفاً ، وأعلن خروجه على الخلافة العباسية ، اشتهرت حركته بشدة القتل وإراقة الدماء وترويع الناس ، كان يتعمد مهاجمة القرى ليلاً لإفزاع أهلها وبث الرعب فيهم . ساعده على انتشار حركته انشغال العباسيين بإخماد الثورات الأخرى ، حيث لم يكد أن تقضي على ثورة إلا وتتبعها أخرى ، ومما ساعده أيضاً معونة البيزنطيين الروم له ، وكذلك تعمده قطع الميرة والإمدادات عن الجيش العباسي ، ومما ساعده أيضاً تباطؤ قائد جيش المعتصم — الأفشين – عن الإجهاز عليه ، والذي تبين فيما بعد تواطؤه

---

(١) وهذا سبب تسميته بالمقنع

(٢) انظر : الفرق ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، وتاريخ الطبري ٢ / ٢٠٢٣ ، والبداية والنهاية ١٠ / ٥ ، والحركات الفارسية ، ص : ١٤٠ — ١٥١.

معه ، ومحاولة الانفراد بولاية أو حكم . وكان جيشه قوياً ومدرباً على القتال والخطف ، واشتد إثخانه على الناس ، حتى ذكر أن عدد من أبادهم بلغ مائتان وخمسون ألفاً ، وقيل خمسمائة ألف . اشتهر كرهه للعرب على وجه الخصوص وكان يسميهم باليهود ، وكان يبشر بزوال ملكهم وإعادة ملك الفرس المجوس ، وكان يلزم الناس بالمزدكية [١].

من عقائد هذه الفرقة : تقول بألوهية بابك أو نبوته عند بعضهم ، ويفضلون بابك على الأنبياء والمرسلين ، ويقولون بتناسخ الأرواح ، ، ويعتقدون بعدم انقطاع النبوة ، وأن كل ذي دين مصيب ، كما يعتقدون أن ملك العجم سيعود وأن لهم مهدياً سيخرج ويعيد حكمهم .

ومن عقائده : نكاح المحارم واستحلال المحرمات وتبادل النساء ، وحاصل مذهبهم الانسلاخ من الدين الاسلامي . سميت فرقته بالمحمِّرة ، قيل : للبسهم الحمرة ، وقيل : لاستحلالهم المحرمات ، وقيل : لتسميتهم غيرهم من الناس بالحمير ، والأقرب أنه الأول [٢].

وكان القضاء على هذه الثورة الشعوبية في عهد الخليفة العباسي المعتصم ، حيث تولى بنفسه التخطيط لها ومتابعتها ، وبعد عدة مناوشات وقتال استطاع الأفشين أن يقبض على بابك ويسلمه إلى المعتصم ، وبعد قتله كان يطاف به بين الناس والقرى جزاء لفعله ، وليحذر غيره أن يسلك مسلكه ، ولكن فكر هذه الفرقة وزندقتها استمرت بين الناس ، وكان مصدراً من مصادر الزندقة والفكر الباطني الشعوبي [٣].

وامتدت لهذه الثورة البابكية الشعوبية ثورة بعدها عرفت بحركة أو ثورة — المازيّار – ، والمازيار هذا كان ممن مالأ وعاون بابك وحسّن مذهبه ، وكان يكاتبه . كان أميراً لطبرستان[٤] ، وكان مجوسياً

---

[١] انظر : الكامل في التاريخ ، ٦ / ١٨ — ٢١، ٢٥ — ٣٦.

[٢] انظر : الفرق ، ص: ٢٧١ — ٢٧.٤

[٣] انظر : تاريخ الطبري : ٢ / ٢٢٧٤– ٢٢٧٦ ، ٢/٢٢٧٩ — ٢٢٩٥ ، والبداية والنهارية ١٠ / ١٢١ ، وتاريخ ابن خلدون ١ / ٨٦٧ — ٨٧٠ ، وانظر الحركات الهدامة في الإسلام : ٨٣ — ١٨٤

[٤] طَبَرَسْتان : أصل كلمة : طَبَر بالفارسية هو : ما يُشَقّق به الأحطاب ، واستان بمعنى : الناحية أو الموضع ، وطبرستان : هي بلدان واسعة يشملها هذا الاسم ، من أعيان بلدانها دهستان وجرجان واستراباذ ، كان الفُرْس يسمون من يرأسها — الإِصْبِهْبِذ — ، كانت بداية فتحها في عهد الخليفة الراشد عثمان بن

=

، فلما طُرد من إمارتها ، لجأ للمأمون وأظهر إسلامه ، ثم ولاه المأمون طبرستان بعد ذلك ، إلا أنه أظهر خلافه لعبد الله بن طاهر[1]، حيث لم يسلم له الخراج ورفض إلا أن يعطي المأمون لأنه كان ناقماً على إمارة آل طاهر .

وكان الأفشين حينها يدس إليه الكتب ويحرضه على شق العصا ، وبعد ظهور تمرده على الخلافة أرسل إليه المأمون جيشاً وبعد القبض عليه ، ضُرب بالأسواط حتى مات ، ثم صلب ، وقبل موته اعترف بمكاتبة الأفشين له ، وهذا أدى لغضب المعتصم على قائد جيشه الأفشين ومن ثمّ محاكمته وقتله .

كان المازيّار هذا يظهر العقائد الخرّمية ويدعو لها ، ويظهر عداءه للعرب ، ويأمر بالتنكيل بهم وقتلهم ، كان معظماّ لبابك ولمجوسيته ، وداعياً لإسقاط الخلافة العباسية وإقامة الملك الفارسي المجوسي [2].

واكتفي بما تم عرضه من الثورات الشعوبية ، وبعد النظر فيها يتضح ما يلي :

- أن جميع تلك الثورات أحيت العقائد المجوسية الفارسية ودعت إليها ، وكانت سبباً لتفشي الأمور الإباحية ، ومصدراً للزندقة والفجور والكفريات .
- وطّدَت للحركة الشعوبية حيث أصبحت حركة فكرية عدائية لا تقف عند مطمع واحد فقط ، بل لها توجه ديني وسياسي واجتماعي فاسد .
- ظهور العداوة الدفينة والحاقدة على الخلافة العربية المسلمة ، سواء على بني أمية أو العباسيين ، وتهوين مكانة الخليفة أمام وزرائه وأعوانه أو رعيته ، والعداوة كذلك على

عفان ، بقيادة سعيد بن العاص سنة ٢٩هـ ، انظر: معجم البلدان ٤ / ١٧ - ٢١

[1] هو : عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي ، ولاءً ، ولد عام ١٨٢هـ ، كان أميراً لخراسان ، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي ، توفي عام ٢٣٠هـ ، انظر : الأعلام ٤ / ٩٣ ، ٩٤

[2] انظر الفرق ، ص : ٢٧٣ ، والحركات الهدامة : ١٧٤ — ١٧٩ ، والبداية والنهاية ١٠ / ١٢٨ ، ١٢٩ ، وتاريخ الطبري : ٢ / ٢٣٠٧ - ٢٣١١

جنس العرب أنفسِهم سواء كانوا ساسة أو عامة ، وصار هذا جزءاً من الديانة التي يدين بها أولئك الشعوبيون .

- كانت تلك الثورات الشعوبية أساساً لما تبعها من الثورات الشعوبية الأخرى ، قديماً وحديثاً ، وتمهيداً للدول الباطنية الشعوبية التي أفسدت العقيدة الصحيحة ، وأدخلت الناس في أبواب التأويل الباطني ، والتعدي على قداسة الوحيين الشريفين .
- أظهرت تلك الثورات زيف الشعارات التي كان يرددها الشعوبيون في أول أمرهم بأن ظهورهم هو لتسويتهم بباقي العرب أو الناس من الناحية الاجتماعية ، وكذلك زيف تشيّعهم لآل البيت وأن ذلك كان مطية لكسب رضا الناس والعامة ، ومدخلاً لتجميع الناس معهم وتجييشهم على أئمتهم ، وإلا فإن الدولة العباسية خلفاؤها من بني هاشم ، فأين تشيعهم المزعوم الذي كانوا يرددونه ؟!! .
- أكدت خطورة اختلاط المسلمين بدول الأعاجم التي لم يتمكن الإسلام فيها ، والتي لم يطمئن أهلها بالإيمان ، وكذلك لوجود الديانات القديمة الفاسدة فيها ، وكذلك خطورة العلوم البشرية والفسلفية المستوردة .
- تبين كذلك مما سبق أن الفرس المجوس أو من هو حديث عهد بهم لا يصلح أن يُولّى شيئاً من مصالح المسلمين حتى يظهر صلاحه وتقاه .
- وتبين أيضاً أن باقي الشعوب من غير الفرس قد يحصل منهم ممالأة ومعاونة لبعضهم البعض على الخلافة العربية المسلمة ، كما حصل بين الفرس والأتراك من تعاون في ثوراتهم ، وهذا يؤكد أن مفهوم الشعوبية له معنىً عام يدخل فيه كل من تعصب لشعبه أو عرقه وقومه .
- أن خلاف المسلمين فيما بينهم ، واختلافهم فيما أمروا به من الشرع ، هو سبب لدخول الأعداء في صفوفهم سواء من الشعوبيين أو غيرهم ، فلو كان أمر المسلمين مجتمع على التوحيد وعلى قلب واحد ، لم تعصف بهم تلك الثورات الشعوبية .

ولقد كان لأبي مسلم الخراساني دور كبير في إذكاء نار الشعوبية وإظهار الحركة الفارسية في الخلافة العربية المسلمة ، ولعل استعانة العباسيين به سهل ذلك الأمر أيضاً ، ومن القرائن على ذلك سرعة أبي جعفر المنصور في إدراك خطر ذلك القائد الذي أظهر تمرده على المنصور ، وتدخله في تعيين وعزل الأمراء وتمدد نفوذه في خراسان وما حولها ، بل أدخل ذكر اسمه في

خطب الجمعة في خراسان التي كان مسيطراً عليها وأبعد اسم المنصور [1].

ومن القرائن أيضاً أن الخليفة المنصور كان مدركاً لخطورة ذاك الرجل حيث أن قتله لأبي مسلم كان بعد الحيلة والخديعة ليس بشكل مباشر [2]، ومن القرائن كذلك : شدة غلو الشعوبيين الفرس في أبي مسلم وإنزاله منزلة ليس لنبي أو رسول ، ومثل تلك القرائن لا تكون بمحض المصادفة أو من باب ضرب الحظ والهوى ، بل شيء كامن في النفس ومدبر له منذ حين .

وفي الحقيقة أن هذا الدور من أبي مسلم لحقه وشابهه دور الشاه إسماعيل الصفوي في فرضه التشيع المجوسي الفارسي الشعوبي على الناس في الدولة الصفوية ، ومثله أيضاً الدور الذي قام به الخميني في ثورته المزعومة وفروعها ، ويكمله ورثته الشعوبيين أمثال الخامنئي ، وزعيم حزب الشيطان اللبناني ، وزعيم الحركة الحوثية في اليمن ، وغيرهم ، إضافة لما قام به القرامطة والعبيديون ، وسيأتي الحديث عنهم في الباب الثالث ، مما يؤكد توارث هذا الفكر الشعوبي بين أهله ، وأنه صار كغيره من الحركات الهدامة الأخرى ، التي تهدم العقيدة الصحيحة ، وتحاول إقامة دولة مستقلة لها ، تكون منطلقاً للهجوم على الدول الإسلامية ، وموئلاً للغزاة من الصليبيين والصهاينة والشيوعيين والمنافقين ، وغيرهم من أعداء الدين الإسلامي .

وأخيراً : أشير إلى أني وقفت على بحث أكاديمي ، أصله رسالة دكتوراه ، لباحث إيراني معاصر[3]، عنوانه : - **الحركات الدينية في إيران في القرون الإسلامية الأولى** - ، وبعد

---

[1] انظر : البداية والنهاية ٩ / ٢٦٢ — ٢٧٠

[2] انظر : الأخبار الطوال ، ص : ٣٨٠

[3] هو : غلام حسين صديقي ، ولد بطهران عام ١٩٠٥ م ، أكمل دراسته العليا في فرنسا حينما ابتعثته وزارة الثقافة ، فتخصص في مجال تاريخ الأديان وعلم الاجتماع ، حصل على الدكتوراه من جامعة باريس ، وأطروحته كانت هذا البحث المذكور، وبعد عودته لطهران ، عمل بجامعة طهران ، ومثّل الجامعة والدولة في عدة مناسبات ومؤتمرات ، كان له دور كبير في تأسيس علم الاجتماع واللغويات في إيران ، وكذلك في مجال الترجمة الفارسية ، تولى بعض الأعمال السياسية ، فأسس حزب الجبهة الوطنية ، ثم صار وزيراً للاتصالات ثم الداخلية في حكومة مصدق ، له مؤلفات مطبوعة ومخطوطة ، توفي عام : ١٩٩١م ، انظر : مقدمة مترجم الكتاب ، ص : ٧ – ١٦

تصفح ذلك البحث[1] ، خرجت منه بفوائد تصب في مجال الحديث عن الشعوبية ، من جهة المختصين الإيرانيين ، من أهمها :

- التأكيد على أن تلك الثورات المذكورة في العهد العباسي ، كانت فارسية ، وهذا واضح جداً من عنوان الرسالة ، وفي ثنايا البحث ، وأن قوادها خرجوا عن الطاعة للدولة العباسية العربية الإسلامية .
- صدور مثل هذا البحث في الزمن المعاصر يدل على تناول المختصين من الجانب الإيراني لتلك الحوادث ، مما يستدعي من المختصين في هذا المجال من أهل السنة ، ضرورة العناية بهذا الموضوع .
- اعتمد الباحث كثيراً على مراجع في التاريخ الإسلامي ، كتاريخ الطبري ، والمقدسي ، والمسعودي ، واليعقوبي ، وغيرهم ، لكن طريقته في تناول المعلومات منها في عدة مواضع ، بحاجة لتتبع نقدي .
- لأن أصل تخصص صاحب البحث في علم الاجتماع ، هو يحاول في بحثه أن يستعرض الأثر الاجتماعي للحركات الدينية في تلك الفترة ، لكن لم تكن نتائجه بدقة فائقة في مجال الفرق والمذاهب ، وفي تحرير كثير من المسائل .
- اتصف في كثير من المعلومات بالإنصاف ، خصوصاً حين يتناول بعض المعلومات عن زعماء تلك الثورات أو عقائدها ، ومن الأمثلة على ذلك ، قوله عن أبي مسلم الخراساني : (... وقد اختلفت الفرق بعد قتل أبي مسلم دينياً في الأخذ بثأره ، فاتفقوا على هذا كلهم ، ومن الثابت أن أبا مسلم لم يستفد من إسقاط الدولة الأموية ، وإسناد الأسرة العباسية من دعوة مسلمي إيران إلى مبايعة الهاشميين فحسب ، وإنما استمد عزمه من الدين والروايات الوطنية الباقية ، فألف بين الروايات المحلية وأصول الدين الإسلامي ؛ ولذا عد أمر قتله عظيماً ، لأنه كان محل تقدير العديد من الناس ، فبعد قتله حدثت

---

[1] ترجمه من الفارسية للعربية : نصير الكعبي ، من إصدار المركز الأكاديمي للأبحاث ، بيروت ، ٢٠١٣م.

مجموعة ثورات استمرت ثلاثون سنة ...) [1]. وكلامه هذا عن أبي مسلم يؤكد الدور الكبير الذي قام به لبعث الحركة الشعوبية الفارسية ، للنيل من الخلافة الإسلامية ، ومحاربة الدين الإسلامي .

ومن الأمثلة كذلك ، قوله عن ثورة أستاذ سيس : (... وتعد حركة أستاذ سيس ، على وجه الإجمال من الحركات الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ضد العرب وضد الإسلام ، التي وقعت في القرون الإسلامية الأول ....) [2]. ويقول عن المقنع وحركته : (... لا يمكن عد حركة المقنع الدينية هي سيرة من سير إصلاح الدين الإيراني القديم أو هي تطور لها ، وإذا ما وضعنا هذه الحركة ما بين الحركات الدينية الإيرانية ، فنلحظ أنها حركة نشأت وسط الإيرانيين ، وظهرت من خلالهم ، فأغلب أتباعه هم من الإيرانيين ...) [3]. ويقول عنه أيضاً : (... وقد أباح المقنع للترك مال ودم المسلمين ...)[4] ، وهذا حينما كان يستعين بهم على الدولة العباسية . ويقول أيضاً : (... وقد راجت فكرة قتل المخالفين والأعداء ما بين فرق الشيعة الغالية) [5].

ومما ذكره الباحث الإيراني أيضاً ، قوله عن بابك الخرمي: (ويبدو أن المحيط الذي نشأ فيه بابك كان له أثر كبير في تحديد وجهته ، فكان من المريدين للحرية الدينية والاجتماعية ؛ لذلك برزت بين أتباعه عواطف النقمة والغضب ضد العرب ، ويظهر أن العرب كانت لهم عواطف مماثلة لذلك ، ويبدو أن هذه الأفكار كانت هي الشائعة والمهيمنة على كل الفعاليات التي كانت تقوم بها هذه الفرقة ...) [6]. وهذا يدل على أن الصبغة العدائية الشعوبية لكافة فرقها تجاه العرب والخلافة الإسلامية ، كانت مظهراً شعوبياً واضحاً ومتبعاً ،

---

[1] الحركات الدينية في إيران في القرون الإسلامية الأولى ، ص : ٢٠٢

[2] المرجع السابق : ص ، ٢٣٥

[3] المرجع السابق : ص ، ٢٥٣

[4] المرجع السابق : ص ، ٢٦٥

[5] المرجع السابق : ص ، ٢٧٣ ، وقد تم بيان ذلك في مبحث صفات الشعوبيين ، في الباب الأول .

[6] المرجع السابق : ص ، ٣٧٨

بل هو معتقد ديني متوارث لديهم .

وعن علاقة الفرق الشعوبية ومناصرة وتأثر بعضها ببعض ، يقول عن القرامطة والخرّمية :

(ومن دون شك فإن تطور تعاليم القرمطية في غرب وجنوب إيران ، كان من عوامله المساعدة وجود الأرضية المناسبة له ، الممثلة بتعاليم الخرمية ...)[١] .

وأكتفي هنا بما ذكر ، والهدف من ذلك النقل وقد أطلت فيه ، التدليل على شعوبية وفارسية تلك الثورات ، وأن وجود مثل تلك المعلومات من مؤلف إيراني معاصر ، يعزز من خطر تلك الثورات وآثارها قديماً وحديثاً . والكتاب بحاجة لدراسة نقدية مستقلة ، يوضح فيها منهج الباحث وطريقة تناوله لتلك الثورات ، ويميز فيها ما يُوافق فيه وما يُخالف ، والمجال هنا لا يتسع لأكثر مما ذكر ، والله أعلم .

---

[١] المرجع السابق : ص ، ٣٨٣

المبحث الثالث : نشر الشعارات والدعايات الكاذبة

يستخدم أهل الحركة الشعوبية في نيل مآربهم شعارات براقة ، وزخارف من الأقوال ، كعادة المنافقين والزنادقة في دعاويهم حين يظهرونها بين الناس ؛ لأن للسان بياناً وسحراً ، يُكذَّب به الصادق ، ويُصدَّق الكاذب . وإذْ لم يتوقف الشعوبيون عند استخدام القتل والإفساد وإزهاق الأرواح ، فكذلك كان لنشر الشعارات الشعوبية حظاً وافراً ؛ ليتصيدوا بها الدهماء والأغرار ؛ وليكثروا سوادهم . ومن خلال تتبع هذه الحركة يتضح أن من أبرز ما ساعدهم في إقامة حركتهم لمحاربة الخلافة الإسلامية ، أو الدول المسلمة : مناداتهم بشعار التسوية ، أي : مساواة غير العربي بالعربي ؛ لأن هذا حسب زعمهم هو الذي جاء به الإسلام ، حين لم يفرق بين عربي ولا عجمي . ثم بعد هذه الدعاية أضافوا إليها معنىً آخر ، وهو أن تفضيل غير العربي – الشعوبي – على العربي هو ما دل عليه القرآن الكريم ، واستدلوا بقوله تعالى : (... وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ...) الآية .

حيث قالوا إن تقديم لفظ الشعوب على القبائل يدل على تفضيلها ، ولقد ترتب على هذا التفضيل أيضاً المناداة بإسقاط الحكم الاسلامي ، ومحاربة الدين الحق [1]. وعند النظر لهذه الدعوى منهم يتضح أنها مغالطة ومجازفة ، وذلك من أوجه :

أولاً : أن الإسلام إنما دعا إلى العدل والإحسان مطلقاً مع كل جنس ولون ، ولم يتوقف الأمر إلى البشر بل تعداه لكافة الخلائق ، أما المطالبة بالتسوية فهو أمر مجمل ولا ينضبط ، إذ إن مقتضى التسوية على هذا سيكون بين كافة الناس في كل شيء ، فالناس فيهم الكبير والصغير والذكر والأنثى والحر والعبد والأمير والمأمور ، ولن يقوم كل أحد بما يُحسنه غيرُه ، ولا يصح مساواة من لم يحْسِن فعلَ غيره بمنْ أحسنَ فعلَ نفسِه وأحكمَه . وكذلك كيف يساوى بين الصغير والكبير في العطاء مثلاً ؟! أو يكلف الذكَر بما يخص الأنثى أو العكس ، فلكلٍ خَلْقه الذي رُكّب فيه . وكذلك في العربي والعجمي ، لو كلف من لا ينطق العربية بقراءة القرآن والحديث وهو لم يحسن ذلك بعد ، حينئذٍ قد كلف بما لا يطيق ، أو كلف من يتكلم العربية بأن

---

[1] انظر : الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية ، ص : ٢٨

يبلغ غير العربي بلسانه الأعجمي ، لكان فوق الطاقة والمعقول فضلاً عن أن يكون مشروعاً [1]. والخلاصة لما سبق أن المناداة بدعوى المساواة شيء مجمل ولا ينضبط ، كما هي عادة أهل البدع والأهواء في استعمال الألفاظ المجملة [2] . ولو كانت الدعوى إلى العدل والإحسان لكان أولى .

ثانياً : استدلالهم بآية الحجرات استدلال باطل ومنحرف ، ولا تحتمله اللغة ، إذ إن معنى الشعوب – كما تقدم – هو الجمهور الذي تشعبت منه القبائل[3] ، لا أن الشعوب هم العجم فقط . ومن وصف العجم بالشعوب فهو لكثرة ما وقع فيهم من التشعب أكثر من العرب ، فوصْفهم بالشعوب كالعَلَم على أجناسهم ، وقد نبه ابن قتيبة إلى ذلك [4]. وكما هو مقرر عند أهل اللغة من أن تقديم شيء على آخر لا يستلزم التفضيل [5].

إضافة إلى أن التفسير بهذا القول فيه من النكارة والشذوذ – والله أعلم – إذ كيف يفضل الله غير العرب مطلقاً ، ثم ينزل ذلك في خير كتبه وعلى خير خلقه ﷺ الذي هو من العرب وباللسان العربي المبين ؟!!! .

وكذلك أين هذه التسوية في أفعالهم حين حكمت بعض الدول الشعوبية الباطنية من القرامطة والعبيدية والبويهية والصفوية ؟ لم يجد المسلمون منهم إلا القتل والتشريد وفشو الزندقة والإلحاد .

ومن الشعارات المكذوبة التي كان يرددها الشعوبيون لنشر فكرهم والتعدي على الدولة المسلمة : التشيع لآل البيت ، والذي اتخذوه وسيلة لإظهار دعوتهم ثم باباً من أبواب الغلو والزندقة . إما الغلو في بعض الأئمة من آل البيت ، أو الغلو في قادتهم وكبارهم . لقد كان بداية دخول أولئك الشعوبيين من الفرس وغيرهم في نصرة بني العباس من باب التشيع المزعوم لتسليم آل البيت مقاليد الحكم ، لكنهم بعد ظهور حركتهم وكثرة أتباعهم وتمكنهم ، انقلبوا على بني هاشم من

---

[1] انظر : مفتاح دار السعادة لابن القيم ، ص : ١ / ٢٦٨

[2] انظر : مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ، ص : ١٢٦

[3] انظر : ص ٣١ من هذا البحث

[4] انظر : فضل العرب ، ص : ١٠٩.

[5] انظر : المرجع السابق ، ص : ١٠٨ ، وهذا يدل على أن الشعوبيين من أبعد الناس عن اللغة ؛ ولذا من أهدافهم محاربة اللغة ، والعمل على هدم أسسها وقواعدها .

العباسيين وغيرهم ، وصاروا ينادون بقيام دولة فارسية مجوسية ، وقد تقدم الكلام عن ذلك في المبحث الماضي .

ولم يقف الشعوبيون عند هذا التشيع المزعوم بل تعدوا إلى ذلك ، بأن انتسب بعضهم زوراً إلى النسب الهاشمي ، كما فعل العبيديون ، أو صاحب ثورة الزنج[1]. ولعل قيام بعض الهاشميين بالثورات كان سبباً لذلك أيضاً وذريعة ، كما فعل زيد بن علي في خلافة جعفر المنصور عام ١٢٢هـ . وصارت هذه الدعوى في انتسابهم صبغة فارسية شعوبية لكثير من حركاتهم الثورية في ديار المسلمين ، بل مدخلاً للزنادقة وظهورهم لإفساد العقيدة والشريعة ، وقد ذكر الإمام الدارمي رحمه الله ما يدل على ذلك ، حيث أورد قصة عن أحد الزنادقة وسبب انتحاله للتشيع وجعله شعاراً لهم ، حيث قال : " ... كان من هؤلاء الجهمية رجل ، وكان الذي يَظهر من رأيه الترفض وانتحال حب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال رجل ممن يخالطه ويعرف مذهبه : قد علمتُ أنكم لا ترجعون إلى دين الإسلام ، ولا تعتقدونه ، فما الذي ستَّتَكُمْ على الترفض ، وانتحال حب علي ؟ قال : إذاً أصدقك ، إنا إنْ أظهرنا رأينا الذي نعتقده ، رُمينا بالكفر

---

[1] قام بهذه الثورة رجل يدعى علي بن محمد بن عبد الرحيم ، أصلة من الري ، كان عسيفاً عند بني عبد القيس ، خرج على الدولة العباسية عام ٢٤٩هـ ، فادعى النسب الهاشمي كذباً وزوراً ، وكانت بدايته من البحرين ، وتبعه جماعة من أهلها ثم بعد ذلك مر على الزنج الذي كانوا يعملون بكسح السباخ ، وضمهم إليه فسمي بصاحب الزنج ، وكثروا معه وبلغوا بالآلآف ، وحصل للناس بهذه الثورة قتل عظيم وإفساد للدور ، وقتل لأهل العلم والفضل ، وحرق للمساجد ، ومن فساد أخلاقه أنه كان يتعمد أن ينادي على المرأة العلوية في الأسرى ليبيعها بدرهمين وثلاثة ، واسترق الزنج النساء العلويات حتى قيل كان للزنجي الواحد عشر نساء علويات يقمن على خدمته . كان يزعم أنه يخاطب من السحاب ، وأن القرآن يجري كله على لسانه في ساعة ، وادعى مخاطبة الملائكة له ، وإخباره بما سيقع ، وكان يروي لأتباعه منامات مكذوبة ، ابتدأ أمره في خلافة المهتدي العباسي ، وتم القضاء على ثورته أيام خلافة المعتمد ، ومن أكبر قواد ثورة الزنج رجل كان يدعى – بهْبوذ- ومن زندقته قوله : أن الله أرسله للخلق لكنه رد الرسالة ، وكان على منبره يسب الصحابة رضي الله عنهم ، وقد كانت تلك الثورة الزنجية التي تسترت بالتشيع أولاً ، من أشد الثورات الشعوبية على الدولة العباسية ، انظر البداية والنهاية : ١٠ / ١٩٥ – ٢٠٣ ، وتاريخ الخلفاء ، ص ٣٢٠ .

والزندقة ، وقد وجدنا أقواماً ينتحلون حب علي ويظهرونه ، ثم يقعون بمن شاؤوا ، ويعتقدون ما شاؤوا ، ويقولون ما شاؤوا ، فنسبوا بذلك إلى الترفض والتشيع ، فلم نرَ لمذهبنا أمراً ألطف من انتحال حب هذا الرجل ، ثم نقول ما شئنا ، ونعتقد ما شئنا ، ونقع بمن شئنا ، فلأنْ يقال لنا : رافضة أو شيعة ، أحب إلينا من أن يقال : زنادقة كفار ، وما عليٌ عندنا بأحسن حالاً من غيره ممن نقع بهم ، قال أبو سعيد رحمه الله : وصدق هذا الرجل فيما عبر عن نفسه ولم يراوغ ، وقد استبان لي ذلك من بعض كبرائهم ونظرائهم ، أنهم يستترون بالتشيع ، يجعلونه تشبيثاً لكلامهم وخطبهم ، وسلّماً وذريعة لاصطياد الضعفاء وأهل الغفلة ،ثم يبذرون بين ظهراني خطبهم بذر كفرهم وزندقتهم ، ليكون أنجع في قلوب الجهال وأبلغ فيهم ... " [1].

وهذا الخبر والتأكيد من هذا الإمام الكبير يدل أن أهل هذا الفكر الشعوبي مدسوسون بين المسلمين قديماً ، وأن ذلك كان له الأثر الواضح على عقيدة المسلمين .

وافتعال الشعوبيين لمثل هذه الشعارات يختلف من مرحلة لأخرى ، فتجدهم حين ضعفهم أو في قوة السلطان يظهرون مثل تلك الشعارات ، وأما في حالة قوتهم وضعف السلطان فيصرحون بفكرهم ودعوتهم وأهدافهم علناً .

وفي الزمن الحاضر يستخدم الشعوبيون تلك الشعارات ، واستحدثوا معها الدعوة إلى حقوق الأقليات[2] ، حيث يزعمون أن أي فئة من المسلمين من حقهم أن يمارسوا شعائرهم الدينية مهما كانت ، تحت مظلة حقوق الأقليات المزعومة ، وحقيقتها أنها دعوة جوفاء ، لأن غالب ما عليه الشعوبيون اليوم من الروافض والباطنيين وغيرهم هو الزندقة والوثنية والاباحية .

وحتى نتيقن أن هذا الشعار هو أكذوبة شعوبية لم توجد إلا لنشر الفكر الشعوبي الباطني الرافضي ، فلننظر لحال الأقلية المسلمة السنة في إيران من العرب والبلوش والأكراد ، فإن حالهم من أسوأ الأحوال ، من جهة عدم ممارسة العقائد السنية علناً ؛ لأنها تعارض المذهب الرسمي الفارسي في بلادهم ، فضلاً عن السماح لهم بالدعوة للمذهب السني الحق للعامة من الناس وتصحيح

---

(1) الرد على الجهمية ، ص : ٢٦٣ — ٢٦٥

(2) وهي أيضاً كلمة أو دعوى مجملة ، ليس لها ضابط ممن أطلقها ، وحقيقتها فتح أبواب الضلال والخراب في بلاد المسلمين .

اعتقادهم ، بل حتى في الجانب السياسي والبرلماني لا يسمحون لتلك الأقليات بنيل أدنى المناصب فيها وإن وجدت لهم مشاركة فهي صورية لا حقيقية . وأما إقامة الشعائر الدينية الظاهرة كالجمعة ونحوها فممنوعون ولا يكاد يوجد مسجد جامع لإقامة الجمعة أو الأعياد ، لكن لو نظرنا لحال باقي الطوائف أو الأديان في تلك البلاد ، فالكنائس والبيَع والمعابد وبيوت النار عديدة فيها ، والنشاطات الباطنية كالبهائية والنصيرية مسموح لها وتمارس جهاراً [١].

ومن العجب في التعاون الشعوبي بين الفرس المجوس واليهود أنهم سمحوا لليهود حتى بمقابر خاصة ، وكذلك دخولهم في الجيش الإيراني ، إلى غير ذلك من التسهيلات التي لم يحظَ بها السنة من العرب وغيرهم بل ولا عُشْر معشارها [٢].

ومن الشعارات التي كان يرددها الرافضة الشعوبيون قبيل ثورتهم الخمينية ، الموت لأمريكا أو وصفها بالشيطان الأكبر ، الموت لإسرائيل ... وكان يرددها الخميني وأتباعها في وقت الملك رضا بهلوي وقبل الثورة عليه ، وأخذت تنتشر بعد ذلك في لبنان بحكم الكثافة الشيعية الرافضية ، وفي الحقيقة أنها لا تعدو أن تكون شعارات زائفة ، تكذبها الحقيقة في الواقع[٣] . وتلقف هذا الشعار عن الثورة الخمينية فرعها في اليمن المتمثل في الحركة الحوثية ، وهو قولهم : الله أكبر ، الموت لأمريكا ، الموت لإسرائيل ، اللعنة على اليهود ، النصر للإسلام . وكان بداية إطلاق هذا الشعار من رئيسهم الثاني : حسين بدر الدين الحوثي ، في : ١٧ / ١ / ٢٠٠٢م ، من قاعة مدرسة الإمام الهادي ، في مرّان بصعدة ، وكان يطلب من الحضور أن يرددوه ، وكان يطلب منهم أن يردده الواحد في كل أسبوع مرة بعد الجمعة ، ثلاث مرات [٤].

وأين الحقيقة من هذا الشعار ، فإن الحوثيين لم يقتلوا أمريكياً واحداً ولا يهودياً ، بل تسلطوا على أهل السنة والحديث ، ودمروا مساكن العامة وسلبوا أموالهم ، وانقلبوا على بلادهم يفسدون فيها ، ويحيون بها المظاهر الشيعية الشركية ، فأين نصرتهم للإسلام حسب شعارهم ، لكن هي في

---

[١] انظر : أهل السنة في إيران ، ص : ٣٥ – ٦٢ ، مركز المسبار للدراسات والبحوث

[٢] للتوسع عن حال الأقليات في إيران ، انظر: الأقليات الدينية والعرقية والمذهبية في إيران ، سامح عبود .

[٣] انظر : حلف المصالح المشتركة – التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة، ص: ٣١٥

[٤] انظر : الحوثيون والتشيع المعاصر في اليمن ، أحمد الدعشي ، ص : ٥٦ – ٦٢

الحقيقة مجرد شعارات لتهييج العامة وتكثير الأتباع [1] . ولقد كان لتلك الشعارات القديمة من أولئك الشعوبيين تأثير على بقية الناس ، حيث استطاعوا بالدعوة للمساواة المزعومة أو غيرها من الشعارات ، أن يضموا كثيراً من الشعوب والأجناس الأخرى من كرد وأتراك ونبط إلى دعوتهم ، ثم استخدموهم وقوداً لحركتهم العدائية الثورية [2]. وكذلك كان لتشيعهم المزعوم دور في ذلك ؛ حتى أججوا الناس على حكامهم وأثاروهم ، وترتب على تلك الدعاوى أيضاً تشويه صورة المسلمين أمام غير المسلمين ، حين زعم الشعوبيون أن المسلمين لا يراعون حقوق الأقليات ، ولقي هذا الأمر رواجاً وقبولاً عند الغرب الصليبي الكافر ، فأيدوا أهل الحركة الشعوبية في دعاويهم ، وفتحوا أبواب الغزو الفكري الغربي على الإسلام وأهله من قبل أولئك الشعوبيين .

---

[1] وسيأتي التفصيل عن دور وخطر هذه الحركة ، ص : ٤٠٨

[2] على سبيل المثال حركة الزنجي الثورية ، وقد تقدم الكلام على ذلك ، ص : ١٧٥.

المبحث الرابع :تمجيد دولة الفرس الوثنية والعمل على إحيائها

وهذه من الوسائل التي يتخذها الشعوبيون تمهيداً لمحاولة استعادة دولتهم ، والقضاء على الدول الإسلامية ، وذلك لم يعد خافياً على من تتبع أخبارهم ، وسبر أغوارهم . فمنذ سقوط دولة المجوس وزوالها ، وآثار ذلك الحدث عليهم ، ويتضح ذلك بشدة مقاومتهم لجنود الفتح الإسلامي ، فلم يستطع المسلمون كسر الأكاسرة بسهولة ، إذ كان ملكهم يزدجرد يحرضهم ، ويثيرهم على قدوم العرب ، ويخبرهم وهو كذوب بأنهم إن رضوا بملك العرب فسيذلون ويندمون[1] . لكن كتب الله فتح العراق وما بعدها من بلاد فارس ، بعد معارك ومنازلات كبيرة وصلت لحوالي عشر سنوات ، كانت الغنيمة فيها أخيراً لجيش التوحيد والسنة ، في عهد الخليفة الراشد عمر ﷺ، الذي كان مخلصاً هو وجيشه في تلك المهمة ، وقد كان عمر يريد قيادة الجيش بنفسه لإدراكه بصعوبة المهمة ، وقوة الخصم ، لكن أشار عليه الصحابة بأن يبقى للمسلمين في المدينة [2].

ومما يدل على تمجيدهم لدولتهم المكسورة افتعالهم للحركات المعادية للمسلمين ، ومحاولة استرجاع بعض المناطق التي فقدوها ، بل كان الدهاقنة ورجال الطبقات الدينية منهم في صفوف الجيش ، محاولة منهم لجعل الحرب مقدسة ، لا تسمح بفقد الملَكية الكسروية ، بل ساندهم بعض ملوك الصين خوفاً من التمدد الإسلامي حينها ، فكان الصينيون حينها يرسلون المعونات والأسلحة للفرس ، في محاولة لصد الفتوحات ، واسترجاع الحكم فيها [3].

ومما يدل على تمجيدهم لدولتهم الوثنية وعدم الخضوع للحكم الإسلامي : عصبيتهم وقوميتهم المقيتة ، التي كانت سبباً كبيراً في صدهم عن الإسلام ، وعقبة كؤوداً ، حيث أنهم يصفون تملك العرب عليهم بسخرية القدر ، ويصفون الفتح الإسلامي بالغزو المقدوني ، الذي فعله فيهم الإسكندر المقدوني قبل الميلاد بحوالي ثلاثة قرون ، ودمر فيه إيران ، وأحرق كتب الزرادشتية

---

[1] انظر : تاريخ الطبري ، ١ / ٨٥١

[2] انظر : تاريخ إيران السياسي : ١ / ١٥٢ – ١٥٦ ، والأخبار الطوال ، ص : ١١٣ - ١٣٨

[3] انظر : تاريخ إيران السياسي ، ص : ١ / ١٥٧، وقد تقدم التفصيل عن الثورات الشعوبية في المبحث الثاني من هذا الفصل .

وحرب المعابد[1]، فكما أنهم يكرهون ذلك الغزو ويتشاءمون منه ، كذلك يعبرون عن الفتح الإسلامي ، ويقولون أن تلك الفترة تأخرت فيها الحضارة الإيرانية ، بسبب قدوم العرب ، وهذا من شدة تعصبهم القومي الشعوبي المقيت [2]. ومن ذلك أيضاً الرسالة التي بعث بها قائد الفرس أيام الفتح – وهو رستم – ، التي ملأها بطراً وكبراً ، وقد وجهها إلى قائد الجيش الإسلامي حينها : سعد بن أبي وقاص ﷺ ، ومنها : (... فقد جئتَ في عساكر حفاة عراة ، بلا ثقل ، ولا رحل ، ولا فيل ، ولا تخت ، ثم بلغ بكم الأمر من شربكم ألبان الإبل ، وأكلكم الضباب القيعان ، أن تتمنى أسِرَّة الملوك العجم أرباب التخوت والتيجان)[3] .

وكل تلك الوسائل والطرق التي يظهرون فيها تمجيدهم للدولة الفارسية الكسروية والتعصب لها ، يحاولون من خلالها أيضاً العمل على إحياء تلك الدولة واستعادة ماضيها ، ولا يقف الأمر عند ذلك بل لهم طرق أخرى يسعون من خلالها لذلك الهدف .

ومن ذلك : جعل إعادة الملك للعجم عموماً والفرس الشعوبيين خصوصاً ، أمراً دينياً عقدياً ، لا بد من السعي إليه ، ليس فقط من باب التفرد بالملك وحب السياسة ؛ وتم تطبيق ذلك عملياً على أرض الواقع ، كما تقدم معنا في الثورات الشعوبية ، أن من أهدافها إعادة الملك للعجم ، وإسقاط العرب ، بل محاولة إسقاط قبلة المسلمين ، وقد كانت الفرق الشعوبية الباطنية القديمة تدعو إلى ذلك [4].

وكذلك الرافضة المجوس الفارسيين ، ممن يسعى لذلك قديماً وحديثاً ، ويلفقون لذلك المعتقدات الزائفة ، ومن أشهر ما يروج له الرافضة لاستعادة الملك المجوسي الفارسي : خروج المهدي أو القائم ، ولفقوا لذلك الروايات الباطلة ، بل تحت عقيدة المهدي المزعومة وخروجه ، استباحوا أهل السنة قتلاً وتشريداً ، وفتكوا في بلاد المسلمين ، كالعراق والشام ولبنان واليمن ، وكل ذلك

---

[1] انظر : مروج الذهب ، ١ / ٢٠٣

[2] انظر: تاريخ إيران السياسي ، ١ / ١٥٩

[3] الشاهنامه للفردوسي ، ص : ٢٦٦

[4] انظر : الفرق ، ص : ٢٩٣.

استعداداً منهم لخروج قائمهم ومهديهم المزعوم [1]. الذي سيبدأ خروجه من مكة كما يزعمون ، ويلقي بها خطبته أولاً – وهذا يفسر أيضاً حرص الفرق الشعوبية على السيطرة أو الإفساد في الحرمين الشريفين [2]– .

والرافضة الإيرانيون في هذا العصر بقيادة الهالك الخميني ، على هذا النهج الشعوبي العدائي ، بل إن الخميني أحدث في مذهبه الباطل ما يخدم هذا المخطط الإجرامي الخطير ، حتى ينفذ جزءاً كبيراً منه ، ويميل على البلاد الإسلامية ، بمعونة الصليبيين والصهاينة والهندوس ، فادعى ولاية الفقيه [3]، والنيابة عن القائم في إدارة شئون البلاد من الناحية الدينية والسياسية حتى يظهر القائم المكذوب ، ثم جعل نفسه ذاك القائد الذي لا يجوز أن يعصى ، وجعل هذه العقيدة في أتباعه وخلفه ، وبها استحلوا ما يشاءون ، واعتدوا على البلاد الإسلامية وخيراتها ، كل ذلك تحت دعوى خروج المهدي أو النيابة عنه [4].

ولم يقف عند هذا الحد بل دعا شيعته لمقاطعة جميع الحكومات ، ووصفها بالطاغوتية ، وحث على تدميرها وعدم التعاون معها ، وإيجاد مؤسسات أخرى مستقلة عن تلك الحكومات [5]، وهذا يفسر لنا الشغب الرافضي ذا الولاء المجوسي الإيراني ، الذي يحدث في عدد من البلاد الإسلامية .

ولم يقف الروافض المجوس عند هذا الحد من محاولة إعادة الدولة الفارسية الكسروية ، بل لهم طرق أخرى في ذلك ، فمنذ القديم وهم يدفعون الفرق الأخرى الضالة ، للخروج على المسلمين ودولتهم ، وبث الفوضى والقتل ، فقد ذكر البغدادي أن الروافض كانوا يحرضون المختار بن أبي عبيد ، ويخادعونه بأنه هو الإمام وحجة الزمان ، حتى ادعى النبوة ، وحمله ذلك على الطغيان

---

(1) انظر : المخطط الإجرامي لإبادة أمة الإسلام تحت مسمى خروج الإمام المهدي ، ص : ٢٨ – ٤٢

(2) سيأتي بإذن الله تفصيل محاولة اعتداء الشعوبيين من الروافض والباطنية والصفويين على الحرمين ، في الفصل الثاني من الباب الثالث .

(3) سيأتي التفصيل عن عقائده الباطلة .

(4) المخطط الإجرامي لإبادة أمة الإسلام ... ، ص : ٥٨ – ٩٩

(5) انظر : الحكومة الإسلامية ، للخميني ، ص : ١٤٥ ، ١٤٦

والفسق والزندقة [١]. كذلك كانوا يحرضون القرامطة الباطنيين على دخول بغداد والفتك بأهلها ، وإسقاط الدولة العباسية [٢].

وذلك أيضاً مستمر في الدول الشعوبية على مر التاريخ ، فالدولة العبيدية ، ومثلها الصفوية الأولى والحالية على هذا المنهاج الشعوبي في محاولة استعادة الملك للعجم وإسقاط العرب والمسلمين عموماً [٣].

فإذن المحاولات الشعوبية قائمة وبقوة ، سواء من قبل أفرادهم أو زعمائهم ، أو من قبل الفرق الشعوبية ، وتلفيقها العقائد والروايات الباطلة لذلك ، أو على مستوى الدولة الشعوبية والباطنية قديماً وحديثاً .

---

[١] انظر : الفرق ، ص : ٥٦

[٢] انظر : البداية والنهاية ، ١٠ / ٣٠٣

[٣] سيأتي فصل خاص عن الدول الشعوبية ودورها في إحياء الشعوبية في الباب الثالث إن شاء الله .

المبحث الخامس : التحالف مع أعداء الدولة الإسلامية لإسقاطها

وهذه الطريقة من قبل الشعوبيين على اختلاف أصنافهم وفرقهم ، معلومة ومشهودة من قبل على مر التاريخ ، ويصعب حصر وتتبع خيانات وتحالفات الجانب الشعوبي ضد المسلمين ، سواء كانت تلك التحالفات مع بعضهم البعض ، أو كان مع باقي أعداء الأمة من الكفرة والصليبيين والصهاينة وغيرهم . ولكن سأكتفي بذكر بعض الصور المظلمة التي خلفتها الحركة الشعوبية ، وكانت ضحيتها الأمة الإسلامية على فترات متفرقة ، قديمة وحديثة . وقبل البدء بذلك يجب التنبيه على أن من اجتمع فيه صنوف الزندقة والضلالات ، وأعرض عن توحيد الله ، وصد عن سبيله ، وكذلك وافق اليهود والهندوس والمجوس الفرس وسائر القوميين في عصبيتهم المقيتة ، لا يستغرب منه أن يكيد بالمسلمين وبلادهم ، فهم أعداء الله ورسله ، وهم شياطين الإنس يوحي بعضهم إلى بعض ، وهم جنود إبليس أجمعون ، لا يجمعهم إلا الضلال والعدوان على المسلمين ، ولا ينتظر منهم إلا العداء والخسة والخيانة وسفك الدماء المعصومة . ومن فضل الله على المسلمين بهذا الدين الحنيف : أن الدين الإسلامي لا يوجب العداء على ضوء اللون ولا الجنس ولا العصبة ، ولا كبراً وحسداً ، بل الحب والبغض على الدين الحنيف وفي كنفه يكون . وكذلك مهما خان أولئك قديماً وحديثاً فلن يكون في مبادئ المسلمين وتعاملهم الرد بالمثل أو الكيل بمكيالين ، كلا . ولكن الرد يكون بضرب الباطل بالحق فيدمغه فإذا هو زاهق ، ويكون ببيض الصفائح لا بسود الصحائف ، وبجنود التوحيد والسنة ، الذين يعشقون الموت لأجل نعيم الجنان ورضا ربهم الرحمن جل جلاله .

وأبدأ الآن بذكر بعض صور التحالفات والخيانات الشعوبية ، ومنها :

الدور الشعوبي للرافضة في التحالف مع أعداء الأمة الإسلامية

وقد عرف هذا عن الروافض واشتهروا بذلك بما لا مجال فيه للإنكار والتأويل ، فكان الروافض من أكثر من أعان الحركة الشعوبية على الدول الاسلامية ، سواء مع الفرس وإماراتهم أو مع الباطنيين والعبيديين ، أو مع التتار واجتياحهم للبلاد الإسلامية ، يقول بن تيمية :

(... فالرافضة يوالون من حارب السنة والجماعة ، ويوالون التتار ، ويوالون النصارى .... وإذا

انتصر المسلمون على التتار ، أقاموا المآتم والحزن ، وإذا انتصر التتار على المسلمين أقاموا الفرح والسرور ، وهم الذين أشاروا على التتار بقتل الخليفة ، وقتل أهل بغداد ...) [1]. ويقول أيضاً : (.. وقد عرف العارفون بالإسلام أن الرافضة تميل مع أعداء الدين ..) [2].

ولم يقف الروافض عند هذا الحد بل تسللوا إلى مفاصل الدول الإسلامية ، فمنهم من نال وزارة ، ومنهم من تولى الجنود ، على حين ضعف من الخلافة الإسلامية أو ضياع وخيانة . ولا تعجب حين يتولى الخونة من الروافض شئون الدولة ، كيف سيستقدمون أعداء الأمة ، ويغرونهم بالدخول لبلاد المسلمين واجتياحها ، ومن ثم إسقاطها ، فتصبح الفرصة سانحة لهم لإقامة دولتهم .

ومن أشهر من فعل ذلك من الوزراء الروافض : ابن العلقمي [3] ، وقصته مشهورة في نداء المغول التتار ، وحثهم على دخول بغداد ، وقتل أهلها وتشريدهم وما لحق المسلمين بعد ذلك من الآفات والغربة واندراس الحق ، وتخريب البلاد ، وقتل علماء السنة ، وتعطيل دور القرآن والحديث والتعليم . بل وكان ذلك الرافضي السبب في قتل الخليفة العباسي المستعصم الذي كان محمود السيرة ، محباً للسنة وأهلها ، ولعل هذا سبب نقمة الروافض عليه [4].

وقد سبق ابنَ الوزير الرافضي ، رافضيٌ آخر ، نال الوزارة في عهد الخليفة العباسي المقتدر ، وهو

---

[1] مجموع الفتاوى : ٢٨ / ٦٣٦ ، ٦٣٧

[2] المرجع السابق : ٢٨ / ٦٣٧

[3] هو : محمد بن محمد بن علي أبو مؤيد العلقمي ، المشهور بابن العلقمي ، الوزير الرافضي في عهد المستعصم العباسي ، ولد سنة : ٥٩٣هـ ، وكان مهتماً بالأدب أول أمره ، وله عناية بالكتابة والإنشاء ، ترقّى في الدولة العباسية حتى نال الوزارة ، وأصبح يتحكم في شئون الدولة ، وتمكن الرفض وأهله في وزارته ، وضعفت الدولة ، وكما هو مشهور عنه بأنه خان الأمة وكاتب المغول ليدخلوا بغداد ، وبدخولهم حصل للمسلمين بلاء عظيم وقتل وتشريد ، وقيل أن المغول تنكروا له بعد ذلك ، وجردوه من مكانته ، فمات غماً وكمداً ، هلك عام : ٦٥٦هـ . انظر : السير ١٦ / ٥٥٦ ، والوافي بالوفيات : ١ / ١٥١ ، وطبقات أعلام الشيعة : ٤ / ١٤٩ .

[4] انظر : البداية والنهاية ١٢ / ٢٧٢ – ٢٧٦ ، ومجموع الفتاوى : ٢٨ / ٥٢٨، والخطوط العريضة : ٤٧

الوزير : محمد بن علي بن مقلة ، والشهير بابن مقلة [1]. كان هذا الوزير الرافضي سبباً في إضعاف الدولة ، وكان يهدف لخلع الخليفة العباسي ، فكتب إلى البويهيين وقد كانوا حينها في أشدهم ، وسيطروا على الديلم وعدد من الأقاليم في إيران وخراسان وغيرها . وأخبرهم بأن الدولة في ضعف وبإمكانه أن يدخل بغداد ، ويتحكم فيها . فقدم حينها زعيم البويهيين : معز الدولة البويهي[2] عام ٣٣٤هـ ، إلى بغداد ودخلها عنوة وبقوة ، وصيّر بعد ذلك الخليفة العباسي مجرد اسم ولقب ، أما الحكم وإدارة البلاد فكانت بيده ، وسلم حينها الرافضة الزنادقة شئون البلد ، فأظهروا الرفض والزندقة ، وسب الصحابة علناً في المنابر والمساجد ، وأحيوا المظاهر الرافضية ، كعاشوراء ، والغدير وغيرها من المناسبات الرافضية المجوسية ، وكثرت الفتن بين السنة والرافضة حينها ، بسبب ما أحدثه الروافض من البدع والمنكرات ، وبسبب تسلط الروافض على البلاد ، ففي مناسباتهم الرافضية البدعية كانت تعطل الأسواق والمحلات في تلك المناسبات ، تعظيماً منهم لعقائدهم ، وحرباً على الإسلام والمسلمين ، كما هو عادتهم في الوقت الحاضر [3].

ومن الأدوار الرافضية الشعوبية التي أيقظت الحركة الشعوبية في وسط البلاد الإسلامية ، ما قام به المدعو : نصير الدين الطوسي ، وهو معاصر لابن العلقمي . كان الطوسي وزيراً للمغولي هولاكو

---

[1] هو أبو علي ، محمد بن علي بن الحسن بن مقلة ، اشتهر بفن الخط حتى نسب إليه ، ولد عام : ٢٧٢هـ ، تولى بعض الأعمال في فارس ، وولي الوزراة في عهد ثلاثة من الخلفاء العباسيين ، المقتدر والقاهر والراضي ، وكل منهم عزله بعد أن استوزره لما لوحظ عليه من المخالفات والتآمر على الخليفة ، فهو الذي كتب للبويهيين بأن يدخلوا بغداد . أمر الخليفة الراضي بقطع يده وحبسه ، قيل : لاتهامه بالسرقة ، وكان له عناية بالمنجمين والتنجيم ، وفي أيام وزارته بنى لنفسه دوراً وملأها بالأنعام وشتى الملذات ، لكنها فقدها آخر عمره ، قال ابن كثير واصفاً نهايته : " ثم صار هذا كله عما قريب بعد النضرة والبهجة والبهاء إلى الهلاك والبوار والفناء والزوال ، وهذه سنة الله في المغترين الجاهلين ... " ، مات مسجوناً ، عام : ٣٢٨هـ . انظر : البداية والنهاية : ١٠ / ١٩ ، والسير : ١١ / ٦٢٨ ، والوافي بالوفيات : ٤ / ٨٢ ، والسلوك لمعرفة دولة الملوك للمقريزي : ١ / ١٣٤ .

[2] هو : أحمد بن بويه بن فناخسرو من سلالة الساسانيين الفرس ، ولد في : ٣٠٣هـ ، من كبار قادة البويهيين ، توفي سنة : ٣٥٦هـ ، انظر : الأعلام ١ / ١٠٥

[3] انظر : البداية والنهاية ١١ / ٣٤ — ٩٠، والتاريخ الإسلامي: ٦ / ١٤١ — ١٤٥

، وفي صفه ضد المسلمين . استغل نفوذه مع التتار وأقنعهم بالمذهب الرافضي الاثني عشري ، وبنفوذه تسلط على عباد الله المتقين من علماء السنة والحديث ، وزين للمغول اجتياح بلاد المسلمين. وعمل حتى على نقل الكتب والرسائل من بغداد إلى مراغة (١) ، وبنى بها داراً أخرى تشبه دار الحكمة ، وجعل فيها مكتبة ومترجمين وأحضر فيها من كتب الفلاسفة ، وجعل للعاملين جعلاً (٢).

وكأنه يريد بذلك سرقة التراث العربي الإسلامي ، ونقله لبلاد أعجمية ، وهذا جزء من حرب الشعوبيين على المسلمين وتراثهم ، سيما إذا ما علمنا أن أذربيجان من الأماكن المشهورة التي كان للمجوس الزرادشتيين ، والمزدكيين والخرميين فيها وجود وتاريخ طويل ، وكذلك الصفويين بعدهم .

يصف ابن القيم شنائع الطوسي بقوله : (... ولما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر ، الملحد وزير الملاحدة ، النصير الطوسي وزير هولاكو ، شفا نفسه من أتباع الرسول وأهل دينه ، فعرضهم على السيف حتى شفا إخوانه من الملاحدة ، واشتفى هو فقتل الخليفة ، والقضاة ، والفقهاء ، والمحدثين ، واستبقى الفلاسفة والمنجمين ، والطبائعيين ، والسحرة ، ونقل أوقاف المدارس ، والمساجد ، والربط إليهم ، وجعلهم خاصته وأولياءه ، ونصر في كتبه قدم العالم وبطلان المعاد ، وإنكار صفات الرب جل جلاله ...) (٣).

وحتى ندرك تتابع أهل الفكر الشعوبي في مثل هذا العداء على الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً ، وتصحيح بعضهم مسار بعض ، تأمل ما قاله الخميني عن فعل الطوسي : (وإذا كانت ظروف التقية تلزم أحداً منا بالدخول في ركب السلاطين ، فهنا يجب الامتناع عن ذلك ، حتى لو أدى الامتناع لقتله ، إلا أن يكون في دخوله الشكلي نصر حقيقي للإسلام والمسلمين ، مثل دخول علي بن يقطين (٤)، ونصير الدين الطوسي ...) (١).

---

(١) مراغة : من أشهر الأماكن في أذربيجان ، انظر : معجم البلدان ٥ / ١١٨

(٢) انظر : البداية والنهاية ١٢ / ٢٨٥ ، ٣٠٧

(٣) إغاثة اللهفان : ص : ٧٦٥ ، ٧٦٦ .

(٤) علي بن يقطين ، وزير رافضي ، نال الوزارة في عهد العباسيين ، وكان عدواً للسنة وأهلها ، قتله الخليفة

=

فالخميني يصف إلحاد ونفاق الطوسي ، وابن يقطين ، بالنصر الحقيقي ، ويصحح فعائلهما بالإسلام والمسلمين ، قاتلهم الله [٢]. وكذلك يشهد عليهم وهو من جنسهم فكرياً وعقدياً ، بأن دخولهم بين المسلمين ، لم يكن إلا شكلي ، وحقيقته كدخول المنافقين وشراذم الخونة ، وهذه شهادة من داخل البيت الرافضي الشعوبي ، على فعائل أولئك ، لا تحتمل النكران .

ومن أشهر تحالفهم مع الصليبيين في العصر القريب ، موقفهم من المستعمر الصليبي في بلاد الشام ، فقد أيد أولئك الروافض الشعوبيون الاحتلال الفرنسي الصليبي لبلاد لبنان ، ولم يكونوا ضمن المقاومين ضد الغزاة الصليبيين ، بل باركوا ذلك ، ولما أراد الصليبيون أن ينسحبوا من تلك البلاد ، عملوا لها نظاماً صليبياً وفق ما يرون ، وحفظوا الجميل لأولئك الشعوبيين ، فاعترفوا بالمذهب الشيعي الرافضي كمذهب ديني رسمي في نظام الدولة اللبنانية ، يقول أحد قادة الصليبيين – فرنسو تويال – : (إن الاعتراف بالطائفة الشيعية كأحد مكونات لبنان يعود أصلاً إلى الوجود الفرنسي) [٣].

الدور الشعوبي الباطني في تحالفه ضد الأمة الإسلامية

سبق في أول هذا الباب العلاقة بين الباطنية والمجوس الشعوبيين ، وأن الباطنية هم من السلالة الفكرية العقدية للمجوس الفرس الشعوبيين ، وهم معهم في كل حين ومكان ، يفرحون بقيام المجوس ، ويترحون لزوال ملكهم . وقد كان للحركات الباطنية الدور الكبير في تنامي وتعافي الفكر الشعوبي ودوله وزعمائه . ومن أشهر الحركات الباطنية الشعوبية التي كتب عنها المسلمون

الهادي العباسي وصلبه ؛ لزندقته ، وقيل من زندقته أنه كان يتهكم بالحجاج في الطواف ويشبههم بالبهائم ، انظر : الوزراء والكتاب ، ص : ٢٤٧ ، وتاريخ الطبري : ٢ / ٢٠٤٧

[١] الحكومة الإسلامية ، ص : ١٤٢ ، ١٤٣، وانظر ، ص : ١٢٨ .

[٢] وصور مثل هذا الرجل توضع حتى على الطوابع البريدية الإيرانية ، وفي عام ٢٠١٣م وضع محرك البحث المشهور – قوقل – ، صورة وترجمة الطوسي الرافضي الملحد على صفحة البحث ، بمناسبة الاحتفال بمولده !!!.

[٣] الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة ٣ – التجمع الشيعي في بلاد الشام – ، أسامة شحادة ، هيثم الكسواني ، ص : ٢٥ ، وانظر : ٢٤ – ٣٤ ، في المرجع نفسه .

وغير المسلمين ، والعرب وغير العرب [١]، نظراً لشدة زندقتها وعتوها في إزهاق الأنفس ، والاغتيالات والخطف والغدر والخيانة ، وهي : حركة الحشاشين الباطنية ، فرع عن الإسماعيلية النزارية الباطنية ، وذراعها الحربي والعسكري . وأشهر زعمائها كان الحسن بن الصباح الباطني ، صاحب قلعة آلموت ، التي كانت مركزهم في الشرق . وكانت هذه الفرقة تسمى أيضاً بالفدائيين ؛ لأنهم لا يتوانون في تنفيذ ما يطلبه منه زعيمهم ، ويفدونه حتى بإزهاق أنفسهم [٢]. وكان يتعمد زعيمهم الحسن الصباح بأن يختار الأغرار من الناس والجهال ومن لا يعقل ، يقول ابن كثير عنه : (... وكان – أي : الحسن الصباح – ، لا يدعو إليه من الناس إلا غبياً جاهلاً ، لا يعرف يمينه من شماله ...)[٣] . وهذه هي عادة قادة الشعوبية ، خصوصاً في أول حركتهم ، لأن الجهال من العوام والسذج ، تنطلي عليهم الحيل والمخاريق التي يستخدمها أولئك ، كما يسهل فيهم نشر الشبه والزندقة والضلالات ، وكان الحشاشون يقتلون من لا يتبعهم أشد القتل ، ويستحلون منه عرضه وماله وكل ما يملك . وحينما عظمت حركتهم بدؤوا يميلون على المسلمين وقراهم وحماهم ، ويفعلون بهم الأفاعيل ، بل حتى على المدن والأقاليم وينصبون فيها راياتهم ويجعلونها تحت حكمهم ، يقول ابن كثير في حوادث سنة – ٤٩٤هـ – : (... عظم الخطب بأصبهان ونواحيها بالباطنية ، فقتل السلطان منهم خلقاً كثيراً ، وأبيحت ديارهم وأموالهم للعامة ، ونودي فيهم : إن كل من قدرتم عليه فاقتلوه وخذوا ماله ، وكانوا قد استحوذوا على قلاع كثيرة ، وأول قلعة ملكوها في سنة ثلاث وثمانين ، وكان الذي ملكها الحسن بن الصباح ، أحد دعاتهم ، وكان قد دخل مصر ، وتعلم من الزنادقة الذين بها ...) [٤].

وعن هدف الحركات الباطنية الشعوبية جميعها ، يقول نظام الملك الطوسي[٥] ، : (وكان هدفهم

---

[١] ككتاب : الحشاشون ، فرقة ثورية في تاريخ الإسلام ، للمستشرق الفرنسي : برنارد لويس

[٢] انظر : موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ، عبد المنعم حفني ، ص : ١٨٦ ، ١٨٧

[٣] البداية والنهاية : ١١ / ٢٨٢

[٤] البداية والنهاية : ١١ / ٢٨٢

[٥] هو : أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق السلجوقي المعروف بنظام الملك ، الوزير السلجوقي ، عرف بصلاحه وعنايته بالعلم والعلماء ، وكان مجاهداً للباطنية ، وفي عهد وزارته كانت الدولة السلجوقية في قوتها ، توفي غدراً من قبل الباطنية ، عام : ٤٨٥هـ. ، انظر : الكامل في التاريخ : ٨ / ٤٧٨

تقويض دعائم الإسلام والمسلمين ، والعمل على غواية الخلق وضلالهم ...) [(١)].

وكان من أخطر أعمالهم : اغتيال قادة المسلمين ومن له تأثير وشأن بين الناس ، حتى يحدثوا الفوضى والإرباك في صفوف المسلمين وجنودهم ، ومن أشهر من اغتالوه : نظام الملك الطوسي ، القائد السلجوقي ، الذي كان مجاهداً ضد الباطنية كلها ، على اختلاف فرقهم ؛ ولذا حرصوا على قتله ، ودبروا حيلة وخيانة لذلك ، فأرسلوا إليه غلاماً في صورة مستغيث بمكروه يريد من نظام الملك أن يغيثه ، وكان بيد الغلام سكين فقتل بها نظام الملك غدراً ، وفرح الحشاشون بمقتله أشد الفرح ، وقيل أنه كان من عادتهم أن يكتبوا أسماء من يغتالونهم في جدار قلعتهم [(٢)].

كذلك من أشهر من اغتالوه الخليفة العباسي : المسترشد بالله ، سنة : ٥٢٩ هـ ، وبعده ابنه الخليفة الراشد بالله ، سنة : ٥٣٢هـ [(٣)]. وقد تقدم بيان تحالف النصيرية الباطنية المعاصرة مع المستعمر الصليبي ، الذي كافأهم بتأسيس دولتهم النصيرية العلوية [(٤)].

وأكتفي هنا بهذه اللمحة الموجزة ، عن الدور العدائي للشعوبيين تجاه الأمة الإسلامية ، وسيأتي مزيد تفصيل عن تحالفات الشعوبيين مع أعداء الأمة الإسلامية في الحديث عن الدول الباطنية الشعوبية إن شاء الله تعالى .

[(١)] سير الملوك ، ص : ٢٧٢ .

[(٢)] انظر : والبداية والنهاية : ١١ / ٢٦٨، وأشهر التنظيمات والحركات السرية ، طارق سرى ، ص : ٢٥

[(٣)] انظر : البداية والنهاية ١١ / ٣٢١ – ٣٢٥ ، وتاريخ الخلفاء : ٣٧٣ - ٣٧٧

[(٤)] انظر صفحة : ١٢٤ من هذا البحث .

الفصل الثالث : إسقاط ما للعرب من تاريخ وقيم مشهودة ، وفيه مبحثان

المبحث الأول : إسقاط قيم العرب

المبحث الثاني : الوسائل التي يتخذها الشعوبيون لذلك الإسقاط

المبحث الأول : إسقاط قيم العرب

وهذا الهدف الشعوبي الموجه تجاه العرب المسلمين قائم على العصبية الفارسية والعنصرية المجوسية المقيتة ، التي لا ترى في الكون أحداً إلا من كان منهم ومن بني جلدتهم . وكانت العصبية الشعوبية الفارسية من أشد القوميات عداء للعرب ، لما قاموا بالإسلام وفتحوا به البلاد [(١)]، وأسقطوا كل دولة لم تدخل في دين الله تعالى ، ومن أعظم الدول التي أسقطتها الدولةُ المسلمة ، فارسَ والروم ، اللتين قد توصفا بالدول العظمى ذاك الزمان . وهذا الأمر لمن لم تطمئن قلوبهم بالإيمان جدٌّ عظيم ؛ لأن العرب ما كانوا لولا هذا الدين العظيم الحنيف ، ولأن حال الفرس المجوس تجاه العرب معلوم ومشهور قبل الاسلام ، فهم لا يعدون العرب خصماً لهم فضلاً عن أن ينقدح في أذهانهم أن يُسْقطوا دولتهم الفارسية الكسروية ، وبعد سقوط دولتهم الوثنية على يد المسلمين في الخلافة الراشدة ، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حتى أنه من عز الله سبحانه لهذه الخلافة العربية الراشدة ، ورفعته لشأنها وشأن أهلها على الفرس المجوس ، أن المسلمين دخلوا إيوان كسرى ، وجردوه من حليه وذهبه غنيمةً للمسلمين ، وأرسلوا بأساور كسرى لعمر رضي الله عنه ، فأخذها عمر وألبسها لسراقة بن مالك رضي الله عنه ، تحقيقاً لخبر الرسول صلى الله عليه وسلم وعلماً من أعلام نبوته [(٢)] . اشتد حينها الأمر في قلوب الفرس المجوس ، وعظم الخطب عليهم ، وبلغ الحقد فيهم مبلغاً عظيماً على تلك الخلافة العربية المسلمة ، وقد تقدمت الإشارة إلى مثل هذا [(٣)]. وهذا الموقف الشعوبي لم يكن من كل الفرس والشعوب ، بل وجد منهم من آمن واطمئن قلبه وصلح عمله وكان من أئمة الدين وأعمدة الدولة الاسلامية التي رفعت شأنها ، ولكن الكلام منصب على من كتم مجوسيته وشعوبيته ونافق وتزندق .

ومما يؤكد أن عداوة الفرس المجوس كان موجهاً توجيهاً أولياً تجاه العرب أنك لا تجد لهم عداء

[(١)] سأعرض في هذا المبحث أهم القيم العربية الاسلامية ، وفي المبحث الثاني أذكر طرق الشعوبيين في محاولتهم إسقاط القيم العربية الاسلامية

[(٢)] انظر البداية والنهاية : ٧ / ١٣٦ – ١٣٧

[(٣)] انظر صفحة : ٨١ من هذا البحث .

وغزواً وتشغيباً يُذكر في بلاد الروم ، مع العلم أن بينهم عداءً قديماً وقتال ومناوشات ، وتعتبر دول الروم منافسة لدولة كسرى منذ القديم . لكن لأن الفرس يرون أن العرب ودولتهم هم العدو الأول لهم ، فشغلهم ذلك عن كل عدو ، بل صالحوهم وأدخلوهم معهم في عدائهم الشعوبي ضد العرب والمسلمين. ولئن كان من أهداف الحركة الشعوبية ، القضاء على العقيدة الاسلامية ، وعلى الدولة العربية المسلمة ، فكذلك يسعى الشعوبيون إلى تجريد العرب من كل حسن وتاريخ مجيد ، وحضارة مشيدة ، وقيم مشهودة ، بل تعدى ذاك التجريد إلى التحريف والتزييف للحقائق التاريخية الناصعة التي شيدها العرب المسلمون قديماً وحديثاً .

لكن هيهات ما دام أن المسلمين جميعاً مستمسكون بعقيدتهم وتاريخهم الاسلامي المجيد ، وسأذكر في هذا المبحث نموذجين على القيم الاسلامية العربية التي أسست لحضارتها القائمة ، والتي شهد بها القاصي والداني ، وألفت من أجلها المؤلفات :

النموذج الأول : الفتوحات العربية الاسلامية

فإن الخلافة العربية المسلمة قد أسست وبسطت حضارتها في وقت يسير إذا ما قورنت بغيرها من الدول الأخرى التي كانت قائمة أو قامت بعدها ، بخلاف التاريخ الفارسي المجوسي الذي مكث آلآف السنين قبل الإسلام ، اتصف بالظلم والاستعباد للضعفاء وجعلوهم مطية لكسب الأغنياء ، واحتكار ملوكهم لكل الخيرات ، وأما بعد الإسلام فكل الدول والإمارات الشعوبية التي قامت واندثرت لم تبلغ عشر معشار ما سطره سلفنا ، فلقد كان القرامطة والعبيديون الباطنيون والبويهيون والصفويون تاريخاً واقعاً مليئاً بالقتل والتشريد والدموية التي نفرت الناس من الفتوحات والجهاد الحقيقي .

وأما الفتوحات العربية الاسلامية فقد اتسمت بحسن التعامل والجوار ونصرة المظلوم والمعاملة الحسنة لغير المسلمين فضلاً عن المسلمين . والعدل كذلك الذي ضربوا له أروع الأمثلة ، كانت تلك القيم كلها حاضرة ومشهوداً عليها ، بل هي من التعاليم التي أكدها وحث عليها الدين الاسلامي .

وهذه القيم والمعاملة الحسنة لم تقف عند حدود جزيرة العرب بل تعدتها شرقاً وغرباً ، ونعم بها الغرب الأوروبي مئات السنين عندما كان تحت الحكم الاسلامي العربي .

ولم تقف الدولة العربية المسلمة عند هذا الحد من التعامل بل كان أهلها مصدراً وبذرة للعلوم

الدنيوية على اختلاف أصنافها ، وأما في علوم الشريعة والدين فهم أهل البيت في ذلك . وأذكر هنا مثالين شاهدين على تلك الحضارة العربية الاسلامية من المستشرقين الغربيين الذين انبهروا بالفتوحات العربية المسلمة ، وحملهم ذلك على العدل والإنصاف في حق العرب ، فكتبوا مؤلفاتهم في ذلك [1]، ومنهم :

المستشرقة : – زيغريد هونكه [2]– ، حيث ألفت كتاباً سمته ، – شمس العرب تشرق على الغرب [3]– ، فتقول : "... إن ما حققه العرب لم تستطع أن تحققه شعوب كثيرة أخرى كانت تمتلك من مقومات الحضارة ما قد كان يؤهلها لهذا ، بيزنطية وريثة الحضارتين الشرقية والإغريقية بقيت على جهالتها ، مع أنها بلغتها اليونانية ، كانت أقرب الناس إلى الحضارة الإغريقية . والسوريون هم تلامذة الإغريق ، كان لهم من الحضارة قبل الإسلام حظ وفير ، ولقد نقلوا عن طريق الترجمة ، كثيراً من أعمال الإغريق إلى لغتهم ، ولكنهم أيضاً كبيزنطية فشلوا في أن يجعلوا مما اقتبسوه عن الإغريق بذرة لحضارة تزدهر ، كما فعل العرب فيما بعد . ولم تكن فارس التي اقتبست من حضارات الصين والهند والإغريق بأسعد حظاً من بيزنطية أو سورية ، وبرغم تحسن

---

(1) وهذا من باب ... والحق ما شهدت به الأعداء ، أو من طرف محايد كما يعبر عنه ، ولا يعني هذا أننا نسلم لهذين النموذجين بكل المعلومات التي وردت في كتابيهما أو إطلاقهم لبعض المسميات أو الأوصاف ، لكن يميز هذين الكتابين أنهما أُلِّفا في وقت متأخر في القرن التاسع عشر ، أي أنه لا يزال هناك من يصرح منهم بالآثار الايجابية التي تحققت على يد الفتوحات العربية الاسلامية .

(2) هي الأكاديمية الألمانية زيغريد هونكة ابنة الناشر هاينرش هونكه ، وزوجة المستشرق الألماني شولتزا ، ولدت عام ١٩١٣م ، عكفت على دراسة الأدب والتاريخ العربي وأعجبت به وصدرت لها عدت مؤلفات حول ذلك ، ككتاب : أثر الأدب العربي في الآداب الأوربية ، وهي أطروحتها للدكتوراه في جامعة برلين ، وكانت ممن أنصف العرب في مؤلفاتها ، رغم القومية الألمانية الشديدة التي كانت معروفة عن بلدها ، ولذا واجهت انتقادات كثيرة إثر مؤلفاتها ، تعلمت اللغة العربية وأتقنتها ، سكنت بعض البلاد العربية كالمغرب ، ودعتها الحكومة العراقية لزيارة بغداد عام ١٩٦١م تقديراً لجهودها ، توفيت عام ١٩٩٩م ، وقيل أنها أسلمت آخر عمرها ، فالله أعلم ، انظر : موقع الموسوعة الحرة على الشبكة ، ومقدمة الترجمة لكتابها شمس العرب ... ص : ٧ – ٨.

(3) ترجمة : فاروق بيضون و كمال دسوقي ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثامنة ، ١٤٠٠هـ.

الحالة الاقتصادية في تلك البلاد ورعاية الدولة للعلوم والعلماء ، فإنه لم يُتَح لحضارة تلك البلاد أن تصبح حضارة مبتكرة مؤثرة إلا في جو عقلي آخر ، وفي ثنايا حضارة ثانية أنجح هي الحضارة العربية ، لم يأت خلفاء الإغريق على عرش الحضارة من بيزنطية أو من سورية ، ولم يأتوا من فارس ، حلقة الاتصال بين حضارتي الشرق والغرب ، بل أتى سادة الحضارة الجدد من قلب الصحراء الجدباء ليتبوءوا فجأة مركز الزعامة بين حضارات العالم ، بلا منازع ، مدة ثمانية قرون ، وبهذا ازدهرت حضارتهم أكثر من حضارة الإغريق أنفسهم ... " [١]، ثم تقول : " ... ولعل من أهم عوامل انتصارات العرب ، هو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم ، حتى إن الملك الفارس كيروس نفسه قال : – إن هؤلاء المنتصرين لا يأتون كمخربين – ، فيما يدعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب والوحشية ، إن هو إلا مجرد أسطورة من نسج الخيال تكذبها آلآف من الأدلة القاطعة عن تسامحهم وإنسانيتهم في معاملاتهم مع الشعوب المغلوبة ، والتاريخ لا يقدم لنا في صفحاته الطوال إلا عدداً ضئيلاً من الشعوب التي عاملت خصومها والمخالفين لها في العقيدة ، بمثل ما فعل العرب ، وكان لمسلكهم هذا أطيب الأثر مما أتاح للحضارة العربية أن تتغلغل بين تلك الشعوب بنجاح ، لم تحظ به الحضارة الإغريقية ببريقها الزائف ، ولا الحضارة الرومانية بعنفها في فرض إرادتها بالقوة ..." [٢]، وتقول أيضاً : " ... لقد طور العرب بتجاربهم وأبحاثهم العلمية ما أخذوه من مادة خام عن الإغريق ، وشكلوه تشكيلاً جديداً ، فالعرب في الواقع هم الذين ابتدعوا طريق البحث العلمي الحق القائم على التجربة ..... إن العرب لم ينقذوا الحضارة الإغريقية من الزوال ، ونظموها ورتبوها ثم أهدوها إلى الغرب فحسب ، إنهم مؤسسو الطرق التجريبية في الكيمياء والطبيعة والحساب والجبر والجيولوجيا ، وحساب المثلثات وعلم الاجتماع ، وبالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاكتشافات والاختراعات الفردية في مختلف فروع العلوم والتي سُرِق أغلبها ، ونُسِب لآخرين ، قدّم العرب أثمن هدية ، وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم ..." [٣].

---

[١] شمس العرب تشرق على الغرب : ص : ٣٥٤ – ٣٥٥

[٢] المرجع السابق ، ص : ٣٥٧ – ٣٥٨

[٣] المرجع السابق : ص ٤٠١ – ٤٠٢

المثال الثاني أو الشاهد الثاني على قيم الحضارة العربية ، هو المستشرق : غوستاف لوبون [١]، حيث ألف كتاباً سماه — حضارة العرب – ، أنصف فيه الخلافة العربية المسلمة في فتوحاتها وحضارتها ، ونشرها للعلوم والمنافع الدنيوية ، وحسن تعاملها مع كافة الناس وعلى اختلاف طبقاتهم ، ما لم تستطعه الحضارات الأخرى ، وكان مما قال :

" ... وللفتوح العربية طابع خاص لا تجد مثله لدى الفاتحين الذين جاءوا بعد العرب ، وبيان ذلك أن البرابرة الذين استولوا على العالم الروماني والترك وغيرهم ، وإن استطاعوا أن يقيموا دولاً عظيمة ، لم يؤسسوا حضارة ، وكانت غاية جهودهم أن يستفيدوا بمشقة من حضارة الأمم التي قهروها ، وعكس ذلك أمر العرب الذين أنشئوا بسرعة حضارة جديدة كثيرة الاختلاف عن الحضارات التي ظهرت قبلها ، والذين تمكنوا من اجتذاب أمم كثيرة إلى دينهم ولغتهم ، فضلاً عن حضارتهم الجديدة ، واتصلت بالعرب أممٌ قديمة ، كشعوب مصر والهنود ، واعتنقت معتقدات العرب وعاداتهم وطبائعهم وفن عمارتهم ، واستولت بعد ذلك الدَّوْر أممٌ كثيرة على الأقطار التي فتحها العرب ، فظل نفوذ العرب فيها ثابتاً ، ويلوح لتراسخ هذا النفوذ إلى الأبد ، في جميع البقاع الآسيوية والإفريقيا التي دخلوها ، والتي تمتد من مراكش إلى الهند ، والأسبان وحدهم هم الذين استطاعوا أن يتخلصوا من الحضارة العربية ، ولكنهم لم يصنعوا هذا إلا ليقعوا في الانحطاط العضال ... " [٢] .

ويقول أيضاً : " ... استطاع العرب أن يحولوا إسبانيا مادياً وثقافياً في بضعة قرون ، وأن يجعلوها على رأس جميع الممالك الأوروبية ، ولم يقتصر تحويل العرب لإسبانيا على هذين الأمرين ، بل أثّروا في أخلاق الناس أيضاً فهم الذين علّموا الشعوبَ النصرانيةَ وإن شئت فقل حاولوا أن

---

[١] هو المستشرق والطبيب الفرنسي ، مؤرخ يهودي وعالم بالآثار ، ولد عام ١٨٤١م ، في فرنسا ، تخصص في معرفة الحضارات والتأليف عنها ، وهو من المستشرقين الذين اعترفوا بفضل الحضارة العربية الاسلامية على أوروبا ولذلك ألف كتابه — حضارة العرب – ، توفي عام ١٩٣١م ، انظر موقع الموسوعة الحرة على الشبكة .

[٢] حضارة العرب ، ص : ١٥٤

يعلموها التسامح الذي هو أيمن صفات الإنسان ... " [١] ،

ويقول أيضاً : " ... إنه كان للحضارة الاسلامية تأثير عظيم في العالم ، وإن هذا التأثير خاص بالعرب وحدهم ، فلا تشاركهم فيه الشعوب الكثيرة التي اعتنقت دينهم ، وإن العرب هذبوا البرابرة الذين قضوا على دولة الرومان بتأثيرهم الخلقي ، وإن العرب هم الذين فتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية بتأثيرهم الثقافي ، فكانوا ممدّنين لنا وأئمة لنا ستة قرون " [٢].

لقد كان هذان المستشرقان أعدل وأنصف من أمم كثيرة من الفرس الشعوبيين الذين جحدوا وأنكروا كل تلك القيم والحضارات العربية الاسلامية ، وتعمدوا تزييفها وتحريفها .

فأين الحضارة الفارسية الشعوبية القديمة المزعومة التي يتبجح بها الفرس المجوس مقارنة بالحضارة الإسلامية العظيمة ؟!!

وكذلك لا بد أن ننظر لحال الثورة الخمينية الشعوبية المعاصرة التي تعد أم الحركة الشعوبية في هذا العصر الحديث ، ماذا قدمت للمسلمين بالثورة المزعومة إلا هدم التوحيد ومعالمه وإحياء الشرك والوثنيات والبدع والأعياد المجوسية الفارسية ، وكذلك الإفساد الحاصل منهم في البلاد العربية خصوصاً تحت مسمى تصدير الثورة ، ولن تعدو قدر سلفها من المجوس الذين درسهم التاريخ الاسلامي ؛ لأنه ليس لديهم ما يستحق الذكر والإشادة ، فثمة فرق بين من تنهض بهم الأمم ، وفرق بين من تهيض بهم الأمم ، بل يزول على أيديهم الدين الحق .

النموذج الثاني : اللغة العربية

وهي اللسان الذي نزل به القرآن الكريم ، الذي هو أعظم الكتب السماوية والمهيمن عليها ، وأُنزل على أعظم الخلق ، الرسول– صلى الله عليه وسلم – ، وامتدح الله سبحانه وتعالى اللسان العربي ، فقال : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [٣] ، وقال : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [١]، وقال :

---

[١] المرجع السابق ، ص : ٢٩١

[٢] المرجع السابق ، ص : ٥٩٧

[٣] سورة الشعراء ، آية : ١٩٥

﴿ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [2] .

وهذه من أعظم القيم التي اختص بها العرب دون غيرهم ، أن أنزل الله كتابه بهذه اللغة ، مثبتاً لها ، ورافعاً شأنها ، وهي قائمة إلى قيام الساعة ، بحفظ الله لكتابه العزيز . فمكانتها عند المسلمين جميعاً عظيمة وكبيرة ، فلا لغة أفصح ولا أوسع ولا أعرب منها ، في سائر اللغات الأخرى .

وهي مفتاح العلوم التي لا تنفك عنها ، ولا ينفك عن تعلمها ومراجعتها أهل العلم الراسخون في تقريراتهم وترجيحاتهم . وأما العلاقة بين اللغة العربية والعقيدة ، فشديدة وحميمة ولا تنفك عنها ؛ فإن العقيدة قائمة على الوحيين الشريفين ، اللذين هما باللسان العربي ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة تلك اللغة الغراء ، وجمْع القلب والعقل عليها .

يقول شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله : " ... فإن الله لما أنزل كتابه باللسان العربي ، وجعل رسوله مبلغاً عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي ، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به ، لم يكن سبيلٌ إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان ، وصارت معرفته من الدين ، وصار اعتياد التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله ، وأقرب إلى شعائر الدين ، وأقرب إلى مشابهتهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في جميع أمورهم " [3] . ويقول أيضاً : " ... فإن نفس اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرض واجب ، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، ثم منها ما هو واجب على الأعيان ، ومنها ما هو واجب على الكفاية ... " [4] ، فالأمر الذي يربطنا بهذه اللغة العربية القيمة هو جانب عقدي محض ، فهي شعار المسلمين وأهله ، فبإظهارها وتعوّدها في التخاطب بين الناس ، تظهر شعائر الدين ومظاهره ، يقول ابن تيمية : " إنما الطريق الحسن : اعتياد الخطاب بالعربية ، حتى يلقنها الصغار في الدور والمكاتب ، فيظهر شعار الإسلام وأهله ، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام

---

(1) سورة يوسف ، آية : ٢ .

(2) سورة الرحمن ، آية : ٤ .

(3) اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ٢٤٦

(4) المرجع السابق ، ص : ٢٩٥

السلف ، بخلاف من اعتاد لغة ، ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنه يصعب عليه " [1].

وكم كانت اللغة العربية وقواعدها الرصينة حصناً في وجوه أهل البدع من أهل التأويل والتحريف والمستعمرين ؛ وفي وجوه أهل العجمة والرطانة الباردة .

وكذلك كانت تلك اللغة من أسباب اجتماع المسلمين ، وسهولة التعامل بينهم ، حيث أن المسلمين أجناساً عديدة وألسنة متنوعة ، لكن بوحدة هذه اللغة اجتمعوا وتآلفوا ، ولذلك يسر الله انتشارها بين المسلمين حتى صارت جزءاً من هويتهم الاسلامية .

وقد كان للفتوحات الاسلامية دور كبير في انتشارها في شتى البقاع ، وانبهر بانتشارها حتى الغربيين[2]. ومن عجائب هذه اللغة ونصرة الله لها ولأهلها ، أن المستعمرين لما جاءوا لبلاد المسلمين واستعمروها وحاربوا تلك اللغة ، تأثروا بها أيضاً ، ودخلت في ألسنتهم ومحادثاتهم ومعاجمهم اللغوية ، فقد ذكر المستشرقان – أنجلمان ودوزي – في كتابهما (معجم المفردات الأسبانية والبرتغالية المشتقة من اللغة العربية) بأن الكلمات العربية الموجودة في اللغة الأسبانية تعادل ربع كلمات اللغة الأسبانية ، وأن باللغة البرتغالية ما يربو على ثلاثة آلآف كلمة عربية . كما أن المستشرق الفرنسي لامانس قد ذكر في كتابه : (ملاحظات على الألفاظ الفرنسية المشتقة من العربية) أن الكلمات العربية في المعاجم الفرنسية سبعمائة كلمة عربية [3].

ومن اللغات التي تأثرت كذلك باللغة العربية ، اللغة الفارسية ، حتى صار الفرس يكتبون لهجاتهم بالأحرف العربية ، مع أن لغتهم الدارجة لم تكن العربية [4].

والكلام عن مكانة اللغة العربية يطول ويطول ولا يتسع هذا المكان له ، لكن ذكرت ذلك لأن الدس الشعوبي لهذه اللغة قديم ، ومحاربتهم لها متصل حتى يومك هذا ، لعلمهم بمكانتها عند المسلمين ، ولأن بقائها ظاهرةً وشعاراً بين الناس يصد حركتهم الفكرية العدائية ، لذلك تجدهم

---

[1] المرجع السابق ، ص : ٢٩٥

[2] انظر : البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية ، فضل عباس ، ص : ٦٥ ، ٦٦ .

[3] انظر : مقال بعنوان : تأثير اللغة العربية في اللغات الأخرى ، موقع جامعة أم القرى : https://old.uqu.edu.sa/maszahrani/ar/٦٧٢٠٤ ، وانظر : حضارة العرب ، ص : ٤٥٥ – ٤٥٨.

[4] انظر : حضارة العرب ، ص : ٢٠٥ – ٢٠٨

يحاربونها ، ويؤيدون كل دعوى أو مذهب فكري باطل ينال من مكانة اللغة أو يحرفها لفظاً ومعنى [1].

ومما يدل على استهداف الشعوبيين قديماً للقيم الإسلامية العربية والعمل على هدمها ، ومحاولة إسقاط كل ما أنجزته الأمة ، ما تقدم من بيان استهداف الشعوبيين للعقيدة الإسلامية ، وللدول الإسلامية التي نشأت منذ الخلافة الراشدة ثم الأموية والعباسية وغيرها [2].

ومن الأدلة والأمثلة في القرون المتأخرة ، والفترات المعاصرة على استهداف الشعوبيين للفتوحات الإسلامية ، ومنجزاتها وآثارها التي انتفع بها العالم أجمع : الموقف الشعوبي البغيض من دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، والتي قامت بتجديد الدعوة إلى توحيد الله سبحانه ، وإحياء ما اندرس من معالم الدين والسنة .

انطلقت تلك الدعوة المباركة من قلب الجزيرة العربية ، وبتآزر سلطان الشرع والسيف ، حينما تعاضد الإمامان : محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود [3] ، وقامت على إثر ذلك دعوة سنية سلفية مباركة ، ثم دولة سنية ترعى الكتاب والسنة وتحكّم الشريعة الإسلامية ، والحديث عن تلك الدعوة ودولتها ذو شجون ، وليس هذا مكانه ، ولا يتسع له المقام .

إلا أن الشعوبيين من بقايا الثورة الصفوية الشعوبية ، والثورة الخمينية المعاصرة ، وسواعدهم من الصليبيين والصهاينة والهندوس وغيرهم ، لا يرون تلك الدعوة المباركة إلا غصة في حلوقهم ، وجذعة في أعينهم ، فعملوا على تشويه تلك الدعوة المباركة واستهداف منجزاتها ، ولم يبقوا وسيلة من الناحية الفكرية والعملية والسياسية إلا وصنعوها ليصدوا الناس عن تلك الدعوة ، وليحاولوا أن يصورها كأي حركة مفسدة أو خارجية ، أو بأي وصف مما تمجه العقول ، وتبغضه الأفئدة .

وسأوضح بإيجاز الموقف الشعوبي من الدعوة السلفية النجدية وفق اتجاهين :

أولاً : من الناحية الفكرية والعلمية

قام بعض علماء الحركة الشعوبية بكتابة المؤلفات في وصف الدعوة بأقبح الأوصاف ، بالبدعة

---

(1) وسيأتي الكلام عن موقف الشعوبيين المعاصرين من اللغة العربية ، انظر صفحة : ٣٧١ من هذا البحث.

(2) وقد تقدم الحديث عن الثورات الشعوبية وآثارها في الباب الثاني .

(3) انظر : تاريخ ابن غنام ٢ / ٦٧١ .

والكفر ، وبالخروج ، وبالطعن فيها بأشد الطعونات ، والنظر إليها بنظرة تجهيلٍ لأحكام الكتاب والسنة ، وكل ذلك كذب وبهتان ، كما هي عادة أعداء الدين ، وزينوها وزوقوها بالعبارات كما هي عادة المنافقين في لحن القول .

يقول : محمد حسين آل كاشف الغطاء (١) ، وهو يصف الإمام المجدد بأنه ممن نبش بذور الفرقة والشقاق والتكفير بين المسلمين : " ... فنبغ ، بل نزع محمد بن عبد الوهاب فنبش تلك الدفائن ، واستخرج هاتيك الكوامن ، وسقى تلك الجراثيم المائتة بل المميتة ، والبذور المهلكة ، فسقاها بمياه من تزويق لسانه وزخرف بيانه ، فأثمرت ولكن بقطف النفوس وقطع الرؤوس وهلاك الإسلام والمسلمين ، وراجت تلك السلعة الكاسدة ، والأوهام الفاسدة ، على أمراء نجد واتخذوها ظهيراً لما اعتادوا عليه من شن الغارات ، ومداومة الحروب والغزوات من بعضهم على بعض ... " (٢) .

ويقول أيضاً متهماً الإمام المجدد : " ... فنقض ابن عبد الوهاب تلك القاعدة الأساسية ، والدعامة الإسلامية – يقصد الإخوة الإسلامية – ، وعكس الآية فصار يكفر المسلمين ويضرب بعضهم ببعض ..." (٣) .

ومثله إمامي آخر ، وهو : محمد جواد مغنية (٤) ، يقول وهو يشبّه الدعوة بفعل الخوارج وقتلهم المسلمين : " ... ولا يختلف الوهابية عن الخوارج في هذا الصعيد ، أجل إن الوهابية لا يكفرون بعض الصحابة ويستحلون دماءهم كما الحال عند الخوارج ، ومهما يكن فإن الإسلام في مفهوم

---

(١) هو : محمد حسين بن علي بن الرضا بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء ، من المجتهدين عند الإمامية في القرن الخامس عشر الهجري ، عراقي من أهل النجف ، وتولى الإفتاء والتدريس في مذهبه ، وكان من المراجع الكبرى ، ويشارك في الثورات الوطنية في العراق ، وهو أديب وشاعر ، وله مصنفات عديدة ، توفي عام : ١٣٧٣هـ ، في إيران وهو يُعالج بها ، ثم دفن بالنجف ، انظر : الأعلام ٦ / ١٠٦ .

(٢) نقض فتاوى الوهابية ، ص : ٣٣

(٣) المرجع السابق ، ص : ٣٤ .

(٤) هو : محمد جواد بن محمود مغنية العاملي ، من علماء المذهب الإمامي ، ولد في بلدة طير دبا في جبل عامل ، سنة : ١٣٢٢هـ ، وذهب للنجف ودرس هناك ثم عاد للبنان ، وتولى القضاء ، له عدة مؤلفات ، وهو من كبار المذهب الإمامي في وقته ، توفي عام : ١٤٠٠هـ ، في بيروت ثم دفن بطير دبا بجبل عامل ، انظر : أعيان الشيعة ، محسن الأمين ، ٩ / ٢٠٥ .

الوهابية ضيق جداً ، بخاصة فيما يتعلق بالتوحيد ، فإنهم يفسرونه تفسيراً ضيقاً لا ينطبق إلا عليهم وحدهم ... " [(١)]. ويقول: " ... وليس من شك أن الإسلام لو وقف عند فهم الوهابية وتفكيرهم ، لما تقدم خطوة إلى الإمام ، ولما كان للمسلمين هذا التاريخ الخطير الشهير ... " [(٢)] ويقول في وصف العقيدة الوهابية كما يسميها : " قلنا : أن الوهابية حشوية [(٣)] أو أشبه بالحشوية الذين يتمسكون بحرفية الألفاظ ، وإن قام ألف دليل من العقل على المجاز والتأويل ، وأنهم يضيقون معنى الإسلام ، ويتوسعون في مفهوم الشرك ، بحيث لا يصدق التوحيد إلا عليهم .... ويقول أيضاً : " يرى الوهابيون أن جميع المسلمين غيرهم قد فسروا التوحيد تفسيراً خاطئاً ، وفهموه فهماً لا ينطبق على الواقع ، ولا يخرجه عن حقيقة الشرك ، وعملوا بما فهموا .. إذن ، جميع المسلمين مشركون ، من حيث لا يريدون ولا يشعرون . فالإنسان عندهم لا يصير موحداً بمجرد أن يشهد ويعتقد بلا إله إلا الله محمد رسول الله ... " [(٤)].

وفي معرض تهجمه على مؤلفات الإمام المجدد ، وذلك من شقائه وبؤسه وخذلانه ، أنه لم يقدح إلا في كتاب من خير كتب المسلمين ، والذي انتفعت به الأمة الإسلامية ، وهو : كتاب التوحيد ، لكن ذلك المعمم تهجم عليه بقوله : " ... فإن من يقرأ كتاب التوحيد ، أو انجيل الوهابية على الأصح يراه مُتْخَماً بالثرثرة بالشرك ، وإخراج المسلمين من الدين والإسلام ..." [(٥)]، ثم وصل لنتيجة تدل على قصور عقله ، حين قال : " ...حقاً إن صاحب كتاب التوحيد يستحق شهادة الدكتوراه في التكفير " [(٦)].

---

(١) هذه هي الوهابية ، ص : ١٣٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص : ١٣٤ .

(٣) الحشوية هي : كلمة ينبز بها أهلُ البدع أهلَ السنة والحديث الذين يأخذون بظاهر النصوص ويثبتونها على مراد الله ورسوله ﷺ ، انظر : تأويل مختلف الحديث ، ص : ١٣٦ .

(٤) هذه هي الوهابية ، ص : ١٣٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص : ٢٦٦ .

(٦) المرجع السابق ، ص : ٢٦٧ ، والإمام محمد رحمه الله قد رد بنفسه على مثل هذه الاتهامات في رسائله ، وكذَّب من يتقولها عليه ، يقول : " ... ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنب ، ولا أخرجه من دائرة الإسلام ... " ، ويقول أيضاً : " ... ما ذُكر عني أني أكفر بالعموم فهذا من بهتان الأعداء ... ولكن =

ومن مشايخ الفكر الشعوبي الرافضي الذين كان لهم أثر في زرع العداء الشعوبي للدعوة السلفية ، رجل يدعى : جعفر السبحاني الإيراني ، وكان من عادته التهجم على الإمامين ابن تيمية وابن عبد الوهاب ، ومن ذلك قوله : " ... ولكن لم تمر أربعة قرون إلا وظهر رجل آخر (هو : محمد بن عبد الوهاب النجدي) من أرض الحجاز أحيا تلك العقائد والآراء الميتة ونادى بها من جديد ، مع اضافات أشد شذوذاً وغرابة عما كان عليه المسلمون عقيدة وعملاً طيلة قرون منذ وفاة الرسول الكريم ﷺ مستغلاً جهل طائفة من أعراب البادية الجفاة ، ومستعيناً بزمرة من ذوي الأطماع في الملك والسلطان ، فأوقد مرة أخرى نيران الفتنة الخامدة من جديد ومضت هذه الجماعة تكفر المسلمين وتفسقهم ، وترميهم بالشرك ، وعبادة غير الله تعالى وهم أهل الصلاة والقبلة ..." [١].

ومن كلامه الجائر أيضاً ، قوله : " ... ومن أهم نقاط الانحراف في ابن عبد الوهاب هو هذه المعاملة السيئة مع المسلمين الذين ما كانوا يخضعون لأهوائه وآرائه ، فقد كان يعاملهم معاملة الكافر المحارب ، يبيح أموالهم وأعراضهم . وخلاصة القول : إن محمد عبد الوهاب كان يدعو إلى التوحيد ، ولكن لتوحيد خاطئ من صنع نفسه ، لا التوحيد الذي ينادي به القرآن الكريم ، فمن خضع له ولتوحيده سلمت نفسه وأمواله ، ومن أبى فهو كافر حربي ، ودمه وماله هدر " [٢].

وفي الحقيقة أن كلام أولئك القوم البهت كثير جداً في بعث الفكر الشعوبي تجاه دعوة التوحيد والسنة التي قام بها الإمام المجدد ، بل لهم مشاريع بحثية ومؤلفات تجمع الردود والرسائل المزعومة للرد على ما يسمونه بالفرقة أو الحركة الوهابية [٣] .

نكفر من أقرّ بدين الله ورسوله ثم عاداه وصد الناسَ عنه ، وكذلك من عبد الأوثان بعد ما عرف أنه دين للمشركين وزينه للناس ، فهذا الذي أكفره وكل عالم على وجه الأرض يكفر هؤلاء إلا رجلاً معانداً أو جاهلاً ... " ، مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الرسائل الشخصية : ٣ / ٧ ، ٣٣ .

(١) الوهابية في الميزان ، ص : ٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص : ١٤

(٣) انظر مثلاً : معجم ما ألفه علماء الأمة الإسلامية للرد على خرافات الوهابية ، عبد الله محمد علي ، وتسميتهم بعلماء الأمة الإسلامية ، من زخرف القول غروراً .

وما تقدم عرض موجز لما عليه كبار ذاك الفكر العدائي ، والذين كانوا يمثلون المدارس الرافضية الشعوبية ، في العراق ولبنان وإيران ، ويعتبرون مراجع كبرى عند أتباعهم .

لكن ولله الحمد فإن أهل السنة علماء وباحثين مازالوا يتصدون لمثل تلك الهجمات ويفندون ما تحمله من شبه ، ويبينون حقيقة الدعوة السلفية وما هي عليه من الدعوة إلى الله بالعلم والعمل والمنهج الحق ، ومؤلفاتهم في ذلك كثيرة [١].

ثانياً : الهجوم على الدولة السعودية

وهذا الاتجاه الشعوبي كان حاضراً وشديداً من قبل أولئك الشعوبيين ، فكان ديدنهم الهجوم المتواصل على بلاد التوحيد والسنة ، المملكة العربية السعودية ، رائدة الدعوة الإسلامية ، وقائدة المسلمين منذ نشأتها الأولى .

ومن الأمثلة على ذلك : ما كان يندد به أولئك الشعوبيون ويذمون به الدولة السعودية ، في رعايتها وقيامها بالدعوة السلفية التي قام بها الإمام ابن عبد الوهاب ، يقول جعفر السبحاني القمي : " ... وزاد الطين بلة أن أخذت حكومة آل سعود على عاتقها ، وبما أوتيت من ثروة عظيمة نفطية وغير نفطية ، ترويج هذه العقائد التي خالف بها مؤسسها ومروجها إجماع المسلمين ، ولم يقل بها أحد قبلهما [٢] إلى القرن السابع ، وبذلك أشغلت بالَ أبناء الأمة الإسلامية بأمور تافهة ، وصرفتهم عن التفكير في جوهر الدين ، والعمل في مجال القضايا المصيرية ... " [٣].

ومن زعماء الفكر الشعوبي الحاليين الذين يهاجمون دائماً في مؤلفاتهم الدولةَ السعودية ، ويذمها في قيامها بالدعوة السلفية : طالب الخراساني الإيراني ، حامل الفكر الخميني الشعوبي ، ومن

---

[١] على سبيل المثال : عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي ، صالح العبود . دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقد ، عبد العزيز العبد اللطيف . تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية ، محمد الشويعر . الحركة الوهابية ، محمد خليل هراس ، منهج شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في التأليف ، عبد المحسن العباد . سمات دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، صالح سندي .

[٢] يَقصد بهذه التثنية الإمامين : ابن تيمية وابن عبد الوهاب رحمهما الله .

[٣] الوهابية في الميزان ، ص : ٧ .

أشهر مؤلفاته ، كتاب : – الإسلام السعودي الممسوخ – ، والذي بناه على البهتان والكذب ولحن القول ، كما هي عادة الروافض ، ومن ذلك :

وصفه للسياسة السعودية بخدمة الصهيونية ، فيقول : " دور السعودية في خدمة الصهيونية ... لا حاجة للاجتهاد كثيراً من أجل معرفة نوايا حكام السعودية والمخططات الصهيونية ضد العرب والمسلمين عامة ، وضد الفلسطينيين منهم بصورة خاصة ... " [١]. وقبل ذلك يصف قيام الدولة السعودية بالمخطط الاستعماري ، فيقول : " ... ولذلك لم تكن عملية إقامة الكيان السعودي في الشرق اعتباطية أو بطريق الصدفة وإنما كانت عن خطة مدروسة موضوعة مسبقاً في المخطط الاستعماري الضخم ، ونحن بدورنا لم نظلم أحداً حيث استطعنا أن نثبت ذلك بأقوال الساسة الانكليز أو الأمريكان أو الصهاينة الرسميين ... " [٢].

ويقول أيضاً عامله الله بعدله : " ... نستطيع أن نعرف هدف الوهابيين ومدى أفكارهم ، ودقة نظرهم في تحقيق غرضهم وعدائهم السافر للإسلام ، وأن مؤلفات الوهابية الماسونية تستأصل أسس الإسلام ، وتشكك في مصادره بما فيه الفقه والحديث ، وتحدث جو الاضطراب الفكري والارتياب في المجتمع الإسلامي ، وتبذر في القلوب بذور الشك والريبة ... " [٣] ، وهذا الكلام يبين بجلاء تكفيره لمن سماهم بالوهابية !! .

وكثيراً ما يردد ذاك الأفكاك الأثيم بأن زعماء الدولة السعودية يعترفون بدولة إسرائيل وأنهم في خدمتها [٤]. ومن كلماته وبهتانه أيضاً قوله : " ... وقد ألفنا في السعودية أن الحاكم بأمره يتحدث باسم الأمة ، وأن حراس الإرهاب المسلح يسمون أنصار السلام ، وأن نقض دعائم الدين يسمى بالمنهج العلمي ، وأن العودة إلى الحيوانية الأولى تسمى تقدمية ... " [٥]. والكتاب مشحون بالأكاذيب والأراجيف التي يتعفف الحر من تتبعها ؛ لأن صاحب الكتاب بريء من

---

[١] كتاب : الإسلام السعودي الممسوخ ، ص : ٧٦ .

[٢] المرجع السابق ، ص : ١١ .

[٣] المرجع السابق ، ص : ٢٢٠ .

[٤] انظر : المرجع السابق ، ص : ٧٨ – ٩٤ .

[٥] المرجع السابق ، ص : ١٦٩ .

الصدق ومطلي بالكذب والبهتان ، ولعل ما تقدم من عنوان الكتاب وبعض مقتطفاته يكفي لتوضيح الحملة الشعوبية الفارسية على بلاد الحرمين الشريفين .

ومما يؤكد نهج الشعوبية في فكر ذلك الرجل ، تأمل كيف يبجل الثورة الخمينية الشعوبية :

" ... مسألة الوحدة الإسلامية ، هدف أساسي تنشده الجمهورية الإسلامية منذ انبثاقها ، لأن الشجرة الإسلامية الكريمة في إيران لا يمكن أن تؤتي أكلها إلا إذا التف حولها كل المسلمين المؤمنين في العالم .... الثورة الإسلامية تشق طريقها وسط كل هذه الأشواك والعقبات والأجواء المليئة بالضجيج الإعلامي المفرق المعادي ... " [١]

ويقول في ذمه للدولة الأموية كعادة الشعوبيين من قبل : " ... أجل أمة – محمد بن عبد الوهاب– ، لا يمكنهم التقارب والتحابب والاتحاد والتعاون والتعاضد مع الفرق الإسلامية ولا سيما شيعة أهل البيت ، لأنهم أشربوا في قلوبهم حب آل أمية ، وبغض أهل بيت الوحي سلام الله عليهم أجمعين ، والضدان لا يجتمعان " [٢] .

وكذلك نظرته الشعوبية المقيتة للحج إلى بيت الله الحرام كما هي طريقة الشعوبيين العدائيين من قبله ، فيقول : " ... ومن الطبيعي جداً أن تتعارض هذه الصحوة الإسلامية الجديدة مع كل العوامل الرامية إلى إبقاء المسلمين في جهلهم وركودهم وتبعيتهم ، بما في ذلك الأيدي التي تود أن يبقى موسم الحج بمعزل عن كل حركة تستهدف التوحيد والتوعية والتعبئة ، ومن هنا كان حج الإيرانيين خلال الأعوام الأخيرة مزعجاً لحكام السعودية ، وكانت تعليمات الإمام الخميني للحجيج مقلقة لهم ... " [٣].

والشاهد أن هذا الكاتب وأمثاله ، ممن يجري في فكرهم النتنُ الشعوبي ، لا يستغرب منهم الموقف البغيض من دعوة التوحيد والسنة ، التي قامت ونفع الله بها المسلمين في العالم ، نسأل الله أن يكفينا شرهم وأن يتولاهم سبحانه بقوته وجبروته .

---

[١] المرجع السابق ، ص : ٢٠٨ .

[٢] المرجع السابق ، ص : ٢١٠ .

[٣] المرجع السابق ، ص : ٢١٤ ، وسيأتي في الباب الثالث بيان الموقف الخميني الشعوبي من الحج ، إن شاء الله تعالى .

المبحث الثاني : الوسائل التي يتخذها الشعوبيون لذلك الإسقاط

أولاً : التأليف

من الوسائل التي سلكها الشعوبيون في النيل من العرب وإسقاط مكانتهم ، سعيهم الحثيث في تأليف الكتب التي تسيء للعرب وتذكر معايبهم المكذوبة ، أو تصفهم بالأخلاق التي نهى عنها الإسلام ، إيهاماً بأنهم يخالفون ديانتهم ، ولا يعني هذا أن العرب لم يكن لديهم ما يسوء من الأخلاق ، لكن فرق بين ما يحصل من الأفراد ، وبين أن يصبح الأمر تهمة عامة لجنس من الناس ، وسواء عرفت تلك المثالب عن العرب أم لا تعرف ، فلا يجوز نسبتها لهم بهذه الطريقة الجائرة ، ولا لغيرهم ، فكيف والشأن أنها مكذوبة وملفقة ، تهدف لغرض جاهلي مقيت .

وهذه الطريقة إما أن تأتي من الفرس أو غيرهم من الشعوبيين كاليهود أو من أصله يهودي ، أو تكون ممن تأثر بهم وغلبت عليه النزعة الشعوبية ، نتيجة لتأثير تلك الحركة الفكرية ، أو تحت عصبية التشيع ، أو ممن عرفت عنه الزندقة ، أو تكون ممن له أصول فارسية مجوسية يحن إليها ، ولما يستطع إظهارها .

وهذه المثالب التي جمعها أهل الفكر الشعوبي تناقض ما عرف عن العرب والمسلمين عموماً من الأخلاق الفاضلة الحسنة ، التي شهد بها القاصي والداني ، وتنفر الناس من الدخول في الإسلام ؛ لأنه لا انفكاك بين العروبة والإسلام من حيث الأصل ، فالرسول صلى الله عليه وسلم عربي ، والقرآن عربي ، وبعث بين العرب ، فافتعال مثل تلك الطرق في إسقاط الأمة العربية المسلمة ، وسيلة لغاية فاسدة باطنية ، ألا وهي الصد عن دين الإسلام . وسأبدأ بذكر نماذج ممن عرف عنه الكتابة والتأليف في مثالب العرب وكان عوناً للشعوبيين في نيل مآربهم ، وقيام حركتهم :

معمر بن المثنى (١١٠ – ٢٠٩ هـ)

هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، ولاءً ، أصله من يهود فارس ، وذكر ذلك عن نفسه ، عرف ببغضه للعرب ، وحبه نشر مثالبهم [(١)]، فألف كتاباً سمي – المثالب – ، وكان يظهر فضائل الفرس ، وكان على رأي الخوارج ، ويعظم شاعرهم قطري بن الفجاءة ، ويسميه أمير

[(١)] انظر : فضل العرب ، لابن قتيبة ، ص : ٣٧

المؤمنين ، وكان لا يحب أن يعرف أنه على رأيهم ؛ لخوفه من بطش الحاكم . عُرف عنه فحش لسانه ، وسوء خلقه ؛ ولذا كان أكابر الشعراء يفرون منه ، كالأصمعي ، اتقاءً لفحشه .

كان حافظاً للعلوم ، لكن مع هذا يكسر الشعر ولا يحسنه ، وكان يفسر القرآن لكن على غير الجادة العربية ، فلما أنكر عليه ، عزم وألف كتاباً في تفسير القرآن ، سماه : – المجاز– ، قيل أنه لما مات لم يحضر جنازته الناس ، لأنه لم يكن يسلم منه كبير أو صغير [1].

الهيثم بن عدي (١١٤ – ٢٠٧ هـ)

هو الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الطائي الثُعَلي ، من قبيلة طي المشهورة ، عرف بالأخبار والروايات ، ألف كتاباً في المثالب ، وكان يتعرض لأصول القبائل وأخبارها ويعيبها ، فكُره لأجل ذلك . كان على رأي الخوارج ، عرف عنه الدخول على الخلفاء والسمر عندهم بالقصص والإخباريات ، وذكر عن نفسه أنه شارك عبد الله بن علي عم الخليفة أبي العباس السفاح ، في نبش قبور خلفاء بني أمية وحرقها وصلبها ، كان يكثر من القصص في ذم العرب والتنقص منهم ، ومع هذا كان يهرب ويخاف من الهجاء وذم الشعراء !! .

كان شيخاً لابن الكلبي النسابة [2]، وكثير من روايات الكلبي في كتابه — المثالب — من طريق الهثيم بن عدي . والهيثم هذا مع أنه عربي لكنه وقع في حبائل الشعوبيين ، حينما أبغض العرب وألف فيهم ، واشتهر ذلك عنه ، كما كذبه أئمة الحديث والرواية : كابن معين وأبي داود السجستاني والنسائي وغيرهم . ومثل حال ابن عدي هذا يدل أن الحركة الشعوبية لم تتوقف على غير العرب ، بل طمّت حتى على مشاهير العرب ، وحرفتهم منذ القديم [3].

---

[1] انظر وفيات الأعيان : ٣ / ١١٩ — ١٢٣ ، والفهرست : ٨١ — ٨٣ ، والسير : ٨ / ٢٩٠ ، وميزان الاعتدال : ٤ / ١٥٥ ، والأعلام : ٧ / ٢٧٢ .

[2] سيأتي ذكره قريباً .

[3] انظر : وفيات الأعيان : ٣ / ٢٥٨ — ٢٦٢ ، والفهرست : ١٤٣ — ١٥٠ ، والسير : ٨ / ٤٣٢ ، وميزان الاعتدال : ٤ / ٣٢٤ .

هشام السائب الكلبي (ت ٢٠٤ هـ)

هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، النسابة المعروف ، اشتهر بعلم بالأنساب ، وكتابه – جمهرة النسب – من أشهر كتب الأنساب عند أهل هذا الفن ، كان إخبارياً ، ومع عروبته إلا أنه صنف كتاباً يُسمى – المثالب [١]– عاب فيه وانتقص من العرب ، بدءاً ببني هاشم ومن بعدهم ، وما هذا إلا لنزعته الشيعية الرافضية ، التي غلبت عليه ، وكتابه المثالب في الحقيقة من السوءات التي فرح بها الشعوبيون من الفرس أو غيرهم ، ولذا يحرصون على طباعته وإيداعه مكتباتهم [٢].

وعندما تطلع على مواضيع ذلك الكتاب الممقوت ، تتعجب من تلك الموضوعات : الزناة ، البغاة والمخنثون ، أولاد الزنا الذين شرفوا من العرب ..... ويذكرهم بالأسماء ، إلى غير ذلك من الطعون التي ذكرها في القبائل العربية أو القواد والفرسان منهم ، بل حتى بعض الصحابة لم يسلم من مثالبه .

وأهل الجرح والتعديل من المحدثين قد تصدوا لمثل ابن الكلبي ، وبينوا حاله ، وحذروا منه ، فلم يقبلوا روايته ، وهو متهم بالكذب والرفض عندهم ، وضاع للحديث .

حتى قال الإمام أحمد رحمه الله : ما أظن أحداً يحدث عنه ، وقال الإمام الدارقطني : متروك ، وقال ابن عساكر : رافضي ليس بثقة . وقد ذكر الإمام ابن حبان رحمه الله : أن ابن الكلبي كان سبئياً ، يقول برجعة علي بن أبي طالب ، وأنه سيعود للدنيا قبل قيام الساعة ، ويزعم أن جبريل عليه السلام كان يملي الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل الخلاء جعل يملي عليّ بن أبي طالب . وهذا باطل محض ، وتشم منه رائحة الزندقة والغلو [٣].

---

[١] وهو مطبوع .

[٢] وذكره صاحب كتاب : رجال الشيعة في أسانيد السنة ، وهو : محمد جعفر الطبسي ، أنه من رجالات الاسناد عند الشيعة ، وكذلك تجد كتاب ابن الكلبي في المواقع الرافضية ، انظر على سبيل المثال : موقع غرفة الغدير ، www.room-alghadeer.net

[٣] انظر: الوفيات : ٣ / ٢٤٧ – ٢٤٨ ، الفهرست : ١٣٧ – ١٤٢ ، الأعلام : ٨ / ٨٧ – ٨٨ ، المجروحين لابن حبان : ٢ / ٢٦٢ ، وميزان الاعتدال : ٤ / ٣٠٤ – ٣٠٥ .

واتهامه بالكذب لم يقتصر على الحديث ، بل تعدى حتى النسب ، فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني أن ابن الكلبي ذكر عن نفسه أنه قد كذب في النسب [١].

ومما تقدم يتبين من حال ابن الكلبي أنه انساق خلف الحركة الشعوبية ، حيث جمع مع سوء معتقده ، طعنه للعرب والثلب فيهم ، ولم يسلم منه بعض الصحابة ، وتلك الأمور من مكونات الفكر الشعوبي المحارب للأمة الإسلامية .

علان الوراق

وهو ممن وصف في كتب التراجم والمعاجم بالشعوبية منذ القديم ، وأصله من فارس ، واشتهر عنه تفضيل العجم على العرب ، وبغضه الشديد للعرب والمبالغة في الحط منهم [٢] ، ألف كتاباً في المثالب ، وسماه : – الميدان – ، وابتدأ فيه ببني هاشم ، ثم قبيلة بعد الأخرى حتى أنهى قبائل اليمن ، ورتبه على ترتيب هشام بن السائب الكلبي ، وكان ينظم الأشعار في مدح الفرس وقادتهم . كان ممن ينسخ ويترجم في دار الحكمة في الدولة العباسية ، ونال حظوة كبيرة عند البرامكة [٣] ، ومن أشعاره التي يفخر فيها بالفرس :

رستمي في ذرى شرف　　　زانه تاج وإكليلُ
وعليه من جلالتــه　　　كرمٌ عدّ وتبجيلُ
إن لي فخراً مبائتُهُ　　　في قرار النجم مأهولُ
ورجال شرْبهم غَدِقٌ　　　هم لما حازوا مبائيلُ
كسرويات أبوتنا　　　غُررٌ زُهرٌ مناويلُ [٤]

---

[١] الأغاني : ٢٢ / ١٦ .
[٢] انظر : الوافي بالوفيات ، ١٩ / ٣٦٧
[٣] انظر : معجم الأدباء لياقوت الحموي ، ٤ / ١٦٣١ – ١٦٣٣ ، والفهرست : ١٥١
[٤] انظر معجم الأدباء : ٤ / ١٦٣٣

ثانياً : الترجمة

وهي من الوسائل المشهورة التي كانت مدخلاً للشر والفساد والعلوم الفلسفية وما ترتب عليها من بدع وضلال وزندقة ، حيث أن الترجمة لم تكن في بداية الخلافة الاسلامية قائمة ومشتعلة ، إنما ظهرت في الدولة الأموية ، وفي العباسية بشكل أكبر وأوسع من ذي قبل ، حتى أصبحت أمراً أساسياً في دار الحكمة العباسية ، سيما في عهد المأمون (١). حيث أن المأمون جلب الكتب من أقطار شتى ، العربية والأعجمية ، فاستغل من لا يُوثق بدينه هذه الوسيلة ، ليتسلل منها إلى عقائد المسلمين ليفسدها ، فوُجد من المترجمين اليهود والفرس المجوس ، فكانت تلك المهمة طريق كل حاسد وناقم على الإسلام وأهله ولغته . وترتب على تلك الترجمات دخول العلوم المنطقية اليونانية ، التي لا تؤمن بالنبوات ولا تمتثل لها ، ولأن معرفة العرب باللغات الأخرى كان محدوداً ، وفي المقابل كثر الاختلاط بالأعاجم وغير المسلمين ، نظراً للفتوحات الاسلامية واتساع رقعة الدولة ، فاحتاج الولاة والحكام والناس للترجمة (٢).

ولا شك أن الترجمة من الطرق التي تُكتسب بها العلوم النافعة ، ولكن لا يجيدها كل أحد ، بل لا بد من معرفة اللسان العربي وقواعده ، إضافة إلى وجوب الأمانة في النقل والكتابة والنسبة في الكلام ، وكل ما يقوم به منافع الترجمات (٣).

وأما أن يقوم الفرس المجوس أو اليهود وغيرهم من أعداء الملة بهذا الشأن ، فلا ينتظر منه حينئذ إلا كل تزويق وتحريف ، إضافة إلى إدخالهم العقائد الباطلة ، لأن الفرس كانوا على اطلاع بكتب الفلاسفة والهند والديانات اليهودية والنصرانية ؛ ولهذا كانت الترجمة من أسباب تنشيط الحركة الشعوبية ، لما تولاها جمع منهم ، بل أصبح من يترأس دار الحكمة العباسية منهم .

وسأبدأ بذكر بعض الأسماء الذين اشتهروا بالترجمة عن الفارسية ، وكانوا سبباً في نهضة الفكر الشعوبي :

---

(١) انظر : حركة الترجمة في العصر العباسي ، أورنك الأعظمي ، ص : ٢٣ – ٣٧

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص : ٣٨ ، ٨٢ – ٩٦

(٣) انظر : أحكام الترجمة في الفقه الإسلامي ، ص : ١٨٥ – ٢٣٧

عبد الله ابن المقفع (١٠٦ – ١٤٢هـ)

فارسي ، وكان مجوسياً مزدكياً ، ثم أسلم على يد عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس ، عم السفاح والمنصور ، وكان كاتبه واختص به ، تعلم العربية وأجادها وأتقنها ، حتى صار من أفصح الناس ، وبرع في الكتابة والرسائل . اتهم بالزندقة ، حتى كان الخليفة المهدي يقول : ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع ، وهذا من أصرح ما وُصف به ابن المقفع في هذا الباب ، ترجم كتاب كليلة ودمنة من الفارسية إلى العربية . ولما حصل الاختلاف بين المنصور وعمه عيسى بن علي ، ثم تصالحا كان الذي كتب شروط الصلح هو ابن المقفع وشدد وأتقن كتابة الشروط ، فغضب المنصور لما قرأ تلك الشروط وأمر بقتل كاتبها ، فلما وصل الإيعاز لسفيان بن معاوية المهلبي والي البصرة [١]، لم يتردد في قتله وحرقه .

وابن المقفع ترجم عدداً من الكتب الفارسية وغير الفارسية ، حيث ترجم : – كتاب مزدك – ، وترجم : – التاج في سيرة أنو شروان – ، وكذلك ترجم كتاب : أرسطو طاليس ، وغيره من كتب المنطق [٢].

ولا شك أن ترجمة مثل تلك الكتب مما يجعل ابن المقفع محل اتهام في عقيدته ومنهجه ، بل حتى في مجال اللغة العربية التي أجادها لا يُعرف له تأليف انتفع الناس به .

والشاهد من هذا المثال ، هو توغل الجانب الفارسي في مجال الترجمة ، والتي ترتب عليها ، إدخال العلوم الغير إسلامية للمسلمين ، فماذا يُنتظر من كتب مزدك أو أرسطوطاليس ، إلا الإلحاد والزندقة ، وكل ذلك كان وسيلة لبعث الحركة الشعوبية على كافة الأصعدة ، حيث لم تتوقف عند الجانب السياسي فقط ، بل جندت حتى الأقلام والكتّاب في صفوفها .

---

[١] وكان سفيان حريصاً على قتل ابن المقفع لأنه كان يهزأ به ويسبه ويسب أمه ، ويسخر من كبر أنف سفيان المهلبي حتى غضب منه ، فلما أمره الخليفة المنصور بقتله لم يتردد ، بل قتله شر قتلة ، قطّعه وأحرق أطرافه ، انظر البداية والنهاية : ١٠ / ٢٨٨

[٢] انظر الوفيات : ١ / ٢٦٦ – ٢٦٨ ، والأعلام : ٤ / ١٠٤ ، والفهرست : ١٦٦ – ١٦٧ ، ومعجم الأدباء : ٤ / ١٥٦١

سهل بن هارون (ت : ٢١٥ هـ)

هو سهل بن هارون بن راهبون ، أبو عمرو الدستميساني ، فارس الأصل ، شعوبي المذهب ، عرف عنه بغضه الشديد للعرب ، وتفضيله العجم والفرْس خاصة ، اشتهر ببلاغته وفصاحته وخطبه ، وتأليف الرسائل والقصص ، كان يعمل بدار الحكمة عند العباسيين حتى صار رئيساً لها ، ومما يؤكد شعوبيته ومكره أنه اتخذ مساعداً فارسياً له ، يترجم من الفارسية للعربية ، اسمه سَلْم ، ألف سهل عدة كتب ، منها : ثعلة وعفراء ، على نسق كليلة ودمنة ، ألفه للمأمون ، وله كتب في مدح البخل ، حيث كان مشهوراً به ، ولا شك أن البخل كان مذموماً عند العرب ، مما يؤكد شعوبية هذا الرجل في مناقضته لما يراه العرب مدحاً [(١)].

أبان بن عبد الحميد اللاحقي

الرقاشي ولاءً ، شاعر من أهل البصرة ، وممن اشتهر بترجمته من الفارسية للعربية ، وكان يحمل معه أسفار التوراة ، فاتُهم بأنه يكتم يهوديته .

كان متصلاً بالبرامكة ، ويُعطى نوالاً جزيلاً من قِبَلهم تجاه ترجمته ، ولما نظم كتاب كليلة ودمنة شعراً ، كافأه يحيى بن خالد البرمكي بعشرة آلاف دينار ، وأعطاه الفضل بن يحيى خمسة آلآف دينار ، ووعدوه بأن يكون من رواتها ، وجعلوه هو الذي يتولى تعيين الشعراء وترقيتهم ، ترجم : كتاب مزدك ، وكتاب أنو شروان ، وسير أردشير ، وحلم الهند ، ويتضح من تلك الكتب التي انتقاها للترجمة ، أنها لبعث الروح للحضارة الفارسية المجوسية القديمة [(٢)].

ثالثاً : نظم الشعر

استخدم الشعوبيون الأدب لبث أفكارهم وسمومهم ، وخصوصاً في نظم الشعرَ العربي للنيل من العرب وإسقاط قيمهم ، وانتقاصهم والحط من شأنهم ، وذم أخلاقهم ، أو القدح في أنسابهم ، أو بذكر أمجاد الفرس وتفضيلهم على العرب ، أو تفضيل العجم عموماً ، وكذلك في إظهار

---

(١) انظر : الأعلام ٣ / ١٤٣ ، والفهرست : ١٦٧ ، ومعجم الأدباء : ٣ / ١٤٠٩

(٢) انظر : الأغاني : ٢٣ / ١٥ – ٢٣ ، والفهرست : ١٦٧ ، والأعلام : ١ / ٢٧ . وانظر : الشعوبية للسامرائي : ص ١٠١.

معتقداتهم وزندقتهم ، أو القدح في خلفاء الدول الإسلامية . ولما للشعر من منزلة عند العرب ؛ حيث كان هو وسيلة النشر والإعلام قديماً ، وكان من شأن العرب أن تتقي الهجاء وتهرب منه لما يترتب عليه من المثالب والتعرض لسخط الناس ، فمن هذه الجهة سلك الشعوبيون هذا الاتجاه ، ومن الشعراء الذين عرف عنهم دخولهم في الحركة الشعوبية :

(بشار بن برد ، ت : ١٦٨) (١)

كان بشار من الشعراء الذين عرفوا بنزعتهم الشعوبية في تفضيل الفرس والعجم عموماً على العرب ، وملأ شعره بذلك ، وكان من الشعراء المجيدين الذين لاقى شعرهم رواجاً بين الناس. ظهرت في قصائده الزندقة ، فعرف عنه الاعتراض على القدر ، والقول بقول الإبليسية ، وتفضيله النار على الماء ، ولذا كانت زندقته سبباً لقتله ، ومن أشعاره التي يفخر فيها بالفرس ، قوله :

ألا أيها السائلي جاهداً　　ليعرفني أنا أنفُ الكـــرمْ

نمَتْ في الكرام بني عامرٍ　　فروعي وأصلي قريش العجمْ(٢)

ويقول مفتخراً بأصله الأعجمي :

أنا ابن الملوك الأعجمين تعطّفتْ　　عليّ ولي في العامرين عمادُ (٣)

ويقول متبرئاً من ولاء العرب :

أصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم　　مولى العُرَيْبِ فخذ بفضلك فافخرِ

مولاك أكرم من تميم كلها　　أهل الفعال ومن قريش المشعرِ

فارجع إلى مولاك غير مدافعٍ　　سبحان مولاك الأجلّ الأكبرِ(١)

---

(١) هو بشار بن برد بن يرجوخ ، العقيلي ولاءً ، الشاعر المشهور الضرير ، لقب بالمرعّث ، أصله من طخارستان ، من سبي المهلب بن أبي صفرة ، من الشعراء المجيدين ، عرف بزندقته ، فضرب عليها بالأسواط حتى مات ، انظر : الوفيات : ١ / ١٤٣، ١٤٤ ، والفهرست : ٢١٩ ، ، والأغاني : ٣ / ١١١ — ٢٠٦ ، والأعلام : ٢ / ٥٢ .

(٢) الأغاني : ١١٣.

(٣) انظر : نظرات في ديوان بشار بن برد ، شاكر الفحام ، ٣ / ١٠٥

وقال عائباً وشاتماً أحد الأعراب :

تُفاخرُ يا ابنَ راعية وراعٍ بني الأحرار حسبك من خسارِ
وكنتَ إذا ظمئتَ إلى قراح شركت الكلب في ولْغِ الإطارِ
تُريغ[2] بخطبةٍ كسر الموالي ويُنسيكَ المكارمَ صيدُ فارِ
وتغدو للقنافذ تدَّريها ولا تعقل بدرَّاج[3] الديارِ
مقامك بيننا دَنَسٌ علينا فليتك غائبٌ في حرِّ نارِ
وفخرك بين خنزيرٍ وكلبٍ على مثلي من الحدث الكُبَارِ [4]

وهو بهذه الأبيات يعيب رعي الغنم ويستقذر من ذلك ، والغرض هو النيل من العادات العربية التي درجوا عليها .

ولما قتل الخليفةُ المنصور العباسي أبا مسلم الخراساني ، تعصب له وهجا المنصور وتوعده بهذه الأبيات :

أبا جعفر ما طولُ عيشٍ بدائم ولا سالم عما قليل بسالمِ
على الملك الجبار يقتحمُ الردى ويصرعه في المأزق المتلاحمِ
كأنك لم تسمع بقتل متوّجٍ عظيم ولم تسمع بفتك الأعاجم
تقسّم كسرى رهطُهُ بسيوفهم وأمسى أبو العباس أحلام نائم[5]

ومن شعره الذين يدل على زندقته :

---

(1) الأغاني : ٣ / ١١٤
(2) أي : تطلب وتريد
(3) الدارج هو القنفذ
(4) الأغاني : ٣ / ١٣٧ - ١٣٨
(5) الأغاني : ٣ / ١٢٩

الأرض مظلمةٌ والنارُ مشرقةُ   والنار معبودة مذ كانت النارِ[1]

وكان على مذهب الكاملية الرافضية التي تكفر الصحابة ، ثم كفرت علي بن أبي طالب بتركه قتالهم ، وقد قيل له ما تقول في الصحابة ؟ قال : كفروا ، فقيل له : فما تقول في علي ؟ فتمثل قول الشاعر :

وما شر الثلاثة أم عمروٍ   بصاحبكِ الذي لا تصحبينا[2]

وكان يقول بالرجعة وبتصويب الطائفة الإبليسية [3]، والخلاصة أن هذا الشاعر كان من أهل الحركة الشعوبية ، ومن أهل الإلحاد والزندقة .

إسماعيل بن يسار النِّسائي[4]

أصله من سبي فارس ، وهو ممن اشتهر بعصبيته للعجم والافتخار بهم على العرب ، وبلغ بغضه لبني أمية بغضاً شديداً ، وكانت تنسب إليه بعض الأمور في الزندقة ، فكان إذا قيل له قل لا إله إلا الله ، يقول : لعن الله مروان ، ويقول : أبدلت مكان التسبيح لعن مروان وآله ، وكان يمتدح مقتل الصحابي : عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، ومن شعره مفاخراً بالعجم :

ربّ خالٍ متوّجٍ لي وعم   ماجدٍ مجتدى كريم النصابِ

إنما سمي الفوارس بالفرس   مضاهاةَ رفعةِ الأنسابِ

---

[1] المرجع السابق : ٣ / ١١٩، وفي مطلعها يقول :

إبليس أفضل من أبيكم آدم   فتبينوا يا معشر الفجارِ

النار عنصره وآدم طينةٌ   والطين لا تسموا على النارِ

[2] هذا بيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي ، انظر : ديوان عمرو بن كلثوم ، جمع وتحقيق وشرح : إميل يعقوب ، ص : ٦٦ .

[3] انظر الفرق : ٦٢ ، ٦٣ .

[4] هو إسماعيل بن يسار النِّسائي ، أصله من سبي فارس ، كنيته أبو فايد ، من موالي بني تيم ابن مرة ، كان مع آل الزبير ، ثم لما وفد على عبد الملك بن مروان مدحه ، وهجا ابن الزبير ، توفي آخر عهد بني أمية ولم يدرك الدولة العباسية ، انظر : الأعلام ١ / ٣٢٩ ، والأغاني ٤ / ٣٤٠ – ٣٥٦

فاتركي الفخر يا أُمامُ علينا   واتركِي الجوْر وانطقي بالصواب [١]

ويقول معيراً بوأد البنات :

إذ نربي بناتنا وتدسون سفاهاً   بناتكم في التراب [٢]

فرد عليه بعض الجالسين من القوم بأنهم دفنوهم خوفاً من العار ، أما أنتم — أي المجوس الفرس– فربيتموهن لتنكحوهن ، كأنه يشير إلى نكاح المحارم عند المجوس ، وكلا الأمرين ، الوأد ونكاح المحارم ، من المحرمات .

وفي إحدى المرات دخل على هشام بن عبد الملك ، فاستنشده شعراً ، فنظم أبياتاً يفخر بالعجم على العرب ، منها :

إني وجدك ما عودي بذي خورٍ   عند الحفاظ ولا حوضي بمهدومِ

أصلي كريم ومجدي لا يقاس به   ولي لسان كحد السيف مسمومِ

أحمي به مجد أقوام ذوي حسب   من كل قِرْمٍ[٣] بتاج الملك معمومِ

جحاجح[٤] سادة بلج مرازبة[٥]   جردٍ عتاقٍ مساميخ مطاعيمِ

مَنْ مثل كسرى وسابور الجنود معاً   والهرمزان لفخرٍ أو لتعظيـــمِ

أُسْد الكتائب يوم الرَّوع إن زحفوا   وهم أذلوا ملوك الترك والـــرومِ

يمشون في حلَق[٦] الماذيِّ[٧] سابغةً   مشي الضراغمة الأُسْد اللّهاميمِ[١]

---

[١] الأغاني : ٤ / ٣٤٢

[٢] المرجع السابق : ٤ / ٣٤٣

[٣] القرم : النقوش والزينة

[٤] جحاجح : السيد الكريم

[٥] مرازبة : جمع مرزبان وهو الرئيس بالفارسية

[٦] الحلَق : الدرع

[٧] الماذي : الدروع البيضاء السهلة اللينة

هناك إن تسألي تُنْبي بأنّ لنا   جرثومة[2] قهرت عزَّ الجراثيمِ [3]

فاستشاط الخليفة منه غضباً ، وقال له : تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك ؟!

ثم عاقبه ونفاه للحجاز [4].

وإسماعيل هذا ممن اشتهر بشعوبيته وبغضه للعرب ، فإذا كان هذا حاله بحضرة الخليفة ، فكيف حين كان يغيب عنه ؟

زياد الأعجم [5]

وهو ممن عرف أيضاً ببغضه للعرب وهجائه لهم ، وكان يلصق بهم كل قبيحة ، وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني أن كتاب المثالب أصله من زياد الأعجم ، ثم عنه معمر بن المثنى ثم الهيثم بن عدي ، ولما وقف الخليفة عبد الملك بن مروان على كتاب زياد الأعجم – المثالب– ، تغيظ منه وأمر بإحراقه [6].

إن إقدام الشعوبيين على مثلك تلك المواقف ليدل على مبادئهم العدائية للمسلمين ودولتهم ، وهذا التواطؤ من أولئك الشعراء يبين ما يدينون به من عقائد فاسدة ، ويبين كذلك ما يحملونه للمسلمين من أفكار هدامة تؤول بقائلها للانسلاخ من الدين .

والشعراء والأدباء الذين حملوا الفكر الشعوبي كثيرون ، وصوروا العرب والمسلمين ، بتصويرات

---

(1) اللهاميم : السابق والسريع من الجياد

(2) جرثومة : أصل

(3) الأغاني : ٤ / ٣٥١ ، ٣٥٢

(4) المرجع السابق : ٤ / ٣٥١ ، ٣٥٢

(5) هو : زياد بن سليمان مولى عبد القيس ، أحد بني عمار بن الحارث ، أدرك بعض الصحابة ، كأبي موسى الأشعري ، وشهد فتح اصطخر ثم نزل بها . وأصل مولده بأصبهان ، ثم انتقل منها إلى خراسان فلم يزل بها حتى مات ، كان شاعراً جزيل الألفاظ ، وكان في لسانه لكنة وعجمة فسمي بالأعجم . انظر : الوافي بالوفيات : ١٤ / ١٦٤ ، والأغاني : ١٥ / ٢٩٣ – ٣٠٤ .

(6) الأغاني : ٢٠ / ١٨.

قبيحة ، فيما نظموا أو نثروا ، كأبي نواس ، وحماد عجرد ، وحماد الزبرقان ، وسعيد بن حميد البختكان ، وإسحاق بن سليمة ، ومطيع بن إياس ، وغيرهم . يصعب تتبعهم في هذا المبحث ، لكن ذكرت بعض النماذج من باب التمثيل والاستشهاد على قيامهم بالفكر الشعوبي .

وفي الحقيقة أن الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني ، ممن حشا كتابه من أمثال أولئك ، دون أن يبين سوء حالهم ورداءة أهدافهم ، وهذا مما يحسب عليه ، فكون كتابه في الأدب والشعر ، لا يعفيه من بيان حال أولئك ، مهما بلغت منزلة الكتاب ، خصوصاً وأن مجال الفكر الشعوبي يحوم حول النيل من العقيدة والديانة والعروبة ، ومر في كلام وأشعار أولئك ما يدل على ضلال في العقيدة ؛ ولذا كان ذاك الفعل من صاحب الأغاني محلاً وسبباً في التهمة للترويج لأمثال أولئك الشعوبيين [١] .

الصورة الشعوبية في الأدب الفارسي المعاصر

ولا تزال الصورة الشعوبية في الأدب الفارسي المعاصر تجاه العرب ، حاضرة في أدبائهم وشعرائهم ، ما بين وصف للعرب بأقبح الأوصاف ، أو التجني على اللغة العربية واتهامها بالتأثير السلبي على الحضارة الإيرانية ، بل إلى ما هو أعظم من ذلك كله وهو الهجوم على الإسلام وشعائره ، إذ لم يكن الهجوم على العنصر العربي أو الحضارة العربية إلا طريقاً للهجوم على الإسلام ، كما هي عادة الشعوبيين قديماً ، ومن الأمثلة على ذلك :

الأديب الفارسي (ميرزا آغا خان كرماني : ١٨٥٣ – ١٨٩٦م) ، من أدباء القرن التاسع عشر المشهورين في إيران ، والذي عرف بنزعته الفارسية المتعجرفة ، وبفكره الغربي أيضاً ، فيصف العرب بأنهم من دمر الحضارة الإيرانية المزدهرة [٢]، ويصف نفسُه الإسلامَ بالغريب : " ... فرضته على الأمة الآرية النبيلة ... حفنة من آكلي السحالي ، الحفاة العراة ، بدو يقطنون الصحراء ، إنهم العرب المتوحشون " [١].

---

[١] انظر : السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني ، وليد الأعظمي ، ص : ٥٩ .

[٢] انظر : صورة العرب في الأدب الفارسي الحديث ، جويا بلندل سعد ، ص : ١٧

[١] المرجع السابق ، ص : ١٧.

ومن الأدباء الفارسيين المتعصبين كذلك : محمد علي جمال زاده (١٨٩٢- ١٩٩٧ م) ، فمن هجماته الشعوبية على اللغة العربية ، حين يصف تجربته الأولى لتعلم اللغة العربية بقوله: (كانت واحدة من دورات التعليم في صف الحاج أخوند [١]... في فناء تلك المدرسة ، حيث تعرفت للمرة الأولى إلى اللغة العربية ، – ضرب ، ويضرب – ، منذ تلك اللحظة ، صرتُ أنا والطلاب الآخرين مصدراً للإثم والفساد الأخلاقي ، بات شغلنا الشاغل ليلاً ونهاراً ، صفْع وضرْب كل من اسمه زيد ، وعمرو ، وبكر ، وخالد ، المحتلين قواعد اللغة العربية ...)[٢] .

ومنهم كذلك الأديب الإيراني الفارسي : (صادق هدايت ، ١٩٠٣ — ١٩٥١ م) ، الذي اشتهر بكرهه وتهكمه على الإسلام ، والعرب ، والثناء على الديانات الفارسية والتعصب المقيت الشعوبي للفرس . واشتهر أيضاً بالقصص الإيرانية القصيرة ، والتي كان كثيراً ما يشحنها بالتهكم بالإسلام وبالعرب ، ومن أشهر أعماله القصصية ، قصة : البُوم الأعمى ، وفيها يصف المؤذن للصلاة بقوله :(مثل صرخة امرأة ، ولربما أنها كانت العاهرة التي تصرخ في آلام المخاض ، اختلط الصراخ بعواء كلب ، وهناك بقايا رجل يرتل القرآن ، كان دائماً يرتدي وشاحاً قذراً ...) [٣].

وله قصة مشهورة أخرى تدعى : أصفهان نصف العالم ، يفخر فيها بالفن الفارسي ، والعمران الإيراني ، ويهاجم الحضارة العربية ، ويعري العرب أن يكونوا سبباً في ذلك الفن ، ويجيّره لشعوب أخرى ، ومن ذلك قوله : (... لكنه — أي : فن العمارة والرسم والخط – ، في الحقيقة كان ابتكاراً وإبداعاً إيرانياً . إن العرب على وجه الخصوص ، الذي كانوا يركضون حفاة خلف السحالي ، ليس بإمكان المرء أن يجد في رؤوسهم أي فكر فني ، وما يُعرف بأنه فنهم يعود في الواقع إلى شعوب أخرى ، وينطبق الأمر على أيامنا هذه أيضاً ، ففن العمارة العربي ، هو محاكاة سخيفة لفن العمارة الإيراني ...) [١].

ومن الكتاب الإيرانيين المعاصرين ، الذين كان لهم دور في تمرير الفكر الشعوبي : (علي شريعتي)

---

[١] اسم لمعلمه الذي كان يدرسه المادة

[٢] صورة العرب في الأدب الفارسي الحديث ، ص : ٤٠.

[٣] صورة العرب في الأدب الفارسي الحديث ، ص : ٤٦ ، ٤٧ .

[١] المرجع السابق ، ص : ٥٠ ، ٥١ ، وانظر أيضاً : ٤٣ – ٥٩

، لكن طريقته ليست كسابقيه في التحامل الواضح والعلني المعتاد من قبل بعض الكتاب الإيرانيين. وذلك لأن هذا الكاتب تناول أصول مذهبه وصاغها في لسان أدبي اجتماعي ، يتظاهر بمراجعة الموروث الإمامي الرافضي ، ويبدو لمن لا يتحقق قليلاً بأنه خارج عن أصول مذهبه ومنقلب على إرث من سبقه من الروافض . ولأن الرجل صاحب أسلوب أدبي فلسفي[1] ، كان له رواج ، بل ربما راج فكره على بعض أهل السنة ، ولعل دراسته في فرنسا كان لها أيضاً زيادة الأثر في كتاباته المبطنة عن أصول الديانة [2]. وإلا فالرجل يصرح بأنه إمامي ومما يدل على ذلك قوله : (... إن الخلاف بين الشيعة والسنة هو في الأساس خلاف فكري وعلمي وتاريخي ، يرتبط بطريقة فهم حقيقة الإسلام ، وكل ما يدّعيه الشيعة في هذا المجال – وهو ادّعاء وجيه – أنه ينبغي لمعرفة حقيقة الإسلام الاقتداء بأهل بيت النبي وعلي (ع)[3] لأجل أن تكون المعرفة مباشرة ومن دون واسطة، وهذا بحدّ ذاته كلام معقول، كما يدّعي الشيعة أن مواصلة طريق

---

[1] له كلمات تدل على تخبطه وأنه متأثر بالفلسفة العرفانية الإشراقية ، يقول في كتابه الحج الفريضة الخامسة ، ص : ١٠٣ ، ١٠٤ : (الكعبة ترمز لخلود الله ودوامه ...) ، فكيف يكون المخلوق الذي له نهاية رمزاً وإشارة للحي القيوم الذي لا يموت . ويقول في كتابه – الأمة والإمامة – ص : ٩٠ ، : (وقد تجسد " الإنسان الكامل " في حياة الشعوب من خلال الآلهة ، وأرباب النوع ، وعبادة الأشخاص من خلال إخراج " البطل " بوصفه إلهاً أو رباً للنوع ، وقد كانت هذه الصور تلبي على الدوام حاجة الإنسان إلى الإنسان الكامل ...) . قلت : وهذا الإنسان الذي يبحث عن مثل هذا الكمال ليس ممن يؤمن بالله حق إيمانه ، ويعرف قدر ربه ، إلا أن يكون من لفيف الشعوبيين !! ، وسيأتي بأن بعض الفرق الملحدة التي بدأت بالرفض وانتهت بالقول بالإنسان الكامل ، كصاحب الفرقة النقطوية .
ومن تخبطاته قوله في كتابه – الحج الفريضة الخامسة ، ص/ ١٠٤ ، ١٠٥ : (إن الله تعالى هو مركز الوجود سبحانه ، وهو بؤرة هذا العالم الزائل الذي نعرفه ، والعوالم الأخرى التي لا نعرفها) ، – تعالى ربنا –.

[2] انظر : النقد والثورة – دراسة في النقد الاجتماعي عند علي شريعتي – ، خالد عودة الله ، ص : ٢٣ .

[3] كتابة – عليه السلام– بهذا الاختصار ، خطأ ، وكذا تخصيصها لبعض الصحابة دون بعض ، يقول ابن كثير : " وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب أن يفرد علي رضي الله عنه بأن يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة أو كرم الله وجهه ، وهذا وإن كان معناه صحيحاً ، لكن ينبغي أن يُسوى بين الصحابة في ذلك ، فإن هذا من باب التعظيم والتكريم ، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه ، رضي الله عنهم أجمعين " . تفسير القرآن العظيم : ٣ / ٦٧٧ .

الرسالة وروحها بعد النبي مرهونة باتباع علي (ع) والاعتراف به خليفة بعد النبي دون غيره ممّن عجزوا عن مواصلة الرسالة بروحها حتى آل أمر المسلمين إلى ما آل إليه مما يعرفه الجميع)[١] ، ولا يخفى ما فيه هذا الكلام من الطعن في خلافة الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم ، الذين سبقوا علياً رضي الله عنه . ثم إن نقد شريعتي للتشيع الصفوي في هذا الكتاب ، ما هو حاصله ؟! ، لأنه إذا كان التشيع العلوي باطل في أساسه ، وسبب لتفريق صف الأمة ، وبث الفُرْقة والفِرَق الضالة فيها ، فمن باب أولى أن التشيع الصفوي باطل كذلك ؛ لأنه مبني على التشيع العلوي المزعوم ، وما بني على باطل فهو مثله . ولا شك أن هذا من تلبيسه الذي يريد من خلاله الفصل بين الصفويين ، وبين من سبقهم . نعم ، إن الصفويين زادوا مظاهر أخرى شركية ، لكن أساس مذهبهم ومراجعهم هو الإمامية الرافضية .

وهو من أتباع الخميني ، وكان ممن يدبر للثورة معه على حكومة الشاه ، بل كان يلقب منظر الثورة الأول ، ونحوها من الألقاب [٢]. كان له دور في بناء الحسينيات في إيران وعمل الدروس والخطابات فيها كحسينية الإرشاد ، التي كانت موضعاً لكلماته وتنظيراته الثورية [٣]. وكان في صف من سموا بالوطنيين ، الذي كانوا لا يرضون بحكومة محمد رضا بهلوي ، ولذا سُجن عدة مرات ، ولعل هذا هو سبب ثناء بعض رؤوس الثورة عليه ، كالخميني وخامنئي وموسى الصدر ، وغيرهم . وفي المقابل هناك من مراجع الإمامية من طعن في شريعتي ومنع القراءة له ، وعده خارجاً عن المذهب الرافضي ، ومن أبرزهم : جواد التبريزي ، والخوئي ، وعلي الكوراني ، وحسبك في هذا وأمثاله أن جمعاً من أئمة مذهبه طعنوا فيه [١].

---

[١] التشيع العلوي والتشيع الصفوي ، ص : ٧٦ ، ٧٧ .

[٢] انظر : المخابرات الإيرانية – إيران بين السافاك والحرس الثوري – ، رمضان فاضل ، ص : ٥٩ .

[٣] انظر : النقد والثورة ، ص : ٣٣ .

[١] انظر : مقال بعنوان : علي شريعتي ، في موقع : موسوعة الرشيد ، نشر بتاريخ : ٦ / ٥ / ٢٠٠٨ م:
http://www.alrashead.net/index.php?derid=٧٨٤&partd=١٩

الباب الثالث : عقائد الشعوبية ووسائل نشرها ودور دول الباطنية في ذلك ، وقسمته إلى فصلين :

الفصل الأول : عقائد الشعوبية ووسائل نشرها

الفصل الثاني : دور دول الباطنية في نشر الشعوبية

الفصل الأول : عقائد الشعوبية ووسائل نشرها ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مصادر الشعوبية

المبحث الثاني : أبرز العقائد والمذاهب الفكرية التي يعتنقها الشعوبيون

المبحث الثالث : طرق الشعوبيين في نشر عقائدهم

المبحث الأول : مصادر الشعوبية

الشعوبية كحركة فكرية تحتوي على جملة كثيرة من العقائد الباطلة والأفكار المنحرفة ، المخالفة للدين الاسلامي الحق ، بل تخالف حتى الفطر السليمة والعقول الصحيحة . ولا يمكن أن تجد في أبعادها المترامية السحيقة ، أمراً صادراً عن قلب اطمئن بالإيمان ، ووحد الله حق توحيده ، بل جمعت مع العقائد الباطلة ، أبشع صور الظلم الاجتماعي ، بالاعتداء على الحقوق البشرية ، والتي غُلِّفت بغلاف الديانة والتعبد ، فجمعت بين الوحشة من الشرك والوثنيات ، والوحشة من القهر والتسلط على النفس والمال والعرض ، وكافة الحقوق العامة . فلا هي حققت عدلاً في عباداتها ودياناتها ، ولا في الأمور المعيشية الدنيوية ، وهذا يؤكد بطلان دعوى الشعوبية في التسوية بغيرهم من العرب أو غيرهم .

ولذا نجد أن أرباب هذه الحركة كثيراً ما تتقلب بهم شياطينهم وأهوائهم ومعتقداتهم ؛ لأن الاتجاهات الشعوبية متشعبة جداً في ذاتها ، ومفرقة لصفوف الناس ، ومقلبة لأحوالهم . وذلك أيضاً لأن مصادر الفكر الشعوبي التي تغذّت منها عديدة ومتشعبة ، تقلب الموازين وتشتت الأذهان. وبقدر ما استقت من الأديان الباطلة والمحرَّفة ، كانت تلك الحركة الشعوبية أكثر تشعباً وانشطاراً . وكلما ازدادت غياً في معتقداتها ، ازدادت تشعباً وهكذا . وحيث أن الحركة الشعوبية اعتمدت على مصادر دينية باطلة أو محرفة ، كان لا بد من تتبع أهم تلك المصادر ، وتسليط الضوء عليها ؛ ولأن غالب تلك المصادر تُرَد إلى الأديان المنتشرة المتَّبعة ، والأكثر انتشاراً بين الناس ، رأيت أن أذكر أبرز الأديان تأثيراً وتغذية للفكر الشعوبي ، سواء كانت من الديانات الكتابية أو غير الكتابية ، وكذلك أبرز الفرق الدينية التي نشأت من تلك الأديان وكان لها أثر واضح في الحركة الشعوبية [1].

---

[1] مع التنبيه بأن الغرض ليس هو تتبع الأديان وعقائدها وفرقها ، بل سيكون عرضاً موجزاً لكل ديانة من الوجه الذي كانت مصدراً للفكر الشعوبي .

١ – الهندوسية [١]

الديانة الهندوسية مهدت كثيراً للفكر الشعوبي في انتشاره وقيامه ، وذلك من عدة أوجه :

الأول : طبيعة الديانة الهندوسية في عدم وجود عقيدة أساسية تقوم عليها ، فهي ليست ديانة توحيدية ، بل وثنية ، ومن الأدلة على وثنيتها تقديسها حتى للأبقار وبعض الحيوانات ، ومعاملتها أفضل من البشر ، ومتى ما رأى الهندوسي أي مظهر دنيوي واقتنع به ، جعله رمزاً أو إشارة دينية لديانته ، فلذا تعددت عندهم الآلهة ؛ ولذا تجد أن تعاليمها تتغير وتتبدل بحسب قبول أهلها لأي عقيدة أخرى أو فكرة ، وعندهم متى ما كان الشخص هندوسياً من أب وأم هندوسييْن[٢] ، فليعتقد ما شاء ، وهذا أسّس لديهم اعتبار كل مصلح وقائد منهم ، وتنزيله ومعاملته كالرسول المرسَل ، وذلك متى ما كانت دعواه في صالح العصبية الهندوسية ، وهذا مما فتح باب الزندقة على مصراعيه ، سواء عند الشعوبيين أو غيرهم [٣].

وبلاد الهند من البلاد التي كان يرحل ويقيم بها الفرس المجوس أو الجنس الآري عموماً ، وهذا معلوم ومشهود في التاريخ من قبل الميلاد ، بل ذهب بعض أهل العلم إلى أن اللغة الهندية السنسكريتية ، أصلها هم الآريون من أهل فارس ، وذلك بسبب نزوح الآريين لبلاد الهند ، بل واحتلالهم لها والتحكم فيها [١]. وترتب على ذلك تأثر الفرس بالتعاليم الهندوسية ونقلها لبلادهم

---

[١] الهندوسية : سميت بذلك نسبة لبلاد الهند ، وفي القرن الثامن قبل الميلاد أطلق عليها – البرهمية – نسبة إلى – براهما – الذي جدد ديانتهم ، وهو عندهم إله ، ومن عقائدها : أن الله له ثلاثة أقانيم ، أي حالات ، وهي : براهما موجد العالم ، ومشنو حافظ العالم ، وسيفا مهلك العالم ، ويعتقدون أن هناك آلهة كثيرة ، فالسماء لها إله والأرض لها ، والمطر كذلك ؛ ولذ تعددت الآلهة والأصنام عندهم ، وينكرون اليوم الآخر ، وأكثر انتشارها في الهند ، ولهم أقليات في الصين وكوريا ، وشرق آسيا ، انظر : الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ناصر القفاري ، ناصر العقل ، ص : ٨٨ – ٩٠

[٢] انظر : دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص : ٥٣٢

[٣] انظر : أديان الهند الكبرى ، أحمد شلبي ، ص : ٢٧ ، ٣٢ – ٥٠

[١] انظر : المرجع السابق ، ص : ٢٣ ، والتراث الهندي من العصر الآري إلى العصر الحديث ، همايون كبير ، ص : ١٠ ، وأسرار الآلهة والديانات ، ميغوليفسكي ، ص : ١٠٤ ، ترجمة : حسان إسحاق

، ومن القرائن على ذلك التأثير : قارن بينها وبين انتحال الشعوبيين لآل البيت والتشيع لهم . حيث صححوا لكل من تشيع منهم مذهبَه الباطل ؛ ولذا تجد شعوبياً يدّعي الإسلام ونصرة آل البيت ، وهو رافضي باطني خارجي زنديق ، يكيد للعرب والمسلمين عموماً ، ولدولتهم ؛ لأن باب الاعتقاد مفتوح عندهم ، وسيصحح كل فكرة ونحلة يأتي بها ، متى ما كانت خادمة لفكره الشعوبي ، إذ لا أساس يبني عليه اعتقاده ليثبت عليه . وهذا واضح وبيّن في بعض الفرق الشعوبية كما تقدم ، كالراوندية والخرّمية ، التي تصحح كل دين ، وتزعم أن كل دين متبوع فهو صحيح .

الثاني : النظام الطبقي الهندوسي

الديانة الهندوسية ديانة قائمة على تقديس الشخص الهندوسي ، وإعطائه ميزات ليست لغيره ، ولا تجوز إلا له ، وهي أشبه بالديانة القومية القائمة على العصبية العنصرية ، والعداء لكافة الديانات الأخرى. ومن تعاليم هذه الديانة التي لا يسوغ الخروج عنها ، تصنيف الناس إلى طبقات مختلفة ، ولكل طبقة أحكامها والوظائف المنوطة بها [1]. وخلاصة الكلام عن نظام هذه الطبقات ، أنها أربع طبقات ، وترتيبها من الأعلى للأدنى كما يلي :

طبقة البراهمة / وأصل هذا اللفظ قائم على معنى – العارف أو حامل العلم أو العالم بالله – ، وهم في الهندوس أشرف الناس وأعلاهم طبقة ومزايا ، ويزعمون أن أهل هذه الطبقة استمدوا قداستهم من وجود خالقهم (البرهما) ، الذي خلق هذه الطبقة من فمه ، وإليه يرجعون في اتحادهم وحلولهم ، ومن هنا تولدت فكرة القول بالتناسخ والحلول ، وسيأتي الكلام عنها لاحقاً . ومن ميزات هذه الطبقة أنها مخصصة بتعلم الكتب وأسفار الفيدات وتعليمها ، ولهم السيادة على كافة الناس ، ولا يجوز للحاكم أن يعاقب أحد منهم أو يقيم عليه حداً ، ولا يحاسب على شيء ، ولا يجوز لغيرهم أن يتزوج منهم ، ولهم أن يختاروا من يشاءون لخدمتهم ، ولهم المناصب العليا في الحكومة ، وكافة الحظوظ الدنيوية هم أحق بها ، وكل ما يتعلق بجانب المحاسبة أو المؤاخذة ، فهو مرفوع عنهم ، فمن خالف ذلك فهو خارج عن الدين الهندوسي ، وسيعاقب[1].

---

[1] انظر : أديان الهند الكبرى ، ص : ٥٥

[1] انظر : دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، ص : ٥٧٠ ، ٥٧١

طبقة الكَشْتَري / (بمعنى : الشجاع وصاحب السلطة) ، وهو الذي يتولى الجيش وعدداً من مهام السلطة والوزارات ، ويقوم بحماية الطبقة الأولى من أي اعتداء عليها ، وأصل هذه الطبقة من فئة تدعى بالرجبوت ، ولذا يطلق على هذه الطبقة بالرجبوتية ، ولأنهم عرفوا بالقوة والقتال والشدة ، سلمهم الهندوس تلك المهمات [١].

طبقة الويْش / (معناه : أهل الحرفة من المزارعين والتجار) ، وهم في الأصل من خارج الهند لكنهم نزحوا إليها من قديم ، ومن أهم أعمالهم القيام بما يتعلق بالحركة التجارية والزراعية ، وما يضمن سيرها حتى لا تتأثر الطبقة الأولى بأي عجز يحصل ، ولذا من تعاليمهم أن الويشي إن عجز عن نفقة نفسه فيجوز له أن يخدم البراهمي ولا يشترط عليه شيء [٢].

طبقة الشُودَرا / (معناه : الذليل المهين) ، وهذه الفئة أقل الطبقات حقوقاً وحظوظاً ، بل لا يكاد أن تكون لهم أي ميزات كمن قبلهم ، وسبب استغلالهم واستذلالهم من قبل الهندوسيين ، نابع من الآريين أنفسهم حين قدموا للهند ، فقد كان الآريون يعرفون بالقوة والدربة على القتال ومجيئهم للهند كان للاستقلال لا الهجرة والتعايش مع أهل الهند ، وكان أهل هذه الطبقة من أصل سكان الهند ولم يعجبهم قدوم الآريين لبلادهم واستحلالها ، فقاوموهم ومنعوهم وحصل بينهم قتال شديد ، كانت نهايته في صالح الآريين ؛ ولذا انتقموا منهم أشد الانتقام ، وفتكوا فيهم بالتعذيب والتنكيل ، وإنزالهم أرذل المنازل ، ومنهم من غادر بلاده هارباً ، وازداد هذا الاستعباد حتى صار جزءاً من التعاليم الهندوسية التي لا يجوز عندهم مخالفتها. مع أن أهل هذه الطبقة يحاولون الخلاص من هذا الشيء لكن لم يستطيعوا بسبب قوة نفوذ الطبقة الأولى ، ولعدم حصولهم لأي منصب يرفع من صوت هذه الطبقة. ومن واجبات أهل هذه الطبقة : أن يخدموا البراهمة ولا يطالبوهم بشيء وإنما هم موعودون بالجنة ، وإن لم يجد منهم أي شيء فيذهب لخدمة أهل الطبقة الثانية أو الثالثة ، مع أفضلية الصبر على خدمة البراهمة . وكذلك لا يجوز له أن يدخر أكثر من حاجته من الأموال ، لأن هذا يجعله ينافس الطبقة الأولى. وأما مكان عيشهم فيكون في بيوت الطين وخارج المدن ، وحليُّهم الحديد ، ورَكُوبهم الحمير ، ويقتنون الكلاب ، كما

---

[١] انظر : دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، ص : ٥٧١ ، ٥٧٢

[٢] المرجع السابق ، ص : ٥٧٣

يحرم عليهم التجول ليلاً ، أو الزواج من خارج طبقتهم ، إلى غير ذلك من أوامر الاستعباد [(١)].

وهذا النظام الطبقي يشبه كثيراً ما عرف عن الشعوبيين من الفرس المجوس من تقسيم الناس إلى أربع طبقات : رجال الدين ويدخل فيهم زعماء الزرادشتية والكهان ومن يقوم بخدم بيوت النار ،وطبقة أهل الحرب ، وطبقة كتاب الدواوين ، وطبقة الفلاحين وأهل الصناعة والمهنة ، وكان لكل طبقة منهم وظائف مستقلة ، ومهما بلغ من قدرته لا يخرج عن تلك الطبقة .

وعند النظر لحال الشعوبيين من الفرس تجد أن نظرتهم لملوكهم لا تخرج عن تعصبهم للسلالة الكسروية ، ولا يرون صحة الملك إلا فيهم ؛ لأن لديهم اعتقاداً بأن الملك جزء من النور الإلهي وغيره من الناس ليس جزءاً منه ، ولا يجوز أن يختلط النور بغيره حسب ديانتهم .وهذا يشبه كثيراً النظرة الهندوسية للبراهمة ، الذين يُعتبرون ملوكاً بل هم أعظم من ذلك عند ذويهم ، فهم جزء من الخالق نفسه ؛ ولهذا لا يرون حلول الإله إلا في هذه الطبقة .

وهذا يؤكد تأثر الشعوبيين المجوس بالهندوس ، فمن جهة النظام الطبقي موجود عندهم ، وكذلك طبيعة الديانة القومية المجوسية لا تخرج عن دعوة غير الفرس ، فهي تشبه أيضاً الهندوسية من هذا الوجه ، الذي كرس النظرة العنصرية المقيتة عند الطائفتين ، وقسّم الناس لغرض الامتهان والاستعباد. وبعد استعراض النظام الطبقي عند الطائفتين ، ما هو جواب من زعم أن الشعوبية مجرد حركة وثورة اجتماعية لطلب المساواة ؟! .

الوجه الثالث : تعظيم الهندوس للنار

عرف عن الديانة الهندوسية تقديس النار ، لأنها من مصادر الطبيعة عندهم ، وكذلك من مظاهر الألوهية ؛ لأنها بزعمهم تقرب للذات العليا ، ولذا تجد الهندوس يقومون بحرق موتاهم بالنار ، لزعمهم بأنها تبادر بتخليص الروح من الجسم ، وتجعل الروح المقدسة تنطلق بسرعة إلى العالم العلوي ، وهذا مبني أيضاً على اعتقادهم بأزلية الروح وأنها من قوى الطبيعة التي يعبدونها [(١)].

[(١)] انظر : دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، ص : ٥٧٤ ،٥٧٥ ، ٥٧٦ ، وأديان الهند الكبرى ، ص : ٥٢ — ٥٩ ، وتحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، أبو الريحان البيروني ، ٧٥ — ٧٩ .

[(١)] انظر : دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، ص : ٦٣٥

وتأثير هذه الأمور واضح المعالم على الفرق الشعوبية ، فالنار عندهم مقدسة لأنها من أصول النور والخير ، وفيها معان رفيعة ولطيفة ، وكان أول أمرهم يصلون إليها حتى أصبحوا يعبدونها ويصلون لها. وجعلوا لها فئة خاصة تقوم عليها ، وسموا من يرأس بيوت النار بـ(الهِرْبَذْ) باللغة الفارسية [1] ، أما بالهندية فيطلق عليه : النوبْهار ، أي : المعبد الجديد ، وجعلوا لكل بيت من بيوت النار عبادة خاصة بها ، وعدداً محدداً من الصلوات ، وأناس يقومون عليها ؛ فبيوت النار عند الشعوبيين من الهندوس أو المجوس لا يجوز أن تطفأ أو يحل شيء يؤثر عليها [2].

وممن كان لهم دور في الحركة الشعوبية ممن ارتبط اسمهم ببيوت النار ، عائلة البرامكة ، وهو لقب : يطلق على جد هذه الأسرة ويعني : رئيس سدنة المعبد ، وكان قرب بَلْخ بخراسان ، وخالد بن برمك أول من أسلم من هذه العائلة وارتبط بالدعوة العباسية ، وانضم لأبي مسلم الخراساني وحارب معه ، وبعد ذلك اشتغل في الدواوين عند العباسيين ، وعينه أبو جعفر المنصور على بعض الأقاليم ، وقد تقدم الكلام عن البرامكة [3].

والشاهد مما تقدم هو تأثير الهندوسية في الفكر الشعوبي من هذا الوجه .

الوجه الرابع : تحريف الهندوسية للعبادات الشرعية

سلكت الديانة الهندوسية مسالك في التحريف لعدد من العبادات ، فمثلاً من العبادات التي حرفوها : الحج ، ويعنون به عندهم : زيارة الأماكن المقدسة لديهم ، وهي : - ياترا — أي : عبور النهر ، ويقومون بعبادة الأصنام هناك ، وأشهر الأماكن التي يقصدها الهندوس: (دَوراكا ، جَكْنَات بوري ، بادركا شرم ، راميشور) ويحجون كذلك لبعض الأنهار المقدسة عندهم مثل : نهر كنكا ، وجامنا ، والله آباد ، ومن معاني الحج عندهم الذهاب لكبار الهندوس المعظَّمين والاستماع إليهم ، وجعلوا لكل مكان يقصدونه ميقاتاً محدداً يقومون فيه ببعض الشعائر من

---

(1) انظر : مفاتيح العلوم ، للخوارزمي ، ص : ١٣٨ .

(2) انظر : موسوعة الأديان القديمة — معتقدات آسيوية - ، كامل سعفان ، ص : ١٣٠ ، وانظر : زرادشت والزرادشتية ، شفيع الماحي أحمد ، ص : ١٠٦ — ١٠٨ ، ومروج الذهب : ٢ / ٢١٤

(3) انظر صفحة : ٨٩ ، من هذا البحث

الاغتسال واللباس وغير ذلك [1]. وهذا يشبه الحج في الإسلام بعض الشيء مما يؤكد معرفتهم بالحج للبيت العتيق إلا أنهم حرفوا تلك العبادة وشعائرها المعلومة عند الناس ، مع أن دلالة الحج وقصد بيت الله الحرام ، شيء قديم ، منذ دعوة إبراهيم عليه السلام وأذانه للناس الذي أمره الله به ، فقد كان الكفار يحجون لمكة ، مع ما عندهم من مخالفات ، فارتباط معنى الحج بمعان مخصوصة ، وأماكن وشعائر مخصوصة لا تخفى على كل ذي ديانة. وهذا يشبه كثيراً تحريف الفرق الباطنية الشعوبية ، للألفاظ الشرعية والعبادات كذلك ، فلا يستبعد تأثرها بالهندوسية في هذا الباب ، والباطنية كانت من المذاهب الهدامة التي دخلت في الحركة الشعوبية وكانت مساندة لها . كذلك من الفرق التي حرفت معنى الحج وصرفته لأوجه أخرى وساندت بذلك الحركة الشعوبية : الرافضة الإمامية ، الذين يعتقدون قداسة مزاراتهم ومشاهدهم ، وتعظيمها فوق الحرمين الشريفين ، فزيارتهم لمشهد وقم في إيران ، والنجف وكربلاء في العراق مقدم على كل مكان آخر ، وتعاليمهم طافحة بذلك ، ووضعوا لذلك الأحاديث والروايات المكذوبة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن بعض الأئمة من آل البيت ، ولقد كان للدولة الصفوية القديمة والحديثة الأثر الواضح في قلب بعض العبادات إلى مظاهر مجوسية صفوية لم يُسبقوا إليها [2].

ومن تحريفاتهم الهندوسية : تحريفهم للوحدانية أو التوحيد ، فهم مع كثرة ما اتخذوا من الآلهة اخترعوا طريقة يصلون بها إلى رب يكون رئيساً لكل الأرباب وموجداً للكون ، وهو — برهما أي : الإله – ، وحافظاً لهم وهو : فشنو ، يزعمون أنه يحفظهم من الحوادث والكوارث ، وسيفا : وهو الذي يقوم بتدمير الأعداء وعقابهم ، ثم بعد ذلك أصبحت تلك الأوصاف أسماء لآلهة ، وتبعها الناس ، وتكونت فرق بأسماء تلك الآلهة ، وكانت هذه الطريقة مبدأ وبذرة لفكرة التثليث [1].

الوجه الخامس : الأطماع الهندوسية

تعتبر الديانة الهندوسية مصدراً رئيساً للأطماع الشعوبية ، بتخطيطها لاستهداف بعض البلاد

---

[1] انظر : دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، ص : ٦٠٨ ، ٦٠٧

[2] سيأتي الكلام لاحقاً عن موقف الشعوبيين من الأماكن المقدسة.

[1] انظر : أديان الهند الكبرى ، ص : ٤٥ — ٤٨ ، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، ص : ٥٩٨ ، ٥٩٩

العربية والإسلامية ، وفق مخططات وبروتوكولات هندوسية. حيث أن الهندوسية لم تتوقف عند إفساد العقيدة وحمل الناس إلى وثنياتهم ، بل لها أطماع توسعية ، ويمكن أن تلخص وفق الآتي :

لها أهداف توسعية تحت مسمى – الهند الكبرى – ، وتحددها من قناة السويس غرباً إلى سنغافورة شرقاً ، ويدخل في ذلك الجزيرة العربية ؛ لأنه بزعمهم أن الجزيرة العربية كانت تحكم ملِك هندوسي ، يدعى : (فيكرامادیتیا) ، بل أبعد من ذلك وأخطر منه حيث يستهدفون في مخططاتهم الكعبة المشرفة ، قبلة المسلمين ، زعماً منهم بأنها كانت تحت حكم ملكهم قبل الميلاد بـ ٥٨ عاماً ؛ ولأنها كانت معبداً للإله راما ، الذي يعبدونه. وكذلك يزعمون بأن كلمة (مكة) تدل باللغة السنسكريتية على معنى (نار التضحية) أو أرض عبادة النار ، وهذا يدل على عنايتهم بمعابد النار وفعل طقوسها منذ القديم [١].

ومن المخططات التي ينطلقون منها ، زعمهم بأن كل دولة فيها كلمة :(اندوا أو ستان) فهي تحت الملك الهندوسي ولابد لهم من إعادتها. ومن هنا يخططون للاستيلاء على جزيرة العرب ؛ لأنه يطلق عليها عربستان ، فهي لهم بناء على ذلك الزعم ، وهذا سبب وضعها عندهم ضمن المخططات التوسعية [٢].

ومن مخططاتهم أيضاً وضع المنظمات الهندوسية المتطرفة التي تعد وتخطط وتتابع بروتوكولاتهم ، ومن أشهر تلك المنظمات ، منظمة يرمز لها بـ : (R . S . S) وهي تمثل الحركة الهندوسية العلمانية اليمينية في الهند ، حيث تسعى لإعداد التوسع الهندوسي وتقوم عليه ، والتخلص من كافة الأديان سوى الهندوسية ، وأولها عندهم الإسلام ، ثم بقية الأديان. ويوجبون اعتماد اللغة السنسكريتية على الناس وفي المناهج ، ويهدفون لقصر الحكم للجنس الآري من الهندوس ، وتهجير غير هذا الجنس خارج البلاد. والتوسع في المساحة شمالاً لباكستان ولأفغانستان وإيران . وكذلك يهدفون لهندكة الناس جميعاً وأولهم المسلمون ، فهم يسعون بشدة لأن يترك المسلمون دينهم ، ويتبعوا الهندوسية ، وهذا تفسير تسلطهم على المسلمين ومساجدهم وبيوتهم ، ومنعهم

---

[١] انظر : الأصولية الهندوسية ، تميم القاضي ، في موقع : ملتقى علوم العقيدة ، على الرابط : http://www.alagidah.com/vb/showthread.php?t=٨١٧٨

[٢] انظر : المرجع السابق .

من كل حق ديني لهم ، ولذا لا نستغرب بأن أقل أقلية في العالم للمسلمين هي في الهند . ومن الطرق التي سلكوها لذلك هدم المساجد وحرقها ، ومنع بناءها وانتشارها ، أو تحويلها لمعابد أو بيوت للنار ، ومن أشهر القصص التي حصلت في ذلك ، قضية مسجد البابري بالهند ، الذي أحرقه الهندوس عام ١٩٩٢م [١].

وهذا الاستعداء منهم لمساجد المسلمين استعداداً منهم لإعادة الكعبة قبلة المسلمين لصورتها الأولى حينما كانت معبداً لإلههم راما – زعموا – . وأما المجازر التي فعلوها بالمسلمين فعديدة ومشهورة ، وكذلك صور التعذيب والتشريد ومنع الطعام والسجن .

تلك المنظمات المتطرفة العدائية تسعى للقومية الهندوسية (الهندوقا) بتوظيف كل ما تريده لصالح توجهاتهم وتوجهات الغرب الصليبي ، وحتى في الجانب الديني الهندوسي لا تجد ضمن تعاليم الهندوسية أنها تدعوا للدخول في ديانتهم عامة للناس ، بل تدعو لديانة قومية فيهم داخل بلد خاص مع أطماعهم في التوسع وفق ما يخدم العنصرية الهندوسية . فهي جمعت في فكرها الشعوبي بين الجانب الديني والدنيوي ، ولقد كان للاستعمار الصليبي في الهند دور في إيجاد القومية الهندوسية ، لأنهم من خلاله سيحققون أهدافهم بضرب المسلمين ، ومن خلال الهندوسية كذلك يهاجمون الدول الإسلامية المجاورة ، ومن أشهرها دولة باكستان الإسلامية [٢].

ومن مظاهر الفكر الشعوبي المعاصر في الهندوسية ، **علاقتها الحميمة مع الصهاينة اليهود** ، فاليهود والهندوس لا يخفى التقارب الشديد الحاصل بينهما في العصر الحاضر ، وعلى كافة المستويات ، العسكرية والتكنولوجية والحربية والتجارية وغيرها. وبداية علاقة الهندوس باليهود الصهاينة كان قبل قيام دولة إسرائيل حينما احتلت فلسطين ، إذا إن لليهود وجود قديم في الهند عن طريق المكاتب التجارية ، وكانت تلك المكاتب أشبه بالقائم على مصالح اليهود في الهند وما حولها ، وبعد قيام دولة اليهود بمساعدة المستعمرين البريطانيين في فلسطين ، كانت الهند من أولى الدول المباركة والمعترفة بذلك ، وتم تسيير المصالح بين الطرفين . وكذلك كان للبريطانيين دور كبير

---

[١] انظر : المرجع السابق ، وانظر : موسوعة السياسة ، ٧ / ١٤٦.

[٢] انظر : موسوعة السياسة ، ص : ٧ / ١٤٢ ، ١٤٣ .

في استقلال الهند عن باقي القارة الهندية بعد الاستعمار وتمكين الهندوس من السيطرة على الحكومة والأنظمة [١]. واليهود يؤيدون الهندوس في عنصريتهم ضد المسلمين في الهند ويتفقون معهم ويعينونهم في محاربة الإرهاب ، ويعنون به الإسلام والمسلمين ، والمحور الثالث لهذه العلاقة هو الولايات المتحدة التي تدعم الهندوس في حربها على ما سموه بالإرهاب ، وبواسطة يهودية صهيونية. ولقد قام رئيس الوزراء الهندي فاجاباي بزيارة للولايات المتحدة الأمريكية تحت مظلة قمة الأمم المتحدة بمناسبة حلول الألفية الثانية للميلاد ، في شهر سبتمبر لعام ٢٠٠٠ م . وحينها طلبت الهند حاجتها العسكرية لمواجهة الحرب على الإرهاب – عندهم - في جنوب آسيا، وكان لليهود دور في إتمام تلك الصفقات . وأما عن الإمداد اليهودي الصهيوني للهندوس ، فقد دعمت اليهود الهندوس بالأسلحة الحربية والدفاعية ، والأنظمة والبرمجة الحاسوبية ، التي تساعدها في حربها الالكتروني والتجسس واختراق الأنظمة [٢].

وكذلك في مجال التدريب فقد قام اليهود بإرسال ثلة من الخبراء الصهاينة في المجال العسكري إلى الهند للوقوف معها في حربها ضد باكستان ، والسيطرة على كشمير وتسليمها للهند ، فاليهود يدعمون الهندوس ضد باكستان ويرون أن كشمير هي من حق الهندوس لا المسلمين ، وذلك لأن باكستان بلد مسلم ، واليهود لا يروق لهم ذلك. وعندما نشبت مناوشات بين الهند وباكستان عام ١٩٩٩م كان اليهود داعماً قوياً للهندوس ، وحصل بينهما صفقات من الأسلحة البرية والبحرية . والهند كذلك تقوم بإرسال أفرادها للاستفادة من الخبرة اليهودية في مجال الحروب والدفاع والتكنولوجيا .

ولم تتوقف العلاقة عند الجانب العسكري فقط ، بل وعلى المستوى التجاري ، فقد استطاع اليهود أن يحولوا الهندوس إلى شريك استراتيجي لهم في العلاقات التجارية ، وأن تصرفها عن العرب ، بعد أن كان التجارة الهندية العربية معروف ومتصلة منذ القديم ، وقد لاقى ذلك قبولاً عند الهندوس . والشاهد مما تقدم أن الهندوس يعرفون جيداً موقف الصهاينة من المسلمين عموماً وخصوصاً في البلاد العربية الاسلامية ؛ ولهذا يحرصون على تعزيز العلاقات معهم ؛ لأن كلا

---

[١] المرجع السابق نفسه .

[٢] انظر الرابط السابق عن الأصولية الهندوسية .

الطرفين يرى الإسلام عدواً له يجب القضاء عليه ، واستهداف ثروات بلاده وفق مخططاتهم الفاسدة التي لا تتوقف عند مجال واحد [1].

وبعد استعراض الديانة الهندوسية ودورها في كونها مصدراً للفكر الشعوبي القديم والحديث ، يتضح أن الهندوسية ليست مجرد داعم للقومية الهندوسية ، بل هي مصدر خطير وقوي للحركة الشعوبية خصوصاً في الزمن الحديث. ذلك أن ما تقدم من عرض موجز عن دعمها من قبل اليهود الصهاينة والصليبيين الغربيين ، ليس مجرد دعم أو علاقة عادية ، بل هو إعداد لأن يكون الهندوس قوة عظمى في صفوف أشباها من الصهاينة والصليبيين والفرس المجوس ؛ لتساندهم في القضاء على الإسلام واستئصال المسلمين ، خصوصاً موقع الهند الجيد والمناسب في القارة الآسيوية التي يعتبر فيها الإسلام من أكبر الأديان ، فتهيئة الهندوس لهذه المهمة بدايته ما تقدم من إعانتها وتسهيل تطورها الذي سيكون ضد الإسلام والمسلمين . وما فعله الهندوس من قتل وتشريد للمسلمين في بلادها ، وكذلك تخريب دور العبادة والمساجد والتضييق على المسلمين ، وحرمانهم من كافة الحقوق الدينية والسياسية والأمنية وغيرها ، ما هو إلا ثمن ومقابل لدعم اليهود والنصارى الصليبين لهم ، وكذلك تنفيذاً لمخططاتهم الإستراتيجية التي تقدم الكلام عنها وفق معتقداتهم الهندوسية .

ومن الشواهد على أطماعها في البلاد الإسلامية ، مطالبة الهندوس بالتجنيس لمواطنيها الذين يوجدون في دول الخليج العربية لغرض العمل في كافة القطاعات ، وعدم تحديد مدة معينة لعملهم ، وأن يعاملوا كالمهاجر ، الذي يعطى جنسية البلد الذي يهاجر إليه [1]. وهذا وإن كان ظاهره مطالبة لأمر دنيوي في مجال الأعمال التجارية وغيرها ، إلا أن وراءه ما وراءه من زرع للفكر الهندوسي الخطير في البلاد الاسلامية ، حيث لا يخفى ما لفتح الباب لأولئك الأعاجم الغير مسلمين ، من خطورة وشر مستطير ، فنسأل الله أن يجعل كيدهم في نحورهم .

---

[1] انظر : مقال بعنوان : الهندوسية وأطماعها ، في موقع مفكرة الإسلام ، نشر في : ١٢ أغسطس ٢٠٠٤م ، على الرابط : http://islammemo.cc/٢٠٠٤/٠٨/١٢/٠١٠٤.html

[1] انظر نفس المرجع السابق عن الأصولية الهندوسية .

٢-اليهودية

قد تقدم الكلام عن الدور اليهودي في الفكر الشعوبي ، ولكن لأن الديانة اليهودية ؛ تعتبر أيضاً مصدراً كبيراً وخطيراً للفكر الشعوبي ، نبهت عليها ضمن المصادر هنا ، وكذلك قد تقدم التنويه عن العلاقة بين الفكر الشعوبي عند اليهود والفرس المجوس ، وعن تأثير اليهودية السبئية في الفرق الشعوبية ، بما يغني عن إعادته هنا [١].

٣- النصرانية

الديانة النصرانية المحرفة هي في الحقيقة ديانة وثنية ، إذ إنها لا تقوم على التوحيد ، وقد كانت مصدراً للفرق الشعوبية ، ومؤثرة كذلك في انتشار الحركة الشعوبية ، مع أن الدين النصراني دعوته عالمية كما يزعم أهله ، بخلاف الديانات القومية العنصرية ، ولكن الحقيقة تقول أنها كانت وما زالت مصدراً للفكر الشعوبي ، وذلك من عدة جهات :

أولاً : تأثرها الواضح بالديانة الهندوسية قبلها

فالتثليث كان معروفاً في الهندوسية [٢] ، وانتقل إلى النصرانية ، وهذا التأثر منها صار أيضاً مصدراً إضافياً آخر لانحراف العقيدة ، تلقفه الشعوبيون المجوس وقالوا بما يشبه التثليث في عقائدهم ، فعندهم أن الآلهة هي : أهورامازدا (إله الخير) ، وأهرمن (المهلك أو إله الشر) ، ومترات (المخلص) [٣]. وقد كانت النصرانية معروفة وموجودة في إيران التي كانت محلاً للفكر الشعوبي ، ومن القرائن على ذلك قيام ماني وفرقته المانوية المجوسية التي صاغ تعاليمها من البوذية والنصرانية والمجوسية ، وكان يحاول التقريب بين النصارى والمجوس بعدما اشتهروا بالحروب[١].

---

[١] انظر صفحة : ٣٨ ، من هذا البحث

[٢] انظر صفحة : ٢٢٥ ، من هذا البحث .

[٣] انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد بن طاهر البيروتي ، ص : ٦٥ ، ٦٦.

[١] انظر : موسوعة الأديان القديمة – معتقدات آسيوية - ، ص : ١٣٨- ١٤١، وسيأتي الكلام عن المانوية لاحقاً .

ثانياً : التعاليم النصرانية

تتضمن الديانة النصرانية تعاليم محدثة ما أنزل الله بها من سلطان ، يجب على من دخل تلك الديانة أن يأتي بها ، ولا يكون نصرانياً إلا بفعلها ، ومن ذلك ما يعرف بالتعميد(١) ، والمجوس الزرادشتيين يفعلون ما يشبه ذلك حينما يبلغ المجوسي خمسة عشر عاماً ، يُلبسونه زُنَّاراً ويطلبون منه التلفظ ببعض الألفاظ ، ولا يعد مُكَلّفاً في شرعتهم إلا بهذا الشيء(٢) . فتأثر الزرادشتيين الفرس بهذا لا يستبعد أن يكون من النصرانية ، سيما وأن النصرانية ديانة قديمة موجودة في بلاد إيران ، وتأثر الزرادشتية المجوسية بها ، ترتب عليه تأثر الفرق الشعوبية المنبثقة عنها. كذلك من التعاليم المشهورة عند النصارى : تقديس وتعظيم الرهبان وزعماء الكنائس والغلو فيهم غلواً شديداً بجعلهم مشرعين من دون الله ، ولا يحصل منهم الخطأ لأن إرادتهم إلهية — زعموا – ، ولهم الطاعة المطلقة ، لدرجة وصلت إلى مغفرتهم لمن شاءوا أو عقابهم لمن يريدون أو إصدار صكوك الغفران (٣)،. وتأثر الفرقة الشعوبية بهذا الشيء واضح المعالم ، حيث غلوا في زعمائهم غلواً عظيماً لدرجة تفضيلهم فوق الأنبياء . والعبيديون الباطنيون غلو في ملوكهم غلواً شديداً ، ومثلهم الصفويون المجوس ، وفي العصر الحاضر كان لاختراع ولاية الفقيه من قبل الخميني دور في إعطاء علماء الفرس المجوس السلطة المطلقة ، وذلك خاص بمن على شاكلته وفي نهج ثورته الشعوبية (١).

ثالثاً : تحريف الدين

قد تقدمت الإشارة في هذا المبحث أن الديانة النصرانية ديانة محرفة ، وكان لليهود في تحريفها الدور الكبير ، وكذلك النصرانية وفرقها كانت حرباً على الإسلام وتحاول تحريف عقيدته ، إما

---

(١) التعميد ، هو : من الشعائر النصرانية المتفق عليها عندهم ، ويكون بغسل التائب أو من يريد الدخول في النصرانية في الماء وبكيفية معينة وبذكر أدعية معينة ، انظر : دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، ص : ٤٧١ ، ٤٧٢ .

(٢) انظر : زرادشت والزرادشتية ، ص : ١٠٣ — ١٠٦.

(٣) انظر : الموجز في الأديان والمذاهب والمعاصرة ، ص : ٧٦

(١) انظر : ولاية الفقيه وتطورها ، خالد التويجري ، ص : ٢٣ – ٣٣

بالدعوة إليها مباشرة ، أو بتصدير المذاهب النصرانية الصليبية التي نشأت في ديارهم ، وصدروها للبلاد الاسلامية ، والتي عرفت بالتغريب أو الغزو الفكري للمسلمين فيما يعتقدونه ، وأصبح تأثير تلك المذاهب واضحاً كالشمس. وساعدهم في ذلك المفتونين بالحضارة المادية لديهم ممن ينتسب للإسلام ، وعند التأمل لتلك المذاهب الفكرية الهدامة تجد أنها تحارب الإسلام عقيدة ودولة وأتباعاً ، بل حتى في المجالات الدنيوية والنفعية لا تُحب للمسلمين أن يتطوروا فضلاً عن مسابقتهم لهم [1]. فقد كانت القومية النصرانية الأوروبية سبباً في بث الأفكار القومية العنصرية بين المسلمين في القرن التاسع عشر الميلادي ، والتي فرقت شمل المسلمين وجعلتهم أحزاباً وطوائف . وكذلك كان للمذاهب الفكرية النصرانية دور كبير في الفكر الشعوبي المعاصر ، خصوصاً من باب الاتجاه الحداثي ، الذي تسلط على العقيدة والشريعة والبلاد العربية والإسلامية ، فقد أحيت الحداثة الفكر الشعوبي والباطني وسددت سهامها تجاه المسلمين[2] .

وكذلك كان للنصارى دور كبير في احتلال بلاد المسلمين ، فبعد أن احتلت أفكارهم بمذاهبها الهدامة ، ساهمت في احتلال بلاد المسلمين العربية والإسلامية ، إما بدعم الشعوبيين كما فعلت مع اليهود حيث أن السبب أو المعين الأول لإقامة دولة يهود واحتلال فلسطين كان على يد بلفور الصهيوني الصليبي ، الذي وعدهم بإقامة كيان مستقل لهم ، ثم صدر مرسوم بريطاني صليبي بهذا الأمر عام : ١٩١٧م ، وكان بداية تنفيذه باحتلال فلسطين عام ١٩٤٨م [3].

وكذلك فعلهم مع النصيريين العلويين وتأسيس دولتهم في الشام ، وقد تقدم الكلام عن دورهم في استعمار الشام وتسليمه للنصيريين . وكذلك مع الهندوس في القارة الهندية ، ومع الصفويين في احتلال بعض الجزر العربية الخليجية ، ولا ننس أن الاستعمار الصليبي النصراني كان سبباً رئيسياً في غرس الفرق الهدامة التي تحارب العقيدة الصحيحة [1].

---

[1] انظر : الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، ص : ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٥١ — ٢٥٣

[2] انظر : الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، علي عبد الحليم ، ص : ١٥٩ .

[3] انظر : موسوعة السياسة ، ص : ١ / ٥٦٠ .

[1] انظر : الشبهات والأخطاء في الفكر الإسلامي ، ص : ٣٣٥ ، ٣٥١ ، والتطلعات الإيرانية في الخليج العربي ، إيمان لافي ، ص : ١١٩ — ١٤٩ ، والغزو الفكري ... ، ص : ١٣٣ ، ١٤٢ — ١٤٧.

ومن الطرق التي يحارب بها النصارى الصليبيون اليوم المسلمين ، عن طريق التجسس على مصالح المسلمين ، ومن أشهر قصصهم في زرع الجواسيس في البلاد الإسلامية ، وسعيهم في إحداث الفوضى بينهم والاقتتال ، قصة الجاسوس الإنجليزي — لورانس – ، الذي مكث عشرات السنين يتنقل في البلاد العربية ، وسبب القتال بين الترك والعرب ، ومن كلماته أنه : (إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً ، أو أمكن أن يصبحوا نقمة له ، فإذا أُبقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير) [١].

ومن طرقهم كذلك : إيجادهم أبواقاً لهم من داخل البلاد الإسلامية ، واستضافتهم في بلادهم النصرانية ، تحت مسمى اللجوء السياسي ، بحيث يسمح لهم بممارسة نشاطهم الهدام على بلاد المسلمين وحكامهم ، وتمكينهم من وسائل الإعلام والتواصل ، وهم في الحقيقة خوارج على بلادهم الاسلامية ، هربوا إلى أحضان الصليبيين ، ليكونوا معاول تخريب بأيد النصارى .

٤ — البوذية [٢]

من الديانات القديمة التي كانت مورداً للفكر الشعوبي : البوذية ، وقد أثرت في جزئية هامة وهي محاولة إلغاء النظام الطبقي الذي يعرف عند الهندوس ، فجاءت البوذية لتلغي ذلك النظام الذي أجحف في حقوق الفقراء والمساكين وحرمهم من التمتع بلذائذ الدنيا ، ولذا أجازوا لأتباعهم

---

[١] الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، ص : ١٣٨ ، و كتابه الذي سطره بنفسه عن تلك المهمة ، عنوانه : أعمدة الحكمة السبعة .

[٢] البوذية هي ديانة وثنية هندية تنسب لرجل يلقب بـ (بوذا) ، ويعني : العارف ، واسمه الحقيقي : سذهاتا ، كان من أسرة غنية ولها ملك وسلطة ، وبعد ذلك اعتزل الثراء والغنى ودعا للتقشف والزهد ، وسن لنفسه وأتباعه بعض التعاليم والأخلاق ، قيل أنه ظهر في السنة السادسة قبل الميلاد ، وكان في أول دعوته لا يخوض في الإلهيات ، ثم انحرف في دعوته إلى تقرير عدم وجود الله ، ودعا للإلحاد ، وبعد وفاته عكف عليه أتباعه ودعوه وأقاموا له التماثيل والأصنام ، من تعاليمه : قانون الجزاء في الدنيا ، وتناسخ الأرواح ، والدعوة لإلغاء نظام الطبقات ، والتسول وسؤال الناس ، وتنتشر البوذية في : الهند ، وكوريا والصين واليابان ونبيال وأندونيسيا وسري لانكا وتايلاند وغيرها ، انظر : الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص : ٩٠ — ٩٢ ، وللتوسع انظر كتاب : البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقتها بالصوفية ، د . عبد الله مصطفى نومسوك

التسول وطلب المساعدة ، وهذا مما زادهم رذالة وابتذالاً عند الناس ، فكانت التعاليم التي سنها بوذا لهم أشبه بالثورة على التعاليم الهندوسية التي تفرض على الناس طبقاتها الأربعة في المجتمع ؛ ولذا وُصِف بوذا بالإلحاد من قبل الهندوس حينما خالف مبادئهم [١].

وهذا يشبه إلى حد ما قام به مزدك في دعوته وثورته على الزرادشتية المجوسية ، لما كان دهاقنتهم وكبرائهم منفردون بالمناصب العليا ، حيث ثار مزدك على الزرادشتيين وغير مبادئ زرادشت ودعا إلى إلغاء الطبقات بين الناس والاشتراك في المال والأعراض كما يشترك الناس في الهواء والماء ، خصوصاً إذا علمنا أن مزدك ذُكر في سيرته أنه زار البلاد الهندية ومكث فيها وأخذ من تعاليمها ، فصارت تلك التعاليم في الفرقة المزدكية والتي تدعو إلى الاشتراكية والإباحية في الأموال والأعراض من السمات البارزة في الفرق الشعوبية ، إضافة إلى الدعوة للمخالفة بالتمسك بتعاليم الزرادشتية التي كانت هي الديانة الرسمية ، فوصف مزدك بالزندقة ، كما وصف بوذا بالإلحاد [٢]. على أن هذا لا يعني أن البوذية هي نفس تعاليم المزدكية ، بل ثمة فروق في التعاليم ، فالبوذيون حينما عجزوا عن الثراء المعيشي وتسلط النظام الطبقي ، ذهبوا يدعون للتقشف والزهد والرياضة على ذلك ، بخلاف المزدكية لما أرادوا الثراء المعيشي والمساواة بكهنتهم ، دعوا إلى الإباحية والاشتراكية ، بقدر ما يلبي للشخص حاجته ورغبته ، لكن يظهر الأثر الواضح في تأثير البوذية ، في أن الجامع للفريقين هو التشابه في الثورة على الديانة السائدة لديهم [٣]. وانجرت هذه الثورة من الفرقة المزدكية إلى البابكية والراوندية وغيرهما من الفرق الشعوبية ، فكانت مصدر قلق وإزعاج للمسلمين ، بالدعوة إلى محاربة الدول العربية الاسلامية وخلع السمع والطاعة عنها ، واستغلت إباحيتها لصيد ضعاف النفوس والسفلة من الناس والموالي والأعاجم لتكثير سوادها وتنظيم الجيوش ، لقتال المسلين واستباحت دمائهم .

---

(١) انظر : أديان الهند الكبرى ، ص : ٣٥

(٢) انظر : موسوعة الأديان القديمة – معتقدات آسيوية – ، ص : ١٤٢ – ١٤٥

(٣) انظر : الإسلام والأديان دراسة مقارنة ، مصطفى حلمي ، ص : ٦٦، ٦٧ ، ٦٨

٥-المجوسية [(١)]

كانت دعوة إبراهيم عليه السلام إلى التوحيد والحنيفية ، وهو الأصل الذي اجتمعت فيه دعوة الأنبياء ، ولأهمية أصل التوحيد كانت دعوة الخليل عليه السلام قوية في انتشارها وبلوغها ، وكان أصناف الناس الذين واجههم الخليل عليه السلام صنفان :

الأول : الصابئة : وهم يعتقدون بأن الوسيط بينهم وبين الله يكون روحانياً ؛ لعلو الروح وصفاتها وطهرها ، وبهذا لا يقرون بالأنبياء لأنهم بشر ليسوا أرواح .

الثاني : الحنفاء : وهم يعتقدون بأن الوسيط بينهم وبين الله يكون من جنس البشر ، لكن يفضلهم من حيث الروحانية ، فتكون روحانيته لتلقي الوحي ، وجسمانيته لبلاغ الناس [(٢)].

ومع هذا فإن الصابئة أصحاب الروحانية لم يقفوا عند هذا الحد ، بل طلبوا يلتمسون الأمور والمخلوقات التي فيها الصفاء والنور والعلو ، فعبدوا الكواكب السيارة ، لعلوها وبعدها ، وعُرف عنهم عبادة الملائكة لأنهم من نور ، وصار كل مصدر للنور والعلو والرفعة والصفاء أصلاً معظماً عندهم . وفي المقابل أبغضوا المعبودات التي من الأجسام ، ولأن تلك الأجسام موجودة ولا يمكن إخفاؤها جعلوها مصدراً للشر والظلمة . حتى أصبح وجود المخلوقات عندهم يرجع إلى هذين المصدرين ، ومن هنا نشأ القول بوجود أصلين للمخلوقات ، وأصبح هذا القول مذهباً معروفاً وعقيدة عند المجوس[(١)].

فالمجوسية من الديانات المشهورة المنتشرة في بلاد العجم من فارس وخراسان وغيرها من بلاد ما وراء النهر ، فكما كانت اليهودية في بلاد الشام والمغرب وغيرها ، كانت المجوسية في بلاد العجم بكثرة ، ولأن غالب العجم يتبعون ملوكهم في ديانتهم ، اكتسبت المجوسية قوتها من نصرة ملوك

---

(١) يقال أن كلمة – المجوسية – أصلها : كلمة – ماجوس – وهي لفظة يونانية أطلقها اليونانيون على كهنة الزرادشتية حينما قدموا مع الإسكندر في غزوه لبلاد فارس ، ومعناها : العظيم ، لانبهارهم بالسحر الذي عرفوا واشتهروا به ، ومنها اشتقت المجوسية وصارت علماً عليهم ، انظر : موسوعة الأديان القديمة – معتقدات آسيوية – ، ص : ٩٠.

(٢) انظر : الملل والنحل ١ / ١٩٤.

(١) انظر : الملل والنحل ، ١ / ١٩٥ ، ١٩٦ ، وموسوعة الأديان القديمة ، ص : ٩٠ – ٩٣.

العجم لها ، خصوصاً الفرس الإيرانيون [1]. وأهم الأصول التي قامت عليها المجوسية إثباتهم أصلين مدبرين ، النور والظلمة ، وبالفارسية : يزدان وأهرمن ، ومن المسائل التي اشتهرت عندها مسألتان : سبب امتزاج النور بالظلمة ، والأخرى : سبب خلاص النور من الظلمة ، بحيث عندهم أن الامتزاج هو المبدأ ، والخلاص هو : المعاد ، ولا بد عندهم من الخلاص قبل يوم القيامة . ومما قرره المجوس أيضاً أن الأصلين لا يصلح أن يكونا كليهما أزليان قديمان ، بل النور أزلي ، والظلمة محدث ، ثم اختلفوا في كيفية حدوث الشر وهل هو من النور ، وهذا يشكل عليه عندهم أن النور لا يكون منه الشر ولو جزئياً ، أم من الشر وعلى هذا يكون عندهم الظلمة قديمة ، إلى غير ذلك من التخبطات والتناقضات في هذه الديانة التي لا تستقيم على عقل فضلاً أن يكون مصدرها الوحي. وقد كان هذا التخبط والتناقض مؤثراً تأثيراً واضحاً في الفرق الشعوبية من المجوسية والباطنية وغيرهم ، وهذا هو أساس عقيدتهم ، فكيف بما تفرع عن ذلك [2].

والقبائل الإيرانية المجوسية متفقون على أن إلههم هو (مزدا الحكيم) ، ويعتقدون أنه إله لجميع الخلق ، وهذا الإله عندهم قائم على الصفاء ، والدعوة لخلافة الأرض وعمرانها والمعاملة الطيبة ، ومما يعتقدونه في إلههم مزدا أنه هو الذي أرسل الرسل ، ومنهم كيومرث وزرادشت [3].

وبعد استعراض موجز للمجوسية ، سأبدأ بذكر أبرز الفرق المجوسية الفارسية ، والتي كان لها التأثير في الفكر الشعوبي قديماً وحديثاً .

الكيومرثة

نسبة إلى كيومرث ، حيث يعتقد المجوس الفرس بأن كيومرث هو أول ملوك الأرض ، وهو الذي خططها وقسمها ، وبعضهم يبالغ حتى يقول أن كيومرث هو آدم عليه السلام ، ومن أساطيرهم عن كيومرث ما ذكره صاحب كتاب الشاهنامه ، حيث يقول : " أول ملوك العالم جيومرث ، وكان قد سخر الله له جميع الجن والإنس ، وخصه من عنايته بمزيد القوة والشهامة ، وروعة الجلالة

---

[1] انظر : مروج الذهب ١ / ٢٠٣.

[2] انظر : التبصير الدين ، ص : ١٥٠ ، والملل والنحل : ١ / ١٩٧ ، وإغاثة اللهفان ، ص : ٧٤٧ ، وجاء دور المجوس ، عبد الله الغريب ، ص : ٣٧.

[3] انظر : وجاء دور المجوس ، ٢٥ — ٣٠ .

وبهاء المنظر ، وهو أول من لبس جلود السباع ، وكان كل يوم يحضّر الجن والإنس ببابه ويصطفون على رسم الخدمة له ..." [1] .

والكيومرثية أثبتوا أصلي النور والظلمة ، قالوا : يزدان للنور وهو أزلي ، وأهرمن للظلمة وهو محدث ، وقالوا إن كيفية خلق الظلمة أن يزدان فكر كيف لو وجد له معارض ، فخلق من تلك الفكرة ؛ ولذا جاءت الظلمة من تفكير إله النور بها ، وهذا من تناقضهم وخرعبلاتهم . وزعموا أن النور خيّر الناس ، وهم ما زالوا أرواحاً بأن يرفعهم عن أهرمن أو يلبسهم الأجساد ، فيحاربونه ، فاختاروا أن يجاهدوه ويعِدُهم بالنصر والتمكين ، وحسن العاقبة قبل يوم القيامة ، وهذا هو طريق الخلاص عندهم ، وتعتبر الكيومرثية من المجوسية الأصلية القديمة [2].

الزرادشتية

وهذه الفرقة المجوسية أتباع (زرادشت بن يورشب) ، وهو من قبيلة ميديا الآرية التي كانت تقطن شمال إيران ، ومن هذه العائلة الميدية : الأخمينيون أيضاً ، فقد كان أول من وحد مملكة فارس منهم . كان مولد زرادشت قبل المسيح عليه السلام بحوالي ستة قرون ، في أذربيجان ، وقد ذُكر قبيل ولادته له إرهاصات مثل : خروج النور في بيته وانتشاء الطبيعة وغير ذلك من الحوادث . ولما بلغ سبع سنوات ذهب لطلب العلوم الدينية عند مشايخه ، وكذلك تعلم من الأمور الدنيوية كالطب ، وكان يوصف بالأخلاق والطهر[1]. والباحثون في الزرادشتية منهم من يقول أنها ديانة توحيدية ثم طرأت عليها الوثنية وصارت مجوسية ، ومنهم يقول أنها في الأصل وثنية اثنية تقول بالأصلين ، وحتى لو سلم بأنها توحيدية فإن الكتب التي تكلمت عن زرادشت ذكرت بأن نظرته للكون وما فيه ، نظرة مجوسية : بأن تأثير المخلوقات يعود إلى أصلي الخير والشر[2] ، وتذكر بعض المصادر بأنه زعم بأن الإله أهورمازدا (إله الخير) هو الذي أرسله ليخلص الناس من تسلط

---

[1] كتاب الشاهنامه لأبي القاسم الفردوسي ، ص : ١٣ ، ١٤

[2] انظر : الملل والنحل ، ١ / ١٩٧ ، وموسوعة الأديان القديمة – معتقدات آسيوية - ، ص : ٩٠ – ٩٥

[1] انظر : زرادشت والزرادشتية ، ص : ١٤ – ٢٠ ، وموسوعة الأديان القديمة ، ص : ١٠٢ - ١٠٤.

[2] انظر : الملل والنحل ١ / ٢٠١ – ٢٠٧ ، والإسلام والأديان دراسة مقارنة ، ص : ٩٨ ، ٩٩ ، وأسرار الآلهة الديانات ، ص : ٧٤

آلهة الشر عليهم ، ويوحدهم ضدهم في نظام واحد عالمي [1].

ومن الأحداث التي زامنت بداية ظهوره غزو الطورانيين لبلاده وتخريبها ، فانتشر على إثر ذلك الجوع والهلاك ، وكان له دور في الدفاع عن بلاده . وأما عن قصة نبوته عند الزرادشتيين ، فقيل أنه بعد أن بلغ ثلاثين عاماً جاءه الوحي عن طريق المَلَك (فوهومانو) ، عند نهر في أذربيجان ، جاءه في صورة رجل بثياب بيض . والمجوس يحتفلون بالخامس من شهر مايو الميلادي ؛ لأنه يوافق اليوم الذي نُبّئ فيه زرادشت ، أي السنة الأولى لديانتهم [2].

وأما عن موقف رجال الدين والكهنة في بلاده ، فقد عادوه بعد أن أفصح عن دعوته إلى الصفات الحميدة والطهر وأن الكون بأصليه يعود إلى مدبر واحد ، وكان هذا سبباً لمعاداة الموابذة له وباقي رجال الدين ، فألّبوا عليه الملك ، ثم طُرد من بلده ، ومكث عشر سنين لا يستجيب له أحد [3].

وبعد أن بلغ عمره الثانية والأربعين سنة اكتملت رسالته ، ثم ذهب لملك إيران في عاصمته بلْخ واسمه (كشتاسب) يأمره ويدعوه لديانته لكنه لم يستجب له ، وخشي أن يتبعه الناس فسجنه . وفي إحدى المرات حصل أن فَرَساً كانت قد أُصيبت بمرض أدخل قوائمه في بطنه وتحيّر الناس فيه ، فلما بلغ الخبر لزرادشت عرض عليهم أنه لديه العلم بعلاجه ، واشترط إن عولج وشُفي أن يتبعوه ؛ لأنه معجزة له ، وقيل أنه طلب من ربه شفاءه فشفي ، وبلغ أمره الملك فأعجب به ، ولما كان بين يديه عرض عليه مرة أخرى دينه ، وقيل أنه خرجت معه ملائكة لباسهم الأخضر[1] ، يحدثونه بصدق نبوته ، وإتباعه . فاتبعه الملك كشتاسب على ديانته وجعل الزرادشتية ديناً رسمياً لبلاده وكان ذلك في حكم الأخمينيين ، وولى زرادشت ما يتعلق بالأمور الدينية [2].

وأما عن قصة وفاته فقيل أنه حصل هجوم من الطورانيين على إيران في غياب الملك ، وخربوا

---

[1] انظر : موسوعة تاريخ إيران السياسي ، ص : ١ / ٥٠ .

[2] انظر : زرادشت والزرادشتية ، ص : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣.

[3] المرجع السابق ، ص : ٢٤ ، ٢٥

[1] ولعل هذه هو سبب حرصهم على اللباس الأخضر وجعله شعاراً للمجوس

[2] انظر : زرادشت والزرادشتية ، ص : ٢٦ – ٢٨ ، وموسوعة الأديان القديمة ... ، ص : ١٠٥ ، ١٠٦

البلاد وقتلوا الناس ، ودخلوا على زرادشت وهو في معبده وقتلوه ، ولما بلغ الخبر الملك عاد ، وأقسم أن يأخذ بالثأر لزرادشت ، وولى بعده تلميذه (جاماسف الحكيم) وعُهد إليه العناية بالأمور الدينية خلفاً لزرادشت (١).

بعض تعاليم الزرادشتية

الطهارة : كان يوجب على الناس الغُسل مرة واحدة يومياً ، وكان الماء معظماً عند المجوس ، وكان يأمرهم بقص الأظافر وإعفاء الشوارب ، وأخذ شيء من اللحى ؛ – ولذا أمر الرسول ﷺ بمخالفتهم – . وكان ينهى عن الزنا وشرع عليه العقوبة ، وهناك حد على المحصَن عن طريق التمثيل به ، وعقاب بالجلد على غير المحصَن بضربه بالخشب ثلاثمائة جلدة ، وكان ينهاهم عن السرقة واللواط (٢).

وأما الصلاة فكانت ثناء وتسابيح خمس مرات يومياً ، وعرف عنهم الأدعية الكثيرة ، خصوصاً عند الأكل والشرب وكان من عادتهم ألا يرفعوا أصواتهم به ؛ – ولذا كان العرب يصفون المجوس بالزمزمة ، وهو خفض الصوت عند الذكر حتى لا يُرى إلا تحريك الشفتين– (٣). والصيام كان مشروعاً عندهم ، وكان يأمرهم بالزهد والتقشف ويبالغ فيه ، وكان العمل واجباً عليهم لأنه سبب للعفة والإمساك عن سؤال الناس . وأما الزكاة فكانت عندهم مشروعة ومحل عناية ، بمقدار ثلث المال ، وتوزع على الفقراء وما زاد يكون لإصلاح البلد عامة (١).

وأما النكاح فقد كان مشروعاً وواجباً عليهم في ديانتهم ، وعندهم أن المتزوج أحب إلى الإله من غير المتزوج . وأما الأعياد فقد كان لهم عيدان رسميان ، الأول : النيروز وهو : بمعنى اليوم الجديد ، ويوافق بالميلادي ٢٧ مارس من كل عام ، ويحتفلون به لمدة أسبوع ، ويحرصون على مظاهر الاحتفالات فيه . والثاني : المهرجان ، قيل أن سبب الاحتفال به عندهم أنه أول يوم ظهرت فيه الشمس وملأ نورها الأرض ، وهو بعد النيروز بستة أشهر ونصف ، وفيه يلبس الملوك التاج وفي

---

(١) انظر : زرادشت والزرادشتية ، ص : ٢٨ ، ٢٩

(٢) المرجع السابق ، ص : ٥٢ – ٥٥

(٣) المرجع السابق ، ص : ٥٧ – ٥٩ ، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ٦ / ٦٩٥

(١)انظر : زرادشت والزرادشتية ، ص : ٦١ ، ٦٢.

أعلاه صورة أو مجسم للشمس [1].

بداية تدهور الزرادشتية

مرت بمراحل من التدهور حتى ساد على بلاد فارس المجوسية القديمة ، وبدأ ذلك بوفاة الملك المجوسي قورش الكبير ، حيث تقلد ابنه (قمبيز) بعده زمام الأمور ، فلم يكن بقوة أبيه وكذلك عرف عنه المجون وشرب الخمور ، وقيل أن بداية نكاح المحارم كان بإيعاز منه للموابذة ورجال الدين حيث جعلهم يبيحون ذلك بعد أن وقع الملك نفسه على أخته وهو مخمور فلما انتشر خبره وخشي الناس ، فرض على أهل الدين عنده بأن يعلموا الناس أن ذلك مباح في شريعتهم حتى لا ينقلبوا عليه . والحاصل أن المُلْك انْتُزِع من هذا الرجل على يد قائد آخر يُدعى : كئوماتاي المجوسي ، الذي سفك الدماء في بلاد فارس واستحلها وسيطر على عدة ولايات كفارس وميديا ، وأحيا الوثنية المجوسية القديمة [2]. لكن سرعان ما استرجع المُلْك منه قائد آخر اسمه (دارايوش) وهو ابن عم قورش الكبير ، وأعاد البلاد لحكمه وأعاد كذلك مذهب زرادشت لكن ليس كعهد قورش الكبير ، حيث بدأ الناس يفقدون تعاليم الزرادشتية ، وتفسير كتابهم المقدس ، ولم يحسن علماؤهم الزرادشتيين توضيح التعاليم لهم ، وحتى لا يفقدوا تعظيم النور الإلهي ، اتخذ الموابذة عند الناس فكرة حتى لا تغلب عليهم ظلمة الجهل حسب زعمهم ؛ ولأن هذا المعنى في تعظيم النور لا يستطيع استحضاره كل أحد ، فأوجدوا لهم رمزاً أو مظهراً يدلهم عليه ، وكان ذلك (تعظيم النار) لدلالتها على النور والعلو الحركة والارتفاع وقوة النشاط ، فجعلوها رمزاً لتقديس نور الإله ، وبعد أن كانت النار رمزاً لأصل النور وجهة لاستقبالها في عبادتهم ، صاروا يعظمونها ويعبدونها ويتوجهون إليها ، وأصبحت هي الإله [1].

ومما زاد أيضاً تدهور المذهب الزرادشتي المجوسي وتحريف تعاليمه واندراسه ، غزو القائد الإسكندر المقدوني لبلاد فارس وتخريبها في الفترة (٣٣١- ٣٣٠ ق. م) ، الذي دمر بلاد فارس وسفك دماء أهلها وخرب المعابد وقتل رجال الدين فيهم . وأحرق مدينة اصطخر بكاملها التي كانت

---

[1] انظر : زرادشت والزرادشتية ، ص : ٦٨ - ٧٩

[2] انظر : موسوعة تاريخ إيران السياسي ، ١ / ٤٢.

[1] انظر : زرادشت والزرادشتية ، ص : ٨٤ — ٩٠ ، وموسوعة تاريخ إيران السياسي : ١ / ٤٧ .

كالعاصمة الدينية للمجوس الزرادشتيين ، وبها تراثهم الديني ومكتباتهم ودور عباداتهم ، وحرق الجلود التي كان مكتوب فيها التعاليم وتفسير الأبستاق وأسفاره ، التي قيل أن عددها كان اثني عشر ألف جلدة . وفرض عليهم اليونانية الوثنية ، وكان ذلك أيضاً مصدراً آخر للوثنية المجوسية فيهم ، وبهذا اندرست الزرادشتية [1]. لكن من الناحية السياسية استطاع الفرس أن يستعيدوا حكمهم ، وكان ذلك في بداية الدولة الساسانية على يد (أردشير في حدود ٢٢٥ م ، وبعد ذلك اجتمع بكبار أهل بلده ، وطلب منهم إعادة التعاليم الزرادشتية ، فقرروا أن يبحثوا في البلاد ليجمعوا ما وجد من أسفارهم ، وما كان محفوظاً بالمشافهة فيدون بالكتابة ، حتى صنفوا كتابهم واتفقوا على إجازته . ولكن لأن لغة الكتاب التي كتبت به هي اللغة القديمة ، كانت خفية على العامة وليست متداولة ، فعهد إلى علمائهم بوضع الشروح والتفسيرات على كتبهم ، ثم وزعت على الناس ، وعهد الملك الفارسي أردشير إلى الموابذة بذلك ، وكان يدعم موقفه ويقويه باحترام رجال الدين ، وقبل وفاته كان قد أوصى ابنه سابور بذلك [2].

وأذكر هنا بعضاً من التعاليم التي قد حرفت عن الزرادشتية ، منها :

- إباحة المحارم وقيل أن أول من تسبب في ذلك الملك الفارسي قمبيز ابن قورش الكبير ، وقد تقدمت الإشارة إليه .
- قدسوا الماء حتى جعلوه لا يكون في إزالة النجاسات .
- أضافوا أعياداً أخرى ، منها : عيد ماغوفونيا ،وهو اليوم الذي استردوا فيه الملك بعد غزو الإسكندر المقدوني .
- لا يدفنون موتاهم بل يجعلونهم في برج مصمت ومفتوح السقف ، للطيور والهوام تأكلها ، وذلك لأن الأرض عندهم مقدسة ، ولا يريدون قذارتها بالجثث .
- نجاسة النفساء وهذا مشهور عن مجوس الهند .
- تقليل الصلوات في الشتاء إلى أربع مرات بعد أن كانت خمساً.
- ألغوا حد الزنا ، وذلك طبيعة حتمية لنكاح المحارم .

---

[1] انظر : موسوعة تاريخ إيران السياسي ، ص : ١ / ٥٥ ، ٥٦، ٥٧.

[2] انظر : زرادشت والزرادشتية ، ص : ٩١ — ٩٤ .

- جعلوا النار بمنزلة القبلة ، ولذلك كان العرب يطلقون على النار كعبة زرادشت .

إلى غير ذلك من التحريفات التي حرفت عن تعاليم زرادشت ، وهذا الكلام يبين أن المجوسية اليوم ومن قبل ، دين محرف ووثني ، سواء قيل بنبوة زرادشت أم لا ، فتلك التعاليم المجوسية الوثنية والإباحية لا يمكن أن تكون من بقايا النبوة ، ولم يبق لهم من تعاليم زرادشت التي يزعمون أنه أصلح المجوسية إلا مجرد الانتساب ، وإلا فهي المجوسية الوثنية الفارسية ، التي كانت منتشرة في إيران وما حولها ، ومع هذا فقد كانوا متعصبين جداً لها ، وهي أشبه بالديانة القومية ، فلا يُعرف عن المجوسيين الدعوة لدينهم ، وهذا كان سبباً لعنصريتهم من الناحية الدينية ، بل كانت بعض البلدان العربية تحت حكمهم كالحيرة ، ولكن لم يعرف أنهم تمجسوا أو دُعُوا لذلك ، بل كانت النصرانية موجودة في أهل الحيرة دون المجوسية ، وهذا يؤكد ما تقدم أنهم يرون ديانتهم قومية لا تصلح في غيرهم . وقد وُجد في بعض أجزاء الجزيرة العربية من قيل أنهم دخلوا في المجوسية ، في اليمن بعد حكم الفرس لها ، والبحرين وعُمان [١].

وفي العصر الحاضر لا يزال من يدعي أنه على الزرادشتية من الفرس ، وهذه الطائفة موجودة في إيران[١] والهند ، وبين الفريقين علاقة وتقارب ، وفي الهند في بومباي بشكل كثيف وظاهر ويطلقون عليهم : بارسيس ، ويمارسون طقوسهم القديمة التي عرفت عن الزرادشتية كلبس الحبل المقدس أو الزنّار ، والعناية بمعابد النار ، وأشهر معبد لهم في الهند يُدعى : (آتش بهرام) ، وكذلك وضعهم للأموات في الأبراج بدون دفن لا يزال موجوداً ضمن طقوسهم ولهم نشاطات تجارية وسياسية في الهند ، ما يدل على التقارب الديني بين الطائفتين ، والاعتراف من قبل الحكومة الهندوسية بهم [٢].

---

[١] انظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦ / ٦٩٣– ٦٩٥

[١] في مدينتي يزد وكرمان .

[٢] انظر : زرادشت والزرادشتية ، ص : ١٠١ – ١١٢ ، والمعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف... ، سهيل بكار : ٢ / ٤٥٧ – ٤٦٠ ، والفرْس... ص : ٤٦ – ٧٨ .

المانوية

نسبة إلى ماني بن فاتك الحكيم ، من إحدى الأسر الإشكانية الإيرانية الدينية ، وأبوه كان سيداً فيها ، ولد بعد ميلاد المسيح عليه السلام ، عام ٢٤١م ، وكان ظهوره في زمن الملك سابور بن أردشير ، وهو الذي أعطاه الإذن في دعوته ، وقد نشر تعاليمه في إيران ، ومركزه الرئيسي شمال شرق إيران ، وقد سافر في بعثات للهند ، وتأثر بدعوته حتى المسيحيون [١].

أصول دعوته : كان ماني يقول بوجود الأصلين ، النور والظلمة ، لكنه خالف المجوسية بأنه قال بأن الأصلين كليهما أزليين ، وأما المجوسية فتقول بأن أصل الظلمة محدث ليس كأصل النور. ومن جهة المزاج والخلاص فاختلفت فيه المانوية ، فذهب بعضهم إلى أن النور والظلام امتزجا بالخبط والاتفاق ، لا قصداً واختياراً ، وذهب منهم إلى أن الروح لما نظرت للبلدان انبعثت الأبدان ومازجت النور . وعندهم بأن النور راجع لخمسة أجناس ، والظلمة كذلك .

وقد زعم ماني بأن عالم النور لا تخلو منه أرض ولا سماء ، ولا حد له . وعن عقيدته في النبوة : فأولهم عنده آدم ثم شيث ثم نوح ثم إبراهيم ثم قال يبعث البدد وهو نبي الهند — حسب زعمهم — ثم زرادشت لفارس ، ثم المسيح نبي إلى الروم والمغرب ، وقال بنبوة بولس ، ثم بشر بخاتم النبيين بأرض العرب [١].

وقد تأثر ماني بالنبوات قبله ، فالمانوية خليط من النصرانية والمجوسية ، أخذ عنهم فكرة التثليث ، وعن الهندوسية التناسخ ، وكذلك تأثر بالبوذية في مخالفتها للهندوسية ، فغير بعض تعاليم المجوسية ، وكانت المانوية من الفرق التي لها وجود في الفرس ، فهي مذهب مجوسي مشهور . وقد ذكر الإمام الزيدي – القاسم الرسي[٢] – أن ابن المقفع على المذهب المانوي ومما ذكر عنه أنه —

---

[١] انظر : الملل والنحل ، ١ / ٢٠٩ ، إيران في عهد الساسانيين ، ص : ١٦٩.

[١] انظر : الملل والنحل ، ١ / ٢١٣ ، موسوعة الأديان القديمة ... ، ص : ١٣٨ — ١٤١

[٢] هو القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الحسني العلوي ، كنيته أبو محمد ، واشتهر بالرّسِّي نسبة لجبل بالقرب من ذي الحليفة على ستة أميال من المدينة ومات أيضاً فيه ، كان مولده في : ١٦٩هـ ، وتوفي عام ٢٤٦هـ ، من أئمة الزيدية ، وهو شقيق ابن طباطبا ، وقد ذكر الزركلي كتابه الرد على ابن المقفع ضمن مؤلفاته المطبوعة ، انظر : الأعلام ٥ / ١٧١

أي ابن المقفع – يقول : لا يرى شيئاً في الأشياء إلا مزاجاً مختلطاً ، وأن النور والظلمة هما الجهل والحكمة ، وذكر عنه نصوصاً تدل على الزندقة وعدم الانقياد للإسلام ، وتدل على موقفه الشعوبي [(١)].

نهايته : وصف ماني بالزندقة ، قيل أن سبب ذلك : لما وضع لكتاب الأبستاق تفسيراً سماه : (زندي) ، وجعل للتفسير أيضاً شرحاً ، فكان من عدل عن الكتاب الأصل للشرح وصفوه بزندي ، بمعني التحريف وتركه للنص المقدس ، وأصبح اللفظ متداولاً حتى اشتهر بلفظ (زنديق) عند العرب ، وكانت مخالفة ماني للمجوس ووصفه بالزندقة سبباً لتأليب الملك بهرام عليه ، وقتله ، وأصبحت المانوية بعد قتل ماني محظورة ومضطهدة من قبل الملوك الساسانيين ، فاضطر أهلها للتكتم والسرية ، وقد جعلوا يوم مقتل ماني عيداً ومناسبة يحتفلون فيها ويحيون ذكراه ، واستمر وجود المانوية إلى العهد العباسي[(١)].

المزدكية

وهي من الفرق المجوسية المشهورة التي ظهرت قديماً قبل الإسلام ، وكانت مصدراً قوياً للفكر الشعوبي ، بل كانت تعاليم المزدكية الإباحية ومعتقداتها المجوسية الوثنية [(٢)]، رافداً رئيساً للحركة الشعوبية بعد الإسلام ، ومصدراً للفكر العدائي على المسلمين ، فالبابكية امتداد لها ، وقد تقدم الكلام عليها [(٣)]، وقد فصّل في خروجها وأثرها المجوسي ، وأنها أول من دعا لمذهب التعطيل في العالَم ، نظام الملك السلجوقي في كتابه سياست نامه [(٤)].

ومؤسسها هو مزدك الفارسي المجوسي ، لم يكن مشهوراً بأنه من كبار الموابذة أو كهنة المجوس

---

(١) والكتاب مطبوع باسم : نقد المسلمين للثنوية والمجوس مع الرد على ابن المقفع ، وهو ضمن رسائل محققة للمؤلف ، انظر ، ص : ٩٤ وما بعدها ، وانظر : صفحة ٢١١ ، ٢٤٨ من هذا البحث .

(١) انظر : المعجم الموسوعي : ٢ / ٧٧٥ ، والفرْس ، ص : ٨٠ – ٨٤، وموسوعة تاريخ إيران : ١ / ٨٨.

(٢) انظر : إغاثة اللهفان ، ص : ٧٤٧

(٣) انظر صفحة : ٦٠ ، ٢٧٥ من هذا البحث .

(٤) انظر : ص : ٢٢٩ – ٢٤٦ . ويعرف الكتاب أيضاً باسم : سيَر الملوك ، وانظر عن سيرة نظام الملك وكيفية اغتيال الشعوبيين الباطنيين له ، ص : ١٨٨ ، ١٨٩ من هذا البحث .

، بل كان أقرب لكونه جندياً منفذاً للتعاليم التي تُملى عليه . وكان في بداية أمره متبعاً لماني إلا أنه خرج عن دعوته وخالفه في أصل من الأصول ، حيث زعم مزدك أصل الظلمة والشر يفعل بالاتفاق والخبط لا القصد والاختيار كأصل النور والخير ، وهذا يخالف ما عرف عن ماني ، وكذلك ضاق ذرعاً بالنظام الطبقي المجوسي ، فخرج عن الانقياد له ودعا إلى مساواة الناس جميعاً والاشتراك في الحظوظ الدنيوية ، ولما كان غالب ما يحتاج إليه الناس هو المال والنساء ، جعل الناس شركاء في ذلك كشركهم في الهواء والماء والكلأ ، وكانت دعوته هذه أشبه بالاشتراكية المعاصرة . وأباح لمن تبعه النساء والتمتع بهن ، وأحل لهم المحرمات ، لأنه بزعمه أن حاجات الناس لا يسدها إلا أن تكون مباحة لهم ولا يتقيدوا بقيد ، حتى تذهب عنهم نزعة الشر والعدوان. وقد كان يتعمد أن يكون أتباعه السفلة من الناس والموالي ومن لا يعرف بالتدين أو العفة من أهل الفسق والمجون والفجور ؛ ولذا كثر أتباعه وتقووا ، خصوصاً لما فتح عليهم الإباحية وأقنعهم بما في أيد السلطان من حقوقهم المسلوبة ، فقدسه أتباعه وعظموه . وكان يحرضهم على العلماء والأمراء ، وأصبح وجوده يهدد الموابذة الزرادشتيين [1].

كان مزدك يقول بأن : المعبود قاعد على كرسي في العالم العلوي كجلسة الملك خسرو في العالم الأسفل ، وهذا يدل على قولهم بالتشبيه في الصفات ، ولعل ذلك من تأثر الفرس المجوس باليهود الذين اشتهروا بالتشبيه ، ويشبه في أصوله بالمانوية إلا أنه يقول بأن الظلمة والمزاج والخلاص تفعل على الخبط والاتفاق لا القصد والاختيار. لكن المشهور عن هذه الفرقة والغالب عليها هو الدعوة للأمور الإباحية ، والاشتراك في الأموال ، وكان يسمي هذا المذهب بالعدل ، وهي أشبه بالثورة الفكرية والاجتماعية على التعاليم الزرادشتية المجوسية [2].

وأما عن ظهور دعوته ، فقد كانت أيام الملك الفارسي الساساني ، قباذ بن فيروز بن يزدجرد والد كسرى أنو شروان ، وقد أغرى مزدك الملكَ بمذهبه وزين له اتباعه بالخدع والتنجيم والمخاريق ، وأنه سيعظم أمره ويسحب البساط من تحت كهنة المجوس والزرادشتية ، وسيتحكم فيهم ، فأكرم مزدكاً وتبعه على مذهبه ، وصار المزدكيون لهم حظوة عند الملك ، وبهذا ازداد شرهم

[1] انظر : موسوعة الأديان القديمة ... ، ص : ١٤٢ – ١٤٥

[2] انظر : الملل والنحل ١ / ٢١٣ ، ٢١٤.

وطغيانهم ، وأصبح الناس لا يتبعون إلا أفعالهم . فبدأ الموابذة يؤلبون الجنود والوزراء والناس على الملك وأنه خرج عن نور المُلْك الإلهي ؛ لأنه أطاع الزنديق مزدك وبدل دين أجداده ، فثاروا على الملك قباذ وخلعوه وأدخلوه السجن ، ونصّبوا أخاه جاماسب مكانه . وأما مزدك فهرب لأذربيجان واستمر في دعوته هناك . لكن الملك قباذ استطاع أن يخرج من السجن ، واستطاع فيما بعد أن يعود للملك ويمسك بزمام الأمور بعد أن أعلن ظاهراً تبرؤه من مزدك ومذهبه[1].

وأما نهاية مزدك فقد كانت بعد تولي ابن الملك قباذ ، أنو شروان الملك بعد أبيه ، حيث أن الملك قباذ لما أعجب بابنه ورأى فيه صفات القوة والقيادة ، سلمه الملك . وكان أول ما صنعه أن أقنع والده بالتخلص من مزدك ومذهبه ، واستطاع بحيلته أن يستدرج مزدك وأكبر رجالاته إلى إيوانه على مائدة أعدها لهم ، وأن يقتلهم جميعاً [2]. لكن تعاليم مزدك ومذهبه لم تتوقف بل استمرت حتى بعد الإسلام ، وكان من أسباب عودة ظهورها وقوتها ، ظهور أبي مسلم الخراساني ودعوته للعباسيين ، فأصبح نشاطهم بعد ذلك علناً ، ومن المزدكية خرجت أخطر الفرق الشعوبية ، كالراوندية والأبو مسلمية والخرّمية والمقنعية والقرامطة والباطنية ، وغيرها من الفرق الشعوبية التي تعود في أصولها للمزدكية المجوسية [1].

كانت هذه أهم الفرق المجوسية التي كانت مصدراً للفكر الشعوبي ومغذياً لحركتها العدائية ، وبهذا أختم الكلام في هذا المبحث عن مصادر الشعوبية التي كانت لا تخرج عن الأديان المشهورة المحرفة أو الباطلة ، والتي كانت أيضاً باباً لأخطر العقائد والمذاهب الفكرية الهدامة التي اعتنقها الشعوبيون قديماً وحديثاً ، وحرفوا بها معتقدات الناس ، وبثوا فيهم الجرأة والتعدي على حدود الله سبحانه ، وعلى رسله عليهم الصلاة والسلام ، وسيأتي التفصيل عن أبرز تلك المعتقدات والمذاهب الشعوبية في المبحث القادم إن شاء الله تعالى .

---

[1] انظر : فارس نامه ، ص : ٣٣ ، ٨٢ — ٨٤.

[2] انظر : موسوعة تاريخ إيران السياسي ، ص : ١ / ١٠٢ — ١٠٨ .

[1] انظر : الفرق ، ص : ٢٧١ ، والفرْس... ، ص : ٨٤ — ٨٨ .

المبحث الثاني : أبرز العقائد والمذاهب الفكرية التي يعتنقها الشعوبيون

أولاً : التناسخ

من العقائد القديمة التي اشتهرت عند أتباع الديانات القديمة ، ومفهومها : انتقال الروح من جسم لآخر ، حسب حال صاحبها من اتصافه بالخير أو الشر ، ويزعم القائلون بالتناسخ بأن سببه أن الروح تخرج من الجسم وما زال لها شهوات وميول متعلقة بالعالم المادي السفلي ، وكذلك يقولون أن الروح تخرج وما زالت ملتزمة تجاه غيرها بديون ومتطلبات لا بد من وفائها . ولا تلازم بينها وبين الحلول والاتحاد ، فالتناسخ هو علاقة بين مخلوق وآخر – على اختلاف بين الفرق التناسخية في حصر بعضها التناسخ بين البشر ، وبعضهم يجعله بين البشر والحيوانات – ، أما الحلول والاتحاد فهو علاقة بين الخالق والمخلوق [(١)].

وأشهر الديانات قولاً بالتناسخ وكانت مصدراً للشعوبية — الهندوسية – ، التي يعتبر عندها التناسخ عقيدة أساسية ، ولذا يقول البيروني : (كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين ، والتثليث علامة النصرانية ، والإسبات علامة اليهودية ، كذلك التناسخ علم النحلة الهندية ، فمن لم ينتحله لم يك منها ، ولم يُعَد من جملتها ...) [(١)]. وهذه العقيدة بناها أصحابها على مبدأ الثواب والعقاب ، الذي عرف فيما بعد عند الهندوس بقانون الجزاء (الكارما) [(٢)] ؛ حيث أن الديانات الهندية قائمة على تخليص الروح من الشرور والآفات التي تحيط بها ، وذلك لا يكون عندهم إلا بالثواب أو العقاب . ولأن الروح عندهم شيء أزلي لا يفنى ولا يبيد ، ولا بد من تخليصها من الجسم والمادة ، ابتدعوا هذا الحل ، وهو القول بانتقال الروح لجسم آخر سواء بشري أو حيواني ، وهذا الانتقال يجعلون له نهاية ، وهي النجاة التي ليس بعدها انتقال ، الذي عرف فيما بعد عند الهندوس بـ (النرفانا)[(٣)]. غير أن هذه المرحلة لا يصل إليها إلا بعد أن

---

(١) انظر : والملل النحل : ٢ / ٥٤، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، ص : ٦٢٢ ، وأطلس الفرق ، ص : ٦٤ ، وانظر : تناسخ الأرواح ، طارق سري ، ص : ٥ – ٩

(١) تحقيق ما للهند من مقولة ... ، ص : ٣٨ .

(٢) انظر : أديان الهند الكبرى ، ص : ٥٩ ، ٦٠ ، وتناسخ الأرواح ، ص : ٢٥.

(٣) انظر : تحقيق ما للهند من مقولة ، ص : ٣٨ — ٦٧ ، ودراسات في ... أديان الهند ، ص : ٦٣١

تكون الروح صافية من كل شيء حيث لا تبقى بعدها محتاجة للتناسخ ، فترتفع وتلحق بالروح العليا ، ويقصرون هذه المرحلة من النجاة على طبقة البرهما الهندوسية ، ومن خلال هذه العقيدة جاء القول بوحدة الوجود عند الصوفية [1].

ثم انتشرت هذه العقيدة عند كثير من الفرق والديانات قبل الإسلام وبعده ، فأما قبل الإسلام فعرف القول بالتناسخ عند المانوية ، حيث يقرر ماني الحكيم المجوسي بأن الأرواح قسمان : صدّيقية وضالة ، فأرواح الصديقيين إذا قارنت أصحابها تكون في عمود لتتصل بالنور العلوي ، وتستمر منعمة في ذلك العالم النوري العلوي . وأما أرواح أهل الضلال فلا تُمكَّن من الصعود لأعلى إذا حاولت ، فترد لأسفل حتى تنتقل إلى الحيوانات والطيور والوحوش ، حتى إذا ما صفيت وهذبت ، سُمح لها بالصعود لعالم النور الفوقي [1].

وكذلك عرف عن اليهود القول بالتناسخ ، وتكرار انتقال الروح من جسد لآخر ، حسب ما قدمه صاحبها من خير أو شر ، ومما ارتبط بهذه العقيدة عند اليهود ، أنهم يتبركون ببعض قبور حاخاماتهم أملاً في أن تحل روحه فيمن تبرك به ، ومن أشهر الأمثلة على ذلك ، ما يسمى في الطقوس اليهودية بزيارة قبر أبي حصيرة في مصر ، حيث يتعمد اليهود زيارته والتبرك به ، ولهم يوم في كل عام يجتمعون عنده ويجعلون له مراسم وطقوس[2]. ومن قولهم بتناسخ الروح وعقابها ، زعمهم بأن الله مسخ القائد بختنصر الذي أجلاهم وشردهم عن بيت المقدس ، في سبع صور وأشكال من الحيوانات يتنقل بينها ، جزاءً على تعديه عليهم كما يزعمون [3] .

وقد وصلت هذه العقيدة للعرب ، ووجد منهم من يقول بأن الروح إن خرجت تصير طيراً ، فإن كان صاحبها خيّراً صارت روحه من صالح الطيور ، وإن كان ذا شرّ كانت من شر الطيور وأفسدها . وهذا لا يُستبعد خصوصاً أن إنكار البعث والحساب كان مشهوراً عندهم ، إذ كانت

---

(1) انظر : دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، ص : ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، وأديان الهند الكبرى ، ص : ٦١ – ٦٧

(1) انظر : الفرق ، ص : ٢٧٥ ، ٢٧٦، وموسوعة الأديان القديمة ... ، ص : ١٣٩ ، ١٤٠

(2) انظر : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية : ٥ / ٢٨٤ ، وتناسخ الأرواح ، ص : ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ .

(3) انظر الفرق : ص : ٢٧٦

الآيات القرآنية التي تنزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم تعالج هذا الأمر عندهم . وقيل إن تشاؤمهم بالهامة من الطيور أو البوم لزعمهم أن الميت إذا وُضع في قبره ، اجتمع في دماغه الدم ، وخرجت منه مثل الهامة ، ثم تعاود زيارة قبره كل مائة سنة ، والحاصل أن التناسخ وُجد تأثيره حتى عند العرب قبل الإسلام [١].

وأما بعد الإسلام فقد عُرف عن الفرق الشعوبية كافة القول بالتناسخ ، ومن أشهرها السبئية وغلاة الرافضة والقدرية ، حيث زعمت السبئية أن روح الإله حلت في علي بن أبي طالب [٢]. ومن غلاة الرافضة الذين اشتهر عنهم هذا القول : عبد الكريم بن أبي العوجاء ، وكان مانوياً يقول بالتناسخ ، وهو ممن أفسد على الشيعة دينهم ، وأحل فيهم ما كان حراماً ، وحرم فيهم ما كان حلالاً ، وأول من جعلهم يعتمدون في صيامهم على حساب أحدثه لهم وحرفهم عن حساب الأهلة [١].

وكذلك اشتهر القول بالتناسخ عن أبي مسلم الخراساني ، الذي لم يقتصر دوره الشعوبي على الناحية السياسية والعسكرية فقط ، بل تعداه إلى الجانب الفكري والعقدي ، حيث يقول بالتناسخ ، وزعم أن الله خلق الأرواح ثم كلفها ، وعلمت الأرواح مَنْ سيطيع ومن سيعصي ، فانتقلت إلى أجسامها المناسبة لها ، عقوبة لها على ذلك [٢]. وكذلك الكاملية من الرافضة قالت بالتناسخ ، ويكاد جميع غلاة الرافضة تقول بهذه العقيدة [٣]. ومثلها المقنعية التي زعم زنديقها المقنع الضال بأنه صار رباً بعد أن تحول الرب إلى صورة آدم وأسجد الملائكة له ، تنقلت الروح حتى وصلت لأبي مسلم الخراساني ، ثم إليه [٤] ، قاتله الله ، ونعوذ بالله من هذه الزندقة .

---

[١] انظر : أديان العرب في الجاهلية ، محمد الجارم ، ص : ١١٥ ، والملل والنحل : ٢ / ٢١٦ ، ٢١٧ ، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ٦ / ١٣٦ – ١٤٢.

[٢] انظر : الفرق ، ص : ٢٧٧ ، وعبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ، ص : ٢١٣

[١] انظر : الفرق ، ص : ٢٧٨ ، وميزان الاعتدال : ٢ / ٦٤٤

[٢] انظر : الفرق ، ص : ٢٨٠

[٣] انظر : الملل والنحل ١ / ١٤١

[٤] انظر : الوافي بالوفيات ، ٢٠ / ٨٠ ، ٨١ .

ومن الفرق التي قالت بالتناسخ أيضاً وكان لها دور في نشر الفكر الشعوبي الباطني المجوسي: الخابطية المعتزلية القدرية ، أتباع : أحمد بن خابط [1] ، حيث زعم أن المكلف هو الروح ، وأن الأجسام ما هي إلا قوالب للأرواح . وأن الروح هي الحي العالم القادر ، وزعموا أن جميع الحيوانات جنس واحد ؛ ولعل ذلك لاعتبارهم أن التكليف للروح لا البدن وأن الجسم مجرد قالب لها. ومن ضلالات هذا الرجل قوله : إن الله قد خلق خلْقاً وأكمل عقولهم في دنيا قبل هذه الدنيا ، وفطَرهم على ذلك وأنعم عليهم أيضاً ، وأن وجودهم اليوم هو نتيجة لدور سابق ، سبق هذا الكون ، وهو يشبه قول الهندوس . ومن ضلالاته أن الحيوانات مكلفة ، وأن التكليف قد توجه إليها فمن أطاع منهم جعله في تلك الدار منعماً ، ومن خالف وعصى أُخرج من تلك الدار عقوبة له إلى هذه الدنيا للعذاب الدائم ، ويكون مبتلىً بالآفات والشرور ، وفي هيئات من الطيور والسباع والحشرات وغيرها . وكل صورة من حيث القبح والحسن على حسب معصية ذلك المكلف في تلك الدار. كما زعم بأن كل نوع من الحيوان يأتي إليه رسول من الله ، وأن عوده لتلك الدار ذات النعيم مرهون بطاعته وانقياده في هذه الدار . وقد شابهت الخابطية الفرق المجوسية الشعوبية في إثبات خالقين اثنين ، حيث يزعم ابن خابط أن للخلق ربين ، أزلي هو الله ، ومخلوق وهو عيسى عليه السلام ، وزعم أن عيسى هو الذي سيحاسب الناس يوم القيامة ، وهو الذي خلق آدم على صورة نفسه ، وبأن المقصود في الحديث : (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر)[1] ، هو عيسى عليه السلام ، وهذا يدل على تأثره بالنصرانية [2] ، مما يؤكد أن النصرانية من مصادر الفكر الشعوبي القديم ، كما تقدم ذكره في المبحث السابق .

---

[1] هو أحمد بن خابط المعتزلي ، رئيس فرقة الخابطية المعتزلية ، كان ملازماً للنظّام المعتزلي وأخذ بمذهبه ، وزاد عليه عقائد كفرية وزندقة ، كغلوه في عيسى عليه السلام وزعمه بأنه سيحاسب الخلق يوم القيامة ، وقال بالتناسخ ، وزعم أن كل أمة من الحيوانات لها رسول ، وكان مهتماً بالفلسفة فمزجها بالاعتزال ، وله خرافات وأباطيل ، انظر : الوافي بالوفيات : ٦ / ١٨٦ ، ولسان الميزان لابن حجر : ١ / ٤٤٩ ، وموسوعة الفرق والجماعات والمذاهب ، عبد المنعم حفني ، ص : ٢٠٢.

[1] أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر ، برقم : ٥٢٩.

[2] انظر : الفرق ، ص : ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة : ١ / ٣٥٦ ، والملل والنحل ١ / ٥٠ – ٥٣ ، والفصل : ١ / ٢١٤ – ٢٢١ .

ثانياً : الحلول[1]

كانت العقيدة الحلولية من العقائد التي لازمت الحركة الشعوبية ، وهي من آثار التناسخ ، إذ إن استقرار الروح عندهم بعد تناسخها شيء لا بد منه ، وذلك راجع لحال الروح من حيث خيريتها أو اتصافها بالشر ، والذي يظهر أن الفرق الشعوبية التي قالت بالحلول ، هو بالنسبة لهم من باب الجزاء على الإحسان والخير ، بعكس التناسخ . وسواء كان الحلول عندهم للجزاء على الإحسان والتناسخ بعكسه ، فالمهم أن الحلول كان حاضراً وبوضوح عند الشعوبيين منذ القديم . وهذه العقيدة الزائفة يهدفون بها إلى تعطيل الذات الإلهية ، والصفات القدسية ، وتشبيهه بالمخلوقات ، بل تفضيل المخلوقات عليه ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وقد كان الحلول قبل الإسلام معروفاً عند الهندوس[1] والبوذيين[2] واليهود[3] والنصارى ، فالهندوس يعتقدون بحلول روح الإله في روح البراهمة ، وذلك حين يبلغ الصفاء والنور غايته . ومثلها البوذية يعتقدون أن الرب حل في بوذا ، ثم زعموا تأليهه وعبدوه . والنصارى في هذا الباب مشهورون بقولهم أن روح القدس حل في عيسى عليه السلام ، وهذا عندهم من الحلول الخاص .

---

[1] يطلق الحلول في الاصطلاح ويراد به : أن يحل أحد الشيئين في الآخر ، وهو نوعان : سَرَياني ، وجواري ، فالسرياني : اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر ، كحلول ماء الورد في الورد ، فيكون الساري حالاً ، والمسري فيه محلاً ، وأما الجواري فهو : أن يكون أحد الجسمين ظرفاً للآخر ، كحلول الماء في الإناء ، ويراد به عند القائلين به ، حلول الله — سبحانه — في مخلوقاته أو بعض مخلوقاته . وأقسامه ، قسمان : الأول : حلول عام ، وهو : اعتقاد أن الله تعالى قد حل في كل شيء ، أي : إثبات لوجودين بحيث يمكن انفصال أحدهما عن الآخر ، وهذا قول الجهمية . الثاني : حلول خاص ، وهو : اعتقاد أن الله — تعالى — قد حل في بعض مخلوقاته مع اعتقاد وجود خالق ومخلوق ، كاعتقاد بعض النصارى أن الله حل بعيسى عليه السلام ، وأن عيسى له طبيعتان ، لاهوتية وناسوتية ، وكذلك قول النصيرية أن الله حل في علي بن أبي طالب ، وكحال الدروز في اعتقادهم في الحاكم بأمر الله . انظر : مصطلحات في كتب العقائد ، محمد الحمد ، ص : ٤٠ — ٤٣ .

[1] انظر : أديان الهند الكبرى ، ص : ٦٥ ، ٦٦

[2] انظر : البوذية وعلاقتها بالصوفية ، ص : ١٧٨ ، ١٧٩

[3] انظر : موسوعة اليهود واليهودية والصهاينة ، ٥ / ٣٠ — ٣٥

وأما المجوس فعلى دين ملوكهم الأكاسرة ، حيث أن الملِك عندهم جزء من النور الإلهي [1]، وكل تلك الديانات كانت مصادر للفكر الشعوبي الباطني .

وأما بعد الإسلام فقد اشتهرت أغلب الفرق الشعوبية بالحلول ، كالسبئية [2]، وغلاة الرافضة ، ومنها : البيانية من غلاة الرافضة ، أتباع بيان بن سمعان ، حيث زعموا أن روح الإله تنقلت في الأشياء إلى أن انتهت إلى علي بن أبي طالب ثم لابن الحنفية ثم لابنه أبي هاشم ، حتى استقرت في بيان بن سمعان ، ثم زعموا ألوهيته ، وزعموا أن أبا هاشم نص على إمامة بيان زعيمهم . والبيانية تزعم أن الله – تعالى سبحانه – على صور الإنسان ، وأنه يهلك كله إلا وجهه ، ومن خزعبلاته أنه يزعم أن كوكب الزهرة يأتي إليه حين يدعوه ، وهذا لا يستغرب منهم ، فقد عرفوا بالشعوذة والسحر والتنجيم [1].

والجناحية كذلك قالوا بالحلول ، وزعموا أن روح الإله حلت في علي وبنيه ، ثم انتهت إلى عبد الله بن معاوية [2]، وحلت فيه . وكانت الجناحية تنكر القيامة والجنة والنار ، وأن الدنيا لا تفنى ، ويستحلون الخمر والميتة ، واستحلوا المحرمات ، وفيهم التأويل الباطني ، وقد كانت الجناحية من الفرق التي تشارك في الثورات على الدول الاسلامية ، وعبد الله بن معاوية ممن خرج على العباسيين . ومن غلوهم في هذا الرجل أنهم يزعمون أن العلم ينبت في قلبه كما ينبت العشب ، ويقولون بالتناسخ ، وأن روح الله حلت في آدم ، ثم ادعوا له النبوة ثم الألوهية بعد زعمهم حلول

---

[1] انظر : موسوعة الأديان القديمة... ، ص : ٩٨ ، ٩٩ ، وانظر : الفرس... ، ص : ١٨.

[2] انظر : مقالات الإسلاميين ، ص : ٣٢ ، عبد الله بن سبأ ودوره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ، ص : ٢١٣

[1] انظر : الفرق ، ص : ٢٦٠ ، والملل والنحل : ١ / ١٢٢ ، والفصل : ٣ / ١٨٣ ، ١٨٤ ، ومقالات الإسلاميين ، ص : ٢٥ ، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة : ٣ / ٤٥٧

[2] عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ممن ثار على الدولة الأموية في آخر عهدها ، وتبعه جمع من الخلق وسيطر على عدد من البلدان في المشرق ، كان قوياً جريئاً على القتال ، اتهم بالزندقة ، قتل عام : ١٢٩هـ ، انظر : الأعلام ٤ / ١٣٩

روح الإله فيه [1].

ومن الفرق الشعوبية المتزندقة التي قالت بالحلول : الخطابية ، أتباع أبي الخطاب الأسدي ، حيث زعموا أن روح الإله حلت في أبي الخطاب ، وقبله في جعفر الصادق ، لكنهم فضلوا أبا الخطاب على جعفر الصادق ، وهذا يدل على كذبهم في التشيع لآل البيت . وقالوا في الحسن والحسين ابنا علي رضي الله عنهم أجمعين ، أنهما أبناء الله وأحباؤه ، مشابهين اليهود في ذلك حين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ، ولا يستغرب ذلك ، فتأثر الفرق الشعوبية باليهودية واضح ومعروف ، وقد سبق بيانه . وعرفوا بالفكر الباطني ، حيث يزعمون أن الرسل لا يزال منهم الصامت والناطق ، فالناطق هو النبي ، والصامت هو علي بن أبي طالب ، وهذا القول قالت به الدروز الباطنيون الذين قالوا أيضاً بالحلول في الحاكم العبيدي [2]. ومن أشهر الفرق الشعوبية القائلة بالحلول : الإسماعيلية ، والتي كان لها أثر كبير في قيام الفكر الشعوبي ، سيما أيام العبيديين [1].

والخطابية من أشهر الفرق الرافضية التي قالت بالحلول ، وأنكرت فناء الدنيا ، وأنكرت الجنة والنار ، واستحلوا نكاح المحارم والخمور والمحرمات ، وقالوا بترك الصلاة ، وفيهم المجوسية واضحة كرأي العين . والبعض يرى أن تلك العقائد التي استقرت عليها الخطابية هي أصل العقائد الإسماعيلية الباطنية [2].

وافترقت الخطابية إلى خمس فرق ، وهم : المعمرية والبزيغية والعميرية والمفضلية ، فالمفضلية غلت في سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وادعت ألوهيته دون غيره من الصحابة ، وهذا ليس لاعترافهم بفضل صحبته للرسول ﷺ ، بل عصبية للعرق الفارسي ، وسلمان رضي الله عنه براء منهم ، ثم انتهت المفضلية هذه إلى البراءة من أبي الخطاب ؛ لزعمهم بأن جعفر الصادق تبرأ

---

[1] انظر : مقالات الإسلاميين ، ص : ٢٦ ، والفرق ، ص : ٢٦٠

[2] انظر : حل الرموز في عقائد الدروز ، ص : ٢٤٦ - ٢٦٤

[1] انظر : الملل والنحل ، ص : ١/ ١٥٥ — ١٦٢ ، وموسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ، ص : ٣٩ - ٥٠

[2] انظر : دولة الإسماعيلية في إيران ، محمد جمال الدين ، ص : ٢٧، والحركات الباطنية ، ص : ٢٥ .

منه[1] ، وهكذا هم أهل الأهواء والضلال ، كل أمة منهم تلعن أختها .

ومن الفرق الشعوبية التي قالت بالحلول : الأبو مسلمية ، حيث زعموا أن روح الإله حلت في أبي مسلم الخراساني [2]. وكذلك النصيرية ، قالوا : بالحلول في خمسة أسماء وهم : النبي وعلي والحسن والحسين وفاطمة ، وعظموا ابن ملجم قاتل علي ؛ لزعمهم أنه خلص روح اللاهوت من الناسوت [3]. والمقنعية من الفرق الشعوبية التي قالت بحلول الإله في المقنع زعيمهم ، ثم ادعوا له الألوهية [4]، وقد تقدم الكلام عنهم سابقاً ، وكذلك الخرمية [5].

وأختم الكلام عن الفرق الشعوبية التي قالت بالحلول ، بفرقة : الحِلْمَانية ، أتباع أبي حِلْمان الدمشقي ، وأصله فارسي ، نشأ في حلب ونشر بدعته فيها ، ومن زندقته أن كان يقول أن الإله يحل في الصور الحسنة ؛ ولذا حين يشاهدون شخصاً صورته حسنة يخرون له سجوداً ، زعموا بأن الإله حل فيه ، ثم قالوا بذلك في الحيوانات والأشجار والطيور وغيرها من الحيوانات . ومن زندقته استحلاله وإباحيته كل شيء ، وتحليل ما حرم عليهم ، وذلك في حق من تبعه . ومن تأويلاتهم الباطنية في استدلالهم على الحلول ، قولهم أن الله حل في آدم ثم أمر الملائكة أن تسجد له [1] ، تعالى الله سبحانه وتقدست أسماؤه وصفاته ، وقاتل الله أولئك الشعوبيين الزنادقة .

وفي العصر الحديث انتشر بين المسلمين ما هو متأثر بمبدأ النجاة والتصفية (النرفانا) ، ومحاولة الوصول بالشخص إلى مرحلة يفعل من خلالها ما يريد ، ولا تحد طاقته بشيء ، حتى تتعدى ما هو فطري ومقطوع به ، كعدم التأثر بالمشي على الجمر أو حمل ما ينوء به الجماعة من الناس . وجعل أعداء الدين كل ذلك في قالب التدريب والاستشفاء وبرامج العلاج بالطاقات ، التي

---

[1] انظر : الفرق ، ص : ٢٦٠ ، ومقالات الإسلاميين ، ص : ٢٨ – ٣١ ، والملل والنحل: ١ / ١٤٤ ، ١٤٥ ، والفصل : ٣ / ١٨٧ _ ١٨٩ .

[2] انظر : الفرق ، ص : ٢٦١ ، وموسوعة الفرق والجماعات والمذاهب ، ص : ١٧.

[3] انظر : الفصل ٣ / ١٩٠، وصفحة : ١٢٢ من هذا البحث .

[4] انظر : الفرق ، ص : ٢٦٢.

[5] انظر : مقالات الإسلاميين ،ص : ٣٧ ، والفرق ، ص : ٢٧١ ، وأطلس الفرق ، ص : ٣٤ ، ١٠٨.

[1] انظر : الفرق : ص ٢٦٣ – ٢٦٥ ، وأطلس الفرق ، ص : ٩٨ .

أصولها تعود إلى أصول فلسفية وثنية ، هي الفلسفة الشرقية أو الإشراقية [(١)] . والتي من أبرز قواعدها أن الكون جزء واحد ، وكتلة متماسكة . وأن بالجسم طاقة كامنة لا حد لها ، إذا ما وجدت ما يبعثها ويستثيرها . والذي يبدو أن التركيز على كلمة الطاقة في هذا المجال هو من باب التلبيس وتمرير الباطل بالتزويق والتنميق ، وجَعْل هذا الشيء كالشيء المكتسب بالمهارة والممارسة. ولم يتوقف الاعتماد على الطاقات في البشر ، بل نسبوا حتى للجمادات أن بها خصائص للاستشفاء والعلاج ، كالأحجار الكريمة ، حتى أطلق على هذا النوع من البرامج : الأفلاطونية الحديثة [(١)].

ولا شك أن هذا كله من الغزو الفكري الذي يهدف إلى زعزعة عقائد الناس ، وإيقاعهم في حبائل الوثنيات ، وإلا فالمؤمن الموحد يبرأ إلى الله من حوله وقوته ، ويعلم أن ليس بيده شيء ، بل الكون كله بيد الله سبحانه ، والنفع والضر بيد الله وحده. والرسول ﷺ في خطبه يقول: (ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ...)[(٢)] ، وهي أشرف وأتقى نفس منفوسة ، تستعيذ بالله من

[(١)] وهي فلسفة تعود إلى الفلسفة اليونانية الوثنية وامتزجت بالهندوسية والمجوسية ، وسميت شرقية نسبة لفكرة الإشراق الفلسفية التي تقول بأن النور الأول الذي هو نور الأنوار أشرق وأفاض على النور الإبداعي ، وتفرع عنه عدة أنوار تدبر العالم الحسي المشهود ، وهذه الفيوضات عندهم تنتقل بالواحد إلى أن يصل إلى النور الأول ، ثم ينتهي إلى التقاء الشهود بالوجود ، انظر : تاريخ الفكر الفلسفي ، محمد أبو ريان ، ص : ٤١٠ ، ٤١١ ، وأصول الفلسفة الإشراقية للمؤلف نفسه ، ص : ٥٨ ، ومن أشهر رموزها : الشهاب السهروردي ، وسُهْرَورد من قرى زنجان بعراق العجم ، واسمه : يحيى بن حبش بن أميرك ، كان منحل العقيدة ، أفتى العلماء بقتله ، فقتل في سجن حلب ، عام : ٥٨٧هـ ، بأمر القائد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله ، وذكر في سيرته أنه رديء الهيئة ، لا يعتني بغسله ولا بجسده ، انظر : وفيات الأعيان ٣ / ٣٣٥ ، والبداية والنهاية : ١٢ / ١١٥ ، والأعلام : ٨ / ١٤٠ ، ٣ / ٣٦٥ .

[(١)] انظر : تاريخ الفكر الفلسفي ، ص : ٦٨ ، ٦٩ ، وانظر : أثر الفلسفة الشرقية والعقائد الوثنية في برامج التدريب والاستشفاء المعاصرة ، فوز كردي ، ص : ٩ ، ٢١ — ٩٩.

[(٢)] أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب النكاح ، باب في خطبة النكاح ، رقم : ٢١١٨ ، والنسائي في سننه ، كتاب النكاح ، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح ، رقم : ٣٢٧٧ ، وهو جزء من خطبة الحاجة .

شرها على الدوام ، فكيف بغيره ؟! ، وفي الأثر :(ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين)[1].
والاستشفاء المباح له أسبابه الشرعية ، والحسية المعقولة ، المقبولة عند أهل الشأن والمختصين .

ثالثاً : الاتحاد[2](وحدة الوجود)

وقد عرف الاتحاد قديماً عند الهندوس في الهند ، حيث يعتقد الهندوس بالنرفانا ، وهي بمعنى : النجاة ؛ لأن الديانات الهندية تقوم على تخليص الروح من الآفات والتشاؤم ، ولا بد للروح من حالة استقرار تنجو إليها ، هي عندهم اتحاد الروح بالخالق ، والصعود إلى الروح العليا [1].

وقد كان هذا المبدأ الهندوسي أساساً للقول بوحدة الوجود أو الاتحاد ، الذي اشتهرت به الصوفية في الهند أولاً ثم انتقلت لخارجها حتى انتشرت في البلاد الاسلامية ، وهي عند الصوفية باسم الفناء . وكما هو معلوم أن التصوف تأثر كثيراً بالهندوسية والبوذية ، ومما ساعد على دخول الاتحادية الهندوسية في البلاد الاسلامية ترجمة كتاب الفيدات الهندوسي في عهد المأمون في دار الحكمة [2].

---

[1] انظر : السلسة الصحيحة ، ح / ٢٢٧ .

[2] الاتحاد ، هو : امتزاج الشيئين بحيث يكونان شيئاً واحداً ، وهو باصطلاح القائلين به : اتحاد الله – تعالى – بمخلوقاته أو ببعض مخلوقاته ، أو بمعنى آخر : اعتقاد أن وجود المخلوقات هو عين وجود الله – سبحانه وتعالى – ، وهو على قسمين : الأول : عام ، وهو اعتقاد كون الوجود هو عين الله عز وجل ، وهذا هو المعني به عند الاتحادية الصوفية ، كابن عربي ، وابن الفارض ، وغيرهما ، الثاني : خاص ، وهو : اعتقاد أن الله عز وجل اتحد ببعض مخلوقاته دون بعض ، والقائلين بهذا النوع نزهوه عن الاتحاد بالأشياء المستقذرة، وقصروا اتحاده بالأشياء الصالحة ، كالأنبياء والصالحين أو غير ذلك . والفرق بين الحلول والاتحاد ، أن الحلول إثبات لوجودين ، بخلاف الاتحاد فهو إثبات لوجود واحد ، ومن الفروق بينهما ، أن : الحلول يقبل الانفصال ، أما الاتحاد فلا يقبل الانفصال ، وعليه فإن ثمة فرق بين القائل بالحلول والقائل بالاتحاد ، وإن كان كلا القولين كفر وضلال ، انظر : مصطلحات في كتاب العقائد ، ص : ٤٠ – ٤٧ ، وانظر أيضاً : مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ، ١ / ٢٤ .

[1] انظر صفحة : ٢٢٥ ، من هذا البحث .

[2] انظر : دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، ص : ٦٣٢ – ٦٣٥ ، والبوذية ، تاريخها وعقائدها وعلاقتها بالصوفية ، ص : ٤٠٥ – ٤٢٤ .

لقد كانت وحدة الوجود سبباً رئيساً لهدم العقيدة الاسلامية ، وجعل التصوف فكرة باطنية مدسوسة ، حيث أن القائلين بها يصححون كل مذهب وديانة طالما أنه يقول باتحاد الخالق بالمخلوق وأن عين الخالق هو عين وجود المخلوق ، وأن الخلق هو الصورة المتنقلة لذلك الوجود ، وهذا عين الحلول والاتحاد [١]. وعندهم أنه متى ما شهد المريد أنه بحضرة الإله ، فله ما يشاء قوله من الشطح[٢] الصوفي – الذي حقيقته الزندقة والضلال – ، وهذا الشطح الصوفي لا يصل إليه إلا من اتصف عندهم بعدة صفات ، أهمها : أن يكون المتصوف في شدة وجده ، وأن يكون عازماً على التجربة للاتحاد ، وأن يبلغ به العشق لدرجة السكر ، حتى يسمع ما بداخل نفسه ، فيأتيه الهاتف ، ويدعوه للاتحاد ، فيصبح النطق من واحد ، ولا يكون ذلك عندهم إلا بفقد الشعور عن كل مشهود [١]، ونعوذ بالله من الضلالة والعمى . وابن عربي في كتابه الفتوحات المكية متأثر بتعليمات التصوف الهندي ، وكان يزعم أن الحقيقة المحمدية هي وحدة الوجود ، حتى كان يصحح كل اعتقاد حتى لو كان في الأحجار والأصنام ؛ لأن عندهم أن عين الرب هو عين المربوب ، وهي تشبه ما قرره الهندوس بأن كل فكرة توصل إلى الإله فهي صحيحة وديانة يصح التعبد بها . ووصل بهم الغي في هذا الاتحاد أن استعذبوا غزل النساء الجميلات والتربص بهن ، بدعوى أن جمالهن لجمال تعين الوحدة الإلهية فيهن ، وقد عُرف عن ابن عربي غزله لامرأة في مكة ، ولما امتنعت منه لشرفها ، أخبرها أنه اشتهاها لأنه يتشهى فيها أنوثة ربه ، وجسده الفائر ، وقد عرف عن أولئك الأراذل حب التوشيح بالقصائد الغزلية والعشقية [٢]. ولا عجب أن يصدر منه ذلك القول وقد صحح لفرعون الهالك قوله (أنا ربكم الأعلى) ؛ لأنه بزعمه أن الكل أرباباً ، ولذا يقول ابن تيمية عن أولئك : (ويكفيك بقوم ضلالاً ، أن يكون فرعون

---

[١] انظر : بغية المرتاد ، ابن تيمية ، ص : ٤١٨ .

[٢] الشطح : من المصطلحات الصوفية ويعنون بها الكلام الذي يعبرون به عما يفيض عليهم ، وله احتمالان ، حق وباطل ، وينطق به الصوفي باضطراب واضطرار ، انظر : معجم مصطلحات الصوفية ، عبد المنعم حفني ، ص : ١٤٠ ، والفرق ، ص : ٢٦٥

[١] انظر : شطحات صوفية ، عبد الرحمن بدوي ، ص : ١٠ ، ١١

[٢] انظر كتاب : هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل ، ص : ٨٨ – ٩٠ ، والطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها ، عبد الله السهلي ، ص : ٥٥ – ٥٩ .

والدجال ، صادقين على مذهبهم وهما أعظما عدو لله من الإنس ، وأعظم الخلق فرية في دعوى الألوهية) [١].

وخلاصة الحقيقة المحمدية التي دعا إليها غلاة المتصوفة ، أن النبي محمد ﷺ هو واسطة الاتحاد للمخلوقات بفضله وإحسانه ، وكل من لا يشاهد هذه الحقيقة فهو ميت . ويزعمون أن الله عندما أراد أن يجعل شيئاً منه في مخلوقاته ، قبض من نور وجهه وقال لها كوني محمداً ، فكان هو أول المتعينات ، ويطلقون عليها الذات المحمدية ، ومن هذه الذات انبثقت السماوات والأرض ، والدنيا والآخرة ، وكل ما يصدر في هذه الدنيا فهو من عند الذات المحمدية ، وكل الأسرار هي داخل هذه الذات ، هذه هي خلاصة الحقيقة المحمدية عندهم ، فماذا بقي لله سبحانه ؟!! ، وهم بهذا أول الخارجين عند دين محمد ﷺ [٢].

وبعد الحقيقة المحمدية أضافوا إليها الحقيقة العلوية ، واشتهر بها في البداية صاحب الطريقة الصوفية المولوية ، لصاحبها : جلال الدين الرومي[١] ، وتعني : نسبة كل شيء في المخلوقات

---

[١] بغية المرتاد ، ص : ٢٨٣ ، وانظر ، ص : ٢٧٦ ، ٢٧٧

[٢] انظر : كشف حقيقة التصوف لأول مرة في التاريخ ، عبد الرؤوف القاسم ، ص : ٢٨٠ ، ٢٨١، ويقابل معنى – الحقيقة المحمدية – عند الصوفية ، مسمى آخر ، وهو : الإنسان الكامل ، وأصل هذه الفكرة ، يوناني فلسفي باطني ، استخدمه الفلاسفة لمعنى : العقل الفعال أو الكلي ، الذي بلغ منتهى الكمال ، والذي تستمد منه سائر العقول كل شيء ، وعند الصوفية الذي تجتمع فيه الحقائق الإلهية والكونية ، وهو عندهم كذلك غير محصور في عدد محدد من الناس ، بل حق لكل من اجتمعت فيه تلك الحقائق ، وبعض الفرق تحصره في عدد معين ، كالرافضة ، فالإنسان الكامل عندهم ، هم : الإئمة الاثني عشر ، من علي بن أبي طالب إلى قائمهم المهدي ، فيحصرونه في أئمتهم ، بخلاف الصوفية ، وهناك بعض الفرق خالفت في اطلاقها لوصف الإنسان الكامل ، كالنقطوية ، وسيأتي بيانه عند البحث عنها ، انظر : معجم التعريفات ، للجرجاني ، ص : ٣٥ ، والمعجم الفلسفي ، مراد وهبه ، ص : ١٠٤ ، والإنسان الكامل في الإسلام ، عبد الرحمن بدوي ، ص : ١١٣ ، والإنسان الكامل في الفكر الصوفي ، لطف الله خوجه ، ص : ١٤٦ .

[١] هو : محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخي القونوي الرومي ، فقيه حنفي ، متصوف ، صاحب الطريقة المولوية ، ولد ببلخ عام ٦٠٤هـ ، وانتقل مع أسرته لبغداد ، تولى التدريس في قونية بعد ذلك

=

لعلي بن أبي طالب ، كما قالوا في الرسول ﷺ ، وأن صورة علي تكونت منذ كانت صورة العالم ، وأن كل شيء في الآفاق لمن تأمله هو علي نفسه ، وأنه سر العالمين الظاهر والباطن [1] ، – وأستغفر الله من كل كفر وشرك مبين – .

وقد فتحت هذه العقيدة الفاسدة أبواب الزندقة على مصارعها ، وساعدت الحركة الشعوبية في محاربتها وهدمها للعقيدة الإسلامية ، ومن الأمثلة على ذلك : البريلوية القبورية الصوفية[2] ، قالت : بتأليه علي بن أبي طالب ، وجعلوا له أدعية خاصة ، مثل : ناد علياً مظهر العجائب ، تجده عوناً لك في النوائب ، وقولهم : كل هم وغم سينجلي بولايتك يا علي ... . وهذا يشبه تماماً تأليه السبئية والعجلية والنصيرية وغيرها من الفرق الشعوبية التي غلت في بعض آل البيت .

ومما يؤكد التقارب الشعوبي المجوسي حديثاً مع أهل وحدة الوجود ، أن الخميني الهالك يدعو ويتوسل بالحقيقة المحمدية والعلوية ، فمن ذلك قوله : " وبالمشيئة ظهر الوجود ، وهي اسم الله الأعظم ... وهي الحبل المتين ... وهي الحقيقة المحمدية والعلوية ، صلوات الله عليه ، وخليفة الله على أعيان الهيئات ، ومقام الواحدية المطلقة ... " [1] ، والخميني أيضاً شرح فصوص الحكم لابن عربي وهو مطبوع باللغة العربية .

وفي الحقيقة أن الصوفية الاتحادية لم يكن غلوهم في النبي بهذا القدر لحبهم له أو لمكانته ، بل كان منهم طريقاً لفتح الزندقة الشعوبية والفجور والتعبد بما لم يأذن به الله ، وإلا فهم أهل سوء أدب مع الله حينما قرروا وحدة الوجود ، وأهل سوء أدب مع الأنبياء في تفضيلهم حق الولاية

، وكان حلقته الصوفية مشهورة ، اشتهر عنه نظم القصائد والشعر والرقص الصوفي ، من أشهر مؤلفاته : – المثنوي– وهو ملحمة شعرية ضخمة تجاوزت ٢٥ ألف بيت ، باللغة الفارسية ، وكتب لها مقدمة بالعربية ، توفي عام : ٦٧٢هـ ، انظر : الموسوعة الصوفية ، عبد المنعم حفني ، ، وأطلس الفرق ، ص : ٣٤٠ ، ٣٤١ ، والأعلام ٧ / ٣٠

[1] انظر : كشف حقيقة التصوف لأول مرة في التاريخ ، ص : ٢٧٧ ، ٢٧٨

[2] البريلوية : فرقة من غلاة الصوفية الأحناف ، أتباع أحمد بريلوي ، مشهورة ومنتشرة في بلاد الهند ، انظر : أطلس الفرق ، ص : ٤١ .

[1] شرح دعاء السحر للخميني ، ص : ٥٦ ، وانظر : كشف حقيقة التصوف ، ص : ٢٧٨ .

على النبوة ، لزعمهم أن الولي يأخذ من معدنه بدون واسطة أو ملَك [1]. وليس لأي ولي ، بل من اعتقد وحدة الوجود وسار على الطريقة الصوفية الباطنية ، وهذا كله من الإلحاد [2]. وهم بذلك قد شابهوا غلاة الرافضة الشعوبيين الذين فضلوا علياً على النبي ﷺ ، ثم فضلوا زعمائهم وقادتهم بعد ذلك ، وأعطوهم منزلة الألوهية . ومن مشابهتهم للفرق الشعوبية أيضاً قولهم : بجريان النبوة واستمرارها حيناً بعد حين ، أي : بعد موت النبي ﷺ ، وهذا يشبه ما قالته الخرمية والمنصورية والخطابية وغيرهم . وإذا حاجهم أحد بأن النبوة ختمت ، قالوا : بأن نبوة التشريع هي التي ختمت أما مقام الولاية والوصول إليها ، فلا ينتهي أبداً ، فكم فتحت هذه العقيدة للزنادقة الذين ادعوا النبوة ، وبدلوا دين الله وسنة رسوله ﷺ. وشابهوا الرافضة الإمامية أيضاً في وجوب معرفة الإمام وأنه لا يقبل إيمان من لا يعرف إمامه ، لكن الصوفية يسمونه شيخاً أو أستاذاً أو ولياً ، ومن أقوالهم : من لم يكن له شيخ كان الشيطان شيخه [1].

ومن مشابهة الصوفية للفرق الشعوبية ، أنهم عُرفوا بالتأويل الباطني ، وكان حاضراً في نصوصها ، ومن الأدلة على ذلك تفسيرهم آيات القرآن العظيم بالتأويلات الباطنية الصوفية ، فمثلاً معنى : لا إله إلا الله عندهم : لا موجود إلا الله ، وكذلك في قوله تعالى : (إن إلى ربك الرجعى ...) ، قالوا : رجوع المخلوقات لربها الذي صدرت عنه لتندمج فيه ، وقوله : (قل الروح من أمر ربي) أي : من أسرار علوم المكاشفة ، ولا رخصة في إظهاره ، إذ لم يظهره الرسول ﷺ ، وهذا يدل بوضوح أن كل لفظ عندهم له معنى باطن غير الظاهر . وفي قوله تعالى : (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ...) قالوا : هي الحضرة الصوفية ، وفي قوله أيضاً : (... ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ...) ، قالوا : المسْتَنْبَط هو العلم الباطن ، وهو علم أهل التصوف [2].

يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير : " ... وأما سبب التجاء المتصوفة إلى علم الباطن ، ومنه إلى

---

[1] انظر : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ص : ٧٥٠

[2] انظر : بغية المرتاد ، ص : ٥١٢ .

[1] انظر : التصوف ، المنشأ والمصادر ، إحسان إلهي ظهير ، ص : ٢١٩ – ٢٧٣

[2] انظر : كشف حقيقة التصوف ، ص : ٧١٣ – ٧٢٩ .

التأويل ، هو : أن الصوفية لم يجدوا في القرآن والسنة ما يمكن أن يكون سنداً لهم على منهجهم ومسلكهم ، ودليلاً على طرقهم التي اختاروها ، والمناهج التي اخترعوها للوصول إلى الله ، والحصول على معرفته ورضائه ، فالتجئوا إلى العلم الباطن ، والتأويل الباطني .... وسبب آخر أنهم تقوّلوا بكلمات كلها كفر وإلحاد ، ونقل عن الباطنية والتشيع والفرق الباطلة الأخرى ، فلما سمع العلماء هذه المقولات كفروهم بها ، ورموهم بالإلحاد والزندقة ، فلم يسعهم آنذاك إلا القول بالظاهر والباطن ، والهروب إلى التأويل ... " [1] ، ويقول أيضاً : " ... والقوم أشبعوا الكلام في علم الباطن والتأويل الباطني ، وملئوا كتبهم به ، وهذه الفكرة لم تتدرج إليهم إلا من التشيع والشيعة ، كالأفكار الأخرى ، والشيعة بدورهم أخذوها من اليهودية ، وهكذا أدخل الصوفية أنفسهم في الفرق الباطنية ؛ لأن الإسماعيلية والنصيرية والدروز وغيرها من الفرق الباطنية ، لم يُسمّوا بالباطنية إلا لقولهم : إن لكل ظاهر باطناً " [1].

ولقد كان انتحال الشعوبيين الباطنيين للتصوف ، سبباً للدخول في أوساط المسلمين ، وإحداث البدع والشركيات والزندقة ، وتحريف الدين ، إذ إنهم لما رأوا الناس استوحشوا من أفعالهم وفروا من صنائعهم ، وادعائهم نصرة علي وآل بيته ورفعهم فوق مقام النبي صلى الله عليه وسلم ، دخلوا في جملة المتصوفة وكانوا يظهرون التصوف ، ويبطنون الرفض .

وقد وجد كثير من أعلام الصوفية ، وهو مشهور في سيرته بالزندقة والفجور ، أمثال : الحلاج[2]

---

[1] التصوف المنشأ والمصادر ، ص : ٢٩٧ ، ٢٩٩

[1] المرجع السابق ، ص : ٣٠٧ .

[2] هو : أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج ، كان جده مجوسياً ، ولد ببلدة يقال لها البيضاء من قرى فارس ، ونشأ نشأة صوفية ، وترقى فيها حتى قال بالحلول والاتحاد وتزندق وألحد ، وبرئ منه كثير من الصوفية ، وكان يظهر للناس أنه يكاشفهم ، واشتهر بالسحر والشعوذة بعد أن تعلمها من الهند ، ومن زندقته أنه كان يزعم بأنه يستطيع أن يأتي بكلام مثل القرآن ، وكان يستخدم الحيل والمخادعة ليوصف بالولاية والكرامة ، ويزعم بأن الجن تخدمه ، قتل عام ٣٠٩هـ في خلافة المقتدر العباسي بعد أن اشتهر بضلالة وفجوره ، انظر : وفيات الأعيان ١ / ٢٦٠ ، البداية والنهاية ١٠ / ٢٨٦ – ٢٩٦ ، والأعلام : ٢ / ٢٦٠.

، وابن سينا[1] وغيرهم . بل من الفرق الباطنية الضالة من كانت أساسها الصوفية الغالية ، ثم ما لبثت أن صارت باطنية ملحدة ، كالنصيرية التي خرجت من الطريقة الصوفية الجنبلانية ، واليزيدية التي خرجت من الطريقة العدوية الصوفية [2]. ولا يزال من الكتاب الإيرانيين من يعترف ويسطر هذه العلاقة الصوفية الشيعية منذ القديم وحتى عصرنا الحاضر ، ومن ذلك ما كتبه الدكتور : قاسم غني الإيراني عن تاريخ التصوف ، فيقول:" تذهب جماعة إلى أن التصوف ليس إلا رد فعل أوجده الفتح العربي الإسلامي في نفوس العنصر الآري الإيراني ، وخلاصة قولهم : إن الإيرانيين بعدما غُلبوا على أمرهم بسيوف العرب في مواقع القادسية ، وجلولاء ، وحلوان ، ونهاوند ، أدركوا أنهم فقدوا استقلالهم وأضاعوا مجدهم ، ثم إنهم اعتنقوا الديانة الإسلامية ، ولكن العرب الذين كان الإيرانيون ينظرون إليهم منذ القدم بنظرة غير راضية لم يستطيعوا أن يغيروا رغم انتصاراتهم ، مجرى التفكير وميولهم وسليقتهم ومنطقهم ، وكذلك في آمالهم وأمانيهم وغاياتهم الروحية المثالية ؛ لأن التباين الشكلي والمعنوي ، أي : الفروق العنصرية والاختلافات في أسلوب المعيشة والأوضاع الاجتماعية بين هاتين الأمتين كان شديداً للغاية ، وبناء على ذلك بعدما انتهت المعارك الحربية باندحار الإيرانيين ، بدأت الانفعالات والتأثيرات الروحية والمعنوية تظهر عند الإيرانيين بأسلوب المساجلات الفكرية التي كان لها أثر بالغ في التاريخ الأدبي والمذهبي والاجتماعي والسياسي للعرب والإسلام ، ومن أهم تلك الانعكاسات التي ترتبت على تلك الانفعالات الفكرية :

التشيع أولاً ، والتصوف ثانياً ...." [1] . ويقول كاتب شيعي عراقي آخر عن دور الفُرْس في

---

[1] هو الحسين بن عبد الله بن سينا ، أبو علي الرئيس ، برع في الطب والفلسفة ، وله كتب في الطب من أشهرها : القانون ، ومن زندقته في الفلسفة أن العالم قديم ، وأن المعاد ليس على الجسد ، وينكر علم الله بالجزئيات ، كفره الغزالي لذلك في كتابه تهافت الفلاسفة ، وكان يصرح بأنه هو وأبوه على دعوة الحاكم العبيدي ، ويفتخر بذلك ، وذكر ابن القيم أن الحلاج على دين القرامطة الباطنية الذين لا يؤمنون بالمبدأ والمعاد ، توفي عام : ٤٢٨هـ ، انظر : وفيات الأعيان ١ / ٢٦٩ ، والبداية والنهاية : ١١ / ١٨٨ ، وإغاثة اللهفان ، ص : ٧٥٦ ، والأعلام : ٢ / ٢٤١

[2] انظر : كشف حقيقة التصوف ، ص : ٧٨٥، ٧٨٦.

[1] انظر كتاب : تاريخ التصوف في الإسلام ، قاسم غني ، نقلاً عن كتاب : التصوف المنشأ والمصادر ، ص : ٣٢٤ — ٣٢٥ .

استغلالهم للتصوف : " وينبغي أن نذكر الدور الذي قام به الفرس من إدخالهم مُثُلُهم الدينية في التشيع الغالي الأول حين نصروا المختار ، وعاضدوا حركة الغلو العجلية ، وانضموا إلى حركة أبي هاشم ، وانضافوا إلى الحركة السرية العباسية التي ورثت حركة أبي هاشم ، حتى أدى بهم الأمر إلى تأليه أبي مسلم الخراساني ، كما فعلوا مع أئمة الشيعة من العلويين ، يضاف إلى ذلك أنهم نصروا حركة عبد الله بن معاوية في فارس أيضاً ، وأسبغوا عليه النور الإلهي الذي سنجده في **التصوف واضحاً حالياً** . وهذا كله يعني أن الفرس قد بدءوا إضافة القداسة إلى البيت النبوي باعتبارها أساساً موازياً لأسسهم السياسية والدينية السابقة من تأليههم الملوك ، وقولهم بالنور الذي ينتقل من ملك إلى آخر ، فثبتت الولاية لعلي بن أبي طالب على نحو مبالغ فيه ، وانتقلت هذه الولاية المقدسة مع زيادات وإضافات وحواش إلى الأئمة من بعده حتى بلغ الأمر حد التأليه ... " [1] .

وبهذا يتضح الدور التخريبي الذي ترتب على التصوف والتشيع ، وأثرهما البالغ في هدم العقيدة الصحيحة ، وتبديل الشريعة الإسلامية ، وقيام الحركة الشعوبية منذ القديم وحتى عصرنا الحاضر ، وعند التأمل في واقع الأثر الديني من الفرق التي تنتسب إلى الإسلام اليوم ، لا تكاد أنها تخرج عن هذين العاملين ، التصوف والتشيع ، في حربهم على التوحيد والسنة . ومن الشواهد القريبة على ذلك ، حين وصل الإخوان المسلمون إلى الحكم في مصر ، بعد ما سمي بالربيع العربي ، بدأت الزيارات المصرية الإيرانية تنتعش وتظهر على الصعيد السياسي والديني ، فقد كان أول رئيس يزور مصر هو الرئيس الإيراني : محمود نجاد ، وفي جانب الزيارات الدينية ، الزيارة الصوفية للحسينيات في إيران والعكس ، ففي تصريح لشيخ الطريقة العزمية الصوفية في مصر ، المدعو : علاء الدين ماضي أبو العزايم ، في زيارة له إلى إيران ، استعرض العلاقة بين الصوفية والشيعة ، وذكر أنهم يهدفون إلى إزالة العقبات بينهم [1].

---

[1] وهذا الكاتب هو : كامل مصطفى الشيبي ، في كتابه : الصلة بين التصوف والتشيع ، ص : ١ / ٣٧٢ ولقد أطلت في النقل عنه وعن الذي قبله لأن كلامهما شاهد مهم ومعاصر على العلاقة الصوفية الرافضية ممن ينتحل التشيع . وانظر أيضاً : التصوف المنشأ والمصادر ، ص : ١٦١ – ٣٢٦.

[1] نقلاً عن موقع الصوفية على الشبكة : http://www.alsoufia.com/main/default.aspx ، بعنوان : مشايخ الصوفية القادمون من إيران ، بتاريخ : ٢٨ / ٤ / ١٤٣٤هـ ، وانظر أيضاً في موقع البرهان ،

=

وما تقدم ذكره كاف إن شاء الله لإثبات العلاقة الصوفية الشيعية ، ودورهما في الحركة الشعوبية منذ القديم ، ولقد نبه قديماً ابن حزم رحمه الله إلى ضرر الصوفية والشيعة الرافضة ، حيث قال :

" واعلموا إن كل من كَفَرَ هذه الكَفَرَات الفاحشة ، ممن ينتمي إلى الإسلام ، فإنما عنصرهم الشيعة والصوفية ، فإن من الصوفية من يقول : إن من عرف الله تعالى سقطت عنه الأعمال الشرعية ، وزاد بعضهم : واتصل بالله تعالى ... " [١].

رابعاً : التشيع

من العقائد التي اعتنقها الشعوبيون ، التشيع ، ودعوى النصرة والدفاع لآل البيت ؛ ولأن التشيع قد تكرر معنا كثيراً في هذا البحث ، فسأكتفي هنا بالإشارة إلى أمر مهم ، ألا وهو : تحريف الشعوبيين الفرس لمعنى التشيع ، وقصروه إلى معنى ضيق وأعقد ، ألا وهو : التعصب إلى الجنس الأعجمي وخصوصاً الفارسي الشعوبي . ومن حق هذا التصرف أن يسمى – التفريس – لا التشيع ؛ لأن الفرس المجوس لم ينقادوا يوماً إلى الطاعة تحت الحكم الإسلامي إلا بقوة السيف . ولم يجدوا فرصة للدخول إلى المسلمين وإفساد عقيدتهم كدخولهم من باب التشيع ، وكان لهم الباب الواسع إلى اليوم . فحرفوا التشيع المعروف قديماً إلى محاولة التفريس لكل شيء ، سواء من الناحية الدينية أو السياسية المتعلقة بالملك ودواعيه [١]. حتى في أهم أصل ديني وهو – التوحيد – ، حرفوا معناه ومكانه إلى معنى فارسي مجوسي ، وجعلوا أول أصل هو الإمامة ، ليتفق مع نظرتهم الكسروية إلى ملوكهم القائمة على التأليه والانقياد . ولا يتوقف الأمر عند هذا بل المقصود بالإمامة هو من يكون من جنسهم ، حيث يبدؤون بالالتفات حول أحد أفراد البيت الهاشمي أو من ينتسب لهم ، ثم يترقى بهم الحال إلى تنصيب أحد بني جلدتهم . والشرك عندهم

بحثاً بعنوان : عبر البوابة الصوفية ، صعيد مصر بين فكي إيران ، للكاتب : معتز بالله محمد ، في الشبكة على الرابط :

http://alburhan.com/main/articles.aspx?article_no=٤٩٦٩#.VlxWznarTIU

[١] الفصل : ٣ / ١٩١ ، وقريباً منها نقل الشيخ إحسان إلهي ظهير عن المستشرق براون ، حين يقول : إن التشيع والتصوف كانا من الأسلحة التي حارب بها الفرسُ العرب . ، انظر : التصوف ، ص : ٣٢٦ .

[١] انظر : الإسلام والأديان دراسة مقارنة ، ص : ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥.

هو ترك هذا الأصل المتعلق بالإمامة ، بل فسروا حتى لفظ الشرك في القرآن بذلك ، كما في قوله : ((... لئن أشركت ليحبطن عملك ...))[سورة الزمر : آية ٦٥] ، جاء في تفسير القمي : إذا أشركت في الولاية غيره – يعنون به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – ...) [١] ، ولذا تجد الخميني وهو من أئمة الشعوبية في هذا العصر ، يقرر بأن الشرك هو وجود نظام غير إسلامي ، وكلامه هذا يعني به من لم يكن على طريقتهم الرافضية المنحرفة [٢].

ومما يدل على طغيانهم في تفضيل الجنس الفارسي ، غلوهم في الصحابي الجليل سلمان الفارسي ﷺ – وهو منهم براء – ، ومن غلوهم أنهم أوصلوه إلى مرتبة الألوهية ، ورفعوا منزلته فوق النبي ﷺ ، بل هناك من الفرق الشعوبية المجوسية من قالت بألوهيته ، كالمفضلية ، والمغيرية والخطابية ، وكان من عادتهم لبس الزنّار المجوسي وغيره من شعار المجوس[١]. ومنهم من جعله كالباب للرسول ﷺ ، وأنه هو الذي اتفقت عليه جميع الروايات الشيعية أنه من الصحابة دون غيره ، وأنه قابل عيسى ابن مريم عليه السلام ، وأنه يعلم الغيب ، إلى غير ذلك من غلوهم وزندقتهم [٢]. وهذا الغلو منهم ليس محبة في شخصه أو لفضل صحبته ، بل تعصباً منهم للفارسية ، وبهذا المفهوم حرفوا معنى الصحبة وفضلها إلى مقصد فارسي مجوسي . ومن القرائن على ذلك أيضاً ، ما وصفوا به الحسين بن علي ﷺ من الأوصاف الغالية ، والمنزلة الرفيعة ، التي جاوزت المشروع والمعقول ، وجعلوه ملاذاً ومُسْتغاثاً للمنكوبين [٣] ، كل تلك الأمور ليست لصحبته أو لأنه من أئمة المسلمين ، بل كما يزعمون لأن دمه امتزج بالدم النبوي الشريف مع الدم الكسروي الفارسي المنحدر من سلالة الملوك الفارسية ، وذلك لأن الحسين بن علي تزوج شهربانويه ابنة يزدجرد ، آخر ملوك الفرس قبل فتح فارس – إن صحت الرواية – ، ولقبوه بابن الخيّرتين لأجل ذلك ، وبهذا حرفوا معنى الصحبة والمنزلة المعروفة عند المسلمين لأهل البيت ، وأحدثوا لها معنىً

---

[١] انظر : تفسير القمي ، ٢ / ٢٥١

[٢] انظر : الحكومة الإسلامية ، ص : ٣٣ .

[١] انظر : فرق الشيعة للنوبختي ، ص : ٦٢

[٢] انظر : المرجع السابق ، ص : ٥٨

[٣] انظر : بطلان عقيدة الشيعة ، ص : ١٠٧

فارسياً جديداً [1].

ومن العوامل القديمة التي ساعدت على هذا التفريس قيام الدولة البويهية الفارسية ، في عهد الدولة العباسية الثاني ، حيث كان من أهداف ثورتهم وإمارتهم رد الناس عن حكم العرب إلى حكم العجم ، فخرجوا على الدولة العباسية لأجل هذا أيام الخليفة المقتدر العباسي وما بعده ، وأصبحوا مسيطرين على أجزاء كثيرة من بلاد فارس ، ووصلوا حتى للعراق . وكانوا يفتكون بالسنة والعرب خصوصاً فتكاً شديداً [2]. وهم أول من كان يأمر بسب الصحابة والخلفاء الراشدين علناً ، واشتهر في عهدهم الغلو الفارسي والزندقة ، كالحلول والتناسخ وغير ذلك من العقائد المجوسية الباطنية ، وكانوا يفتعلون في أوساط المسلمين الفتن والفوضى حتى يعود القتل والتدمير عليهم ، ووجد منهم من يقوم أمام الناس بدور الفتنة التي حصلت بين الصحابة ، ويحصل الاقتتال لأجل ذلك حتى تسيل الدماء ، ويظهروا للناس أن الصحابة هم السبب في الفتن والقتال ، ازدراءاً واحتقاراً منهم للصحابة وأهل السنة جميعاً . وفي أيام الدولة البويهية أقيمت المظاهر المجوسية التي أحدثوها في عاشوراء ، من اللطم والبكاء والحزن والنوح على مقتل الحسين بن علي ، ولبس السواد . وهدفهم الحقيقي هو إيغار صدور الناس على الصحابة ، وإحداث الشعائر البدعية التي لم يأذن بها الله تعالى ، وإلى يومنا هذا لا تزال هذه المناسبة من مظاهر الرافضة وغيرها من الفرق الشعوبية المجوسية . وفي الدولة البويهية كذلك أُلِّفت أهم مراجع للشيعة الرافضة ، وهي : الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني ، والاستبصار لمحمد بن الحسن الطوسي ، وكتاب : من لا يحضره الفقيه ،لمحمد بن بابويه القمي . وهذه الكتب الثلاثة هي المعتمد عليها عند الشيعة الإمامية ، وقد كان تأليفها من أسباب انتشار الغلو والتكفير والزندقة والطعن في أهل السنة إلى يومنا هذا . وكذلك في العهد البويهي أضيف الفقه الجعفري الإمامي ، كمذهب خامس للمذاهب الفقهية الأربعة التي انتشرت في العالم الإسلامي ، بل إن الرافضة يضرهم وصف المذهب الجعفري بالخامس ويقولون حقه أن يكون الأول . وفي الحقيقة أن الدولة البويهية كان لها الأثر الكبير في نفوذ الفرس في البلاد الاسلامية ، وإضعاف شوكة الخلافة العربية

---

[1] انظر : الفرس – إيران في العصور القديمة والوسطى والحديثة – ، ص : ٩٩

[2] انظر : تاريخ الإسلام ... ، حسن إبراهيم ، ٣ / ٨٠ .

المسلمة ، وكذلك في تحريف معنى التشيع إلى التفريس ، وتعتبر الدولة البويهية سابقة وأساس للدولة الصفوية الأولى في القرن العاشر الهجري ، وللصفوية الثانية المعاصرة في إيران حالياً [١].

وفي العصر الحاضر شمل التفريس المراجع الرافضية الكبرى ، فتجد أن المراجع الرافضية والحوزات تحت سيطرة وتحكم النفوذ الفارسي دون العربي حتى لو كان شيعياً ، فالخميني الهالك وبعده الخامنئي ، تعتبر مرجعيتهما هي الغالبة على كافة المراجع الأخرى ، بل امتد نفوذهم على المراجع الشيعية في العراق ، كالنجف وكربلاء ، فالمسئول أو المرجع في العراق هو : علي السيستاني وهو فارسي إيراني ليس بعراقي ، وقبله كان أبو القاسم الخوئي من خوء إيران . مع أنه وجدت أسماء معروفة عند الشيعة العرب لكن لم يكن لها حظ المناصب والمرجعيات . وأستشهد هنا بكلام لأحد الشيعة العراقيين العرب وهو من أحفاد أحد المراجع العراقية ، وهو : نبيل الحيدري ، حفيد المرجع الشيعي العراقي مهدي الحيدري الكاظمي البغدادي . فقد ذكر أن المراجع الشيعية في كاظمة العراق هم محل التهميش على مر التاريخ ، ومما قاله : " ... فشتان بين مرجع عربي متواضع رغم علميته العالية ، فإنه يُكتب اسمه خالياً من أي لقب ، وآخر إيراني كان حريصاً على وضع ألقاب كثيرة قبل اسمه حتى في رسالته العلمية الكلاسيكية والتقليدية التي هي تكرار لمن سبقه "[١] [٢].

وحال العراق اليوم الذي كان مصدراً للفقه وعلوم العربية والحديث وغيرها ، أصبح مسرحاً للفكر الإيراني الصفوي الرافضي ، فقد نشروا فيه الشرك والمظاهر المجوسية الرافضية ، انتقاماً من الفتح

---

[١] انظر : الانتصار لأهل الأثر لابن تيمية ، ص : ٣٥ ، وانظر : البداية والنهاية :١٠ / ٣٢٠ – ٣٢٢ ، ١١ / ٣٤ – ١٢٧، وتاريخ ابن خلدون : ٢ / ١٣٥٢ – ١٣٩٠ ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر : ٦ / ١٤٧ – ١٩٥ .

[١] انظر كتاب : التشيع العربي والتشيع الفارسي ، دور الفرس التاريخي في انحراف التشيع ، نبيل الحيدري ص : ٤٢٠ ، ٤٢١ ، وانظر نفس المرجع ، ص : ٤١٩ – ٤٢٩ .

[٢] تنبيه : هذا المثال لم أذكره إقراراً لما يسمى بالتشيع العربي ، بل هو استدلال ممن ينتسب للمذهب الشيعي لما يجده من التمايز الواضح والتفضيل الفارسي على العرب حتى على من يتبع نفس المذهب ، تأكيداً لمعنى التفريس قديماً وحديثاً ، والكاتب في هذا الكتاب يتتبع دور الفرس عبر التاريخ في تحريف مفهوم التشيع لصالح الفرس ، انظر ص : ٣٧ – ٤٥٦ .

الإسلامي ، وحتى لو ذهب السنة كلهم من العراق وظل الشيعة العرب ، فسيبيدونهم ؛ لأنهم عرب ، ولأن الحرب قائمة على أساس عرقي عنصري ، ليست لغرض التشيع [1] .

والخلاصة مما تقدم في هذا العنصر أن الفرس جعلوا لهم مفهوماً خاصاً بالتشيع منذ القديم وإلى الحديث ، اتخذوا منه سلماً لأهدافهم الدنيئة .

خامساً : الإلحاد [2]

كان الإلحاد سمة بارزة في الحركة الشعوبية منذ القديم ، بل إن من الأسس التي يحارب بها الشعوبيون العقيدة الإسلامية ، هو : الإلحاد في الدين وعن الدين ، وبكل ما يتعلق بالربوبية والألوهية أو النبوات [1]. وظلت الحركة الشعوبية عن طريق زندقتها وإباحيتها طريقاً ممهداً للإلحاد ، ومصدراً لرفض الدين كله من الناحية الاجتماعية أيضاً ، بجعل الدين الإسلامي سبباً للظلم والوحشية والاستبداد والتسلط أو التخلف ، فإلحاد الحركة الشعوبية قائم على جهتين ، الطعن في الربوبية والألوهية والنبوات ، وبالزندقة والفجور [2].

ومن أشهر الفرق الشعوبية القديمة التي عرفت بالإلحاد ، الراوندية : التي تعصبت لأبي مسلم الخراساني ، واعتقدت فيه الألوهية ، ومن إلحادها أيضاً قولها بالحلول والتناسخ ، وإباحة المحرمات كعلاتها من الفرق المجوسية الوثنية ، كما اشتهرت بكرهها للعرب والعزم على هدم دولتهم وإزالتها ، ثم إعادة دولة المجوس الفارسية . ولما لم يكن أن تنال ذلك إلا بهدم الدين والعقيدة ، نشرت بين الناس عقائدها الإلحادية . وقد كانت تحاول النيل من الخلافة العباسية ، وقد تقدم ذلك [3]. ومن إلحادها في الربوبية أنها جعلت من أبي جعفر المنصور رباً وكانوا يطوفون بقصره ويقولون قصر

---

[1] انظر : خريطة الشيعة في العالم ، ص : ١٧٣.

[2] الإلحاد في اللغة أصله : الميل والعدول عن الشيء ، ومنه اللحد في القبر ؛ لأنه مال عن الوسط إلى الجنب ، وألحد في دين الله أي : حاد عنه وعدل ، انظر : لسان العرب ١٣ / ١٧٦، ١٧٧ ، ومختار الصحاح ، ص : ٥١٢ .

[1] انظر : الإلحاد ... ، محمد الخضر حسين ،ص : ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠.

[2] انظر : الزنادقة عقائدهم وفرقهم ... ، ص : ١ / ١٨٨.

[3] انظر صفحة : ١١٢ ، من هذا البحث .

ربنا الذي يطعمنا ويسقينا !! . وعن قائد الحرس عند الخليفة المنصور ، وهو : عثمان بن نهيك ، قالوا : أن روح آدم قد حلت فيه ، وانتقلوا بعده إلى أمير مكة والطائف للمنصور العباسي ، ويدعى: الهيثم بن معاوية ، حيث زعموا أنه هو جبريل أمين الوحي . كما استغلوا الفكرة الحلولية لنقل الخلافة أو الإمامة من البيت العلوي إلى البيت العباسي ، حتى استقروا بانتقالها إلى أبي مسلم الخراساني ، ولم يتوقف الحال عند هذا بل زعموا أن روح الإله حلت فيه ، حتى أنهم ألهوه ، عياذ بالله ، فأي إلحاداً بعد هذا الإلحاد ؟!! . ولا يستغرب هذا الصنيع من كانت عقائدهم خليط من الهندوسية واليهودية والمجوسية ، وكل تلك الديانات مجتمعة على حرب الإسلام [(١)].

ومن أبرز دعاة هذه الفرقة الملحدة ، ثلاثة أشخاص : ابن الراوندي ، وهو أحمد بن يحيى بن إسحاق ، من كبار الزنادقة الملحدين ، ويكنى أبا الحسين ، كان من أب يهودي ، وقد ذُكر في ترجمته أن اليهود كانوا يحذرون منه الناسَ ، ويقولون : لا يفسد عليكم دينكم كما أفسد أبوه علينا توراتنا ، وقد عرفت عنه أمور إلحادية لم يسبق إليها ، ومؤلفات لم يكتب مثلها في الطعن في الشريعة ، منها : إنكار الخالق ، والطعن في النبي ﷺ ، ومن بوائقه أنه كان على عقيدة رافضية غالية [(١)].

ومن دعاتها أيضاً : محمد بن الحسين الملقب (زيدان) : وهو ممن أسس المذهب الباطني ، وكان شعوبياً جلداً ، عارف بالفلسفة والتنجيم ، وكان شديد الكراهة للدولة الاسلامية ، والعرب ، وكان ممن يبشر بزوالها وقيام دولة المجوس الفارسية ، ويستدل على ذلك بالتنجيم والشعوذة ، كما هي عادة الشعوبيين ، وعرف عنه مساعدته لميمون القداح في دعوته ، ومعونته له حتى بماله ، لكنه توفي قبل أن يتم الأمر بقيام الدولة العبيدية ، فانفرد بعده القداح بزعامة الدعوة الباطنية [(٢)].

والثالث ، هو : ميمون القداح : من زعماء الباطنية الإسماعيلية ، ومن مؤسسيها ، وسيأتي الكلام عنه في المبحث عن الدولة الباطنية العبيدية ، وكل أولئك الثلاثة ممن أسس للمذهب

[(١)] انظر : الكامل في التاريخ ، ٥ / ١٢٩ ، ١٣٠ ، والراوندية أهدافها وفروعها ، عماش المحمدي ، ٣٢٦ — ٣٥٩ ، وأطلس الفرق والمذاهب الإسلامية ، ص : ١٣٢.

[(١)] انظر : الفهرست ، ص : ٢٤٢ — ٢٤٣ ، والأعلام : ١ / ٢٦٧

[(٢)] انظر : الفرق ، ص : ٢٨٩ ، والفهرست ، ص : ٢٦٣ .

الباطني الإلحادي .

ومن الفرق الشعوبية التي عرفت بالإلحاد : البابكية (الخُرّمية) ، ومن عقائدها : التناسخ والحلول ، واعتقاد نبوة بعض قادتها ، أما رئيسها بابك فهو عندهم إله ، ويرون استمرار النبوة وجريانها ، وإنكار البعث والجزاء ، وصحة كل مذهب يجتمع عليه أناس وقائدهم . وقد كانت حركة الخرمية الملحدة من أقوى الحركات انتشاراً وقوة ، حيث امتدت إلى أكثر من عشرين عاماً ، من قبل خلافة المأمون العباسي ، حتى خلافة المعتصم ، وتم القضاء عليها في خلافته [(١)]. وقد كانت هاتان الفرقتان نموذجين واضحين وحاضرين في الاتجاه الإلحادي في هذه الحركة .

وهناك عوامل أخرى ساعدت على انتشار الفكر الإلحادي في الحركة الشعوبية ، حيث إن الإلحاد لم يتوقف على هاتين الفرقتين بل ثمة عامل خطير ، هو سبب وجود الفكر الإلحادي في الحركة الشعوبية حتى في عصرنا هذا ، وهو : العلاقة بين التشيع المجوسي الرافضي والتصوف الاتحادي الباطني . ومما يشهد لذلك عملياً وواقعياً : الطريقة البكتاشية الصوفية الاثني عشرية ، التي بدأت بالتصوف ثم تقوت بالرفض حتى انتهت إلى طريقة صوفية باطنية ليس لها سابق ومثيل . ومؤسس الطريقة البكتاشية هو: محمد بن إبراهيم الخراساني النيسابوري ، ويلقب بالحاج بكتاش ، الذي خرج من بلاده إلى بلاد الأناضول التركية [(١)]، ثم التحق في تلك البلاد بالطرق الصوفية التركية ، وتحديداً مع طريقة مشهورة عند الصوفية هناك باسم – الطريقة البابائية – [(٢)]. وهذه الطريقة الصوفية تأثرت كثيراً في طقوسها بالنصارى ، حتى إن سبب تسميتها بهذا الاسم أنهم يطلقون على رئيس طريقتهم – بابا رسول – ، كما يطلق النصارى على علماء الدين عندهم – البابا –

---

(١) انظر صفحة : ١٤٩ ، من هذا البحث .

(١) ويذكر أحد رؤساء هذه الطريقة في أحد كتبه الذي يترجم فيه لهذه الطريقة : أن الحاج بكتاش إنما خرج سياحة في الأرض بعد نبوغه وارتفاع شأنه وظهور كراماته ، وأنه بدأ سفره بضريح علي بن أبي طالب في النجف ، ثم لمكة ، ثم لقبر الرسول ﷺ في المدينة ، ولم يقل صاحب الترجمة قصد الحرم !! كعادة الصوفية القبورية ، والكتاب اسمه : الرسالة الأحمدية في تاريخ الطريقة العلية البكتاشية ، لأحمد سري بابا ، ص : ٦ ، ٧ ، ومؤلفه من مشايخ الطريقة البكتاشية في مصر في القرن الرابع عشر الهجري .

(٢) انظر : الفكر الباطني في الأناضول – الإمام علي رضي الله عنه في معتقد البكتاشية – نموذجاً ، بديعة عبد العال ، ص : ١٠ ، ١١.

، وكان البابائيون يدعون زعيمهم بابا رسول ، وعرف من طريقتهم ذكر المسيح عيسى عليه السلام كثيراً ، وكان هذا سبباً في تعاطف النصارى معهم [١]. وأهل الطريقة البكتاشية اتخذوا لهم مجالس خاصة عرفت فيما بعد : بالتُكْيَة أو التكأة ، وكانوا ينشطون فيها ويكثرون من عملها حتى يكون في القرية الواحدة تكيات عديدة . وكان لهذه الطريقة البكتاشية دور كبير في الجانب العسكري عند العثمانيين ، خصوصاً في كتيبة الجيش القوية التي تسمى : الانكشارية [٢] ، فبعد أن شاهد العثمانيون التفاف الناس عليهم وغلوهم فيهم ، سمحوا لها كطريقة دينية صوفية ، وأصبحت رسمية في البلاد ، وباتوا يدعمونها حتى بسبي النصارى ، وكان من أولئك النصارى من يعترف ويدين بهذه الطريقة الصوفية ، ولعل ما بها من خليط نصراني وثني صوفي كان سبباً لذلك ، إضافة لتأثر نفس الطريقة بالطقوس النصرانية ، فكانت من الناحية الدينية رابطاً قوياً لدعم الجيش عندهم . وقد كان لزعماء هذه الطريقة دور أيضاً من الناحية الاجتماعية للعناية بأفرادها منذ الصغر ، حتى أشبهت هذه الطريقة الدين المستقل بذاته عن باقي الطرق ، ولا يستغرب هذا من غلاة الصوفية وأهل وحدة الوجود [١]. وقد بلغ زعيمهم بكتاش في هذه الطريقة مبلغاً متقدماً ، وأصبح من كبارها ، ومتبوعاً فيها ، وحتى يضيف لنفسه منزلة عالية فوق التي بلغها ، وليزيد من قداسة نفسه ، ادعى أنه من سلالة آل البيت الهاشمي ، وأنه من ذرية إبراهيم بن موسى الكاظم ؛ ولأنه كان متبوعاً عند الصوفية ، صدقوه في دعواه تلك ، بل غلوا فيه ، وأصبح اسم بكتاش ، من الأسماء المشهورة عند أهل الطرق الصوفية التركية ، واشتهرت هذه بالطريقة البكتاشية ، ومما زاد من مكانته أيضاً أنه استطاع أن يجمع أقوى الطرق الصوفية آنذاك تحت قيادته [٢]. وبعد أن كانت الدولة العثمانية من أسباب قوة هذه الحركة الغالية وداعمة لها ، انقلب البكتاشيون على زعمائهم وأصبحوا من أسباب الفتن والثورات في البلاد ، ويتدخلون في السلطة [٣]، ولعل ذلك محاولة لإقامة دولة مستقلة يتحكم فيها زعماء تلك الطريقة ، على غرار ما فعله

---

[١] انظر : موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ، ص : ٩٣.

[٢] انظر : موسوعة السياسة : ١ / ٣٧٣ .

[١] انظر : الفكر الباطني في الأناضول ... ، ص : ١٢ ، ١٣ ، ١٤

[٢] انظر : المرجع السابق ، ص : ٧٣.

[٣] انظر: الفكر الباطني في الأناضول ، ص : ٤٠ — ٥٠ .

الصفويون الروافض .

ومع نهاية الدولة العثمانية ، تعرضت كافة الفرق الدينية للهجوم من قبل اليهود والصليبيين وحزب أتاتورك وغيرهم ، وكان الطريقة البكتاشية من تلك الفرق التي ضُيّق عليها ، فنزحوا إلى ألبانيا ، وأظهروا بها طريقتهم ، وما زالوا بها ، وبها مركز عالمي لهم إلى اليوم . ومع الهجمة الشيوعية في أوروبا ، كانت ألبانيا من الدول التي تعرضت لتلك الهجمات ، وحصل تضييق على البكتاشيين الصوفيين ، فنزح منهم جموع إلى بعض الدول الأوروبية ، وبعض الدول العربية ، ومنها : مصر ، والعراق ، لكن وجودهم يتركز في ألبانيا ثم تركيا [١].

وهذه الطريقة البكتاشية تجمع بين التصوف الغالي والتشيع الرافضي ، فهم يعلنون التشيع للأئمة الاثني عشر ، وإظهار التشيع لعلي وآله ، وسب الصحابة ، والعداء للسنة وأهلها . وعندهم القول بوحدة الوجود ، وبالتثليث ، وتثليثهم قائم على ثلاثة : الله ، محمد ، علي . وهذا من تأثرهم بعقيدة التثليث ، وكذلك طريقتهم هذه مشهورة عند الرافضة الفرس ومعمول بها. ولهم طقوس خاصة وأشعار خاصة ، ويتغزلون حتى بالطبيعة ، ويقول جمالها من جمال الله ولهم أوراد بدعية لمن أراد الدخول معهم ، ومن أشهرها الدعاء بقولهم : ناد علياً مظهر العجائب ، تجده عوناً لك عند النوائب ، ويزعمون أن الرسول ﷺ دعا بهذا الدعاء يوم جرح في غزوة أحد ، وهذا الدعاء مشهور ومعمول به عند الرافضة . وبعض عباداتهم وطقوسهم يفعلونها سراً ولا يجهرون بها ، وعُرفوا أيضاً بشرب الخمر ، ويطلبون من المريدين الجدد الاعتراف بما قد اقترفوه ، ثم بعد ذلك تقبل توبتهم بين يدي مشايخهم [٢] .

وفي لقاء مع رئيس الطائفة البكتاشية في العراق ، واسمه : السيد حميد الموسوي ، حيث قال : إن البكتاشية طريقة تركية صوفية ، أسسها الشيخ : محمد إبراهيم ، الشهير باسم : الحاج محمد بكتاش الخراساني النيسابوري ، من أولاد إبراهيم بن موسى الكاظم ، ومما ذكر : أن الطريقة

---

[١] انظر : مقال عن البكتاشية في موقع ملتقى علوم العقيدة ، نشر بتاريخ : ٢٠ / ٧ / ٢٠٠٩ م ، على الرابط : http://www.alagidah.com/vb/showthread.php?t=٤٧٤٦

[٢] انظر : الفكر الباطني في الأناضول ، ص : ٦٢ – ٧٥ ، والطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها ، ص : ٩٤ ، ٩٥ ، وكشف حقيقة التصوف ، ص :٢٧٨ .

البكتاشية مزيج من وحدة الوجود والطريقة العلوية البكتاشية ، وأنها طريقة آل البيت . وعن أماكن وجودها في العراق ، قال : النجف الأشرف وكربلاء المقدسة . وعن سؤال له حول جوهر الاختلاف الفعلي بينه وبين أتباع خط المرجعية الشيعية في النجف الأشرف ، أجاب : لا يوجد أي اختلاف فكري بيننا ، فنحن نلتزم بخط المرجعية المقدسة ، وعقيدتنا واحدة .... ثم ذكر أنهم يقرؤون أورادهم باللغة التركية ، وأنهم مازالوا على ذلك . وسئل أيضاً عن طائفة – الشُّبْك- ،وهم بكتاشيون مثلهم في العراق ، قال : الشبك ليس بيننا وبينهم اختلاف فكري في المعتقد إلا إنهم لا يتكلمون التركية ، وإنما اقتصارهم فيها على الأوراد والأدعية [١] .

ومن خلال عرض هذا اللقاء من أحد زعماء الطريقة البكتاشية المعاصرين ، تتضح عدة أمور:

- أن الحركة البكتاشية الصوفية الرافضية مازالت ممتدة ولها نشاطها ودعوتها الهدامة في البلاد العربية والإسلامية .
- أن أسسها وطقوسها مماثلة للحركة الأصلية الأم .
- اعتراف زعيمها بأنه لا فرق بينه وبين الرافضة في العقائد وأنهم على خطى المرجعية الرافضية في العراق .
- استبعادهم اللغة العربية ، واستمرارهم على اللغة التركية في أورادهم ، خلافاً لما هو متقرر عند كافة المسلمين من أن اللغة العربية هي الأساس في الذكر والتعبد .

وجميع تلك المظاهر المذكورة هي من مظاهر الفكر الشعوبي ، من حيث المعتقدات ، ومن حيث المرجعيات التي يتبعونها ، ومن حيث طرق الأدعية البدعية ، ومن حيث استبعاد اللغة العربية . وهنا نخلص بنتيجة مهمة وهي أن موارد الفكر الشعوبي ما زالت على أشدها في هذا العصر ، بل وفي بعض البلاد الاسلامية التي كانت مركزاً للعلم والدعوة إلى الدين ، مما يؤكد غربة التوحيد والسنة ، والله المستعان .

---

[١] اللقاء نقله موقع أفكار حرة العراقي ، بتاريخ : ٣٠ يونيو ٢٠١١م ، انظر الرابط :
http://afkarhura.com/index.php?option=com_content&view=article&id=٢١٣١:٢٠١١-٠٧-٣٠-٠٩-٤٠-٢٨&catid=١:akbar&Itemid=٢١

وقد وقفت على جواب قديم حول استفتاء إلى مفتي مصر في حينه الشيخ حسنين مخلوف ، عن الطائفة البكتاشية في مصر ، وعن إمكانية الاعتراف بها والسماح بنشاطها ، فبدأ جوابه باستعراض قيام تلك الطريقة ، ونشأتها ، ثم ختم جوابه بقوله : ... والخلاصة أن البكتاشية إذ كانوا كذلك ، لا نعتبرهم من الصوفية ، ولا من أهل السنة والجماعة ، ولا نقرهم على تقاليدهم ، وفيها ما يأباه الدين كالسجود ونحوه . ونعدهم من المبتدعة ، ولا نرى أن نعترف بهم رسمياً ... ثم قال : ويقول مؤرخ تركي أن البكتاشية في الحقيقة دعوة إباحية ، وأن السلطان محموداً حين أراد التخلص من الانكشارية لعظم مفاسدها وأخطارها ، رأى لهذا أن يتخلص من البكتاشية سنة ١٢٤١هـ ، فنفاهم من الاستانة ، ومنهم المؤرخ الرسمي للدولة : محمد عطا أفندي زاده ، وكان بكتاشياً ؛ لذلك أرى عدم جواز إجابة هذا الطلب ، والله أعلم [١]. أ. هـ .

ومن أهم ما يلاحظ في جواب الشيخ ذكر وصفها بالإباحية ، وهذا من أبرز مظاهر الفكر الشعوبي قديماً وحديثاً ، إضافة لرافضيتها وقولها بوحدة الوجود . وبهذا العرض للطريقة البكتاشية الصوفية الرافضية ، يتضح شدة العلاقة بين التشيع المجوسي والتصوف الباطني كما تقدم ، وأنهما عاملان في نشر الإلحاد الشعوبي بين المسلمين ، الذي ترتب عليه طمس معالم التوحيد ، وإحداث طريقة شيطانية ما أنزل الله بها من سلطان .

ومن الحركات الإلحادية التي ساهمت بشدة في نشر الفكر الشعوبي عند الفرس في إيران : **الحركة النقطوية** .

(**النقطوية**) **نشأتها ومؤسسها** :

وهي من الفرق الإلحادية التي جمعت بين الإلحاد والزندقة في أفكارها ومبادئها ، وتعود نشأتها إلى القرن التاسع الهجري في إيران ، في كيلان ، علي يد رجل يدعى : محمود البسيخاني الإيراني [٢] .

---

[١] انظر جوابه هذا في : موقع شبكة الدفاع عن السنة ، نشر بتاريخ : ٤ / ٧ / ٢٠١٢ م ، على الرابط : http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=٣٢٦٠٩

[٢] هو : محمود نامي الجيلاني البسيخاني ، من جيلان ، مؤسس فرقة النقطوية ، أسسها ، عام : ٨٠٠هـ ، وادعى أنه المهدي ، وكان يقول بزوال الإسلام ، وانتهاء دور العرب ، وأن دين العجم سيقوم . تبعه

=

يقال أن هذا الرجل بدأ سيرته باحثاً عن المعتقد الصحيح الذي يجب عليه أن يعتقده ، لأن بلاده الإيرانية معروفة بالاختلافات المذهبية الفكرية ؛ ولذا اشتهر بالسفر والتنقل بين البلاد ، ولما عاد لبلاده استقر في (استرآباد) الإيرانية ، ولازم أحد مشايخها ويدعى : السيد فضل الله الاسترآبادي . وبعد مدة من صحبته لشيخه حصل بينهما خلاف ونزاع حول بعض المسائل العقدية ، فقام شيخُه بطرده وإبعاده عن حلقته ، فلُقب حينها بـمحمود المطرود . ثم قرر بعد ذلك أن ينعزل بنفسه عن الناس ، ويخلو ليروض نفسه على العبادة والزهد والتقشف ، فكان يجلس كثيراً بين الغابات والأشجار ، ويأكل العشب والشجر ، ويشرب ويتوضأ من النهر . وفي إحدى المرات شاهد في النهر شيئاً يجري مع تيار الماء ، فاقترب فإذا هي حبة جزرة ، فأكلها ؛ ظناً منه أنها سيقت إليه خاصة ، وأنها رزقه دون غيره ، وفي اليوم التالي تكررت معه هذه الحادثة ، واستمرت عدة مرات ، فأحب ذات يوم أن يطلع على أصل هذه الشجرة الذي تأتي منه ، فعاكس مجرى الماء حتى شاهد امرأة عند النهر وبيدها جزرة تتبضّع بها ، فهاله الموقف وتعجب ، وعلم حال الجزرة التي كان يأكلها ، فساء ظنه بربه وقال : أهكذا ترزق عبادك المخلصين ؟!! ، وأصبح بعدها محارباً ومضاداً لكل الأديان ، وألحد بعد ذلك ، ثم أخذ يكتب ويؤلف في الإلحاد والزندقة ، واستمر في منهجه هذا حتى توفي عام ٨٣٢هـ ، واختار العزوبية على الزواج حتى وفاته . وقد صدر أمر الشاه عباس الأول الصفوي بالقضاء على تلك الحركة ؛ بتهمة الإلحاد ، ولأنها مخالفة للمذهب الرافضي الرسمي لبلاده [1].

خلق كثير ، وحركته تشتمل على عقائد ملحدة كفرية . خرج الجيلاني على الدولة الصفوية ، وفي عهد الشاه عباس الأول بلغت ذروتها ، حتى قيل : بأن الشاه الصفوي لم يستطع القضاء عليه هو وأتباعه من أهل جيلان إلا بعد الحيلة وطلبه من البسيخاني الجيلاني الحضور إليه وأنه مقتنع بدعوته ، فلما حضر إليه أمر بالقبض والقضاء عليه ، وكان الشاه الصفوي يرى أن هذه الحركة إلحادية لأنها خارجة عن المذهب الصفوي الرافضي لدولته ، ومن بقي من تلك الحركة فرّ إلى الهند في وقت حاكمها : جلال الدين محمد أكبر ، انظر : أطلس الفرق والمذاهب ، ص : ٤٣ ، وتاريخ الدولة الصفوية في إيران ، محمد طقوش ، ص : ١٤٧ ، ١٤٨ .

[1] انظر : فرق الهند المنتسبة للإسلام في القرن العاشر وآثارها في العقيدة ، محمد كبير ، ص : ٣١ — ٣٣.

ألقاب هذه الفرقة

أشهرها : النقطوية : قيل سميت بذلك ؛ لأن محمود البسيخواني يرى أن نقطة كل شيء وأساسه تبدأ من الطين ، والنقطة عنده هي الطين ، فسمي بذلك . وقيل : لأنه استعمل لنفسه بعض النقاط والقواعد التي حرف بها القرآن الكريم وجعل له تفسيراً خاصاً حسب تلك النقاط التي انتهجها ، وقيل أيضاً : لكونهم يعدون النقطة واحداً وهي أصل الوجود ، وكان من عادة هذه الفرقة أنهم يتعارفون بكتبة حرف الباء (ب) على الأرض مع تركيز الأصابع على نقطة الباء . ومنها : المحمودية ، نسبة إليه ، ومنها : الواحدية : نسبة إلى الواحد الذي ينتمي لهذه الفرقة ، والواحد عنده هو الأعزب الذي لم يتزوج ؛ لأنه كان يفضل العزوبية على الزواج وينصح بذلك أتباعه

ومنها : الأمناء : قيل أنه لقب أطلقه هو على من يتبعه من المتزوجين ، على أنها مرتبة دون الواحدية أو الأحدية ، فكان يصنف أتباعه بالواحد والأمين [١].

عقائد النقطوية : مع أن هذه الفرقة ملحدة ولا تعترف بالأديان إلا أنها اشتهرت بعقائد ، منها:

الإنسان الكامل [٢] : يعتقد محمود البسيخواني بأن جسمه هو الجسم الكامل ، وأنه خلق من جسد النبي ﷺ الذي يعتبره كذلك أيضاً . وأن النبي وعلي بن أبي طالب كاملان ، وباتحادهما ولالتقائهما ازداد الصفاء والقوة ، ومنهما خلق جسد محمود الكامل ، ويعتقد أن كمال جسده أكمل من النبي ﷺ ، وأن محموداً هو المعني بقوله : (... ليس كمثله شيء ...) .

المركب المبين : وتعني عنده هذه العقيدة ، الإنسان الواحد ، وهذه المرتبة عنده دون الإنسان الكامل ، وصاحبها مهيئ لأن يصل للإنسان الكامل . ويصلها الشخص حين يعرف نفسه ،

---

[١] المرجع السابق ، ص : ٣٤ ، ٣٥ .

[٢] تقدمت الإشارة إلى معنى الإنسان الكامل وأساس هذه الفكرة ، والنقطوية من الفرق الشعوبية التي قالت بالإنسان الكامل ، لكنها تفرق عن بعض الفرق كالصوفية والإمامية بأن محمود البسيخواني هو المنتهى في الكمال للحقيقة المحمدية وللإنسان الكامل ، فعندهم أن محموداً هذا ترقى في الكمال حتى تجاوز الحقيقة المحمدية والإنسان الكامل حتى وصل للكمال المطلق ، الذي هو محمود البسيخواني . انظر : المرجع السابق ، ص : ٤٣ .

وأن الإنسان في حالة العبودية والذل ما لم يعرف نفسه ، وهي خاصة بمن كان عزباً أما المتزوج فلا يصل إليها ، وعلى هذا الأساس جعل كلمة التوحيد عنده : لا إله إلا المركب المبين ، والبسملة عنده : أستعين بنفسك الذي لا إله إلا هو . وكان يرى في نفسه أنه المهدي ، وأن لديه شريعة نسخت التي جاء بها الرسول ﷺ [1].

التناسخ : تؤمن النقطوية بالتناسخ وبقدم العالم ، وأن الذرة من كل شيء هي أصل الخلق وأنها لا تفنى ولا تبيد ، بل الذي يتغير هو الشكل والصورة فقط ؛ ولذا ينكرون القيامة والجنة والنار ، وأن الجنة هي نعيم الدنيا ، والنار هي مصائب الدنيا وآفاتها . ويعتقد أن الإنسان إذا مات تحول إلى نبات ثم أكله إنسان أو حيوان انتقل إليه ، وهكذا تستمر الحياة إلى ما لا نهاية ، كما يعتقد بأن كل أسود من المخلوقات فهو لسوء حاله ، والأبيض لحسن حاله وجمالها . ويقول البسيخواني بأن الحسين بن علي هو موسى عليه السلام ، وأن يزيد بن معاوية هو فرعون [1].

ومن أفكار النقطوية الإلحادية : أن نبوة محمد ﷺ قد نسخت بنبوة محمود ، وأن شريعة الإسلام انتهت بظهور محمود . وأنه بظهوره انتهت دولة العرب وأنبياؤها وبدأت دولة العجم ، وأن الأنبياء الذي سيأتون بعده هم من العجم من طائفة المركب المبين . وعندهم أن الدنيا ستة عشر ألف سنة ، مضى منها ثمانية آلاف ، وانتهى النصف الأول بظهور محمد ﷺ ، والنصف الثاني هو من دور العجم دون العرب ؛ ولذا كان يكره العرب ويعاديهم . وكانت النقطوية لهذه الفكرة يناظرون الناس على الألفية الجديدة التي ستبدأ بعد القرن العاشر ، وسيكون لها ملك خاص بها ، ولها عهد جديد ، وكانوا يزعمون بأن ملك الهند جلال أكبر هو صاحب هذا العهد ، وعظموه لهذا ، وكان هذا هو أساس ظهور الطائفة الأكبرية في بلاد الهند . والنقطوية تنكر أن يكون القرآن كلام الله ، ويقولون هو من تأليف محمد ، ومن زندقتهم وإلحادهم أنهم اشتهروا بالسخرية من شريعة الإسلام ، خصوصاً الحج لبيت الله الحرام ، فكانت النقطوية في الهند تمنع الناس من الحج ومن أراد الذهاب لمكة يرون استحقاق قتله . ينكرون السنة والآثار ، ولا يرون غسل الجنابة ، ويدعون إلى تعظيم العقل. وكان لهذه الحركة في بلاد الهند الأثر السيئ على الإسلام ، فهم

---

[1] المرجع السابق ، ص : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦

[1] المرجع السابق ، ص : ٤٦ ، ٤٧

يحرضون عليهم ويكرهونهم ويبغضون العرب ، ويبشرون بزوالهم ، ويتعصبون للعجم ، وكل ما يتعلق بالعقيدة الاسلامية فهم ضده ويحاولون إيقافه وصد انتشاره في بلاد الهند [١].

لقد كانت هذه الحركة الإلحادية التي نشأت في إيران سبب في امتداد الفكر الشعوبي في إيران والهند ، ومع أنها حركة ملحدة ، إلا أن الفكر الشعوبي كان من أبرز مظاهرها ، فموقفهم من الإسلام ، عقيدة ودولة ، ومن العرب ، ومن النبي ﷺ يشبه كثيراً الفرق الشعوبية في أهدافها ، ومع أنها أيضاً ملحدة إلا أن التشيع لعلي بن أبي طالب والغلو فيه كان حاضراً خصوصاً فيما قرره زعيمهم في فكرة الإنسان الكامل ، وفيها من الباطنية شبه من جهة حرص أتباعها على كتمان عقائدهم [١].

وأما عن صور الإلحاد المعاصر فكثيرة جداً ، لكن يجمعها عدم الاعتراف بالأديان ، وإنكار النبوات ، وأنها سبب لتخلف الناس ، وكذلك عبادة المادة وجعلها المقياس لكل شيء . ومن أبرز صور الإلحاد أن يكون على شكل نظريات مادية إلحادية ، ينطلق منها الملحدون في تنظيرهم ، كنظرية داروين التي تقوم على فكرة التطور في حياة الكائنات وأنها نتيجة لعوامل الطبيعة والاستئناس[٢]، وفرويد الذي تقوم نظريته على اعتبار أن اللذة فوق كل غاية ويبيح لها كل طريقة تؤدي إليها [٣]. ومن صور الإلحاد المعاصرة أن تكون مذهبية على شكل منظمات وحكومات ومذاهب ، تهدف لنشر الإلحاد وإبطال الأديان كلها ، كالشيوعية ، والماسونية ، والوجودية ، وغيرها [٤].

---

[١] المرجع السابق ، ص : ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩

[١] انظر : أطلس الفرق والمذاهب ، ص : ٣٦٤

[٢] انظر : موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي ، ١ / ٤٧٣.

[٣] انظر : المرجع السابق ، ٢ / ١٢٣

[٤] انظر : الإلحاد في العصر الحاضر ، وموقف العقيدة الإسلامية منه ، عبد العزيز المحمدي ، ص : ٥٥ وما بعدها .

المبحث الثالث : طرق الشعوبيين في نشر عقائدهم

يسلك الشعوبيون طرقاً متنوعة في نشر أفكارهم التي يهدفون من خلالها لهدم العقيدة والشريعة ، وخلق أجواء من الفوضى الفكرية ، أو الانحلال الأخلاقي . ويظهر من صنيعهم أن ما يتعلق بالشريعة الإسلامية ، فإنهم يضيفون عليه ما يحرفه عن أصله الذي شرع له ، أو يبطلونه تحت أي مسمى ، تبعاً لتأويلهم الباطني . أو يجعلون الشرع محل الاستهزاء والازدراء . إضافة لبث الشكوك والشبه التي تنطلي على العامة والغوغائيين . أما ما يتعلق باعتقاداتهم أو ما يدعون إليه الناس ، فهم يعظمونه أشد التعظيم ، ويستحلون لأجله المحرمات ، ويصورونه بأنه الحق الذي لا مرية فيه ، وحقيقته عين الزندقة والتفسخ ، إذ إن تلك الطرق تجري في نهايتها لإحياء العقائد المجوسية الباطنية ، أو القومية الفارسية الشعوبية .

وكل تلك الأمور يتخذونها على حسب اختلاف الظروف والأحوال ، من قوتهم وظهورهم ، وقيام دعوتهم ، وباختلاف الزمان والمكان ، وأهم تلك الطرق ، ما يلي :

أولاً : الروايات الباطلة

يستخدم الشعوبيون الروايات المكذوبة الباطلة التي تدعو إلى عودة ملك العجم ، والفرس خصوصاً ، وزوال دولة العرب المسلمة ، وهذا الجانب معروف منذ القديم في فكر هذه الحركة ، حيث اشتهرت عند الفرق الشعوبية بأن ملك العجم سيعود ، وسيزيل ملك العرب وكانوا يتشبثون بتلك الروايات المنسوبة لبعض زعمائهم ، كزرادشت بأنه قال للملك كشتاسب : بأن ملكهم سيزول عن الفرس إلى الروم واليونانية ، ثم يعود إلى الفرس ، ثم يزول عن الفرس إلى العرب ثم يعود إلى الفرس ، حتى صار هذا اعتقاداً عندهم . ومن الفرق التي قالت بذلك – اليزيدية – ، فهي تزعم أنه سيبعث رسول من العجم آخر الزمان ، وينزل عليه كتاب من السماء ، وينسخ شريعة الإسلام (١).

وقد كان لإنكار النبوة وتحريفها عند الشعوبيين دور في بقاء هذه الأسطورة ، حيث أن غالب تلك الفرق تقول بجريان النبوة . ولذا لا يستغرب أنه في كل فترة يظهر من يدعي النبوة ، فبابك

---

(١) انظر : أطلس الفرق ، ص : ٣٨٧ ، وصفحة : ٩٦ ، من هذا البحث .

الخرمي ، والمقنع الأبيض ، والبهائية والقاديانية ، والهندوس وغيرهم ، تشرّبوا هذه الأكذوبة . وكذلك كانت مثل هذه الروايات الباطلة سبباً في تفضيلهم جنس العجم على العرب ، لأن المُلْك سيعود إليهم ، كما زعموا . فإذا ما صادفت هذه الطريقة قلوباً خاوية من التوحيد والإيمان ، تبعت ذلك وصدقته ، خصوصاً في البلاد التي لم يتمكن فيها الإسلام [١].

وكثير من تلك الروايات تدور حول – خروج المهدي- ، فكل فرقة أوطائفة من الفرق الشعوبية تزعم خروج مهديها وأنه سيؤول إليه الملك والتشريع وإقامة ملك العجم على العرب .

ومن ذلك ما رواه النعماني [١] : (بسنده ... عن أبي جعفر الباقر عليه السلام ، قال : " أصحاب القائم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً أولاد العجم ، بعضهم يحمل في السحاب نهاراً ، يعرف باسمه واسم أبيه ونسبه وحليته ، وبعضهم نائم على فراشه ، فيوافيه في مكة على غير ميعاد ") [٢] ، وروى أيضاً : (... قال : " قال أمير المؤمنين عليه السلام : كأني أنظر إلى شيعتنا بمسجد الكوفة ، قد ضربوا الفساطيط يعلمون الناس القرآن كما أنزل ، أما إن قائمنا إذا قام كسره ، وسوى قبلته ") [٣] ، وروى أيضاً : (... عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : "كيف أنتم لو ضرب أصحاب القائم عليه السلام الفساطيط في مسجد كوفان ، ثم يخرج إليهم المثال المستأنف ، أمر جديد ، على العرب شديد ")[٤] . وبعد أن لفقوا تلك الروايات المكذوبة ، طلبوا من أتباعهم أن يجردوا سيوفهم ، ويستعدوا للثأر من أهل السنة ، ويرددوا في مظاهرهم الشركية: يا لثارات الحسين !! ، ويقولون بأن مهديهم سيعيد الملك لهم ، ويسقط كل الحكومات الطاغوتية عندهم ، ويحكم بالحق ، ويقتل العرب [٥].

---

[١] انظر : الفرق ، ص : ٢٩٣

[١] يُعرف بابن أبي زينب النعماني ، وكتابه هذا من الكتب المعتمدة عند الإمامية ، انظر : رياض العلماء ، ص : ٥ / ١٣ .

[٢] الغيبة ، ص : ٣٢٩ .

[٣] المرجع السابق ، ص : ٣٣٣ .

[٤] المرجع السابق ، ص : ٣٣٤ .

[٥] انظر : المخطط الإجرامي لإبادة أمة الإسلام تحت مسمى خروج الإمام المهدي ، ص : ٦٨

ثانياً : كثرة الفرق والمذاهب المخالفة وموقفها السيئ من الإسلام

كان لامتداد الفرق المخالفة الأثر الملحوظ في امتداد الفكر الشعوبي وحركته الهدامة ، إما بتواطؤ تلك الفرق المخالفة مع أرباب الفكر الشعوبي أو بتحريف المفهوم الحق للدين الإسلامي إلى معانٍ باطلة منحرفة ، يصورها أصحاب تلك الفرق بأنها هي الدين ، ومن أشهر تلك الفرق الصوفية وطرقها ، والرافضة وفرقها [1]. أو بدخول الشعوبيين الزنادقة تحت مظلات تلك الفرق المخالفة ، وساندتها على ذلك المذاهب الهدامة ، كالصهيونية والمذاهب الفكرية الصليبية ، والهندوسية ، وغيرها من طرق الضلال ، التي تُجْمع على حرب الإسلام وأهله وبلاده . كل أولئك كانوا مورداً رئيساً للحركة الشعوبية ، بما يبثونه من عقائد باطلة ، وبما يحصل منهم من تآمر على المسلمين ، وكذلك طعنهم في سلف الأمة وتشويه سيرهم ، ونسبة التخلف والتأخر إليهم ، حتى أصبح أولئك الفسقة كلما حدث في بلادٍ شر وأذى ، نسبوه للدين وللمسلمين ، ووصفوا المسلمين بالإرهابيين ، والمجرمين ، وغيرها من صنوف الاتهامات التي تكال للمسلمين ليلاً ونهاراً ، وكل ذلك يصب في مصلحة الشعوبية وامتداد حركتها [1].

ثالثاً : الإغراء بالإباحية

هذه الطريقة المرذولة ، يستميل بها الشعوبيون الدهماء والأغرار من الناس ، إما علناً كما فعلت المزدكية والمقنعية والراوندية والخرمية والقرامطة ، أو من باب التحايل وإضفاء الصبغة الشرعية عليها ، كما في المتعة عند الرافضة [2]. التي استقوها أصلاً من الموروثات المجوسية الفارسية لديهم ، إذْ لم يجد الشعوبيون المجوس أنسب من الرافضة ومذاهبهم لنشر التفسخ الشعوبي [3]. وكذلك ما عرف أيضاً عن الباطنيين الزنادقة الأراذل ، كالقرامطة وغيرهم ، الذين يستحلون نكاح المحارم

---

[1] وقد تقدم قريباً الحديث عن أثر التصوف والرفض في العقائد الشعوبية ، انظر : ص : ٢٧٥ من البحث .

[1] انظر : الانحراف العقدي والعلمي في القرنين الثالث عشر والرابع عشر وأثرها في حياة الأمة ، علي الزهراني ، ص : ٥٦٣ – ٥٩١ ، وانظر : ٥٣٥ – ٥٦٠

[2] انظر : صفحة : ٦١ ، من هذا البحث .

[3] انظر : الرسالة الخنفرية ، ص : ٥٨٨ ،

واللواط ، بل ويهمزون ويلمزون المسلمين على تحريم نكاح المحارم [1].

وهذا الفجور والمجون لا يكاد يعرف عن قوم كما عرف عن أهل الفكر الشعوبي ، ولذلك لا تجد عندهم في حركتهم من تبرز من النساء ولو دنيوياً إلا نادراً ، لأنها سلعة مباحة يصطادون بها غيرهم ، وقد كانت النساء مُبْتذَلات مَهِينات عند الزرادشتيين المجوس ويصفون المرأة بالنجس وبأوصاف قبيحة ، فتشرب أولئك الشعوبيون هذه الأفكار وصارت من طرقهم [2].

ومما ساعد الحركة الشعوبية في نشر التفسخ والانحلال : الغزو الفكري ، من قبل أعداء الأمة الصليبيين ، وجعلوه ضميماً للحضارة والتقدم ، حتى ظن من لا عقل عنده أنه كذلك ، فبعد غزوهم لبلاد المسلمين بالسلاح وسلب الخيرات ، غزو أخلاقهم ، وزرعوا فيها المذاهب المنحلة الهدامة ، التي تجعل من الشهوة الجنسية غاية الوجود ، عياذاً بالله [1].

رابعاً : الحيل والخديعة

وهذا يظهر أنهم يستعملونها في حال ضعفهم أو خوفهم من قبضة السلطان ، أو عدم قبول الناس صراحة لعقائدهم . فيأتي بعض من ينتسب لهذه الحركة ، فيفعل فعلاً يظهر من أول وهلة أنه من الأمور المعتادة ، لكن حقيقته تهدف لشيء آخر يبطنونه . ومن ذلك ما كان يفعله وزير المأمون ، الفضل بن سهل ، حين يركب كرسي مجنح ، وهي عادة مجوسية ، أو لبس الخضرة ، لأن الخضرة كانت ترمز عند المجوس إلى الحياة والنور والأرض ، وهي من مصادر النور والخير عندهم ، وترك لبس السواد الذي كان شعاراً للعباسيين [2].

ومن ذلك أيضاً حيلتهم في إدخال النار للمساجد بغية تجميرها ، وتطييبها بالبخور ، وفي حقيقتهم إدخال النار التي يعظمونها إلى بيوت الله لاستقبالها في الصلاة . وقد كان البرامكة يريدون حمل الرشيد إلى أن يضع النار في جوف الكعبة ، عن طريق مِجْمَرة ، قال البغدادي : " ...فعلم الرشيد أنهم أرادوا من ذلك عبادة النار في الكعبة ، وأن تصير الكعبة بيت نار ، فكان

---

(1) انظر : الفرق ، ص : ٢٩٣ ، ٣٠٣ .

(2) انظر : الرسالة الخنفرية ، ص : ٥٩٧.

(1) انظر : الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، ص : ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ .

(2) انظر : الوزراء والكتاب ، ص : ٤٣٦ – ٤٦١.

ذلك أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة " [1].

وكذلك الباطنية على اختلاف صورهم يأتون للمدعوين من الباب الذي يناسبهم ، فمن رأوه مائلاً للزهد والتقشف تظاهروا بذلك معه ، ومن كان محباً للمال والرياسة مكنوه من ذلك . ويقصدون غيرهم من المبتدعة ، فمن علموا منه أنه رافضي جاءوه من باب ذم الصحابة والشيخين خصوصاً ، وأن الصحابة سلبوا الإمامة علياً ، وعندهم أن التفرس في المدعو ، شرط من شروط الدعاة التي يرسلونها لاصطياد الناس ، وبعد أن يتمكنوا منه أخذوا منه العهود والمواثيق لئلا يفشي سرهم [1].

ومثلهم الرافضة ، فكم أدخلوا على المسلمين قديماً وحديثاً بحيلهم ومخادعتهم الشر والفساد والضلال ، ففي يوم عاشوراء يفرضون على أتباعهم لبس السواد ، واللطم والتطبير ، وإسالة الدماء ، بأن هذا من مراسم الحزن والعزاء لمقتل الحسين بن علي رضي الله عنه ، ويوحون لهم بأن من كان يعز عليه دم الحسين ، فليفعل تلك الطقوس ، وفي حقيقة الأمر ، أن ذلك منهم تشريع لما لم يأذن به الله ، وكذلك تصوير أهل السنة بأنه ليس للحسين بن علي عندهم منزلة ومحبة ، وأنهم هم السبب في قتل الحسين . وإظهار تلك الطقوس المبتدعة لتكون أيضاً سبباً في النيل من الصحابة ومنزلتهم وإظهارهم بأنهم هم من تخلى عن الحسين ، ويمتد النيل كذلك لعامة أهل السنة [2]. وفي هذه الأزمان أيضاً ظهرت في بعض البلدان فعلة محدثة ، يفعلها عامة الرافضة بإيعاز من أوليائهم ، في البلدان التي لا تسمح بمنكرات الروافض في عاشوراء أو غيرها ، وهي خروج قوافل المتبرعين بالدماء إلى المستشفيات في يوم عاشوراء أو في العشر الأيام الأولى من الشهر ، لغرض التبرع بالدم للمرضى والمحتاجين ، ولكن لماذا لا تُفْعل إلا في ذلك اليوم ؟ ولماذا لا يفعلها إلا أناس من فئة أو طائفة معروفة ؟! . والذي يظهر أنه لما عجزوا عن إظهار الطقوس الرافضية الصفوية في يوم عاشوراء ، استعاضوا عن ذلك بهذه الفعلة المحدثة ، التي ظاهرها

---

[1] الفرق ، ص : ٢٩٢.

[1] انظر : الفرق ، ص : ٣٠٤ – ٣٠٦.

[2] انظر : وسائل وأساليب الشيعة الإمامة الاثني عشرية في نشر مذهبهم وسبل مواجهتها ، زيد العتيبي ، ص : ٢٥٢ – ٢٥٧.

الإحسان ، لكن وراء الأكمة ما وراءها .

ومن الحيل التي ذكرت قديماً أيضاً عن بعض الفرق الشعوبية الباطنية ، ما كان يفعله الحسن بن الصبَّاح ، زعيم فرقة الحشاشين الباطنية ، حيث كان يستعبد ويستعطف أتباعه بحيله وخديعته ، وجعل منهم أناساً فدائيين ، يفعلون كل ما يطلبه منهم ولو كان نتيجته الموت ، فيحكى عنه أنه أنشأ في واد محصور بين جبلين بستاناً ، جمع فيه أصناف الفواكه والثمرات ، وشيد فيه المباني الجميلة ، وجعل أنابيب تصب ماء وخمراً ولبناً . وجعل في تلك المباني نساء من أجمل النساء ، اللائي يوصفن أيضاً بالأصوات الحسنة ، واللباس الفاتن . وقد كان من عادة الحسن الصباح أن يحدث أتباعه عن الجنة وأوصافها التي بشر بها النبي صلى الله عليه وسلم . وبعد أن أدرك أن أتباعه استوعبوا تلك الصفات ورغبوا فيها مهما كان ثمنها ، أمر بإعطائهم – الحشيش- المخدر ، فإذا صرعهم النوم وأصبحوا شبه موتى أمر بحملهم لتلك المباني والبساتين ، فإذا استيقظوا من سكرهم ، انبهروا وصعقوا لما رأته أعينهم ، وتاقت له نفوسهم ، ثم يعيدهم في حالة السكر والنوم ، ويخرجون خارج تلك الجنان ، وعندما يحضرون لشيخهم ويسألهم أين كانوا ؟ فيجيبون في الفردوس بفضل شيخنا ، فيقول مخاطبهم : لقد وعَدَنا رسول الله وكان وعْدُه حقاً ، بأن الجنة يرثها الصالحون ، وإن أخلصتم لأوامري ، فإن ذلك المصير ينتظركم ، فتدب الحماسة فيهم لتنفيذ أوامره حتى الموت ، فمن سُلِّطوا عليه يفتكون به أشد الفتك ، وعليه صارت تلك الفئة من الحشاشين مصدر رهبة وقوة لتلك الحركة الباطنية الشعوبية [١]. واستخدام الحشيش المخدِّر لم يقتصر فقط على أولئك الباطنية ، بل هو من فضائح الصوفية الاتحادية ، أرباب الحلول والفكر الإشراقي ، فعندهم أن السالك المبتدئ إذا لم يستطع أن يجهد نفسه للوصول لنهاية الشهود ، ولمرحلة تسمى عندهم الجذب[٢] ، فيأخذ الحشيش المخدر الذي يعينه على التخلص من ضيق المادة إلى سعة الروح والفناء [٣]. وبهذا العجز والخمول والتخدير تأتيهم شياطينهم وتوحي لهم بما

---

[١] انظر : أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين ، ص : ٥٦ ، ٥٧

[٢] الجذبة عند الصوفية يزعمون أن الله يجذب الواحد منهم إلى حضرته ، انظر : معجم المصطلحات الصوفية ، ص :٦٢.

[٣] انظر : كشف حقيقة التصوف ، ص : ٧٤٧ ، ٧٤٥ ، وانظر ، ص : ٦٥٥ – ٦٦٤ .

تشاء من الضلالات والزندقة ، فيبلغونها عنهم ، وينشرونها بين الناس ، ونعوذ بالله من الضلال .

ومن الحيل التي ذكرت عن زعماء النصيرية الباطنية المعاصرة في سوريا ، ما كان يفعله أول رئيس للدولة النصيرية التي سميت — العلوية – ، وهو : سليمان المرشد ، الذي تزندق وغلا وادعى الألوهية ، فكان يجعل في ثوبه أزرار كهربائية ومعه بطارية لتشغيلها حتى يُظهر بأنه يخرج منه النور ، فيسجد له أتباعه ، وكان يشجعه على ذلك بعض المستشارين الفرنسيين ، ويناديه بالرب ، ويسجد معهم ، ولا يبعد أن يكون هذا الإفساد متفق بينهما [(١)] .

خامساً : السحر والشعوذة والتنجيم

اشتهر الشعوبيون بفعل المخاريق والأمور السحرية والشعوذة ، التي تعمي أبصار العامة عن حقيقة دعوتهم ، وتكون وسيلة جذب وعلامات صدق عندهم لقبول دعوتهم ، وقد عرف هذا قديماً ، ومنهم : المقنع الخراساني ، صاحب الفرقة المشهورة ، عرف عنه استخدام السحر والشعوذة ، وإبراز مثل الضوء في الليل للناس ، وكان يخادعهم بأنها من معجزاته [(١)]. ومما يهدفون به في عمل تلك المخاريق مضاهاة الأنبياء في الآيات التي يهبهم الله سبحانه إياها ، ليقنعوا أتباعهم ، بأن لديهم ما لدى الأنبياء من الآيات ، وبهذا يصرفون الناس عن تصديق ما بعث الله به رسله وأنزل كتبه . ومن الأسماء القديمة في الحركة الشعوبية التي عرفت بالتنجيم ، الفضل بن سهل [(٢)] ، فقد كان منجماً مشهوراً ، وكان يستند في شئونه لتخرصاته وتنجمه [(٣)]، وهذا من موروث المجوسية الفارسية ، التي اشتهرت بالسحر والتنجيم ، وكانوا يستخدمون ذلك لتخليص أجساد البشر من الشرور كما يزعمون [(٤)]. وكذلك الحلاج [(٥)] ، الذي يعتبر من أهل الفكر الشعوبي ، فقد اشتهر بالزندقة والضلال ، وعرف بالسِّحْر ومخارقه وبشعوذته التي كان يضاهي بها

---

(١) انظر : الحركات الباطنية ، ص : ٣٣٤ .

(١) انظر : الفرق ، ٢٦٢

(٢) تقدمت ترجمته ، ص : ٦٣ ، ٩١ .

(٣) انظر : وفيات الأعيان ٢ / ٢٥٨

(٤) انظر : موسوعة الأديان القديمة ، ص : ٩٠

(٥) تقدم التعريف به ، ص : ٢٦٦ ، ٢٩٠ .

المعجزات كما يزعم ، وكان يزعم بأنه يستطيع أن يأتي بكلام يماثل القرآن ، بل كان يعرض حيله على العامة ، ويطلب منهم أن يؤمنوا به إن صنع لهم ما يطلبون ، وقد ذكر ابن كثير بأن أكثر ما كان يروج من أمر الحلاج على الرافضة ؛ لضعف عقولهم ، ولقلة تمييزهم بين الحق والباطل [1] .

وعرف السحر واستعمال المخاريق أيضاً عند الصوفية الطرقية التي ساندت الحركة الشعوبية في امتدادها ، فيلبّسون على الناس بتسميتها كرامات وخوارق لأوليائهم ، فيأتون بالواحد منهم ويُزرع في جسده السكاكين والخناجر ولا تؤثر فيه ، وكل ذلك من تصرفاتهم بالسحر والشعوذة والدجل ، ومن مبادئ فكرهم الوثني الباطني [1].

فماذا يرتجى من أمثال أولئك الضالين الذين يتقمصون بالتدين ظاهراً ، وأما باطنهم فهو الوثنية والزندقة والفجور والفكر الباطني الذي جعل لكل لفظة معنى خاص يرمزون إليه ؛ ولذا لا تجد عند أولئك الصوفية الطرقية أسس ثابتة لعقائدهم .

يقول البشير الإبراهيمي : (فالتصوف شيء غامض يسعى إليه بوسائل غامضة ، ويسهل على كل واحد ادعائه والتلبس به ، فإن خاف مدعيه الفضيحة لم يعدم سلاحاً من الجمجمة والرمز وتسمية الأشياء بغير أسمائها ، ثم الفزع إلى لزوم السمت ، والتدرع بالصمت ، والإعراض عن الخلق ، والانقطاع والهروب منهم ، مادام هذا كله معدوداً في التصوف ، وداخلاً في حدوده) [2].

سادساً : التسلل للبلاد الإسلامية

اختلفت طرق الشعوبيين في التسلل للبلاد الإسلامية على عدة اتجاهات ، فكل اتجاه سلكوه ، استطاعوا من خلاله التسلل إلى المسلمين في عقائدهم وأفكارهم ودولهم وأخلاقهم ، وأبرز تلك الطرق تدور حول ثلاث اتجاهات :

أولاً : الاتجاه الديني والمعرفي

وهذا الاتجاه استغل فيه الشعوبيون جانت التشيع ، الذي حقيقته التفريس والتمجيس ، وقد

---

[1] انظر : البداية والنهاية ، ١٠ / ٢٨٩ – ٢٩٦ .

[1] انظر : كشف حقيقة التصوف ، ص : ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٦٨ .

[2] الطرق الصوفية ، ص : ٢٩ ، ٣٠ .

صرح بذلك بعض الرموز الشيعية بأن هدف المشروع الإيراني هو التفريس [١].

لكن الشعوبيين من خلال التشيع المزعوم لآل البيت ، استطاعوا أن يتسللوا للبلاد الإسلامية ، ويتصيدوا منها الجهلاء والدهماء ، أو إغراء من في قلبه مرض ، وبمعونة الخونة من المنافقين والصليبيين وغيرهم . فما إن يدخلوا بلداً إلا وينصبوا فيه حوزات الرفض والبدع والشركيات ، ويدعموها بالمراكز الدينية والبحثية التي تتولى إصدار الرسائل والمؤلفات ؛ لغرض التنظير للمشروع المجوسي الشعوبي في ثوب التشيع وقميص التحبب لآل البيت ، ومن ثمَّ تظهر التطبيقات العملية لذاك المشروع بإظهار الشعارات الرافضية الصفوية وتنتهي للعقائد المجوسية ، خصوصاً في البلاد التي تقل أو تضعف فيها أنوار السنة المطهرة ، أو التي تزعم الحرية الدينية والفكرية .

ومن الأمثلة على ذلك : الحملة الرافضية المجوسية الإيرانية في القارة الإفريقية ، ومحاولة محو السنة فيها ، ومسخها إلى الدين المجوسي الفارسي ، فقد غزت الهجمة الشعوبية الفارسية كثيراً من بلاد أفريقيا إن لم نقل أكثرها أو كلها ، وهدفها من ذلك تصدير الثورة الخمينية بكافة محتوياتها [١]. فما إنْ يدخل سفراء تلك الثورة الخمينية بلداً إلا ويقيموا فيها أدوات نشر التشيع الفارسي ، ويستخدمون لذلك عدة وسائل ، منها :

- تأسيس المراكز البحثية العقائدية التي تهتم بنشر المذهب الرافضي ، والدعوة لاعتناق الثورة الخمينية ، والتركيز على اللغة الفارسية أكثر من غيرها من اللغات .
- استغلال الملحقيات الثقافية للقيام بالأنشطة المعرفية والمؤتمرات التي تمجد ما تهدف إليه عمائم إيران وساستها .
- استهداف أبناء القارة الإفريقية بالبعثات إلى قم لتلقينهم المذهب الرافضي ، ثم يعودون لتعليم بني جلدتهم .
- استغلال حملات الحج والعمرة وقيام المسئولون الإيرانيون بعمل الحملات الخاصة بهم ودعوة الناس إليها ، وخلال تلك الحملات يتم تلقين الزوار المناسك والأدعية وفق المذهب الرافضي المبتدع ، وكذلك تلقينهم الموقف الشعوبي الفارسي تجاه الأماكن

---

[١] انظر : المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية ، لعدة باحثين ، ص : ٣٤ .

[١] انظر : التشيع في أفريقيا ، إصدار مركز نماء ، ص : ٣٥ ، ٣٦ .

المقدسة [1].

- كذلك من أكثر الوسائل التي استغلها الصفويون في تمجيس وتفريس الدول الإسلامية الإفريقية : استغلال الطرق الصوفية في دول أفريقيا ، والانخراط فيها ، فكانت التجمعات الصوفية مرتعاً خصباً لنشر الفكر الشعوبي الفارسي [1].

ثانياً : الاتجاه السياسي

وهذا الجانب يهدف من خلاله الشعوبيون الفرس للسيطرة على مفاصل البلاد الإسلامية والتحكم في شؤونها حتى تصير الدول الإسلامية في قبضة العمائم الإيرانية الفارسية ، وكل تلك الوسائل يجمعها تصدير الثورة الخمينية ، ومن أبرز طرقهم لذلك :

- الزيارات الرسمية التي تعملها الحكومة الإيرانية للدول الأخرى ، وقد كان لها نشاط محموم وخاص في الدول الإفريقية ، بإصدار مذكرات التعاون على كافة الأصعدة بين البلدين ، وهذه الطريقة منهم لإظهار الجانب السلمي والتعاوني مع البلاد [2] ، لكن ما تخفي صدور أكبر .
- دعم الانقلابات والثورات التي تحصل في البلاد الإسلامية ، ثم محاولة كسب اليد الطولى في البلاد التي تتعدد فيها الأحزاب السياسية ، بحيث يصبح الحزب الحاكم أو المؤثر بيد إيران ، توجهه أنّى شاءت وفق أهداف الثورة الخمينية الشعوبية [3]. ومن ذلك حين حصل التمرد الجنوبي في السودان والرغبة في الانفصال كانت إيران داعمة للمتمردين ، وتصفه بالثورة الإسلامية [4].
- من طرقها كذلك : زرع الخلايا السرية في البلاد الإسلامية ، وإعدادها وتهيئتها لما سيملى عليها لاحقاً من ايعازات ، وكذلك إيجاد الحركات الموالية لها ، ومن أبرز الأمثلة على

---

(1) انظر : التشيع في أفريقيا ، ص : ٣٧ ، ٧٨ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٨.

(1) انظر : المرجع السابق ، ص : ٨٠ – ٩١ .

(2) انظر : المرجع السابق ،ص : ٧٧– ٧٩ .

(3) انظر : المرجع السابق ، ص : ٣١٧ .

(4) انظر : الزهر والحجر ، عادل الأحمدي ، ص : ١٩٤ .

ذلك ، ما يسمى بحزب الله ، بفروعه ، وكذلك الحركة الحوثية في اليمن (١).

ثالثاً : استغلال القضايا العامة للأمة الإسلامية

ومن أبرزها قضية احتلال فلسطين من الصهاينة ، حيث يزعم الإيرانيون بأن قضية فلسطين من كبرى اهتماماتهم ، وأنهم يؤيدون موقفهم تجاه المحتلين الصهاينة الغزاة ، وهذا كله من الكذب الصراح ، فإيران لا تهتم في فلسطين إلا بنشر المذهب الرافضي الإمامي ، وبتصدير الثورة الشعوبية الخمينية . عن طريق إقامة الحسينيات وطباعة الكتب والمراجع الأساسية للمذهب الإمامي الرافضي ، حتى حولت عدداً من قرى ومدن فلسطين إلى حوزات وتجمعات شيعية فارسية ، تحارب السنة ، وتستغل جهل العامة ، وحاجتهم وفاقتهم ، وحتى من يسمى بفصائل المقاومة الإسلامية استطاعت إيران أن تلويهم إليها ، وتكتنفهم تحت توجهاتها (١).

ومن القرائن على ذلك ما صرح به المدعو حسن نصر الله ، حين يقول عن القضية الفلسطينية : (... نحن استطعنا أن ندخل بيوت أهل السنة على أكتاف القضية الفلسطينية ، ونحمل لهم الصحيفة السجادية ، والإمام الحسين (ع) ، وأهل البيت (ع) ، والإمام الخميني ، وآية الله الخامنه أي ، ومن هنا أصبحوا يقتربون إلينا ، ويعتبروننا إخوة لهم ...) (٢).

ومن الأدلة على ذلك أيضاً : ما قام به أحد قياديِّ حركة حماس ، حينما لاحظ اختراق الثورة الخمينية لفلسطين ، بغية تحويلها لبلاد رافضية اثني عشرية ، وهذا القائد ، هو : صالح الرقب (٣) ، الذي ألف كتاباً سماه : الوشيعة في كشف شنائع وضلالات الشيعة .

وكذلك ما صرح به أحد قضاة فلسطين ، وكان رئيساً للمحكمة العليا ، وهو : تيسير التميمي ،

---

(١) وسيأتي في الباب الثالث مطلب خاص عن الأذرع الموالية للثورة الخمينية الشعوبية إن شاء الله .

(١) انظر : الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة في العالم ، ص : ١٨٣ – ٢٣٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص : ١٩٤ .

(٣) هو : صالح بن حسين سليمان الرقب ، يعمل أستاذاً في الجامعة الإسلامية بغزة ، ودراسته العليا كانت في السعودية ، الماجستير كانت في جامعة أم القرى ، والدكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض ، تولى عدة مناصب منها : وزيراً للأوقاف والشئون الدينية بفلسطين ، وله عدة مؤلفات وبحوث ، انظر موقعه : http://www.drsregeb.com/

الذي نبه إلى أن إيران تتاجر بالقضية الفلسطينية ، وأن ما تسميه إيران بـ " يوم القدس العالمي " ، ما هو إلا من الشعارات البراقة الكاذبة [1].

ومن الطرق التي يسلكها الإيرانيون كذلك تحت هذه الاتجاه : الدعوة للوحدة بين المذاهب الإسلامية ، ويقيمون المؤتمرات بين المذاهب والفرق الإسلامية ، التي تُعْرف أيضاً بفكرة التقريب بين الشيعة والسنة [1].

وحقيقته تجييش كل تلك الفرق لصالح الفكر الشعوبي والتمدد المجوسي الفارسي ، وللحرب ضد أهل السنة والجماعة في كل مكان ، وإلا فعلى أي أساس ستقوم تلك الوحدة ، وهم لا يؤمنون بكتاب الله سبحانه إيماناً حقيقياً ، ولا بمرويات السنة المطهرة ؟!، وقد تقدم الحديث عن فكرة التقارب الشيعي السني في مبحث سابق [2].

تلك الاتجاهات الثلاثة ، أبرز ما استغله دعاة الحركة الشعوبية الفارسية المعاصرة للتسلل إلى البلاد الاسلامية ، والذين كان نتيجته : نشر المظاهر الشركية والبدعية في البلاد الإسلامية ، واحداث الفوضى والانقلابات فيها ، وازدياد رقعة النشاط الصفوي المجوسي ، وكذلك انبعاث الفكر الشعوبي .

سابعاً : استغلال المنظمات المدنية العالمية في الوقت الحاضر

وهذا مما كفله النظام العالمي الصليبي ، تحت دعاوى الحرية والتعايش والتقارب أو حقوق الإنسان ، وحقوق الأقليات[3] ، فينصون على أن لكل فئة أن تمارس حريتها الفكرية ، وأن منْع ذلك يُعد

---

[1] انظر الخبر : في موقع قناة العربية ،نشر بتاريخ : ٢٦ رمضان ١٤٣٧هـ ، على الرابط : http://ara.tv/٦٢w٢t

[1] انظر : تبديد الظلام وتنبيه النيام إلى خطر التشيع والشيعة على المسلمين والإسلام ، إبراهيم الجبهان ، ص : ٢٩ .

[2] انظر : صفحة : ١٢١ من هذا البحث .

[3] في الغالب أن الأقليات في البلاد الإسلامية تكون سبباً للشر والبلاء إلا ما شاء الله ، وهذا الإطلاق جاء من الغرب ، ليكون وسيلة لنفوذهم في بلاد المسلمين ، وإلا فالإسلام دين شامل كامل ، غني عن استيراد أي دعاوى حقوقية ، انظر : مفاهيم إسلامية خاطئة ، ص : ٢٥٥ — ٢٥٧ .

سلباً للحقوق وتعدٍ على الملكيات. فيترتب على ذلك أن للنصراني أن يوجد له كنيسة أينما شاء ، ومثلهم اليهود ، وكذلك الروافض في بناء الحسينيات ، وغير ذلك . ومن التناقض أنه عند محاولة تطبيق تلك الحقوق للمسلمين في كثير من الدول ، تجد أنهم يمنعونهم ، تحت تهمة الإرهاب أو أي تهمة أخرى ، مما يؤكد أن تلك المنظمات تقوم بدور هدام تجاه المسلمين (١).

(١) انظر : المرجع السابق ، ص : ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٤٢ – ٢٤٦ .

الفصل الثاني : دور دول الباطنية في نشر الشعوبية ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: القرامطة وأثرهم في نشر الشعوبية ودعمها

المبحث الثاني: العبيديون الباطنيون ودورهم في نشر الشعوبية

المبحث الثالث : الدولة الصفوية ودورها في إحياء الشعوبية

المبحث الرابع : مظاهر الشعوبية في الدولة الصفوية

المبحث الأول : القرامطة وأثرهم في نشر الشعوبية ودعمها

نشأتها وقيامها

جاءت الحركة القرمطية امتداداً للثورات الشعوبية المجوسية التي سبقتها ، فهي وإن كانت قوية عن سابقاتها وأشبهت أن تكون دولة أو إمارة مستقلة ، خصوصاً في البحرين والأحساء ، إلا أن مجمل عقائدها الفكرية ، وأهدافها لا تنفك عن الفكر الشعوبي المجوسي الباطني ، لكنها كانت ذات سطوة وعتو على الإسلام والمسلمين ، بانتهاك حرماتهم وسلب ممتلكاتهم .

فالثورات الشعوبية التي كانت في العهد العباسي الأول ، كانت أشبه بجذوة القرامطة التي اشتعلت واضطرمت بعد ذلك ؛ ولذا فإن من بقي من فلول الثورات الأولى ، كان ضمن الحركة القرمطية . وكان مكان انطلاقها في سواد الكوفة [1] ، في المنتصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، وهذا السواد الكوفي كان مليئاً بالعجم والنبط والفلاحين والعمال والدهماء من الناس ، الذين كانوا يُستعملون على الأُكْرة والزراعة . وحينئذٍ نتصور بوضوح في هذه المجتمعات أن الجهل وسوء المعتقد كانا حاضرين . إضافة لانتشار التشيع في الكوفة وشهرتها به ، الذي كان سبباً واضحاً لقبول دعوة القرامطة في إمامهم السابع : محمد بن إسماعيل بن جعفر[2] ، وهو عندهم القائم الذي

---

[1] سواد الكوفة هو نواحي العراق التي افتتحها المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه ، وسمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار ولأن العرب كانت غالبها صحراء فإذا خرجوا من أرضهم ولقوا أرضاً بها الخضرة والزرع سموها سواداً ، وكان من عادتهم تسمية السواد بالخضرة والعكس ، انظر : معجم البلدان ٣ / ٣٤٤ .

[2] هو : محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، ولد عام : ١٣١هـ ، وإليه تنتسب الفرقة الإسماعيلية الباطنية ، وهو ممن تعظمه القرامطة ويزعمون بأنه حي لم يمت ، ويجعلونه من أولي العزم ، وبأنه هو المهدي وبأنه سيخرج ويملك الأرض . تعتقد الفرقة الإسماعيلية أن محمد بن إسماعيل هو الإمام بعد أبيه ، وكانوا يلقبونه بالمكتوم ، وعند الإسماعيلية أنه أول الأئمة المكتومين ، كما يزعم العبيديون الباطنيون بأن جدهم عبيد الله بن ميمون القداح من سلالة محمد بن إسماعيل هذا ، مع أن المشهور عند أهل الأنساب أن محمد بن إسماعيل مات ولم يعقب . وعند الدروز بأنه أول الأئمة المستورين ، ويلقبونه بالناطق السابع ، قيل أن وفاته كانت في عام : ١٩٨هـ ، انظر : فرق الشيعة ، ص : ٨١ ، والمقالات ١ / ٤٠ ، والفرق ، ص : ٧٢ ، والأعلام : ٦ / ٣٤ ، والإسماعيلية للشيخ إحسان إلهي ظهير ، ص : ٧٥ .

=

سيظهر بشرع جديد وينسخ دين الإسلام . إضافة لذلك كانت الكوفة محلاً لانتشار الزندقة وبقايا المجوسية سابقاً ، وكل تلك العوامل كانت مساعدة لنشوء الفكر القرمطي الباطني ، الذي ظاهره الرفض والمجون وباطنه الإلحاد والزندقة [١]. ومن الأمور التي ساعدت قيام تلك الحركة الإلحادية أن معالم الضعف في الدولة العباسية كانت موجودة في العهد العباسي الثاني ، من حيث استعداء غير العرب عليهم من الفرس والترك وغيرهم ، وكذلك لكثرة الثورات عليهم وخصوصاً التي كانت مزامنة لقيام القرامطة ، مثل : ثورة الزنج [٢] ، التي أرهقت كثيراً الدولة العباسية ، ومع هذا الضعف أصبح العائد المادي للناس والعمال أقل عن ذي قبل ، وهذا مما كان يؤجج به القرامطة الدهماء والرعاع من الناس . فاجتمع مع سوء المعتقد والجهل ضنك المعيشة وتسلط أصحاب الأراضي على عمالهم بغية التكسب والتجارة . وكان أول الدعاة وأنشطهم في سواد الكوفة ، رجل جاء من بلاد فارس — خوزستان – ، قيل اسمه : الحسين الأهوازي ، وكان داعية بالفكر الباطني الإسماعيلي . فكان أول ما قابله رجل بالكوفة يُدعى : حمدان بن الأشعث ويلقب بقِرْمَط [٣]، وكان يتظاهر بالزهد والتدين ، والذي يظهر أنه كان مضمراً للباطنية الرافضية ، فكان أول ما سأل عنه حمدانُ الأهوازيَ : من أين جئت ولم قصدت هذه القرية ؟! فأجابه بأنه آت للكوفة ، وأنه مرسول ليدعو أهلها ويخلصهم من الجهل والظلم والتسلط ، ويهديهم من ضلالاتهم ، وأظهر لحمدان بأن معه جراب

---

[١] انظر : القرامطة ، ابن الجوزي ، ص : ٢٩ — ٣٤ .

[٢] تقدمت ترجمته والكلام عن ثورته ، انظر : صفحة : ١٧٥ ، من هذا البحث .

[٣] حمدان بن الأشعث ، ويلقب بقرمط ، أول من تحرك بدعوة القرامطة ، فنسبوا إليه ، وقيل: أنه أخذ الدعوة وتعاليمها من الأهوازي الذي قابله بالكوفة ، وذُكر في سيرته بأنه كان يحمل الغلة في سواد الكوفة على أثور له وكان يسمى : البقَّار ، فلم يكن من خاصة الناس . وقد سنَّ لأتباعه معتقدات باطلة منحرفة ، كجعل الصيام يومين في السنة وهما عيدا النيروز والمهرجان ، وأن الخمر حلال ، ولا غسل على الجنابة ، إلى غير ذلك من ضلالاته التي تعود إلى المزدكية المجوسية ، كان ابتداء أمره سنة : ٢٧٨هـ ، انظر : الكامل في التاريخ : ٦ / ٣٦٣ ، والبداية والنهاية : ١٠ / ٢٣١ ، ٢٤٦ .

فيه أسرار النواميس وبواطن العلوم ، وأنه لن يظهره إلا حين يؤمر به [1].

والشاهد من هذه القصة أن حمدان تعلق بهذا الرجل وأخذ منه دعوته وتعصب لها ، وأصبح داعية لهذا الفكر الباطني ، ومتبوعاً عند أهله . وبدأ يجبي منهم الأموال ، ويفرض عليهم ذلك زاعماً أنها بأمر القائم إمامهم ، وبنى دار الهجرة التي كانت مركزاً لانطلاق دعوته . وكان معه صهره المدعو – عبدان – ، إذ كان منظراً وكاتباً له . وكانا الاثنين يجهزان أتباعهما لخوض المعارك المتوقعة من العباسيين ، بشراء الأسلحة والخيول ، وتدريب الصغار على القتال ، وبناء الحصون ليحصّنوا بها الأطفال والنساء ، ومع هذا الحرص كانت الدولة العباسية في غفلة عنهم ،حتى تكوّن لهم جيش كبير ، باستطاعته إخافة أعدائه . واستمر هذا النشاط الداخلي فيهم قرابة العشرين سنة ، وهذه المدة كافية لأنْ يركزوا دعوتهم على أولئك الخليط من الناس ، مما يدل على أن الفكر القرمطي الشعوبي صار متغلغلاً فيهم ، ولم تعد حركتهم تقتصر على مكانها الأول وما حوله بل تعداه إلى خارج الكوفة والعراق ، إلى الشام واليمن والبحرين والأحساء [1]. وسأكتفي بذكر قرامطة البحرين والأحساء كمثال على التمدد القرمطي الشعوبي ؛ ولأن حركة القرامطة فيهما كانت أقوى الحركات ، وأشدها وبالاً وبلاء على الإسلام والمسلمين ، لحوالي قرنين من الزمان .

فبعد أن قويت دعوة القرامطة على يد حمدان الأشعث ومن معه ، وتمكنت في سواد الكوفة وما حولها ، بدؤوا يرسلون الدعاة والمبشرين لينضموا معهم إلى حركتهم ، وكانت بلاد هجَر[2] من أولى البلاد التي أرسل إليها القرامطة دعاتهم الفجرة . فبدؤوا برجل يُدعى : – أبو زكريا يحيى بن علي الطمامي – ، ثم أردفه بقرمطي آخر هو : أبو سعيد سليمان الجَنّابي الباطني ، وكان أضل وأمكر وأدهى من الذي قبله ، وهو من تلاميذ حمدان الأشعث القرمطي ، وقد استطاع أن ينفرد بالدعوة هناك بعد أن تخلص من أبو زكريا الطمامي ، ولقد سلك في دعوته في هجر مسلكاً جاداً لنشر الفكر الشعوبي القرمطي ، ليس كالمسالك التقليدية بادعاء النسب الهاشمي أو نصرة آل البيت . بل بدأ بطلب معونة بعض العشائر العربية هناك ، وجعل لهم المشورة وعليه القيادة ، وركز نشاطه على

---

[1] انظر : الكامل في التاريخ ، ٦ / ٣٦٣ – ٣٦٦.

[1] انظر : أخبار القرامطة ، سهيل زكار ، ص : ١٠٩ – ١٥٧.

[2] هَجَر : قاعدة البحرين ، وقيل ناحية البحرين كلها هجر ، انظر : معجم البلدان ٥ / ٤٩٨ .

هجر وجعلها تحت حكمه وتصرفه ، وجعل الأحساء[1] عاصمة له ، وقاعدة لانطلاقه . ثم كون الجيش بتدريب الغلمان على الحروب والاقتتال ، وحمل السلاح ، وكان يوفر لهم ما يحتاجونه من المعايش حتى يتفرغوا لما يجهزهم له . وقام أبو سعيد الجنابي بإلغاء الملكيات الخاصة ، وجعل الناس شركاء في كل شيء ، حتى في النساء ، وألغى الضرائب ، والنقود إلا شيئاً قليلاً ، وجعل نظامهم الاجتماعي أشبه بالاشتراكية . وبتلك الأفعال أصبح في نظر الدهماء عادلاً إماماً متبوعاً ، وأنه نصرهم على ذوي الطبقات العليا الذين يستذلونهم . وصار بعد ذلك يجاهر بالخروج عن الإسلام ، وأن الناس ليس بحاجة لتعاليمه وأنه سبب تخلف الناس وظلمهم واستبداد بعضهم على بعض ، وكان ينال من الأنبياء عموماً ، ونبينا صلى الله عليه وسلم ، وأصبحت زندقته وإلحاداته تفعل علناً وجهاراً . ولذا ؛ لا تجد في سيرته اهتمامه بالمظاهر الاسلامية العامة كبناء المساجد ودور العبادة ، بل لا يعرف أنه بنى مسجداً أو جامعاً في الأحساء أو البحرين [1].

وهذا يدل أن دعوته وتنشئته لذلك المجتمع كانت لغرض عقدي باطني قرمطي . ولما فشا أمرهم ، وباتوا ينالون من الناس ، أُرسلت الرسائل للدولة العباسية بأن أولئك القوم أصبحوا خطراً على الدولة والاسلام ، أرسلوا إليهم جيشاً ليحاربهم لكن كانت الهزيمة من نصيبه ، ثم أردف بجيش آخر وكذلك لم يستطع ، حتى أصبح وجود القرامطة يهدد بغداد عاصمة العباسيين .

بعد ذلك قُتل أبي سعيد الجنابي ، تولى بعده ابنه الأكبر سعيد ، وفي عهد سعيد حصلت هدنة بينه وبين العباسيين ، كانت عن طريق وزير الدولة العباسية : علي بن عيسى[2] ، فوافق عليها

---

[1] الأحساء : بالفتح والمد ، جمع حِسْي ، بكسر الحاء ، وسكون السين ، وهو الماء الذي تنشفه الأرض من الرمل ، فإذا صار صلابة أمسكته ، فتحفر العرب عنه الرمل فتستخرجه ، فكأن بلوغ الماء إلى الجزء الصلب أشبه بالاحتساء ، ولذا سميت تلك الأراضي التي من هذا القبيل : أحساء ، والأحساء : هي مدينة كانت قديماً تسمى : هَجَر ، انظر : معجم البلدان : ١ / ١٤١ ، ٥ / ٤٩٨ ، وهي اليوم إحدى محافظات المنطقة الشرقية بالسعودية .

[1] انظر : الفرق ، ص : ٢٩٠ ، والبداية والنهاية : ١٠ / ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، وكشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، محمد بن مالك الحمادي ، ص : ٣٨ ، ٣٩

[2] هو : علي بن عيسى بن داود بن الجراح ، البغدادي ، أصله فارسي ، وكان وزيراً للمقتدر العباسي ، نشأ كاتباً ثم ولي مكة ، وتولى الوزارة في الدولة العباسية ، اشتهر مجلسه بالعلماء ، وكان يوصف بالبلاغة ،

=

سعيد بن أبي سعيد الجنابي [1].

استطاع أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي ، أخو سعيد ، أن يخرج على أخيه ويخلعه ، ويتولى بدلاً عنه قيادة القرامطة ، ويظهر أن خلعه لأخيه كانت نتيجة لهدنته مع العباسيين . وفي عهد أبي طاهر صار أذى القرامطة في ذروته على الإسلام والمسلمين ، وطغوا أيما طغيان !! . وأصبحت العقائد القرمطية الباطنية أكثر وأظهر من ذي قبل ، ودعوته للمحرمات باستباحتها ، وكذلك تسلطه على المسلمين وأموالهم ، وقطعه عليهم الطرق إلى بيت الله الحرام للحج والعمرة ، فقد ترصد للحجاج ، وصدهم عن سبيل الله . وكذلك تنكر للقبائل العربية التي انخدعت بدعوتهم ، وأصبحوا يهاجمون النساء عنوة ، وكذلك آذوا من بالبحرين والأحساء [1].

وبعد هلاك أبي طاهر الجنابي ، أصبح حال القرامطة متدنياً بسبب الخلافات على السلطة بينهم ، وأصبحوا متفرقين بسبب الخلاف الناشب بين أبناء أبي طاهر الذين تبعوا العبيديين في المغرب وأصبحوا يتلقون منهم التعاليم . وبين سعيد بن أبي سعيد الجنابي ، الذي رفض التبعية للعبيديين ، ولأنه كان قد خُلع من قبْل من قِبَل أبي طاهر ، وحتى يغيض الطرف الأول : صالح العباسيين ، مما أثار غضب القرامطة عليه ، وكان هذا بداية نهايتهم . استغل العبيديون حال الفرقة بين القرامطة ، وهاجموهم بقيادة جوهر الصقلي[2] ، وكانت هزيمة القرامطة سبباً لضعفهم ونهايتهم ، ثم تتابعت النوازل عليهم ، فثار عليهم أهل البحرين وخلعوهم ، واستنصر أهل البحرين بالسلاجقة وبالعباسيين ، فجاءتهم الجيوش والإمدادات ، وألحقوا بالقرامطة الهزيمة تلو الأخرى حتى ردوهم لداخل الأحساء ، بعد أن كانوا تمددوا خارجها ، ثم ثار أهل الأحساء على القرامطة وطردوهم

وبذل الخير ، من مشاهير وزراء الدولة العباسية ، توفي ببغداد في : ٣٣٤هـ ، انظر : السير ١٢ / ٣ ، والأعلام ٤ / ٣١٧.

[1] انظر : الكامل في التاريخ ، ٦ / ٤٨٢

[1] انظر : البداية والنهاية ، ١٠ / ٢٩٩ ، ٣٠٧ ، وسيأتي لاحقاً بيان موقفهم من الحجاج .

[2] هو : أبو الحسن جوهر بن عبد الله الرومي ، المعروف بالكاتب ، قائد المعز العبيدي ، وباني القاهرة ، ضم بلاد الشام لحكم المعز العبيدي ، توفي سنة : ٣٨١هـ ، انظر : وفيات الأعيان ١ / ١٩٣ ، والأعلام ٢ / ١٤٨.

وحاربوهم ، واجتمعت عليهم الجيوش ، وقضوا عليهم تماماً ، عام ٤٧٠هـ [١].

وبهذه المعركة طويت صفحة القرامطة من الجانب العسكري والسياسي ، أما الفكري والعقدي فظلت عقائدهم الباطنية مؤثرة على أفكار الناس .

عقائد القرامطة

قبل أن أعرض أبرز عقائد القرامطة ، يستحسن أن أذكر سبب تسميتهم بالقرامطة ، فلقد ذكر أهل العلم لذلك عدة أسباب ، أهمها وأشهرها :

أولاً : أن أول داعية لهم وهو حمدان بن الأشعث ، كان يلقب بـ : قِرْمَط ، وتعني الذي تتقارب خطواته لقصر قدميه [١] ، فنسبت الحركة للقب زعيمهم المشهور .

ثانياً : أن الذي جاء من خوزستان إلى سواد الكوفة نزل عند رجل يقال له : كرميته ، أي : أحمر العينين ، فسمي هذا الداعية باسم الذي نزل عنده ، ثم خففت فقيل : قرمط .

ثالثاً : أن هذه الكلمة – قرمط – كانت تطلق على من خرج عن تعاليم الإسلام وأتى بما يغيره ، وبهذا تكون دالة على مفهوم عقدي ، وبعد ظهور فكر القرامطة أصبحت هذه الكلمة لها دلالة أخرى ، وهي دلالة على التأويل الباطني المنحرف[٢] ، ولهذا يقول ابن تيمية واصفاً من حاد عن طريقة الرسل في باب أسماء الله وصفاته وأدلتها ، " ... يسفسطون في العقليات ، ويقرمطون في النقليات " [٣] .

كانت العقائد القرمطية الباطنية برمتها تهدف إلى طمس الشريعة الإسلامية ، وتغييب العقيدة الصحيحة التي بعث الله بها الرسل ، فهي مجموعة من الإلحاد والزندقة والفجور الذي لا يقبله حتى العقل الصحيح ، وتكاد تتفق المراجع التي تعرضت للقرامطة بأنهم باطنية إسماعيلية في الظاهر ،

---

[١] انظر : الكامل في التاريخ ، ٧ / ١٤٢ ، ٤٢٢ ، ٤٣٤ ، وانظر : أخبار القرامطة ، ص : ١٥٥ – ١٥٧ .

[١] انظر : مختار الصحاح ، ص : ٤٦٢

[٢] انظر : القرامطة ، ص : ٣٨ ، ٣٩ ، والفرق ، ص : ٢٩٠ ، ومصطلحات في العقائد ، ص : ١٢٠

[٣] التدمرية ، ص : ١٩

وأما في الباطن فهم ملاحدة زنادقة ، لا ينسبون للأديان بشيء ، بل إن عدوهم الأول هم الرسل ؛ ولذا اشتهر فيهم بغض الأنبياء والرسل عموماً ، ولرسولنا صلى الله عليه وسلم خصوصاً [1]، ومن خلال استعراض عقائدهم يتضح أن أبرزها ، ما يلي :

الإمامة : أو الإمام القائم ، يعتقدون بأن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، حي لم يمت ، وهو الإمام السابع ، وأنه المهدي القائم الذي سيظهر ، كما يبشرون به أتباعهم ، وبخروجه يبدأ عندهم الدور السابع للكون ، وهذا يدل على تأثرهم بالتناسخ الهندوسي . وعندهم أن الأرض لا تخلو من إمام يقوم مقام المهدي ، إما أن يكون ظاهراً للناس أو متخفياً ، يتولى تفسير التعاليم والأحكام التي يمليها عليهم ، وهذا النائب عن القائم لا بد عندهم أن يكون بمعونة اثني عشر رجلاً ، أربعة منهم لا يفارقونه ، وعند القرامطة أن زعيمهم أو إمامهم هو المعبود الذي لا يجوز غيره [1].

النبوات : القرامطة الباطنيون ينكرون النبوات ، ويقولون فيها بقول الفلاسفة الدهرية بأن النبوة فيض من العقل الفعال ، وأن القرآن هو تعبير عن تلك القوة . ويقولون بأن الأنبياء استمالوا الناس بالمخارق ، وساقوهم بالسياسة ، ولذا ؛ فإن القرامطة اشتهر عنهم وصف الأنبياء بأقبح الأوصاف ، وأن الشرائع التي علموها للناس، هي الأغلال التي حرمت الناس مما يحل لهم ، وينكرون المعجزات ووجود الملائكة [2].

اليوم الآخر : ينكر القرامطة وقوع القيامة التي أخبر بها الشرع المطهر ، ويحرفونها بقيام قائمهم المنتظر ، وأن ألفاظ الجنة والنار تعني نعيم الدنيا وعذابها ، وهذا تبعاً لقولهم بالتناسخ والحلول . ولذا ؛ فإنهم يقولون بأن تولد الحيوانات لا ينقطع ، وأن تعاقب الليل والنهار لا ينقطع أيضاً [3].

الإباحية : اشتهر عن القرامطة ترك الملكيات الخاصة ، والاشتراك في كل شيء حتى النساء والأموال ، وكان لأبي سعيد الجنابي دور كبير في هذا المجون ، حيث أشرك الناس في كل شيء ،

---

[1] انظر : القرامطة ، ص : ٣٩

[1] انظر : المقالات : ١ / ٤٠ ،والقرامطة ، ص : ٦٠

[2] انظر الفرق ، ص : ٣٠٣ ، والقرامطة ، ص : ٥٩

[3] انظر : القرامطة ، ص : ٦١

وأحل لهم فعل المحرمات ونكاح المحارم ، وكان جزاء من يخالف ذلك أن ينزل به القتل والدمار ، بل كان من دعاة القرامطة منْ فَرض المحرمات على الناس فرضاً وبالقوة ، يقول البغدادي :

" ويؤكد ذلك – يعني : تحريفهم للشريعة واستباحتهم المحرمات – ، أن الغلام الذي ظهر منهم بالبحرين والأحساء بعد سليمان بن الحسن القرمطي ، سن لأتباعه اللواط ، وأوجب قتل الغلام الذي يمتنع على من يريد الفجور به ، وأمر بقطع يد من أطفأ ناراً بيده ، وبقطع لسان من أطفأها بنفخه ، وهذا الغلام هو المعروف بابن أبي زكريا الطامي ، وكان ظهوره في سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، وطالت فتنته إلى أن سلط الله تعالى عليه من ذبحه على فراشه ... " [1].

وهذا ليس بغريب على أبناء المجوس الوثنيين الثنويين ، فبهم تجددت المزدكية والبابكية ، واستمر فيهم هذا الفجور حتى بعد القضاء على حركتهم .

أبرز مظاهر الشعوبية عند القرامطة : من خلال استعراض الحركة القرمطية الباطنية ، يتضح الأثر البالغ لها في نشر الحركة الشعوبية ودعمها ، من الناحية الفكرية العقدية ، ومن الناحية العسكرية والسياسية . فعلى مدى حوالي قرنين من الزمان ، كان الوجود القرمطي ، يغذي الفكر الشعوبي المعادي للإسلام وأهله .

فمن الناحية الفكرية العقدية : كان بنشر الإلحاد والزندقة ، بما قرروه ونشروه من عقائد باطلة ، والتي طمست معالم الدين ، خلال فترة ليست بالقصيرة ، حتى صار القائد القرمطي كالإله المعبود أو الرب المقصود للحاجات .

ولقد كان للرافضة دور كبير في قيام أولئك القرامطة وتخريبهم دور الناس ، فقد ذكر ابن كثير رحمه الله : أن الرافضة كانوا يجلسون في أحد المساجد ، وينالون من الصحابة ، ويكاتبون القرامطة بالدعوة إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وبأنه المهدي ، تأييداً منهم لما زعمته القرامطة ، وكانوا في كتاباتهم يتبرؤون من الخليفة العباسي المقتدر ومن معه . فلما بلغ الخليفة ذلك الفعل الشنيع ، استفتى العلماء ، فأفتوه بأن هذا المسجد مسجد ضرار ، فقام بهدمه ، وجعله مقبرة للموتى ، ونال

---

[1] الفرق ، ص : ٢٩٣

مَنْ كان يجلس فيه جزاءه [1].

ويصف ابن كثير القرامطة ، بقوله : " ... وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة ، أتباع الفلاسفة من الفرس ، الذين يعتقدون بنوة زرادشت ومزدك ، وكانا يبيحان المحرمات ، ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل ، وأكثر ما يفسدون من جهة الرافضة ، ويدخلون إلى الباطل من جهتهم ؛ لأنهم أقل الناس عندهم وعند غيرهم عقولاً .." [1]. وهذا يؤكد على أنه ما دام هناك روافض ، فالحركة الشعوبية ومبادئها الهدامة قائمة .

وأما من الناحية العسكرية والسياسية : فقد كان القرامطة يفتكون بالمسلمين أشد الفتك ، ويستبيحون ديارهم وأموالهم وأعراضهم ، حتى بثوا الرعب والهلع بين الناس ، حتى نزح الناس من قراهم وبلدانهم وتركوا ضيعاتهم التي يقتاتون منها بسبب هذا العدو . وكذلك بإحداثهم الاشتراك في الممتلكات الخاصة بين الناس ، وهذا التصرف كان مباحاً لمن هو منهم فقط دون غيرهم ، فأصبح الغوغاء من الناس والفجار وقطاع السبل ، لا يلوون على أحد من المسلمين إلا وسلبوه حقه ، حتى المساجد والمصاحف لم تسلم من تخريبهم .

وكذلك موقفهم من الخلافة العباسية ، فهم لم يعترفوا بها ولا يرونها ، وقد حصل منهم غزو بغداد والكوفة والبصرة وغيرها من البلاد التي كانت تحت حكم العباسيين ، وما خروجهم بهذه الحركة إلا نبذاً منهم للخلافة العربية المسلمة ، وبغضهم الشديد للعرب والمسلمين عموماً .

وبعد بلوغهم الذروة في القوة أصبحوا يهاجمون بعض المناطق من العالم العربي الإسلامي ، في الشام واليمن وغيرهما ، لكن لم يسجل لهم أي هجوم على اليهود والنصارى ، بل ذُكر عن داعية القرامطة الأول ، أنه قابل زعيم الزُّنْج وتحاور معه لينضمَّ معه ، فلما لم ينضم معه ويقتنع بدعوته ، تركه ومضى [2].

---

[1] انظر : البداية والنهاية ١٠ / ٣٠٣

[1] المرجع السابق : ١٠ / ٢٣١

[2] انظر : تاريخ الطبري ٢ / ٢٥٨٩ – ٢٥٩٠ ، وأخبار القرامطة ، ص : ١٢٧ .

الموقف الشعوبي للقرامطة من شعيرة الحج

يدرك الشعوبيون جميعاً ما لقبلة المسلمين في بيت الله الحرام ، من دور في توحيد صفوفهم ، وأنها معلم ظاهر وعظيم في الدين الإسلامي ، ولا يوجد معلماً ديني ظاهر لأي ديانة كما للحج عند المسلمين ، الذين يفدون إليه من كل فج عميق . وأدرك أولئك الزنادقة أنه مهما أحدثوا للمسلمين من صوارف ، فإن بقاء هذه الشعيرة العظيمة تعكر أهدافهم وأطماعهم الشعوبية . إذْ إن عند القرامطة الشعوبيين عقيدة تقول بأن القائم لن يظهر وينسخ الشريعة المحمدية إلا إذا تعطلت شرائع الإسلام ، وبقاء الحج عندهم يؤخر ذلك القيام ، فالأمر عندهم عقيدة قائمة ليست مجرد اعتداء ، وهذه الموقف منهم ليس فقط عند القرامطة الشعوبيين ، بل كذلك عند سائر أصناف الشعوبيين من الرافضة المجوس الصفويين والهندوس والملاحدة منذ القديم [1]؛ ولذا لا تستعجب حينما تجد بعض الزنادقة يسخرون من تلك الشعيرة ويتهكمون بأهلها ، ويكيدون لها.

ولكن يظل هذا الأمر مطمع شعوبي في القديم والحديث ؛ ذلك لأن شعيرة الحج اجتمعت فيها أركان الإسلام ، وتعبد بها أصناف المسلمين على اختلاف ألوانهم وألسنتهم في صف واحد كالبنيان المرصوص ، وكذلك حين يجتمعون في تلك البقعة العظيمة ، تظهر منزلة الإسلام ، وكتاب المسلمين القرآن الكريم ، وكذلك اللغة العربية ، لغة القرآن العظيم ، وغير ذلك من أسباب الوحدة الإسلامية التي تقطع على الشعوبيين أهدافهم ومطامعهم .

والشاهد أنه لما اشتدت شوكة القرامطة في بداية القرن الرابع ، بدؤوا بأذية الحجاج ، وقطع السبل عليهم ، ومنعهم من الذهاب ، أو السطو على أمتعتهم ، ثم غلوا وأصبحوا يقتلونهم في كل عام ، حين يتربصون بهم في قوافلهم التي يسيّرونها تجاه بيت الله الحرام . ولفعلهم هذا ؛ أصبح الناس يخافون من الذهاب للحج ، وقد ذكر ابن كثير رحمه الله أن عام ٣١٢ هـ ، لم يحج أحد من العراق ؛ لخوف الناس من القرامطة [2].

ولما لم يستطع القرامطة أن يعطلوا هذه الشعيرة العظيمة ، ذهبوا لمهاجمة حجاج بيت الله الحرام ،

---

(1) انظر : الاعتداءات الباطنية على المقدسات الإسلامية ، كامل سلامة ، ص : ٢٠٥ ، وبروتوكولات آية قم حول الحرمين المقدسين ، عبد الله الغفاري ، ص : ٣ .

(2) انظر : البداية والنهاية ١٠ / ٣٠١

في مكة وفي موسم الحج ، من عام ٣١٧هـ ، حيث اقتحموا البلد الحرام ، وقتلوا الناس وأثخنوا فيهم ، وسالت الدماء في الطرقات ، وامتلأت بالجثث ، وفجع المسلمون لهذه الفعلة الشنيعة ، واستحل القرامطة البيت العتيق ، حتى من تعلق بأستار الكعبة أنزلوه وقتلوه ، وخلعوا باب الكعبة ، وصعدوا عليها ، وكان فاجرهم أبو طاهر الجنابي ، يقول :

أنا الله وبالله أنا   أخلق الخلق وأفنيهم أنا

وكان يردد : أين الطير الأبابيل ؟ أين الحجارة من سجيل ؟

ثم اقتلعوا الحجر الأسود وسبوه لديارهم ، ومكث عندهم حوالي اثنين وعشرين عاماً ، وفي عام ٣٣٩ هـ ، أرادوا أن يستميلوا ويستعطفوا الناس ، ويخففوا من حدة الأمة عليهم ، فقاموا بأخذ الحجر الأسود ليعيدوه ، فذهبوا به أولاً لجامع الكوفة ، وجعلوه في سابع اسطوانة بالمسجد ، ثم نقلوه إلى مكة ، وقالوا : أخذناه بأمر ، وأعدناه بأمر ، قاتلهم الله وجعل النار متقلبهم ومثواهم . ومما يدل أنهم لا يعترفون بكعبة المسلمين ويريدون إزالتها ، أنهم بنوا لأنفسهم بناء كالكعبة في القطيف حينها ، يهدفون بذلك صرف الناس عن البلد الحرام [1].

لقد كانت الهجمة القرمطية الشعوبية على حجاج بيت الله وعلى البلد الحرام غير مسبوقة في الإسلام ، وفيها جرأة كبيرة لم تسبقها إليها طائفة ، وسيتكرر لاحقاً استعراض الموقف الشعوبي من الحج لبلد الله الحرام ، لكن من فئات شعوبية أخرى .

---

[1] انظر : البداية والنهاية ١٠ / ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ١١ / ٤٦ ، وتاريخ ابن خلدون ١ / ٩٤٦ ، وتاريخ القرامطة ، ص : ٥٠٣ — ٥٠٨ ، والاعتداءات الباطنية على المقدسات الإسلامية ، ص : ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ .

المبحث الثاني : العبيديون الباطنيون ودورهم في نشر الشعوبية

كانت الدولة العبيدية (٢٩٧ — ٥٦٧هـ) أول دولة مستقلة في تاريخ الإسلام ، فرضت الفكر الشعوبي الإلحادي بالقوة والجبر في أوساط المسلمين ، واستمرت تحكم بذلك أكثر من قرنين ونصف ، واتسعت مساحتها لأجزاء كثيرة من المغرب ، ثم اجتياحها لمصر والشام والحجاز ، وهاجمت العراق ، مناوئة بذلك الخلافة العباسية . وقد ساعد على قيامها ونهضتها ، ضعف الدولة العباسية في تلك الفترة ، وكثرة الاضطرابات والثورات عليها ، خصوصاً حركتا الزنج ثم القرامطة اللتان أرهقتا الدولة العباسية . كما كان لبعد المكان الذي انطلقت منه الدولة العبيدية دور في منع الدولة العباسية من صد العبيديين . فخروج دعاتهم إلى اليمن ثم المغرب ، وإعلان قيامها هناك كان سبباً في صعوبة محاربتها فكرياً وعسكرياً . كما كان للتشيع الرافضي الدور الكبير من الناحية العقدية والفكرية في قبول أهل المغرب لقيام الدولة العبيدية ، عن طريق التظاهر بالنصرة لآل البيت ثم ادعاء النسب الهاشمي . وانطلت تلك الفكرة على القبائل العربية والبربرية هناك .

نشأتها وقيامها

كانت الدعوة الباطنية الإسماعيلية قائمة حينها ، ولها دعاة في شتى البلاد ، في خراسان والعراق وسواده ، وفي السَلَمْيَة[1] بالشام واليمن . ومع ادعاء الإسماعيليين الولاية وحصرها على محمد بن إسماعيل بن جعفر ، أشيع بأن عائلة محمد بن إسماعيل بن جعفر ، انتقلت إلى السلمية ، وكان بها رجل يدعى : ميمون القداح ، من أب يهودي اسمه ديصان ، أسلم أو تظاهر بذلك ، ثم انتسب للدعوة الباطنية الإسماعيلية ، وكان معاصراً لمحمد بن إسماعيل بن جعفر ، وبعد ميمون القداح خلفه ابنه عبد الله ، الذي استمر في دعوته للفكر الباطني الإسماعيلي طوال حياته ، وقد أوصى ميمون أن يسمى أحفاده بأسماء أحفاد محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وكان ظاهر هذا الفعل منه احتراماً واحتفاء ، لكن حقيقة ذلك الفعل هو أنه تمهيد لادعاء النسب الفاطمي ، ووسيلة للتلبيس والتخفي من ملاحقة العباسيين للباطنيين . وكل أولئك الأحفاد كانوا على الدعوة الباطنية الإسماعيلية . فكان لعبد الله بن ميمون ولد سماه أحمد ، وأحمد سمى ولده الحسين

---

[1] السلمية : بفتح أولها وثانيها ، وسكون الميم وياء خفيفة ، من أعمال حمص / معجم البلدان ٣ / ٣٠٤.

، والحسين سمى ولده عبيد الله ، وهو الذي عرف لاحقاً بعبيد الله المهدي ، جد الحكام الباطنيين وأول زعمائهم في المغرب ، فهو عبيد الله بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح [1].

وهذا هو أشهر الأقوال وأقربها لبداية ظهور مؤسس الدولة الباطنية بالشام ثم إرسال الدعاة لليمن ثم المغرب ، وإلا فأهل العلم ذكروا عدة أقوال عن بداية هذا العبيدي الضال ، وإلى هذا أشار الذهبي بقوله : " وقد اختلف المؤرخون وكثر كلامهم في قصة عبيد الله القداح بن ميمون بن ديصان ... " [1] .

وقد اتخذ أولئك الدعاة الباطنيون من السلمية بالشام مركزاً لهم لنشر دعاتهم ، خصوصاً بعد نشاط القرامطة في سواد الكوفة والأحساء والبحرين ، واحتلافهم معهم .

ثم انتقلت الدعوة الباطنية الإسماعيلية لليمن ، وكان ذلك بعد لقاء داعية العبيديين المدعو : أبو عبد الله الشيعي[2] ، وصاحبه رستم بن الحسين بن حوشب ، في جنوب العراق ، مع محمد بن الفضل ، الذي كان من رؤوس الشيعة في اليمن . وكان لقاؤهما في كربلاء ، وبعد تعارفهما مع ابن الفضل اتفقا على أن يفد أبو عبد الله الشيعي إلى اليمن . وبعد ذهاب أبي عبد الله الشيعي لليمن مع ابن الفضل ، قامت هناك الحركة الإسماعيلية الباطنية ، وانتشرت في أجزاء كثيرة من

---

[1] انظر : التاريخ الإسلامي ، ٦ / ٧٠ – ٧٦ ، وتاريخ الفاطميين في شمال أفريقية ومصر وبلاد الشام ، محمد طقوش ، ص : ٥٥ ، ٥٦ .

[1] السير : ١١ / ٥٨٦ ، والذي يظهر أنه لا تعارض بين كثرة من تكلم عن بداية عبيد الله القداح لأن الحركات الباطنية يكتنفها التخفي والغموض والهروب من سطوة الحكام وبيان العلماء ، وكذلك كثرة تنقلاتهم بين البلدان وبث الدعاة ، كل تلك الأمور التي يتعمدها الباطنيون ، كانت سبباً في كثرة الروايات والأخبار عن بداية تأسيس العبيديين ، والله أعلم .

[2] هو : الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا ، يلقب بالعَلَم ، الشيعي ، من أكبر مؤسسي ودعاة الدولة العبيدية في المغرب ، من أشهر الدعاة الباطنيين ، من أهل صنعاء ، اتصل بكثير من مشايخ الإسماعيلية الباطنية ، وسافر إلى مكة والعراق والمغرب ، وكان مبشراً بخلافة عبيد الله المهدي ، وهو الذي هيئ له المغرب ليعلن فيها قيام الدولة العبيدية ، مات مقتولاً سنة ٢٩٨هـ ، انظر : الأعلام ٢ / ٢٣٠

اليمن ، ومنها خرجت الدولة الصليحية [1].

وبعد أن صارت اليمن مركزاً للدعوة الباطنية الإسماعيلية ، كانوا يرسلون الدعاة ، ويتربصون بالناس لنشر أفكارهم الشعوبية الباطنية ، فوقع اختيار الإسماعيلية لبلاد المغرب ، كديار جديدة ينقلون إليها دعوتهم ، فانتُدب لذلك الداعية الباطني أبو عبد الله الشيعي ، وهو من أخطر مؤسسي الدولة العبيدية في المغرب . فكان أول أمره أن ذهب للحج وجعل يتتبع وفود المغرب هناك ، ليتعرف عليهم ، وكان يتظاهر حينها بالزهد والتدين وحب بذل العلم للناس وتعليم القرآن ، فوقع اختياره على وفود قبيلة الكتامة من المغرب ، فجلس بينهم وأظهر رغبته في تعليمهم ودعوتهم ، وبعد نهاية موسم الحج عرضوا عليه أن يعود معهم ليعلم الناس في بلادهم في المغرب ، فذهب معهم ، ونزل عند قبائل الكتامة البربرية . بدأ أبو عبد الله الشيعي هناك بالتحبب إلى الناس وقصد كسبهم تمهيداً لزرع الأفكار الباطنية الخبيثة فيهم ، وبعد أن عُرف فيهم بالتعليم والدعوة بدأ ينشر فيهم الفقه الإمامي ، ثم من باب تفضيل العلويين وأنهم أولى الناس بالحكم والخلافة ، وأنه لا بد ممن يقوم بهذا الشيء في الناس ، وأنه يدعو لذلك وما جاء بينهم في المغرب إلا ليكونوا عوناً له على ذلك ، ثم أعلن فيهم فكرة الإمام القائم الذي سيظهر ، وأن له خليفة أو مهدي يقوم بمكانه حتى يخرج ، وأنه من أهل بيت رسول الله ﷺ ، وخروج هذا المهدي سيكون قريباً في المغرب ، ولا بد من نصرته وتنصيبه خليفة لهم . والشاهد أنه استطاع أن يقنع الناس بذلك من خلال تلك الشبه والضلالات التي كان يلقيها عليهم ، ومع دعوته الفكرية ، كان يجيش الناس ويعدهم للقتال والحرب ، ويتظاهر فيهم بنصرة المظلومين وأخذ الحق لهم ، حتى استطاع تكوين جيش كبير بقيادته ، ثم أصبح هذا الجيش مع قبائل الكتامة تحت تصرفه ، وبدأ يخطط للسيطرة على القيروان التي تعتبر عاصمة لدولة الأغالبة هناك ، ومركزاً مهماً في بلاد المغرب ، يكون محطة انطلاق لدعوته من الناحيتين الفكرية والعسكرية . ثم ساق أبو عبد الله الشيعي الجيش لقتال الأغالبة وأخذ القيروان ، وكان ذلك في موقعة الإربس ، وبهذا صارت القيروان تحت حكمه وسيطرته ، واستطاع ذلك الضال أن يوجد دولته في قلب دولة سنية مالكية ، وهذا يدل على استفحال الدعوة الباطنية الشعوبية حينها ، وقيام دولة تنصر الزنادقة والفجرة ،

---

[1] انظر : أخبار القرامطة والباطنية ، ص : ٧٢ — ٧٥ ، وأخبار القرامطة : ٦١٥ — ٦٢٩.

وتفتك بالمسلمين [١].

أصبح الوقت حينها مناسباً لإعلان قدوم المهدي العبيدي ووصوله ، وأنه سيظهر قريباً ، إذ إن الدعوة الباطنية العبيدية هناك صارت قائمة من الناحية الفكرية ، باعتناق الناس هناك لتلك الأفكار الباطنية ، ومن الناحية العسكرية ، صار الجيش والحرب بيد داعية العبيديين . أعلن بعد ذلك أبو عبد الله الشيعي قرب قدوم الإمام المهدي عبيد الله القداح ، ثم أرسل إليه في الشام ليقدم إليه في المغرب وأن الوقت مناسب لظهوره . خرج عبيد الله القداح من الشام متخفياً في زي التجار ومع القوافل مخافة أن تنتبه إليه أعين العباسيين ، ولما تجاوز مصر ووصل إلى سلجماسة ، وقع في أسر أمرائهم وهم بنو مدرار ، لكن أبا عبد الله الشيعي أرسل جيشاً ليفك عبيد الله القداح ، واستطاع بذلك القضاء على تلك الإمارة ، وصارت تابعة للعبيديين . لما وصل عبيد الله القداح إلى القيروان ، أعلنت البيعة له وأعلن هو قيام الدولة العبيدية ، وسماها بالفاطمية ، ثم أعلن للناس أنه من النسب الفاطمي الهاشمي[١] ، وذلك في عام ٢٩٧هـ وهنا انتهى دور أبي عبد الله الشيعي ، داعية الباطنية الإسماعيلية ، وداعية عبيد الله القداح ، الذي مكث عدة سنوات يدعو ويمهد لقيام عبيد الله القداح ، وتخلص عبيد الله المهدي من أبي عبد الله الشيعي بقتله ، لخلاف نشب بينهما ، وقيل لقوة تحكم أبي عبد الله الشيعي في المغرب [٢]. وهذا ليس بغريب ، فكلا الطرفين يعرف كذب وزندقة الآخر ، وهذا هو حال دعاة الكفر والإلحاد حين تتمكن دعوتهم ، وتقوى شوكتهم ، يبدأ القائد أو الزعيم بتصفية كل من يمثل خطورة عليه وعلى زعامته . وبعد ذلك استطاع عبيد الله الباطني أن يبسط نفوذه وحكمه ،

---

[١] انظر : الإسماعيليون ، تاريخهم وعقائدهم ، فرهاد دفتري ، ص : ٢٢٣ – ٢٢٧ ، وتاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام ، محمد طقوش ، ص : ٦٥ – ٧٤ .

[١] وانتساب المهدي العبيدي للنسب الهاشمي محض افتراء وكذب ، وقد أنكره ورد عليه المحققون من أهل العلم ، يقول ابن تيمية عن أولئك الباطنيين : " ... وادعوا أنهم فاطميون ، مع اتفاق أهل العلم بالأنساب أنهم بريئون من نسب رسول الله ﷺ ، وأن نسبهم متصل بالمجوس واليهود ... " مجموع الفتاوى : ٢٨ / ٤٨٣ ، ويقول الذهبي : " ... وفي نسب المهدي أقوال ، حاصلها أنه ليس بهاشمي ولا فاطمي " السير : ١١ / ٥٨٨ .

[٢] انظر : اتعاظ الحنفاء للمقريزي ، ١ / ٦٧ .

ويرتب أوضاع دولته ، وتبنى الإسماعيلية الباطنية مذهباً رسمياً لدولته [1]. استمرت الدولة العبيدية وبالاً على الإسلام والمسلمين ، ومصدراً للإلحاد والشركيات والقبوريات ، ونشر البدع ، وفي عهدهم أصبح المسلمون في غربة وضنك شديد ، وصارت الكلمة فيها للباطنية والروافض واليهود والنصارى . وتتابع على تلك الدولة أربعة عشر ملكاً ، وكانت نهايتهم على يد القائد الصالح صلاح الدين الأيوبي ، وكذلك بفضل الله ثم بشجاعة الملك نور الدين محمود الزنكي الذي طردهم من الشام ثم من فلسطين ، هم والصليبيون ، ثم حصرهم في مصر ، وأرسل لهم الملك الصالح صلاح الدين ، واستطاع القضاء على الدولة العبيدية عام ٥٦٧ هـ ، وبزوالهم ، زالت عن المسلمين ظلمات الشرك والإلحاد والزندقة ، وشعت أنوار التوحيد والسنة ، وتنفس المسلمون الصعداء بذهاب دولتهم [1]. كانت هذه لمحة سريعة عن تاريخ قيام الدولة العبيدية ، وفيما يلي سأعرض أبرز المظاهر الشعوبية في هذه الدولة الملحدة الباطنية ، مع التأكيد على أن غالب سياستها للناس في ذاك الزمن قائمة على التوجه الشعوبي الباطني ، ومحاربة الإسلام والعقيدة الصحيحة داخل البلاد الإسلامية التي سيطرت عليها .

أبرز مظاهر الفكر الشعوبي في الدولة العبيدية الباطنية

أولاً : نشر الإلحاد والزندقة

لقد كانت الدولة العبيدية موئلاً للفكر الباطني الإسماعيلي ، القائم على إنكار وجود الله ، وتعطيل أسمائه وصفاته ، وإنكار المعاد والنبوات ، والقول بالرجعة ، وتأويل القرآن على الطريقة الباطنية ، وتوظيف نصوصه للتوجهات الإلحادية ، وكذلك من طرقهم نشر الفسوق والمجون والإباحية [2]. وأول من بدأ فرض تلك الإلحادات والزندقة ، أول حكامهم ، عبيد الله المهدي ، الذي فرض المذهب الإسماعيلي الباطني ، وأمر بنشر تعاليمه ، وظهر الرفض وسب الصحابة علناً ، وتكفيرهم ، وألغى عدداً من السنن كصلاة التراويح . وألغى القياس ، وأمر فقط بالقرآن على

---

[1] انظر : تاريخ الفاطميين ، ص : ٧٤ – ٧٧ ، ٨٢ – ٨٤.

[1] انظر : الكامل في التاريخ ،٩/١٠٩ / ٣٣– ٣٥ ، والبداية والنهاية ١٢ / ٤٣ – ٤٥ ، تاريخ الزنكيين في مصر وبلاد الشام ، محمد طقوش ، ص : ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

[2] انظر : الملل والنحل ١ / ١٥٥ – ١٦٢ ، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة : ٢ / ٥٣ - ٢٣٤

طريقتهم الباطنية الضالة ، وابتدع الأدعية والنداءات المحدثة ، وغير كلمات الأذان ، والقصد من ذلك كله طمس المعالم الدينية الظاهرة ، واستبدالها بالباطنية المجوسية الوثنية (١).

واستمر الحكام من بعده على الزندقة ، وبلغوا في ذلك عتواً كبيراً ، ومبارزةً لوحدانية الواحد القهار ، والمجاهرة بذلك ، فقد وجد من حكامهم من ادعى الربوبية ، كما فعل الحاكم العبيدي بن المعز الفاطمي ، وكان يأمر الناس أن يقولوا حين يروه : يا واحد يا أحد ، يا حي يا حي ، مطبقاً بذلك الوحدة الصوفية الإتحادية الباطنية . وفي خطب المساجد يأمر الناس بالقيام صفوفاً عند ذكر اسمه ، ويأمرهم مع ذلك بالسجود عند ذكر اسمه . وقد حرّم على الناس بعض الطيبات من المأكولات والمشروبات ، مشابهاً في ذلك أجداده من اليهود حين حرموا طيبات ما أحل الله لهم . ومن فجوره وزندقته أنه كان يسخر من الرسول ﷺ ، وكان يدخل للمسجد بالدواب وحين ينهى عن ذلك ، يقول متهكماً : أليست أبوالها وروثها طاهرة ؟! وكان يأذن لمن أسلم من النصارى أن يعود لدينه ، وألغى حد الردة ، وكان سجل هذا الحاكم مليئاً بالفجور والزندقة (١).

وأما الصحابة فقد نالهم من العبيديين شر المنال والأذى ، بالسب والشتم وإلصاق التهم ، بل بلغ من فجورهم في حق الصحابة أنهم يكتبون أسمائهم على الجدران ورؤوس الدواب والكلاب والخنازير ، ثم يعلقونها. وكانوا يمتحنون الناس على سب الصحابة ، والناس حينها بين مقاوم وصابر ومدارٍ وهارب بدينه من الفتنة ، قاتل الله العبيديين . ومن الحكام العبيديين الزنادقة القائم محمد أبو القاسم بن المهدي العبيدي ، الذي كان يجاهر بسب الأنبياء عموماً ، ونبينا صلى الله عليه وسلم خصوصاً ، حيث كان يقول: العنوا الغار وما حوى ، وادعى الرسالة ، ثم الربوبية (٢).

ومن إلحاد العبيديين أنهم منعوا الناس من السنّة ، كالتراويح وقيام الليل ، ومن السير على رؤية الهلال في دخول العيدين وشهر رمضان ، واستبداله بالحساب الفلكي المحدث . وفرضوا عليهم المذهب الإسماعيلي الباطني ، ومنعوهم من الحديث والإفتاء ، ومن التفقه على المذهب المالكي ، فكان من يدرّس الناس على المذهب المالكي عندهم ، قد ارتكب جريمة يستحق عليها العقاب.

---

(١) انظر : السير ، ١١ / ٥٨٣ – ٥٨٨ ، تاريخ الفاطميين ، ص : ٨١ ، والأعلام : ٤ / ١٩٤ .

(١) انظر السير : ١١ / ٦٠٠ – ٦٠٦ ، وتاريخ الفاطميين ، ص : ٢٦٩ – ٢٧٦

(٢) انظر : السير ١١ / ٥٨٩ – ٥٩٠ .

وكانوا أنهم يهدمون ويخربون المساجد والمعالم التي شيدها قواد المسلمين أيام الفتوحات الإسلامية ، ويضعون فيها الدواب والخيول (1).

ومن آثار زندقتهم وفجورهم رعايتهم للحركات الفكرية الملحدة الهدامة التي نشأت في الدولة العبيدية ، لتصحح مسارها ، وتهدف لمد العبث العبيدي الشعوبي ، ومنها قيام الفرقة الدرزية الباطنية ، التي أسسها : محمد بن إسماعيل الدرزي ، المجوسي الباطني ، الذي كان يعرف بأنوشتكين ، حين قدم مصر عام ٤٠٧هـ ، ودخل على الحاكم العبيدي ومجده وأيده في دعواه الربوبية ، وقال بأن اللاهوت حل في الناسوت ، أي الإله حل في الحاكم العبيدي ، وقال بالتناسخ والحلول ، ثم صنف له كتاباً ذكر فيه أن روح آدم تنقلت حتى وصلت لعلي بن أبي طالب ، ثم انتهت للحاكم العبيدي . وكان هذا الكتاب يقرأ ويفرض في مجامع الناس في القاهرة ، فثار المسلمون على الدرزي وهموا به ، ودخلوا بيته ، ونهبوه ، ونالوا جمعاً من أتباعه ، لكن الحاكم العبيدي سانده وهربه للشام ، وهناك استمر يدعوا بدعوته الباطنية الإلحادية ، وما يزال الدروز في الشام حتى يومنا هذا . ومثله كذلك الداعية الباطني الآخر : حمزة الزوزني ، الذي دعا أيضاً لألوهية الحاكم ، وأقام معبداً سرياً لإقامة تلك الطقوس الإلحادية ونشرها ، ولما أنكر الناس عليه فعلته ، هرب إلى خارج مصر (1).

وحتى الأذان الذي هو من أعظم الشعائر الإسلامية الظاهرة ، لم يسلم من تحريف وتعد العبيديين ، حيث أضافوا له : أشهد أن علياً خير الوصيين ، وكذلك أضافوا جملة : حي على خير العمل ، ومن ذلك أيضاً ما فعله المعز الفاطمي (مَعَد بن إسماعيل المنصور بن القائم العبيدي) ، حين أمر المؤذن بأن يقول في تشهده : أشهد أن معداً رسول الله ، ثم تراجع عن ذلك لما خشي من قيام الناس عليه . وانتشر الرفض زمن العبيديين وبلغ ذروته ، ونصروا أهله ، وأصبح هو المذهب السائد(2).

---

(1) انظر : البداية والنهاية ١١ / ١٦١ ، والسير ١١ / ٦٠١.

(1) انظر : حل الرموز في عقائد الدروز ، ص : ١٥٠ – ١٦٤ ، والاعتصام للشاطبي : ٢ / ١٧ ، وأطلس الفرق والمذاهب الإسلامية ، ص : ١١٨ ، ١١٩.

(2) انظر : الاعتصام ٢ / ٨١ ، والسير : ١١ / ٥٩٥ ، وتاريخ الفاطميين ، ص : ٢٧٧ – ٢٧٩ ،

=

وكل تلك العقائد المنحرفة جعل لها العبيديون من يقوم بنشرها ويدعو إليها ، بل جعلوا وظيفة في دولتهم تسمى بداعي الدعاة ، يتولى الإشراف على إرسال الدعاة الباطنيين ، وكان له لبس خاص به ، وبلغت دعوتهم حدود الهند وإلى جميع بلاد إيران إلى بحر قزوين . وفي خطاب من المعز العبيدي إلى الحسن القرمطي ، يبلغه فيه بقوة دعوته وانتشارها ليحذره من قربه مصر ومحاولة دخولها لما وقع الخلاف بين الطائفتين الإسماعيليتين ، فيقول له " ... ومع هذا فما من جزيرة في الأرض ولا إقليم إلا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون إلينا ، ويدلون علينا بتصاريف الألسن ، وفي كل جزيرة وإقليم رجال منهم يفقهون ، وعنهم يأخذون ... " (١).

والعبيديون والقرامطة ، بينهما قدر كبير مشترك ، من جهة استعدائهم للمسلمين والرغبة بالسيطرة على البلاد الإسلامية ، وإسقاط الخلافة ، وقبل ذلك أصولهم التي انطلقوا منها واحدة ، وهي الإسماعيلية . ولما قامت الدولة العبيدية في المغرب ، استبشر بذلك القرامطة ، والذي يظهر أن سبب خلافهم مع العبيديين ، هو بعد أن خرج العبيدي عبيد الله القداح أول ملوك الدولة العبيدية عن أصول دعوتهم الإسماعيلية ، وأعلن من نفسه أنه هو القائم الذي ينتظرونه ، أو ربما لقتله أبي عبد الله الشيعي ، وهو من أكبر دعاة المذهب الإسماعيلي حتى أن بعض أتباعه زعموا أنه لم يمت (٢)، كذلك لعل لازدياد نفوذ القرامطة وتمددهم دور في ذلك (٣).

والمقصود أن الحديث عن إلحاد وزندقة العبيديين طويل ولا يستوعبه هذا المبحث ، لكن ما تم عرضه فيه لمحة تصويرية لموقفهم من العقيدة الإسلامية ، والشريعة المحمدية المطهرة ، حيث حرفوها وبدلوها بما لم يأذن به الله .

وكما قال الذهبي : " ... لا يوصف ما قَلَب هؤلاء العبيديين الدين ظهراً لبطن ... " (٤).

والأعلام : ٧ / ٢٦٥

(١) اتعاظ الحنفاء ، المقريزي : ١ / ١٩٦ . ، وانظر : دولة الإسماعيلية في إيران ، ص : ٤٣ .

(٢) انظر : اتعاظ الحنفاء ، ١ / ٦٨ .

(٣) انظر : الدولة الإسماعيلية في إيران ، ص : ٤٦ — ٦٥.

(٤) السير : ١٢ / ٣٠٢ .

ثانياً : أذية العلماء والصالحين

من المظاهر الشعوبية التي اشتهرت بها دولة العبيديين ، مواقفهم العديدة البغيضة العدائية من علماء الإسلام وأئمة المسلمين ، والتي اشتهرت بالتسلط والتعذيب والتنكيل ، وكانوا يفرضون عليهم الإفتاء بما يشتهون ، أو تصحيح ما يقولونه للناس ، فمن خالف توجه الحاكم العبيدي فالتنكيل جزاؤه المنتظر ، حتى قيل أن عدد الذين قتلهم المهدي وبنوه ، من العلماء والعباد أربعة آلآف رجل ، ليجبروهم على اتباعهم ، وعلى سب الصحابة وترك الترضي عنهم [١].

وقد كان من عادة العاضد العبيدي[٢] إذا رأى سنياً استحل دمه . ومع تسلط العبيديين على العلماء وأهل السنة إلا أن ذلك لم يمنعهم من قول الحق والصدع به ، والوقوف في التصدي للمد الشعوبي الباطني ؛ ولذا اشتدت وطأة العبيديين عليهم . يقول القاضي عياض رحمه الله : أجمع العلماء بالقيروان أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة. ونَقَل عن بعض أهل العلم حين سئل عمن أكرهه بنو عبيد على الدخول في دعوتهم أو يُقتل ؟ قال : يختار القتل ولا يُعذر [٣].

ومن الأمثلة على مواقف العبيديين مع أهل العلم ، ما كان يفعله عبيد الله المهدي أول ملوكهم ، حين كان يحضر بين يديه بعض العلماء ثم يُمتحن بالسؤال : أتشهد أن هذا (أي العبيدي) رسول الله ؟! فعندما يصدع بالحق وينكر زندقة العبيدي ، يأمر بقتله . ومن المواقف المشهورة أيضاً ، ما فعله العبيديون حين أرسلوا للإمام : محمد بن الحُبُلي ، في برقة ، بأن يأمر الناس أن يكون العيد يوم غد ، فقال الإمام : نرى الهلال أو نصوم ، ولا أتقلد إثم الناس ، فلما أُخبر الحاكم العبيدي بذلك ، أمر بإعلان العيد ، وضرب الطبول والرقص واللعب واللهو ؛ لأنه كان

---

[١] انظر : تاريخ الخلفاء ، ص : ١٣.

[٢] هو : العاضد ، صاحب مصر ، وخاتم الدولة العبيدية ، يكنى أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد المجيد بن محمد بن المستنصر العبيدي الإسماعيلي ، ولد سنة ٥٤٦هـ ، كانت سيرته مذمومة ، وتسلط على العلماء والأمراء ، واشتد على أهل السنة ، وفي نهاية عهده استطاع صلاح الدين الأيوبي أن يصل للوزارة ويدير شئونها ، ثم قطعت الخطبة عن ذكر اسمه ، قيل مات مسموماً ، وقيل مغموماً لما سمع بقطع الخطبة عنه ، سنة : ٥٦٧هـ ، انظر : السير ٦١٩ – ٦٢٢ ، والأعلام : ٤ / ١٤٧.

[٣] انظر : السير ١١ / ٥٨٨

يأخذ بالحساب ويترك الأخذ برؤية الهلال ، ثم أمر بالشيخ الحبلي بأن يصلب في الشمس ، حتى هلك ومات مصلوباً [1].

ومن المواقف الشهيرة التي نالت أهل العلم أيضاً ، موقف المعز العبيدي مع أبي بكر النابلسي[1] رحمه الله ، الذي كان يجاهد ضد العبيديين ويرد عليهم فكرهم وزندقتهم ، ففي إحدى المرات أرسل المعزُّ إليه ، فسأل النابلسيَّ : بلغني أنك تقول : لو أن معي عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة ، ورميتنا بالعاشر ، قال : لم أقل كذا ، فكأن المعز العبيدي لمس من النابلسي أنه سينكص ويعود في قوله ، فقال له ، قلت : ينبغي أن نرميكم بتسعة ، ونرمي الروم بالعاشر ، قال له : ولم ؟ ، قال : لأنكم غيرتم دين الأمة ، ومثلتم بالصالحين ، وأطفأتم نور الإلهية ... ، فأمر أن يضرب ضرباً شديداً ، ثم أمر بسلخه ، وأوعز بذلك لأحد أعوانه من اليهود ، والنابلسي يقرأ القرآن ولم يتراجع أو ينكل ، فلما بلغ موضع قلبه طعنه ، فمات . وكان يلقب بالشهيد ، وينسب له أبناءه بأبناء الشهيد ، من أهل نابلس [2].

ومن آثار فتنة العبيديين لأهل العلم أنهم فتنوا حتى من عرف أول أمره بالعلم والفقه وتعليم الناس ، فأصبح عوناً لهم على أهل الإسلام والخير ، ومصدراً للشبه والضلال ، بل داعية لهم على مروقهم من الدين ، ومنهم : قاضي الدولة العبيدية ، النعمان بن محمد بن منصور المغربي ، فقد كان على المذهب المالكي ، ثم فتنه العبيديون واستمالوه حتى وقع في شراكهم ، ثم ارتد لمذهب العبيديين الباطني ، وكتب ردوداً على أئمة وفقهاء الإسلام ، أمثال : مالك والشافعي ، ودعا للتفقه على المذهب الجعفري الإمامي ، ثم ألف في الرد على أصول الدين ، قال عنه الذهبي : وانسلخ من الإسلام ، سحقاً له وبعداً ، نافق الدولة ، لا بل وافقهم [3].

---

[1] قال عنه الذهبي : الإمام الشهيد ، قاضي مدينة برقة ، انظر السير : ١٢ / ٥٥ .

[1] انظر : الأعلام : ٥ / ٣١١

[2] انظر : البداية والنهاية ١١ / ٩٧ ، والسير : ١٢ / ٣٠١ ، والأعلام : ٥ / ٣١١ ، ونابلس مدينة مشهورة بفلسطين ، انظر : معجم البلدان ، ٥ / ٣١٦.

[3] انظر : السير ١٢ / ٣٠٣.

ثالثاً : موقف العبيديين من حجاج بيت الله الحرام

العبيديون كسائر الفرق الشعوبية التي تهدف إلى تعطيل الشعائر في البلد الحرام ، وأذية الحجاج والتشويش عليهم ، وعدم ترك الناس في راحة وطمأنينة . ولئن كان للقرامطة الباطنيين دور كبير في ذلك فإن العبيديين قد حصل من وفودهم التي قدمت لمكة أذية في المسجد الحرام ، في المطاف وعند الحجر الأسود . حيث قام بعض من كان في الوفود من العبيديين إلى الحجر الأسود ، مخفياً آلة في يده ، ثم انهال ضرباً على الحجر الأسود ، وهو يردد : إلى متى نعبد هذا الحجر ؟!! ، ويقول : فلا أحد يمنعني اليوم أن أهدم هذا البيت ، ثم منعه الناس ، وحصل اقتتال وتدافع بين الناس ، حتى استطاع بعض الحجاج رده والتغلب عليه ، وسقط من الحجر الأسود فلَقَات ، ثم بادر السدنة لإصلاح ذلك الخدش [1].

وقد كان المهدي العبيدي يكاتب القرامطة ويحرضهم على أذية الحجاج ، وقط السبل عليهم ، والأذية في البلد الحرام [2]. بل ما هو أعظم من ذلك ، فقد حاول الحاكم العبيدي أن ينقل الحج من مكة إلى مصر ، ويحرف الناس عن قبلتهم التي كانوا عليها ، فأمر بثلاثة مشاهد بين القاهرة والفسطاط ، وأراد أن ينقل إليها قبر الرسول ﷺ من المدينة ، وقبر صاحبيه – رضي الله عنهما – ، وأرسل من يقوم بتلك المهمة ، وأعطاهم أموالاً ليشتروا بها مسكناً في المدينة ، ويسهل عليهم عمل سرداب في الأرض ، لينبشوا من خلاله القبور الثلاثة ، إلا أن الله حال دونه ودين إلحاده ، وتمكن أهل المدينة بفضل الله من صد ذلك الاعتداء الباطني الشعوبي ، ومن قتل المعتدين [3].
ومما يذكر هنا أيضاً : الموقف الدرزي الباطني من الحج لبيت الله الحرام ، فالدورز الذين هم من خطايا العبيديين ، موقفهم الشعوبي واضح في تعاليمهم المقدسة ، ومودع في رسائلهم التي تسمى : رسائل الحكمة ، وفيها : (... ولعمري أنه ما تعجب إلا من عجب قوم قطعوا المفاوز ، ولقوا في سفرهم الهزاهز ، إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، قصداً إلى حجر أسود ، وبيت جلمد ، ليس فيه حياة ولا نطق . فأي عجب أعجب من قوم هذا فعلهم ..... فيا ليت شعري

---

(1) انظر : البداية والنهاية ١١ / ١٦٤ ، ١٦٥.

(2) انظر : السير ١١ / ٥٨٦.

(3) انظر : الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص : ١ / ٨٣ ، وتاريخ الفاطميين ، ص : ٢٨٠

ما نفعهم من تقبيل الحجر الأسود وما اكتسابهم من الفوائد العقلية ، والعلوم الحقيقية الإلهية ، هل فعلهم إلا كفعل النصارى في الصليب بل هم أشد عتواً ، لأن الصليب موجود في كل البلاد ، والحجر الأسود يسافرون إليه أهل الضلالة من جميع العباد ...) [١].

إن تلك الإلحادات من أولئك الشعوبيين الباطنيين في البلد الحرام ، وفي تسلسل واضح ، وتآزر مشهود ، هو حلقة في سلسة أطماع الشعوبيين للنيل من الأماكن المقدسة قديماً وحديثاً ، ولتبديل دين الله الإسلام إلى دين وثني من خلق أفكارهم الشعوبية الباطنية .

رابعاً : موقف العبيديين من الخلافة العربية الإسلامية

منذ أن نشأت الحركة العبيدية الباطنية وإلى إعلان قيام دولتها ، وهي تهدف إلى زعزعة دولة الخلافة ، وإسقاط الخلافة العربية الإسلامية ، إذ لم تعترف بها يوماً ، بل أقيمت الدعوة للمعز الفاطمي في يوم عرفة في أحد مواسم الحج وعدد من مساجد مكة والمدينة ، مع أن الحجاز كانت تحت الحكم العباسي [٢]. وقد بدا زحفهم إليها من المغرب حتى مصر والشام والحجاز ، ووصلوا للعراق ، وذلك حين ضعفت الدولة العباسية في عهدها الثاني ، يقول الذهبي واصفاً حال الدولة العبيدية ، وضعف العباسية : " ... ظهر الرفض ، وأبدى صفحته ، وشمخ بأنفه في مصر والشام والحجاز والمغرب بالدولة العبيدية ، وبالعراق والجزيرة ، والعجم ببني بويه . وكان الخليفة المطيع ضعيف الدَّسْت[٣] والرتبة مع بني بويه ، ثم ضعف بدنه وأصابه فالج ، وخرس ، فعزلوه ، وأقاموا ابنه الطائع لله ، وله السكة والخطبة وقليل من الأمور ، فكانت مملكة هذا المعز أعظم وأمكن ... " [٤].

وقد كان العبيديون يحرضون الفرنج والروم إلى بلاد المسلمين ، ومكنوهم من الشام وفلسطين ومصر ، وبسببهم حاصر الفرنج دمياط مصر سنة ٥٦٥هـ ، وقتلوا أهلها ، واشتدت وطأتهم

---

[١] رسائل الحكمة : ٤ / ٥٣٣

[٢] انظر : اتعاظ الحنفاء ، ١ / ٢٣٠ .

[٣] الدَّست : كلمة معربة ، جمعها : دسوت ، وتعني نوع من أنواع الثياب ، وتطلق على مجلس الوزارة ، والديوان ، انظر : المصباح المنير ، ص : ١٦٣ .

[٤] السير : ١١ / ٥٩٥ .

عليهم ، وأصبح كلا الطرفين من الفرنج والعبيديين يريدان أن يتقاسما خيرات بلاد مصر حينها ، إلا أن الله نجى مصر بنور الدين محمود الزنكي وقائده صلاح الدين [1].

وأما في دمشق فحين دخلها العبيديون ، انتهكوا حرمات أهلها وأموالهم ، وفعلوا فيها كل قبيح ، واستباحوا فيها ما لم يستبحه الروم . وعندما وصلوا لحلب وحماه وحمص ، رقموا اسم الحاكم العبيدي على الأعلام والسكك ، وخطبوا له الجمع في الشام ، والهدف من ذلك إسقاط الخلافة العباسية ، والتمدد الباطني العبيدي [2].

ومما زاد من توغل الحركات الباطنية العبيدية الشعوبية في بلاد المسلمين ، وجود الحركات الباطنية المنبثقة من تلك الدولة الملحدة ، مثل حركة الحشاشين الباطنيين ، التي أسسها نزار بن المستنصر الباطني ، أخو المستعلي بالله أبو القاسم ، حيث أن نزاراً خرج عن طوع أخيه وكان يرى الأحقية في نفسه ، ثم هرب ، لكن استطاع المستعلي أن يعيده ويحبسه حتى مات ، فقام أنصار نزار وحملوا ابنه الصغير إلى قلعة آلموت في إيران وتحصنوا بها وصارت مركزاً لهم ، وتولى تربيته الحسن بن الصباح قائد الحشاشين ، وكان يرى أنه هو المستحق للإمامة . واستمر الحسن الصباح ومن بعده من زعماء الحشاشين في بلاد المسلمين بالنهب والقتل والاغتيالات ، فقد اشتهروا بالنيل من قادة المسلمين وتعطيل الجهاد والفتوحات الإسلامية ، وإحداث الشغب والتدمير داخل البلاد الاسلامية ، وكانوا في عقائدهم باطنية زنادقة [3]. ومن مواقفهم الشعوبية تجاه الخلافة العربية الإسلامية ، أن العبيديين في مصر والشام قاموا بتغيير معالم الفتوحات الإسلامية ، فكانوا يهدمون المساجد والقلاع التي أُنشئت في الفتوحات الراشدة ، مثل : جامع عمرو بن العاص ، ومسجد ابن طولون ، وغيرها من المعالم التي تدل على الفتوحات الماضية ، وهذا يدل على أن الأفق الشعوبي عند أولئك الباطنيين ضيق جداً لا يتسع حتى لمشاهدة آثار المسلمين في الفتوحات التي سبقت قيام دولة العبيديين . ولم يتوقف فعل العبيديين عند ذلك بل كانوا هم

---

[1] البداية والنهاية ١٢ / ٣٥ .

[2] السير : ١١ / ٥٩٦ – ٥٩٨.

[3] انظر : تاريخ الإسلام ... ، حسن إبراهيم ، ص : ٤ / ٢٥٥ ، وأطلس الفرق والمذاهب الإسلامية ، ص : ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، وانظر صفحة : ١٨٨ من هذا البحث .

أنفسهم يعبثون بالديار والممتلكات في مصر والمغرب ، بالتخريب والتدمير ، وكانوا يجاهرون بشرب الخمور وأذية النساء . ومع تلك المواقف العدائية في بلاد المسلمين إلا أن موقفهم من بناء الكنائس والمعابد موقف السماح والترحيب في فترات متعددة من حكمهم الباطني ، بل ولوا في وزارتهم اليهود والنصارى ، واعتمدوا عليهم في جباية الأموال والتعليم وشتى الفنون [١].

كانت هذه أبرز المظاهر الشعوبية في الدولة العبيدية ، والتي كانت مصدراً للإلحاد والزندقة ، والبدع والشركيات[٢].

---

[١] انظر : السير ١١ / ٥٩٧ .

[٢] انظر : الانتصار لأهل الأثر ، ص : ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

المبحث الثالث : الدولة الصفوية ودورها في إحياء الشعوبية ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : نشأة الدولة الصفوية

المطلب الثاني : دورها في فرض الفكر الشعوبي المجوسي ونشره

المطلب الأول : نشأة الدولة الصفوية

كانت [(١)]بلاد إيران بعد الفتح الإسلامي تابعة لحاكم العراق وكان يطلق على أجزاء منها – عراق العجم – ، فمن وليٍّ من خليفة المسلمين أمر العراق ، أرسل الأمراء والنواب للإمارات التابعة لبلاد فارس وإيران . واستمرت بلاد إيران تحت حكم الأمويين ثم العباسيين على حسب المراحل التي مرت بها البلاد آنذاك ، من القوة في بسط الحكم عليها أو ضعفه . فمع ظهور الإمارات والدويلات التي ظهرت وتحركت في ذلك العهد (مثل : الطاهرية [(٢)] والصفارية[(٣)] والبويهية والسامانية [(٤)]) ، أصبحت كل إمارة تمثل جزءاً من تلك البلاد ، وإن كان المظهر العام أنها تتبع الدولة العباسية [(٥)].

ومع اجتياح المغول للدولة العباسية سنة ٦٥٦هـ ، وارتكابها أبشع الجرائم في المسلمين بقيادة السفاح هولاكو ، أسس المغولي هولاكو الدولة الإلخانية التي صارت تحكم تلك المناطق (فارس وما حولها) ، لحوالي نصف قرن ، حيث تتابع عليها أبناء وأحفاد هولاكو . وقد كان حال أولئك الزعماء غارقين في الوثنية والبوذية ، وحاقدين على المسلمين ، ومع ذلك أيضاً يحرضون الصليبيين على المسلمين . وكانوا سبباً في نشر المذهب الرافضي المجوسي في تلك البلاد ؛ لمعرفتهم بحقد وعداوة الروافض على المسلمين ، وما قصة ابن العلقمي معهم ببعيدة. وهذا إذا ما أضفنا التعصب الفارسي القومي ضد العرب والمسلمين عموماً . ولكي يضربوا الإسلام من الداخل سهلوا لتلك الفرقة نشاطها بين المسلمين ، حتى إن من الزعماء المغول من اعتنق المذهب

---

(١) (تنبيــه) : سأخصص هذا المبحث للحديث عن الدولة الصفوية الأولى ، وفي المبحث الرابع سأخصصه عن الدولة الصفوية الخمينية المعاصرة .

(٢) الطاهرية من الإمارات المستقلة التي كانت تتبع الدولة العباسية ، أسسها طاهر بن الحسين ، في خراسان ، في الفترة : ٢٠٥– ٢٥٩هـ ، انظر : تاريخ الإسلام ، حسن إبراهيم ، ٣ / ٧٢

(٣) تأسست الصفارية على يد يعقوب بن الليث الصفار ، بعد أن أغار على الإمارة الطاهرية ، وكانت تحت حكم العباسيين ، وفترة إمارتهم : ٢٥٤ – ٢٩٠هـ في خراسان ، انظر : تاريخ الإسلام ، ٣ / ٧٢ .

(٤) السامانية : ترجع في أصولها إلى أسرة فارسية مشهورة ، أسلم جدهم سامان بعد أن كان زرادشتياً ، وكان له حظوة عند المأمون ، فولاهم على بلاد ما وراء النهر ، انظر : تاريخ الإسلام ... ، ٣ / ٨٠ .

(٥) انظر : تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، محمد طقوش ، ص: ١٨.

الرافضي بعد تظاهره بالإسلام ، ومنهم : (أولجانيو) الذي حكم حوالي تسع سنين ، وقد كان في صغره ناشئاً على النصرانية . تحمس أولجانيو للمذهب الرافضي كثيراً ، وكان سبباً كبيراً لنشره ، وهو نفسه الذي عرف بـ : محمد خدابنده ، ومن ثمَّ جعل الرفض مذهباً سائداً للدولة الإلخانية المغولية ، وبهذا اجتمعت العداوة المغولية والرافضية والفارسية على الإسلام والمسلمين [(١)].

بعد وفاة محمد خدابنده الرافضي عام ٧١٣هـ ، ضعفت الدولة الإلخانية ، وتقسمت المناطق بين أيدي القبائل المغولية ، حتى استطاع التركي المغولي (تيمور لنك) أن يجتاح تلك المناطق عام ٧٨٤هـ ، ويسيطر عليها ، وظلت تحت حكمه حتى عام ٨٠٧هـ [(٢)].

استمر تيمور لنك على التوجه الرافضي ، مما رسخ وجود الروافض في تلك المناطق ، وأصبح هو المذهب الرسمي للدولة . وقد كان تيمور لنك متأثراً بالحضارة التركية الإيرانية ، في طريقة تعامله وإدارته لدولته . وبعد وفاته ضعفت الدولة ، ودب الخلاف والتنازع بين أبنائه بسبب الأجدر في الإمارة ، وكان هذا سبباً في انهيار الحكم التيموري في إيران ، بعد أن كانت مسيطرة عليها وممتدة إلى بلاد ما وراء النهر ، لكن بسبب تلك النزاعات استطاع الأوزبكيون أن ينتزعوا البلاد شرق ما وراء النهر من أيد التيموريين ، واشتدت قوتهم حتى استطاعوا أن يجعلوا لهم عاصمة وهي سمرقند ، وقد صنع الأوزبكيون دوراً كبيراً في هذه الفترة وحتى أثناء الدولة الصفوية ، حيث كانوا نداً قوياً للصفويين من الشرق . وأما البلاد التي غرب ما وراء النهر من جهة إيران ، فكانت محلاً للنزاعات الداخلية ، وخرجت كثير من القبائل القوية على الحكم التيموري ، بسبب سوء معتقدهم وتعاملهم ولضعفهم بعد هلاك تيمور لنك ولرغبة تلك القبائل في الانفصال عنهم . ومن أبرز تلك القبائل التي كانت تتصارع في بلاد إيران ، قبيلتان تركمانيتان ، هما: (القرة قوينلو والآق قوينلو) [(٣)] ، فبعد وفاة تيمور لنك توجه قائد الآق قوينلو(أوزون حسن) إلى وسط إيران ، بهدف التوسع ، والقضاء على النفوذ الرافضي الذي يمثل خطراً عقدياً وسياسياً عليه ،

---

(١) انظر : التاريخ الإسلامي ١٨ / ٩ ، ١٠ ، وتاريخ الإسلام ... ، ٤ / ١٥٤ ، ١٥٥

(٢) انظر : تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، ص : ١٨

(٣) القرة قوينلو : تعني بالتركية الخراف السود ، وكانوا شيعة اثني عشرية ، وأما الآق قوينلو فتعني الخراف البيض ، ولم يكونوا شيعة اثني عشرية ، والأظهر أنهم ماتريدية أحناف .

خصوصاً وأن غالب تلك البلاد قد تشبعت بهذا المذهب بسبب الفرس والمغول . استمر قائد الآق قوينلو حتى ضم كثيراً من أجزاء إيران ، وجعل عاصمتها تبريز ، وكذلك حكم أذربيجان ، ووصل للعراق . واستمرت هذه القبيلة في قوتها حتى توفي قائدها عام ٨٨٢هـ ، وبعد وفاته تراجعت قوى القبيلة بسبب النزاع بين أبناءه ، وكانت النزاعات من السمات الغالبة على تلك القبائل ، خصوصاً مع الطرف الآخر القرة قوينلو الرافضية ، وترتب على ذلك ضعف سيطرتهم على إيران ، وأصبحت القبائل تعلن خروجها . ثم تقلصت نفوذ قبائل الآق قوينلو ، وظلوا في تلك الحالة حتى ظهر الصفوي إسماعيل شاه ، والذي استطاع هزيمة تلك القبائل الغير شيعية ، عام ٩٠٧هـ ، ومن هذا التاريخ قامت الدولة الصفوية [١].

ظهور الصفويين وقيام دولتهم

يرجع أصل الصفويين إلى أسرة تركية كانت مشهورة بالتصوف ، وكانوا يسكنون في أردبيل[٢] في أذربيجان . وقد جاء اسم الصفوي نسبة إلى شيخ صوفي من هذه الأسرة يدعى : صفي الدين إسحاق الأردبيلي (٦٥٠ - ٧٣٥ هـ) ، وهو الجد الخامس للشاه إسماعيل الصفوي ، مؤسس الدولة الصفوية . كان صفي الدين هذا صوفياً منذ نشأته ، حيث تلقى العلوم والمعارف الصوفية والروحية وشغف بها ، ثم انتقل إلى شيراز ، وهناك أشير عليه بأن يلحق بحلقة الشيخ تاج الدين إبراهيم الجيلاني ، فلازمه طويلاً ، ثم تزوج بابنته ، وبعد ذلك عينه شيخه الجيلاني زعيماً على الصوفية . وكانت تُذكر له منامات بأنه سيظهر أمره ويكون متبوعاً ، وسيخرج من ذريته من يحكم الناس ، إلى غير ذلك من الخزعبلات الصوفية ، ولهذا غلوا فيه أتباعه غلواً شديداً . وبعد وفاة شيخه الجيلاني ، تولى هو أمر الحوزة الصوفية . وحتى يتم له ما يصبوا إليه من المكانة الدينية ، ادعى أن نسبه يتصل بموسى الكاظم ، وأنه من آل البيت النبوي . وقد كانت هذه الطريقة مشهورة حينها ، خصوصاً لأن الدولة الإلخانية كانت تميل للروافض ، وفعله هذا يقوي من حظوته عندهم . ولقد كان للتصوف والتشيع الدور الكبير في حصول هذه المكانة الصفوية والتي

---

[١] انظر : تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، ص : ١٩ – ٣٤ .

[٢] أردبيل : بالفتح ثم السكون ، ثم فتح الدال وكسر الباء وياء ساكنة ، من أشهر مدن أذربيجان ، انظر : معجم البلدان ، ١ / ١٨٢ ، ١٨٣ ، وانظر أيضاً : ١ / ١٦٢ ، ١٦٣

انتهت بقيام دولتهم [١].

بعد وفاة صفي الدين الأردبيلي خلفه أبناؤه ، : صدر الدين موسى ، وفي عهده ارتقى حال الأسرة الصفوية دينياً ، واستمر في إقامة الحلقات الصوفية ، ونال مكانة بعد أبيه . ثم بعده : علاء الدين علي ، ويلقب بالمسوَّد للبسه السواد ، وكان يعرف أيضاً بـ علي سياه ، كان علي سياه هذا معاشراً لتيمور لنك ، ومال إليه تيمور ، بسبب اعتناقهما التشيع . وفي عهده أيضاً بدأت أُسُس الطائفة القزلباشية ، وذلك بعد غزو تيمور لنك العثمانيين في عهد با يزيد الأول عام ٨٠٤هـ ، وأسر من الأتراك ثلاثين ألفاً ساقهم لبلاده ، فطلب منه علي سياه أن يهبهم له ، وضمهم لمريديه من الصوفية ، وكان يطلق عليهم (الصوفية رملو) أي صوفية الروم ، لقدومهم من قرب بلاد الروم ، وجعل منهم طائفة دعاة صوفيين بعد أن تشبعوا بطريقته الصوفية ، وجعل منهم مدربين على السلاح والقتال . وهؤلاء الأتراك كانوا أجداداً للقزلباش [٢].

ثم بعده جاء ابنه (جنيد) ، وكان رافضياً جلداً ، شديداً على أهل السنة ، وكان قوياً طامحاً في السياسة والنفوذ . فأصبح البيت الصفوي في عهده قوياً من الناحية السياسية ، كما هو من الناحية الدينية الصوفية . وكان عهده بداية لتأسيس الحكم الصفوي ، حيث غلب اهتمامه العسكري والسياسي على الديني ، وساعده على ذلك ضعف الدولة المغولية في إيران . جعل جنيد من المذهب الرافضي مذهباً رسمياً لأتباعه ، فهو وإن كان صوفياً على طريق أسلافه إلا أنه جنح كثيراً للرفض حتى غلب عليه ، وكم من مرات كان التصوف طريقاً للتشيع الرافضي الباطني. وكان جنيد يشيع بين الناس بأن الدولة التي ستظهر آخر الزمان ستكون بقيادته ، وأنها علوية ، وعرف عنه دعوته للأعاجم من الترك والفرس وغيرهم ليحضروا إليه ، وكل ذلك كان تمهيداً لإقامة دولتهم [٣].

وأما عن نهايته وهلاكه فبدايتها حين ذهب داعياً لمذهبه إلى الأناضول ، ومكث فيها مدة ،

---

[١] انظر : موسوعة تاريخ إيران السياسي ، ٣ / ١٢ – ١٥ ، وتاريخ الدولة الصفوية ، ص : ٣٥ – ٤٠ .

[٢] انظر : تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، ص : ٤١ ، ٤٢

[٣] انظر : المرجع السابق ، ص : ٤٣ ، ٤٤ .

وأراد أن يؤسس فيها مذهباً خاصاً لتأثره بالفرقة المشعشعية[1] ، ثم خرج منها ذاهباً إلى حلب الشام ، وبدأ دعوته هناك ، ولما بدأ يظهر دعوته الرافضية الصوفية ، ليصل بها إلى أطماعه السياسية ، محاولاً الالتفاف على العراق وإيران ، عرف الناس حقيقته وعقدوا له مجلس محاكمة وحكم عليه بالحبس بسبب الدعوة للرفض ، لكنه استطاع الهرب . وفي عودته توجه لديار بكر[2] التي كانت تحت حكم أوزون حسن زعيم الآق قوينلو ، لكنه استقبله رغم أن جنيداً رافضي ، وذلك طمعاً أن يكون في صفه ضد الروافض من القرة قوينلو ، وهنا علمت تلك القبيلة الاثني عشرية بدخول جنيد تحت معونة أوزون حسن ، وعند عودته اعترضه أحد الموالين لهم ، وحصل بينهم قتال ، انتهى بقتل جنيد ، سنة ٨٦٤هـ . وقد كان بعض أتباع جنيد يشيع بأنه سيعود بعد وفاته .

بعد وفاة جنيد الصفوي خلفه ابنه (حيدر) ، الذي نشأ نشأة صوفية اثني عشرية ، وكان رافضياً جلداً ، أحب أن يميز أتباعه بشيء دون غيرهم ، فأمرهم بلبس القلنسوة الحمراء ، وجعل لها اثني عشر ذؤابة ، إشارة منه للأئمة الاثني عشر ، وكانت يسمى تاج حيدر ، ثم أطلق عليهم بالتركية : القزلباش ، أي : الرؤوس الحمر ، وأصبح شعاراً للجنود الصفويين . في عهده لم يستطع التوسع السياسي كثيراً بسبب قوة الآق قوينلو ، وسيطرتهم على العراق وأذربيجان . عُرف عنه اهتمامه الشديد بإعداد القزلباش ، وجعل ولائهم له ، وكانوا فدائيين له ، وكانت هذه الفئة تقابل الإنكشارية عند العثمانيين . كان لحيدر ثلاثة أبناء ، هم : إبراهيم ، وسلطان علي ، و إسماعيل ، فأما إبراهيم وسلطان علي فقد قتلا على يد قائد الآق قوينلو التركماني ، وذلك بعد مناوشات عديدة ونزالات بينهم ؛ ذلك لأن أتباع الصفويين كثير في أردبيل بأذربيجان التي يحكمها الآق قوينلو ، وكان يطلب منهم ترك أردبيل ومغادرتها ، وعدم اجتماعهم مع الناس في الحلقات لأن هذا يمثل عليه خطورة في أي وقت بالثورة عليه ، ولما لم يفعل ذلك الأخوين كان مصيرهما القتل

---

[1] وهي : فرقة من غلاة الشيعة ، أتباع محمد بن فلاح المشعشع ، ادعى أنه المهدي ، ثم ادعى ألوهية علي بن أبي طالب ، وقيل أنه دمر قبر علي في النجف ، وأحرق أتباعه أخشاب الضريح ، انظر : أطلس الفرق والمذاهب الإسلامية ، ص : ٣٢٠ .

[2] ديار بكر : بلاد كبيرة واسعة ، سميت بذلك لأن بكر بن وائل العدناني سكنها ، يحدها غرباً دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى حصن كيفا وآمد وميّافارقين ، انظر : معجم البلدان ٢ / ٦١٢

، وأما الثالث وهو إسماعيل فاستطاع الهرب ، ففر إلى جِيلان[1] ، وظل هناك ينتظر الفرصة المناسبة ليذهب إلى أردبيل ، مسقط رؤوس الصفويين وعاصمتهم الدينية ، لينتقم من قائد الآق قوينلو وهو رستم بن مقصود بن أوزون حسن ، ويأخذ بثأر أبيه وإخوته [2].

قيام الدولة الصفوية

بعد أن استقر إسماعيل في جيلان ، وتعلم بها ، وكان يفد عليه المريدون الصوفيون من أردبيل وغيرها ، وذلك لأن مكانة هذه العائلة في تلك البلدة كبيرة وحاضرة ، بسبب توجههم الصوفي الرافضي ، وغلوهم في البيت الصفوي . فلما علم إسماعيل بحصول نزاع في أسرة الآق قوينلو ، خرج إلى أردبيل وبدأ يرسل لأتباعه ويجيش الناس للأخذ بثأر مشايخهم ، وهذا يؤكد أن الانتقام قائم على أساس عقدي عدائي قبل أن يكون سياسي ، فإسماعيل هذا كسابقيه متعصب للرافضة والصوفية على أهل السنة ، ويريد أن يقمع كل مَنْ ليس في دعوته .

اجتمع معه الآلاف من الأتباع والناس ، ثم توجه إلى شروان[3] حيث قاتل أبيه وهو (فروخ يسار شاه) ، استطاع أن يقبض عليه ويقتله ثم يحرق جثته ، وكلما وقف على قبور الآق قوينلو أخرجها وأحرقها ، واشتد فتكه بأهل تلك البلاد . وبدأ يتوسع في إيران ويزداد نفوذه نتيجة لكثرة أتباعه ولوجود القزلباشيين المهيئين معه ، حتى وصل إلى تبريز ، فاقتحمها وأعلن فيها المذهب الرافضي الصفوي ، وجعلها عاصمة لدولته ، وأعلن عن قيام دولته الصفوية ، وكان ذلك عام٩٠٧هـ ، وبقيام هذه الدولة أتى أهلَ السنة ما يوعدون من البلاء المبين ، وتتابع على هذه الدولة ثلاثة عشر زعيماً ، استمرت حتى عام ١١٤٨هـ [4].

لقد كانت الدولة الصفوية امتداداً للتسلط الشعوبي السياسي ، الذي سُبق بالقرامطة والعبيديين

---

[1] جيلان : بكسر الجيم ، اسم لبلاد ما وراء طبرستان ،انظر : معجم البلدان : ٢ / ٢٥١

[2] انظر : موسوعة تاريخ إيران السياسي ، ٣ / ١٥ – ١٧ ، وتاريخ الدولة الصفوية ، ص : ٤٥ – ٤٧ .

[3] شروان : مدينة من نواحي باب الأبواب الذي تسميه الفرس الدَّرْبند ، بناها أنو شروان فسميت باسمه ، ثم خففت بإسقاط شطر اسمه ، انظر : معجم البلدان ٣ / ٤٢٧ ، وانظر : ١ / ٣٧٩ - ٣٨٢

[4] انظر : موسوعة تاريخ إيران السياسي ، ٣ / ١٧ ، ١٨ ، وتاريخ الدولة الصفوية في إيران ، ص : ٥٢- ٥٤ ، وعودة الصفويين ، عبد العزيز الشافعي ، ص : ٧ – ١٠

والبويهيين وغيرهم ، ففي عهد الصفويين فرضت الشعوبية المجوسية الفارسية قوتها. وعند النظر إلى نشأة الدولة الصفوية ، وما تعلق بذلك من قبل ومن بعد ، يتضح عدة نقاط مهمة ساهمت في قيام وتوغل الفكر الشعوبي في تلك الحقبة ، وهي كما يلي :

١.اعتماد الفكر الشعوبي ودُوَله بدرجة كبيرة على التصوف والرفض ، ليدخل من خلالهما لعقيدة المسلمين ، فيكون الرفض ظاهره التشيع وباطنه الكفر والزندقة والشركيات ، ويكون التصوف أشبه بالمخدر للأجساد والعقول ، وسبباً للغلو في متبوعيهم واعتقاد فيهم ما لا يجوز ، ثم كان التصوف سبباً لقبول حكم أمثال الروافض والمغول ، فالعلاقة الدينية بين التصوف والتشيع ، تطورت لعلاقة سياسية سلطانية .

٢.تواطؤ الفرق الشعوبية مع أعداء الإسلام من الخارج ، وتسهيل اجتياحهم للمسلمين ، وذلك من خلال تعاون الروافض والمتصوفة مع الحكام المغول والصليبيين ضد المسلمين.

٣.كذلك تواطؤ سائر القوميات الشعوبية الأخرى غير الفارسية مع الفارسية ، ومثاله : توافق الأتراك والفرس ، وجعلهم بلاد المسلمين مسرحاً لأطماعهم .

٤.ظهور الفرق الشعوبية الغالية وتناميها في ظل العراك الشعوبي القومي من أجل السلطة ، فالمشعشعية والقزلباشية والبكتاشية وغيرها ، ظهرت في تلك الأجواء المَرَضية .

٥.طمع القوميات الشعوبية في التمدد إلى البلاد العربية والإسلامية ، والسيطرة عليها ، ومثاله : تنازع الفرس والأتراك والتركمان والمغول على العراق وغيره .

٦.الأثر السيئ على المسلمين من خلال التنازع والخلاف على أساس قومي شعوبي أو قبلي عنصري .

٧.تكاد جميع الفرق والقوميات التي تنازعت في بلاد المسلمين خالية أو شبه معطلة من الدعوة للسنة الصحيحة ، ونبذ الفرقة ، والاجتماع على أساس الدين دون غيره .

كل تلك النقاط كانت طريقاً لانتشار وتمكن الفكر الشعوبي من بلاد المسلمين ، ومن ثم ضعف هيبة المسلمين ، فأصبحوا في يد أعدائهم إلا ما شاء الله ، وانحسرت الدعوة إلى الإسلام ، وضعفت راية الجهاد ، وكل ذلك بسبب انتشار الحركة الشعوبية ، والله المستعان .

المطلب الثاني : دورها في فرض الفكر الشعوبي المجوسي ونشره

بعد إعلان الشاه إسماعيل الصفوي قيام دولته الرافضية الشعوبية ، أعلن حربه الضروس المشئومة على أهل السنة . وقد كان لدولته دور كبير وخطير في فرض الفكر الشعوبي ، فبه أحيا بقايا الدولة الفارسية المجوسية ، وأصبح الرفض هو الباب الذي لا يفتح غيره ، إذ إن كثيراً من الفرس وغيرهم من بقايا المغول على اختلاف أفرادهم ، اعتنقوا التشيع والتصوف ، وجعلوه ستاراً دينياً يخفون تحته عداوتهم الباطنية للإسلام والمسلمين ، وأصبحت المظاهر الشعوبية الفارسية واضحة المعالم . وغلب على قواد الدولة الصفوية تلك المظاهر الشعوبية الفارسية ، مع أن أصول الصفويين تركية ، لكن لقوة المد الفارسي الشعوبي ، وللعلاقة بين التصوف الغالي والتشيع الجافي ، أصبح عنوان الصفويين وحقيقتهم هو القومية الفارسية ، والعصبية العنصرية تجاه العرب خصوصاً ، والمسلمين عموماً ، وكانت الدولة الصفوية أول دولة رافضية اثني عشرية ، جعلت الرفض والمذهب الإمامي ديناً رسمياً لها ، وأعلنت الحرب والبراءة من السنة وأهلها ، والامتحان والفتك على ذلك ، ومن أبرز تلك المظاهر الشعوبية التي تمكن الصفويون من وضعها :

أولاً : فرض المذهب الرافضي الإمامي بالقوة والجبر ، وجعله شعاراً ومذهباً رسمياً للدولة الصفوية ، ومنع غيره من المذاهب ، خصوصاً السني ، وبدأ إسماعيل الصفوي بذلك أول ما قامت دولته ، وسك العملة باسمه ، وجعل مكتوباً فيها : لا إله إلا الله محمداً رسول الله ، علياً ولي الله ، ثم نقش اسمه عليها . وأمر بالغلو والمديح في الأئمة الاثني عشر ، وأمر بسب الخلفاء الثلاثة ، في المنابر والأسواق والمجتمعات ، ومن لا يفعل ذلك فالموت مصيره .

وكان يمتحن الناس على سب الصحابة علناً ، ومن يأبى أو يتردد فدمه هدر ، وماله وعرضه حلال ، حيث إن الجريمة الكبرى عند إسماعيل الصفوي هي السنة [1].

وقد كان إسماعيل الصفوي يقدس نفسه منذ نشأته على الطرق الصوفية ، ولكونه أميراً أو متبوعاً فيها ، إضافة لانتسابهم للبيت الهاشمي ، غلا فيه أتباعه غلواً شديداً ، ليجتمع له القيادة الدينية والدنيوية . وكان يشيع بين أتباعه أنه رأى المهدي في إحدى الكهوف وأنه ناداه وأخبره بقيام دولته ، وأذن له أن يكون نائباً عنه ، وزعم أيضاً أنه رأى علي بن أبي طالب ، وكل تلك

---

(1) انظر : تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، ص : ٥٥

الخزعبلات كان يصدقها مريدوه من الصوفية والصفوية . وعلى عادة الفرق الشعوبية وقوادها ، فقد كان إسماعيل الصفوي شديد الفتك بخصومه وبأهل السنة ، ولا يتردد في التمثيل بهم أو حرق جثثهم وصلبها ، حتى الأموات لم يسلموا من جرائمه . فعندما ظفر بحاكم شروان في تبريز قتله شر وقتلة ومثّل به وأحرق جثته ، ثم وضعها في قدر ، وأمر بعض القزلباشيين أن يأكلوها ففعلوا !! . وقتله لأهل السنة والتخلص منهم حتى يحول البلاد رافضية إمامية يشبه اجتياح المغول للبلاد الإسلامية . وطغيان وفتك الزعماء الصفويين لم يقتصر على مخالفيهم ، بل منهم من قتل أبنائه أو إخوانه أو سجنهم ، وكل ذلك خوفاً على الكرسي ، وطغياناً في إراقة الدماء [١].

ثانياً : موقف الصفويين العدائي من أهل السنة وعلمائهم

لقد لقي أهل السنة كافة ، عالمهم وعامتهم ، صنوف العذاب من ذلك الطاغية ، إسماعيل الصفوي ، فبمجرد قيام حكمه وفرضه الرفض ، بدأ يحضر علماء السنة بين يديه ويمتحنهم ويقتلهم ، ويشرد ذراريهم ، ويستحل أعراضهم أو يبيعها في سوق العبيد والإماء . وقام بهدم المساجد والمدارس التي يدرس فيها العلوم الشرعية ، ومنع الحديث ، وحينما حكم تبريز وفرض المذهب الإمامي ، منع التفقه على المذهب الشافعي السني ، وحينما دخل العراق ، نكل بأهل السنة كذلك ، وهدم مساجدهم ومدارسهم ، وهدم مسجد الإمام أبي حنيفة ، ونبش قبره الموجود في قرية الأعظمية ، وجعل مكانه مدرسة رافضية ، وجعل لمن يدخلها المال من باب التشجيع وفرض المذهب الإمامي ، ومنع التفقه على المذهب الحنفي . وأحيا الصفويون عقيدة البراءة من النواصب ، ويقصدون بهم أهل السنة ، فكان طائفة من الناس بأمر الصفويين يدورون بين الناس وفي الأماكن العامة ، ويُسمون (التَبْرَائيون) ، فيصرحون بلعن أهل السنة والصحابة خصوصاً ، ويرفعون أصواتهم بذلك ، ثم يطلبون من غيرهم أن يرددوا معهم ويزيدوا في اللعن والسب ، ومن يأبى فيقتل ويكون مصيره الهلاك [٢].

ولم يقتصر أذية الصفويين لأهل السنة في العراق فقط ، بل في كل مكان يسيطرون عليه ، فقد نكلوا بأهل السنة ، في بلاد ما وراء النهر ، وفي خراسان وكردستان وأذربيجان ، وغيرها من

---

[١] انظر : موسوعة تاريخ إيران السياسي : ٣ / ١٩.

[٢] انظر : عودة الصفويين ، ص : ١١ — ١٨.

الأماكن التي دخلوها .

وكانوا في بداية دخولهم يظهرون لهم التسامح والعدل والرغبة في التعايش معهم ، ويعدونهم بحسن الجوار ، وكل ذلك ليأمنوا وضع السلاح وعدم المقاومة ، وما إن يسيطروا حتى ينزلوا بهم أشد أنواع القتل والعذاب [١].

قاتل الله الصفويين قديماً وحديثاً ، لا عهد لهم ولا ذمة ، ولا خلق ولا شيمة ، وأنّى لهم العهد والذمة وهم مفلسون عقدياً وفكرياً .

ثالثاً : ابتداع الشعائر الدينية الصفوية

تهدف تلك الشعائر الصفوية إلى إخفاء معالم السنة وطمسها ، وإحياء الرفض والفكر الشعوبي ، وذلك عن طريق شعائر ما أنزل الله بها من سلطان ، وأصبحت بعد ذلك تعاليم دينية يجب الإتيان بها ، ومنها :

١) الجهر بسب الصحابة الثلاثة (أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ) في منابر الجمع ، والأماكن العامة ، ووصفهم بأبشع الأوصاف ، كالجبت والطاغوت ، والأصنام ، وغير ذلك من الطعون ، والامتحان على ذلك أيضاً [٢].

٢) تنظيم الاحتفال بيوم عاشوراء سنوياً ، وجعلها مناسبة دينية لا بد من إحيائها ، ابتداء من أول شهر محرم وحتى اليوم العاشر ، وفي محرم يمنعون الزواج ، ويلبسون السواد في تلك المناسبة ، وابتدع الصفويون الضرب في الأجساد وإراقة الدماء ، والتطبير[٣] ، حزناً وأسفاً على دم الحسين ، زعموا ، ولا يستطيع أحد من الساسة أو المسئولين منعهم من ذلك ، وفي تلك المناسبة الصفوية يظهر سب الصحابة والتشنيع عليهم والطعن فيهم ، وتحميلهم

---

[١] انظر : الصفوية التاريخ والصراع والرواسب ، مركز المسبار للدراسات والبحوث ، ص : ١٠٢ – ١٠٧

[٢] انظر : لمحات من تاريخ العراق ، ١ / ٥٨ ، وعودة الصفويين ، ص : ٢٦ .

[٣] سمي بذلك نسبة إلى الطُبَر ويعني الساطور باللهجة العراقية ، حيث كان الصفويون يضربون به أجسادهم ، فسميت تلك الطريقة بالتطبير ، انظر : عودة الصفويين ، ص : ٢٧

بدم الحسين ، إفكاً وزوراً . ومن ذلك أيضاً ابتدعوا الاحتفال بمولد جميع الأئمة الاثني عشر ، وعمل مآتم في تواريخ وفاتهم [١].

٣) قدسية دفن الموتى في النجف : وهذا مما استحدثه الصفويون ، فكانت الجثث يُؤتى بها من إيران إلى العراق وقد جيفت ، وكل ذلك حرصاً منهم على تنفيذ تلك الطريقة ، ثم عمدوا بعد ذلك لمحاولة تجفيف الجثث أو تحنيطها لئلا تتعفن ، وإلى اليوم يحرص شيعة العراق على الدفن في النجف ، ويسمونه بالنجف الأشرف ، وهذا من براثن الصفوية الفارسية [٢].

٤) التربة الحسينية : وهي أخذ حجر أو طين ثم يسجد عليه دون الأرض ، وأطلق عليه ذلك الاسم ، من باب التميز عن غيرهم ، ولإظهار التشيع لآل البيت ، ولا تزال هذه الطريقة فيهم [٣].

٥) إضافة الأذان البدعي ، وهو : قول : أشهد أن علياً ولي الله ... [٤].

٦) تخصيص زيارة المقابر للأئمة والمراجع ، وعمل الأوراد البدعية والشركية على ذلك ، وأول من استحدث قصد مقابر الأئمة عند الصفويين الشاه عباس الأول الصفوي ، الذي دعا لزيارة قبر الرضا في مشهد ، وكان يسمي نفسه : كلب عتبة الولاية ، وقيل أنه ذهب مشياً من أصفهان إلى مشهد ليحيي هذه الزيارة ، وكان يحث المراجع الرافضية الصفوية لتحبيب الناس لذلك [٥].

وكل تلك المظاهر الدينية الصفوية عندهم شعائر لا بد منها ، ومن يأباها فهو قادح في المذهب ، ومستحق للعقاب . فأين هو الإسلام عندهم فيما يتدينون به ، فضلاً عن السنة البيضاء ، نسأل الله العافية والسلامة في الدين والدنيا .

---

[١] انظر : لمحات من تاريخ العراق ، ١ / ٥٨ ، وعودة الصفويين ، ص : ٢٧

[٢] انظر : عودة الصفويين ، ص : ٢٩

[٣] انظر المرجع السابق .

[٤] انظر : لمحات من تاريخ العراق ، ص : ١ / ٥٩ ، و انظر : تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، ص : ٥٥ .

[٥] انظر : تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، ص : ١٤٦ ، ١٤٨ ، وعودة الصفويين ، ص : ٤٥

رابعاً : موقف الصفويين العدائي من الدول الإسلامية

عندما قامت الدولة الصفوية كانت الدولة العثمانية في أشدها ، وكانت حدودها إلى العراق من جهة الشرق ، إذ إن العراق هو الفاصل بينهما . ولما فعل إسماعيل الصفوي في العراق بأهل السنة الأفاعيل ، نُمي ذلك إلى السلطان العثماني سليم الأول ، وعرف أن الدولة الصفوية تعادي بلاد المسلمين عامة والسنة خاصة ، وترغب التوسع على حساب دولته . فلما استشار السلطان العثماني أعوانه وأهل العلم عنده ، اتفقوا على جهاد الصفويين ، لطرد الصفويين من العراق الذي أصبح تحت وطأتهم ، ونكلوا بأهله ، وأيضاً فإن أهل السنة في العراق كاتبوا العثمانيين عن طريق ولاتهم المجاورين لهم ؛ لينقذوهم من عدوهم الصفوي الشعوبي ، الذي يهدف لتمجيس البلاد الإسلامية ، بدءاً بالعراق. سار السلطان العثماني بجيش كبير ، والتقى بالصفوي إسماعيل في صحراء جالديران عام ٩٢٠هـ ، وبها سميت المعركة ، وهُزم الصفويون هزيمة منكرة ، وكسرت شوكتهم ، وفر إسماعيل الصفوي إلى عاصمته تبريز . وفي هذه المعركة قُتل أحد أبرز أعوان إسماعيل الصفوي على أهل السنة ، وهو المدعو : محمد كمونه [١] ، الذي زين للصفويين غزو العراق ، وكان يحرض الصفويين على أهل السنة [٢].

كانت آثار هذه الهزيمة شديدة جداً على الصفويين ، ذلك أن هزيمتهم أمام العثمانيين ، هزّت من الصورة المقدسة لإسماعيل الصفوي أمام أتباعه ، خصوصاً القزلباشيين ، فعزم على الانتقام من الدولة العثمانية ، وتخريب البلاد العربية والإسلامية ، فقرر الاستعانة بالنصارى الصليبيين على المسلمين ، وهذا يدل على علمه بموقف الصليبيين من البلاد الإسلامية ، ويؤكد أطماعه الصفوية الشعوبية في القضاء على الدول الإسلامية . وفي تلك الفترة كان الصليبيون البرتغاليون مسيطرين على بحر العرب ، وأجزاء من الخليج العربي ، ومضيق هرمز ، واحتلوا كذلك الساحل العماني ، وكل تلك المواقع لها أهميتها الجغرافية والتجارية ، إضافة لمهمة الصليبيين الأساسية من تلك السيطرة ، وهي التنصير في بلاد المسلمين . فكتب إليهم إسماعيل الصفوي يغريهم بالهجوم على

---

[١] سيأتي الكلام عنه قريباً .

[٢] انظر : موسوعة تاريخ إيران السياسي ، ١ / ٢٣ ، ٢٤ ، وتاريخ الدولة الصفوية في إيران ، ص : ٧٥ – ٨٢

بلاد العرب ، وعلى الدولة العثمانية ، وأن ينالوا من الكعبة . وعرض عليهم المساعدة بالقتال والسلاح ، واشترط عليهم أن يعينوه على احتلال البحرين والقطيف ، وتم التحالف بينهما . ومن ضمن الاتفاقات التي حصلت بينهم أن يعين البرتغاليون الصفويين في احتلال مصر وسلبه من المماليك ، مقابل أخذ فلسطين التي كان يحرص عليها النصارى الصليبيون ، ولا يعرف دولة تنتسب للإسلام ، باعت القدس من النصارى كفعل الشعوبيين [1].

وهذا يؤكد وينبه على نقطة هامة ، وهي كذب دعاوى الصفويين اليوم في نصرة القضية الفلسطينية ، وتحريرها من الصهاينة اليهود ، ولكن لعلمهم بأهمية القضية الفلسطينية بين المسلمين ، فهم يحاولون استعطاف الناس بها ، كذباً وزوراً . ومن أهداف ذلك الاتفاق أيضاً ، تقسيم البلاد العربية ، وفصل شرقها عن غربها ، ثم إسقاط الحكومات الإسلامية فيها ، وإعادتها موطناً للفوضى والحكم الجاهلي ، لكن دفع الله شرهم عن تلك البلاد ، وكان للدولة العثمانية دور كبير في رد الصفويين عن أطماعهم في البلاد الإسلامية .

وتلك الاتفاقات تؤكد الوفاء الصليبي للفرق الشعوبية ودولها ، وتآزر الطرفين ضد الدولة الإسلامية ؛ لأنه بهذه الطريقة يتم الهجوم على المسلمين من الداخل والخارج ، وتصبح البلاد بين كماشتي النصارى الصليبيين واليهود والهندوس وبين الرافضة الصفويين والباطنية وغيرهم من أعداء الملة والمسلمين .

واستمر الحكام الصفويون على ديدنهم في التعاون الصليبي ضد الدول الإسلامية ، فالشاه طهماسب بن إسماعيل الصفوي ، أقام تحالفاً إيرانياً أوروبياً ضد الدول الإسلامية ، وهذا كان دأب حكامهم قاطبة ، فكانت الدول الأوروبية ترسل الجواسيس والعيون للبلاد في زي التجار والزوار والسياح ، وكان لهم دور في عمل الثورات داخل البلاد . فقد عانت البحرين وعُمان وسواحلهما كثيراً من النفوذ الصليبي ومعونتهم للصفويين عليهم ، وكان لهم دور في الحروب هناك ، ثم استغلالها للسيطرة على مفاصل البلاد ، والتحكم في الداخل والخارج [2].

---

[1] انظر : موسوعة تاريخ إيران السياسي ، ٣/ ٢٦ ، وتاريخ الدولة الصفوية في إيران ، ص : ٨٣ – ٨٥

[2] انظر : عودة الصفويين ، ص : ٣٣ ، وانظر : تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، ص : ١٠٧ ، ١١٠ ، وموسوعة تاريخ إيران السياسي ، ٣ / ٥١ .

وكانت الدولة الصفوية في عداء مستمر وشديد للدول المسلمة المحيطة أو المجاورة ، فمن جهة الشرق ، قام الشاه طهماسب بغزو الأوزبك السنة شرق بلاده ، ليقضي على دولتهم هناك ، لكن لم يستطع ؛ لأن الأوزبكيين كانوا خصماً قوياً للصفويين ، وكان لهم دور حاضر في منع التمدد الصفوي تجاه بلاد ما وراء النهر (١).

ومن جهة الجنوب دخلوا لأفغانستان لغزوها لفرض المذهب الرافضي الصفوي. استطاع الصفويون في بداية الأمر من السيطرة على قندهار بفضل مساعدة المغول حينها ، الذين سلموها للصفويين عام ١٠٣٨هـ ، ونصّب الصفويون عليها حاكماً جورجياً ، لكن استطاع الأمير الأفغاني محمود بن مير أويس من التغلب عليه ، واستعادة قندهار ، عام ١١٢٧ هـ (٢).

وكذلك كان الصفويون يرسلون البعثات من جيوشهم للتدريب في الدول الأوروبية ، ويرافقهم بعض المشايخ الصفويين الروافض للإشراف على البعثة من الناحية الدينية ، أو تدريب جيوشهم عن طريق الصليبيين من الإنجليز أو البرتغاليين في إيران ، وكذلك كانت العلاقات التجارية بين الصفويين والدول الأوروبية الصليبية قائمة ، بخلاف موقف الصفويين مع الدول السنية (٣).

والشاهد مما تقدم هو بيان العداوة الصفوية الشعوبية للبلاد الإسلامية ،خصوصاً السنية منها ، وقد كان للتحالف الصليبي الصفوي آثار كبيرة في استعمار البلاد الإسلامية ، وتقسيمها ثم إضعافها سياسياً وعسكرياً ، وكذلك عقدياً وفكرياً .

خامساً : عناية الدولة الصفوية بالنصارى الصليبيين

من العلامات والدلالات البينات للأطماع الشعوبية الصفوية على الإسلام وأهله ودوله ، الموقف السلمي من الصفويين تجاه النصارى الصليبيين ، فقد كانت عناية الحكام الصفويين بالنصارى وقسيسيهم ورهبانهم عناية فائقة ، بعكس الوحشية والدموية التي تلقاها منهم أهل السنة . فالشاه عباس الكبير بنى للنصارى مدينة في أصفهان ، تسمى (جَلْفا) ، وكان يكرم قساوستهم ويأذن

---

(١) انظر : تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، ص : ١٠٩، ١٥٧.

(٢) انظر : التاريخ الإسلامي ١٨ / ١٩٩ – ٢٠١، وتاريخ الدولة الصفوية في إيران ، ص : ١٠٥ ، ١٠٦

(٣) انظر : تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، ص : ١٩٠ ، ١٩٧ – ٢٠١ ، ٢٠٥ – ٢٠٨ .

لهم في التنصير ، ويشاركهم مناسباتهم ، ويحضر مواعظهم ، حتى أن أحد القسيسين عرض عليه الدخول في النصرانية ، من شدة ما لمسه من تسامحه معهم . وهذا التسامح منه ترتب عليه حضور الوفود الكبيرة الأوروبية لبلاده . وكان الشاه عباس الكبير يمنع رجال مذهبه من الرد على النصارى أو منعهم أو مناظرتهم [1].

ومن جهة الضرائب التجارية ، قام الصفويون برفع الضرائب عنهم أو تخفيفها ، وذلك تسهيلاً لهم مقابل دعم الصفويين تجاه توسعاتهم . وكذلك قاموا بتسليم أجزاء من شمال إيران للروس مقابل أن يعينوهم لصد الأفغان ، وذلك حين قام الأمير الأفغاني بطرد الصفويين من قندهار ، وبدأ يتوسع شمالاً ، ففضل الصفويون الروسَ القياصرة على الأفغان ، وأما التحالف السياسي والعسكري فقد تقدمت الإشارة إليه قريباً [2].

سادساً : موقف الصفويين من قبلة المسلمين والحج

الصفويون كسابقيهم من الشعوبيين لا يفضلون الذهاب للبلد الحرام ، بل يرون أن مشاهدهم أولى وأفضل للزيارة المقدسة ، ولا يقف فكرهم وسلوكهم عند هذا بل يستهدفون تلك البقاع المقدسة التي اصطفاها الله لعباده ، وجعلها مثوى لأفئدة الناس . وظهر ذلك في حكامهم وعلمائهم قبل عامتهم .

وكان من عادة الصفويين في صلاتهم أنهم ينحرفون قليلاً عن اتجاه القبلة ، ويهدفون بذلك مخالفة المسلمين في الاتجاه للقبلة وما زال فيهم هذا الأمر . وقد ألف بعض علمائهم كالكركي[3] ، الذي ألف رسالة في تغيير القبلة . والشاه الصفوي عباس الكبير ، كان يحاول صرف الناس عن الحج لبيت الله الحرام ، واستبداله بزيارة قبر الرضا بمشهد ، أو قبر صفي الدين الأردبيلي بأردبيل في أذربيجان ، وكان يعطي الفقراء النقود ، إعانة منه لهم على زيارة تلك المشاهد ، وكان يحث

---

[1] انظر : تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، ص : ١٥٠ ، ١٥١ .

[2] انظر : عودة الصفويين ، ص : ٤٢ ، وتاريخ الدولة الصفوية في إيران ، ص : ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

[3] هو : علي بن عبد العالي الكركي ، من أهل كرك في جبل عامل بلبنان ، فقيه إمامي اثني عشري ، كان له منصب كبير في الدولة الصفوية ، توفي في : ٩٣٧هـ ، انظر : الأعلام ٤ / ٢٩٩ .

العلماء عنده لفعل ذلك وحث الناس عليه [1].

ولا يزالون إلى اليوم يفضلون قصد كربلاء والنجف وقم ومشهد ، على بيت الله الحرام ، وهذا من إلحادهم في دين الله . وأما عن مشاركتهم للناس في حضورهم لمكة فهو من باب التقية وإظهار الإسلام ، وحتى لا ينصرف الناس عنهم ، لما للبلد الحرام من مكانة فطرية ودينية عند المسلمين ، وكذلك ما كان يحدث منهم وما يزال من أذية للزوار في تلك البقاع المقدسة ، ويلبسون تلك الفعال لباساً دينياً ، يغطون به خبثهم الباطني ، فهم يزعمون أن من أهداف الحج البراءة من المشركين ، وأن هذه البراءة لا بد من الإعلان والصدع بها في الحج ؛ ولذا يتعمدون تسيير جماعاتهم وإحداث الفوضى بين الزوار ، وحقيقة أمرهم هو الشغب وصرف الناس عن هذه الشعيرة العظيمة ، وإظهارها بمظهر السذاجة والرعونة ، ومن ثم تحقيق أغراضهم الباطنية الصفوية. وقد قرر هذه البراءة وتحمس لها أحد أكابر علماء الصفويين وهو : محمد باقر المجلسي[2] ، الذي كان يحرف المعنى الشرعي للحج بتقرير عقيدة البراءة الصفوية ، ويحث بقية أمثاله على هذا المنوال الصفوي .

وهذه العقيدة الصفوية الشعوبية ، قائمة على أن وجود البلد الحرام تحت سلطة غيرهم ، يحتم عليهم استعادة ذلك المكان وجعله تحت حكمهم ، ومن ثمَّ إعادة بنائه وهيكلته ، ثم قصد المدينة لإخراج الشيخين (يعنون بهما أبا بكر وعمر رضي الله عنهما) ثم صلبهما ، وكذلك إخراج أم المؤمنين عائشة وإقامة الحد عليها – قاتلهم الله – ، ولهم في ذلك نصوص وبروتوكولات تجاه الحرمين الشريفين ، يخططون لتنفيذها [3].

---

[1] انظر : تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، ص : ١٤٦ ، ١٤٧ ، وعودة الصفويين ، ص : ٤١

[2] هو : محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود الأصفهاني ، من أعيان الفقهاء الإمامية الاثني عشرية في الدولة الصفوية ، ولد في : ١٠٣٧ هـ ، ولقب شيخ الإسلام في أصفهان ، له رسائل عديدة ، من أشهرها : بحار الأنوار ، وهو من أشهر الكتب الرافضية جمعاً للروايات ، انظر : أعيان الشيعة ٩ / ١٨٢ ، والأعلام ٤ / ٤٨ .

[3] انظر : بروتوكولات آيات قم عن الحرمين المقدسين ، عبد الله الغفاري ، ص : ٤٢ ، والاعتداءات الباطنية على المقدسات الإسلامية ، ص : ١٧٦، وانظر صفحة : ٣٨١ من هذا البحث .

سابعاً : الدور الشعوبي لعلماء الدولة الصفوية

لقد كان لعلماء الدولة الصفوية دور بارز في تشريع ما يفعله الحكام الصفويين من الفتك بأهل السنة ، وكذلك سب الصحابة علناً والطعن فيهم ، وإقامة المناسبات الدينية لذلك ، ومن ثم احتلال البلاد العربية الإسلامية . فمع قيام الدولة الصفوية وبداية توسعها كان علماء الرافضة في العراق يكاتبون الشاه إسماعيل الصفوي ؛ ليحضر إليهم ويسترد العراق من النواصب ، ويقصدون بهم أهل السنة . ومن ذلك نقيب النجف في العراق ، ويدعى : (محمد كمونه) [(١)] ، الذي كان يبشر بقدوم إسماعيل الصفوي ، ويصفه بالعدل وأنه سيأتي ليخلص أهل العراق من الظلم والجور والتسلط ، وهذا الفعل منه ترتب عليه سجنه من قبل والي العراق حينها ، ويدعى : باريك التركماني ، لكن مع غزو الشاه إسماعيل الصفوي للعراق ، أخرجه من السجن ، وأكرمه وجعله من خاصته ، وكان لا يفارقه ، وفعل هذا الرافضي مع الصفويين يشابه فعل ابن العلقمي مع التتار ، واستمر هذا الرجل في ظل إسماعيل الصفوي حتى قتل في معركة جالديران ، التي هزموا فيها من قبل الدولة العثمانية [(٢)].

ومن أشهر علماء الصفويين : نور الدين علي بن عبد العالي الكركي اللبناني ، وهذا الرجل استدعاه الشاه طهماسب حينما لم يستطع هو أن يجمع بين السلطة الدينية والدنيوية كما فعل أبوه من قبله ، ولأن لبنان حينها كانت مشتهرة بعلماء الرافضة في جبل عامل . وهذا الكركي كان مؤيداً للصفويين في أفعالهم تجاه أهل السنة ، وسلك طريقاً آخر وهو تأليف الرسائل والكتب لذلك ، فقد ألف كتاباً في السجود على التربة الحسينية ، والسجود للملك الصفوي ، وألف في الطعن في الصحابة ، سماه : نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت . وكان يقول أن سب الصحابة أفضل من التسبيح ، وهذا من زندقته وضلاله . ومما استحدثه الحاكم

---

(١) هو محمد بن حسين بن ناصر الدين الحسيني ، مشهور بكمونه ، كان نقيباً في بغداد ، وهو ممن كان يمهد لاختراق الصفويين لبلاد المسلمين ، كالعراق ، ولذا أكرمه الشاه إسماعيل الصفوي ، وولاه مناصب في مملكته الصفوية ، وله منزلة كبيرة في المذهب الإمامي ، ويعدونه شهيداً في تراجمهم له ، وكان قد قُتل في معركة جالديران ، سنة ٩٢٠هـ ، انظر : أعيان الشيعة ، ٩ / ٢٥٩ ، والأعلام ٦ / ١٠٢ .

(٢) انظر : عودة الصفويين ، ص : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ .

الصفوي على غير سابق ، أنه جعل الكركي نائباً عن المهدي الغائب ، ويتولى الأمور الشرعية والمذهبية عندهم ، وأصدر الشاه طهماسب بذلك فرماناً لجميع البلاد . ولذا استمر هذا الرجل يتحكم في الأمور المذهبية وفي شئون الفقهاء عندهم ، حتى أصبح في نظر الناس هو الرجل الأول ، وكانت هذه الطريقة كالبذرة لولاية الفقيه التي أعلنها الخميني في الدولة الصفوية الإيرانية ؛ ولأن نفوذ الشيخ الكركي تعدى إلى شئون الدولة الصفوية ، أغضب ذلك القزلباشيين ، مما جعلهم يثورون عليه ، ويقتلونه عام ٩٤٠ هـ [(١)].

ومن أشهرهم كذلك : محمد باقر المجلسي ، وبلغ هذا الرافضي مبلغاً عالياً في الدولة الصفوية ، حتى لقب بشيخ الإسلام عندهم ، ولقب بـ : مخترع الشيعة . وكان له دور كبير في تشريع القتل والفتك بأهل السنة ، وكذلك في أذية الناس في الحج ، من خلال تقريره عقيدة البراءة في الحج ، وقد تقدم بيان ذلك قريباً .

وألف هذا الرجل كتاباً جمع فيه معظم الروايات الشيعية قديماً وإلى عصره ، وأصبح مرجعاً وموسوعة عند الشيعة ، وقد ملئ هذا المرجع بالتكفير والطعن لأهل السنة وهو : بحار الأنوار. وكانت له رسائل كثيرة باللغة الفارسية ، نشر بها التشيع الصفوي الرافضي ، وعزز من خلالها الموقف الشعوبي تجاه الإسلام والمسلمين .

وقد حظي علماء الصفويين حظوة دنيوية كبيرة من دعمهم بالمال والمنازل والإقطاعيات ، وفرض الخمس كذلك ، ولذا تجد مراجع الرافضة أصحاب مؤسسات تجارية ، وأهل غنىً [(٢)].

وبهذا أكتفي بما تقدم عن دور الدولة الصفوية في استمرارية الحركة الشعوبية ومظاهرها ، ولقد جمعت تلك الدولة بين التوجهات الشعوبية القوية في كافة الأصعدة ، الدينية والسياسية والاجتماعية والعسكرية ، وقيام مثل ذاك القرن الشيطاني ولاحقته المعاصرة ، كان بؤرةً ارتكز فيها كل من يخطط للقضاء على الإسلام وأهله ودوله ، فلو تأملنا قليلاً لوجدنا أن اليهود الصهاينة والنصارى الصليبيين والباطنيين الزنادقة والهندوس وكافة النزعات العدائية والاستعمارية ، لها قبول ومحل في تلك الدولة الصفوية القديمة والحديثة ، لكنها ضاقت ذرعاً بالإسلام وأهل السنة

---

(١) انظر : لمحات من تاريخ العراق ، ١ / ٦٠ — ٦٣ ، وعودة الصفويين ، ص : ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) عودة الصفويين ، ص : ٣٠ ، والصفوية التاريخ والصراع والرواسب ، ص : ١٨ — ٢٤ .

خصوصاً ، ولا تزال إلى اليوم تحتضن أو تدعم حتى الفرق التي ضلت طريق الهدى ، وهي تنتسب للإسلام . فنسأل الله أن يبيد ذاك القرن الشيطاني ، وأن يجعله غنيمة في يد المسلمين ، بنصر من الله وفتح قريب .

المبحث الرابع : مظاهر الشعوبية في الدولة الصفوية ، في سبعة مطالب :

المطلب الأول : النشأة ومكان وجودها

المطلب الثاني : نشر العقائد المنحرفة في بلاد المسلمين

المطلب الثالث : العداء للمسلمين عامة والعرب خاصة

المطلب الرابع : الهجوم على اللغة العربية

المطلب الخامس : إثارة الفتن والقلاقل في بلاد المسلمين

المطلب السادس : التحالف مع الغرب الكافر لاحتلال بلاد المسلمين

المطلب السابع : إيجاد الحركات الموالية لها ودعمها

المطلب الأول : النشأة ومكان وجودها

[1] بعد سقوط الدولة الصفوية سنة ١١٤٨هـ ، علي يد الأفشاريين وهم من التركمان ليسوا فرساً ، أسس دولتهم في إيران بعد الصفويين : نادر خان بن إمام قلي ، وهو شيعي اثني عشري ، وكان مقرباً عند الصفويين وعلمائهم ، واستطاع أن يسقط الحاكم الصفوي الأخير ويستولي على الحكم ، وفي عهده حصل هدنة بينه وبين العثمانيين ، وعُمل أيضاً في عهده مؤتمر بين السنة والشيعة ، انتهى بخضوع مجتهدي الإمامية لإمامة الشيخين وفضل الصحابة ، وهو ما عرف بمؤتمر النجف[2] ، وعلى إثره أصدر نادر شاه أمره بمنع سب الصحابة وبعض المظاهر الرافضية الصفوية . بعد ذلك ضاق به ذرعاً متعصبة الفرس وتسببوا في مقتله بعد المؤتمر بثلاثة أشهر ، مما يدل على قوميتهم وعصبيتهم الفارسية . إذ إن توليه على إيران وهو غير فارسي لم يكن مرحباً به عندهم ، ولما صدر أمره بمنع سب الصحابة وبعض المظاهر الرافضية ، زاد بذلك حنق الفرس المجوس عليه . ثم تولى بعده أربعة من أبناءه ، واستمرت إمارتهم اثنان وخمسون سنة فقط ، بسبب كثرة النزاعات والثورات على الحكم [3]. وبعد الأفشاريين حكمها الزنديون الأكراد ، وهم أيضاً رافضة اثني عشرية ، وأوقفوا حركة التصحيح التي بدأها نادر شاه الأفشاري بمؤتمر النجف. وأشهرهم مؤسس إمارة الزنديين : كريم خان الزندي الكردي ، الذي كان في جيش نادر خان الأفشاري ، استمرت إمارة كريم الزندي الكردي ثلاثين سنة أو تزيد ، ثم بعد وفاته دب في أسرته النزاع والخلاف ، وكانت نهايتهم على يد القاجاريين ، بقيادة : آغا محمد ، وذلك بعد قضائهم على الزنديين [4].

قامت الدولة القاجارية في إيران عام ١٢٠٩هـ ، واستمرت قرابة قرن ونصف ، تناوب عليها سبعة حكام ، وهم قبيلة تركية جاءوا مع جيش جنكيز خان ، وتفرقوا في عدة أماكن في إيران

---

[1] أنبه أن هذا المبحث خصصته بالحديث عن الدولة الصفوية الإيرانية الحالية .

[2] عقد هذا المؤتمر في التاسع من شهر شوال لعام ١١٥٦هـ ، انظر : الخطوط العريضة مع مؤتمر النجف ، ص : ٥٨ — ٩٩ .

[3] انظر : موسوعة تاريخ إيران السياسي ، ٣ / ٨٧ — ١١٩ ، والتاريخ الإسلامي ، ١٨ / ١٣ — ١٥

[4] انظر : موسوعة تاريخ إيران السياسي ، ٣ / ١٣٥ — ١٦٢ ، والتاريخ الإسلامي : ١٨ / ١٥ ، ١٦

والعراق والشام . كانت الدولة القاجارية اثني عشرية ، وكانت فترتهم مليئة بالأحداث والنزاعات السياسية ، وأصبحت بلاد إيران مسرحاً للقوى الصليبية الغربية ، والصليبيون كانوا حريصين بقوة على كسب إيران ؛ لمحاولة صد المد الشيوعي الروسي ، الذي ينافس الصليب الأوروبي الغربي [1].

ففي عهد تلك الدولة كانت المستعمرات البريطانية مسيطرة على كثير من بلاد الشرق والهند ، إضافة لقيام الحملة الفرنسية الصليبية على مصر عام ١٢١٣هـ ، وحتى يضمن البريطانيون عدم منازعة الفرنسيين لهم ، أقيمت معاهدة إيرانية بريطانية ، تقتضي أن يساعد الإيرانيون البريطانيين على حفظ مستعمراتهم ، وتكون إيران محطة لذلك خصوصاً جهة بلاد الهند ، على أن تمد بريطانيا الإيرانيين بالسلاح والقوة ، وتساعدهم في منع الأفغان من غزوهم والتوسع على حسابهم

وكما هي عادة الدول الصليبية أنها لا تفي بوعودها ، حيث أن الإنجليز عدلوا عن توقيع الاتفاقية مع الإيرانيين ، مما جعل الحاكم القاجاري فتح علي شاه ، أن يوقع اتفاقية أخرى مع فرنسا عام ١٢٢٢هـ ، وبعد هذه الاتفاقية تعاهدت فرنسا مع روسيا التي تحد إيران من الشمال ، وكان من مضامين ذلك الاتفاق إعطاء الروس حق التمدد والتوسع في البلاد الفارسية والعثمانية ، وسيطر الروس على أجزاء من شمال إيران حتى احتلوا تبريز ، وخذلت فرنسا الشاه ولم تساعده ، كما فعلت بريطانيا ذلك سابقاً [2].

وهكذا ظلت البلاد الإسلامية في الشرق تحت وطأة الصليبيين ، وصارت مسرحاً لعبث المستعمرين . ومع أن النزاع ظاهره سياسي ومصلحي ، إلا أن الهدف الرئيسي لهم هو القضاء على الإسلام ، ومنع انتشاره . ولقد أدرك الصليبيون أن انطلاقهم من بلاد الفرس الروافض ، محطة مناسبة لتحقيق تلك الأهداف الصليبية .

ومما زاد الفوضى الصليبية في بلاد المسلمين استمرار القتال بين القاجاريين والدولة العثمانية ، ففي عام ١٢٣٥هـ بدأت الحروب بين الطرفين للسيطرة على العراق ، وكان الصليبيون يؤججون تلك النزاعات ، لئلا تستقر البلاد الاسلامية ، وليدب الضعف في جيش الطرفين ، ثم لا يصبح أحد

---

[1] انظر : التاريخ الإسلامي : ١٨ / ١٧ — ٣٦ .

[2] انظر : موسوعة تاريخ إيران السياسي ، ٣ / ١٨٩ — ٢١٧ .

منهم قوة تهدد الوجود الصليبي المستعمر [1]. ولم يقف الغزو الصليبي الملحد عند هذا الحد ، بل قام برعاية الحركات الفكرية التي تحارب الإسلام وتعادي أهله ، ففي عهد الشاه القاجاري محمد شاه بن عباس مرزا (١٢٥٠ – ١٢٦٤ هـ) ، بدأت الحركة البابية ، بدعم من الروس ، حيث جعلت لها مسارين : ديني للقضاء على الإسلام وتحريفه ، وإحلال الفكر البابي محلاً له . وسياسي : للتدخل في شئون البلاد ، حيث أن الباب ميرزا علي الشيرازي قام بثورة في البلاد عام ١٢٦٤هـ ، وبدعم روسي ، لكن الشاه ناصر الدين استطاع أن يقضي عليها ، ويعدم الباب ومن معه ، وأن ينفي بعضهم خارج البلاد بعد وساطة روسية ، ومنهم : حسين بن علي المازندراني ، الذي صار فيما بعد (البهاء) ، زعيم الفرقة البهائية ، الذي استقر في فلسطين حتى هلك [2]. ومن الفرق التي ثارت أيضاً الآغاخانية الإسماعيلية ، التي حاولت السيطرة على بعض البلاد ، ككرمان ولورستان ، بقيادة : حسن علي شاه – المشهور بآغاخان المحلاتي – ، لكن استطاع السلطان محمد شاه القاجاري أن يقضي عليها ، وطردها إلى الهند ، واستمرت الآغاخانية من هناك في ثوراتها على القاجاريين [3].

ومن الأحداث الكبيرة في العهد القاجاري : قيام الحرب العالمية الأولى [4] ، وبعد هذه الحرب أصبحت البلاد في حالة من الفوضى والدمار ، حيث تسلط الصهاينة بمعونة الصليبيين على الدولة العثمانية ، إضافة لتقسيم بلاد إيران لثلاثة أقسام : الشمال للروس ، والجنوب للبريطانيين ، وطهران منطقة محايدة [5].

وبهذه التقسيمات يضمن الصليبيون عدم قيام قوى كبرى تهدد مصالحهم في بلاد الشرق ، مع أنهم اعترفوا ببلاد فارس كحكومة ، لكن تحت وطأتهم . وبعد تلك النزاعات والتقسيمات ، وارتماء القاجاريين في أحضان الصليبيين ، ضاعت البلاد ، وعمت الفوضى ، وضاق الناس

---

[1] انظر : المرجع السابق ، ٣ / ٢١٦ ، ٢١٧ .

[2] انظر : موسوعة تاريخ إيران السياسي ، ٣ / ٢٣٨ ، والتاريخ الإسلامي : ١٨ / ٢٠ .

[3] انظر : المرجع السابق ، ٣ / ٢٣٧ ، والتاريخ الإسلامي : ١٨ / ١٤

[4] انظر : موسوعة السياسة ، ٢ / ١٩٨.

[5] انظر : الدولة العثمانية من الإمارة إلى الخلافة ، ص : ٥١٢ ، ٥١٣ ،. ٥١٤ .

بالحكومة القاجارية ، وأصبحوا يتربصون بها ، إضافة لقيام عدة حركات ثورية تريد إصلاح البلاد كما تزعم ، وتهدف لإقامة حكومات وزارية ، تحسن من حال البلاد ، التي صارت تحت حكم القاجاريين اسماً ، وأما حقيقة وواقعاً فهي محل لتجارب الحكومات التي تتألف سريعاً ، ثم تقال بسبب عدم سيطرتها على أوضاع البلاد . وهنا بدأ يظهر دور العسكر الفرس ، وهو ما عرف باتحاد الضباط الفرس ، ثم تكوين فرق القوزاق ، التي تهدف لتسلم السلطة ، وطرد الأجانب من البلاد ، وضرورة إيجاد حكومة مركزية تسيطر على البلاد ، وتسيّر أعمالها ، وتقاوم التيار الشيوعي الذي ظهر مزامناً للثورة الشيوعية في روسيا . وكان أولئك العسكر في قوة واستعداد لذلك ، ومن أبرز قوادهم : الوزير الحربي رضا خان ، الذي عرف فيما بعد بـ (الشاه رضا بهلوي) . بدأ عمل أولئك الضباط الفرس ومن معهم سراً ، حتى وجدوا من يناسبهم ليكون رئيساً للحكومة التي سينتخبونها ، وكان اختيارهم على رجل يدعى : ضياء الدين الطباطبائي ، الذي استلم الحكومة على أن يكون رضا خان قائداً لفرقة القوزاق الفرس ، ثم وزيراً للحربية ، وقد كان هذا تمهيداً منه للوصول لسدة الحكم ؛ ولأن رضا خان وزير الحربية كان قوياً ومهاباً استطاع أن يقنع الشاه فيما بعد ، بعزل رئيس الحكومة الطباطبائي الذي فشل في إدارة الوزارات ، وبعد ذلك فر الطباطبائي خارج البلاد خوفاً من رضا خان أن يعتقله . وقد كان البريطانيون الذين يسيطرون على إيران يرغبون أن يتولى رضا خان رئاسة الحكومة ، إضافة لعمله ، وذلك لأن رضا خان مقرب لديهم ، وهو نفسه يميل لجهة البريطانيين [1].

استمرت الدولة في حالة من الفوضى فيمن يتولى رئاسة الحكومة الوزارية ، فكلما ظهرت واحدة لا تلبث أن تقال بسبب قوة نفوذ العسكر الفرس بقيادة رضا خان الذي كان يدير الدولة ويتدخل في كل شئونها ، وكذلك لوقوف علماء الشيعة في صفه ، لأن كلا الطرفين يرفض النظام الجمهوري ، وكذلك لأن سلطة علماء الشيعة لم تعد بالقوة التي كانت من قبل ، بسبب عدم اعتماد القاجاريين عليهم ، فأصبحوا في عداء مع تلك الإمارة [2]. وفي عام ١٣٤٢هـ استطاع رضا خان أن يشكل رئاسة الحكومة ، وفي عام ١٣٤٣هـ عُين رئيساً للوزراء مع بقائه وزيراً

---

[1] انظر : التاريخ الإسلامي : ١٨ / ٢٨ .

[2] انظر : المرجع السابق ، ١٨ / ٢٩ – ٣٤ .

للحربية. وبقي رضا خان متصرفاً في شئون الدولة ، ثم لقب نفسه بـ (بهلوي) ، في المراسلات الرسمية ، وتعني : صاحب الجلالة . وفي عام ١٣٤٤هـ تم انتخابه ملكاً من قبل برلمانه ، ثم توج ملكاً على الدولة الإيرانية ، وبهذا قامت الدولة البهلوية الملكية في إيران [١].

(رضا بهلوي : ١٣٤٤ – ١٣٦٠ هـ)

بعد وصول رضا بهلوي لسدة الحكم في إيران ، بادرت عدة دول بالاعتراف به ، ثم قامت السفارات بين البلاد ، ومنها : روسيا ، وأمريكا ، وألمانيا ، وإيطاليا ، وفرنسا ، وبلجيكا . استمر رضا بهلوي في إدارة البلاد بقوة ومركزية ، بسبب سيطرته على الجيش ، وكان يقمع كل من يخالفه ، أو يملي عليه شيئاً ، وفي عهده ملئت السجون . وكان رضا بهلوي أقرب إلى العلمانية من حيث التوجه الفكري . فكان لا يعتمد على رجال الشيعة ، بل ألغى كثيراً من صلاحياتهم ، وألغى الحجاب ، ودعا للمجون والخلاعة ، وأمر بالتبرج ، وكانت شدة عنايته بالجيش [٢].

وأما من جهة علاقته بالدول العربية فكان حريصاً على ضم البحرين لإيران ، فهاجم إمارة المحمّرة التي يرأسه الشيخ خزعل الكعبي ، وخلعه وأحضره إلى طهران [٣]. لأنه يرى أن البحرين جزء من إيران ، وأنها تمثل الإقليم الفارسي الإيراني الرابع عشر[٤] ، ويهدف من ذلك إلى ضم الخليج العربي كله إلى مملكته وكل ذلك بمساعدات حلفائه البريطانيين [٥]. إلا أن البريطانيين اختلفوا معه في السيطرة على جنوب الخليج العربي ؛ لأن مصالحهم تقتضي منعه من ذلك التوسع ، وجرت بين البريطانيين والإيرانيين مصارعات عديدة في السيطرة على الخليج العربي ومد النفوذ إليه [٦].

ومع تنامي القوة الألمانية في تلك الفترة ، بدأ رضا بهلوي يميل إليهم ، خصوصاً للوجود الألماني الكثيف ، بعد الحرب العالمية الأولى ، التي أصبح بعدها الألمان أكثر حضوراً من الروس . وزادت

---

(١) المرجع السابق : ١٨ / ٣٥ – ٥٠ .

(٢) انظر : التاريخ الإسلامي : ١٨ / ٥٢ ، ٥٣

(٣) انظر : موسوعة السياسة ، ٢ / ٦١٤ .

(٤) انظر : التاريخ الإسلامي : ١٨ / ٥٦ .

(٥) انظر : موسوعة تاريخ الخليجي العربي ، محمود شاكر ، ص : ٦٢٩ .

(٦) انظر : المرجع السابق ، ص : ٦٢٦ – ٧١٢ .

العلاقة بين الطرفين حتى إن رضا بهلوي أعطى الألمان ميزات كثيرة في حق التنقيب عن البترول ، وأعجب كثيراً بالقوة الألمانية [1].

وتطوُّر العلاقة الإيرانية الألمانية لم يعجب الروس ولا البريطانيين وحلفاؤهم ، وبدؤوا بالضغط على حكومة رضا بهلوي للتنازل بالحكم إلى ولده ، ولي عهده : محمد رضا بهلوي ، وهذا الطلب لاقى قبولاً عند العامة والخاصة ، وعند رجال المذهب الشيعي ، وسائر الجنسيات المختلفة في البلاد ، بسبب السياسة القمعية للشاه ، وميوله للغرب الصليبي . وبعد أن أجبروه على التنازل ، تولى ابنه محمد رضا بهلوي ، الحكم سنة : ١٣٦٠هـ ، ثم خرج أبوه من البلاد ، وتنقل حتى استقر في جوهانسبيرج في جنوب إفريقيا ، وظل بها إلى أن مات سنة ١٣٦٣هـ ، وبعد موته نقل جثمانه لطهران[2]. وكانت نهايته ذليلة وضيعة ، ولم ينفعه الصليبيون بعد أن ارتمى في أحضانهم ، وعادى الإسلام والمسلمين .

(محمد رضا بهلوي : ١٣٦٠ – ١٣٩٩هـ)

كانت سياسة محمد رضا بهلوي غير بعيدة عن سياسة والده كثيراً ، من جهة جعل بلاد فارس مرتعاً للقوى الصليبية ، وجعل خيراتها لقمة سائغة في أفواه المستعمرين . فبعد تنصيبه على كرسي الملك ، وحتى يحمي ملكه وكرسيه ، أنشأ جهازاً للأمن السري ، عرف باسم:(السافاك) ، الذي كان أهم واجباته المحافظة على كرسي الملك ، والنيل من أي معارض له ، أو أي شخص يخاف منه على مستقبل الحكم ، وقد كان لهذا الجهاز الأثر الواضح في احتقان الناس على الملك ، وبغضهم لسياسته القمعية القوية [3] .

ومن جهة علاقة محمد رضا بهلوي بالدولة الصليبية ، فقد أعطاها امتيازات كبيرة في التنقيب عن النفط ، والسياحة ، وصارت الدول الغربية تتنافس على الحصة الكبيرة من بلاد فارس ، لما فيها

---

[1] انظر : موسوعة تاريخ إيران السياسي ، ٤ / ٧٩ – ٨١ .

[2] انظر : التاريخ الإسلامي ، ١٨ / ٦٩ ، ٧٠ .

[3] انظر كتاب : المخابرات الإيرانية – إيران بين السافاك والحرس الثوري – ، رمضان علي فاضل ، ص : ٢٦ – ٦٤ .

من الثروات المعدنية ، ولموقعها المناسب في الربط بين الشرق والغرب [1]. ومع أن بريطانيا وروسيا وألمانيا قد اعترفت بحكومة الشاه مسبقاً ، وبتحسين العلاقات إلا أن الشاه لم يكن يأمنهم ، خصوصاً بعد خذلانهم لأبيه . وكذلك كان الشاه محمد يخشى من سعي الأوربيين لتقسيم بلاده ، فبدأ يميل شيئاً فشيئاً للولايات المتحدة الأمريكية ، خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية ، التي كان الشاه محايداً فيها ، والتي برزت بعدها أمريكا كقوى عظمى . فأصبح الشاه يعطي الجانب الأكبر من الحصص البترولية في التنقيب لأمريكا ، مقابل الحماية وتدريب الجيش ، وتمويل السلاح . مما أثار ضغينة الدول الأوروبية على الشاه ، حيث بدؤوا يخططون للنيل منه ، ولعمل ورعاية الانقلابات عليه ، والتشجيع على الثورات الداخلية [2]. لكن لأن موقف الشاه كان مميزاً مع الأمريكان ، عملت أمريكا على منع تقسيم إيران ، فأصدر الرئيس الأمريكي روزفلت[3] قراراً بأنه لن يسمح بتقسيم إيران ، التي يهدف لجعلها قوة تصد المد الشيوعي الروسي ، والشاهد أن سياسة الشاه الخارجية والاقتصادية تجاه الغرب كانت سبباً في جعل البلاد مكاناً للتنافس الغربي الصليبي ، على عكس ما كان يرجوه الفرس القوميون من دولتهم [4].

بعض المظاهر الشعوبية في سياسة محمد رضا بهلوي

كانت القوميات الأخرى في بلاد فارس محل اضطهاد من قبل حكومة الشاه ، إذ إن طريقته لم تكن وفق العدل الإسلامي المعروف ، بل على العكس كان الشاه غير مهتم بالمظاهر الدينية ، حتى أشيع عنه أنه يطمح لتقوية الزرادشتية ، وإعادتها ، واستبعاد الإسلام . وذكر عنه أنه لا يشاهد في الذهاب للصلوات ، ولا يعرف عنه ذلك ، وكان يدعم الطائفة البهائية في الخفاء . وكذلك بنى تمثالاً للأديب الفارسي صاحب الشاهنامه (أبي القاسم الفردوسي) ، ووضعه في مشهد ، ومما نشر عنه أنه كان يطمح كغيره من القواد الفرس لتحويل الحج إلى مدينة مشهد ؛ ولذا اشتهرت عنايته بها ، كذلك أحدث عيداً أو احتفالاً يدل على نزعته الفارسية الشعوبية ،

---

(1) انظر : التاريخ الإسلامي ، ١٨ / ٧٢ – ٧٤ .

(2) انظر : المرجع السابق ، ١٨ / ٧٥ ، ٧٦ ، وانظر : التطلعات الإيرانية في الخليج العربي ، ص : ١١٢ .

(3) انظر : موسوعة السياسة ، ٢ / ٨٤٣ .

(4) انظر : التاريخ الإسلامي ، ١٨ / ٨٤ ، ٨٥ .

حيث أقام احتفالاً بمناسبة مرور ألفين وخمسمائة عام على قيام الدولة الفارسية ، التي بناها – داريوس – ، قبل الميلاد بخمسة وثلاثين عاماً ، وقامت مراسم هذا الاحتفال عام : ١٩٧١هـ وكانت هذه الاحتفال على مستوى الدولة كلها ، ومن ملامح الشعوبية فيه ، شهرته بالمجون والخلاعة ، والميل للنساء [١].

وكان له موقف سيئ تجاه احتلال اليهود لفلسطين ، فقد اعترف باليهود ، وأيد احتلالهم [٢]. وكذلك احتلاله للأحواز ، وجزيرتي طنب وأبي موسى الإماراتيتين عام ١٣٩١هـ ، ومن سياسته كذلك تفريس جميع الأسماء العربية من القرى والمدن ، إضافة لسوء معاملته للقبائل العربية في الأحواز والبحرين وغيرها وبقية الأجناس في دولته ، وقد تقدمت الإشارة لذلك ، وكان يحاول غزو الدولة السعودية وطلب المعونة من الأمريكان [٣]. وأما في معاملته مع الأوروبيين ، والنصارى الصليبيين ، واليهود الصهاينة ، فكان سمحاً ومتعاطفاً .

لكن كل تلك المظاهر كانت سبباً في حمل الناس عليه والثورة على ملكه ، ومما أيد تلك الثورات انضمام علماء المذهب الرافضي الاثني عشري ووقوفهم ضد سياسته ، حيث أخذوا ينددون بأفعاله المخالفة تجاه الناس ويعلنون ذلك علناً .

ومن أبرز من أولئك الرافضة : الخميني[٤] ، الذي كان يجاهر ضد حكم الشاه ويطالبه بتغيير سياسته تجاه الدين وعلمائه ، إذ لم يكن حينها الخميني يظهر طمعه السياسي في الحكم ، فكان يركز جهوده على إظهار الخلل في حكم الشاه من الناحية الدينية ، وعدم الاهتمام بالإسلام والمسلمين ، وخذل القضايا الاسلامية الكبيرة ، ومنها قضية فلسطين ، وخذلان الشاه لها ، وكذلك احتضان الشاه للدول الأوربية وتمكينها من ثروات البلاد ، وجعل الناس في ضنك وكدر من العيش ، وكل تلك الأمور كانت سبباً في إثارة الناس على الشاه ، والمطالبة بإبعاده .

بعد تلك المواقف من الخميني تجاه سياسة الشاه ، أمر باعتقاله هو ومعه جمع من أتباعه من قبل

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ١٨ / ٨٨ ، ٩٠ ، وموسوعة تاريخ إيران السياسي : ٤ / ٢٨٧ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ١٨ / ٧٨ .

(٣) انظر : قبل سقوط الشاه بقليل ، أندرو سكوت كوبر ، ص : ٥٧ .– ١٠٠ .

(٤) سيأتي التعريف به في المطلب الثاني

جهاز السافاك ، ومن أشهرهم تلميذه علي خامنئي ، المرشد الثاني الإيراني ، ولكن الشاه أُجبر على الإفراج عليه بسبب ثورة الناس عليه لذلك ، وبعدها غادر الخميني البلاد [1]. ومن الجدير بالذكر أن خلاف الخميني وأمثاله من زعماء الروافض ، للشاه ، أساسه ليس مصلحة وطنية فارسية ، يحرص عليها أمثال الخميني ، بل لأن الشاه محمد رضا بهلوي ، خالف ما يريده زعماء الفرس الرافضة أهل السلطة الدينية ، من تثبيت دعائم الدولة المجوسية الفارسية ، التي يخططون لها ، لتكون بداية استعادة الإمبراطورية الفارسية المجوسية ، وأحبطهم بارتمائه في أحضان الصليبيين العلمانيين ، ليس بغضاً في عداء الصليبيين وحملاتهم للمسلمين ، كلا ، ولكن لمخالفته النهج الفارسي المجوسي ، فمن المؤكد أنه سيلاقي ما لاقاه من قبله ، كأبيه أو الأفشاري نادر خان . ومن الشواهد على ذلك أن الأحزاب السياسية الأخرى في إيران لا ترضى بالنظام الخميني ، الذي يسير وفق ولاية الفقيه الخمينية ، ولكن لأن النظام قوي بسلاحه وعتاده ، فيخشون ما لقيه من قبلهم [2].

بعد أن غادر الخميني إيران ذهب أولاً لتركيا ، ثم رغب في الذهاب للعراق ليكون في الحوزات الرافضية هناك ، يدرس مذهبه ، ويخطط للانقلاب على الشاه من كثب . وبعد اتفاقية حصلت بين إيران والعراق ، لم يعد الخميني يجد راحته في اكمال مهمته مما اضطره للسفر خارج العراق ، فاستقر في باريس . أصبح يؤجج الناس من هناك ، بخطبه وكتاباته ، ومن خلال الإذاعة كذلك ، وبدعم من الصليبيين وفي بلادهم كانت تقاد تلك الثورة ، يهدفون من خلالها زرع عميل جديد لا يغادر أي هدف لهم ، حتى يقوم به على أحسن وجه . وبفعل استمرار تلك التهييجات أصبحت أكثر المحافظات الإيرانية ثائرة على الشاه وتطالب بعزله ، وبإحلال جهازه السافاك الذي يحميه . ومع أن الشاه حاول أن يستعيد شيئاً من رضا الناس بإقالة عدد كبير من قواد السافاك إلا أن ذلك لم يرض الخميني ومن معه ، الذي استغل مناسبة عاشوراء لإطلاق الثورة في محرم ١٣٩٩هـ ، حيث دعا الخميني إلى الجهاد المقدس ضد الشاه ، وإقامة الجمهورية الإيرانية

---

[1] انظر : المخابرات الإيرانية ... ، ص : ٥٧ ، ٦٢ .

[2] انظر : وجاء دور المجوس ، ص : ٢٢٨ — ٢٣٦

الإسلامية [١].

تطورت الأحداث في تلك السنة وأصبح الثوار يقتحمون المباني الحكومية والسفارات ، واقتحموا كذلك قصور الشاه الملكية ، وانقسمت الشرطة ، والجيش ، وقتل من الناس في تلك السنة أكثر من سبعين ألف نسمة . وفي نفس تلك السنة في شهر ربيع الأول عاد الخميني من باريس ، ولم يكن حينها يظهر أنه سيتولى الزعامة ، بل كان يواري على الناس ببعض المظاهر الدينية ، فبدأ بالصلاة حين وصوله المطار ، ثم أعلن لهم وجوب رحيل الشاه محمد رضا بهلوي [٢].

كان رئيس الحكومة حينها شابور بختيار ، لكن الخميني لم يرتضيه ورشح آخر يدعى : مهدي بازركان ، ثم حاول شابور أن يعلن الطوارئ والحكم العسكري ، لكن الخميني وثواره لم يأبهوا وأعلنوا العصيان . ومما كان يقوي موقفه ذلك أن كافة طبقات وتوجهات المجتمع في صفه حتى الشيوعيين والعلمانيين والوطنيين ، الذين انقلب عليهم لاحقاً . بعد ذلك حضر قائد القوات المسلحة (قرباغي) إلى الخميني ، وأعلن استسلامه ، وأن الجيش محايد في هذه الثورة ، وبعد هذا أعلن الخميني قيام الجمهورية الإيرانية الإسلامية ، عام ١٣٩٩ / ١٩٧٩م [٣].

ولم يفد الغربُ محمد رضا بهلوي ، وأخلفوا وعودهم له ، بل لم يقبلوه لاجئاً ، ولا غرابة في ذلك فالثائر الخميني هو بديله وصنيعتهم التي صنعوها وزرعوها في بلاد المسلمين ، ليكون خير معين لهم في القضاء على الإسلام والسنة .

وبهذه الثورة الصفوية الخمينية قامت دولة الشرك والوثنيات ، وأحيت معها الفكر الشعوبي تجاه الإسلام والعروبة ، وظهر الرفض ومذاهبه وأهله ، وأصبحت تلك الدولة حامية للمذهب الرافضي الصفوي الباطني ، ومحطة انطلاق للقضاء على التوحيد والسنة في شتى البلاد الإسلامية ، ولم تقتصر على بلاد فارس فقط ، بل شرعت تصدر الثورة الشركية الوثنية الشعوبية ، لكافة الأقطار ، وبمعونة صليبية ، اتفقت سهام الإلحاد والزندقة تحت مظلة التوجهات الشعوبية المجوسية الفارسية ، وبات تصوب تلك السهام ، فلا يكاد يحدث في بلد مسلم سيما البلاد العربية ،

---

[١] انظر : التاريخ الإسلامي : ١٨ / ٩٧

[٢] انظر : المرجع السابق : ١٨ / ٩٨ — ١٠١ ، وموسوعة تاريخ إيران السياسي : ٤ / ٢٩٦ .

[٣] انظر : التاريخ الإسلامي : ١٨ / ١٠٢ .

خطب جلل إلا وللرافضة المجوس يد فيه .

وباتت هذه الثورة الشعوبية الخمينية مرحلة جديدة ، ومنعطفاً حاداً ، في تطويق الإسلام وأهله ، ومن ثمّ انحسار نور التوحيد والسنة ، واستبداله بظلمات المجوسية ، وبراثن الجاهلية ، وقيام حرب القوميات الشعوبية ، التي ما دخلت أرضاً إلا وأهلكت حرثها ونسلها ، وصيرت ديارها مرتعاً للقوى الصليبية الاستعمارية .

إن ما نشاهده اليوم من فرقة وتشتيت بين المسلمين ، وفوضى في البلاد العربية والإسلامية ، وتخريب للحكومات ، كانت جذوره المعاصرة تعود لتلك الثورة المدسوسة ، التي بدأت بطرد السنة وأهلها من ديارهم ، ثم بدأت بالدول العربية المجاورة ، وشيئاً فشيئاً حتى أصبحت تلك الثورة ومن تولاها يعبثون ويتحكمون في عدد من الدول العربية ، وتصرح بأن هدفها الأول هو إمبراطورية فارس الكبرى ، والله المستعان .

المطلب الثاني : نشر العقائد المنحرفة في بلاد المسلمين

وهذا هو أول هدف يسعى من خلاله الصفويون الجدد ، لهدم العقيدة الإسلامية ، وإعادة البشرية للجاهلية الوثنية الأولى ، بل لعبادة النار والتذلل بين أيدي الأكاسرة الفرس ، من دون الله . فلا يعرف لهذه الثورة الشركية وميض في حق التوحيد الخالص ، وكيف يكون ذلك وهم أعداء التوحيد ، والساعون لإحياء المجوسية الوثنية الثنوية . وأما مذاهبهم الفكرية فقائمة على التوجه الشعوبي المقيت ، ليس فقط تجاه العرب ، بل لكافة الأجناس غيرهم ، وأما إذا كان غيرهم مسلمون سنة ، فهذه عندهم هي التهمة الأولى .

وقبل أن أعرض شيئاً من العقائد المنحرفة ، لا بد من تسليط الضوء على زعيم تلك الثورة – الخميني – وعقائده وأفكاره ، التي كانت هي الموجه الأول لأهداف الثورة وأطماعها الشعوبية :

أصول دعوته

يدين الخميني بالمذهب الرافضي الإمامي الاثني عشري ، ونص على ذلك في دستوره الذي سطره لبلاده ، ومنع تغييره (1). وحسبك مما سيكون من عقائد وأفكار لهذا الرجل ، وهو يعتقد بذلك المذهب الباطل ، الذي أسسه يهودي ملحد ، ولذا ؛ كانت مواقف الخميني من أصول الاعتقاد واضحة ظاهرة تبعاً لمذهبه الباطل ، ومنها :

موقفه من القرآن : يصرح الخميني بنقص القرآن الذي بين أيدينا ، وأنه ليس هو القرآن المعهود الذي أنزله الله عز وجل ، ويصرح بتحريفه ونقصانه ، ويصفه بالملفوف !! ، وهو تبع لذلك لمن سبقه من الطبرسي ، والكليني ، والمجلسي ونعمة الله الجزائري (2).

موقفه من الصحابة والخلافة الراشدة : يعتقد الخميني بأن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان غير شرعية وأنها مغتصبة ، ويتهمها بمخالفة القرآن ، وسلب إرث فاطمة رضي الله عنها ، ويكيل

---

(1) انظر : الدستور الإيراني في ميزان الإسلام ، حافظ عامر ، ص : ٢ /١٠٣٢ ، ١٠٣٣ .

(2) انظر : المرجع السابق ، ٣ / ١٣١٨ ، وانظر : الخميني بين التطرف والاعتدال ، عبد الله الغريب ، ص : ٣١ – ٣٣ .

لفترتهم الراشدة كل الاتهامات والطعونات التي تدل على فجوره وزندقته [1]. ولذا فإن أولئك الشعوبيين لا يصححون الطاعة للحاكم العربي المسلم مهما كان ، إلا نفاقاً وتقية ، ومن ذلك لا يرون جواز التقاضي للمحاكم الشرعية التي تكون تحت تلك الخلافة أو الحكومات بعدها ، وقد قرر الخميني تلك التقية في كتابه : الحكومة الإسلامية [2].

موقفه من أهل السنة : يعتقد الخميني بأن دين السنة ناقص ؛ لأنهم لم يستطيعوا فهم الدين وتبليغه ، لعدم انتسابهم لمذهب أهل البيت ، ولأن عنده أن الدين لا يفهم إلا عن طريق الأئمة وهم أعلم بتأويله كما يزعم [3].

ويصف أهل السنة بأنهم نواصب ، وبأنهم أعداء آل البيت ، ولذا فإن الخميني لا يجيز الصلاة خلف النواصب – يقصد السنة – ، ولا تجوز عنده الصلاة على من مات منهم لاعتبارهم كفار عنده ، ولا يتم الإيمان عنده لأحد حتى يصرح بذلك ، وبالولاية لآل البيت ، والبراءة من أهل السنة ، وأقوالهم وفتاويهم ، فإذا كان هذا موقفه الديني فكيف بالدنيوي والسياسي [4].

عقيدة الخميني في الإمامة

يعتقد كغيره من الروافض بأن الإمامة ركن الدين ، وأنها تلقن مع الشهادة ، وأنه يجب على النبي أن ينصب خليفة بعده ، وإن لم يفعل فلم يبلغ رسالته . وعندهم أن الإمام معصوم ومطاع ، ولا ينسب له الغفلة والنسيان ، وأن الشرع لا يفهم إلا بهم ، بل يقرر بأن تعيين الإمام يكون من عند الله ، وهذا من الإرث الفارسي المجوسي تجاه حكامهم [5]. وقد صرح الخميني نفسه بغلوه في أئمته حيث يقول : " وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا منزلة لا يبلغها ملك مقرب ولا نبي مرسل" [6] .

---

[1] انظر : كشف الأسرار للخميني ، ص : ١٢٢ ، ١٢٤ ، وانظر أيضاً ، ص : ١١٥ – ١١٩.

[2] انظر : الحكومة الإسلامية ، ص : ١٤٢ ، ١٤٣ .

[3] انظر : موقف الخميني من أهل السنة ، محمد مال الله ، ص : ١١ .

[4] انظر : المرجع السابق ، ص : ٢٥ – ٦١ .

[5] انظر : الحكومة الإسلامية ، ص : ٧٨ ، وانظر : الدستور الإيراني ، ٣ / ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ .

[6] الحكومة الإسلامية ،ص : ٥٢ ، وهو ما يعرف عندهم بالولاية التكوينية ، انظر نفس المرجع ، ص :٤٣

بل صرح بأن الأنبياء كلهم حتى محمداً ، لم ينجحوا في إرساء قواعد العدالة في العالم ، وأن المهدي المنتظر هو الذي سيفعل ذلك ، إلى غير ذلك من الزندقة والقرمطة الباطنية [١].

وحتى يحرز الخميني أطماعه السياسية والشعوبية ، اخترع في مذهبه ما سُمي (ولاية الفقيه) ، وهي : أن يتولى الفقيه الإمامي الاثني عشري الذي يتصف بالعلم والفقه والاجتهاد ليكون نائباً عن الغائب المعصوم ، ويتولى الشئون الدينية والسياسية كما يشاء وفق اجتهاده . وقد نص الخميني على هذا في دستوره وبعض رسائله ، فيقول : " ... وإذا نهض بأمر تشكيل الحكومة فقيه عالم عادل ، فإنه يلي من أمور المجتمع ما كان يليه النبي (ص)[٢] منهم ، ووجب على الناس أن يسمعوا له ويطيعوا ... " [٣] . وولاية الفقيه قد مرت بعدة مراحل وتطورات حتى استقر عليها الخميني وأتباعه ، مع أن هناك عدداً من المراجع الإمامية عارضت ذلك ، وحصل بينهم وبين الخميني مراسلات ومناكفات ، فمنهم من استسلم ومنهم من استمر معارضاً ولقي حتفه ، ومنهم من سكت خوفاً من سطوة الخميني وحرسه الثوري [٤].

ويمكن أن نلخص ثمرات ونتائج هذه الولاية التي استحدثها الخميني في مذهبه ، ما يلي :

- إظهار الولاية لفقهاء الإمامية الاثني عشرية ، وأن سلطتهم تشمل السياسة الدينية والدنيوية ، وأنهم حجة على الناس ومعصومون ، وفق القانون الإلهي الذي أعطاه الله لهم – وفق زعمهم – ، بأن تعيين الإمام من الله ، وبهذا أحيا الخميني أصلاً من الأصول المجوسية الفارسية في نظرتهم القديمة لملوكهم ، والخميني ألبس هذه الولاية لباس الحكومة الإسلامية ، والثورة الشرعية حتى يتمها .
- ضمان امتداد الحقبة الزمنية التي يتولى فيها مرشدي الثورة زمام الدولة والتحكم فيها ، بحيث أن هذه السلطة تبقى ما بقيت هذه الدولة .

---

[١] انظر : الخميني وتفضيل الأئمة على الأنبياء ، محمد مال الله ، ص : ١ / ٢٧ ، ٢٨ .

[٢] بهذا الحرف يختصر الصلاة والسلام على رسول الله ، وهذا ليس من الجادة عند أهل العلم ، بل هو مكروه

[٣] الحكومة الإسلامية ، ص : ٤٩

[٤] ، انظر : ولاية الفقيه وتطورها ، خالد بن عبد المحسن التويجري ، ٢٣– ٦١.

- يلزم على ذلك عندهم عدم السمع والطاعة لأي حكومة لا تتصف بصفات ولاية الفقيه ، والعمل على تخريبها ، وإحلال فقهاء الشيعة مكانهم ، فعندهم أن المرجع مقدم على الحاكم المسلم مهما كان ، وهذا يفسر ما يفعلونه من شغب في البلاد الإسلامية (١).
- أن قيام مثل هذه الأفكار في هذا العصر تؤكد بأن مصادر الفكر الشعوبي ما زالت حاضرة وموجودة ، ومنبثقة عن المصادر القديمة ، لا تنفك عنها .
- استغلال الفكر الشعوبي العدائي لقضية التشيع والغلو والتصوف ، وإحياء القوميات العنصرية المقيتة التي خرجت منها الحركة الشعوبية .

مصادر الخميني في رسائله ومؤلفاته : تجده في رسائله ومؤلفاته يعتمد على كتب الروافض الإمامية ، والمعتزلة ، والفلاسفة ، وغلاة الصوفية الملاحدة ، ومنها : الكافي للكليني ، وفصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب للطبرسي ، وبحار الأنوار للمجلسي ، ونهج البلاغة ، وكتب السهروردي وابن عربي. بل إنه ينقل حتى عن كتب الإسماعيلية الباطنية ، ككتاب دعائم الإسلام لقاضي الباطنية النعمان بن محمد بن منصور . وأما كتب السنة والروايات والأحاديث فيصفها بالغرائب والمناكير وأنها من مخلفات البربر والسودان (٢).

أثر الفلسفة على الخميني في إحياء العقائد المجوسية

عرف عن الخميني دراسته وتأثره بعلوم الفلسفة ، وخصوصاً الفلسفة الإشراقية ، أو ما تسمى بفلسفة العرفان . وهي فلسفة يونانية مجوسية هندية ممزوجة ، تتضمن الدعوة إلى التأله والعصمة والكشف . وقد انبهر بها الخميني كثيراً وكان يدرسها حتى في حوزته ، وهذه الفلسفة ممن أحياها ونشرها السهروردي . ومن مفاهيم تلك الفلسفة : أن النور الأول يفيض عن نور إبداعي ، ثم تصدر عنه الأنوار حتى تدبر شئون الكون في العالم الحسي . ولذلك لا يخلو الزمان عندهم من إمام متأله يجمع بين الروحية الدينية والدنيوية ، وأن كشف الغيب يكون لهم ، إلى غير ذلك من الزندقة والسفسطة في تلك النظريات ، وقد تقدم التعريف بها (٣).

---

(١) انظر : الدستور الإيراني : ٣ / ١٢٧٣ – ١٢٩٠ .

(٢) انظر : الخميني بين التطرف والاعتدال ، ص : ٢٩ ، ٣٠.

(٣) انظر صفحة : ٢٦٠ من هذا البحث .

والخميني لم يخف إعجابه الشديد بتلك النظريات من السهروردي ، وكان يبالغ في مدحه وثناءه ، ويصفه بالحكيم وينقل عنه من تقريراته الوثنية ، المليئة بالزندقة [1]. وكذلك إعجابه الشديد بالفيلسوف ابن سينا ، وإعجابه بتقريراته الفلسفية الرياضية [2].

وهذا يؤكد إحياء الخميني للعقائد المجوسية الفارسية القديمة عن طريق تقريره لها في كتبه ورسائله ، تحت مظلة الفلسفة . ولو كان الخميني صرح بالعقائد المجوسية علناً ما قبل منه ذلك ، ولأضر بثورته الإسلامية المزعومة ، لكنه أخرجها في ثوب الفلسفة من باب التزويق والتنميق ، وهكذا هي عادة الشعوبيين في بث أفكارهم التي يطرحونها بين الناس .

وأكتفي هنا بما ذكر عن عقائد الخميني وأصوله التي قررها ، والتي ملئت غلواً وزندقة وفجوراً ، وأما عن العقائد المنحرفة التي انتشرت أو ازدادت بعد قيام هذه الثورة الصفوية الشعوبية أو تجددت معها ، فكثيرة ، منها :

أولاً : تقرير الخميني لتلك العقائد الرافضية الباطنية المذكورة سابقاً ، وجعلها في رسائله ، وهو يحتل المنصب الأول في دولته التي أُسست لنصرة العقائد الباطلة ، والمذاهب الباطنية الشعوبية ، لنشرها داخل إيران ومن ثم تصديرها خارج البلاد ، تحت هدفه : تصدير الثورة للبلاد الإسلامية وتخليصها من ظلم الحكومات ، ويقصد به من آثار الحكم السني الإسلامي الذي سبقه . وأما حقيقة ومضامين هذا التصدير فهو تصدير الشرك[3] وإحياء المجوسية ، وإسقاط الحكومات الإسلامية ، خصوصاً في البلاد العربية منها [4]، وقد صرح هو نفسه بذلك في أحد بياناته بأنه يهدف لجعله ثورته عالمية [5].

---

[1] انظر : كشف الأسرار ، ص : ٦١ ، ٧٤ .

[2] انظر : المرجع السابق ، ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٣ .

[3] والخميني لا يسمي دعاء الأولياء والاستغاثة بهم شركاً ، فالشرك عنده وجود نظام غير إسلامي لا يحكم بولاية الفقيه ، والطاغوت عنده هو سلطان ذلك النظام ، وعنده أن هذا هو الشرك الذي تجب إزالته ، انظر : الحكومة الإسلامية ، ص : ٣٣

[4] انظر : الثورة البائسة ، موسى الموسوي ، ص : ٤٣ — ٤٧ .

[5] انظر رسالة بعنوان : تصدير الثورة كما يراه الإمام الخميني ، ص : ١٥ . وهي صادرة عن مؤسسة إيرانية

=

ثانياً : ترتب على ذلك نشر المذهب الرافضي خارج إيران ، ومعلوم ما في هذا المذهب من الشركيات والوثنيات حتى في الربوبية ، فقيام الثورة الخمينية الصفوية وهي حامية للمذهب ، بل منصوص عليه في دستورهم بأنه المذهب الرسمي للدولة ، ولا يجوز تغييره ، حيث أصبحت هذه الدولة فئة كل رافضي وباطني يهدف للنيل من العقيدة الإسلامية والسنة المحمدية ، وقد تقدم في عدة مواضع من هذا البحث عن دور التشيع الرافضي الفارسي ، وكونه مدخلاً لأهل الزندقة والإلحاد .

ثالثاً : الدعوة إلى عبادة الأضرحة من دون الله في صورة تعظيم الأئمة والصالحين والتبرك بهم ، وجعلها أعياداً تقصد ، وإحداث المراسم الخاصة بها ، وكل ذلك تحت تعظيم الأئمة والصالحين ، فلا يدخل الرفض لبلد إلا وجعل فيه القبورية قائمة ، وبعد قيام هذه الثورة أصبح لها الدور الأكبر في ذلك ، وفي المقابل الطعن والتشويه في أئمة الإسلام ، ووصفهم بالعداء لأهل البيت أو الوقوف في صف اليهود [١].

رابعاً : إحياء الأعياد الفارسية المجوسية ، كالنيروز والمهرجان والغدير ، فقد كان الخميني يفعل ذلك ويدعو له ، كما يدعو لحفلات ميلاد الأئمة الاثني عشر ، وكذلك إحياء عاشوراء[٢]، وحث جميع الشيعة في العالم لإحيائها ، ولا يخفى ما في ذلك من البدع والمنكرات كخدش الوجوه والأجساد والتطبير ، والتصريح بطعن الصحابة وأهل السنة [٣].

خامساً : تخصيص المزارات الرافضية الصفوية في قم والنجف وكربلاء بمزيد طقوس ومحدثات ، وصرف الناس إليها بقصدها والتقرب إليها بأمور يضاهون بها الحج لبيت الله والعمرة . بل وضعوا من الفضائل لتلك المزارات والأجر ما لم يكن لغيرها من العبادات ، وتنظيم الزيارات والإعداد لها وتسهيل الوصول إليها ، بل تنقل قنواتهم الفضائية ما يحدث في تلك المشاهد والحسينيات من

في طهران ، لنشر ودعم الأفكار الخمينية ، وطباعة كتبه والعناية بها .

[١] انظر : وسائل وأساليب الشيعة الإمامية الاثني عشرية في نشر مذهبهم وسبل مواجهتها ، ص : ١٣٩ ، ٢٠٢ .

[٢] انظر : الحكومة الإسلامية ، ص : ١٢٥ .

[٣] انظر : كتاب : الخميني بين التطرف والاعتدال ، ص : ٣٤

الشركيات الرافضية ، ولا يخفى ما في ذلك من مضاهاة لما شرعه الله وحده سبحانه [1].

سادساً : تنشيط البعثات الدراسية والعليا إلى قم ومشهد والنجف وكربلاء ، واستقطاب الطلاب من كافة الدولة الإسلامية ، ورعايتهم وتهيئتهم ؛ ليكونوا دعاة لهدفهم المجوسي التوسعي [2].

سابعاً : تقرير فكرة الغلو في الأئمة ، وتطبيقها واقعياً ، فالخميني غلا في نفسه حتى إنه لم يرض بأن يُسمَّ كباقي رؤساء الدول أو بقية المراجع ، بل جعل لنفسه منصباً وتسمية فوق ذلك كله ، بحيث لا يشترك فيه معه أحد ، وكان يعمل بين يديه بعض الأمور التي يستذل بها من يدخل عليه ، كتقبيل اليدين والانحناء ، وهو يشاهد ذلك ولا ينكره ، مع أنه قديماً كان يظهر الزهد والتدين أمام العامة . ولا غرابة في ذلك فهو حين قعّد قواعد الإمامة وولاية الفقيه ، وما فيها من غلو وزندقة ، وهي منبثقة عن عقيدة المجوس في الحق الإلهي للأئمة ، قام بتنزيلها على نفسه ، وإن أقرب ما يوصف به هذا الطاغية هو أن يسمى : طاغوتاً ، فإن لم يكن من أكبر الطواغيت في عصره فهو أكبرهم .

---

[1] انظر : الرافضة وتفضيل زيارة قبر الحسين على حج بيت الله الحرام ، محمد مال الله ، ص : ١١ ، ١٤ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٢ ، ٥٥ .

[2] انظر : وسائل وأساليب الشيعة الإمامية الاثني عشرية في نشر مذهبهم وسبل مواجهتها ، ص : ١٢٧.

المطلب الثالث : العداء للمسلمين عامة والعرب خاصة

النزعة العدائية الشعوبية في هذه الثورة المجوسية الصفوية ، واضحة المعالم ، وعلى كافة طبقاتهم ، من علماء مذهبهم أو السياسيين أو جنودهم أو غيرهم . وبدءاً بقائدهم الخميني ، الذي حاله كحال كافة القواد والرموز الشعوبيين الذين يهدفون للقضاء على الإسلام والمسلمين ، فالخميني اجتمعت فيه العصبية الفارسية المجوسية ، وكذلك استطاع توظيف الجانب الديني مع العوام والسذج ، بل انخدع به حتى خاصة الناس ؛ ليقنعهم بأنه المرشد الأعلى ، والزعيم الروحي ، والنائب عن المعصوم ، حتى صار ما يقوله هو الحق ، وما يرفضه فهو الباطل ، وكان يلبّس على الناس بتبنيه للقضايا الإسلامية الكبرى، كقضية فلسطين ، ومقاومة القوى الصليبية ، وكذلك يحاول يبرز ما يحصل لبعض الجماعات والفرق في بلادها مع حكوماتها بأنه اضطهاد للدين وحسر للدعوة الإسلامية ، وينادي بالوقوف معهم ، ليلج من ذلك إلى تكفير الحكومات والنداء بالثورة عليهم [١]. والشاهد أنه بعد أن تبوأ تلك المنزلة بدأ يعادي كل من لا يكون معه على ما يريد وتحت ولايته التي اخترعها ، ثم قام بالانتقام من كل مَنْ حقد عليه قبل ثورته أو حصل له معه مناكفات ، سواء من كان في صف الشاه بهلوي أو لا ، وهذا الاستعداء لم يسلم منه حتى من يطالب بالإصلاح الداخلي ولو كان فارسياً [٢]. وكذلك من مواقفه العدائية للعرب ، أنه لما تولى رئاسة بلاده ، وكتب له بعض زعماء الخليج بإعادة أجزاء من الجزر الإماراتية المحتلة بناء على اتفاقات سابقة مع حكومة الشاه ، رفض وقال بأنها جزر فارسية ليست عربية [٣].

بل إن منْ كان محسناً للخميني ومستضيفاً له قبل ثورته ، لم يسلم من انقلابه العدائي عليه ، مما يؤكد الشخصية العدائية لهذا الرجل ، وهذه هي طريقة الشعوبيين في عدائهم ، لا تقف عند حد معين . ومن الأمثلة على ذلك : موقف الخميني وثورته العدائي الشديد من العراق وأهل السنة هناك ، مع أنه استضيف في العراق حوالي خمسة عشر عاماً بعد طرده من قبل الشاه محمد بهلوي

---

[١] انظر : التاريخ الإسلامي ، ١٨ / ١٠٥ ، ١٠٦

[٢] انظر : المرجع السابق ، ١٨ / ١١٥ ، ١١٦ .

[٣] انظر : الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠ – ١٩٨٨ م) ، إسلام المغير ، ص : ٦٤ ، ٦٥ ، والتطلعات الإيرانية في الخليج العربي ، ص : ١٣٩ ، ١٤٠ .

من إيران . وخلال إقامته في العراق مكنوه حتى من التدريس في الحوزات والمدارس الرافضية هناك ، بل إنه مُكِّن حتى من القنوات الإذاعية التي كان من خلالها يؤجج الناس للثورة على الشاه وطرد الإنجليز ، والمناداة بدولة إسلامية ، كما كان يزعم [١].

لكن كل تلك المسوغات لم تكن محل شكر من قبل ذلك الرجل ، بل على العكس ، فبعد أن قامت ثورته ، وبسط نفوذه ، بدأ باستعداء العراق وتهديدها ، وأعلن أنه سيحتل العراق ويضمها لجمهوريته خلال ساعات ، مع أن الحكومة العراقية حينها باركت له فوزه بقيام ثورته ، وطلبت منه حسن الجوار والمصالحة التي تعود بالنفع بين البلدين ، لكنه أساء الرد ولم يمتثل لحسن الجوار ، والسبب الرئيس لتلك الحرب ، هي : تصدير الثورة الشعوبية الإيرانية ، وإسقاط العراق ، وجعله تحت ولاية الفقيه [٢].

بدأ الخميني بتجييش جيشه على الحدود العراقية طامعاً في احتلاله ومن ثم التوسع لما بعده ، وكان يهدف بعده لتصدير ثورته للخليج العربي والشام ولبنان . استمرت هذه الحرب ثمان سنوات ، تجاوز فيها عدد القتلى المليون نسمة ، وأما الخسائر المادية والاقتصادية فكبيرة جداً ، إذ أنها شابهت الحروب العالمية [٣]. والدولة الإيرانية حين غزت العراق ليس فقط من باب التوسع ، بل إن الخميني كان يصرح بأن العراق ملك للفرس ، وقد كان وزير خارجيته صادق قطب يصرح بأن العراق هو الإقليم السابع لإيران الفارسية ، وسبقت تلك الحرب حملات إعلامية فارسية شعوبية ، تنادي بملكية العراق وأنه ملك فارسي ، وبأن حكومته ليست شرعية ولا إسلامية [٤]. وأما عن الدور الصليبي الغربي في هذه الحرب فقد كان حاضراً ، وكان يؤجج الصراع بين الطرفين حتى يحصل الضعف والوهن في كلا الطرفين ، ويضمن الغرب الفاجر أن كلاً من الفرس والبعثيين لا يهدد الاحتلال الصهيوني في فلسطين ، وكان بتلك الأدوار الصليبية الماكرة ، يجعل المعارك تقوم في البلاد الإسلامية بين المسلمين ظاهراً ، لكن باطنها حرباً صليبية شعوبية .

---

[١] انظر : المخابرات الإيرانية ، ص : ٥٧ .

[٢] انظر : المرجع السابق ، ص : ٨٠ – ٨٤ ، وانظر : الثورة البائسة ، ص : ٧٥ – ٨٨ .

[٣] انظر : الحرب العراقية الإيرانية .. ، ص : ٢٢٠ – ٢٣٩ .

[٤] انظر : المرجع السابق ، ص : ٨٩ – ٩٢ .

وكانت الإمدادات من الصهاينة والصليبيين تأتي للدولة المجوسية الفارسية ، حتى إن الصهاينة استغلوا تلك الحرب ، وضربوا المفاعل النووي العراقي في : ٨ يونيو ١٩٨١ م ، وكانوا يدعمون إيران بالسلاح [١]. فاجتمع شيعة اليهود وشيعة المجوس بمعونة الصليبيين ، على البلاد العربية الإسلامية بغية استنزاف الخيرات من البلاد الإسلامية ، وتوقف انتشار الإسلام إلى خارجها ، وهذا هو أكبر هدف لديهم ، حيث يصورون لأتباعهم بأن الإسلام دين الحروب والدموية ، ويجدون ذلك ذريعة لاجتياح البلاد ، وهذا ما حصل من الصهاينة ، فحينما كانت الحرب قائمة بين إيران والعراق ، اجتاحوا لبنان عام : ١٩٨٢م ، وأقاموا فيه مذابح ، وفتكوا بالمخيمات الفلسطينية [٢]. وكذلك حصل الضرر داخل البلاد ، إذ كيف يتفرغ الناس للدعوة إلى الله وبلادهم مليئة بالحروب الطاحنة التي أهلكت الحرث والنسل ، ودمرت الدور ، وتسببت في هجرة الناس من دورهم ، وصارت بلاد المسلمين أوكاراً لأعين الصليبيين واليهود المحتلين . وقد كان الخميني يرفض الصلح أو الوساطة لذلك ، ويتوعد من يعرض عليه ذلك من أتباعه ، ولم تتوقف تلك الحرب إلا بعد جهود كبيرة على مستوى دول العالم .

لكن توقفها ليس حباً في البلاد العربية الإسلامية أو شفقة من الشعوبيين المجوس أو الصليبيين ، بل كما صرح الخميني نفسه لأتباعه بأنه قَبِل وقف الحرب لمصلحة إنقاذ الثورة الإسلامية [٣]، ولذا فإن ذلك التوقف كان مؤقتاً من قبل الفرس الشعوبيين ، بدليل أنهم عاودوا غزو العراق بمعونة الصليبيين عام ٢٠٠٣م ، وسأوضح ذلك في المطلب السادس إن شاء الله من هذا المبحث

ومن الأمثلة على استعداء الصفوية في البلاد العربية الإسلامية ، محاولة الخميني تصدير ثورته الوثنية إلى سوريا .

حيث اتجهت أطماع الخميني وأتباعه إلى بلاد الشام ، لهدف ضمها إليه فكرياً وسياسياً ، وتوجهه ذلك ليس اتفاقاً أو خبط عشواء ، بل لعدائه الشديد الدفين للخلافة السنية العربية ، التي كانت زمناً طويلاً تحت بني أمية . فالأمويون وخيرهم معاوية رضي الله عنه ، كان لهم الفضل

---

[١] انظر : الحرب العراقية الإيرانية ، ص : ١٨٩ – ١٩١ .

[٢] انظر : المرجع السابق ، ص : ١٩٠ .

[٣] انظر : المرجع السابق ، ص : ١٦٢ .

في بسط الدين في بلاد الشام ، وردع الروم عن بلاد المسلمين .

لكن الصفويين الروافض يحقدون حقداً شديداً شعوبياً على ولاية بني أمية ، ويرون أن الشام مثلما زرعت السنة فيها وحصدت ثمارها ، لا بد من أن يسيطروا عليها ، ويطردوا أهل السنة منها . ولأن الصفويين ينظرون بأن الأمويين أعداء لآل البيت ، فيجب عندهم أن تخلو الشام من بقايا أهل السنة . ومن أشهر كلمات الخمينيين ومراجعهم ، ما صرح به الهالك حسن الشيرازي الإيراني ، حينما أسس حوزة رافضية في سوريا ، ومما قاله :

(... في سورية جبراً للتاريخ الأموي ، والتاريخ الماضي ؛ ولإحياء مذهب أهل البيت عليهم السلام في عاصمة الأمويين ، أعداء أهل البيت عليهم السلام ...)[١] .

ومن الجدير بالذكر أن التاريخ الشيعي على اختلاف فرقه ، قد وجد في سوريا قديماً منذ قيام الدولة الحمدانية في أيام العباسيين ، وكذلك اشتد مع وجود الباطنية الإسماعيلية من القرامطة والعبيديين والدروز ، وغيرهم [٢]. كل ذلك كان له سبب كبير في امتداد الثورة الخمينية الرافضية هناك ، وإن كان هذا التمدد غالبه من الناحية الفكرية العقدية ، وإلا فالسياسية ثمة فرق ، مع أن الطرفين يتفقان على معاداة الإسلام والمسلمين ، وباب التشيع هو المولج الذي دخل منه كل أولئك الشعوبيين وأذنابهم .

والشاهد أن الوجود الشيعي على اختلاف صوره وفرقه قد وجد من قبل ثورة الخميني بكثير ، ويصعب هنا التتبع التاريخي لذلك .

وفي أيام الثورة الخمينية كان البعث النصيري قائم وبقوة في سوريا ، وحاكماً فيها ، ولقد كان للنصيرية دور كبير في نشر التشيع الرافضي باستقطاب أئمة الروافض ، من العراق وإيران ولبنان . مع أن الخميني أول أمره كان يتظاهر بعدم تعامله مع النصيرية ، بل إنه يكفرهم ، ويصرح الإمامية بكفر النصيرية ، ولا يرونهم شيعة ، لكن لأن أصول الفرقتين شيعية ، ولتقارب الأهداف ، اجتمع الفريقان لتوحيد مهاجمة أهل السنة والسيطرة على البلاد . كان موسى الصدر رئيس

---

[١] البعث الشيعي في سوريا ١٩١٩ – ٢٠٠٧ م ، إعداد المعهد الدولي للدراسات السورية ص : ٣٥ .

[٢] انظر : الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة ، ص : ٩٣ .

المجلس الشيعي الأعلى ومؤسس حركة أمل في لبنان [١] ، صلة ربط بين حافظ الأسد والخميني أيام معارضته للشاه قبيل الثورة ؛ لأن حافظ الأسد كان مؤيداً للثورة الخمينية والانقلاب على حكم الشاه محمد بهلوي[٢]. ولقد كان للرافضة في لبنان دور كبير في التقارب مع النصيرية الباطنية ورئيسهم حافظ الأسد ، الذي استطاع أن يتقرب من أكبر أئمة الروافض هناك في لبنان ، وهو موسى الصدر ، ومن نتائج هذا التقارب أنْ أصدر موسى الصدر ، فتوى بأن النصيرية مسلمون ، وأنهم شيعة يعودون إلى مذهب الإمامية [٣].

وبهذا اكتسب النصيريون هدفين : سياسي ، بتشريع سلطتهم ، وديني بأنهم يتبعون للشيعة الإمامية ، وكلا الهدفين كانا خنجراً في خاصرة الإسلام والمسلمين إذ إن حافظ الأسد كان يفكر حينها بتعديل دستوره البعثي ، وجعله في مصلحة النصيرية ، بحيث يضمن التوارث النصيري على الكرسي في البلد العربي المسلم الذي كان منطلقاً للفتوحات الإسلامية ؛ ولأن الشام أغلبها مسلمون ، لم يكن له أن يتولاها أو يصعب عليه والناس هناك يعلمون بكفر طائفتهم ، لكن لما ضمه الروافض إليهم وصرحوا بإسلامهم ، سهّل عليهم ذلك السيطرة على بلاد الشام ، والتقارب مع العدو الصهيوني ، خصوصاً وأن تلك الفترة كانت الثورة الخمينية في أوجها والناس منخدعون بها [٤]. وكذلك كان لحسن الشيرازي دور في تنشيط الحركة الرافضية الاثني عشرية في سوريا ، وقيام الحوزات والحسينيات ، ومثله عبد الرحمن الخير العلوي السوري ، الذي كان له دور في تنشيط الدور الرافضي في سوريا ، والتقارب مع شيعة إيران والعراق [٥].

بدأت الحوزات الرافضية تنتشر في سوريا ، ويسمح للوعاظ الشيعة أن يأتوا ويعلموا الناس الفقه الإمامي ، وأقيمت الدروس بكثافة هناك [٦]. ومن أشهر الحوزات التي أقيمت هناك – المدرسة

---

(١) انظر : موسوعة السياسة : ٦ / ٤٤٣ .

(٢) انظر : البعث الشيعي في سوريا ... ، ص : ٣٧ .

(٣) انظر : البعث الشيعي في سوريا ، ص : ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٤ ، ٥٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص : ٥٦

(٥) انظر : الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة ، ص : ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٦ .

(٦) انظر : البعث الشيعي في سوريا ، ص : ٥٧ .

الزينبية — التي أسسها حسن الشيرازي ، وكانت صورة مصغرة لقم الإيرانية في العناية بها ، وقد قام حافظ الأسد بإصدار أوامره ببنائها وتجديدها ، والقيام عليها ، وجعل فيها مسجداً لوالدته ، وكان إمامه أحد شيوخ النصيرية ويدعى : فضل غزّال ، وفتح بجوارها المكتبات ، وأصبحت حلقة وصل للرافضة لطوائف الشيعة داخل وخارج سوريا ، ومع إيران بوجه خاص ، كما فتح بها لاحقاً مكتباً باسم علي خامنئي — المرشد الثاني للثورة – ، واستمر التواصل بين النصيرية السوريين ، والرافضة الإيرانيين في عهد بشار الأسد ، ولم يتوقف عند الجانب المذهبي فقط ، بل شمل التسهيلات لتلك المظاهر ، والتعاون الثقافي والاجتماعي وحتى البرلماني ، أقاموا مكتب للتنسيق بين الطرفين ، إضافة لذلك كانت تؤخذ الأعداد من الشباب السوري إلى قم والنجف ، لدراسة المذهب الإمامي ، منذ أيام الخميني وبعده ، وكل أولئك هم من نتائج تصدير الثورة الخمينية ، التي يهدف من خلالها لتفريس وتمجيس البلاد العربية الإسلامية [1].

ولا تزال بقايا الثورة الخمينية تعيث فساداً مع النصيرية البعثيين في سوريا ، وينزلون بأهلها المجازر والاعتقالات والتهجير ، فكما تواطأ الأب وسلّم جزءاً من بلاد الشام للصهاينة اليهود ، وأعلن سقوطها بأيدهم قبل وصولهم لها [2]، فاليوم ابنه قسمها بين المجوس الفرس ، وبين الملاحدة الشيوعيين ، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ومن الأمثلة على العداء الخميني الشعوبي للبلاد الإسلامية ، ما تقوم به الحكومة الصفوية الشعوبية من إفساد عقدي فكري وسياسي للمسلمين في أفريقيا ، حيث يحرص أولئك الصفويون الروافض على تصدير ثورتهم إلى بلاد أفريقيا . وكان لدعاة تصدير الثورة نشاط ملحوظ في تلك القارة ، فلم يكن فقط إيران هي التي ترسل من يبشر بثورتها ، بل عملائها الآخرون من لبنان وغيرها ، عن طريق التجار الروافض من إيران ولبنان ، وفي بعض الدول الأفريقية كالسنغال ، كانت الزيارة على مستوى المراجع اللبنانية ، أمثال : موسى الصدر من قبل الثورة الخمينية ،

---

[1] انظر : البعث الشيعي في سوريا ، ص : ٣٥ ، ٨٢ ، ٨٣ ، والموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة ، ص : ١١٣ — ١٢١.

[2] انظر : النصيرية دراسة تحليلية ، تقي شرف الدين ، ص : ٢٠١ .

وبمساعدة الجهات الإيرانية هناك ، وبعد جولة الصدر في أفريقيا بدأ النشاط الرافضي يزداد [(١)]. وقد حرصت الثورة الخمينية على مد يدها لدول الاتحاد الإفريقي ، وتوسيع دائرة التعامل معهم ، سياسياً واقتصادياً ، حتى أصبحت دولة إيران الصفوية عضواً مراقباً في الاتحاد الإفريقي ، مما عزز من وجودها الخطير في تلك القارة .

ومن أكثر الدول التي نشبت فيها مخالبُ الثورة الخمينية الشعوبية : نيجيريا ، لما لها من مكانة مهمة في أفريقيا ، فهي من أكبر الدول سكاناً في غرب القارة ، إضافة لموقعها الاستراتيجي ، واحتوائها على الثروات المعدنية والزراعية [(٢)]. قامت إيران بزرع عميل لها هناك ، واسمه : إبراهيم يعقوب زكزاكي ، الذي اعتنق المذهب الرافضي ، ودعا إليه . وكانت بدايته حين سافر لإيران عام ١٩٨٠م ، والتقى بالخميني ، ومن ثم أصبح زعيم الطائفة في نيجيريا ،ويلقبه الإيرانيون : زعيم شيعة نيجيريا .

قام بإنشاء – الحركة الإسلامية – أو المنظمة الإسلامية في مسقط رأسه : زاريا [(٣)]، حرصت تلك الحركة على نشر المذهب الرافضي هناك ، والدعوة لنصرة الثورة الخمينية فكرياً ، وانتماءاً لها دينياً ، وكثر أتباعه نظراً لانتشار الجهل هناك ، وللدعم الإيراني القائم ، حتى أصبحت الحركة تدعو علناً لإتباع الفكر الخميني ، وأصبحت صور الخميني وخليفته بعد هلاكه ، خامنئي ، معلقة في محافلهم ونواديهم .

وبعد أن كثر أتباعه ، قاموا بإنشاء ذراع عسكري لهم ، أسموه بجيش المهدي ، يقوم بتدريب الأعضاء المنضمين إليه ، حتى وصل عدادهم بالآلاف ، وأصبح يشكل خطراً على الحكومة هناك [(٤)].

---

(١) انظر : خريطة الشيعة في العالم ، ص : ٢١٩ ، وانظر أيضاً ، ص : ٢٢٠ – ٢٢٧ .

(٢) انظر : موسوعة المدن العربية والإسلامية ، ص : ٣٩٨ .

(٣) زاريا : مدينة تقع غرب العاصمة النيجرية - كانو - ، وكانت عاصمة مملكة قديمة في نيجيريا ، ويوجد بها عدد من المساجد والآثار التي تدل على وصول الإسلام إليها ، انظر : موسوعة المدن العربية والإسلامية ، يحيى شامي ، ص : ٤٠٠ .

(٤) انظر : مجلة البيان ، إصدار شهر محرم ١٤٣٢هـ .

وأما عن المظاهر الصفوية الرافضية هناك ، فتقام أشهر المناسبات كالاحتفال بذكرى عاشوراء ، وما فيها من مظاهر بدعية وشركية ، وإقامة الموالد للأئمة ، وغير ذلك من المناسبات الرافضية . إضافة للعناية بالكتب الرافضية الإمامية وطباعتها ، وطباعة الرسائل التي تدعو لاعتناق الذهب الرافضي ، وتطبع باللغة الهوساوية المحلية ، وكذلك بالفارسية ، ويحرصون على العناية باللغة الفارسية تعلماً وتعليماً ، وإيران تشجعهم على ذلك وتدعمهم .

بعد أن قوية شوكة تلك الحركة الرافضية ، وصار لها ذراع عسكري قوي ، بدؤوا يهاجمون حكومتهم علناً ، ويصفونها بأنها غير شرعية ، ولا يجوز التعاون معها ولا مع مؤسسات الدولة ، وذلك من منهج التكفير الغالي الذي تعلموه من المذهب الرافضي . أصبحت الدولة تحس بخطر تلك الحركة عليهم ، ولكن ما فائدة ذلك التحسس بعد أن ترك حبله على غارب الدولة ، وذلك أن الجرائم والعبث بدأت تنال حتى المسئولين والدبلوماسيين . وسُجلت على تلك الحركة اعتداءات أمنية ، وتخزين الأسلحة والمتفجرات ، ولا شك بأن كل ذلك هو إعداد لأمر خطير وكبير ، بل إن الحركة الرافضية حاولت اغتيال قائد أركان الجيش النيجيري .

وبعد أن أصبح أمن الدولة تحت التهديد قامت بحملة اعتقالات لقواد تلك الحركة ، وممن اعتقل زعيمهم ، الزكزاكي ، وذلك في : ١٢ ديسمبر ٢٠١٥م ، وحين اعتقاله حصلت اشتباكات عنيفة بين أتباعه وبين أمن الحكومة ، وترتب عليه القتل ، وفوضى كبيرة في البلاد ، وهذا ما تسعى إليه إيران الفارسية المجوسية ، حيث تهدف لنشر الفوضى والقتال في داخل البلاد الإسلامية [(١)].

وكما هو معتاد ، قامت إيران بشجب واستنكار ما فعلته الحكومة النيجيرية وذلك ؛ لأن تلك الاعتقالات خصوصاً لزعيمهم ستعطل المشروع الصفوي الفارسي في أفريقيا بعد أن بلغ مراحل متقدمة منذ قيام الثورة الخمينية وحتى الآن .

وفي السودان في ظل الأزمة بين المتمردين الجنوبيين الذي يرغبون في الانفصال ، كانت إيران تدعم حركة المتمردين هناك وتمدهم بالأسلحة ، وتعينهم على مشروعهم الانفصالي ، ومن ثم الدخول للسودان عن طريق أولئك الانفصاليين ، وكان الإعلام الإيراني يصور للمشاهدين بأن ما

---

(١) انظر : المرجع السابق ، وصحيفة العرب ، عدد : ٩٩٠٢ ، في : ٢٩ / ٤ / ٢٠١٥م ، ص : ١٣ .

يحصل في جنوب السودان هو ثورة إسلامية [1].

وحتى ندرك أيضاً أن الصفة العدائية لأولئك الفرس المجوس ما زالت متأصلة ومتجذرة فيهم ، هو أن أولئك الشعوبيين الإيرانيين رسخوا حتى في المناهج الدراسية التعليمية عندهم ، العداء لأهل السنة ، وتصويرهم بأقبح الأوصاف وتحميلهم الخلافات التي حصلت من قبل ، وفي المقابل أن أئمتهم هم من كان أحق بالدين وحمله [2]. وكذلك تجدهم يلمِّعون بعض القادة الفرس الذين كان لهم دور في الحركة الشعوبية ، أمثال : أبي مسلم الخراساني ، أو الدول الفارسية ، أمثال البويهية ، بل حتى الإسماعيلية أشادوا بها وبحركة الحسن الصباح الباطنية . ويصورون الحكام العرب في مثل الدولة العباسية وغيرها ، بعدم حسن تصرفهم في الدولة ولذلك احتاجوا الإيرانيين [3].

وهذا كله يؤكد استمرار الحركة الشعوبية حديثاً ، فماذا يُنتظر من أجيال تُلقن مثل تلك الأفكار وتُربى عليها في مدارسها التعليمية النظامية ، إلا العداء والتخطيط لأهدافهم الشعوبية ، إلا من رحمه الله وهداه .

ما أشد ضرر تلك الثورة المجوسية الشعوبية على البلاد والعباد ، فمنذ قيامها وتصدير فكرها للبلاد الإسلامية ، لا توجد دولة دخلتها إلا ودب فيها الفساد الديني والدنيوي .

---

[1] انظر : الزهر والحجر ، التمرد الشيعي في اليمن وموقع الأقليات الشيعية في السيناريو الجديد ، عادل الأحمدي ، ص : ١٩٤

[2] انظر : صورة أهل السنة في الكتب المدرسية الإيرانية ، نبيل العتوم ، ص : ٦٦٠ – ٦٦٥ ، وهي دراسة تحليلية من خلال عرض لجملة من مناهجهم الدراسية .

[3] انظر : صورة أهل السنة في الكتب المدرسية الإيرانية ، ص : ٣١٦ ، ٣٨٠ ، ٤٠٤ – ٤٠٧ .

المطلب الرابع : الهجوم على اللغة العربية

لا تزال اللغة العربية غصة في حلوق الحركات الفكرية المنحرفة ، وشوكة قوية يتسلح بها المسلمون لصد كافة التيارات الشاذة ، ومنها الحركة الشعوبية ، إذ إن من مبادئ تلك الحركة تشتيت وتفريق المجتمعات الإسلامية شذر مذر ، ولكن مع وجود اللغة العربية ، لغة الوحيين ، ولسان العرب الأصيل فسيصعب ذلك عليهم .

فتلك اللغة الغراء وحّدت ألسنة المسلمين ، وقادتهم إلى فهم وتطبيق توحيد الله العزيز ، وحمل الأدلة والآثار على المعنى القويم ، الذي لا يخرمه تخبط الشعوبيين فيها . فكافة الشعوبيين على اختلاف أجناسهم يقفون ضد هذه اللغة لمحاولة التضييق عليها ، إما بتحريفها أو حملها على الشذوذ وسوء المقصد ، إلى غير ذلك من الانحرافات [1].

والثورة الخمينية الصفوية التي تزعم أنها إسلامية ، لم تعترف في دستورها النظامي بأن تكون اللغة العربية هي اللغة الأولى والأم ، بل نصت على أن يكون اللسان الفارسي هو اللغة الرسمية الأولى ، ومع أن بداية تشريع الخميني لدستوره أن جعل اللغة العربية الثانية في الاعتماد ، لكن الحقيقة غير ذلك ، وذلك الاعتماد كان وقتياً في حينه لذر الرماد في العيون ، ولإضفاء لباس الإسلام إلى دستوره حتى يستتب ولا ينقم عليه المسلمون الذين خادعهم . وبعد أن قامت دولته بدأ هو وأتباعه بإزاحة اللغة العربية من قواميسهم ، بل وبتفريس كل ما هو عربي . وفي عام ٢٠٠٦م قام الرئيس الإيراني حينها بتجديد ذلك الأمر ، وإيعازه لجميع المسئولين باعتماد الفارسية فقط دون غيرها في المخاطبات الرسمية ولا يسمح بالعربية . حتى في مجالسهم النيابية لا يسمح إلا بالفارسية ، ومن يتكلم بالعربية فهو محل العقاب والنظر ، لأن العصبية لها فوق الحصانة النيابية [2].

وكذلك يمنعون ويحاربون الأسماء العربية الأصيلة ، خصوصاً التي تحمل في طياتها معان إسلامية سامية ، كأسماء الصحابة ، وقواد الفتوحات الإسلامية ، فيحرمون التسمي بأبي بكر وعمر وعثمان – رضي الله عنهم – ؛ لعدائهم للصحابة أيضاً ، ولبغضهم لتلك الأسماء العربية وأصحابها . ومع احتلالهم للأحواز العربية ، غيروا اسمها إلى عربستان ، ومنعوا انتشار الكتب

---

(1) انظر : المؤامرة على اللغة العربية ، ص : ١٦٢ – ١٦٤ .

(2) انظر : المرجع السابق ، ص : ٤٤٢ – ٤٥٠ ، وانظر : تصاعد المد الإيراني ، ص : ٤٤٢ – ٤٥٠ .

العربية هناك ، وغيروا أسماء القرى والهجر تبعاً للسان الفارسي ، ويتعمدون تزوير الإحصائيات المتعلقة بالعرب هناك ، بل تدخلوا في اللباس الذي هو من عادات الناس ، حتى صار لبس العقال عندهم تهمة لدلالته على اللباس العربي المعروف . ومما يدل على هجمتهم الشعوبية على اللغة العربية ، أن وفداً من قبائل الأحواز العربية ذهبوا إلى الخميني لتهنئته بفوزه ، ولأنهم يعلمون أنه يجيد العربية ، بدؤوا بالكلام معه بها ، لكنه أعرض عنهم وطلب منهم الكلام بالفارسية ، وقال أنتم فرس لمَ تتكلمون بغير لغتكم ؟!! وأمر بإحضار مترجم يسمع منهم ومن ثم ينقل إليه الكلام بالفارسية .

ومنعوا أطفال الأحواز من إقامة حلقات القرآن الكريم ؛ لأنها تنشئهم على اللغة العربية وإجادتها ، ومنعوها بتهمة أن تلك الحلقات تفرخ المفجرين والتكفيريين أو بالوهابيين حسب قولهم ، ولذا تجدهم يحرصون على تعليم الفارسية هناك ، وحتى الدروس الشيعة لا بد فيها من الفارسية ، أما العربية أو من يدرسهم حتى الدروس الدينية بالعربية ، فهو محل التهمة [١] . وفي عهد المرشد الثاني ، علي خامنئي ، أُنشئ مجمع اللغة الفارسية ، وعين رئيسه أحد مستشاريه مما يدل على أهمية الموضوع عنده .

ومن أساسيات هذا المجمع : تخليص اللغة الفارسية من الكلمات العربية ، واعتبار تدريس غير الفارسية أمراً وافداً عليهم ، بل إن الاهتمام بالعربية عندهم صار تهمة وطنية قومية . وقد صرح : علي يونسي ، مستشار الرئيس الإيراني ، عندما سئل عن تدريس اللغة العربية ، قال : إن تدريس غير الفارسية ليس مطلباً وطنياً ، بل يخص فئة محدودة ... وقال : ليس لدينا أحد من غير أصول فارسية في إيران ، والجميع في إيران من أصول فارسية . ومن الطرق التي سلكوها لتغييب اللغة العربية ، أنهم جعلوا تدريس اللغة العربية في حده الضيق جداً ، بالحروف الفارسية ، وهذا مؤداه في النهاية لتفريسها [٢].

---

[١] انظر : تصاعد المد الإيراني في العالم العربي ، ص : ٣٠١ – ٣١٢ .

[٢] انظر : مقال بعنوان : نماذج من حرب الخامنئي على اللغة العربية ، مصطفى حسين ، من موقع المثقف الجديد ، نشر بتاريخ : ١٨ / ٦ / ١٤٣٥هـ :
http://www.al-muthaqaf.net/index/news.php?action=show&id=٣٥٦

وهذا التصريح منه لعصبيته المقيتة وإلا فدولتهم مليئة بالقوميات الأخرى ، مما يؤكد العصبية الفارسية الشعوبية على جميع الفئات ، ليس فقط حصراً على العرب ، كذلك منعوا دراسة اللغة العربية في الجامعات إلا بعد إجادة اللغة الفارسية وإتقانها . وهذا كله من صلب العصبية القومية الفارسية التي شرعتها لهم المجوسية الوثنية ، إذ كيف يرتضون اللسان العربي على لسانهم ، وهذا عندهم فيه الاعتراف بفضل العرب عليهم ، وهو ما لا تحتمله عقولهم وعرائكهم . ومن الطرق التي سلكوها في محاربة اللغة العربية ، السخرية منها ، والطعن فيها عبر المؤلفات ، والبرامج الإعلامية ، واستخدام الأدب الفارسي في النيل منها ، وتلفيق القصص والروايات كذلك ، وحتى البرامج التلفزيونية ومواقع الانترنت تمنع التصميم إلا بالفارسية . وكذلك تأليف الكتب باللغة العربية وطباعتها عندهم من الصعوبة بمكان ، وحتى الرسائل الجامعية والبحوث ، توجب على الطلاب الكتابة بالفارسية . كل تلك الوسائل والأشياء التي استخدمها الصفويون الشعوبيون تهدف لإزاحة اللغة العربية من قاموسهم الإيراني ، ويجتهدون كذلك في الدول التي يسيطرون عليها أو يوجِدون لهم فيها حركات موالية ، إلى حرب اللغة العربية [1].

ومن تناقض هذه الثورة الشعوبية أنها تدعي نصرة آل البيت وأئمتهم ، وتطالب بإحياء مآثرهم ، ولكن لم لا يحرصون على الاهتمام بمظهر مهم جداً في حياة أئمتهم ، وهو اللغة العربية ؟! ، فالأئمة الذين ينتسب إليهم أولئك الروافض من أشرف البطون القرشية ، وهم عرب أقحاح !! ، لكن لماذا لا يهدفون لتعليم العربية والعناية بها كما يعنون بالفارسية ، أو على أقل الأحوال يكفون شرهم وأذاهم على من تعلمها وحث عليها ؟!! ، لكن لطريقتهم الباطنية الشعوبية ، فلا يستغرب الشيء من معدنه

والهجمة الشعوبية الشرسة المعاصرة على اللغة العربية لا تتوقف عند الدور الفارسي المجوسي ، بل ساعدها في ذلك الدعوات الغربية الفكرية الإلحادية الدخيلة ، التي بثها المستشرقون والمستعمرون الصليبيون ، التي تدعو إلى هجر اللسان العربي ، وإدخال العامية ، واللاتينية في التأليف والكتب والبحوث ، والنظر إلى اللغة العربية ، بأنها معقدة وغير قابلة لمجاراة العلوم الحديثة ، أو محاولة

---

[1] انظر الرابط السابق نفسه .

التخاطب بها بدون قواعدها الأصيلة الرصينة [١].

ولذا ؛ كان من أظهر الأمور التي تكشف الزيف الشعوبي في هذه الثورة ، هو حقدهم البغيض على اللغة العربية ، ولن يستطيعوا ذلك بإذن الله ، ولن يمسوها بسوء طالما أن هناك قرآناً يتلى ، وسنة تملى بين يدي الناس ، فيا ليت أن المسلمين يدركون الهجمة الشعواء على لغتهم الأم.

---

[١] انظر : البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية ، ص : ١٥١ – ١٦٤ ، والشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، ص : ٢٦٨ ، ٢٩٨ .

المطلب الخامس : إثارة الفتن والقلاقل في بلاد المسلمين

كانت الثورة الخمينية مصدراً للفتن والفوضى في البلاد الإسلامية ، تحت هدفها في تصدير الثورة ، الذي حقيقته بث الفرقة والتنازع بينا المسلمين ، واستغلال تلك الأحداث للدخول بحماية حق الشيعة وآل البيت ثم زرع خلاياها الخامدة لحين انطلاق بركانها الثوري العدائي ، مع ضرورة استغلال الجانب الديني لديهم .

وأكثر ما ركزَت عليه تلك الثورة الشعوبية ، على دولة الخليج العربي والعراق واليمن وسوريا ولبنان ، وأول ما بدأ به الخميني ، العراق ، وقد تقدم بيان ذلك في المطلب الثالث ، لكن ما أريد أن أشير إليه هنا ، هو أن الخميني قد جعل عنده مكتباً خاصاً تحت مسمى : حماية الحركات الإسلامية أو قريباً من هذا الاسم ، وكان رئيسه حينها علي أكبر رفسنجاني ، الذي صار رئيساً بعد فترة من الثورة ، والشاهد أنه عن طريق هذا المكتب الذي كان يتبع الحرس الثوري ، يحصل التخطيط والتدبير ، لإحداث العمليات من اغتيالات وخطف وتدمير ، ونحو ذلك ، وكل ذلك تحت زعم دعم الحركات الإسلامية خارج البلاد ، وحقيقته بث الفرقة والجريمة والفوضى والخروج على حكام المسلمين .

وكذلك استغل الروافض الفرس المراقد الرافضية ، والمشاهد القبورية لديهم ، في تأجيج الصراع بين المسلمين ، تحت ما يسمى اليوم بـ: الحرب الطائفية [١]، حيث اشتعلت نار الفتنة بين السنة والشيعة ، بعد أن كانت راكدة نوعاً ما ، ومستقرين عن الاقتتال ، وليس هذا بإقرار للتقارب الديني المذهبي ، لكن مصلحة عصمة الدماء ، مقصد شرعي ، وبدونه لن يقوم للدين قائمة [٢]. ومن الدول التي أصبحت مسرحاً للفتن والفوضى الشعوبية الفارسية ، العراق ، وما حل بها بعد تصدير الثورة الخمينية لها [٣].

ومن الطرق التي يسلكها أولئك الصفويون لنشر الفتن والفوضى ، التحريض على مواجهة الحكام

---

[١] انظر : الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، ص : ٢٩٦ .

[٢] من الأمثلة على استقرار وضع السنة والشيعة هناك أنهم شاركوا جميعاً في طرد البريطانيين سنة ١٩٢٠م ، انظر : الثورة البائسة ، ص : ٨٢ ،٨٣ .

[٣] انظر : المطلب الثالث في هذا المبحث .

المسلمين ، بناء على ما قرره لهم إمامهم الخميني [1]. خصوصاً في دول الخليج العربي ، حيث تتكرر نداءات المرشد الأعلى للثورة ، بأن الشيعة مضطهدون في دينهم ، ولا يسمح لهم بإظهار شعائرهم المذهبية ، ولا المدارس والحوزات ، التي تقوم كما يزعم على فقه أئمة آل البيت .

وكذلك يحرضون أتباعهم من خلال المطالبة بالمناصب السياسية الرفيعة ، وفي حالة عدم الاستجابة يبدؤون بعمل البيانات وجمع التواقيع عليها ، والذهاب للمنظمات الحقوقية المدنية ، التي يستخدمونها كوسيلة للضغط على الحكومات . ولكن أين تلك المنظمات عن المجازر التي تحصل للمسلمين من قبل الفرس وغيرهم في إيران والشام وغيرها ؟! .

ومن الطرق التي كذلك ، استخدام وسائل الإعلام الفضائية والإذاعية ، ووسائل التواصل في نشر الفكر الشعوبي المجوسي الفارسي ، وحتى يهيئ الخميني ذلك الأمر ، أمر بتكوين هيئة مستقلة باسم : منظمة الإعلام الإسلامي ، عام ١٩٨٢ تكون لساناً ناطقاً لتلك الثورة ، من خلال توجيه وتشريع الثورة الخمينية ، وأنها قامت لخدمة الإسلام ، واستعادة الملك والخلافة ، وتصوير الحكومات العربية والخليجية خصوصاً بأنها ضد شعوبها وأنهم لا يعطون الناس حقوقهم ، إلى غير ذلك من هتافات التأجيج ، وكذلك يصفون علماء السنة بالشدة والتكفير[2] ومداهنة السلطان ، ولم يقتصر دورها على الجانب الإعلامي ، بل بطبع الكتب والرسائل والمنشورات [3].

وقد خطت القنوات الإيرانية وصويحباتها خطوات كبيرة في استغلال القنوات الفضائية التي صبت توجهاتها الشعوبية ، ومطامعها الفارسي .

ومن خلال تلك القنوات تنقل أصناف الشركيات والقبوريات تحت تعظيم الأئمة والصالحين ، وكذلك تأجيج العامة ضد حكامهم تحت المطالبات بالحقوق المدنية ، وما يترتب على ذلك من

---

[1] انظر : الحكومة الإسلامية ، ص : ١٤٥ ، ١٤٦ .

[2] مع أن الغلو والتكفير طافح في المراجع والمؤلفات الرافضية ، تجاه أهل السنة ، بل حتى داخل الفرقة ، تجد أن التكفير متبادل بينهم ، انظر : هذا هو التشيع بلسان الخوئي ، عبد الملك الشافعي ، ص : ١١ – ٤٦ ، وراجع : ظاهرة التكفير في مذهب الشيعة ، عبد الرحمن دمشقية .

[3] انظر : الخطاب الإعلامي للثورة الإيرانية وأثره على العلاقات الخارجية ، عصام عبد الحميد ، ص : ١٦٨

تسويغ الخروج على الحكام [1].

ومن الطرق التي يسلكونها كذلك محاولة التسلل للجهات الحكومية أو البرلمانية السياسية ، ومحاولة الحصول على رأي معارض يستقل بنفسه وحقوقه المزعومة ومن ثم حصول التمدد لبغية إثارة الفوضى في البلاد ضد الحكام ، وكذلك للتجسس على مصالح الدول ومعرفة نقاط الضعف ، والدخول من خلالها للسيطرة على منافذها المؤثرة . أو من خلال الاغتيالات التي ينفذونها ضد الفئات المؤثرة داخل الدول التي يهدفون للسيطرة عليها ، أو لبعض الفئات التي يرونها حجر عثرة في طرقهم العدائية [2]. وكما تقدم أن مبدأ الاغتيالات مبدأ شعوبي قديم لنشر الحركة الشعوبية ، وهذا يؤكد أن الثورة الخمينية في طريقها الشعوبي تتبع من سبقها في هذه الحركة ، وتنطلق من جذورها العدائية والفكرية .

ومن الطرق الحديثة كذلك التي يثيرونها لبث الفتن والقلاقل ، استغلال وسائل التواصل الاجتماعي ، كتويتر مثلاً . حيث يقومون بعمل حسابات بانتحال مسميات عربية أو مبهمة أو مجهولة ، وتكون ناقمة على أهل الدين والعلم والحكام المسلمين ، أو عمل الروابط أو ما يسمى بـ (الهاشتاقات) ، ودعوة الناس للمشاركة فيها لتكثيرها وتقوية فعاليتها على مستوى دولي عالٍ ، وكل تلك الطرق تنطلي على العامة والدهماء من الناس ، خصوصاً من لم يتحصن من الناحية الشرعية والعقلية ضد تلك الهجمات ، وأما من يطاوعهم من المتعلمين ، فهذا لا شك في قلبه مرض ، والله يكفي المسلمين والبلاد الإسلامية شره . ومن طرقهم لاستغلال القنوات الفضائية ، أنهم يستضيفون الأبواق الغربية أو من يسمون بالمعارضين السياسيين أو الإصلاحيين الذين احتضنهم الغرب الصليبي ، وكلها تسميات لا تغني شيئاً فحقيقتهم أنهم من خوارج القعدة أو من أذنابهم . والهدف منهم حث الناس على الخروج على الحكام ، وتخريب أوطانهم ، أو بالدعوة

---

[1] انظر مقال بعنوان : مخاطر الفضائيات الشيعية على عقيدة أهل السنة ، في موقع البرهان ، على الرابط http://alburhan.com/main/articles.aspx?article_no=٣٣٨٣#.Vr٨٥Y_krLIU ومقال آخر بنفس الموقع بعنوان ، الفضائيات الشيعية ... حرب إيرانية جديدة ، على الرابط : http://alburhan.com/main/articles.aspx?article_no=٣٣٨٣#.Vr٨٥Y_krLIU

[2] انظر : بروتوكولات آيات قم حول الحرمين الشريفين ، ص : ٧٠ ، ٧١ .

لافتعال المظاهرات التي تدمر بُنَى البلاد وتتسبب في إزهاق الأنفس ، ومن العجائب أن تلك الأبواق تريد أن تجلس آمنة مطمئنة في بلاد الكفر ، وتريد أن تزج بالمسلمين في مغارات ومُدّخَلات ، قد سلّم الله منها البلاد والعباد ، لكن لأنهم باعوا دينهم بدنياهم فلا تستغرب حينئذ ولائهم لمن سيكون .

ومن الأمثلة لاستغلال الإيرانيين الصفويين وسائل الإعلام تجاه بلد التوحيد والسنة ، السعودية ، ما حصل عقب حادثة سقوط الرافعة بالحرم المكي في عام ١٤٣٦هـ ، التي كانت بقدرة القادر سبحانه وتعالى ، ولحكمة يعلمها سبحانه وتعالى. وكيفية استغلال مراجع الصفوية وساستهم لتلك الحادثة ، لبث سمومهم ، ومن ذلك ما طالب به المرجع الإيراني : مكارم الشيرازي من إزالة المشاريع في الحرم المكي ، ومثله النائبة الإيرانية : لاله افتخاري. بل إن بعضهم صرح بأنه لا يستبعد أن تكون الحادثة متعمدة ، إلى غير ذلك من تلك الوقاحات الشعوبية [١].

ومن الحوادث التي استغلوها أيضاً ما قامت به وزارة الأوقاف المصرية في غرة محرم ١٤٣٧هـ من منع الاحتفال بيوم عاشوراء في مسجد الحسين في مصر ، وأغلقوا المشهد ليومين ، لكن قوبل ذلك الأمر بشجب إيراني شيعي ، وتحريض لأهل البلد بأن الدولة لا تقوم بحقوق آل البيت ولا تحمي قبور الأئمة ، وأنه تضييق على دور العبادة وصد عن بيوت الله ، زعموا [٢]!! .

والسؤال بعد عرض تلك الطرق التي يسلكها الصفويون الإيرانيون لإثارة الفتن ، من هو المستفيد من تلك الفتن وإثارتها ؟

لا شك أن المستفيد الأول هم أعداء الدين من الروافض والباطنية والصليبيين ، وكافة الفرق الشعوبية ، التي تهدف لعدم استقرار البلاد الإسلامية ، وخصوصاً العربية ، ومن ثَمّ حسر الدعوة

---

(١) انظر مقال بصحيفة الوطن أون لاين ، بتاريخ : ١٧- ٩ – ٢٠١٥م ، للكاتب : محمد السلمي ، بعنوان : التضليل الإعلامي الإيراني في حادثة الحرم ، على الرابط :
http://www.alwatan.com.sa/Articles/Detail.aspx?ArticleId=٢٧٩٢٠

(٢) انظر رابط الخبر على موقع البي بي سي العربي ، نُشر في : ٢٢ أكتوبر ٢٠١٥م :
http://www.bbc.com/arabic/middleeast/٢٠١٥/١٠/١٥١٠٢٢_egypt_hussein_shrine

إلى الله ، والتضييق على نشر الدين الإسلامي في العالم ؛ لأن المسلمين إذا انشغلوا داخل ديارهم بالفتن والقلاقل ، فسيضعف ويخبو نور الدعوة إلى الله في خارج البلاد .

ومن العجب العجاب في تناقض هذه الثورة الخمينية الشعوبية أنها تحمل اسم الإسلام ، وتصرح بأن دولتها إسلامية ، لكن إثارتهم للفتن والفوضى لم يسلم منه حتى قبلة المسلمين ، الكعبة المشرفة ، وبلد الله الحرام ، وكذا في مدينة الرسول ﷺ ومسجده المبارك ، اللذين حبهما ومكانتهما في فطرة كل مسلم على الأرض ، وهذا يؤكد أن الفكر الشعوبي الباطني حاضر في أصول هذه الثورة الخمينية وأهدافها ، التي تهدف إلى إعادة إمبراطورية فارس المجوسية الكبرى .

وقبل أن أذكر بعض الحوادث المتعلقة بذلك ، أنبه إلى أن العداء الشعوبي للحرمين الشريفين كما كان موجوداً قديماً ، فهو اليوم ضمن المخططات الشعوبية ، التي تسعى لئن ينحرف الناس عن قبلتهم إلى المشاهد والمزارات الرافضية ، أو غيرها من الأماكن التي يقصدها أهل الفكر الشعوبي الباطني ، وقد ذكر الخميني نفسه أهمية استغلال الحج في تحقيق ما يهدف إليه ، وأن يكون ذلك على رؤوس الأشهاد كما زعم [1]. وكذلك يصرح زعماء تلك الثورة إلى تدويل مسئولية الحرمين الشريفين ، وألا يكون بيد الدولة السعودية فقط ، ودعَوا العالم الإسلامي لذلك ، وقد صرح رفسنجاني قائلاً : (إذا كان علماء المسلمين في العالم غير مستعدين لتقبل مسئولية إدارة مكة المكرمة ، فإن جمهورية إيران الإسلامية لديها الاستعداد للحرب من أجل تحرير هذا المكان المقدس ...) [2]. ومثله ما صرح به : مهدي كوربي – رئيس بعثة الحج الإيرانية عام : ١٤٠٧هـ – ، حيث قال : (إننا سوف نقوم في السنوات القادمة أيضاً بأداء فريضة الحج بكل قوة ، وسنقوم أيضاً بالمسيرات وترديد الشعارات المنطلقة بهذه الشعائر ، ولن تستطيع قوة أن تمنع حضورنا) [3].

ومن الحوادث الشعوبية الباطنية المشهورة في الحرمين ، ما فعله أتباع الخميني من الحجاج الإيرانيين ، بإيعاز منه لمحاولة تصدير الفكر الثورة الخميني للبلد الحرام ، من خلال مناسك الحج ، وكان

---

[1] انظر : الحكومة الإسلامية ، ص : ١٢٥ .

[2] الخطاب الإعلامي للثورة الإيرانية وأثره على العلاقات الخارجية ، ص : ١٧٣.

[3] المرجع السابق نفسه .

ذلك في عام ١٤٠٧هـ . حيث قام الزوار الإيرانيون بعمل مظاهرات في طرق الحرم ، وقاموا بمهاجمة الناس ، والاعتداء على رجال الأمن ، وقاموا بتعليق صور الخميني ورفعها بين الناس ، ورفع الهتافات والنداءات باسمه ، وأنه الإمام الأعظم للمسلمين ، بل تركوا التلبية الشرعية ، وظلوا يرددون : لبيك يا خميني ! كل ذلك في البلد الحرام الذي جعله الله للناس مثابة وأمناً [(١)]. وعندما كان رجال الأمن يحاولون أن يمنعوا أولئك بالسلم وعدم الاشتباكات ، قوبلوا برفض من أولئك الملحدين في البلد الحرام ، ولكن ولله الحمد تمت السيطرة من الجهات الأمنية ، ورد الله ذلك الإلحاد . ومثل تلك الحادثة أيضاً حادثة التفجير في مشعر منى عام ١٤٠٩هـ من ذراع الثورة الخمينية — حزب الله - ، والتي اعترف بها لاحقاً لدى الجهات الأمنية ، وأن خلفها حزب الشيطان المزعوم . وكذلك تم القبض في بعض المنافذ على عدد كبير من المواد المتفجرة في حقائب عدد من الحجاج الإيرانيين في بعض مواسم الحج . وكل ذلك لا شك من الإلحاد في البلد الحرام ، وعندما خاطب الملك خالد رحمه الله ، الخميني ، كان رد الخميني غير مسئول ويلمح ويعرض إلى أن أمر الحرمين الشريفين لا يصلح على هذا النحو ، وأنه لم يستفد المسلمون من القيام على الحرمين بهذه الطريقة بجعله حصراً على الأمور التعبدية [(٢)]. فهو يريد الفوضى في الأماكن المقدسة ، وتطبيق عقيدة البراءة الصفوية الشعوبية ، التي سنها له الصفويون الأوائل . ولذا عقد أولئك الشعوبيون عدة مؤتمرات ، ويدعون إليها عدداً من الدول ، لغرض إعادة النظر في شأن الحرمين الشريفين ، والتدخل لإدارتها ، ومهاجمة الدولة السعودية ، ووصف نظامها بالغربي ، وكذلك مهاجمة العلماء في السعودية ، ووصفهم بالوهابية وأنها منهج للتكفير ، وسبب للخلاف بين المسلمين ، وكانت بداية تلك الندوات والمؤتمرات بقيادة الخميني نفسه في : ٧ / ١١ / ١٩٨٧م ، الذي كان كثيراً ما يردد بتحرير الحرمين ، وأنه سيدخل الكعبة ويحررها ويقيم لذلك احتفالاً [(٣)]، وكل ذلك حلقة في سلسلة الاعتداءات الشعوبية الباطنية على الحرمين الشريفين في القديم

[(١)] انظر : المرجع السابق نفسه ، ص : ١٧٢.

[(٢)] انظر : الاعتداءات الباطنية على المقدسات الإسلامية ، ص : ١٤٥ — ١٥٣.

[(٣)] انظر : الخطاب الإعلامي للثورة الإيرانية وأثره على العلاقات الخارجية ، ص : ١٧٤ — ١٧٨ .

والحديث [1].

وحتى تنجلي الصورة في أن استهداف الخميني وثورته وأتباعه من بعده لقبلة المسلمين ، وأنه حلقة في سلسلة الاعتداءات الشعوبية الباطنية المجوسية ، التي تهدف إلى هدم القبلة وصرف الناس عنها ، وأنه مبني على أصول رافضية باطنية ، الذي ظاهره الرفض وباطنه وحقيقته الزندقة والغلو المجوسي الفارسي ، أوضح ذلك الاستهداف من خلال النقاط التالية :

أولاً : الروايات الرافضية التي تنص على أن القائم الذي يظهر آخر الزمان ، سيبايَع عند الكعبة ، وأنه يأتي بكتاب جديد ، وأمر جديد ، ويشتد ذلك اليوم على العرب [2] ، وأن أول من يبايعه جبريل عليه السلام [3] . ثم يأمر القائم بهدم الكعبة إلى أساسها ، وكذلك يهدم المسجد النبوي لأساسه ويهدم الحجرة النبوية ، ويقوم بذبح قريش ، ويذبح الناس عند الصفا والمروة ، وكذلك ينزع الولاية من بني شيبة ، ويقتلهم لأنهم حسب زعمهم لم يقوموا بأمانة السدانة ، وأنه تشتد وطأته على العرب [4] ، ويثخن في القتل حتى يقتل تسعة أعشار الناس . ومن أئمة الرافضة الذين أوردوا تلك الروايات ، المفيد ابن النعمان ، صاحب كتاب الإرشاد ، وفيه : (... قال أبو عبد الله عليه السلام : " إذا قام القائم هدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه ، وحول المقام إلى الموضع الذي كان فيه ، وقطع أيدي بني شيبة وعلقها بالكعبة ، وكتب عليها : هؤلاء سراق الكعبة ") [5] ، وقريب من ذلك ما رواه المجلسي : (... عن أبي جعفر عليه السلام قال : ... أما إنه لا يبدأ إلا بقريش ، فلا يأخذ منها إلا السيف ، ولا يعطيها إلا السيف ، حتى يقول كثير من الناس ليس هذا من آل محمد ، لو كان من آل محمد لرحم ") [6] .

ومع ظهور ذلك القائم تقوم دولتهم المزعومة ، التي ما زالوا يبشرون بها ، ويزعمون أن انطلاقها

---

[1] انظر : الإلحاد الخميني في أرض الحرمين ، مقبل الوادعي ، ص : ٤٧ ، ٤٨ .

[2] انظر : الغيبة للنعماني ، ص : ٢٧١ ، والغيبة للطوسي ، ص : ٢٧٦ ، ٢٨٤ .

[3] انظر : بحار الأنوار ، ١٣ / ٣٣٩ .

[4] انظر : بروتوكولات آيات قم حول الحرمين المقدسين ، ص : ٤١ ، ٤٢ .

[5] الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، المفيد ابن النعمان ، ٢ / ٣٨٣، ٣٨٤ .

[6] بحار الأنوار : ١٣ / ٣٧٣ .

من الكعبة ، ولهم في ذلك روايات عديدة يصعب تتبعها هنا . وقد كانت تلك الروايات مكتومة فترة من الزمن عندهم ، إلا أن الله هيئ من يفضحهم ويبين مكرهم الباطني للمسلمين . ولأن الخميني خالف من سلفه ، وخول نفسه نائباً عن المهدي المنتظر ، فقد كان يحاول لذلك الهدف الشعوبي ، بالقضاء على قبلة المسلمين أو صرفهم عنها ، سيما وقد أعلن أن مدينة قم مدينة مقدسة ، والشاهد مما تقدم أن أهدافهم المبيتة تجاه المقدسات الإسلامية لم تعد خافية [1].

ثانياً : تحريف المقصد الشرعي من الحج

يزعم أولئك الشعوبيون أن الهدف من الحج هو : إعلان البراءة من المشركين ، كما أرسل الرسول ﷺ علياً رضي الله عنه بذلك في السنة التاسعة ، وعندهم أن يجب من خلال الحج إعلان البراءة من المشركين في هذا الزمان ومن حكوماتهم ، ويقولون إن أكبر الدول التي يجب البراءة منها هما : أمريكا وإسرائيل . وعندهم أنه لا يتم الحج إلا بإعلان ذلك برفع الشعارات والهتافات داخل مكة ، وإلا لتعطلت شعيرة الحج عندهم ، هكذا يزعمون !!. وحقيقة تلك البراءة هي البراءة من الحكومات الإسلامية غيرهم ، والطعن في الخلافة الراشدة ، وكذلك لا يخفى ما في هذا من تحريف وتبديل لما شرعه الله من عبادات وشعائر في الحج ، بجعله موطناً لفوضى الشعوبية ، وهذا جزء من التحريف الباطني الشعوبي لأصول الدين لمعنى التوحيد والشرك ، وصرفه إلى غرض باطني[2].

ومن القرائن على ذلك أنك حين تنظر للعبادات والشعائر التي يفعلونها في الحج والعمرة وزيارة الحرم النبوي ، تجد أنها لا توافق العبادة الصحيحة في شيء ، فهم يقولون ببطلان من حج ولم يكن على مذهبهم ، ويفضلون زيارة قبر الحسين على الحج ، وكذلك لا يجيزون الحج عن مخالفهم – يقصدون به السني – ولو كان الأب ، وعند الدخول للسلام على النبي ﷺ ، يمنعون من التوجه إلى قبري أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولهم أوراد وأدعية شركية ، لفقها لهم أئمتهم القدماء والمعاصرون الذين سيحملون أوزارهم وأوزاراً مع أوزارهم [3].

---

[1] انظر : بروتوكولات آيات قم حول الحرمين المقدسين ، ص : ٣٧ ، ٤٨ .

[2] انظر : المرجع السابق ، ص : ٨٤ – ٨٧ .

[3] انظر : موسوعة شاملة مع الشيعة الاثني عشرية ، علي السالوس ، ص : ١٠٣٣ – ١٠٤٠ ، ١١٣٠ .

وأما بالنسبة للدولتين اللتين يزعمان البراءة منهما فالشواهد والواقع تقول أن الثورة الخمينية من أقرب الحلفاء والشركاء لهما ، والعلاقة بين شيعة المجوس وشيعة اليهود والصليبيين واضحة ، وقد تقدم الكلام عنها .

ثالثاً : صرف الناس عن القبلة

من الأهداف الشعوبية كما تقدم هدم العقيدة الإسلامية ، وقد تنوعت طرق الشعوبيين لذلك الهدف ، ومن تلك الطرق محاولة صرف الناس عن التوجه للكعبة بالبلد الحرام ، أو تقليل العناية بذلك الأمر ، ومحاولة تكثيف الزيارات للمشاهد الوثنية عندهم ، التي هي من رجس الشيطان ورجسهم . فغلوهم وتعظيمهم للمشاهد القبورية عندهم هو ضرب من ذلك الصرف عن التوجه لقبلة المسلمين ، وجعل الامتيازات والدعم والبرامج لزيارة تلك المشاهد هو شيء من التسهيلات التي يقدمونها للجهال والدهماء من الناس . وقد طفحت الروايات عند أولئك الروافض في تعظيم وتقديس تلك المشاهد في قم ومشهد وكربلاء والنجف ، وتقديمها على القبلة التي جعلها الله قياماً للناس[1] . وإن كان هناك اختلاف في بعض الفرق الشعوبية من حيث إيجاد الأماكن المقصودة والتي يجعلونها بديلاً لقبلة المسلمين ، فمثلاً : الباطنية القرامطة بنوا لهم كعبة في القطيف وحينما خلعوا الحجر الأسود ، وضعوه هناك ، وكذلك الروافض في إيران والعراق يعظمون المزارات وجعلوا لها بنياناً يضارع الكعبة المشرفة ، وفي حيفا جعل البهائية قبلتهم قبر البهاء ، والهندوس لهم في ذلك مآرب أخرى ، وهلم جرا . والشاهد أن الفرق الشعوبية اتفقت على صرف الناس عن قبلتهم المشروعة ، واختلفوا في البديل عن ذلك . وأنشط تلك الفرق وأخطرها الروافض الفرس ، بقايا المجوسية ، حيث يخططون لجعل كربلاء قبلة للناس دون البيت العتيق ، بل في مراجعهم روايات مزبورة بأن كربلاء تفخر حتى على الكعبة نفسها ، ومن ذلك ما ذكره النعماني صاحب كتاب الأنوار ، حين أورد رواية عن جعفر الصادق ومنها : (... إن بقاع الأرض تفاخرت ففخرت الكعبة على بقعة كربلا ، فأوحى الله عز وجل إليها أن اسكتي يا كعبة ، ولا تفخري على كربلا ، فإنها البقعة المباركة التي قال الله فيها لموسى عليه السلام : (إني أنا الله ...) ، وهي موضع المسيح وأمه وقت ولادته ، وإنها الدالية التي غسل بها رأس الحسين بن علي عليه السلام ، وهي

[1] سيأتي قريباً نقل بعض تلك الروايات .

التي عرج منها محمد ﷺ ....) [1].

وكذلك يجتهدون لجعل الكوفة قبلة لهم ، ولهم في ذلك روايات مسطورة في كتبهم ومراجعهم ، ومنها : ما روها لمجلسي في كتابه بحار الأنوار ، في باب مستقل باسم : فضل الكوفة ومسجدها الأعظم وأعماله ، حيث أورد في ذلك الباب عدداً من الآثار المختلقة ، ومنها : (... عن الحسن بن علي عليه السلام قال : " لموضع الرجل في الكوفة أحب إليَّ من دار بالمدينة ") [2]، وكذلك : (... عن أبي عبد الله عليه السلام قال : " من كان له دار في الكوفة فليتمسك بها ") [3] ، وكذلك : (... عن الصادق أنه قال : ما بقي ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد صالح دخل الكوفة ، إلا وقد صلى فيه ، وإن رسول الله ﷺ مر به ليلة أسري به ، فاستأذن له الملك فصلى فيه ركعتين ، والصلاة الفريضة فيه ألف صلاة ، والنافلة فيه خمسمائة صلاة ، والجلوس فيه من غير تلاوة وقرآن عبادة ، فأته ولو زحفاً ") [4] .

وقبل المجلسي أيضاً ، خصص الفيض الكاشاني[5] في كتابه الوافي ، باباً مستقلاً باسم : باب فضل الكوفة ومساجدها ، ومما روى فيه : (... عن علي عليه السلام قال : " يا أهل الكوفة لقد حباكم الله عز وجل بما لم يحب أحداً من فضل ، مصلاكم بيت آدم وبيت نوح، وبيت إدريس، ومصلى إبراهيم الخليل ... ولا تذهب الأيام والليالي حتى ينصب الحجر الأسود فيه ...)[6] . وكذلك تصرح بعض رواياتهم المختلقة ، بأن الكوفة ستكون مهلِك العرب مع ظهور قائمهم المزعوم ، ومن ذلك ما رواه المجلسي : (عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ :

---

[1] الأنوار النعمانية ، ٢ / ٥٧، ٥٨ .

[2] بحار الأنوار : ٢٢ / ١٤٠ .

[3] المرجع السابق نفسه .

[4] المرجع السابق : ٢٢ / ١٤٣، ١٤٤ ، وللاستزادة ، انظر : نفس المرجع : ١٤٠ — ١٧٣ ، وانظر أيضاً كتاب : العتبات المقدسة في الكوفة ، محمد سعيد الطريحي .

[5] هو : مصطفى بن حسين الكاشاني النجفي ، من فقهاء الإمامية ، توفي بكاظمية العراق ، عام ١٣٣٦هـ ، انظر : الأعلام ٧ / ٢٣٢ .

[6] الوافي : ٨ / ١٤٤٧ ، رقم : ١٤٥٠٢ ، وانظر : كتاب بروتوكولات آيات قم حول الحرمين المقدسين ، ص : ٤٩ .

" الكوفة جمجمة العرب ، ورمح الله تبارك وتعالى ، وكنز الإيمان ") [1] .

وهذا – والله أعلم – يفسر حرص الروافض الفرس على ضم العراق لدولتهم المجوسية الصفوية الأولى والثانية ، والاستعانة حتى بأمم الكفر الصليبي للسيطرة عليه . وفي الحقيقة أن هذا الأمر لم يعد خافياً عندهم ، بل يجاهرون به ضمن أطماعهم الشعوبية . فما فائدة جعل الكوفة أو كربلاء أو غيرها قبلة دون بيت الله الحرام إلا لصرف الناس عن قبلتهم التي يتوحدون إليها في عباداتهم وحجهم ، وهذا ما يضيق به ذرعاً أولئك الشعوبيون .

رابعاً : تأييد كبار أئمة الروافض المعاصرين للموقف الخميني من القبلة.

مما يدل على تعزيز الأطماع الشعوبية عند أولئك الفرس المجوس ، هو أن علمائهم ومراجعهم يؤيدون تلك الأفعال والفتن في الأماكن المقدسة ، وفي المقابل يبالغون في تقديس مشاهدهم الشركية التي أحيت الجاهلية الوثنية . وفي ظل الدولة الصفوية الحالية ، اشتد موقفهم العدائي تجاه الحجاج ، وتجاه القائمين على الحرمين ، أو الطعن في الدولة السعودية القائمة خير قيام عليهما . ومن أشهر أولئك المراجع ، مرشدهم الأول ، الخميني ، وكذلك مرشدهم الثاني الحالي ، – علي خامنئي – ، الذي يسير على منهج شيخه الخميني ، الذي لم ينطق بشيء في شجب الأحداث الأخيرة ، في حج عام ١٤٣٦هـ ، ولا في التي قبلها . بل على العكس يهاجم هو وأعوانُه القائمين على الحج ، ويبرئون من تسبب فيه ، بل إن موسم الحج المشار إليه ، سبقه تهديدات منهم ومن بعض أذنابهم كحزب الله ، والحوثيين في اليمن [2]. وهذا يدل على تواطئهم في أذية الحجاج الآمنين في بيت الله الحرام .

ومنهم كذلك : حسين الخراساني ، الذي يقول : (... إن طوائف الشيعة يترقبون من حين لآخر ، أن يوماً قريباً آت يفتح الله لهم تلك الأراضي المقدسة ...)[3] ، ومنهم كذلك : محمد مهدي صادقي ، حين ألقى خطبة في تأييد الثورة الخمينية عام ١٩٧٩م ، قال فيها : (أصرح

---

[1] بحار الأنوار : ١٣ / ١٤٦ .

[2] انظر مقال بعنوان : إيران والحج والهروب للأمام ، محمد السلمي ، صحيفة الوطن أون لاين ، ٣٠ / ٩ / ٢٠١٥ م ، على الرابط : http://www.alwatan.com.sa/Articles/Detail.aspx?ArticleId=٢٨٠٦١

[3] بروتوكولات آيات قم ... ص : ٥٧ .

إخواني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها : أن مكة المكرمة ، حرم الله الآمن ، يحتلها شرذمة أشد من اليهود ...)[١] . وكلامهم في هذا كثير ، سواء المكتوب أو المسموع أو المسجل على شبكة الانترنت . ومن خلال عرض الموقف الخميني وأتباعه من قبلة المسلمين ، اتضح بالأدلة والقرائن بأن الثورة الخمينية أحيت وجددت الحركة الشعوبية العدائية ، على كافة التوجهات ، العقدية والفكرية والسياسية . فأي فتن وقلاقل أعظم من إحداث الفتن في الحرمين الشريفين والتخطيط لها ، فضلاً عن خارجهما ، وإن هذه الثورة الشعوبية تشبه الحملات الصليبية فيما سببته من الدمار والضياع والفتن ، وخروج فرق الزندقة الإلحاد ، واستهداف خيرات المسلمين وبلادهم ، ومنذ نشأتها وسجلها مليء بالفتن والثورات والقلاقل [٢].

---

[١] المرجع السابق نفسه ، ص : ٥٧.

[٢] وللاستزادة عن ذاك السجل الأسود ، راجع موقع وزارة الخارجية السعودية ، فقد أصدرت بياناً وضحت فيه سجلت تلك الثورة من الفتن والاضطرابات :

http://www.mofa.gov.sa/ServicesAndInformation/news/MinistryNews/Pages/ArticleID٢٠١٦١١٩٢١٤٠٣٨٢٩٣.aspx

المطلب السادس : التحالف مع الغرب الكافر لاحتلال بلاد المسلمين

رغم قصر المدة منذ قيام الثورة الخمينية وحتى سيطرتها على إيران وأقاليمها ومن ثم نشر الفكر الشعوبي في غلاف تصدير الثورة المزعومة ، إلا أن سلوكها العدائي يشير إلى ارتباطها التاريخي القديم بما ورثته من أحقاد فارسية شعوبية تجاه الإسلام والمسلمين ، وتجاه الدول الإسلامية التي تهدف للسيطرة عليها .

فأما من الناحية الفكرية العقدية فهي لا شك مرتبطة بالموروث المجوسي الفارسي ، الذي ظاهره الرفض وحقيقته الزندقة والباطنية ، وقد تقدم في ثنايا هذا البحث ما يدل على ذلك . وأما من الناحية السياسية فهم يحاولون استعادة إمبراطوريتهم الفارسية ، أو ما يسمى اليوم بالهلال الشيعي الرافضي . ولهذه الغاية استباحوا كل محظور ، وتجاوزوا دونها كل مفازة بغية الوصول لذلك الهدف الشيطاني . وحتى يتقارب عليهم الطريق المؤدي لتلك الغاية المجوسية ، وضعوا أيديهم في أيدِ الصليبيين الكفرة ، وتحالفوا معهم لإسقاط الحكومات ، خصوصاً العربية ، أو لإسقاط المظاهر الإسلامية في بعض الدول التي تعاني من اضطهاد ديني في إظهار الشعائر الإسلامية . وبعد التحالف المجوسي الصليبي سيحاول كل فريق منهم أن ينال بغيته من الدول الإسلامية ، وسيذهب كل باغٍ بحصته التي يطمع للوصول إليها . ولأن الثورة الخمينية تهدف للتوسع على كافة الجهات ، فقد وضعت يدها في أيد الغرب الكافر المستعمر ، ومدت لهم العون للقضاء على البلاد الإسلامية ، أو تخريبها من الداخل ، وجعلها مستنقعاً للخراب الفكري والمدني والاجتماعي . وسأضرب على ذلك بثلاثة أمثلة معاصرة ، تصور التحالف المجوسي الصليبي ، وتجسد التواطؤ الرافضي الباطني والشيوعي الملحد على بلاد المسلمين ، كما فعل أشياعهم في الدول الشعوبية الماضية .

التحالف مع الصليبيين في احتلال دولة أفغانستان

تعتبر أفغانستان بالنسبة للإيرانيين ذات أهمية كبيرة ، من جهة حدودها ، ومن جهة وجود عامل التشيع في أفغانستان ، والذي من خلاله يسهل الدور المجوسي الفارسي لاختراق ذاك البلد المسلم ، إضافة للحقد الصفوي القديم على أفغانستان ؛ لأن نهاية الدولة الصفوية الماضية كانت على يد الأفشاريين الأفغان ، الذين رفضوا وقاوموا الحكم الصفوي ، ولم يقبلوا أن يكونوا تحت حكمهم .

ومما سهل أيضاً دخول إيران الصفوية لأفغانستان ، ومن ثَمَّ إعانة الغزو الصليبي ، شيئان رئيسان: **أولهما** : وجود نسبة من الشيعة الإمامية تصل إلى ١٠ % من نسبة السكان ، وهؤلاء الرافضة ، هم من أصول أفغانية ، أو من الفرس الذين نزحوا في وقت مضى . ولأن إيران تتبنى المذهب الرافضي الإمامي رسمياً في نظامها ، فهي تحاول رعاية جميع الشيعة الذين في خارج حدودها ، ومنها أفغانستان . فهي تقدم لهم المساعدات المادية والمعنوية ، وتقوم بإرسال المعونات إلى فئات من تلك الطبقات . وكذلك الحرص الحثيث على نشر المؤلفات باللغة الفارسية أو المحلية ، التي تبين وجوب التقارب لخدمة مذهب آل البيت المزعوم لديهم ، وتبين لهم أن الثورة الخمينية التي قامت ، ما هي إلا لإعادة الحكم للخلافة الإسلامية بقيادة الخميني وزمرته . وقد كان أتباع الخميني في البلدين يتفقون لإصدار مؤلفات يخصون بها الأفغان ، يخادعونهم بها بأنه كان مهتماً بالدعوة الإسلامية [(١)]. ومن الطرق كذلك إرسال الطلاب الأفغان في منح دراسية لتعلم المذهب الرافضي ، ومن ثم يعودون لبلادهم ليكونوا مبشرين لهم ودعاة للمذهب . ومما فعله الخمينيون أنهم وحدوا الجبهات الشيعية الرافضية في الداخل وضموهم تحت حزب واحد ، وهو : حزب الوحدة الشيعي ، وصار معترفاً به رسمياً ، ويمارس نشاطاته الدينية والسياسية ، وأصبح هو كالممثل للثورة الصفوية الخمينية ، وتستغل إيران ذلك الحزب للتدخل في البلد ، والضغط على الحكومة من خلاله ، بل في فترة من الفترات كان رئيس هذا الحزب نائباً للرئيس الأفغاني ، وهو عبد الكريم خليلي ، إضافة لقيادتهم عدة وزارات رسمية [(٢)].

وحتى ينتظم النشاط الرافضي الصفوي في أفغانستان ، قاموا هناك بإنشاء مركز باسم الخميني ، يتولى ويتابع جميع النشاطات الإيرانية ، الدينية والسياسية وحتى الرياضية للفئات المستهدفة بهذا المشروع الصفوي ، كل ذلك تمهيداً للسيطرة على بلاد الأفغان ، وكذلك توجد جامعة – خاتم

---

(١) ككتاب : دور الإمامي الخميني في الصحوة الإسلامية ، أصدره مركز النبي الأعظم الثقافي الإعلامي بكابل بمناسبة مرور أربعة وثلاثين عاماً على الثورة الخمينية ، والخبر نشره موقع وكالة أنباء الكتاب الإيراني الرسمي ، بتاريخ : ١٢ فبراير ٢٠١٣ م ، انظر الرابط :
http://www.ibna.ir/ar/doc/naghli/١٦١٥٠٧

(٢) انظر : خريطة الشيعة حول العالم ، ص : ١٩٧ ، ١٩٨ .

النبيين – ، وهي جامعة شيعية ، كما تمكنت إيران أيضاً من إنشاء صحف وجرائد يومية وأسبوعية وشهرية ، وكذلك قنوات فضائية ، مدعومة من كبار مراجعهم هناك ، ومن أشهرهم : آصف محسني [١]، وكل تلك القنوات تصب في مجرى أهداف الثورة الشعوبية [٢]، إضافة للنشاط التجاري والثقافي الكثيف هناك ، والشاهد مما تقدم أن إيران الصفوية باتت نفوذها واضحة في بلاد الأفغان [٣].

ثانيهما : وجود الآغاخان النزارية الإسماعيلية في أفغانستان

يتمتع الآغاخان النزاريون اليوم بميزات ونشاطات كبيرة ومدعومة ، في العالم وفي أفغانستان على الخصوص لهم وجود ونشاط كثيف ومنظم ، ولهم قنوات فضائية خاصة ، تصل لأربع قنوات أو تزيد ، وتلك القنوات مدعومة من كبير مراجعهم : كريم آغاخان زعيم الإسماعيلية هناك [٤]. ولقد قاموا بإنشاء شبكة كبيرة لهم ، باسم : شبكة الآغاخان للتنمية ، ولها أنشطة في كل المجالات ، السياسية والتنموية والإغاثية ، وتلك النشاطات هي وسيلة جذب قوية إلى المذهب الإسماعيلي النزاري على مستوى العالم . وهذه الطائفة وشبكتها مدعومة حتى من الدول الغربية الكبرى ، وحتى أيام الحرب السوفيتية الأفغانية كانت المواد الإغاثية من الأمم المتحدة تسلم لوسيط من هذه الطائفة دون غيرها ، فما هذه العلاقة الحميمة التي فوضت تلك الطائفة بتلك المهام إلا أن تكون دعماً لها وحرباً شعوبية صليبية على المسلمين وعقيدتهم . وأما عن علاقتهم بالروافض هناك وبأتباع الخميني فهي واضحة ومشهورة ، من جهة اللقاءات بين المراجع ومشايخ المذهبين ، ومن جهة التسهيلات التي يقدمها النزاريون لأتباع الخميني . ومما سبق يتبين أن هذه الطائفة والإيرانيين الصفويين بينهما علاقة في داخل أفغانستان أو خارجها [١].

---

[١] انظر : خريطة الشيعة حول العالم ، ص : ١٩٨ .

[٢] انظر مقال بعنوان : نشاط الشيعة في أفغانستان ، في موقع البرهان ، على الرابط : http://alburhan.com/main/articles.aspx?article_no=٢٤٠٥#.VsdIk_krLIU

[٣] انظر : خريطة الشيعة حول العالم ، ص : ١٩٩ .

[٤] انظر : المرجع السابق ، ص : ١٩٧ .

[١] انظر مقال عن دور الآغاخان النزاريون في أفغانستان وخارجها في موقع شبكة الدفاع عن السنة ، على

=

وأما عن بداية الغزو الصليبي بقيادة الأمريكان والبريطانيين ، وتعاون الصفويين ، فبعد ما عُرف بأحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠١١م ، الذي كان كمشهد تمثيلي لمحاولة إقناع العالم كله بالحرب على الإرهاب الذي تقوده أمريكا ، ويقصدون به الحرب على الإسلام ، فاستغلت ذلك الحدث لاستباحة احتلال بلاد الأفغان ثم العراق ، فحركت جيوشها واستقرت بذلك البلد ، وترتب عليه قتل وتشريد المسلمين وتمكين الروافض المجوس . وأما عن دور الإيرانيين معهم فكانت الاجتماعات كثيرة ، والمساعي حثيثة في خدمة الصليبيين ، ولتظفر إيران الفارسية بالنفوذ داخل البلاد ، والقضاء على كل التنظيمات والحركات التي تعارض مشروعها الصفوي الإيراني ، إذ إن إيران تخشى قيام قوة سنية تكون خطراً على مشروعها ، وكذلك سمحت بمجالها الجوي ليستخدمه الغزاة في تلك الحرب . وكذلك أقامت تحالفاً في شمال أفغانستان ودعمته بالسلاح والجيوش ، إضافة للدعم الصليبي ، كل ذلك لضمان عدم قيام حكومة سنية أو حركة تهدد الوجود الصفوي الرافضي ، ولقد شهد الفرس الصفويون على أنفسهم بتلك الإعانات ، بل تبجحوا بها أمام العالم ، وامتنوا بها على الصليبيين حين قالوا : لولا إيران لما استطاعت أمريكا غزو أفغانستان والعراق[1] . و

كان من أبرز الفوائد التي اكتسبها الصفويون من الصليبيين من ذلك التحالف الغادر ، هو التمكين لهم بنشر المذهب الرافضي المجوسي في كل الدول ، وكذلك التحالف ضد العراق لإسقاطه وضمه إلى مشروعهم التوسعي ، الذي كان ثمناً لتحالفهم مع الصليبيين ، ولقد ظهرت

الرابط :
http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=٨٠٨٣٨
وعلى الرابط أيضاً :
http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=١٦٨٧٧٣

[1] وممن قالها : محمد أبطحي نائب الرئيس الإيراني للشئون القانونية والبرلمانية في إحدى المناسبات بتاريخ : ١٥ يناير ٢٠٠٤ م ، انظر رابط التصريح ، على :
http://fnoor.com/main/articles.aspx?article_no=٣٦٨٧#.VtZ٢_fkrLIU

حقيقة التحالف الصليبي الشعوبي الفارسي في الوقت الحاضر ، بعد حادثة ١١/سبتمبر [١].

التحالف الصليبي الصفوي في احتلال العراق

لا يزال التسلسل العدائي الشعوبي المجوسي على بلاد الرافدين ؛ لغزوها ، وضمها تحت الملك الصفوي الإيراني ؛ ولأن العراق كانت عصية في مقاومتها ضد الغزو المجوسي الفارسي ، استعان الفرس بالصليبيين والصهاينة ، من الأمريكان والإنجليز واليهود الصهاينة وغيرهم ، في غزو العراق في : ٩ / أبريل – ٢٠٠٣م ، إذ كانت حجة الغزو الصليبي حينها ، وجود أسلحة دمار شامل مع النظام البعثي العراقي الذي كان هو أيضاً مصدر وباء ووبال على البلاد ، وقد زعم الصليبيون أنهم يهدفون لنزع ذاك السلاح المخوف ، ولحماية الشعب العراقي ، وتوطين الحريات لهم ، إلى غير ذلك من الكذب والافتراء الواضح المبين .

ولقد كذّب أولئك الصليبيون أنفسهم بأنفسهم وباعترافهم[٢] ، بعد أن دخلوا البلاد وأفسدوها وسلموها للصفويين الإيرانيين ، والله المستعان .

وعند التأمل لذلك الغزو الصليبي المجوسي تجد أنه حقق أهداف شعوبية صليبية رئيسة ، منها :

١ / إيجاد أماكن دائمة للمستعمر الصليبي بالقرب من بلاد المسلمين ، ينطلق منها في مشروعه التخريبي والإجرامي ، وللتجسس على مصالح المسلمين .

٢ / مساعدة المشروع الإيراني الصفوي في التمدد والتوسع ضد البلاد العربية الإسلامية ، وهذا من أخطر الأهداف ، فبعد إعانة الصفويين للصليبيين في غزو أفغانستان ، جاء غزوهم للعراق وتسليمه لهم ، كهدية مقابل معونتهم السابقة .

---

[١] انظر : تصاعد المد الإيراني ، ص : ٣٨٧ – ٤٠٢.

[٢] ومنهم وزير الدفاع الأمريكي رامسفليد ، ووزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس ، ورئيس الوزراء البريطاني : توني بلير ، وغيرهم ، انظر كتاب : ما سمعته عن العراق ، للكاتب الأمريكي : إليوت وينبرغر ، ص : ٥٠ ، ٦٥ . وفي هذا الكتاب بين الكاتب الأمريكي عدة تصريحات سمعها من رموز ذاك الاحتلال الصليبي ، وللتوسع يراجع المرجع نفسه .

٣ / محاولة القضاء على الحكومات الإسلامية ، والعربية منها خصوصاً ، تحت مسمى : الشرق الأوسط الجديد أو الكبير [١]، أو الربيع العربي أو الفوضى الخلاقة [٢]... وبالتالي تصبح البلاد الإسلامية فوضى لا حامي لها .

٤/ الحفاظ على أمن الدولة اليهودية الصهيونية ، وضمان قيام دولتها المزعومة في فلسطين [٣].

٥ / سلب جميع الخيرات ، المادية والاقتصادية والزراعية والنفطية وغيرها ، وجعل الفقر والجوع والأمراض مزروعة في بلاد المسلمين بسبب تسلط أولئك الصليبيين . وكذلك استهداف العلماء والباحثين وذوي الخبرات في شتى المجالات ، واستهداف المعامل والمحاضن العلمية ، مما يؤكد أن الاستهداف نوعي ، ليس خبط عشواء .

٦ / استدراج الدهماء وسفهاء الأحلام من شباب المسلمين ، لتلك المناطق المكتظة بالصراعات والقتل والنهب ، بحجة الجهاد ، ومن ثم تهيئة المجال لتلك الفرق والأحزاب في التناوش فيما بينها ، حتى أصبحت البلاد مأوى للجماعات المسلحة ، على اختلاف توجهاتها الفكرية ، وأصبح الشباب وصغار السن ، ومن يُعوّل عليهم في مستقبل الأمة ، هم وقود تلك النزاعات الهدامة .

وأما عن حال أهل السنة هناك فقد كان شر حال ، وشرد بهم كل طريق ، ونكل بهم كل التنكيل. ولقد كان التحالف الصليبي المجوسي يتعمد تدمير المحافظات السنية [٤]، وترك المحافظات التي يسكنها الروافض المجوس ، وكان الصليبيون أيضاً يتعمدون إذكاء الخلاف والشقاق بين السنة والشيعة ، ويحرضون ويسلحون الروافض على أهل السنة . والشاهد أن العراق أصبح من أسوء الدول في العالم من حيث الدمار والأمراض والتشريد والتهجير ، والفقر والجوع واليتم ، فلقد تجاوز القتلى المليونين والنصف ، خلا المصابين ، والمهجرين ، والمفقودين ، ولقد دخل العراق بسبب التحالف الصليبي المجوسي الباطني ، في تصنيف أسوأ الدول وأكثرها وباء في العالم [١]. ولم

---

[١] انظر : مشروع الشرق الأوسط الكبير ، عبد القادر المخادمي ، ص : ٤٩ — ٦٢ .

[٢] انظر : الفوضى الخلاقة ، رمزي المنياوي ، ص : ٢٧ .

[٣] انظر : مشروع الشرق الأوسط الكبير ، ص : ٤٢ .

[٤] انظر : ما سمعته عن العراق ، ص : ٥٩ .

[١] انظر : العرب السنة في العراق ...، إعداد مركز البيان للبحوث والدراسات ، ص : ١٣٧ .

يقف ذاك التحالف عند هذا الحد ، فبعد السيطرة على البلاد ، عين الصليبيون منهم حاكماً يقوم بوضع الدساتير والمجالس ، وأحل قادة الجيش العراقي بكامله [1]، ثم سلمت القيادة والتحكم لأيد الفرس المجوس ، وأصبح العراق يدار من طهران .

الدور الشعوبي الفارسي في الغزو الصليبي للعراق

إضافة لما تقدم ذكره من إعانة الصفويين الفرس للغزاة الصليبيين على العراق ، كان لا بد من تسليط الضوء على بعض الأمور التي كان فيها للصفويين المجوس دور بارز في تمكين ذلك الغزو الصليبي الجائر ، ومنها :

فتوى المرجع الرافضي السيستاني

حينما بدأت الحملة الصليبية على العراق ، كان قادتها يخشون من وجود مقاومة عراقية تعطل تلك الحملة ، خصوصاً وأن لشعب العراق شيء من المهارة في ذلك ؛ لكثرة ما وقع في بلادهم من الفتن والحروب . ومن المواقف الرافضية المخزية : فتوى المرجع السيستاني شيخ النجف وكربلاء ، بعدم جواز المقاومة للغزاة ، لأن الجيش جاء لمصلحة الشعب العراقي ، ولأن إقامة الجهاد المقدس عندهم لا يكون إلا بالإمام القائم. وذكر الحاكم الأمريكي حينها – بريمر – ، والذي كان أيضاً يصرح بوجود المراسلات بينه وبين السيستاني ، بل ويصفها بالفارسية [2].

والشيء لا يستغرب من معدنه ، فلقد سبقهم ابن العلقمي مع هولاكو ، وكذلك الطوسي وزيره ، وغيرهم [3].

المجازر ضد أهل السنة في العراق

بعد أن سلم الصليبيون العراقَ للصفويين المجوس ، بدؤوا يرسلون جنودهم وجواسيسهم زرافات ووحداناً ؛ للنيل من أهل السنة هناك ، وليفتكوا فيهم قتلاً وتشريداً وانتهاكاً للأعراض ، وتيتيماً للأطفال . وبعد أن تأكد أولئك الصفويون من ضعف المقاومة وقلة الحيلة ، أخذوا يستولون على

---

[1] انظر : ما سمعته عن العراق ، ص : ٢٩ .

[2] انظر : السيستاني تحت المجهر ، ص : ٤٣ ، ٤٤ ، والعرب السنة في العراق ... ، ص : ٩٩ ، ٢١٦.

[3] انظر : إغاثة اللهفان لابن القيم ، ص : ٧٦٥ – ٧٦٦

المحافظات السنية والقرى ، وإحلال المذهب الرافضي وشعائره فيها بالقوة والجبر ، وأصبحت الإبادة على السنة بالآلاف ، ومُنع أهل السنة من إظهارها . بل أصبح المسلم يقتل فقط إذا كان يسمى بـ : أبي بكر أو عمر أو عثمان أو عائشة أو حفصة ، وكان بعض الصفويين يصرحون بأن غزوهم العراق هو بيوم القادسية ، وكان بعض الجنود الصليبيين يحمل معه صوراً للبرجين اللذين تم تفجيرهما في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠١١م ، ليكون تحفيزاً لهم على الانتقام (١).

تنصيب الحكام ذوي الولاء الرافضي الصفوي

وهذا الشيء مما سهل كثيراً اجتياح الصفويين الفرس للعراق ، ومن ثم الاستيلاء عليه ، حيث أن التعاون الصليبي المجوسي تمخض عن تنصيب من يوالي المشروع الإيراني المجوسي تحت ولاية الفقيه ، وغالب أولئك الرويبضة الذين نالوا مناصب هامة في العراق بعد غزوه هم من هذا القبيل . إذ إنهم بعد أن كانوا مطرودين من البلاد ومنبوذين ، عادوا إليها على طائرات الغزاة ودباباتهم الصليبية ؛ لينتقموا من المسلمين عموماً ومن أهل السنة خصوصاً . ومن أبرز أولئك المدعو : نوري المالكي ، رئيس الوزراء العراقي لفترتين (٢٠٠٦ – ٢٠١٤ م) (٢). الذي بدأ مشواره الرافضي الصفوي بانتظامه في حزب الدعوة الشيعي في العراق إلى أن صار أميناً له ، وهذا الحزب قد بايع الخميني بعد ثورته . وفي عهده امتلأت السجون بالمعتقلين ، ودمرت البلاد ونهبت خيراتها ، وسلمت مفاصلها للفرس . وعداؤه لم يقف عند أهل السنة في العراق بل تعداها خارج البلاد ، فلقد كان شديد الحقد والبغض على بلاد التوحيد السعودية ، وكثيراً ما يصرح ضدها ، ويتهمها زوراً بتفريخ الإرهاب ، وأنها منبع التكفير والتفجير . وصدق من قال : رمتني بدائها وانسلت !!! ، فمن الذي مكن الحرس الثوري الإيراني وأذرعه من أهل العراق وأهله إلا هو ، ومن الذي أضعف الجيش العراقي وجعله يترك أسلحته ومعداته في أيد التنظيم الخارجية الباطنية ، وأصبح الناس بعدها في حالة من الخوف والهلع مما يحاط بهم من تلك التنظيمات الجائرة الفاجرة . ولقد كان من فجور هذا الرجل أنه يتبجح أمام الإعلام بمذهبه الرافضي ، ويحضر علناً المناسبات

---

(١) انظر : ما سمعته عن العراق ، ص : ٢٦ .

(٢) انظر : جريدة الشرق الأوسط ، مقالاً بعنوان : وما أدراكم من هو نوري المالكي ؟ ، هدى الحسيني ، نشر بتاريخ : ٢٦ محرم ١٤٣٣هـ ، الموافق : ٢٢ ديسمبر ٢٠١١م ، العدد : ١٢٠٧٧.

الرافضية الصفوية ، كالاحتفال بعاشوراء ، وكذلك التصريح بالعداء لبني أمية ، وتصنيفه الناسَ إلى فسطاط مع علي بن أبي طالب ، وفسطاط مع يزيد بن معاوية ودولته ، وكان يطعن في الصحابة علناً ، مما يؤكد ضلوع ذاك الرجل من الناحية الفكرية العقدية والسياسية في المشروع الصفوي المجوسي الصليبي .

وفي عهده أصبح الفرس الإيرانيون متمكنين في العراق ، بل يدخلون إليها بدون أوراق رسمية ، إشارة منهم إلى أن العراق هو ملك صفوي فارسي ، والخائن البائر يؤيدهم على ذلك . وبعد فترة من التحالف الصليبي المجوسي كان من أخطر نتائجه إعلان الفرس المجوس وصايتهم رسمياً على العراق ، في وسائل الإعلام ، وأوعز علي خامنئي بذلك لأتباعه ، وجعل له نائباً ووصياً في العراق ، وهو أحد مستشاريه ، ويدعى : مجتبى حسيني [1]. وهل سيكون ذلك الأمر الخطير الذي أعلن من قبل الفرس وأمام وسائل الإعلام إلا بتواطؤ من القوى الصليبية والمجوسية ، مما يؤكد خطورة ذاك الهدف الشعوبي الفارسي في الاستيلاء على البلاد العربية الإسلامية ، وما نزال إلى اليوم نشاهد آثار ذلك الغزو الصليبي الشعوبي على العراق وغيرها من البلاد الإسلامية ، وأهلها في ضنك من العيش وفي غربة من الدين ، فالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

التحالف الصفوي النصيري على بلاد الشام

وأما في سوريا فقد ازداد الأمر تعقيداً وضراوة على المسلمين ، من تعاون الصليبيين مع الفرق الشعوبية الباطنية ، فبعد أن أصبحت سوريا في أيد النصيريين بعد الاستعمار الفرنسي الصليبي ، وحصل بعد ذلك التقارب الخميني الرافضي مع النصيريين الباطنيين ، وقد تقدم الكلام عن ذلك.

تولى نجل حافظ الأسد بعد أبيه ، واستكمل المشروع الباطني الصفوي الذي بدأه أبوه من قبله ، لكن كان الأمر أهون من لاحقته ، خصوصاً بعد ما سمي بالربيع العربي ، الذي خطط له اليهود الصهاينة ، وحماه وأيده الصليبيون وأذنابهم من الفرق الشعوبية وغيرها ، وكذلك ساهم فيه من انخدع ببريق الشعارات الغربية الزائفة ، التي تتحدث عن الحرية والديمقراطية ، وقيام الشرق الأوسط الجديد ، ولا يستبعد أن أولئك اليهود والصليبيين والشعوبيين زرعوا لهم عملاء مدسوسين داخل المسلمين ، ليكوّنوا صف المنافقين . والشاهد أنه بعد قيام تلك الفتن والفوضى

---

[1] انظر : صحيفة الوئام الالكترونية ، بتاريخ : ٣٠ يوليو ٢٠١٥ م .

والنكبات في عدد من البلاد العربية ، كانت سوريا من ضمنها ، وغرر بالدهماء والعامة ليواجهوا النظام النصيري الباطني ، ولم يستمعوا لنصح أهل العلم والحكمة في أن يصبروا حتى يستريح بَرٌّ أو يُستراح من فاجر ، أو يجعل الله لهم مخرجاً ، وكيف يواجهون ذاك النظام وهم عُزّل ؟!! ، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

بعد ذلك حصلت المجازر النصيرية في أهل البلد ، ودمر الطغاة وجندهم البلاد ، وهدموا البُنى التحتية ، والمساكن ، وخربوا كل جميل فيها ، وظهرت ضغائنهم على المسلمين ، إذ إن أولئك الباطنيين لو كانوا يستشعرون أنها بلادهم ، ما خربوها ولا جعلوها كالتراب ، لأن الحر والعاقل لا تهون عليه وطنه ، ويقدم الظعن عنها على تخريبها ، لكن لأنهم يعلمون أنها ليست لهم وأنهم مغتصبوها ، فعلوا فيها تلك الأفاعيل ، التي تؤكد أنهم ما جاؤوا إليها وحكموا فيها إلا لتخريبها وسلبها خيراتها وأهلها . فأصبح القتلى بمئات الآلاف ، والمهجرين بالملايين ، وعمت الأوبئة ، وانتشر الفقر والجوع ، وأصبحت المباني والبيوت كالتراب والحصى ، وصارت النكبة السورية من أعظم النكبات على المسلمين في التاريخ الإسلامي ، قديماً وحديثاً .

وكان من زندقة النصيريين وفجورهم أنهم يمتحنون الناس على الولاء لحزبهم ، ولرئيسهم النصيري ، فلقد تناقلت وسائل الإعلام واستفاضت فيها صور الجنود النصيريين وهم يقولون للعامة : من ربك ؟ قل : ربي بشار ، لا إله إلا بشار ، ونحو هذا ..... تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

ولم يكن النظام النصيري الباطني وحده هو القائم بتلك الأفعال ، بل معه أعوانه الإيرانيين ، الذين دعموه بالسلاح والجنود ، فكانت جنود الحرس الثوري الإيراني بالآلاف يذهبون لمعونة النصيريين ، وكذلك حزب الله اللبناني الرافضي ، الذي يعد من أخطر الأذرع الخمينية الصفوية . ولقد كان رموزهم يصرحون بأن الحرب في سوريا مقدسة ، ولا بد من الجهاد مع النصيريين ، فأفتى مرشدهم الخامنئي بوجوب نصرتهم ، بل إنه صرح بأن جنوده يحاربون ضد الكفر ، وهذا تصريح منه بتكفير المسلمين هناك ، واستباحة قتالهم [1]، مما يؤكد أن الحرب عقدية فكرية ، ولأن سقوط النظام البعثي عندهم يعد فشلاً للمشروع الصفوي ؛ بذلوا كل الطرق والوسائل لمنع

---

[1] انظر الخبر في شبكة الدفاع عن السنة ، على الرابط :
http://www.dd-sunnah.net/news/view/action/view/id/٢٢٣٠٧/

سقوط النظام النصيري . فهل بقي شك في أن الحركة الشعوبية المعاصرة تسعى جاهدة لتطويق البلاد الإسلامية ؟!

وعندما أُنهكت الجيوش الباطنية الرافضية الشعوبية ، وبدأت تخور شيئاً فشيئاً ، قرروا الاستعانة بالصليبيين الأرثوذكس الروس ، والميل بهم على بلاد المسلمين في سوريا ؛ لينقذوا مشروعهم الصفوي الباطني من السقوط[1]. فأعلن الرئيس السوري بشار الأسد استعانته رسمياً بالقوات الروسية الصليبية. وما أشبه هذا الفعل بما فعله النصيريون الباطنيون في القرن الماضي من الاستعانة بالصليبيين الفرنسيين وطلبهم تكوين دولة خاصة بالنصيرية . وهكذا يتبادل أولئك الصليبيون الأدوار على المسلمين ، وكأنه شيء متفق عليه مسبقاً . فحينها حرك الروس طائراتهم ودباباتهم وبوارجهم ، واستقروا بسوريا ، وبدؤوا يعيدون للنظام النصيري عدداً من القرى التي فقد السيطرة عليها ، والجنود الصفويون يسهلون لهم ذلك ويشاطرونهم المهمات . وبهذا اجتمعت القوى الصليبية والشعوبية على المسلمين ، وأحدثوا في البلاد كل بلاء ونكبة ، وسلبوا الخيرات والمنافع ، بعد أن كانت بلاد الشام زينة في الجمال والخضرة والبهاء ، ها هي اليوم تدنس بأيدٍ صليبية مجوسية باطنية . وليس قصدهم المنفعة المادية أولاً ، بل محاولة القضاء على الدين الإسلامي ، وحسر الدعوة إليه ، وإشغال أهله عن ذلك . وأصبح وجود أولئك الصليبيين في خاصرة البلاد الإسلامية ؛ ليكون وجودهم وانقضاضهم على المسلمين عن كثب . ومما يؤكد أن الحرب عقدية فكرية عدائية ، وأن الفكر الشعوبي حالٌّ فيها ، أنك لا تجد أياً من المراقد الرافضية القبورية أو المخابئ الباطنية ، أو الكنائس والبيع ينالها شيء من الأذى ، وأما مساجد المسلمين ومدارسهم ومحاضنهم فتهدم على رؤوس أهلها ، حتى مقابر المسلمين لم تسلم من أولئك الفسقة ، وبهذا ستزول مظاهر الإسلام ، بسبب تواطؤ قوى الغرب الصليبية ، والشرق المجوسية الصفوية ، والروسية والهندوسية ، فإلى الله المشتكى وحده ، ولا حول ولا قوة إلا به.

---

[1] وذكرت بعض الصحف الإيرانية أن إيران هي التي طلبت من الروس التدخل ، انظر : موقع العربية نت ، نشر في : ٦ رجب ١٤٣٧هـ ، الموافق : ١٣ أبريل ٢٠١٣م ، على الرابط : ٣qr٢http://ara.tv/z

المطلب السابع : إيجاد الحركات الموالية لها ودعمها

وهذا المظهر الشعوبي في تاريخ الثورة الصفوية الشعوبية كان من أكبر التهديدات الخطيرة التي نشرت الفكر الشعوبي ، وأقلقت المسلمين فكرياً واجتماعياً وسياسياً ، حيث أن هذه الثورة زرعت لها أذرعاً كثيرة في خارجها ، وفق رؤيتها ومصلحتها ؛ ولتساعدها في التوسع الصفوي الشعوبي ، وتكون معاول هدم للعقيدة ، وللحكومات الإسلامية ، وبتجنيد كتائب من البغاة والجناة والمغتالين المرتزقة ، الذين يتربصون بأهل السنة ، ويسومونهم سوء العذاب . فلا تكاد تنزل منهم على المسلمين نازلة ، أو تحل منهم قارعة إلا بتدبير أسيادهم الخمينيين الشعوبيين ، وبتنفيذ تلك الأذرع المستأجرة ، التي توالي تلك الثورة الفاسدة . حتى إن بعض الحركات الموالية لتلك الثورة الشعوبية صارت أشبه بالدولة داخل الدولة التي تنتظم تحت مسماها ، وأصبحت المؤثر الفعلي في سير أنظمة الدولة في داخلها ، وأما من جهة المظاهر الدينية الشركية الصفوية ، فواضحة للعيان . وسأذكر مثالين لأبرز الحركات الموالية لتلك الثورة الصفوية ، التي استطاع الفرس المجوس تسليطهما على بلاد المسلمين ، وهما :

أولاً : حزب الله في لبنان

بدايته وتأسيسه : بدأ هذا الحزب في مطلع الثمانينات في القرن الماضي ، في صورة حزب مقاوم للاحتلال اليهودي في جنوب لبنان ، وكانت السلطة في لبنان حينها هشة ومن السهولة بمكان اختراقها ؛ لكثرة النزاعات الطائفية والأهلية فيها . وقد كان أخطر الأطراف هناك ، اليهود الصهاينة ، والروافض في جبل عامل ، الذي يعتبر من أكبر وأقدم المراجع الرافضية هناك . كانت بداية نشاط هذا الحزب على يد المرجع الشيعي : محمد حسين فضل الله ، ثم عين أميناً له ، وهو : صبحي الطفيلي ، ثم أقيل ، ثم عين بعده : عباس الموسوي ، الذي قتل على يد اليهود عام ١٩٩٢م ، وبعده تم تعيين المدعو : حسن نصر الله [١]، أميناً عاماً لذلك الحزب الشيطاني

---

[١] هو : حسن عبد الكريم نصر الله ، الملقب بخميني العرب ، من مواليد : ٢١ أغسطس ١٩٦٠م ، بدأ بتعلم المذهب الإمامي في النجف وكربلاء ، والتحق بحركة أمل الشيعية في لبنان ، وعين مسئولاً عن إقليم البقاع ، ثم عضواً في المكتب السياسي عام ١٩٨٢م ، ثم انفصل عن حركة أمل والتحق بحزبه الحالي ، وعين مسئولاً عن بيروت ، ثم عين عضواً في القيادة المركزية ثم في الهيئة التنفيذية للحزب عام =

الصفوي ، ولا يزال أميناً له [1].

وأما عن الأطوار التي حصلت قبل تكوين هذا الحزب الباغي ، فقد خرج هذا الحزب من المنظمة الرافضية ذات الولاء الخميني ، وهي : حركة أمل في لبنان ، والتي أسسها المرجع الرافضي : موسى الصدر الذي كان له الدور الرئيسي في تنظيم التجمعات الشيعية في لبنان وجعلها تحت مجلس واحد برئاسته [2]. وحركة أمل هي حركة إجرامية دموية ، كانت سبباً في قتل وتشريد أهل السنة في لبنان ، وفي مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ، وكانت تلك المنظمة مع العدو الصهيوني يتآمران على أهل السنة بتهمة الإرهاب و– الوهابية –، وكانا كوجهين لعملة واحدة ، وما حصل منهما في مجازر لبنان وفلسطين وصبرا وشاتيلا ليس ببعيد [3].

انشق حزب الله عن تلك المنظمة بغية التوسع السياسي والعسكري والفكري من قبل سادته في إيران ، لنشر المشروع الخميني الشعوبي خارج لبنان ، وفي الحقيقة أنه نال حظاً كبيراً من ذلك ، فقد أصبح ينفذ الكثير من الأعمال الدينية والسياسية والإجرامية ، التي توعز إليه من سادته من طهران ، فهذا الحزب هو إيران خارج إيران ، وأمينه الحالي هو نسخة من مشروع الخميني [4].

الارتباط العقدي الفكري بين حزب الله والثورة الخمينية

يعتبر هذا الحزب وليداً وثمرة لتصدير الثورة الخمينية ، على نهج ولاية الفقيه التي اخترعها وأقرها الخميني . ففكرة هذا الحزب نشأت من طهران ؛ لتكون اليد الطولى لها في لبنان والشام ، ولساناً ناطقاً عن الثورة الصفوية هناك ، يقول أمينه الحالي : حسن نصر الله ، معترفاً بولاية الفقيه :

١٩٨٧م ، وبعد قتل عباس الموسوي ، عين أميناً عاماً للحزب منذ عام ١٩٩٢م ، ولا يزال في منصبه هذا ، انظر كتاب : ماذا تعرف عن حزب الله ؟ ، علي الصادق ، ص : ٢٣ .

[1] انظر : الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة ، ص : ٦٢ ، ٦٣ .

[2] انظر : المرجع السابق ، ص : ٣٤ — ٥٥ .

[3] انظر : ماذا تعرف عن حزب الله ؟ ، ص : ١١ — ٢٦ ، وقد صرح الأمين السابق لحزب الله ، أمين الطفيلي بقوله : إن حزب الله هو حرس حدود لإسرائيل ، المرجع السابق ، ص : ١٠١ — ١٠٤

[4] انظر : الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة ... ، ص : ٧٢ ، ٧٣.

" ... الفقيه هو ولي الأمر في زمن الغيبة ، وحدود مسئوليته أكبر وأخطر من كل الناس ، نحن ملزمون باتباع الولي الفقيه ، ولا يجوز مخالفته ، فولاية الفقيه ، كولاية النبي ﷺ ، والإمام المعصوم عليه السلام ، وولاية النبي والإمام المعصوم واجبة ؛ لذلك فإن ولاية الفقيه واجبة ، والذي يرد على الولي الفقيه حكمه ، فإنه يرد على الله وعلى أهل البيت عليهم السلام ... " [1].

ويقول نائب أمين هذا الحزب ، وهو : نعيم قاسم ، : (... إن ولاية الفقيه تمثل الاستمرارية لولاية النبي ﷺ ، والأئمة عليهم السلام ، في الدور المناط بها ...)[2] ، ويقول أيضاً : (... إن التزام حزب الله بولاية الفقيه ، حلقة من هذه السلسة ، إنه عمل في دائرة الإسلام وتطبيق أحكامه ، وهو سلوك في إطار التوجهات والقواعد التي رسمها الولي الفقيه ...)[3] . ولا يزال هذا الحزب مستمراً في منهج الولي الفقيه مع المرشد الثوري الحالي ، علي خامنئي ، حيث يقول حسن نصر الله في خطابه الذي ألقاه بعد توليه الحزب : (سيبقى ولي الأمر آية الله الخامنئي ، قائدنا وإمامنا وسيدنا وقدوتنا في الجهاد والصبر والعزيمة ... وسيبقى هذا العصر ، عصر انتصار المستضعفين على المستكبرين ، عصر الخميني الكبير ، ولو كره الكافرون والطواغيت)[4] . ويقول ناطق الحزب إبراهيم الأمين : (... نحن لا نقول إننا جزء من إيران ، نحن إيران في لبنان ، ولبنان في إيران ...)[5] .

وبعد هذه النقولات يتضح جلياً ولاء هذا الحزب الشعوبي وارتباطه الفكري بالثورة الخمينية ، إذ إنه أُسس بأفكار وأيدٍ مجوسية فارسية رافضية ، وزرع في بلد عربي باسم التشيع لآل البيت ، وباسم مقاومة الصهاينة !! ، ويتضح أيضاً أن أصول وأفكار ذاك الحزب على أصول المذهب الرافضي الغالي ، الذي قامت عليه تلك الثورة الشعوبية .

أهداف الحزب : يهدف الحزب إلى إقامة دولة رافضية مجوسية في لبنان ، على نهج الولي الفقيه

---

[1] انظر : خميني العرب حسن نصر الله والرافضة الشيعة الشر الذي اقترب ، سيد العفاني ، ص : ١٨٠

[2] انظر كتابه : حزب الله – المنهج التجربة المستقبل – ، ص : ٨٣

[3] المرجع السابق ، ص : ٨٧

[4] خميني العرب .... ، ص : ١٩٧

[5] ماذا تعرف عن حزب الله ؟ ، ص : ٧٩

، ويبدأ ذلك بتعزيز وجوده في لبنان والحفاظ على تصدير الثورة الخمينية هناك وحضورها بقوة ، ومن ثم تمدد الدولة الفارسية الكبرى التي يهدفون إليها . وهذا الحزب لم يقف يوماً عند الحضور السياسي أو الديني فقط ، بل صرح بأنه يطمح ويطمع لما هو أخطر من ذلك ، وهذا ما صرح به أمينه خميني العرب ، حين قال : (إن رغبة الحزب هي إقامة جمهورية إسلامية يوماً ؛ لأن حزب الله يعتقد أن إقامة حكومة إسلامية ، هي الطريق الوحيد لاستقرار المجتمع ، وهي الطريقة الوحيدة لتسوية الخلافات الاجتماعية ، حتى في مجتمع متكون من أقليات متعددة) [١] . ويقول حسين الموسوي وهو أحد قادة الحزب الحالي : (تأسيس دولة إسلامية في لبنان ليس ما نطالب به ، وليس الهدف إقامة الإسلام في بلد واحد ، بل تأسيس الدولة الإسلامية الشاملة الكبرى التي تستوعب لبنان ...) [٢] . وبعد تلك النقولات لرموز حزب الشيطان ، لم يعد للشك مجال في أن هذا الحزب من أعمدة الحركة الشعوبية المجوسية المعاصرة ، الذي استقى عقائده من المذهب الرافضي الغالي ، ومنهجه من ولاية الفقيه الخمينية العدائية . وكذلك تحاول إيران الصفوية بواسطة ذراعها الخارجي الخطير – حزب الله – أن تتفَلّت من سيطرة ومضايقة القوى الغربية الصليبية الكبرى لها ، من خلال الضغط على دولة بني صهيون ، وتهديدها ما بين فترة وأخرى ، وهو وإن كان أشبه بالربض على الأكتاف إلا أن إيران تتعمد مثل تلك الطرق ، ومهما اتفق الطرفان على المسلمين ، فإن لدى كل منهما مخططاته وأطماعه التي يريد أن ينفذ إليها ، وبذلك تضمن الدولة الصفوية المجوسية حصتها من الدعم والأسلحة من قبل الصليبيين ، والحضور القوي داخل المناطق العربية ، وهذا يؤكد البعد العميق والخطير الذي حصلته الثورة الصفوية من قيام مثل تلك الأحزاب الإجرامية الشعوبية ، التي قامت على أساس ولاية الفقيه ، ونتيجة لتصدير الثورة الجائرة [٣].

---

[١] خميني العرب... ، ص : ٣٢٩ ، ولاحظ أنه يدندن حول موضوع الأقليات لما لنظام الأقليات من دور تخريبي في الدول الإسلامية .

[٢] المرجع السابق ، ص : ٣٢٩

[٣] انظر : حزب الله ... وسقط القناع ، أحمد فهمي ، ص : ٣٤٤ – ٣٤٧

أبرز الأساليب التي ينهجها حزب الله لدعم الثورة الشعوبية الصفوية خارج إيران

أولاً : من أساسيات أعماله من الناحية العقدية والفكرية ، المحافظة على المظاهر الرافضية المذهبية لديهم ، والمشاركة في المناسبات الحولية والمتكررة ، التي تمثل الجانب التعبدي عندهم ، حتى لا تخبو نار المجوس والوثنية ، كالاحتفال بعاشوراء ، والغدير ، والاحتفال بذكرى الثورة الخمينية ، وكذلك المحافظة على سلامة المنهج الحزبي ألا يخرج عن ولاية الفقيه الخمينية ، وقد تقدم كلام زعيم هذا الحزب عن التزامه بنهج ولاية الفقيه الخمينية الرافضية .

ثانياً : الوقوف بجانب الأنظمة الباطنية وحمايتها ، وكذلك الصليبية والصهيونية ، فهذا الحزب قد كان ردءاً لنظام البعث النصيري ، وأداة من أدواته التي سلطها على الضعفاء والعزل (١) . بل يصرح قادة هذا الحزب بالمشاركة داخل الأراضي السورية في صف النصيريين ، منذ عام ٢٠١١م. وقبل ذلك كان له مشاركة باغية أثناء الغزو الصليبي المجوسي على العراق ، في اجتياح المحافظات السنية ، بجانب الحرس الثوري الصفوي وفيالقه التابعة له ، وتقديم الدعم والتدريبات ، حتى أصبح العراق تحت وطأة تلك الأحزاب المسعورة ، تنهش من لحوم أهله ليل نهار (٢).

ثالثاً : استخدام القنوات الفضائية

تتفق القنوات الفضائية الرافضية في محاربتها للعقيدة الإسلامية ، ومن خلال تلك القنوات يتم إبراز ذاك الحزب ، كحزب يقوم بالجهاد ، ويقاوم احتلال الصهاينة ، وفي المقابل تصور تلك القنواتُ أهلَ السنة بالتخاذل والعجز ، وعدم حماية المقدسات الإسلامية ، وقناة المنار الرافضية هي تابعة لذلك الحزب ، تنطق بإنجازاته ليل نهار ، وتحارب من خلال برامجها العقيدة وبلاد المسلمين . وكذلك استغلال وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي ، في عمل الروابط والهاشتاقات التحريضية بين المسلمين وحكامهم ، أو إشاعة الفتن والأكاذيب في صفوف المسلمين ، خصوصاً مهاجمة ذاك الحزب الدعي لبلاد التوحيد السعودية ، التي لها من الفضائل والأيادي

---

(١) انظر : الموسوعة الشاملة في الفرق المعاصرة ... ، ص : ١٢٥ – ١٢٩ .

(٢) انظر : خميني العرب ... ، ص : ٤٦٧ – ٤٨٠، وماذا تعرف عن حزب الله ؟ ، ص : ١٣٩، ١٤٠

البيضاء على دولته التي يعبث بها ، منذ الثمانينات في القرن الماضي ، أثناء الحروب الأهلية [1].

رابعاً : القيام بتهريب المخدرات والأسلحة

وهي من الأساليب القذرة لذلك الحزب الآثم ، إذ إنهم يضيقون ذرعاً بأن يكون شباب المسلمين ونسائهم في عافية وطيب نفس ؛ ولذا يجتهدون مع حربهم العقدية الفكرية إلى حرب جديدة تستهدف عقول وأجساد شباب المسلمين ؛ لإيقاعهم في شباك الإدمان والمخدرات ؛ ليكونوا عبئاً على بلادهم ، وجثثاً هامدة معطلة . ولا يزال هذا الحزب في تهريبه المخدرات مستهدفاً البلاد ، خصوصاً شباب دول الخليج العربي ، وما بين فترة وأخرى نسمع تصريح الجهات المسئولة التي تقبض على تلك السموم وبكميات مهولة ، ويكون مصدرها ذاك الحزب الشيطاني ، أو الحزب البعثي النصيري ، وهم بذلك يحصلون الفائدة المادية ، والعدائية باستهداف شباب المسلمين [2].

خامساً : من أبرز مظاهر الشعوبية في هذا الحزب :

أنه يجيّر كل المصالح الدينية والدنيوية للفرس المجوس ، وينسب الفضل لقادة الثورة الصفوية الفارسية ، ويشاركهم في إفساد البلاد العربية الإسلامية ، والمحاولة في اختراقها والسيطرة عليها وإسقاط حكوماتها ، ابتداء من لبنان ثم العراق والأحواز واليمن ، والسعي لاختراق دول الخليج العربي ، وعدد من الدول الأفريقية والآسيوية .

---

[1] وممن صرح بمهاجمة حزب الله للسعودية وشجب ذلك الفعل ، رئيس القوات اللبنانية : سمير جعجع ، الذي طالب حكومته بمنع حزب الله من التعدي على السعودية ، انظر : جريدة المدينة ، بتاريخ : ٢١ / ٢ / ٢٠١٦ م ، انظر الرابط :
http://www.al-madina.com/node/٦٦١٣٢٥

[2] صرح رئيس اللجنة الوطنية لمكافحة المخدرات ، بأن مصانع المخدرات في حزب الله تستهدف المملكة ، انظر الخبر في صحيفة سبق : https://sabq.org/LJpBKm ، وانظر رابطاً آخر حول هذا الموضوع في جريدة الشرق :
http://www.alsharq.net.sa/٢٠١٣/١٢/٢٦/١٠٣٢٩٤٢ ، وانظر أيضاً : حزب الله ... وسقط القناع ، ص : ٣٦٥

وحتى إن النخوة العربية الأصيلة انسلخت من هذا الحزب تجاه بلده، وهذا مثال واضح معاصر بأن الفكر الشعوبي يهدد العرب وغير العرب على السواء .

وكذلك موقفه العدائي من أهل السنة في لبنان ، حيث أن أهل السنة ينالهم من هذا الحزب أشد الأذى والتسلط حتى على المساجد والمدارس ، نهبوها وغيروا مسمياتها وفق النهج الرافضي ، وأصبح أهل السنة هناك تحت وطأة هذا الحزب ، ومعه الأحباش[١] والباطنية والدروز وغيرهم . ويمنع أهل السنة من طباعة كتبهم التي تدعو لتصحيح العقيدة والتمسك بالسنة ، وأما الكتب الرافضية فتطبع وتوزع بلا مقابل . ومع أنه يوجد مفتٍ لأهل السنة ، وتوجد أوقاف سنية ولها أوراق ثبوتية ، لكن لقوة الحزب الشيطاني وتغلغله في الحكومة ، لم يعد ذلك عليهم بشيء ، حتى المحاكم لم تستطع الفصل بينهم ؛ لأن القوة العسكرية والسيطرة معهم [٢]، والله المستعان .

سادساً : إنشاء فروع عديدة لحزب الله

بعد أن تمكن ذاك الحزب من السيطرة والتمدد العسكري والتأثير السياسي على دولته التي يعيش تحت مسماها ، لجأ بعد ذلك إلى أن يستنسخ تلك التجربة خارج لبنان إلى باقي الدول العربية وغيرها، وقد قام قادة ذاك الحزب بهذا العمل بإيعاز من دولتهم الصفوية الفارسية المجوسية . وفي الحقيقة أن الحزب الشيطاني نجح إلى حد كبير في ذلك [٣] ، فتم إيجاد فروع له في عدد من الدول الخليجية والأفريقية والآسيوية ، وأكثر ما فرخ في دول الخليج العربي ، فمثلاً : يوجد حزب الله الحجاز ، وحزب الله الكويت ، وحزب الله في العراق والبحرين ، واليمن ، وقد يقوم هذا الحزب بتغيير مسماه هرباً من اكتشاف نشاطاته كما هي عادة الفرق الشعوبية .

وكل تلك الفروع لها أهداف فكرية وسياسية تخريبية ، فمن الناحية الفكرية ، تهدف إلى تثبيت المظاهر الرافضية الصفوية داخل كل بلد بشكل علني ، أو خفي إن كانوا يخافون من قبضة الحكومات . وأما من الناحية التخريبية ، فيقوم كل فرع بتنفيذ ما يُملى عليه من إجرام من قبل أسياده في طهران أو لبنان ، سواء اغتيالات أو اختطاف أو أي عمل يؤثر على أمن البلاد ، وأما

---

[١] انظر : فرقة الأحباش ، نشأتها عقائدها آثارها ، سعد الشهراني ، ص : ١ / ٩١ .

[٢] انظر : ماذا تعرف عن حزب الله ؟ ، ص : ١١١ – ١١٥

[٣] بدليل أنه وضع في قوائم الأحزاب الإرهابية الإجرامية المحظورة في عدد من الدول .

الناحية السياسية فهو يمثل الصوت الصفوي الإيراني تحت ولاية الفقيه ، داخل المجالس البرلمانية أو النيابية في الدول التي تنتهج تلك الأنظمة . وقد يلجأ كل فرع بمخادعة الجمهور بأن تصوير تبعيتهم لإيران هي أكذوبة سياسية لسلبهم حقوقهم التي يطالبون بها وفق النظام الحقوقي داخل البلد أو النظام المدني أو الاجتماعي أو الفكري أو أي مجال ، حتى يوهموا الناس بأنهم كيان مستقل ولا يهدف لمطمع وإنما كغيره يطالب بإصلاحات وحقوق ، وهذا من ذر الرماد في العيون ، فعند التأمل بشيء من العقل والفكر تجدهم حتى لا يخفون إعجابهم الغير منتهي بالعمائم الصفوية ، ويجعلون منها مُثُلاً للاقتداء بها ، وكذلك يجعلون من الجمهورية الصفوية الإيرانية نموذجاً للولاية الإسلامية دون غيرها – زعموا – ، وأحياناً يصل بهم الإعجاب لدرجة التخويف بها ، وكل ذلك من الدلالات البينة لتبعيتهم لها ، ولكن جحودهم وبهتم ومكرهم الشعوبي يأبى عليهم ذلك ، وكما تقدم بأن من عادة الشعوبيين التخفي والكتمان والتلون والتقلب تبعاً لمصلحة الحركة وقيامها وقوتها من ضعفها .

وبعد أن تكلمت عن حزب الله فيما تقدم ، أذكر هنا نموذجين لفروعه الخارجية ، منها :

حزب الله الحجاز

بدأ تصدير الثورة الخمينية للسعودية بتحريض من قائدها الخميني ؛ لعمل الثورات ضد الحكم السعودي ، ومن أشهرها : ثورة القطيف ١٤٠٠ هـ ، وكان شعارهم حينها : مبدؤنا حسيني ، قائدنا خميني !!!. وشعار هذه الثورة واضح في عدم اعترافهم بالدولة السعودية ؛ ولهذا ساقوا الثورات والمسيرات ضد الدولة [١].

بعد أن تكاثر أولئك الثوريون ، قاموا بإنشاء منظمة باسم : منظمة الثورة الإسلامية لتحرير الجزيرة العربية ، كانت هذه المنظمة في بداياتها مهتمة بالجانب التنظيري للفكر الثوري الإيراني ، ولمحاولة تلميع وتشريع القيادة الخمينية للأمة ، ومن ثم الدخول تحت تلك القيادة الخمينية وبعد فترة غيّرت المنظمة اسمها إلى : الحركة الإصلاحية الشيعية في الجزيرة العربية ، وهذا من تقيّتهم المعروفة التي تقتضي تغيير المسمى وفق مصلحة الحركة ، وهذا يذكّر بما تقوم به الحركات الشعوبية التي تنشأ تحت حزب أو مذهب أو فرقة معينة ، ثم ما تلبث أن تغير اسمها تبعاً لقائدها أو

---

[١] انظر : ماذا تعرف عن حزب الله ؟ ، ص : ٤٨ .

لتوجهها ، وتظل في عملية انشطارية لمسماها ، ولكنها لا تخرج عن الولاء المذهبي الذي قامت عليه ، ولا تخرج عن الهدف المارق الذي تسعى إليه . وفي تلك الفترة كانت تكثر من الدوريات والمجلات والنشرات ، بهدف التعريف بالمنظمة لدعمها ، وبهدف التحريض على شرعية الدولة . ومن أبرز الأسماء في المنظمة : حسن الصفار (المرشد) ، وحمزة الحسن (رئيس تحرير المجلة) ، وتوفيق السيف (الأمين العام للحركة الإصلاحية) ، وميرزا الخويلدي ، وهو مسئول عن دار الصفا للنشر . وبعض هذه الأسماء غادر البلاد السعودية ، وبعضها ما زال داخلها ، ومما يدل على استمرارية هذه الحركة ، المطالبات السياسية والمدنية ، التي يقدمها رموزها للدولة السعودية ما بين فترة وأخرى ، ومن أشهر تصريحات مرشدهم حسن الصفار ، حين قال في أكتوبر ٢٠٠٦م : إذا لم يُستجب للمطالب الشيعية فلا يأمن من حدوث انفجار في الداخل الشيعي [١].

تكوين الجناح العسكري

في عام ١٩٨٨م تقريباً أنشئ جناح عسكري لهذه الحزب ، باسم : حزب الله الحجاز ، وكان أفراده قد تلقوا التدريبات في إيران على يد الحرس الثوري ، وكذلك توفير السلاح . ومن أشهر أعمالهم المشاركة في حادثة حج ١٤٠٧هـ ، بالتعاون مع الوفود الإيرانية ، والحرس الثوري ، حيث قاموا بعمل ثورة داخل البلد الحرام ، وآذوا الحجاج وقتلوهم ، وقتلوا رجال الأمن ، ورفعوا اللافتات التي تحمل صورة الخميني ، وألحدوا في البيت الحرام [٢] .

ومن أشهرها كذلك : حادثة تفجير المجمع السكني في الخبر ، عام ١٤١٧هـ ، وكان قائدهم العسكري حينها : أحمد المغسّل ، وتم التفجير بواسطة تعبئة صهريج بالمواد المتفجرة وإدخاله داخل المجمع ، وقد راح ضحيته أنفس معصومة . ومن أعماله كذلك تهريب السلاح وتدريب المنتظمين معهم ، وتهريب المخدرات ، وغيرها من المواد الضارة [٣].

وقد وضعت الحكومة السعودية هذا الحزب على قائمة الأحزاب الإرهابية الإجرامية ، ومنعت

---

[١] انظر : خميني العرب ... ص : ٣٤٨

[٢] تقدم بيان ذلك في المطلب الخامس من هذا المبحث .

[٣] انظر : ماذا تعرف عن حزب الله ؟ ، ص : ٤٨ – ٥٦ ، وخميني العرب ... ص : ٣٣٩ – ٣٤٩ ، وانظر : الحراك الشيعي في السعودية ، ص : ١٥٨– ١٧٩ .

وحذرت من التعامل معهم من بعيد أو قريب [١].

حزب الله الكويت

نشأ هذا الحزب في دولة الكويت في بداية الثمانينات في القرن الماضي ، على يد مجموعة شيعية في الكويت ، مرتبطة بالحرس الثوري الإيراني ، وتلقت التدريبات منه كذلك . وقد ساعد في تكوين ذلك الفرع وجود كثيف للمذهب الشيعي في الكويت ، إذ كان هذا الوجود مُتعَمَّداً في فترة مضت ، بعد الهجرة المنظمة من إيران والعراق تجاه الكويت بعد الثورة الخمينية . وبتخطيط صفوي كان ممن هاجر للكويت المرجع الرافضي : محمد الشيرازي ، الذي ظل في الكويت تسع سنوات ، وهو يدعو لمذهبه الرافضي ويقيم دروسه وشعائره . واتسع نشاط الطائفة الشيعية هناك على أصعدة كثيرة ، ووجدت لهم دوريات ومجلات ، كمجلة : النصر التي كانت ناطقة لهم [٢].

وكان من أبرز أعمالهم التحريض على الحكومة والدفع بالناس إلى ذلك ، ومحاولة إقناع الناس بأن ولاية آل الصباح غير شرعية ، وأن ولايتهم يجب أن ترتبط بقائدهم الخميني .

من أشهر جرائمهم محاولة اغتيال أمير الكويت ، الشيخ جابر الصباح رحمه الله ، في شهر مايو لعام ١٩٨٥م ، حين كان خارجاً من قصر دسمان ، تم استهداف الموكب عن طريق سيارة مفخخة ، لكن قدر الله نجاته ، ولله الحمد . وكذلك اختطاف الطائرة الكويتية في شهر أبريل لعام ١٩٨٠م ، وكانوا يهدفون من تلك الجرائم إثارة الفتن والفوضى في البلد ، ومحاولة إثارة الناس على حكومتهم ، وكذلك محاولة الضغط على الحكومة في الإفراج عن المسجونين من أتباعهم [٣]. والشاهد أن سجلهم هناك كثير من حيث إجرامهم وفتنتهم داخل البلاد ، وما بين فترة وأخرى نسمع الأخبار الرسمية في اكتشاف الخلايا السرية والتجسسية التابعة لذلك الحزب الشيطاني وفروعه[٤] ، والله يكفي البلاد والعباد شرورهم ومآربهم [١].

---

[١] انظر تفاصيل البيان ، في صحيفة سبق الالكترونية ، على الرابط :
https://sabq.org/GLm٩YB

[٢] انظر : ماذا تعرف عن حزب الله ؟ ، ص : ٥٧ .

[٣] انظر : المرجع السابق ، ص : ٥٨ .

[٤] نقلت وكالة الأنباء الكويتية الرسمية خبراً عن القبض عن خلية تابعة لحزب الله في الكويت بتاريخ : ٢٩

=

ثانياً : الحركة الحوثية في اليمن

وهذا هو المثال الثاني للحركات الموالية للثورة الصفوية الإيرانية ، فما هي الحركة الحوثية ؟ وما ارتباطها بإيران ؟ وإلى أي مدىً وصلت في تمددها ؟ وكذلك ما هو سبب الحرص الكبير من أولئك الفرس في السيطرة على اليمن ولمَ يشكل لديهم هدف كبير ، ومطمع عظيم ، إذ إن دخول اليمن من قبل الصفويين المجوس وأذرعهم لم يكن من باب التوسع العشوائي ، أو التمدد الإمبراطوري الذي يهدفون إليه فقط ، بل إن الأمر يعود إلى أساس عقدي وفكري لديهم ، تجاه السيطرة على اليمن وتملكه . والإجابة على تلك التساؤلات سيكون بالكلام عن الحركة الحوثية ، وفق ما يلي :

نشأة الحركة الحوثية وقيامها

كانت البذرة في قيام الحركة الحوثية عقب الثورة الخمينية الشعوبية في إيران ، ومع إعجاب وانخداع كثير من الناس بها ، كان للشيعة الزيدية في اليمن نصيب من الإعجاب بتلك الثورة ، بل من السائغ أن يعجبوا بها لوجود عامل التشيع في اليمن بكثرة ، خصوصاً من قبل فرقة الجارودية في صعدة [٢]. وفي عام ١٩٨٦م قام أحد علماء الزيدية ومن أبرزهم ، وهو : صلاح أحمد فليته ، وأنشأ اتحاداً للشباب الزيدي ، كان هذا الاتحاد يتضمن أنشطة دينية وفقهية ، ومن إعجابه بالثورة الخمينية ، جعل مادة مستقلة للتدريس عن الثورة الإيرانية ، وكان يدرسها النجل الأكبر لمؤسس الحركة الحوثية ، وهو : محمد بن بدر الدين الحوثي [٣].

كان مفتي الزيدية ومرجعهم الأول في صعدة ، مجدي الدين المؤيدي ، ونائبه هو : بدر الدين الحوثي ، وهذا مما أعطى الحركة الحوثية حضوراً فاعلاً منذ بدايتها ، لكون زعيمها الرجل الثاني في

شوال ١٤٣٦هـ ، واعترف أفراد الخلية بتلقيهم التدريبات من الحزب في لبنان ، وتم تهريب الأسلحة عن طريقهم ، وعن طريق إيران ، انظر الخبر نقلاً عن صحيفة سبق الالكترونية :
https://sabq.org/٦jEgde

[١] انظر : خميني العرب ... ص : ٣٦٣- ٣٨٤ .

[٢] انظر : الزهر والحجر – التمرد الشيعي في اليمن وموقع الأقليات الشيعية في السيناريو الجديد ، ص : ٥٨

[٣] انظر : المرجع السابق ، ص : ١٢٩ .

المذهب ، كان المؤيدي محافظاً على مذهبه الزيدي وأصوله ، ولا يقبل مخالفة أصوله ، وأما بدر الدين الحوثي ، فكان معروفاً بمخالفته كثيراً للزيدية هناك ، كونه من فرقة الجارودية الزيدية ، التي تتقارب كثيراً في عقائدها مع الرافضة الإمامية ، وكان مما خالف فيه الزيدية ، إنكاره لخلافة الصحابة الثلاثة ، والقول بأن إمامة علي والسبطين بالنص ، وكان يطعن في الصحابة لذلك بل يؤمن بتكفيرهم ، وكان يرفض الترضي عنهم ، وكذلك عرف عنه طعنه في كتب السنة والحديث ، والرد على أهل السنة والدخول معهم في مناكفات ، إضافة لذلك إعجابه بالمراجع الرافضية في قم ، وبالثورة الخمينية [(١)]. وعرف عنه كذلك معارضته للحكومة اليمنية آنذاك ، ولذا كان مناصراً للاشتراكيين الجنوبيين في حربهم ضد اليمن الشمالي عام ١٩٩٤م ، مما ترتب عليه ضرب منزله بمرّان وخروجه من اليمن ، وانتقل بعدها إلى سوريا ولبنان وقم ، ومكث في قم عشر سنوات ، ثم عاد بعد وساطات بينه وبين الرئاسة اليمنية [(٢)]. وكل تلك الأمور التي عرفت عنه كانت تدل بوضوح على شيء يحمله ذاك الرجل وينمي إليه ، فلم يتوقف عند الجانب العقدي الفكري بل تعداه إلى الجانب السياسي مع دولته ثم قيام حركته الدخيلة على البلاد اليمنية .

في مايو ١٩٩٠م ، سمحت الحكومة اليمنية بالتعددية السياسية في البلاد ، وتكون في البلاد ستون حزباً ، وحينها سارع الحوثيون لاستغلال الفرصة بتكوين حزب سياسي ، منبثق من ذلك الاتحاد وممثل لهم في الحكومة ، سمي بـ : حزب الحق . كان رئيسه مجد الدين المؤيدي ، ونائبه : بدر الدين الحوثي . وفي عام ١٩٩٢م بدأ تشكيل تنظيم الشباب المؤمن على يد مشايخ بارزين من الزيدية ، مثل : محمد سالم عزان ، ومحمد بدر الدين الحوثي وغيرهم [(٣)]. وتذكر بعض المصادر أن تكوين تنظيم الشباب المؤمن منذ بداياته هو انشقاق بدر الدين الحوثي عن حزب الحق بعد صدور فتوى من المراجع الزيدية بجواز إمامة غير الهاشمي ، وهذا يخالف أصول الحوثي الرافضية ، ثم تبعه ابنه حسين بعد ذلك في الانشقاق عن حزب الحق [(٤)].

---

(١) انظر : الحوثية في اليمن في ظل الأطماع المذهبية والتحولات الدولية ، ص : ١٥١ ، ١٥٢ .

(٢) انظر : الحرب في صعدة ، عبد الله محمد الصنعاني ، ص : ١ / ١٨ — ٢٠.

(٣) انظر : الزهر والحجر ،ص : ١٣٠ .

(٤) انظر : ماذا تعرف عن الحوثيين ؟ ، علي الصادق ، ص : ١١ ، ١٢ .

وخلال سنتين تقريباً أصبح هذا التنظيم قائماً ونشيطاً في عدة مجالات ، حيث كان يحرص على الجانب العلمي والفقهي وإقامة برامج مكثفة للشباب الزيدي هناك ، حيث أصبح التنظيم هو الحاضنة للشباب هناك ، بل كان يبتعث الشباب إلى بعثات خارجية ، في السودان والعراق وسوريا وإيران [١]، وقد كان للحكومة اليمنية دور في قيام ذاك التنظيم ودعمه ، باعتراف الرئيس اليمني السابق علي صالح [٢].

بعد فترة من نشاط هذا التنظيم وجد من فئة من شبابه حماسة شديدة وخروج عن المسلمات لأصول المذهب الزيدي ، وأصبح أولئك الشباب يتهمون المذهب الزيدي بركوده وبروده ، وبتأثير السنة عليه ، وأنه مشغول بأمور قديمة لا تصلح لهذا الزمن ، وأنه لم يعد مؤثراً في البلاد كسابقه ، إلى غير تلك المبررات التي تدل على بداية ظهور التأثر الرافضي والخروج عن المذهب الزيدي المعتمد لديهم . ولذلك قام مفتي المذهب المؤيدي وأصدر بياناً حذر فيه من أولئك الشباب ومما يحملونه من أمور دخيلة عليهم . وبعدها بدأت ملامح الانقسام تظهر ، فقد كان كبار مشايخ الزيدية المحافظين على أصول المذهب مع حزب الحق ، وفي المقابل كان كثير من الشباب مع التنظيم ، خصوصاً بعد دخول حسين بدر الدين الحوثي فيه والسيطرة عليه عن طريق تفرغه له بخروجه من حزب الحق ، وتركه التمثيل في مجلس النواب لأخيه يحيى بدر الدين ، وكذلك أصبح بدر الدين الحوثي هو المرجعية العليا لهذا التنظيم ، وتم استبعاد مجد الدين المؤيدي ، وصلاح فليته ، وترتب على ذلك خصومات ومهاترات ، وبعد أصبح كل طرف يتبرأ من الآخر ، ويكيل له الاتهامات [٣].

أصبح تنظيم الشباب له رؤيته المستقلة والخاصة به والتي شابهت المذهب الرافضي الإمامي ، فبدأ يظهر الطعن في الصحابة ، والقول بالإمامة ، وإظهار الشعائر الرافضية ، كعاشوراء والغدير . كذلك توفير كتب المراجع الرافضية ، ونشرها بين الشباب ، ودخلت مطبوعات مكتبة الإمام الشيرازي العالمية للبلاد ، وهي معروفة بطباعتها لكتب الرافضة والباطنية ؛ وبهذا صار هذا التنظيم

---

[١] انظر : الحرب في صعدة ، ١ / ٣١

[٢] انظر : المرجع السابق ، ١ / ٣٤

[٣] انظر : الزهر والحجر .. ، ص : ١٣٠ – ١٣٥

هو اللبنة الأولى لتصدير الثورة الخمينية عن طريق بدر الدين الحوثي وأبنائه [1].

بعد قيام هذا التنظيم من الناحية العقدية والفكرية ، بدأ قائده التنفيذي أو الرجل الثاني في الحركة : حسين بدر الدين ، بفتح فروع لتنظيم الشباب اليمن في عدة محافظات في اليمن وهذا مما قوى شوكته ، وكذلك تكوين الجمعيات الخيرية التي تدعم التنظيم وفروعه ، وكان يتلقى الدعم المادي من عدة مصادر شيعية تجارية خارج البلاد ، ومما قام به محاولة الدخول في المرافق الحكومية ، مدنية وعسكرية ، والتركيز على التعليم ومدارسه وجامعاته .

ثم بعد ذلك بدأ بالإعداد العسكري للتنظيم وذلك من خلال الإعداد المعنوي ثم الإعداد المسلح بالتدريب وتوفير السلاح .

فالإعداد المعنوي كان من خلال الدروس والكتب والرسائل ، وكان يحرض أتباعه ويحمسهم للجهاد ضد الأعداء والكفار واليهود ، من خلال قراءة آيات الجهاد وفضلها وفضل النفير ، وكذلك من خلال تذكير الناس بحق آل البيت في الإمامة وأنها اليوم مسلوبة منهم ولا بد من استعادتها ، وأن من لم يسع لذلك فهو لم يحب النبي ﷺ ولا آل بيته . ثم يقوم بتصوير واقعهم في البلاد بأنهم محتلون ومحكومون من قبل أمريكا وإسرائيل ، وأن الحكام السنيين هم سبب هذا الذل منذ اغتصاب الخلافة من علي من قبل الصحابة – كما يزعم – وحتى اليوم ، وكان يندد بالوهابية وأنها سيطرت على اليمن وأنه لا بد من طردها من اليمن [2].

ثم يضرب لهم مثالاً واقعياً معاصراً ، يمثل الحكومة الإسلامية وجهادها ، ويقصد به الثورة الخمينية ، فقد كان شديد الإعجاب بها ، ويجعلها مثله الأعلى الذي لا ينفك عنه ، وكان يصور بأن الخميني ثم رفسنجاني حاكم إيران ، هما أصحاب الولاية الشرعية اليوم ، وكان كذلك يضرب لأتباعه بمثال آخر ، وهو حزب الله الرافضي في لبنان ، وتجربته التي أعجب بها ، ويصوره بأنه هو المقاوم الحقيقي للصهاينة [3]. وكان يتميز بأسلوب خطابي كبير ، وبطريقة تجذب أتباعه وتجعلهم يصدقونه ، خصوصاً مع غلبة الجهل هناك ، وكثرة المخالفات العقدية التي تحتاج لدعوة

---

(1) انظر : الحرب في صعدة ، ١ / ٣٢ ، ٣٣ .

(2) انظر : المرجع السابق ، ١ / ٥٣ – ٦٣ .

(3) انظر : خميني العرب ... ، ص : ٣٣٥ .

قوية في تصحيح العقيدة ، وكذلك كون هذا الرجل ممن ينتسب للبيت الهاشمي ، سهل عليه كثرة أتباعه [1].

وأما الإعداد المسلح فاليمن معروف بنظامه القبلي المسلح ، ومن هذه الناحية سهل عليه تسليح أتباعه ، وكان يتلقى السلاح من إيران وحزب الله ، وكان يتلقى الدعم الكبير لشراء السلاح ، فعرف عنه جمع السلاح والتدريب ، حتى تكون له ثلاثة آلآف فرد [2].

والذي يظهر أن حسين الحوثي بعد أن رأى أن حركته جاهزة للمواجهة مع الحكومة ، بدأ يصرح بعدم شرعية الرئاسة اليمنية وأنها هي السبب في تأخر البلاد ، وبأن غير سلالة السبطين لا تجوز ولايتهم ولا طاعتهم ، وبدأ في المشاغبات الأمنية في صعدة ومراكزها وبالتعدي على الجهات الأمنية والحكومية ، ولما ظهرت دعواه بدأت الحكومة اليمنية ترسل له بالتوقف عن ذلك وأنه مخالف للنظام ، لكنه لا يأبه بهم ، ولما رأت الحكومة اليمنية عدم الجدوى ، أرسلت وسطاء للحوثي وأتباعه ، لمعرفة ما يريد ، لكنه رفض الوساطة [3].

وانتقل بعدها إلى أسلوب آخر لبداية المواجهة وهو إطلاقه للشعار الحوثي المشهور بزيفه : الله أكبر ... الموت لأمريكا ... الموت لإسرائيل... اللعنة على اليهود ... النصر للإسلام . وأول مرة ألقى فيها حسين الحوثي هذا الشعار ، بتاريخ : ١٧ يناير ٢٠٠٢م ، عقب محاضرة له في مدرسة الهادي بمران . وأصبح هذا الشعار أشبه بالشيء المقدس عندهم ، فكانوا يرددونه في المساجد والأسواق وكل مكان ، وبعد الجُمَع . وفي إحدى المرات كان الرئيس اليمني – علي صالح – عائداً من حج ١٤٢٤هـ ، دخل حينها الجامع الكبير في صعدة ، وبعد الفريضة أُطلق هذا الشعار ، وبعد فترة وصلوا حتى للجامع الكبير في صنعاء ، كتحدٍ واضح للحكومة اليمنية [4].

بدأت المواجهة الأولى بين الحكومة والحركة الحوثية في ١٨ يونيو ٢٠٠٤م واستمرت حتى : ١٠ سبتمبر ٢٠٠٤م ، وفيها استطاعت الحكومة السيطرة على الوضع في صعدة بعد عراك شديد

---

[1] انظر : الحرب في صعدة ، ٢ / ٢٢، ٢٣ ، والزهر والحجر : ١٥٤ .

[2] انظر : المرجع السابق ، ٢ / ٦٧ .

[3] انظر : المرجع السابق ، ١/ ٦٤ ، وانظر : الزهر والحجر ، ص : ١٥٨ .

[4] انظر : الزهر والحجر ، ص : ١٤٠ .

ودامٍ ، وفي هذه المواجهة قتل قائد الحوثيين : حسين بدر الدين الحوثي [1]. واستمرت المواجهات بين الحكومة اليمنية والحركة الحوثية إلى ستة معارك ، كانت وبالاً ووباءاً على بلاد اليمن وأهلها ، وترتب عليها اختلال الأمن العقدي والفكري ، وأمن المجتمع كله [2].

والذي يظهر أن هذا الرجل كان يهدف لإقامة ولاية رافضية شمال اليمن ، وجنوب السعودية ، على غرار ما قام به حزب الله في لبنان ، وفق المنهج الخميني الذي أعجب به كثيراً حسين بدر الدين الحوثي ، وتستقل تلك الولاية بذاتها وحكوماتها ونظامها ، وتصبح ذراعاً جنوبياً للصفويين في جنوب الدول الخليجية التي تهدف إيران للاستيلاء عليها ، وفي الحقيقة أن أتباع تلك الحركة باعوا دينهم ودنياهم وبلادهم لعدو شعوبي مجرم ، ولو تمكن الفرس المجوس من اليمن ، فإن أول من سيتخلصون منه هم الحوثيون أنفسهم ، ولن يشفع لهم كونهم على مذهبهم ووفق أجندتهم ، لأن إيران الصفوية تريد يمناً فارسياً مجوسياً ، لا عربياً مسلماً .

أبرز المظاهر الشعوبية في الحركة الحوثية

أولاً : من الناحية العقدية والفكرية

اعتنقت الحركة الحوثية المذهب الرافضي الإمامي الغالي ، وعلى منهج ولاية الفقيه الخمينية ، بقيادة بدر الدين الحوثي وأبناءه ، وتعصبت له ، وخرجت عن مذهب بلادهم الزيدي وأصوله وانقلبت عليه ، مع شدة العداوة بين المذهبين ، حيث أن الإمامية يكفرون الزيدية ولا يرونهم شيعة ؛ لأنهم يخالفونهم في أهم أصولهم وهو الإمامة ، فالزيديون يجيزون إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، وقد صدر بيان رسمي من علماء الزيدية يتبرؤون فيه من مذهب الحوثي وأنه لا يمثل الزيدية [3]. يقول حسين الحوثي : " ... إن كل من وقفوا ضد الثورة الإسلامية في إيران أيام الإمام الخميني ، رأيناهم دولة بعد دولة يذوقون وبال ما عملوا " [4]، ويقول : " الإمام الخميني

---

[1] انظر : الحرب في صعدة ، ١ : ٦٩ .

[2] انظر: الحوثية في اليمن ... ، ص : ١٨٨ — ٢٣٩ .

[3] انظر : الحرب في صعدة ، ٢ / ٨٥ — ٨٧ .

[4] انظر : المرجع السابق ، ١ / ٦٥

كان إماماً عادلاً ، كان إماماً تقياً ، والإمام العادل لا ترد دعوته ... " [(1)] . كل تلك الأمور تدل على تشربه للثورة الشعوبية الخمينية [(2)] ، وكل تلك المظاهر تعزز من وجود الفكر الشعوبي داخل اليمن .

ثانياً : انتحال الحركة لعقائد باطنية وشعائر مجوسية صفوية ، يستحقون بها نسبتهم للزندقة : كالطعن في الصحابة ، والطعن في السلف وأئمة الإسلام ، وفي أهل السنة ، وكتب السنة الحديثية ، كالبخاري ومسلم ، بل إن الحوثي ينسب للسنة والتحاكم بها التهمة والرجعية وأنها سبب تخلف الأمة ، وضياع حقوق آل البيت ، ويحيون المظاهر الرافضية الصفوية ، كالاحتفال بغدير غم ، وعاشوراء . وكان يعتمد في دروسه على تلاوة الآيات والاستشهاد بها وفق تفسيره الذي يراه بهواه الرافضي ، والذي لا يوافق الطرق الصحيحة الشرعية ، وهذا يشبه فعل الباطنية إلى حد ما في تعاملهم مع النصوص الشرعية . وينكر ويتهجم على علم أصول الفقه ويتهمه بأنه هو السبب في عدم انتشار فقه آل البيت ويصفه بأسوأ الفنون . وكان يردد بأن المهدي الذي سيخرج من اليمن لعله يكون هو ، وكان يصرح بأن اسمه حسيناً ، وكان أتباع الحركة يرون في حسين بدر الدين الحوثي كالمجدد لهم ، وأبوه يوافقه على أطروحاته [(3)].

ثالثاً : استهداف الحركة لبلادها العربية اليمنية ، التي لها مكانة عند العرب والمسلمين جميعاً ، لكن الحوثيين وافقوا الأطماع الشعوبية الصفوية في اختراق البلاد وجعل فيها ذراعاً لإيران ، وأصبحت صور الخميني وخامنئي ، تعلق في كثير من المحافظات والقرى ، بل حتى في بيوت الله . وكان الحوثيون يصرحون بعدم شرعية الرئاسة اليمنية وأنها عميلة للأمريكان واليهود ، ويحثون الناس على الخروج وإثارة الفوضى والفتن في البلاد ، والتعدي على المرافق الحكومية ، وبهذا كثرت الفوضى والقلاقل في اليمن ، وأصبح الحوثيون يتحكمون في الطرق والنقاط الأمنية ، وجعلوا من

---

(1) المرجع السابق نفسه .

(2) انظر : إيران والحوثيون مراجع ومواجع ، ص : ٨١ – ٩١ ، وماذا تعرف عن الحوثيين ؟ : ٥٧ – ٦٤ .

(3) انظر : الحرب في صعدة : ١ / ١٦ ، ١٧ ، ١ / ١٣١ – ١٤٥ ، ٢ / ٤٢ ، ٧٧ ، وانظر : ماذا تعرف عن الحوثيين ؟ ، ص : ٢٦ – ٤١ ، ١١٣ .

أنفسهم حكومة داخل البلد ، كما فعل حزب الشيطان في لبنان [١] .

رابعاً : استهداف أهل السنة ودعوتهم ، ومن الأمثلة على ذلك حصار الحوثيين لأهل السنة في دَمّاج أكثر من شهرين في اكتوبر ٢٠١١م ، وقطع الغذاء والمؤنة عنهم ، وعدم السماح بدخول المنظمات الدولية الإغاثية ، ورميهم بالسلاح الثقيل وتدمير البيوت والمساجد والمكتبات والمصاحف ، وكانت المساجد تقصف والمآذن تزال ، في حين أن ما كان يدافع به أهل دماج عن أنفسهم لا يقارن بما لدى الحوثي من الدعم المسلح من الداخل والخارج ، وأصبحت دماج منكوبة ومحاصرة وكثر فيهم القتل والبأس . ومنعوا أهل السنة في تلك السنة من الذهاب لمناسك الحج !! ، وهذه نزعة صفوية باطنية قرمطية . ومما يدل على استعداء الحوثيين لأهل السنة ، أن أهل السنة هناك لا يعرف لهم نشاط سياسي أو برلماني ينافسونهم فيه ، ولم يسبق أن سجل عليهم اعتداء على الحوثيين ، لكن الحوثي كان يهدف لإخراجهم من صعدة كلياً وجعلها رافضية صفوية خالصة ، كما فعل الصفويون في إيران والعراق ولبنان ، لأن الحركة الحوثية تسير وفق نهج ولاية الفقيه [٢].

الدور الإيراني في قيام ذراعها الحوثي في اليمن

يطمع الفرس المجوس في السيطرة على البلاد اليمنية ، ومن خلالها سيتقوى حضورهم في الخليج العربي ويطوقونه ، ومن ثم يطمعون في ضمها لإمبراطوريتهم الفارسية التي يهدفون إليها . ولقد كان للتشيع الكثيف في اليمن دور في دخول إيران إلى اليمن والتأثير من الناحية العقدية والفكرية ويأتي بعد ذلك الاختراق العسكري والسياسي ، كما فعلوا مع حزب الله في لبنان . والرافضة الصفويون يعتمدون على روايات عندهم تقول بقيام الثورة المهدية من اليمن ، وأن اليمن سيشهد مستقبلاً خروج المهدي المنتظر الذي يسبق قيامه القائم . وجعلوا من الحركة الحوثية انطلاقاً عملياً لتلك الروايات ، مما يؤكد أن الحرب في أساسها عقدية فكرية ، ولعل حسين الحوثي حينما كان يوصف بالمهدي والمجدد ، كان اعتماده على تلك الروايات ، ولا يستبعد التحفيز الإيراني له في ذلك ، خصوصاً وأنه ينتسب للبيت الهاشمي .

---

[١] انظر : إيران والحوثيون مراجع ومواجع ، ص : ١٩٠

[٢] المرجع السابق ، ص : ١٧٠ – ١٧٤

ومن أشهر مراجع الإمامية المعاصرين الذين كتبوا في تلك الروايات ونقلوها ، علي الكوراني العاملي ، في كتابه : عصر الظهور ، الذي خصصه للروايات التي تتكلم عن ظهور المهدي ، وأماكن ظهوره ، والأمور التي ستتبع ذلك ، ومن ذلك قوله : " ... وردت في ثورة اليمن الإسلامية الممهدة للمهدي عليه السلام ، أحاديث متعددة عن أهل البيت عليهم السلام ، منها بضعة أحاديث صحيحة السند ، وهي تؤكد حتمية حدوث هذه الثورة وتصفها بأنها راية الهدى ... ثم قال : عن الإمام الصادق – عليه السلام – قال : (قبل قيام القائم خمس علامات محتومات : اليماني ، والسفياني ، والصيحة ، وقتل النفس الزكية ، والخسف بالبيداء)[1] ، وعزاه لبحار الأنوار للمجلسي ، ... وقال أيضاً : (وجاء في بعض الروايات عن المهدي عليه السلام أنه يخرج من اليمن من قرية يقال لها كرعة) . وكرعة : قرية في منطقة بني خولان باليمن قرب صعدة ، وإن صحت الرواية فلا بد أن يكون المقصود فيها أن اليماني يبدأ أمره من هذه القرية ....)[2] ، ثم قال : (وفي بشارة الإسلام [3] ص ١٨٧ : (ثم يخرج ملك من صنعاء اسمه حسين أو حسن ، فيذهب بخروجه غمر الفتن ، يظهر مباركاً زاكياً ، فيكشف بنوره الظلماء ، ويظهر به الحق بعد الخفاء) ، ثم قال : " .... وأما في منطقة الخليج فمن الطبيعي أن يكون الدور الأساسي فيها لليمانيين مضافاً إلى الحجاز ، وإن لم تذكر ذلك الروايات ، بل لعل حكم اليمن والحجاز وبلاد الخليج يكون بعهدة قوات اليمانيين التابعة للمهدي عليه السلام " [4].

وكل تلك النقولات تؤكد بأن الدور الإيراني الفارسي ينطلق من مبادئ ومسلمات مذهبية عندهم ، ولعل هذا من أسباب الدعم السخي والمشهود الذي توليه إيران للحركة الحوثية في اليمن . وهذا الدعم لم يقف فقط عند الدعم المسلح والمادي ، بل حتى زرع الخلايا التجسسية في البلاد ، واستغلال أنشطة السفارات ، والحوزات ، في تهيئة القبول للحركة الحوثية وأنها تمثل

---

[1] عصر الظهور ، علي الكوراني ، ص : ١١٧ ، في فصل بعنوان : اليمن ودورها في عصر الظهور .

[2] المرجع السابق ، ص : ١١٨ .

[3] كتاب : بشارة الإسلام في علامات المهدي عليه السلام ، تأليف : مصطفى بن إبراهيم بن حيدر الكاظمي العراقي ، من فقهاء الإمامية ، توفي في : ١٣٣٩ هـ ، انظر : الأعلام ٧ / ٢٢٨ .

[4] عصر الظهور ، ص : ١١٩.

التوجه الإيراني وفق ولاية الفقيه [١].

وتلك الخلايا تم التصريح بها من أعلى مستويات السلطة ، من قبل الرئيس اليمني : عبد ربه منصور هادي ، الذي صرح بأن اليمن تعاني من التدخلات الإيرانية ، وأنهم قبضوا على عدة أسلحة قادمة من هناك ، وكشفوا خلايا تجسسية لهم [٢].

والشاهد مما تقدم أن إيران الصفوية استطاعت أن تزرع في بلاد اليمن ذراعاً خبيثاً ، تتحكم به وفق مصالحها المذهبية والسياسية ، وباتت تلك الحركة صاعقة وبلاء على أهل اليمن ، من السنة أو غيرهم ، وغيبت مظاهر التوحيد والدين في المحافظات التي سيطرت عليها ، وأحيت القبورية والشركيات الوثنية ببناء المشاهد والمزارات ، في بلاد الحكمة والإيمان .

لقد باع الحوثيون ومن تبعهم من الخونة بلادهم وديارهم من الغازي الصفوي الشعوبي ، إذ كيف ينجرون خلفهم وهم يريدون من الحوثيين أن يخربوا بلادهم بأيدهم ويجعلونها منكوبة كباقي الدول التي كانوا سبباً في نكبتها وبلائها ، وتشريد أهلها . لقد خوت العقول الحوثية وتعطلت حتى من نخوتها العربية الأصيلة ، المعهودة في بلاد الحكمة والإيمان ، وسلموا بلدهم للصفويين المجوس ، الذين جعلوهم أداة شعوبية مجوسية لتحقيق أهداف الحركة الشعوبية باستهداف العقيدة الإسلامية ، وبلدهم العربي المسلم ، والمسلمين العزل كذلك .

ولم يقف الدور الحوثي على بلادهم فقط ، بل تعدوا حتى على الحدود الجنوبية السعودية ، وأعلنت السعودية ذلك التعدي رسمياً في : ٣ / نوفمبر ٢٠٠٩ م ، بأنه : رُصد بعض الحوثيين ودخلوا لموقع جبل الدخان السعودي في منطقة جازان ، قطاع محافظة الخوبة ، واعترف الحوثيون بذلك الاعتداء .

وقامت على إثر ذلك معركة بينهم وبين بلاد التوحيد السعودية ، بعد أن رأت الدولة السعودية ضرورة الرد على تلك الشرذمة وأنها تجاوزت حدودها ، وكان الرد السعودي عنيفاً لتلك الشرذمة

---

[١] وكانت المراجع الإيرانية تصدر البيانات في التنديد بالحرب على الحوثيين ، انظر : الزهر والحجر ، ص : ١٦٩ ، وماذا تعرف عن الحوثيين ؟ ، ص : ١٠٥ .

[٢] انظر : إيران والحوثيون ... ، ص : ٢١٨ ، ٢١٩ ، وماذا تعرف عن الحوثيين ؟ ، ص : ٨٦ .

، ومؤدباً لهم ، مما جعل القيادة الحوثية تعلن استسلامها وطلبت إيقاف الحرب في : ٢٥ / يناير ٢٠١٠م [١].

نسأل الله أن يقطع دابر هذه الحركة ومن يقف ورائها أو يمولها أو يرضى بها ، وأن يهيئ لهذه الأمة من يرد كيد الصفويين وأذنابهم ، اللهم آمين .

---

[١] انظر : إيران والحوثيون ، مراجع ومواجع ، ص : ٧٤ – ٨٠ ، وسيأتي الحديث لاحقاً عن دور عاصفة الحزم في صد المد الشعوبي في اليمن .

الباب الرابع : خطر الشعوبية وسبل مواجهتها

وقسمته إلى فصلين :

الفصل الأول : آثار الشعوبية وأسباب انتشارها

الفصل الثاني : السبل الواجب فعلها لمقاومة المد الشعوبي

الفصل الأول : آثار الشعوبية وأسباب انتشارها ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أسباب انتشار الشعوبية

المبحث الثاني : آثار الشعوبية على العقيدة الصحيحة

المبحث الثالث : آثار الشعوبية على وحدة الأمة الإسلامية

المبحث الأول : أسباب انتشار الشعوبية

بعد أن تعرفنا في الأبواب السابقة على الحركة الشعوبية ، بقي في هذا الباب أن نخلص إلى تشخيص ذاك الفكر المرضي الدخيل على المسلمين ، من حيث معرفة أسباب انتشارها وآثارها ، ثم علاج تلك الحركة العدائية ، وحتى يسهل علاج وصد تلك الحركة ، لا بد من الوقوف على أهم الأسباب التي أدت لانتشارها ؛ لأن ذلك جزء مهم من العلاج ، وسيكون الكلام عن تلك الأسباب بإيجاز غير مخل إن شاء الله تعالى ، وهي كما يلي :

أولاً : الجهل / فالجهل أعظم الأدواء ، وأخطر الدواهي ، ولم تؤتَ الأمةُ حين أُتيت إلا من حيث جهلها بدينها وبعدوها ، من الداخل أو الخارج ، يقول ابن تيمية : " ... والجهل والظلم هما أصل كل شر ..." [1] ؛ ولأن للجهل صور كثيرة يصعب تتبعها هنا ، سأذكر أبرز صور الجهل التي كان الوقوع فيها سبباً لانتشار الحركة الشعوبية ، ومنها :

الجهل بأصول الاعتقاد والدين ، فإن أصول الاعتقاد هي الأساس الذي تبني عليه الأمة الإسلامية كيانها ومنهجها وطريقها ، فإذا ما وقع الخلل في أصل من أصول الاعتقاد ، ظهر ذلك في صورة أعمالها وسلوكها وتعاملها مع غيرها ، على اختلاف ذلك الغير في عدوانه عليها . وتلك الأصول هي البناء المعنوي والجسدي للأمة ، ولا غنى لها عن أحد منها ، وأول تلك الأصول هو توحيد الله ، مفهومه وتحقيقه والعمل به والدعوة إليه ، فإذا أدركنا أن الحركة الشعوبية تهاجم هذا الأساس الأول ، بتحريف مفهوم التوحيد ، وتهاجم من يعمل به أو يدعو إليه ، فما بعده من باب أولى ، وإذا حصل الجهل في هذا الأصل ، الذي هو دعوة الرسل ، اختل بعده كل أصل وفرع . كذلك منزلة السنة النبوية الشريفة ، فهي المبيّن للقرآن ، والمصدر الثاني الذي لا ينفك عنه من يريد معرفة الله وما أراد من عباده الموحدين ، فالجهل بالسنة والآثار عن الصحابة ، يكون مدخلاً للفرق الهدامة ، خصوصاً من جهة التأويل الباطني ، والفلسفة وعلم الكلام . وكذلك أهمية ومكانة فهم الصحابة رضوان الله عليهم ، وفضلهم وجهادهم في نقل الدين صافياً مصفى . فالزنادقة المنافقون ، لا يألون في مهاجمة الصحابة والأئمة بعدهم ، بالطعن فيهم والتشكيك ، ليصلوا بذاك الطعن في الناقل إلى الطعن في المنقول ، ولكن أئمة الإسلام أدركوا أهمية طريق الصحابة ، ووجوب

---

[1] اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ٦٦.

لزومه ، يقول الإمام أحمد رحمه الله : " أصول السنة عندنا ، التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، والاقتداء بهم[1] ... ويقول أيضاً : والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ، والسنة تفسر القرآن ، وهي دلائل القرآن ... " [2] . ويقول ابن تيمية : " ... فإن معرفة مراد الرسول ومراد الصحابة ، هو أصل العلم ، وينبوع الهدى ؛ وإلا فكثير ممن يذكر مذهب السلف ويحكيه ، لا يكون له خبرة بشيء من هذا الباب ... " [3] . ومن صور الجهل كذلك في أصول الاعتقاد ، الجهل بوجوب الاجتماع في الدين والدنيا ، وأنه من مقاصد الشريعة التي أمر بها الشارع الحكيم وحث عليها ، والجهل بمقاصد الشريعة مضاره عائدة على الدين والدينا [4]. والاجتماع في الدين أن نكون على دين الإسلام قلباً وقالباً ، ظاهراً وباطناً ، وأن تكون أخوتنا واجتماعنا على ذلك أولاً وأخيراً ، وأما الاجتماع في الدنيا ، فبالاجتماع تحت ولاية مسلمة ، يُسمع ولها ويُطاع في غير معصية ، ويذاد فيها عن حياض المسلمين ومحارمهم ، ويكون النصح قائماً بين الراعي والرعية ، فبهذا تقوى اللحمة ، وتسد الثلمة ، ولا يكون للحركات الفكرية العدائية سبيل على المؤمنين ، فالاستظلال بفيء الولاية والإمارة أمر ضروري في الدنيا ، ولا تستقيم الحياة بدونه ، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إنما الإمام جُنَّة يُقاتل من ورائه ، ويُتَّقَى به ، فإن أمر بتقوى الله عز وجل وعَدَل كان له بذلك أجر ، وإن يأمر بغيره كان عليه منه) [5] . ومهما طغى الحاكم أو ظهر فسقه ، فلا يجوز الخروج عليه ، عصمة للدماء ، وخشية مما هو أشد فساداً وفتنة ؛ ولذا قيل : ستون سنة من سلطان ظالم ، خير من ليلة واحدة بلا سلطان [6].

---

[1] أصول السنة ، ص ٤

[2] المرجع السابق ، ص : ٧ ، وانظر الاعتصام للشاطبي : ٢ / ٢٧٥- ٢٧٧

[3] مجموع الفتاوى : ٥ / ٤١٣

[4] انظر : الاعتصام ٢ / ٢٩٦

[5] متفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الجهاد والسير ، باب : يُقاتل من وراء الإمام ، ويتقى به ، رقم : ٢٩٥٧ ، ومسلم ، برقم : ١٨٤١

[6] انظر : مجموع الفتاوى : ٢٠ / ٥٤

ثانياً : الغلو[1] / والغلو من الأمراض القديمة التي ظهرت في الصور التعبدية في المسلمين ، أو ممن انتسب إلى الإسلام ، وترتب على هذا المرض والخلل دخول كثير من أهل الأهواء والانحراف ، لأن صاحب الهوى والمنحرف اتفق حاله مع حال الغلو إفراطاً وتفريطاً ، فلا تجد الغالي في شيء ما إلا وهو مفرط في شيء آخر ، لأن ميزان الوسطية والاعتدال مختل بسبب ذلك الغلو ، فمثلاً : تجد من يغلو في حق آل البيت وتعظيمهم لدرجة الغلو ، ورفعهم فوق المنزلة التي أعطاهم الله إياها ، وقررها رسولنا ﷺ . وفي المقابل تجد جفاء وتفريطاً في حق بقية الصحابة من غير آل البيت ، وكذلك تجد بعض الطوائف والفرق تعظّم زعيمها وتطيعه ، بل تنزله منزلة الألوهية ، في حين أنهم لا يرون للحاكم المسلم طاعة ، ولا يرقبون فيه إلاًّ ولا ذمة ، كالرافضة مثلاً ، فهي من الفرق التي عززت الحركة الشعوبية ، وكان الرفض سبباً للغلو في الأمة الإسلامية ، وتصاعد ذاك الغلو حتى بلغ الشرك بالله سبحانه وتعالى ، فهم لم يَصْدقوا لا في حق آل البيت ، ولا في حق الله وتوحيده وعبادته وحده لا شريك له ، يقول ابن تيمية : " والشرك والبدع مبناها على الكذب والافتراء ؛ ولهذا فإن كل من كان عن التوحيد والسنة أبعد : كان إلى الشرك والابتداع والافتراء أقرب ، كالرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل الأهواء ، وأعظمهم شركاً ، فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم ، ولا أبعد عن التوحيد ، حتى أنهم يخربون مساجد الله التي يذكر فيها اسمه ، فيعطلونها عن الجمعات والجماعات ، ويعمرون المشاهد التي أقيمت على القبور .... "[2].

فدل كلام شيخ الإسلام على أن الروافض غلو في المشاهد الشركية ، لكنهم فرطوا وجفوا عن بيوت الله التي أمر بعمارتها . وكذلك حال الفرق الشعوبية ، التي غلت في تعظيم جنسها وزعمائها ، وفي المقابل فرطت وجارت على خلفاء المسلمين وحكامهم وأثاروا الناس عليهم ، وكذلك حرفوا الناس عن دين الله الصافي ، وشرعوا لهم ما لم يأذن به الله ، من الكفريات والزندقة ، في العقائد والتشريعات التي سنوها لأتباعهم أو فرضوها عليهم بالجبر والقوة ، وجعلوا تلك التعاليم كأنها هي الإسلام ، وهذا مثل العبيديين الباطنيين ، وقد تقدم الكلام عن حال دولتهم .

يقول ابن تيمية : " فالغلاة في هذه الأمة يشبهون النصارى ، كالغلاة في بعض أهل البيت ، ومن

---

[1] تقدم تعريفه والكلام عنه ، ص : ١٠٧ .

[2] اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ٥٣٣ .

يدعي أنه من أهل البيت ، كالإسماعيلية ، وكالغلاة في بعض المشايخ ، فهؤلاء وهؤلاء فيهم شبه بالنصارى ... " [١] . ولن يستقيم حال من غلا إلا بالفهم الصحيح للكتاب والسنة والاستمساك بهما ، وسؤال العلماء الراسخين في العلم ومصاحبتهم .

ثالثاً : الظلم

تميزت الخلافة الراشدة والفتوحات الإسلامية فيها بالعدل والقسط ، وإعطاء الناس حقوقها ، وعدم التسلط عليهم ، وكان القسط والعدل هو الميثاق في الحكم بينهم ، وكان هذا العدل من أعظم الصور المشرقة لتلك الحقبة الزمنية ، إذ إن الكافر سواء كان ذمياً أو كتابياً قد أَمِن على نفسه وماله ، فكيف بالمسلم ، وكان الخلفاء الراشدون من أشد الناس حرصاً على العدل بين الرعية ، ممتثلين في ذلك قوله تعالى : (كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ) [٢].

يقول ابن القيم رحمه الله عن هذه الآية : " ... فأمر سبحانه بالقيام بالقسط ، وهو العدل ، وهذا أمر بالقيام به في حق كل أحد ، عدواً كان أو ولياً ... " [٣].

ولما كان العدل هو سيما لأولئك الخلفاء ، في تعاملاتهم مع الناس ، أو فيمن يولونه من الأمراء والأعوان ، بحيث كانت أعينهم تتجه لمن هو أصلح وأنفع لإدارة الناس ، لما كان كذلك : تأثر بهم من هم خارج الإسلام أو خارج الجزيرة العربية حينها ، وبلغهم ما تميزت به دولة الإسلام ، في سياستها وإدارة شئونها ، التي أسسها رسول الله ﷺ ، فهربوا من ربقة الظلم والجور في بلادهم ، إلى رحاب العدل في دولة الإسلام ، ووجدوا فيها بغيتهم [٤].

ولكن لما تقلبت الأحوال بالمسلمين وأصبح الظلم والعدوان حاصل من الراعي للرعية أو العكس ، أو بين الرعية أنفسهم ، سلط الله بعضهم على بعض أو سلط عليهم أمراء الجور والفسق ، وأدى ذلك إلى ضعف الدولة وتآكلها ، وتسلل أعداء الدين من المنافقين واليهود والصليبيين ، الذين استغلوا جور السلطان لتأليب الناس عليه ، وهذه سنة الله في كونه أن عاقبة الظلم وخيمة وعاجلة

---

[١] قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق ، ص : ١٤٨

[٢] سورة النساء ، آية : ١٣٥.

[٣] الرسالة التبوكية ، ص : ٣٤.

[٤] انظر : الإسلام والحضارة العربية : ٢ / ٣٣١ – ٣٩٥.

، فالله سبحانه وتعالى يقول في الحديث القدسي : (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا ...) [١].

يقول ابن تيمية : " ... وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم ؛ ولهذا قيل : إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة . ويقال : الدنيا تدوم مع العدل والكفر ، ولا تدوم مع الظلم والإسلام ... ثم قال : وذلك إن العدل نظام كل شيء ، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق ، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يُجزى به في الآخرة ... " [٢] . وكلامه حق رحمه الله ؛ لأنه بالعدل تجتمع كثير من المقاصد الشرعية التي بتحقيقها تسود الألفة والجماعة ، ويصبح كل فرد من أفراد المجتمع قانعاً بما أتاه من نصيبه في الدنيا ، ولا يبقى للتسلط أو النظام الطبقي الجائر مكان بين الناس ، والله أعلم .

رابعاً : ضعف الدولة الإسلامية وسوء سياستها

وهذا السبب من أكثر الأسباب الذي لم يكن فقط سبباً في انتشار الشعوبية بين الناس ، بل وكافة المذاهب الفكرية المنحرفة ، لأن ضعف الدولة يجرئ عداتها عليها ، ويظلون يتربصون بها الدوائر ، سواء كان هذا الضعف معنوي أو حسي وواقعي . ومن الأمثلة التي مرت معنا الدالة على ذلك حال الدولة العباسية في فترتها الثانية ، التي اتسمت بالضعف وانحسار الجهاد ، وكذلك قامت فيها كثير من الدويلات العدائية التي ما فتئت تنخر في جسد الأمة الإسلامية ، كالبويهية والقرامطة والعبيدية وغيرها ، لكن إذا ما نظرنا إلى الفترة الأولى في الخلافة العباسية ، نجد أن هناك ثورات قوية قامت فيها ، لكن لما كان السلطان قوياً وعازماً على إزالتها ، استطاع القضاء عليها ، على اختلاف في تعاملهم مع تلك الثورات . كذلك ضعف الإعداد المعنوي في صفوف المجاهدين أو للناس عامة ، بتحذيرهم من مكائد المنافقين والمتربصين ، وتذكيرهم بفضائل الجهاد الشرعي وضرورته لحفظ بيضة الإسلام ، وقبل ذلك ضرورة تحقيق التوحيد الذي بعث الله به الرسل ،

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه ، برقم : ٢٥٧٧

[٢] مجموع الفتاوى : ٢٨ / ١٤٦

والاجتماع عليه . ومن أكثر أسباب ضعف الأمة : الركون إلى الدنيا والانشغال بها والرضى بسفاسف الأمور ، والسير خلف أعداء الملة من اليهود والصليبيين والزنادقة والباطنية وغيرهم ، وهذا مصداقه ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (إذا تبايعتم بالعينة [1] ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع[2] ، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)[3] .

وقوله : ... حتى ترجعوا إلى دينكم - ، يؤكد على أن الخلل الأول في الجانب الديني والمعنوي ، الذي ترتب عليه ضعف الأمة في جسدها وقوتها ، والله أعلم . ومن الأمور التي أدت إلى سوء السياسة في الدولة الإسلامية ، ومن ثمّ ضعفها ، تولية من لا يُوثق بدينه المناصب الهامة والحساسة في الدولة ، ومن ذلك ابن العلقمي الرافضي الذي كان وزيراً في أواخر الدولة العباسية في عهد المستعصم بالله ، والذي كان سبباً في دخول المغول واجتياحهم للبلاد الإسلامية [4] .

ومن أسباب ضعف الدولة الإسلامية كذلك ، إضاعة الحدود التي أمر الله بإقامتها بين عباده ، بالعدل دون التمييز بين كبار الناس من ضعفائهم ، ففي إقامتها إظهار العبودية لله تعالى بها ، وحفظ حدود الله ومصالح العباد والبلاد ، وكذلك : بقاء هيبة الدولة الإسلامية ورفعتها ، وكل تلك الأمور هي من واجبات ولاة الأمر ، وأما تضييعها ، أو الركون إلى القوانين الوضعية فهذا من أسباب الذلة والهوان [5] .

---

[1] العينة : بكسر العين ، هي أن يبيع شيئاً من غيره بثمن مؤجل ، ويسلمه إلى المشتري ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن نقد أقل من ذلك القدر ، انظر : عون المعبود ٥ / ٢٦٠ .

[2] هذه الجملة والتي قبلها محمولة على الاشتغال بالزرع في زمن يتعين فيه الجهاد ، انظر المرجع السابق نفسه.

[3] أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الإجارة ، باب في النهي عن العينة ، برقم : ٣٤٦٢ ، وجود إسناده ابن تيمية ، انظر : مجموع الفتاوى ٢٩ / ٣٠ ، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني : ١ / ٤٢ — ٤٥.

[4] انظر : تاريخ الخلفاء ، ص : ٣٩٩ — ٤٠٨

[5] انظر : مجموع الفتاوى ٢٨ / ١٠٥ — ١٢٠.

خامساً : تسلل أعداء الأمة الإسلامية إلى داخلها

وهذا التسلل سهله عليهم المنافقون وأعداء الملة داخل البلاد الإسلامية ، الذين يرجفون مع كل بلاء يقع بالأمة ، وينخنسون حين تقوى شوكة الدولة الإسلامية ، ويغرون الأعداء في الخارج ، وكذلك يسهلون لهم مهمة اختراق أو اجتياح الدول الإسلامية ، أو يقومون بتهجير عقول شبابها إلى الغرب الكافر ، بإبهارهم بحضاراتهم الدنيوية التي سبقوا إليها ، ثم يعلل أولئك المنافقون أن تأخر البلاد الإسلامية في المجالات الدنيوية ، راجع إلى التمسك بالدين ، بحيث يصبح الشاب متربياً على الفكر المادي الغربي ، ونبذ ما يتعلق بالدين والعقيدة ، وهذا من الأساسيات التخريبية للمذاهب الفكرية الهدامة التي غزت المسلمين [١]. ولقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بكيفية معرفة أولئك المندسين في صفوف المسلمين ، قال تعالى : ﴿ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ ﴾ [٢]. يقول ابن كثير : (أي : فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم ، يُفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه ، وهو المراد من لحن القول ...) [٣].

ولقد دأب كثير من دعاة الحركة الشعوبية والباطنية حينما يكون بين ظهراني المسلمين على التلون والنفاق ، كالتخفي إما في زي التجار أو الزوار للحرمين الشريفين ، أو الظهور في مظهر التقشف والزهد ، وهذا جزء من نفاقهم ومراوغتهم . وكذلك من عادتهم أنهم يأتون لكل أهل مذهب بما يناسبهم ، فالرافضة يأتون إليهم من جهة سب الصحابة والطعن فيهم ، أو ادعاء نصرة آل البيت وإعادة الخلافة لهم ، وكذلك يأتون للمتصوفة من باب الدروشة والخرافات وتعظيم مشايخهم ، وهكذا [٤].

وكذلك مبدأ – التقيّة – عند الرافضة ، الذي هو النفاق بعينه ، فكم جر هذا الشيء على المسلمين من ويلات وعواقب ، بسبب أن الرافضة يظهرون شيئاً ، ويبطنون أشياء ، ومن ذلك

---

[١] انظر : مذاهب فكرية معاصرة ، ص : ٢٥ – ١١٣.

[٢] سورة محمد ، آية : ٣٠

[٣] تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٢٢٨

[٤] انظر : الإفحام لأفئدة الباطنية الطُّغام ، يحيى بن حمزة العلوي ، ص : ١٧ – ١٩.

الدعوة إلى ما يسمى بالتقريب بين السنة والشيعة ، فكيف يوثق بمن يتدين بالتقية [1].

ولا شك أن الرفض ممن استغله الشعوبيون لتعزيز حركتهم ، بل كان الرفض والتصوف عاملان كبيران في ولوج أعداء الدين من المنافقين والزنادقة وغيرهم . يقول ابن القيم مبيناً خطر المنافقين : (فإن بلية الإسلام بهم – أي بالمنافقين – شديدة جداً ؛ لأنهم منسوبون إليه ، وإلى نصرته وموالاته ، وهم أعداؤه في الحقيقة ، يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه عِلْم وإصلاح ، وهو غاية الجهل والفساد ...) [2].

سادساً : جدية دعاة الشعوبية في دعوتهم

وهذا يُستنتج من خلال ما تم عرضه من قيام الحركة الشعوبية ، حيث بدأت بدعاوى العدل والمساواة ثم نصرة آل البيت ، ثم ثورات داخل البلاد الإسلامية ، حتى قامت لهم دول تتبنى تلك الأفكار الشعوبية الهدامة ، والتي تنتهي بالانسلاخ من الدين ، والاستسلام لأفكار الإلحاد والزندقة ، والسير في ظلمات الشرك والوثنيات . فمنذ أواخر الدولة الأموية وحتى عصرنا الحاضر ، لم يقف الشعوبيون عن محاولاتهم الجادة في قيام حركتهم . وهذه الجدية من دعاة الشعوبية ، ربما قوبلت في أحايين كثيرة بضعف المواجهة أو العجز عنها من قبل المسلمين ، فنعوذ بالله من عجز المؤمن وجلد الكافر والمنافق .

سابعاً : عدم الاعتبار بحوادث التاريخ الإسلامي

وهذا السبب ربما نغفل عنه كثيراً ، فالله سبحانه وتعالى قد حث عباده على النظر والاعتبار فيما يحصل للخلق في غير ما آية في كتاب الله عز وجل ،قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [3] ، فقد جاء تفسيرها عن السلف بأقوال تدل على أهمية النظر والتأمل في الحوادث ، مثل قولهم في معنى المتوسمين : أي : المتفرسين ، أو : الناظرين ، أو المعتبرين ، وكل

---

[1] انظر : مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، ناصر القفاري ، ٢ / ١٢١ – ١٣٤.

[2] مدارج السالكين : ١ / ٦٠٨ ، وانظر : ١ / ٦٠٧ – ٦٢٥ .

[3] سورة الحجر ، آية : ٧٥

تلك المعاني تحث على التفكر في أحوال وتقلبات الأولين[1] .

لأن ذلك النظر يقوي إيمان العبد ، ويجعله محسناً لتدبير أموره ، خصوصاً إن كان من أهل العلم ، أو السلطان ، فإن اعتباره للحوادث التي حصلت للدول الإسلامية من أعدائها ، سيجعله حاذقاً بأمور أعداء الدين والملة ، خبيراً بخططهم ونفاقهم ، وقراءة التاريخ من أفضل الوسائل للمعتبرين .

ولا تقف أهمية التاريخ عند هذا الحد فقط ، بل بواسطته يتم التعرف على أحوال الفرق والمذاهب وكيفية قيامها ، وأصولها وعقائدها وانتشارها ، وكيفية تأثيرها على المسلمين وبلادهم [2].

وعند النظر في حال الثورات الشعوبية أو دولها التي قامت وأثرت في الدول الإسلامية قديماً وحديثاً تجد أنها لم تقم اعتباطاً أو اتفاقاً ، بل إن أس أهدافها هو القضاء على الإسلام ديناً ودولة ؛ فقيام الثورات المجوسية الشعوبية ، القرامطة ، والعبيديين ، والصفويين ، وكل تلك الدول أو الإمارات صبت عدائها على العقيدة الصحيحة وأهلها ، واتحدت مع اليهود والصليبيين في استهداف البلاد الإسلامية . وكتب التاريخ الإسلامي تعين على قراءة وفهم ما جرى في تلك العصور ، وارتباط ما يحصل اليوم من أحفاد أولئك بأسلافهم [3].

ثامناً : الفرقة والتنازع

وهذا السبب من أعظم الأسباب التي سلطت على المسلمين دعاة الإلحاد والزندقة ، وأعظم الافتراق والاختلاف حينما يكون في الدين الذي أُمرنا بالتمسك والاعتصام به في غير ما آية ، ومنه قوله تعالى ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [4] ، فهذه الآية دلت على شيئين مهمين ، لا ينفك أحدهما عن الآخر لتحقيق الاجتماع ، ونبذ الفرقة والاقتتال ، فالأول : إقامة الدين ، في النفس أولاً ، ثم الدعوة إليه والتواصي به ، وأول ما يجب إقامته هو أصول الاعتقاد ، وقد تقدمت الإشارة إليه في أول هذا المبحث [5] . والثاني : النهي عن التفرق فيه ، وهذا النهي لما حصل

---

[1] انظر : تفسير القرآن العظيم ٢ / ٧٢٣.

[2] انظر : تاريخ ابن خلدون ١ / ١٥ .

[3] انظر : التاريخ الإسلامي ، ٥ / ٥ – ٣٦

[4] سورة الشورى ، آية : ١٣

[5] انظر : تفسير القرآن العظيم ، ٤ / ١٣٧

التفريط فيه ، كانت النتيجة التفرق والتنازع والخلاف ؛ لأن الله نهى عن التفرق في هذا الدين ، الذي هو واحد لا يقبل التجزئة ، بل يقتضي أن نتمسك به ونجتمع عليه ، لكن لما حصل التفرق فيه ، حينئذٍ ظهرت الفرق والأحزاب والمذاهب المخالفة ، وكل طرف يدعي أنه هو الدين ، وينازع أهلَ الحق الذين هم أهل السنة والجماعة ، السلف الصالح ، ينازعهم كلُ طرف ويجادلهم بدون علم ولا دليل ، بل يريدون حمل أهل السنة على الخوض في الدين ، والمجادلة بالباطل ، ولكن الله سلمهم لسلامة معتقدهم ومنهجهم ؛ وكذلك لأن السلف الصالح أدركوا خطر الافتراق والخلاف ، وعرفوا أسبابه ودواعيه فاجتنبوها ، ومن الآثار الدالة على ذلك ، (أن عمر ﷺ خلا ذات يوم ، فجعل يحدث نفسه : كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد ؟! فأرسل إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – ، فقال : كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد ، وقبلتها واحدة ؟ ، فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين : إنما أُنزل علينا القرآن فقرأناه ، وعلمنا فيما أُنزل ، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيما نزل ، فيكون لهم فيه رأي ، فإن كان لهم فيه رأي ؛ اختلفوا ، فإذا اختلفوا اقتتلوا ، قال : فزبره عمر وانتهره ، فانصرف ابن عباس ، ونظر عمر فيما قال : فعرفه ، فأرسل إليه ، فقال : أعد عليَّ ما قلت ، فأعاد عليه ، فعرف عمر قوله وأعجبه)[1] ، وهذا الأثر أيضاً ينبه إلى أصل مهم لابد من الإتيان به ، وهو : سلوك طريق الصحابة رضي الله عنهم ، في فهم القرآن والعمل به ، فإقامة الدين ، والنهي عن التفرق فيه ، مع لزوم طريق الصحابة ، هو السبيل للنجاة من الفرقة والتنازع .

لكن لما تنكبت الفرق التي تنتسب للإسلام لهذا الطريق ، وقع الافتراق والتنازع ، ودب الضعف في جسد الأمة ، ودخل من خلال تلك الفرق ، كثير من الفرق والاتجاهات الباطنية والإلحادية ، ومنها الشعوبية ؛ ولذلك فإن دعاة الحركة الشعوبية استغلوا فرق التشيع والتصوف والفلسفة الوثنية ، والمذاهب الفكرية ، وكذلك عن طريق الديانات الأخرى .

ومن صور التفرق كذلك الذين استغله دعاة الحركة الشعوبية ، العصبية الجاهلية ، التي تنبعث من الفكر القومي العنصري ، الذي يجعل الانتساب إلى جنس أو فئة معينة أو نِحْلة ، هو الميزان للولاء

---

[1] أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ، باب : فضل علم القرآن والسعي في طلبه ، رقم : ١٧ ، ص : ٤٥ ، ٤٦ ، وانظر : الاعتصام ، ٢ /١٧٧ ، وانظر أيضاً : اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ٦١ – ٧٦

والبراء ، ونبذوا رابطة الدين والأخوة الإسلامية وراء ظهورهم . فقد تقدم أن الشعوبيين كانوا يستغلون الخلاف بين القبائل العربية أو بين الخلفاء وأبناءهم ، أو بالتحريض بينهم [١].

---

[١] انظر : الأحاديث النبوية في ذم العنصرية الجاهلية ، ص : ٧٥ – ٨١ .

المبحث الثاني : آثار الشعوبية على العقيدة الصحيحة

من خلال النظر إلى استهداف الحركة الشعوبية للعقيدة الإسلامية ، يتبين يقيناً وقطعاً أن الحركة الشعوبية العدائية تفسد العقيدة الصحيحة في أصولها وفروعها ، وكل ما يتعلق بسلامة العقيدة ويكون وسيلة لذلك ، فإن الحركة الشعوبية تهاجمه وتحاربه . ولا يألوا الشعوبيون جهداً في بث أفكارهم العدائية لتشويه الصورة الحقيقية الناصعة للعقيدة ، وبعد تلك المعاداة تصبح الأفئدة خاوية معطلة من النور الحق ، فلا تسأل بعد ذلك عن تشربها للعقائد الباطلة ، من الشركيات والوثنيات والزندقة والإلحاد والأفكار الباطنية الخبيثة . إذ إن جميع تلك الموارد تصب في مجرى الفكر الشعوبي ، ومن ثَمَّ تتشبّعها القلوب المعطلة عن نور الوحيين ، ولا يبقى فيها من الإسلام إلا اسمه ، ولا من التوحيد إلا رسمه . وحينئذ تنسلخ القلوب من العقيدة الصحيحة ، ويصبح أهلها كالأنعام ، بل هم أضل ، وهذه نهاية آثار الشعوبية على العقيدة الصحيحة التي تهدف إليها .

وصور الإفساد من قبل الحركة الشعوبية على العقيدة الصحيحة عديدة ، منها :

أولاً : أن الشعوبية حين تبدّت للناس يوم بدأت : من خلال التظاهر بالانتساب للإسلام ، والتدين به ، والتشيع لآل البيت وزعم نصرتهم ، وتعظيم الأئمة ، أو من باب الإمامة العظمى ، أو الزهد والتقشف ، أو بالتظاهر بالدعوة إلى الله ، وكل تلك الأمور من مظاهر العقيدة التي يلتزمونها ظاهراً ، لكن ما يلبث أولئك الشعوبيون أن يلجوا من تلك المظاهر ، للدعوة للغلو والزندقة ، والعقائد الباطلة ، كتقسيم الدين للظاهر والباطن . فهي تبدأ من جهة المظاهر ؛ لغرض هدم العقيدة وإفسادها ، وهذا من أخطر الآثار وأدقها خفاءً على العقيدة الصحيحة ، وهذا مُسْتنتج من خلال استعراض ما سُطر في هذا البحث عن تلك الحركة ، والله أعلم .

ثانياً : ومن آثارها الخطيرة كذلك : أن الفكر الشعوبي يهاجم أولاً المصادر الأساسية للعقيدة الصحيحة ، وهما : القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة المطهرة .

فالقرآن الكريم اختلفت إليه الهجمات الشعوبية من كل حدب وصوب ، وتنوعت فيه عباراتهم إما طعناً أو تشكيكاً أو بالتأويل الباطني الفاسد .

فمثلاً : الحركة الشعوبية من خلال اعتقاد الروافض بأن القرآن ناقص ، واتهامهم للصحابة بأنهم السبب في ذلك ، اتخذوا ذلك سلماً للطعن في كتاب الله عز وجل ، وترك التمسك به ، إلى

الأخذ بعقائدهم المنحرفة الباطلة ، وترك ما أمر الله به تجاه كتابه العزيز [1].

وكذلك أبطلت الحركة الشعوبية آيات القرآن الكريم ومدلولاتها بتأويلاتهم الباطنية المجوسية ، والتي بدأت من عند اليهود على يد ابن سبأ ، ثم زرَعها في الفكر الشعوبي المجوسي الفارسي ، ثم صارت بعد ذلك طريقة باطنية ، تفسر كل كلمة في القرآن على طريقة الملحدين الفلسفيين [2].

وكذلك مما أبطلت به الحركة الشعوبية كتابَ الله ، إيجادهم أو تأليفهم كتباً مقدسة لديهم ، ضاهوا بها كتاب الله ، وجعلوا تلك الكتب مصادر لعقائدهم .

فالدروز مثلاً عندهم كتاب يدعى : المنفرد بذاته ، وكذلك كتاب الحكمة أو رسائل الحكمة وكلها مقدسة عندهم [3]. والرافضة يزعمون أن هناك مصحفاً يسمى – مصحف فاطمة – ، هو أشمل وأكبر من القرآن الذي بين أيدينا اليوم [4]. والنصيرية كذلك لديهم كتابهم (المجموع المقدس) ، ويحتوي على ستة عشر سورة ، هي أساس عقائدهم النصيرية الباطنية الشعوبية [5].

وفي العصر الحاضر وجدت فرق أخرى تصب عقائدها في مصلحة الفكر الشعوبي في هذا المجال ، وهي قيام الفرقة القرآنية ، والتي عطلت وطعنت في كتاب الله من حيث زعمت تعظيمه ، وذلك من خلال إبطال السنة ، وترك تفسير القرآن وبيانه بها ، وكذلك حرفوا آيات القرآن بتحريفات لا تبعد عن الطريقة الباطنية [6]. وكذلك موقف الاتجاهات العصرانية والعقلية الحديثة من القرآن الكريم ، التي جعلت العقل حاكماً على الوحي [7].

والشاهد مما تقدم أن الحركة الشعوبية قديماً وحديثاً كان موقفها من المصدر الأساسي للعقيدة ، شديد العدائية ، وتنوعت إليه صور الجفاء والإلحاد .

---

[1] انظر : الخطوط العريضة ، ص : ١١ – ٢٠

[2] انظر : حل الرموز في عقائد الدروز ، ص : ٢٠٨

[3] انظر : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، ص : ٣١٣ ، ٣١٤

[4] انظر : الشيعة والقرآن ، ص : ٣١ ، ٣٢

[5] انظر : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، ص : ٣٩٤ – ٤١٠

[6] انظر : القرآنيون وشبهاتهم حول السنة ، ص : ١٢٣ – ١٣٨

[7] انظر : العصرانيون ، ص : ٢٠٤ .

وأما بالنسبة للسنة المطهرة ، فقد نالها من الأذى كما القرآن الكريم ، وذلك من خلال الطعن في مقام النبوة . فالشعوبيون موقفهم سيء وقبيح مع أنبياء الله ورسله ، من جهة اتهامهم والطعن فيهم ، أو وصفهم بالمطامع الدنيوية الرئاسية ، وحب الملك والشهرة ، وتصوير ما جاؤوا به من الآيات بأنها مخاريق وسحر وشعوذة ؛ ولذا فإنهم استعملوا تلك المخاريق لصرف الناس إليهم ، وليوهموهم بأن لديهم القدرة على فعلها كما الأنبياء [1].

وكذلك قام الشعوبيون بالطعن في صحة التدوين للسنة المطهرة ، وبأن تدوينها متأخر ولا يشمل كل الأحاديث النبوية ، وكذلك طعنوا في الصحابة ومنهجهم في فهم الكتاب والسنة ، وهي وسيلة عندهم لإبطال الطريق الحق لفهم وتطبيق الشريعة الإسلامية . وأيضاً من خلال نشر كتب الوضاعين من الزنادقة والكذابين ، وتلفيق الروايات الباطلة ، التي تعود بالأثر السيئ على العقيدة الصحيحة [2]. واستغل الشعوبيون في العصر الحديث الغزو الحداثي لبلاد المسلمين ، وكانوا سبباً في نشره ؛ لأنه يسير في المجرى الذي يريدونه ويستهدفون به العقيدة ، من خلال تصوير النصوص الشرعية بالقيود على الحريات المدنية ، أو بتقديم العقل على النقل ، والفكر الحداثي بالنسبة لتعظيمه للعقل وتقديمه على النص الشرعي ، زائد الخطورة من جهة تقديمه وتعظيمه للفكر الغربي الوافد أكثر من غيره من العقليات ، وهذا يؤكد التوافق الشعوبي الحداثي المعاصر . واستبعاد النصوص التي تتكلم عن الأمور الغيبية ، واستبدالها بالأشياء المحسوسة والمادية ، وأيضاً من خلال محاولة إحياء الدعوات الوثنية الجاهلية ، وتصوير العرب بالسفه والطيش وقلة الحضارة ، وفي المقابل تعظيم الفكر الغربي ، وكذلك التعدي على اللغة العربية وخصائصها من أشهر الطرق الشعوبية الحداثية المعاصرة [3].

وكذلك هجومهم المتكرر على بلاد التوحيد والسنة – السعودية – ، التي تنتهج بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، باتهامها بالوقوف ضد الحريات الشخصية ، أو تخريج الفكر التكفيري والإرهابي ،

---

(1) انظر : الفرق ، ص : ٣٠١ ، ٣٠٢

(2) انظر : الوضع في الحديث ، ص : ٢٢٠ – ٢٢٤ ، ٢٦١ – ٢٦٣ ، وانظر : تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره ... ، محمد بن مطر الزهراني ، ص : ٤٣ – ٥٧ .

(3) انظر : الانحراف العقدي في أدب الحداثة ، ص : ٦٩٩ – ٧٤٢

وأن مناهج التعليم فيها بحاجة للوسطية ، ولا يكتفي الأعداء بتلك التهم فقط ، بل يصدرونها داخل تقارير رسمية وتنشر في وسائل الإعلام والتواصل حتى يكون صداها شديداً على المسلمين ، ولا تخرج تلك التهم والتقارير الغربية إلا من ذي ضغينة وحقد على الإسلام والمسلمين [1].

وإلا فبلاد التوحيد السعودية هي اليوم قائدة الأمة الإسلامية ، ومحط أنظار المسلمين ، لكن أهل الفكر الشعوبي من الباطنية والصفوية والصهاينة والصليبيين ، لا يريدون بها إلا الكيد والعدوان ، والله يكفناهم بما شاء .

ثالثاً : ومن الآثار الشعوبية الخطيرة على العقيدة الصحيحة : أنها تحارب وتفسد أصول الاعتقاد التي دل عليها الوحي المنزل ، واتفقت الأمة عليها ، واجتمعت وحاربت دونها . فالشعوبيون من عاداتهم العبث بمسلمات الدين وأصوله التي لا يتم الإيمان إلا بها ، فمثلاً : توحيد الله ، الذي خلق الخلق لأجله ، وأنزل الكتب ، وبعث الرسل لأجله ، كان موقف أولئك منه أنهم نبذوه وراء ظهورهم ، بل وحرفوا المفهوم الحقيقي له ، وأحدثوا له تأويلات ما أنزل الله بها من سلطان . فمثلاً أهل النزعة الشعوبية من الإسماعيلية الباطنية جعلوا التوحيد هو معرفة أئمتهم والتوجه إليهم وتعظيمهم لمقام الربوبية [2]. وقريب منهم الشعوبيون من الرافضة ، حيث بدلوا مكانة التوحيد بركن الإمامة عندهم ، وجعلوها شرطاً لقيام الإسلام في كل فرد ، وجعلوا للإمام أوصافاً وفضلوه حتى على الأنبياء [3].

وكذلك في أصل الإيمان بالملائكة ، فإن الشعوبيين ينكرون ذلك الأصل ، ويتأولون ألفاظها تأويلات فلسفية ، فمنهم من يقول المراد بها قوى الخير الموجودة في النفس ، أو يقولون المراد بها العقل أو النفس ، وهذا قول أرسطو وأتباعه [4].

وتبع الفلاسفة على هذه الزندقة الباطنية الشعوبيون ، وقد تقدم في الباب الثالث أن من مصادر الفكر الشعوبي ، الفلسفة الوثنية .

---

[1] انظر : الحرية الدينية في السعودية ، صالح الحصين ، ص : ١٦ — ٨٣

[2] انظر : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، ص : ١٠٠ — ١١٠.

[3] انظر : مقالات الإسلاميين ، ص : ٥٥ – ٥٨

[4] انظر : مجموع الفتاوى ٤ / ٢٥٩

وكذلك أهل الاتجاه الحداثي المعاصر ، فموقفهم من الإيمان بالغيب ، ومنه الملائكة ، إما الإنكار أو التهكم والسخرية بما ورد من أسماء الملائكة [(١)].

وفي أصل الإيمان باليوم الآخر ، وقف الشعوبيون منه موقفاً مخزياً كسائر مواقفهم من أصول العقيدة الصحيحة ، فهم يتأولون اليوم الآخر والجزاء والحساب تأويلاً باطنياً إلحادياً ، فجعلوا الجنة هي حوادث الخير في الدنيا ، والنار عكس ذلك ، وقالوا بالتناسخ والدَّور ، وأن معنى القيامة هو قيام الإمام ، وكل تلك الانحرافات مأخوذة من عقائد الهندوس والفلاسفة والمجوس واليهود ، الذين هم من مصادر الفكر الشعوبي[(٢)].

ومن الأصول التي تسلط عليها الشعوبيون – منزلة الصحابة ﷺ- ، الذين اصطفاهم الله سبحانه وتعالى لصحبة نبيه ﷺ ، ولتبليغ دينه ، وموقف أهل الفكر الشعوبي من الصحابة معلوم ومشهور ، وكذلك من سائر أئمة السنة ، وقد تقدم في مواضع كثيرة من هذا البحث عن موقف الشعوبيين من الصحابة وأئمة الدين ، بما يغني عن إعادته هنا .

رابعاً : ومن آثار الشعوبية على العقيدة الصحيحة أنها ترسخ المذاهب الفكرية الإلحادية المادية الغربية ، وتبثها في مجتمعات المسلمين ، ولا يألُ الشعوبيون في نشر تلك المذاهب ، وتغليفها في قوالب خداعة براقة ، ينخدع بها من لم يتسلح بالدين والعلم الشرعي ، ولهم في ذلك طرق ، منها :

- إقامة النوادي والمناسبات الدورية التي تعزز من التفسخ والحريات المزعومة ، وتوصيف الدين بالربقة والأغلال .
- البعثات الخارجية تحت مظلة السياحة والآثار أو إحياء الحضارات القديمة ، والدعوة لترميم وتقديس الأبنية التاريخية .
- الإغراء بالإباحية والمجون والعلاقات المشبوهة والشاذة ورعايتها.
- التركيز على فئة الشباب وسفهاء الأحلام ، وإقامة المنتديات والبعثات الخاصة بهم ، وتخصيص المراحل العمرية الأولى لفئة الشباب ، ومحاولة إقناعهم بضرورة التغيير وتصويرهم

---

(١) انظر : الانحراف العقدي في أدب الحداثة ، ص : ٩٨٩- ١٠٤٥

(٢) انظر : الحركات الباطنية ، ص : ١١١ – ١١٧ ، والإسماعيلية تاريخ وعقائد : ٣٧٦ – ٤٤٤.

بالقدرة عليه ، وحقيقة ذاك التغيير هو الخروج على الأئمة وإحداث الثورات داخل البلاد الإسلامية .

- تصوير الاختلاط بين الشباب والفتيات بأبسط الصور ، تحت مظلة العمل اليومي أو أي صورة أخرى تهون من خطر الاختلاط ، والدعوة لتقليد الغرب في طريقة العمل الوظيفي .
- تغيير المفهوم الشرعي للاجتماع والتآلف إلى المعنى المادي الغربي ، تحت مظلة القومية أو الحريات أو الإنسانية ، ونبذ رابطة الدين [1].

وكل تلك الطرق ظلمات بعضها فوق بعض ، والهدف منها استهداف المسلمين في عقيدتهم التي هي مصدر عزهم وقوتهم .

---

[1] انظر : مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد ، ص : ١٠٣ – ١٣٤، ودراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة ، ص : ٣١ – ٣٣ .

المبحث الثالث : آثار الشعوبية على وحدة الأمة الإسلامية

إذا نظرنا إلى الكيفية الحقيقية الواقعية للحركة الشعوبية من خلال هذا البحث ، منذ بداياتها وتطور مراحلها ، وحتى تكوّنها وتهديدها للعقيدة الإسلامية وأهلها ودولها ، نستنتج قطعاً بأنها ضد وحدة الأمة الإسلامية واجتماعها واتفاقها ، ونجدها كذلك تحاول بكل الطرق وشتى الوسائل لتفريق وحدتها وتدينها ، وحتى تنجلي الصورة الشعوبية في أثرها على وحدة الأمة الإسلامية ، أوضحها استنتاجاً مما سبق بيانه عنها في هذا البحث ، وفق ما يلي :

أولاً : **استهداف الحركة الشعوبية للوحدة الدينية الإسلامية** : وذلك ؛ لأن الفكر الشعوبي يقوم على إفساد الاعتقاد ، وتعطيل النصوص الشرعية ، ومهاجمة أصول الدين ومسلماته ، والدعوة إلى الانسلاخ من الدين ، من خلال الزندقة والإلحاد اللذين بثوهما في بلاد المسلمين ، وشرعوا للناس الغلو والفجور والتفسخ ، وكل ما من شأنه إبطال الدين الإسلامي . وكذلك رسخوا في أذهان أتباعهم ، أو من انخدع بهم من العامة والدهماء نزعة الفرقة والشقاق والتشرذم ، وبقدر ما استقت هذه الحركة من شتى الشعوب التي لم تطمئن بهذا الدين ، وضلت عن سواء السبيل ، جاءت نزعاتها للفرقة والخلاف والشقاق على قدْر تلوّن تلك الشعوب العدائية . فإذا كان هذا موقفهم من العقيدة التي هي أساس الوحدة ، فما دونها من باب أولى .

ثانياً : **استهداف الحركة الشعوبية لوحدة الدول الإسلامية** : وذلك عن طريق الثورات التي كانوا يتعمدون افتعالها ، تحت دعاوى ظلم السلطان أو الاستئثار بالدنيا ، وحقيقتها أنها ثورات عدائية عقدية ، وهدفهم هو إسقاط الخلافة الإسلامية أو أي دولة تقوم على الدين ، خصوصاً العربية منها والسنية بشكل أخص . وكذلك من خلال تضييع أصل السمع والطاعة للحاكم المسلم ، إما باتهامه بالتكفير أو معاداة أهل البيت ، أو بوجوب إعادة الخلافة لبني هاشم وعدم شرعية ولاية غيرهم ، أو بتحريف الإمامة والولاية تجاه مصالحهم وخططهم ، بحيث تكون شئون الدول في أيديهم ، ومن ثم تسقط الدولة الإسلامية ويقيمون عليها دولتهم . وكذلك من خلال الاستعانة بالصليبيين واليهود وجميع أعداء الملة على الدولة الإسلامية لإسقاطها أو العبث فيها ، وجعلها مسرحاً للفتن والفوضى . وقد ذكرت أمثلة كثيرة في هذا البحث تبين مواقفهم القديمة والحديثة تجاه الدول الإسلامية ، والعمل على إسقاطها .

ثالثاً : استهداف مظاهر الوحدة الإسلامية : فإن من فضل الله علينا أن أسباب الوحدة والاجتماع كثيرة جداً ، بل إن مقاصد الشريعة الإسلامية قائمة على تحصيل تلك الأسباب التي تعود على المسلمين بالاجتماع والتآلف [(١)]. لكن أهل الفكر الشعوبي لا يفتئون ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاراً ، في منع تلك المظاهر ، أو تعكير صفائها ، أو تبديلها بما لم يأذن به الله ، ومضاهاتها بتشريعات باطلة ما أنزل الله بها من سلطان ، ومن الأمثلة على ذلك : شريعة الحج لبيت الله وزيارة الأماكن المقدسة ، فإن من مقاصد هذه الشعيرة هو الاجتماع والوحدة والتآلف على الإسلام ، وقد مر معنا كثيراً في هذا البحث بأن الشعوبيين على مر التاريخ الإسلامي ، استهدفوا الحرمين الشريفين ، إما بأذية الحجاج وقتلهم ، أو بالإلحاد في الحرم ، كما فعل القرامطة والعبيديون الباطنيون ، أو بإيجاد مزارات أخرى يقدسونها ، يضاهئون بها المشركين بالله ، كما فعل الروافض الصفويون ، وكذلك بما يخطط له المجوس الصفويون وغيرهم كالهندوس والإسماعيلية وغيرهم من أهل الاتجاه الشعوبي ، للنيل من الأماكن المقدسة وجعلها تحت حكمهم . فالشعوبيون يشتد حنقهم بتلك الشعيرة وأماكنها المقدسة ، التي توحد المسلمين من كافة أرجاء العالم ، ولا يزال الصفويون المجوس من أكثر فئات الشعوبيين حنقاً على تلك الشعيرة والمقدسات ، ولكن العاقبة للمؤمنين ، والعدوان مآله على المعتدين . وكذلك من مظاهر الوحدة الإسلامية : اللغة العربية ، فعلى كثرة ألسنة المسلمين في العالم إلا أن اللغة العربية ما زالت سبباً في توحيد المظهر الإسلامي ، وهذا من فضل الله على المسلمين حيث جعل لغة كتابه المهيمن باللسان العربي المبين ، ولا سبيل لتطبيق الشريعة إلا بفهم ذلك اللسان ، وحفظ الله لكتابه العزيز ، عاد بالنفع على تلك اللغة الإسلامية . وأثر اللغة العربية بعد توسع الفتوحات على تلك البلاد المفتوحة ، بين وواضح من خلال امتلاء قواميس اللغات الأجنبية الأخرى بكلمات عربية ، أو بأصول عربية .

وقد تقدم معنا في هذا البحث بأن من أهداف الحركة الشعوبية النيل من هذه اللغة ، بطرقهم الكثيرة والمتعددة ، لما للغة العربية من دور في توحيد المسلمين . ومن أكثر الفرق الشعوبية عداء وحرباً عليها : الفرس المجوس الصفويين ، وكذلك أهل النزعة الطورانية التركية ، والهندوسية .

[(١)] انظر : مجموع الفتاوى ٢٨ / ٥٠

ومن مظاهر الوحدة الإسلامية كذلك : الاحتفاء بالعيدين ، عيد الفطر والأضحى ، فإن المسلمين ليس لهم إلا هذين العيدين ، وما عداهما فهو بدعة وضلالة ، ليست من عادات المؤمنين ، فضلاً عن عباداتهم .

وأهل الحركة الشعوبية يستهدفون تلك الشعائر الإسلامية بالتضييق على أهلها في الاحتفال بها ، ومن ذلك : الشعوبيون من الفرس المجوس ، حيث أن أعيادهم الرئيسة هي : النيروز والمهرجان ، وبعضهم وإن انتسب للإسلام وزعم احتفاله بالعيدين الإسلاميين ، إلا أن مظاهر العيديْن الفارسييْن هما الأساس عندهم ، وهما اللذان تقام لهما الشعائر الكبرى ، ولا يزال الصفويون الفرس على ذلك [1]. وكذلك فإن من الفرق الشعوبية التي تحتفي بتلك الأعياد في عقائدها : النصيرية ، فإن من الأعياد المعتمدة لديهم : النيروز والمهرجان [2]. ومن طرق استهداف الشعوبيين لمظاهر العيد الإسلامية ، استحداث الأعياد الغربية النصرانية في البلاد الإسلامية ، والاحتفاء بها كما لو كانت شرعية ، وكل ذلك بسبب الغزو الفكري الغربي لبلاد المسلمين ، ولانتشار المذاهب الفكرية الهدامة ، وكل أولئك يغذيه الاتجاه العلماني والحداثي الغربي ، واللذان يصبان في مصلحة الفكر الشعوبي المعاصر ، فأصبح يُحتفل في بلاد المسلمين بعيد رأس السنة ، أو عيد الحب ، أو عيد الميلاد ، أو غيرها . وأثر تلك الأعياد المحدثة على المسلمين كبير ، من حيث التشبه باليهود والنصارى والمجوس ، وذلك التشبه يضعف من الانتماء للدين ، ويقلل العناية بالأعياد المشروعة والذهاب للمحدثة ، سيما إذا ما علمنا بأن الغرب الكافر يتعمد جذب شباب المسلمين وفتياتهم لتلك الأعياد بشتى الوسائل والطرق ، ويسبب ولاءً ظاهراً لتلك الأمم الذين نهينا عن التشبه بهم ، ويترتب على هذا ضعف الاجتماع على الأعياد المشروعة ، وتفكك الوحدة الإسلامية [3] .

رابعاً : استغلال مظاهر الفرقة والنزاع في الأمة : وهذا من مكر أهل الحركة الشعوبية وخبثهم ، فإنهم يستغلون الفرقة الحاصلة في هذه الأمة ، ويدخلون من خلالها لأهدافهم ، ولهم في ذلك

---

[1] انظر : تصاعد المد الإيراني في العالم العربي ، ص : ٤٤٩

[2] انظر : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، ص : ٤١٠ – ٤١٦

[3] انظر : اقتضاء الصراط المستقيم : ٣٧٠ – ٤٣٢

طرق عديدة كثيرة ، منها : الدخول في سواد الفرق التي تنتسب للإسلام ، فمرة من خلال الروافض وشعبهم ، ومرة من خلال الطرق الصوفية ، وهاتان الفرقتان من أكثر ما ساعد على بقائها ، وكذلك خلال الفرق الباطنية ، والمذاهب الفكرية المادية والإلحادية ، وقد تقدم في هذا البحث بأن من أسباب قيام الحركة الشعوبية ، وجود الفرق المخالفة التي تنتسب للإسلام .

وهذا كله من شؤم الفرقة وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية ، والله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالبراءة من كل فرقة وشيعة ؛ لمشابهتهم المشركين وأهل الكتاب في التفرق والتحزب [1].

وبتلك الصور يتضح استهداف الحركة الشعوبية لوحدة الأمة الإسلامية ، وبهذا المبحث تنجلي الصورة الحقيقية لآثار الحركة الشعوبية على العقيدة وعلى وحدة الأمة الإسلامية ، وكذلك الأسباب التي أدت لانتشارها في المسلمين .

---

[1] انظر : أحكام القرآن ، القرطبي ، ٤ / ١٠٥

الفصل الثاني : السبل الواجب فعلها لمقاومة المد الشعوبي ، وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

تمهيد : موقف العلماء قديما من الحركة الشعوبية

المبحث الأول : الواجب العلمي الشرعي

المبحث الثاني : الواجب العملي الدعوي

المبحث الثالث : الواجب السياسي الإصلاحي

تمهيد : موقف العلماء قديماً من الحركة الشعوبية

لا يزال أهل العلم يقومون بواجبهم تجاه العقائد الباطلة ، والأفكار المنحرفة ، قديماً وحديثاً ، ولقد كان لأهل العلم موقفاً قديماً في التحذير من الحركة الشعوبية ، وسوء مذاهبهم ، وموقفهم هذا يدل على بصيرة علماء أهل السنة والجماعة ، الذين يسلكون منهج السلف الصالح بالمذاهب المنحلة . إذْ إن من قوة تصدي علماء السنة للشعوبية ، أنهم حذروا منها في كتب العقائد وأصولها ، وكذلك في الكتب التي ألفها أئمة الإسلام في الأمور العقدية الهامة ؛ مما ينبه طالب العلم على خطر تلك الحركة الضالة الفاسدة . وكذلك كان تحذير علماء السنة بألفاظ جزلة تقابل خطر هذه الحركة الخبيثة ، ومما يميز موقفهم أيضاً أنه بعيد عن العصبية الجاهلية ، فلم يكن مبناه على أساس الجنس واللون ، كلا ، بل على أساس العقيدة والدين ، والعدل ، وهذا هو أساس التفاضل ، وعلماء السنة هم أولى الناس بذلك ، وسأذكر مواقف ثلاثة من أئمة الإسلام تجاه الحركة الشعوبية :

الإمام : حرب الكرماني

وهذا الإمام قد جمع مسائل في أبواب الاعتقاد ، التي أخذها عن أئمة السنة ودونها عنهم[١] ، فيقول :

(... هذا مذهب أئمة العلم ، وأصحاب الأثر ، وأهل السنة المعروفين بها ، المقتدى بها فيها ، من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا . وأدركتُ من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب ، أو طعن فيها ، أو عاب قائلها ، فهو مخالف مبتدع ، خارج من الجماعة ، زائل عن منهج السنة الحق . وهو مذهب : أحمد ، وإسحاق بن إبراهيم بن مخلد ، وعبد الله ابن الزبير الحميدي ، وسعيد بن منصور[٢] ، وغيرهم ممن جالسْنا ، وأخذنا عنهم العلم ، فكان من قولهم ...)[٣] ، ثم ذكر جملة من العقائد إلى أن قال : (... ولا نقول بقول الشعوبية ، وأراذل الموالي ، الذين لا يحبون العرب ، ولا يقرون لهم

---

[١] انظر : الاقتضاء ، ص : ٢٣١ ، ٢٣٢

[٢] تقدم ترجمة الأئمة المذكورين ، انظر حاشية ، ص : ١٥ .

[٣] كتاب السنة من مسائل الإمام حرب بن إسماعيل الكرماني ، ص : ٢٧ ، ٢٨ .

بفضل ، فإن قولهم بدعة وخلاف) [١] .

وهذا القول من ذلك الإمام يدل على مسائل هامة ، أوجزها فيما يلي :

أولاً : البراءة من مذهب الشعوبية ، والتحذير من سوء قولهم ، وممن تبعهم ، وأن هذا موقف أساطين أهل السنة ، وقد ذكر الإمام حرب جملة منهم ، وعلى رأسهم الإمام احمد بن حنبل رحمه الله .

ثانياً : أن حياة الإمام حرب الكرماني كانت في فترة الدولة العباسية الأولى والثانية ، وفي تلك الفترتين كانت الحركة الشعوبية قد ظهرت وبان خطرها ، وفساد ما تدعو إليه من عقائد باطلة ، وأهداف خطيرة على الأمة الإسلامية ؛ ولذا وصف مذهبهم بأنه بدعة ومخالف للحق .

ثالثاً : تعيين علماء السنة لهذه الحركة ووصفها بـ – الشعوبية – ، قديم ومشهور ؛ لأن وفاة الإمام حرب كانت في سنة ٢٨٠هـ ، وهذا من الدلائل على أن موقف أهل السنة منها منذ القديم .

رابعاً : إنصاف الإمام حرب الكرماني وعدله وصفاء عقيدته ، إذ إن الإمام حرب أصله من كِرْمان ، وهي بلدة أعجمية ليست بعربية ، ولم يتعصب الإمام لذلك ، بل بين أن عقيدة أهل السنة على تفضيل جنس العرب ، والبراءة من مذهب الشعوبية ومن تبعهم .

الإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة

صنف رسالة تسمى : (**الرد على الشعوبية** ، وتسمى أيضاً : **فضل العرب**) ومما قاله في تلك الرسالة : (... وأعاذنا الله من فتنة العصبية ، وحميّة الجاهلية ، وتحامل الشعوبية ، فإنه بفرط الحسد ، وبغِلِّ الصدر تدفع العرب عن كل فضيلة ، وتُلْحِق بها كل رذيلة ، وتغلو في القول ، وتسرف في الذم ، وتبهت بالكذب وتكابر العيان ، وتكاد تكفر ثم يمنعها خوف السيف ، وتغض من النبي ﷺ إذا ذكر بالشجا ، وتطرف منه على القذى ، وتبعد من الله بقَدْر بعدها ممن قرب واصطفى ...) [٢] ، ويقول أيضاً : (... ولم أرَ في هذه الشعوبية أرسخ عداوة ، ولا أشد

---

[١] المرجع السابق : ص ٤٧ ، ٤٨

[٢] فضل العرب ، ص : ٣٣

نصباً للعرب من السفلة ، والحَشْوَة ، وأوباش النَّبَط ، وأبناء أَكَرَة القُرى ، فأما أشراف العجم ، وذوو الأخطار منهم ، وأهل الديانة ، فيعرفون ما لهم وما عليهم ، ويرون الشرف نسباً ثابتاً)[1].

وابن قتيبة رحمه الله من خلال رده على الشعوبيين ، وضح نقاطاً مهمة ، منها :

أولاً : أن الشعوبية قائمة على العداء الديني العقدي ، الذي ضاق ذرعاً بالإسلام والمسلمين ، بل ولم يسلم منهم حتى رسول الله ﷺ ، وبين أن هذه الحركة تبعد عن الله سبحانه وتعالى ، بما فيها من العقائد الباطلة . **ثانياً** : ذكر صفات عديدة ذميمة ، يتصف بها أولئك الشعوبيين ، كالحسد ، والبهتان ، والعداوة ، والعصبية الجاهلية ، التي تقوم على تعظيم وتفضيل العنصر العجمي على العربي ، بطريقة جاهلية عنصرية ، وباحتقارٍ للأنساب العربية ، وغمط كل فضيلة للعرب .

ثالثاً : هذا الرد من ابن قتيبة يدل على استمرار الحركة الشعوبية ، وقيامها ، ونشرها للعقائد الضالة ، فابن قتيبة عاش في القرن الخامس ، في العهد العباسي الثاني ، الذي كان مليئاً بالفتن والفوضى ، وتسلط الأعداء على الأمة ، وكذلك تعافي سطوة الأعاجم من الترك والفرس ، وقيام القرامطة والعبيديين الباطنيين . وكل ذلك ساعد على قوة وتأثير الشعوبية في الأمة الإسلامية .

رابعاً : رد ابن قتيبة في رسالته على دعاوى كثيرة يرددها أهل الكبرياء والفخر من الشعوبيين ، كتفضيل العجم على العرب ، وادعاء نسبهم إلى إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ، وتعديهم على هاجر أم إسماعيل عليهما السلام ، بوصفها بأوصاف سيئة [2].

خامساً : ابن قتيبة رحمه الله إمام من أئمة أهل السنة ، وأصوله أعجمية ، لكنه انتصر لعقيدة أهل السنة في هذا الباب ، وكذلك كان عادلاً منصفاً ، يقول : (... وسأقول في الشرف بأعدل القول ، وأبين أسبابه ، ولا أبخس أحداً حقه ، ولا أتجاوز به حده ، فلا يمنعني نسبي في العجم أن أدفعه عما تدّعيه لها جهلتها ، وأثني أعنتها عما تقدم إليها سفلتها ، وأختصر القول ، واقتصر

---

[1] المرجع السابق ، ص : ٣٥

[2] انظر المرجع السابق ، ص : ٤٦ – ٥٤

على العيون والنكت ، ولا أعرض للأحاديث الطوال في خطب العرب ، وتعداد أيامها ...)[1] ، وكذلك لم يعم جميع العجم أو الفرس بالشعوبية ، بل ميز بينهم ، وأن منهم من يعترف بالفضل لأهله ، ومن ذلك قوله : (... فأما أشراف العجم ، وذوو الأخطار منهم ، وأهل الديانة ، فيعرفون ما لهم وما عليهم ، ويرون الشرف نسباً ثابتاً) [2].

وبين أيضاً أن من العرب من تعصب وتحامل ، وقابل الشعوبية بالعصبية العربية ، فيقول : (ومن العرب قوم يقابلون غلو الشعوبية بحمية العربية ، فيدّعون أنهم مواليّ العجم كلهم ؛ لأن الله هداهم بالنبي ﷺ ، وفك رقابهم من رق الكفر ، وعذاب النار ، وجعلوا ذلك قياساً على رق الكفر والأسر ، وليس هذا للعرب إلا على من وجب عليه سبي أو قتل فمنُّوا عليه ، واستحيوه فيكون ذاك قياساً على رق الملك ، وأما من دخل في الإسلام رغداً ، وسارع إليه طوعاً ، فليس لأحد عليه ولاء ، ولا لأحد عليه منة إلا لله جل وعز ...)[3].

وكذلك ذَكّر في رسالته بأن الأصل الذي يرجع إليه الناس واحد ، وإنما التفاضل الحق يكون بالتقوى والطاعة ، فيقول : (... وعَدْل القول في الشرف أن الناس لأب وأم ، خلقوا من تراب وأعيدوا إلى التراب ، وجروا في مجرى البول ، وطُوُوا على الأقذار ، فهذا نسبهم الأعلى يردع أهل العقول عن التعظيم والكبرياء ، ثم إلى الله مرجعهم ، فتنقطع الأنساب ، وتبطل الأحساب إلا من كان حسبه تقوى الله ، وكانت ماتَّتُه[4] طاعة الله)[5].

شيخ الإسلام بن تيمية

وهذا الإمام رحمه الله غني عن التعريف تصريحاً أو تلميحاً ، فله في كل فن وباب من العلوم أسهماً وأنصبة ، وأما في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة ، والتحذير من أهل البدع والزندقة

---

[1] فضل العرب ، ص : ٥٥

[2] انظر : فضل العرب ، ص : ٣٥

[3] المرجع السابق : ١١٥ ، ١١٦

[4] ماتته ، أي : وسيلته ، جمعها : مواتّ – بتشديد التاء – هي الوسائل : مختار الصحاح ، ص : ٥٢٩

[5] فضل العرب ، ص : ٥٥ ، ٥٦ ، وانظر كتاب : مع ابن قتيبة في مسار الصراع العربي الشعوبي ، كاظم حطيط ، ص : ٩٧ – ١٨١ .

والفجور ، فحدث به ولا حرج ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء . وأما في الباب الذي يخص هذا البحث وهو موقفه من الشعوبية ، فقد أكد رحمه الله وقرر ما قرره الأئمة قبله ، من تفضيل جنس العرب على غيرهم ، وبين معنى الشعوبية ، ووصف مذهبهم بالنفاق ، ومن ذلك قوله رحمه الله :

(... وذهبت فرقة من الناس على أن لا فضل لجنس العرب على جنس العجم ، وهؤلاء يسمون : الشعوبية ؛ لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل ، كما قيل – القبائل – للعرب ، – والشعوب – ، للعجم . ومن الناس من قد يفضل بعض أنواع العجم على العرب ، والغالب أن مثل هذا الكلام لا يقدر إلا عن نوع نفاق ، إما في الاعتقاد ، وإما في العمل المنبعث عن هوى النفس ، مع شبهات اقتضت ذلك ...)[1] .

وكلام بن تيمية المتقدم ، يدل على أمور ونتائج مهمة ، منها :

أولاً : أن ما يتعلق بالشعوبية هو أمر عقدي باطل ، قائم على مخالفة منهج أهل السنة ، ولا يسوغ السكوت عمن قام به .

ثانياً : وصفه لذلك الفعل بالنفاق ، إما النفاق الإعتقادي ، أو العملي ، فأما كونه نفاق اعتقادي ، فلأن المذهب الشعوبي يتضمن أموراً عقدية كفرية ، تناقض الإيمان ، وتوجب الكفر لمن قال بها ، وهي في العادة ما يعتقده كثير من الشعوبيين ، كتفضيل زعمائهم على الأنبياء ، أو الطعن في النبوة ، أو الصحابة ، أو تحريف القرآن الكريم بالتأويلات الباطنية ، أو الدعوة لإبطال الإسلام لكون نبيه عربي ، وكتابه كذلك ، والدعوة لنسخه وإقامة دين أعجمي مكانه ، وينصّب له نبي أعجمي ، أو نحو ذلك من أمور النفاق الاعتقادي . وقد يكون النفاق نفاقاً عملياً ، لا يصل لمرتبة الكفر والزندقة ، وهذا إما لهوى في النفس ، كعدم تفضيل العرب على غيرهم ، وتفضيل العجم عليهم ، فربما يوجد من يقول بذلك ، لكن دافعه هو العصبية الجاهلية التي سببها الهوى والجهل ، ليس دافعاً دينياً صرفاً ، أو بغض ما يتصف به العرب من عدة صفات حميدة ، كالشجاعة والكرم وفصاحة اللسان العربي ، أو الدعوة لتشويه التاريخ العربي الإسلامي ، وإدخال فيه ما ليس منه ويوجب النقد والمسبة والتنقص ، إلى غير ذلك من الأمور التي تدل على

---

[1] اقتضاء الصراط المستقيم ... ، ص : ٢٣٢

اتصاف صاحبها بالنفاق العملي .

الشاهد أن وصف شيخ الإسلام لها بذاك الوصف ، يدل على تشخيصه لتلك الحركة ومعرفته بخباياها وزواياها . ومما يحسب موقفاً لشيخ الإسلام من هذه الحركة ، أن كلامه عنها جاء في كتاب من أنفس كتبه ، والذي يقرر فيه ، عدم التشبه بالملل الأخرى ، اليهودية والنصرانية والمجوسية ، والتي قد تقدم التنبيه عليها في هذا البحث أنها من مصادر الفكر الشعوبي ، إذ إن أثر التشبه بهم يضعف من الولاء للإسلام أو يزيله ، وينقص البراءة من تلك الملل ، وكل ذلك يؤدي في النهاية لموافقة أصحاب الجحيم الذين أمرنا الله سبحانه بمخالفتهم ، وجعل مخالفتهم مقصداً شرعياً [١].

ومع تقرير شيخ الإسلام لتفضيل جنس العرب على العجم ، فقد اتصف بالعدل والإحسان ، كسلفه من أئمة السنة ، والدعوة للتفاضل الحقيقي الذي ينفع صاحبه في الدنيا والأخرى ، والتمسك بحبل الله المتين ، فبعد تقريره لذلك التفضيل ، قال : (... مع أن الكلام في هذه المسائل لا يكاد يخلو عن هوى للنفس ، ونصيب للشيطان من الطرفين ، وهذا محرم في جميع المسائل ؛ فإن الله قد أمر المؤمنين بالاعتصام بحبل الله جميعاً ، ونهاهم عن التفرق والاختلاف ، وأمر بإصلاح ذات البين ...)[٢] .

وبعد استعراض الحركة الشعوبية وأهدافها وآثارها وموقف العلماء منها ، يتلخص الحكم الشرعي فيها بالتفصيل الآتي :

أولاً : أن الشعوبية بوصفها حركة فكرية عدائية ، هي مذهب كفري وزندقة وضلال ؛ لاستهدافها العقيدة الإسلامية ، واستباحتها بلاد المسلمين ، وتراثهم الإسلامي ، والدعوة لاستبدال الرسالة المحمدية ونقضها ونسخها بملك وديانات أعجمية ، وحمل الناس على الكفر والزندقة والإباحية . وغالب هذا النوع تجد مادته من الباطنيين وغلاة الرافضة والمتصوفة والهندوس والمجوس واليهود ونحوهم.

---

[١] انظر : الاقتضاء ، ص : ٢٢٧ – ٢٤٩

[٢] المرجع السابق ، ص : ٢٣٢

ثانياً : أن الوصف بالشعوبية قد يطلق على جانب معين ، ولا يصل لحد الكفر والزندقة ، بل نوع من النفاق العملي ، مثل : عدم تفضيل جنس العرب أو الطعن في هذه المسألة ، أو تفضيل العجم على العرب من باب الحمية الجاهلية ، والعصبية القومية ، أو ازدراء اللسان العربي ، أو السعي لتشويه الحضارة العربية الإسلامية ، كل ذلك من النفاق العملي الذي يصدر من صاحب شبهة أو هوى في قلبه ، على أن ذلك كله من الخطورة بمكان ، وهو وسيلة للنوع الأول ، فلا يستهان به .

ثالثاً : لا يلزم أن كل من ازدرى أو وصف العرب بذم أن يوصف بالشعوبية ، فصور الخلاف والشقاق كثيرة ، وأسبابها عديدة ، والله أعلم .

المبحث الأول : الواجب العلمي الشرعي ، وقسمته إلى مطلبين :

المطلب الأول : دور العلماء والمختصين في العقائد والفرق

المطلب الثاني : تحصين مناهج الدراسة والتعليم

المطلب الأول : دور العلماء والمختصين في العقائد والفرق

لا يمكن للأمة أن تنجو من مسالك الهلاك والضلال إلا بالسير خلف العلماء الربانيين الراسخين ، الذين أخذ الله عليهم الميثاق ، بأن يبينوا للناس دينهم ، وكل ما فيه فلاحهم الديني والدنيوي . وهذا الميثاق الذي أخذه الله على أهل العلم ، هو الباعث لهم ليكونوا سبباً في نجاة الأمة ، وهو الحد الفاصل بين العالم العامل ، الذي خشي الله حق خشيته ، وبين العالم الذي تنكب واغتر ولم يبلغ ، وشابه بذلك أهل الكتاب ، الذين كتموا العلم ، ونبذوه وراء ظهورهم .

وأعظم البيان الواجب من العلماء ، يكون فيما يتعلق بأمور العقيدة وصفائها وسلامتها ونجاتها ، إذ إن العقيدة هي أساس الدين ، وعماد الشريعة .

وتحذير الناس من الحركات الهدامة ، والمذاهب المنحلة ، من الأمور التي لا يسع لأهل العلم السكوت عنها ، فهي من بيان سبل المجرمين التي أمر الله بالكشف عنها ، فيقول تعالى :

﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [1] . أي : لا بد من تفصيل الآيات والحجج التي يحتاجها المخاطبون ، والتي تظهر بها طرق المجرمين المخالفين ، والمعاندين لدعوة الرسل [2].

وكذلك داخلة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دخولاً أولياً ؛ ولأن سلامة العقيدة لا بد فيها من بيان الأفكار الباطلة ، وطرقها الضالة ، فكما أن معرفة التوحيد شرط لتطبيقه ، فكذلك الشرك لا بد لاجتنابه من معرفته ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . والعالم هو أول من يجب عليه الوقوف لصد الحركات الهدامة ، والمذاهب المنحلة ، التي تستهدف عقائد المسلمين ، وفي الحقيقة أن دور العلماء يجب ألا يقف عند حد معين ، بل إن كل ما من شأنه صد الحركات الهدامة العدائية ، فإن العلماء يجب أن يكونوا أدرى الناس به ، وهم كذلك إن شاء الله . وفيما يخص بالحركة الشعوبية فإن للعلماء فيها دور أساسي كبير ، يتركز على محور رئيسي ، وهو : **التأكيد على حماية المقاصد الشرعية** ، التي قصد الشارع الحكيم حفظها وحمايتها ، وتعزيز كل وسيلة لذلك ، وأهم تلك المقاصد وجماعها : الضروريات الخمس — الدين ، النفس

---

[1] سورة الأنعام ، آية : ٥٥

[2] انظر : تفسير القرآن العظيم ، ٢ / ١٨٦

، العرض ، العقل ، المال – ، وقد اتفقت الشرائع السماوية على حفظها وحمايتها [١].

وعند النظر في حال الحركة الشعوبية وأثرها على تلك الضروريات ، نجدها تفسد كل تلك المقاصد الضرورية ، وتحاربها بشتى الوسائل ، سواء كانت تلك الوسائل حسية ، أو معنوية. فالعقائد الباطلة التي تحملها الشعوبية ، والتفسخ والانحلال الأخلاقي ، والاستغراق في المحرمات والمجون وشرب الخمور وإباحة ذلك ، وكذلك محاربة كل وسيلة لاجتماع المسلمين ، أو التسلط على الدول الإسلامية ، كل تلك الصفات الشعوبية تستهدف إزالة الضروريات والمقاصد الشرعية عن الوجه الذي يجب أن تكون عليه ، بتحريفه أو إفساده ، بحيث يترتب على ذلك اختلال الموازين وتقلب الفطر السليمة ، وتصبح الأحوال مهيأة لانتشار المذاهب الفكرية الهدامة ، سواء الشعوبية أو غيرها. والمقصود مما تقدم أن من أهم دور العلماء هو تعزيز حماية المقاصد والضروريات الشرعية ، وهذا التعزيز يكون بالأمور المهمة التالية :

أولاً : تعليم العقيدة الصحيحة وأصولها ، وكيفية تحقيقها ، وتكثيف الدروس والمناشط العلمية لذلك ، فإن العقيدة الصحيحة هي صمام الأمان لهذه الأمة ، وسفينة نجاتها حاضراً ومستقبلاً ، كما كانت سابقاً .

ثانياً : السير بالناس وفق منهج السلف الصالح ، في العقائد والأعمال والأخلاق ؛ لأن طريقهم هو الصراط المستقيم ، وهو سبيل المؤمنين الذي لا يجوز مشاقته ، وهو العدل والوسط الذي سيكون شاهداً على كل الأمم .

ثالثاً : التصدي للشبهات العقدية والفكرية ، والوقوف ضد انتشارها ، والأخذ على يد أصحابها ، فإن الشبهات تلبس على الناس دينهم ، وتوقعهم في الحيرة والاضطراب ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " وفي النفوس من الشبهات المذمومة ، والشهوات ، قولاً وعملاً ، ما لا يعلمه إلا الله ، وأهلُها يدعون الناسَ عليها ، ويقهرون من يعصيهم ، ويزينونها لمن يطيعهم ، فهم أعداء الرسل وأندادهم ... " [٢]. وأهل الحركة الشعوبية من أشد الناس بثاً للشبهات الفكرية ، التي تعصف بدين المرء ، وتخرجه عن الطريق المستقيم الذي خطه له الشرع ، وما أكثر ما شَبّه الشعوبيون على

---

[١] انظر : الموافقات للشاطبي ، ١ / ٢٧.

[٢] مجموع الفتاوى : ١٥ / ٣٣٦

الناس من جهة التشيع أو الإمامة أو التصوف أو الجرأة على تحريف النصوص الشرعية .

وكذلك على أهل العلم التحذير والتصدي لمزالق الشهوات ، والاستغراق في ملذاتها كالحيوانات ، فكما أن الشعوبية تحارب المسلمين بالشبهات ، فكذلك تفسدهم بالشهوات ، والله سبحانه وتعالى قد حذرنا من سلوك طريق من ضل قبلنا من أهل الكتاب ، والمجوس ، الذين ضلوا في الشبهات والشهوات ، وكذلك حذرنا من صفات المنافقين والمنافقات ، فإن أولئك جمعوا بين أسباب اللهو واللعب والاستغراق في الملذات الدنيوية ، وكذلك خاضوا في دين الله ، وكذبوا رسله ، وضلوا عن سواء السبيل ، ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [1] .

يقول ابن تيمية عن مدلول هذه الآية : " ... وجمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض ، لأن فساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به ، أو يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحق ، والأول هو البدع ونحوها ، والثاني هو فسق الأعمال ونحوها . والأول من جهة الشبهات ، والثاني من جهة الشهوات ..." [2].

وإفساد الدين بالاعتقادات الباطلة وما يترتب على ذلك من الفسق ، هو من دأب الحركة الشعوبية التي مسخت القلوب ونكستها عن الفطرة السلمية ، وأغلقت العقول وغلفتها في وحل الشبهات والشهوات الحيوانية ، وأصبحت القلوب والعقول التي بها الإدراك والتفكر معطلة وخاوية ، بعد أن كانت مشيدة بالعقيدة الصافية ، وعامرة بنور الإيمان .

رابعاً : استغلال المجامع الإسلامية العامة ، التي يجتمع فيها علماء الأمة الإسلامية ، ويتداولون فيها المصالح العامة والوسائل المؤدية إليها ، وأعظم المصالح هي تحقيق توحيد الله عز وجل ، والوقوف ضد كل الحملات الفكرية والعقدية التي تهدف للعصف بالمسلمين وعقائدهم ،

---

[1] سورة التوبة ، آية : ٦٩ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ٢ / ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، وأحكام القرآن : ٨ / ١٤١

[2] اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ٥٣

وتحذيرهم منها . وإصدار البيانات الشرعية الموثقة بالدليل ، وحسن التواصل مع حكام المسلمين ، وضرورة البيان لهم بذلك ، فإن مثل تلك الاجتماعات مما يرهب أعداء الدين ، ويقظ مضاجعهم ، لأن الناس مع ولاتهم من العلماء والأمراء . وأعظم المجامع الإسلامية إطلاقاً : الحج لبيت الله الحرام ، ففيه يجتمع المسلمون من كل حدب وصوب ، وموقفهم في عرفات وفي يوم الحج الأكبر من أعظم المجامع ، فنسأل الله أن يعينهم على ذلك ، والعلماء أبصر وأولى بما ينفع المسلمين . ومن حسنات هذه الدولة المباركة السعودية ، بلاد التوحيد والسنة ، أنها تولي ذلك الشأن العظيم ، ويلتقي قادتها بالوفود سنوياً في مناسبة الحج ، ويسمعون منهم ما فيه صلاح المسلمين إن شاء الله .

والمقصود مما تقدم أن دور العلماء في التصدي للحركة الشعوبية ، له وزنه وشأنه ، فالعالم أعظم صفاته خشية الله ، وأوجب أعماله : دلالة الخلق على تحقيق التوحيد الذي أمر الله به ، وأرسل لأجله الرسل ، ومنع كل وسيلة تحول دون ذلك .

وأما عن دور المختصين في العقائد والفرق ، فيزداد وجوبه في هذه الأوقات عن ذي قبل ؛ لأن الفرق وعقائدها وأفكارها في ازدياد وتشعب كبير ، وإن كانت لا تخرج تأثير الفرق القديمة . ودور المختصين في هذا الباب لا ينفك عن دور العلماء ، ولكن ثمة مهمات يجب عليهم سدها ، والفرض قائم عليهم بها ، سيما وأن تخصصهم في هذا الباب سيجعل فيهم القدرة على معرفة ما يُستجد من تلك المذاهب الفكرية الهدامة ، والعقائد الباطلة ، وتأثيرها على الأمة الإسلامية . ومن المعلوم قطعاً أن الصراع بين الحق والباطل قائم ، ما دامت السماوات والأرض ؛ ولأن أساس الصراع قائم على العقائد والفكر ، فلا بد حينئذ أن يكون البيان والرد والمدافعة ، بالحجة ودحض الباطل بالحق ، والشبهة بالإحكام . **وعن دور المختصين في هذا الباب سيكون وفق المهمات التالية** :

أولاً : تتبع الحركات الهدامة المعاصرة ، نظرياً وتطبيقياً ، ومقارنتها بأصولها من الأديان المحرفة أو الباطلة أو مقارنتها بالفرق القديمة ، وإظهار مظاهر الشبه والتطور الذي حصل فيها ؛ لأن هذا يؤكد استمرارية وجود الفرق والحركات الهدامة ، وأنها تستقي فكرها وعقائدها من أصولها القديمة وتستقي تطورها من خلال زعمائها الجدد أو أتباعها ، وهذا يزيد من الأهمية العملية لتتبع تلك الفرق ، وهو داخل في شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهذا التتبع يجب ألا يقف عند وسيلة معينة ، بل يجب كتابة ومناظرة وتتبعاً لقنواتهم الفضائية وعلى شبكات الانترنت قدر

الإمكان ، وفي وسائل التواصل ، وهذا وإن كان مجهداً لكن من يتق الله يجعل له مخرجاً .

فإذا ما علمنا أن الصليبيين والصهاينة والمجوس الشعوبيين يصنعون اليوم الجيوش الالكترونية [1]، والمواقع التي تستهدف بلاد المسلمين وخيراتها ، وتهاجم حصونها لمحاولة الاختراق ومن ثَمّ تهريب معلوماتها ، وهذا ليس من صالح المسلمين التهاون فيه ؛ لأن ذلك بمنزلة كشف الستر عن العورة . وقد أثبتت الدراسات من المختصين في المجال الالكتروني للمواقع على الشبكة ، استخدام الإيرانيين الفرس لتلك الجيوش الالكترونية والأقمار الصناعية لإنجاح وحماية ثورتهم الشعوبية المشئومة ، وتسليط ذلك ضد مصالح المسلمين وخصوصاً بلاد السنة ، بل صرح قائد الحرس الثوري الإيراني – محمد جعفري- بأن من أبرز أعمال حرسه العناية بالجيش الالكتروني إضافة للعسكري ، لحماية الثورة الإسلامية المزعومة ، وجعْله تحت إدارة الحرس الثوري كان بأمر من مرشدهم الخامنئي [2]. والشاهد مما تقدم أن دور المختصين في هذا الزمن يزداد نوعاً عن ذي قبل ، وتلك الطريقة التي يستخدمها أعداء الدين وإن كانت تبدو مختصة بالجانب الأمني والعسكري والسياسي أولاً ، إلا أن أساس الحرب والتعدي هو الجانب العقدي الفكري من قبل أولئك الشعوبيين ، وأنهم يوظفون تلك الوسائل لحماية ثورتهم الخبيثة التي هي مصدر أساسي للفكر الشعوبي المعاصر .

ثانياً : دراسة المصطلحات العقدية الفكرية وتحريرها

وهذا نوع آخر من الأدوار المهمة التي يجب على المختصين في باب الفرق والعقائد العناية بها ، فإنه لا يخلو وقت إلا وتسمع أعداء الأمة يطلقون عبارات واصطلاحات جديدة ، تبدو في ظاهرها براقة جميلة ، ولكن باطنها فيه المكر والخداع والنفاق ، وهذه المصطلحات ينخدع بها من لا علم لديه ولا حصانة ، وقد حذر ابن القيم من أمثال أولئك ، فقال : (... وكل أهل نحلة

---

[1] الجيش الالكتروني من المصطلحات الحديثة في مجال الحاسب والتقنيات الحديثة ، نتيجة للثورة الهائلة في مجال التكنولوجيا والمعلومات ، وهو يشمل جميع الحواسيب والمعلومات التي في داخلها والأنظمة والبرامج التي يستخدمها الجمهور أو فئة معينة سواء مرتبطة بالجانب العسكري أم يعم غيره ، انظر : الجيش الالكتروني الإيراني ، نبيل العتوم ، ص : ١٩

[2] انظر : الجيش الالكتروني الإيراني ، ص : ٢٣ ، وانظر نفس المرجع : ١٩ – ٤٠

ومقالة يكسون نحلتهم ومقالتهم أحسن ما يقدرون عليه من الألفاظ ، ومقالة مخالفيهم أقبح ما يقدرون عليه من الألفاظ ، ومن رزقه الله بصيرة فهو يكشف بها حقيقة ما تحت تلك الألفاظ من الحق والباطل ، ولا تغتر باللفظ) [1] . فيأتي هنا دور المختصين في هذا الباب ، وفي الحقيقة أن المصطلحات والإطلاقات التي يطلقها أعداء الدين كثيرة ، لكن أضرب بعض الأمثلة لذلك ، فمثلاً : مصطلح (الثورة)[2] ، أصبح أعداء الدين يطلقونه ويريدون به تهييج الناس على الحكام والخروج عليهم كما فعل الخوارج ، وكذلك إخراج العامة والغوغائيين في الشوارع والأماكن العامة وتعطيل أمور دينهم ومعاشهم ، بزعم مطالبة الحقوق ومنع ظلم الحكام ، وفي ظاهر الأمر يجعلون تلك الطريقة من باب الحرية ، والمساواة ، ورفع الظلم ، وغيرها من شعارات الماسونيين . وكم جرت تلك الطريقة على المسلمين من ويلات وبلاء ، حين شابهوا فيها الغرب الفاجر بتخطيط من الصهاينة اليهود وأذنابهم ، فلم يعرف المسلمون الثورات من قبل ، وإنما جاءت من أمثال مارتن لوثر ونابليون وغيرهم من أعداء العقيدة والملة ، الذين يمجدهم الغرب وتبعهم على ذلك أعداء الأمة [3]. فيأتي هنا دور المختصين في الاعتقاد لتوضيح الفرق بين الثورة والجهاد الشرعي ، وبيان حقيقة أهداف تلك الثورات وزرعها في بلاد المسلمين وآثارها ، وكيف وصلت لبلاد المسلمين ومصدرها ، إلى غير ذلك من المهمات التي يجب على طلبة العلم توضيحها للناس

من المصطلحات كذلك (الشرق الأوسط الجديد أو الكبير) ، وهذا المصطلح الحادث أسس وخطط له أعداء الدين ، ومن أشهرهم : برنارد لويس ، وهو مستشرق صهيوني ، أمريكي الجنسية ، حيث قدم مشروعه للصليبيين الأمريكيين ، وتمت الموافقة عليه من قبل الكونجرس الأمريكي ، وهدفه تقسيم الدول الإسلامية ، بدءاً بالعربية منها ، على أساس ديني مذهبي ؛ لبث الفرقة والنزاع والشقاق ، وخصوصاً في ظل الحلم المجوسي الصفوي بالتمدد وتصدير الثورة ، الذي ساعد هذا المشروع ، وكانا من أخطر معاول الهدم في هذا العصر [1]. ومن أهداف ذلك المشروع

---

[1] مفتاح دار السعادة : ١ / ٢٢١ ، ٢٢٢

[2] ومثله الانتفاضة !!

[3] انظر : الحفاظ على الأمن في منظومة مجلس التعاون ودور العلماء فيه ، مركز ابن خلدون : ٦٥ — ٧٥

[1] انظر : مشروع الشرق الأوسط الكبير ، عبد القادر المخادمي ، ص : ٤٣ - ٥٠

الصهيوني الصليبي المجوسي : إعطاء دولة بني صهيون الفرصة في التمدد والتوسع ، والدخول في نطاق البلاد العربية ، ثم الاضطرار للاعتراف بها ، وجعلها كالخنجر المسموم في خاصرة البلاد الإسلامية ، كما يهدفون من ذلك طمس الهوية العربية الإسلامية ، وإلغاء كل ما يدل على الحضارة العربية [1]. وكان ذاك الشعار أو المصطلح الصهيوني براقاً يخادع به أهله الجهلة والسذج ومن انخدع ببريق الحضارة الزائف وفضله على دينه وبلده ، تحت دعاوى الديمقراطية والحرية والمساواة وحقوق المرأة وغيرها من شعارات الماسونية كما تقدم . ومن أشهر الساسة الأمريكيين اليهود الذي دعوا لذلك المشروع قريباً ، وكان له تأثير في ذلك المشروع ، وزيرة الخارجية الأمريكية : كونداليزا رايس (٢٠٠٥ — ٢٠٠٩ م) ، وهي يهودية حاقدة على الإسلام . ففي مقال لها في جريدة واشنطن بوست ، في ٧ أغسطس ٢٠٠٣ م تقول : (إن منطقة الشرق الأوسط يؤخرها العجز في الحرية ، فيؤمن الشعور باليأس في أنحاء عديدة منها أرضاً خصبة لعقائد الكراهية التي تقنع الناس بالتخلي عن تعلمهم الجامعي ومهنهم وعائلاتهم وبالطموح إلى تفجير أنفسهم ...) [2]. واستخدم أولئك الشرذمة من أعداء الدين أيضاً مصطلحات أخرى تخدم ذلك المشروع الغربي الصليبي الصهيوني المجوسي ، ومن ذلك مصطلح : – الفوضى الخلاقة – ، ويعنون بها التسلط على نظام قائم أو دولة وإحداث الفوضى والعبث والاضطرابات وبعث العصبيات العرقية والعنصرية والدينية ، بهدف قيام نظام جديد يخدم مصالح الغرب [3] . والفوضى والعبث الذي يهدفون إليه لتقسيم البلاد الإسلامية لا يتوقف على جانب واحد ، بل يشمل الفوضى الدينية والأخلاقية والاقتصادية وكل وسيلة تبعث على الزعزعة وعدم الأمان والاستقرار ، وهي مبنية على فلسفة إلحادية تزعم بأنه يمكن خلق الشيء الجديد أو العالم من الاضطرابات والفوضى [4].

ومن المصطلحات الغربية كذلك التي بثها أعداء الدين لهدم العقيدة وبعث الفرقة والنزاع : (الربيع العربي) ، والتي كانت تطبيقاً لما عرف سابقاً بالفوضى الخلاقة ، والهدف منه إسقاط الدول

---

(١) المرجع السابق ، ص : ٤١ ، ٤٢

(٢) مشروع الشرق الأوسط الكبير ، ص : ٦٠

(٣) انظر : الفوضى الخلاقة ، رمزي المنياوي ، ص : ٢٧ ، ٢٨

(٤) المرجع السابق ، ص : ٤٥ — ٦٠ .

العربية الإسلامية ، وإحداث الفوضى والهرج والمرج فيها ، لكن هذا المسمى اختص بالبلاد العربية التي حدثت فيها تلك الثورات والفوضى والتي نتج عنها سفك الدماء وضياع الأمن ، والواقع كفيل بالشهادة على ذلك ، فأي ربيع حصل إلا حمامات الدماء ، فأصبح أبناء البلد الواحد يتقاتلون إما صراعاً على السلطة أو على أغراض حزبية أو غيرها ، وإلا فأين هو الدين والمطالبة بتطبيق شرع الله عند أولئك الذين ثاروا ، ولو سلمنا جدلاً بأنهم يريدون رفع الظلم بتلك الطريقة فهم كمن يبني قصراً ويهدم مصراً ، بل أمصاراً ، فكيف والحال كله تدمير وتضييع لبلاد المسلمين. ومن أراد التغيير الصحيح نحو الاستقرار في الأمور الدنيوية فإن بدايته هو القرار عيناً وعملاً بدين الله وتوحيده وتحقيقه ، فبه تُسْتجلب النعم وتُدفع النقم ، والبراءة من تولي المشركين الصليبيين والمنافقين والمبتدعة ؛ لأن من تولّ مثل أولئك سلطوا عليه ، كما هي سنة الله سبحانه وتعالى أنه يسلط الظالمين على الظالمين والمنافقين على مثلهم ، ثم يهلكهم جميعاً [١]. فمتى ما غير المسلمون حالهم ورجعوا إلى ربهم ، رفع الله عنهم الظلم والاستبداد والاستئثار ، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، جزاءً وفاقاً ، لكن من أعرض وضل وأضل وداهن وباع دينه ، فإنه يعمى حتى تكون نفسه توقعه في حتفه وهلاكه .

وكما قيل : يسعى بقدمه لإراقة دمه [٢].

والشاهد أن المصطلحات التي يطلقها أعداء الأمة تحمل في طياتها العداء والحقد الدفين على الدين ، وهنا يتأكد دور طلبة العلم المختصين في هذا الشأن بتحرير تلك الأمور وتتبعها ومتابعة ما يستجد منها ، وكشفها وبيان حالها للناس ، حتى يعلموا فيسلموا وبها ألا يغتروا . أما ترديدها بدون إدراك ما فيها فيشكل خطراً عظيماً على الدين والعقل وكافة المنافع ، وكذلك يدل على ضعف تصور المسلمين أو الكثير منهم للواقع العدائي من الشعوبيين وغيرهم من أعداء الدين [١].

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ٢ / ٢٣٨

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٩ / ٢١٢

(١) انظر : ضوابط استعمال المصطلحات العقدية والفكرية عند أهل السنة والجماعة ، سعود العتيبي ، ص : ١٢٦ - ١٥٣

ثالثاً : الاستفادة من وفود المسلمين الذين يقدمون للحج والعمرة ، ولزيارة بلاد الحرمين في شتى المناسبات ، في التعرف على أحوال الإسلام والمسلمين في بلادهم ، وعن مدى خطورة انتشار الحركات الهدامة ودعاتها ، فإن ذلك يساعد على قراءة الواقع لتلك الحركات والمذاهب الفكرية وآثارها على البلاد الإسلامية .

رابعاً : تفعيل الترجمة في باب الفرق والمذاهب بأشهر اللغات والعناية بالجودة في ذلك ، والتركيز على أكثر المذاهب خطراً وانتشاراً في البلاد الإسلامية ، خصوصاً التي تهدف إلى تمزيق وحدة الأمة الإسلامية ، وتصوير أهل السنة بالألقاب الشنيعة التنفيرية .

خامساً : إنشاء الجمعيات العلمية ، والمؤسسات البحثية المتخصصة في هذا الباب ، وتنظيم وتفعيل الجانب العملي منها بالدورات والبحوث والدراسات الميدانية في بلاد المسلمين لآثار الحركات الهدامة والمذاهب الفكرية التخريبية .

سادساً : التركيز على مادة الفرق والمذاهب وخطرها على الاعتقاد ، وجعلها مادة أساسية ، خصوصاً في المراحل الجامعية ، ولا يكون الغرض هو التثقيف بل بيان خطرها والإعداد لمواجهتها

سابعاً : تعزيز التواصل مع علماء الأمة والمجامع العلمية الفقهية والإفتاء ، وإفادتهم بما يستجد في هذا الباب ، وبما ينتج من توصيات للدراسات المتخصصة في هذا الشأن ، وكذلك التواصل مع ولاة الأمور لبيان خطر تلك الدعوات وكشف دعاتها بالحجة والبرهان ، ولدعم المؤسسات والمجامع التي تقوم بتلك الجهود والدراسات .

المطلب الثاني : تحصين مناهج الدراسة والتعليم

لا بد عند الحديث عن وسائل الحد من انتشار الفكر الشعوبي بين المسلمين وأبنائهم ، أن نعرج على ما يختص بالمناهج الدراسية والتعليم بكافة أطواره ؛ لأن التعليم ومرافقه من أهم الوسائل التي يحصن من خلالها شباب المسلمين وفتياتهم ، تجاه كل خلل ، سواء في العقيدة أو الشريعة أو السلوك والأخلاق ونحو ذلك . ولأنه قد مر معنا في ثنايا البحث أن من وسائل الشعوبيين في تنمية حركتهم العدائية ، استغلال مناهجهم الدراسية في تكريس البغض والعداوة للمسلمين ولدينهم وتاريخهم وتراثهم ، حتى ينشأ أبنائهم على ملتهم ، ويستمر معهم التسلسل الشعوبي جيلاً بعد جيل . وحتى نوقف تلك الهجمات الشعوبية من هذا الباب ، سيكون ذلك بالتركيز على محورين رئيسين :

أولاً : المحور الأساسي

وهو البقاء على تعليم العقيدة الإسلامية الصافية ، وعلى منهج السلف الصالح ، لكافة الفئات العمرية من الطلاب على اختلاف مراحلهم الدراسية ، ومع مراعاة لما يناسب كل فئة عمرية . وتعزيز ذلك التعليم بكل ما يحتاج إليه من الوسائل التعليمية المعاصرة والحديثة . كما يجب تعزيز الهوية الدينية في نفوس الطلاب وغرس ذلك فيهم من صغرهم ، وأن المسلم يجب عليه أن يعتز بدينه ويظهر ذلك عليه ، ظاهراً وباطناً ، في بلاده أو خارجها . وحتى الطلاب الذين لا يتخصصون في العلوم الشرعية ، ويتجهون للعلوم الأخرى التي تحتاجها الأمة ، عليهم إدراك تلك الهوية الإسلامية جيداً ، واستحضارها في كل حين . كذلك تعزيز العلاقة بين المسلمين ، وأنه يجب أن تكون وفق العقيدة الإسلامية ، بعيداً عن الأسباب المادية الأخرى ، أو الجاهلية التي نهى عنها الشرع ، كالقوميات والعصبيات وغيرها . وحتى مع غير المسلم ، فإن حسن الخلق والتعامل السمح ، كان رسالة عظيمة في تبليغ هذا الدين الحنيف ودعوة الناس إليه ، وهو سبب في صد تشويهات الشعوبيين للمسلمين [1].

ومع العقيدة الإسلامية وتلقيها ، يجب أن تظل اللغة العربية ، لغة الكتاب والسنة ، بكافة فنونها ، محل عناية فائقة ، واهتمام على كافة المراحل التعليمية ، فكما يحرص البعض على تعليم اللغات

---

[1] انظر : محاضرات إسلامية هادفة ، ص : ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٩ – ١٦٢.

الأجنبية ، وتلقينها للطلاب ، وهذا مهم ، فكذلك : يجب أن يكون للغة العربية النصيب الأكبر ، وأن تصرف إليها الجهود في الجامعات والمجامع والمؤتمرات على مستوى الدول الإسلامية ، لأن بقاء العناية باللغة العربية ظاهرة بين يدي المسلمين ، من آكد أسباب الحماية من النزعة الشعوبية ، والوقوف لها بالمرصاد[١].

ثانياً : التدقيق والتحقيق في المناهج والمقررات

وأنا هنا لست بصدد إعداد خطة منهجية أو للمقررات ، ولست مختصاً في ذلك ، لكن المقصود التنبيه على أن ثمة خلل فيما يلقنه بعض المعلمين – على اختلاف المراحل التعليمية – إلى الطلاب ، وكذلك في طريقة التعامل مع بعض الرموز المنتسبين للإسلام ، أو الذين يذكرهم التاريخ الإسلامي . فمثلاً : عندما يستعرض في الأدب العربي أمثال ابن المقفع وكأنه لا يوجد إلا هو وأمثاله ، والعجيب أنه لا يذكر عنه إلا قوته في الكتابة والترجمة وغيرها ، أو ما ينسب إليه من مؤلفات مثل : كليلة ودمنة ، وغيرها ، وكأنه لم يعرف عنه إلا ذلك ، مع أن من العلماء القدماء من طعن وتكلم فيه لشعوبيته ، بل منهم من اتهمه بالزندقة [٢]. وقُل كذلك في الشاعر : بشار بن برد ، فكثير ممن يستعرض شعره ، لا يجذبه إلا براعة شعره وقوة هجائه فقط ، ويتغاضى عن مجونه وزندقته ، مع أن حال الرجل لا يخفى ، وقد تقدم الكلام عنه [٣].

وقل مثل ذلك أيضاً في غيرهما أمثال : ابن سينا ، الذي اشتهر في الطب ، ولا يعرف عنه الكثير من الطلاب إلا أنه واحد من عظماء الأطباء فقط !!! ، بل اسمه في الجامعات والمدارس وحتى الشوارع ، ولكن حقيقة اعتقاده وضلالاته وتعديه على العقيدة ، لا يعرف عنها الكثير ، وقد يقول قائل : وما لنا في اعتقاده ؟ والجواب : أنك عظّمتَ من حارب العقيدة الصافية من حيث

---

[١] انظر : الفصحى في مواجهة التحديات ، نذير مكتبي ، ص : ٦٢.

[٢] انظر صفحة : ٢١١ ، ٢٤٨ من هذا البحث .

[٣] وليس القصد هنا منع رواية الشعر أو منع القراءة في المراجع الأدبية ، ولكن لا بد عند التعامل مع أمثال أولئك أو تناولهم في المقررات ، أن يكون بالتنبيه على ما يحمل من فكر وعقيدة خاطئة ، فالدين فوق كل شيء ، والحق أحق أن يتبع ، وقل مثل ذلك فيمن قبله .

لا تشعر !! ، بل إن الرجل نفسه يصرح بأن على عقيدة فاسدة [1]. وكذلك تصبح النظرة حينئذ أشبه بنظرة الماديين الغربيين ، التي تجعل من المادة والمنفعة غاية كل شيء ، ويجعلون كل وسيلة لها مباحة ، أو كما يقال في القاعدة النفعية المشهورة : الغاية تبرر الوسيلة ، وأما الحق فهو وسط بين ضلالتين .

فإذا ما نشأ الطالب على معرفة أمثال أولئك معرفةً مجردةً بدون تحقيق ، خصوصاً صغار السن ، فسينطبع في أذهانهم اعتبار أولئك كقدوات ، ومُثُل عليا ، وهذا ما لا تحمد عقباه ، ولعل ما مضى من الشواهد كافٍ لتقريب المراد .

وما تم ذكره ليس بدعاً من القول ، فالأئمة والمحققون لهم عناية فائقة بما يجب أن يتعلمه الطالب ، ويبني عليه اعتقاده وفقهه ، ومن أشهر من كان ينادي بذلك من الأئمة في العصر الحديث : الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله ، في طريقته التي سماها : التصفية والتربية ، والتي كان ينادي بها الطلاب في شتى المجالات ، في الاعتقاد والفقه والأخلاق وغيرها من أبواب الدين [2].

---

(1) وقد تقدم ترجمته ، ص : ٢٦٧ .

(2) انظر : جامع تراث العلامة الألباني في المنهج والأحداث الكبرى ، شادي آل نعمان ، ص : ١ / ٣٨٦

المبحث الثاني : الواجب العملي الدعوي ، وقسمته إلى مطلبين :

المطلب الأول : بيان العقيدة الصحيحة ونشرها

المطلب الثاني : التحذير من الغزو الشعوبي بالطرق الشرعية

المطلب الأول : بيان العقيدة الصحيحة ونشرها

واجب الدعاة إلى الله عظيم وثقيل ، إذ إن الدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء والرسل ، ولا يصبر عليها إلا من امتثل أمر الله فيها ، وسار على طريق الرسل . والرسول ﷺ قد بين منهاج تلك الدعوة ، ولم يجعل لأحد حجة عليه ، فلا خير إلا دل عليه ، ولا شر إلا حذر منه ، والله سبحانه وتعالى قد أعذر نفسه بإرسال الرسل وإنزال الكتب ، فالحجة إذن قائمة ، والطريق إليه واضح المحجة ، ولم يبق إلا الاقتداء بمن هداهم الله واهتدى بهم الناس . والصفة الجامعة لذلك الاقتداء وطريقه ، قد بينها الله سبحانه وتعالى في كتابه ، على لسان رسوله ﷺ ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [(1)] . يقول ابن كثير رحمه الله : " ... يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين : الإنس والجن ، آمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله ، أي : طريقته ومسلكه وسنته ، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ، ويقين وبرهان ، هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ، ويقين وبرهان عقلي وشرعي ... " [(2)]

فالبصيرة إذن شرط واجب فيمن يدعو إلى الله ، بدءاً بنفسه بأن يتسلح بالعلم الشرعي ، ويجتهد أن يكون قدوة فيما يدعو إليه ، وكذلك البصيرة في تعامله مع المدعوين بمعرفة حالهم [(3)] . والرسول ﷺ قد رسم للصحابة رضوان الله عليهم هذا الطريق عملياً حينما كان يرسلهم خارج المدينة للدعوة إلى دين الله ، فحينما أرسل معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال له : (إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ....) [(4)]. فهنا بين الرسول ﷺ لمعاذ الحالة الدينية لأهل اليمن ، حتى يستعد لهم ، ولأن منزلة الكتابيين ليست كمنزلة أهل الشرك والأوثان ، وكذلك رتب له أهم الواجبات ، التي يبدأ بها في دعوته لأهل اليمن ، ثم التدرج

---

(1) سورة يوسف ، آية : ١٠٨

(2) تفسير القرآن العظيم : ٢ / ٦٤٤

(3) انظر : مفتاح دار السعادة ، ابن القيم ، ١ / ١٢٨ ، ومسئولية طالب العلم ، ابن باز ، ص : ٥

(4) متفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب : بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ، رقم : ٤٣٤٧ ، ومسلم في صحيحه ، رقم : ١٩

في الدعوة بعد ذلك ، إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة في هذا الحديث [1].

وفيما يتعلق بمقاومة الحركة الشعوبية من قبل الدعاة إلى الله ، فإن عليهم واجباً عظيماً تجاه ذلك الأمر ، لكن قبل ذلك ، يجب أن يُنَبه على أن دور الدعاة يجب ألا ينفرد عن صف العلماء والمتخصصين في مجال الفرق والعقائد ، فإن الدور بين الجميع يجب أن يكون بالتعاون على البر والتقوى ، ويجب أن يكون تكاملياً ومنظماً ، بعيداً عن الإنفراد والعجلة ، متحلين بالعلم والمعرفة والتؤدة والحلم ، وواجب الدعوة يقوم على العلماء وطلبة العلم والأساتذة والدعاة إلى الله ، ووصف الداعية يلزم كل من نزل ميدانها أو تولى جانباً يسد منه حاجة الأمة الإسلامية .

وأما أول واجب على الدعاة إلى الله فيما يتعلق بالتصدي للحركة الشعوبية ، فهو : بيان العقيدة الصحيحة ونشرها ؛ لأنه كما تقدم مراراً بأن الحركة الشعوبية تفسد العقيدة وتحاربها ، لكن حينما يقوم الدعاة بواجبهم تجاه تلك العقيدة ، فإن دعاة الحركة الشعوبية لن يستطيعوا مقاومة العقيدة الصحيحة ، لأنها الحق الذي لا مرية فيه ، والصحة التي ليس بعدها إلا المرض ، وهي الأصل الذي يُبنى عليه كل فلاح دنيوي وأخروي . وبيان العقيدة والاستمساك بها أعظم ما ينجي من الوثنيات والمذاهب الفكرية الهدامة ، وحينما يتعلم المسلم عقيدته الصافية ، فسيبذل دونها كل غالٍ ونفيس ، ويعرف بها حال الصادق من الكذوب ، والفرق بين الدعاة إلى الجنة والدعاة لأبواب جهنم . يقول ابن تيمية : (ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكل شر في العالم ، وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك ، فسببه مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والدعوة إلى غير الله . ومن تدبر هذا حق التدبر ، وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه ، وفي غيره عموماً وخصوصاً) [1].

وهذا المسلك في الدعوة إلى العقيدة الصافية يجب أن يُبدأ به مع الفتية والغلمان ، منذ حداثة أسنانهم ، وصفاء أذهانهم ، كما فعله قدوة الدعاة وإمامهم – صلى الله عليه وسلم – ، فعن

---

[1] انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ، ١ / ١٤٦ – ١٤٩

[1] مجموع الفتاوى : ١٥ / ٢٥

جندب بن عبد الله ﷺ قال : كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة[1] ، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً) [2] .

وهذا ينبه الدعاة إلى أمر هام وعظيم ، وهو أنه لا يهمل شباب الأمة حتى ينزلقوا في مزالق الأهواء ، لأنه حينئذٍ يصعب انتشالهم من تلك الأوحال ونتنها ، ودفع البلاء أهون من رفعه ، والسلامة لا يعدلها شيء . ومن الأمور التي ينبغي على الدعاة الاهتمام بها لصد الحركة الشعوبية ، الدعوة للبراءة من أهل الكتاب والمشركين والباطنيين ، وترك التشبه بهم في دينهم ، وفي كل ما يعود على العقيدة والهوية الإسلامية بالأثر السلبي ، فإن التقليد في الظاهر ينتج عنه إعجاب وتعلق في الداخل ، وإذا استسلمت القلوب لأولئك وتعلقت بهم ، فإن الولاء للعقيدة والدين ستضعف قوته ، وتخبو أنواره [3].

وكذلك من واجبات الدعاة الوقوف في وجه الشبهات والشهوات ، وسؤال أهل العلم ومراجعتهم لمعرفة الطريقة المثلى في صدها ، ثم توعية الناس بخطرها والنأي بهم عنها [4].

وليس كل الدعاة يدرك ذلك الشيء ، إلا من تسلح بالعلم والحكمة والدربة على مواجهة الأعداء ، فإن شياطين الإنس أشد ضراوة من شياطين الجن ، والموفق من وفقه الله .

ومن أهم واجبات الدعاة تحذير الناس من المذاهب الفكرية الهدامة ، التي تدعو الناس إلى التفسخ والمجون ، تحت دعاوى التطور والتمدن والحضارة ، وغيرها من الدعاوى التي حقيقتها استهداف العقيدة الصحيحة . وكذلك توعية الناس بطرق استغلال الغرب الكافر ، والصهاينة ، والمجوس ، وغيرهم من أعداء الملة ، لوسائل الإعلام والفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي ، لبث سمومهم الفكرية إلى عقول الشباب والشابات ، وإيغار صدورهم على ولاة أمورهم تحت دعاوى التغيير والمطالبة بالحقوق المدنية ، كما أنه على الدعاة إيجاد البدائل المباحة التي تساعد على استغلال أوقات المسلم ، لكن تبقى الضرورة في مجاهدة جنود الشيطان لإزالة بؤرهم أو

---

[1] حزاورة : جمع : حَزْوَر وحَزَوّر ، وهو الذي قارب البلوغ ، انظر : النهاية ، ص : ٢٠٥

[2] أخرجه ابن ماجه في سننه ، رقم : ٦١ ، وصححه الألباني ، وانظر : الانتصار لأهل الأثر ، ص : ٥٧

[3] انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ، ص : ٨٤

[4] انظر : تبصرة الهُداة بشأن الدعوة والدعاة ، عبد الله بن صالح القصير ، ص : ١٤٩

التقليل منها ، أو التحذير منها بطريقة مناسبة ، يترتب عليها المقصود ، ويتحصل من خلالها الواجب ، فإن استغلال الإعلام اليوم بكافة أشكاله بات أمراً ضروري للدفاع عن الأمة ومسلماتها [(١)].

ومما يتأكد فيه دور الدعاة اليوم ، أن يدعوا الناس ، خصوصاً الشباب والفتيات ، لأن يكونوا في صف علمائهم وولاة أمورهم ، وعليهم أن يجمعوا اللحمة ، ويسدوا الثلمة ، ويشدوا الوثاق عليها ، وأن يكونوا مع السواد الأعظم ، وهم أهل السنة والجماعة ، وتحت ولاية حكامهم ، وليحذّروهم من خطر الخروج وحمل السلاح على المسلمين ، ومن خطر دعاة الخوارج ، وألا يغتروا بظاهر صلاحهم ، أو بدعاواهم للجهاد ، فما أكثر ما أساؤوا لتلك الشعيرة العظيمة ، يقول الآجري رحمه الله : (فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي ، قد خرج على إمام عدلاً كان أو جائراً ، فخرج وجمع جماعة ، وسل سيفه ، واستحل قتال المسلمين ، فلا ينبغي له أن يغتر بقراءته للقرآن ، ولا بطول قيامه في الصلاة ، ولا بدوام صومه ، ولا بحسن ألفاظه في العلم ...) [(٢)]. وهذا يدل على أن معرفة الخوارج يحتاجه الناس في كل حين ؛ لكثرة خروجهم ؛ ولكثرة ما يغيرون من طرقهم ، ولقد نبه ابن تيمية رحمه الله أن كثيراً من الناس لا يعرف حقيقة الخوارج ، فيقول : (... كذلك الخوارج لما كانوا أهل سيف وقتال ، ظهرت مخالفتهم للجماعة حين كانوا يقتلون الناس ، وأما اليوم فلا يعرفهم أكثر الناس ...) [(٣)]. ويقول أيضاً : " ... ولهذا كثيراً ما يكون أهل البدع مع القدرة يشبهون الكفار ، في استحلال قتل المؤمنين وتكفيرهم ، كما يفعله الخوارج ، والرافضة ، والمعتزلة ، والجهمية ، وفروعهم ، لكن فيهم من يقاتل بطائفة ممتنعة كالخوارج والزيدية ، ومنهم من يسعى في قتل المقدور عليه من مخالفيه ، إما بسلطانه ، وإما بحيلته ، ومع العجز يشبهون المنافقين ، يستعملون التقية والنفاق ، كحال المنافقين ..." [(١)].

ومما يدل على ذلك في زمننا الحاضر ، عندما قام بما سمى بالربيع العربي في أوائل سنة ٢٠١١م ،

---

(١) انظر : مسئولية طالب العلم ، ص : ١٦ – ٢١

(٢) كتاب الشريعة : ص ١ / ٢٠٢

(٣) النبوات : ١ / ٥٦٤ .

(١) الفتاوى الكبرى : ٥ / ٢٠٩

ووجد العامة من دعاة الخروج والفتنة من يثوّرهم على الحكام ويدعوهم للمظاهرات ، فكان تحريضهم للناس بدعوى الحقوق ورفع المظالم ، وضرورة التغيير والتقدم في الأمور المدنية ، ولكن حقيقة تلك الدعاوى ظهرت للعامة متأخرة ، بعد ما انتشرت الفوضى وسفكت الدماء ، وشُرد المسلمون . وأما العلماء فقد أدركوا تلك الفتن ونبهوا الناس إليها منذ انطلاقها ، ولم يسلم إلا من أراد الله له السلامة ، وبذل لها أسبابها [(١)] .

والشاهد أن مما يجب على الدعاة إلى الله الجد في التنبيه عليه هو تحذير الناس والشباب خصوصاً من الخوارج ومسالكهم التي تفضي إلى الفرقة وسفك الدماء ، وهذه الحالة مما يستبشر بها أهل الحركة الشعوبية ، فيسعدون جداً حينما يحصل النزاع وسفك الدماء في بلاد المسلمين ؛ لأنهم حينئذٍ يجدون من خلال الخوارج مدخلاً للدخول معهم وتكثير سوادهم ، وما أكثر ما يتلون الشعوبيون أو يتظاهرون بالتدين من باب النفاق والمخادعة حتى يصلوا لمرادهم من المسلمين ، أو على العكس يستغلون فعال الخوارج وسفكهم للدماء ، لتشويه صورة الإسلام والمسلمين ، وتحميل الإسلام كل تلك الشنائع ، بوصفه بالدموية والعنف ، وكذلك تحميل علماء المسلمين وأمرائهم تبعات تلك الأمور من باب تنفير الناس عنهم ، ويصورون للشباب بأن الواقع الغربي هو الحل وهو الصواب ، لأن بلادهم —كما يزعمون – تنعم بالتقدم والرقي ، لأنه ليس لديهم حروب داخلية طاحنة بسبب المتدينين ، وهذا من شدة مكرهم وخبثهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

فعلى الدعاة إلى الله دور كبير وعظيم ، لا يتسع المجال هنا لتتبعه والتفصيل فيه ، ولكن أرجو أن يكون ما تقدم فيه تذكير بالدور الأساسي للدعاة إلى الله ، فيما يتعلق بصد الهجمات الشعوبية .

[(١)] انظر : بيان هيئة كبار العلماء :

http://www.alifta.net/BayanNew.aspx?NewsID=٨٣&Lang=ar

المطلب الثاني : التحذير من الغزو الشعوبي بالطرق الشرعية

أول ما يجب على الدعاة إلى الله فعله تجاه الغزو الشعوبي ، هو : دعوة الناس للاجتماع على رابطة الدين الإسلامي ، ونبذ ما سواها من الأمور الشركية ، والتقاليد العنصرية ، والعادات الجاهلية ، وكذلك نبذ الاتجاهات الفكرية الحادثة ، فإن الله سبحانه وتعالى قد رضي لنا الإسلام ديناً ، وأتم لنا النعمة بإكماله ونسخه ما قبله من الشرائع ، فلا أهدى لنا حينئذٍ منه شيئاً ، قال الله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ [(١)] ، يقول ابن كثير : " ... إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام ، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين ، حتى خُتموا بمحمد ﷺ ، الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ ، فمن لقي الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين على غير شريعته فليس بمتقبل " [(٢)].

وقال تعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [(٣)]، أي : " من سلك طريقاً سوى ما شرعه الله ، فلن يقبل منه " [(٤)].

وقال تعالى : ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [(٥)]. وهذا النداء لأهل الكتاب وغيرهم ممن نناديه للدخول في هذا الدين العظيم للاستمساك بشرائعه ، والعض على نواجذه ، ونبذ ما سواه من كل أسباب الفرقة والخلاف ، وقد وصف الله هذا النداء بالكلمة السواء ، أي : العدل والنصف ، الذي يستوي فيه كل البشر ، وهو عبادة الله وحده وترك الإشراك معه غيره ، فمن دخل في هذا النداء وامتثله فله أخوة الدين والعقيدة ومقتضياتها ، ومن عاند وأبى فتجب البراءة منه ، والتمسك بدين الإسلام [(١)]. وعند

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٩

(٢) تفسير القرآن العظيم : ١ / ٤٦٢

(٣) سورة آل عمران ، آية : ٨٥

(٤) تفسير القرآن العظيم : ١ / ٤٩٤

(٥) سورة آل عمران ، آية : ٦٤

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ص : ١ / ٤٨٤

التأمل في تلك الآيات المذكورة وما ذكر معها من تقرير نجد أنها تبطل كل دعاوى الشعوبية وعقائدها وأفكارها من أوجه ، **أولاً** : أن الله لم يرض غير الإسلام ديناً ، ولم يأمر غير المسلمين بالاجتماع إلا عليه ، فمن لم يمتثل فقد برئت منه ذمة الله ، وخرج عن الصراط المستقيم ، وشابه اليهود والنصارى في كبرهم وإعراضهم ، وكذلك أهل الفكر الشعوبي فإنهم لم يذعنوا للاجتماع على الدين والتفيؤ بظلاله ، بل حاربوا الإسلام وأهله ودوله ، ولجئوا إلى الزندقة والكفريات والأفكار الباطنية ، وغيرها من صنوف الضلال .

ثانياً : وصْفه سبحانه الدعوةَ للدين والاجتماع عليه بالسواء ؛ لأن من دخل في دين الله فقد استوى بغيره من البشر فيما يجب عليه وما يجب له ؛ وهذا يرد على الشعوبيين الذين دعوا الناس للاجتماع على أمور جاهلية كالجنس والعرق أو القوميات وغيرها من أسباب الفرقة والجاهلية ، كما أنه يؤكد أنه ما من سبيل لتحقيق العدل والإنصاف إلا من خلال هذا الدين العظيم ، لا بدعاوى الشعوبيين الذين بدؤوا حركتهم بالدعوة للتسوية .

والخلاصة مما تقدم أن هذا الواجب من قبل الدعاة إلى الله ، لو أقيم كما ينبغي قدر الاستطاعة ، فستهون كل الطرق بعده ، وتتيسر ، لأنها مبنية عليه ، والله أعلم .

ومن الطرق التي يسلكها الدعاة أيضاً للتحذير من الغزو الشعوبي ، حفظ الأخوة الدينية والقيام بواجباتها ، وأعظم ما ينبغي تجاه الأخوة الإيمانية هو ، التواصي بالحق والصبر عليه ، فإن المسلمين ما زالوا بخير كلما تواصوا وتآخوا في دين الله ، قال : صلى الله عليه وسلم : " المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يُسْلِمه(1) ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته .." (1)، قال ابن حجر : في الحديث حض على التعاون وحسن التعاشر والأُلفة (2).

كما يجب على الدعاة أيضاً أن يجتهدوا لتبليغ العقيدة الصافية في البلاد التي تكثر فيها النزعات

---

(1) لا يُسْلمه ، قال ابن حجر : " لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه ، بل ينصره ويدفع عنه " فتح الباري: ٤ / ١٣١ .

(1) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المظالم ، باب : لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يخذله ولا يسلمه ، رقم : ٢٤٤٢

(2) فتح الباري : ٤ / ١٣٢

الشعوبية ، والعصبيات القومية ، بإظهار محاسن الدين الإسلامي ، وعدله وإنصافه ، وبالرفق واللين والمعاملة الحسنة ، وبأن أساس الاجتماع هو على الدين ؛ لأنه الحق الذي يصد كل باطل ، واليقين الذي يزيل كل شك وريبة . وكذلك تعاهد أهل السنة في تلك البلاد ومعونتهم بقدر الاستطاعة ضد ما يعانونه من نزعات الشعوبية المقيتة ، وهضم حقوقهم حتى في عدم إظهار شعائرهم ، فما أكثر الدول التي ترحب بالكنائس والبيَع ومعابد النيران ، وتحارب المساجد ودور التعليم الإسلامية .

المبحث الثالث : الواجب السياسي الإصلاحي ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : إخماد النزعات الشعوبية في بلاد المسلمين

المطلب الثاني : حماية الدول الإسلامية تجاه ما يهددها من عدوها

المطلب الثالث : إصلاح وسائل الإعلام

المطلب الأول : إخماد النزعات الشعوبية في بلاد المسلمين

وهذا الدور الذي سنتكلم عنه في هذا المبحث ، يتعلق بولاة أمور المسلمين ، فإن عليهم دوراً أساسياً وعظيماً تجاه الحركة الشعوبية ؛ لأنه كما تقدم بأن من أهداف الحركة الشعوبية إسقاط الدول الإسلامية وراياتها منذ القديم ، فهم لا يعترفون بالخلافة الراشدة ، ولا بما بعدها من الولايات الإسلامية . والواجب فعله لصد ذلك الخطر العظيم ، منوط بولاة أمور المسلمين وحكامهم وأعوانهم ، وقبل أن أذكر أبرز المهمات لذلك ، يجب التنبيه على أن دور ولاة الأمور يجب أن يكون ديانة وتعبداً لله وحده ، لأن الحركة الشعوبية عداؤها عقدي فكري ، يقوم على حرب الإسلام والمسلمين ، فلا ينبغي أن يكون تصدي الساسة لها من باب السياسة الصرفة ، بل هو صراع بين الحق والباطل . وكذلك يجب أن يكون دور ولاة الأمور منتظماً مع دور العلماء وطلبة العلم والدعاة إلى الله ، والواجب على العلماء والدعاة أن يعرفوا لولاة الأمور حقهم وقدرهم ، ويبينوا لهم خطر تلك الحركات الهدامة ، وخططها وأهدافها ، حتى تتضح الصورة لديهم ، ويدعموا الموقف الحق .

وأما عن أبرز المهمات التي يلزم ولاة الأمر القيام بها لإخماد النزعات الشعوبية ، ما يلي :

أولاً : تحكيم شرع الله في البلاد ، وتثبيت دعائمه ، وتقوية أركانه ، وحماية العقيدة وإبقائها صافية من دنس الشعوبيين ؛ فإن بقاء الدين الإسلامي مصدراً أساسياً للمصالح والأحكام الدينية والدنيوية ، لهو الأمان الأول لإخماد النزعات الشعوبية العدائية . ومن أهم ما يجب تثبيته في البلاد الإسلامية ، إقامة شعائر الإسلام الظاهرة ، كالصلاة جماعة في المساجد ، وإقامة الجمع والأعياد ، والحج والعمرة ، وبناء المساجد والجوامع ، فإن بقاء تلك المظاهر منوط بأئمة المسلمين ، وإظهارها من أعظم الشعائر الدينية ، وعلامة فارقة لجريان الأمن والإيمان في البلاد وبين العباد . وفي إظهارها إرغام لأنوف العِدا وشانئي الدين وأهله ؛ لأنهم بذلك سيستصعبون اختراق الديار الاسلامية ؛ لبسط شعائر الإسلام بين المسلمين ، وكذلك في قيامها تخويف لأعداء الملة من الشعوبيين وغيرهم ، لعلمهم بأنه مادام حال المسلمين كذلك ، فهم على قوة وجماعة واحدة على من أراد منازعتهم وشق صفوفهم ؛ لأن من أساسيات الحركة الشعوبية تفرقة المسلمين في الدين

والدنيا ، ولكن مع بقاء تلك المظاهر والشعائر الإسلامية سيندحرون ويولون الدبر بإذن الله [1] .

ثانياً : إقامة الحسبة في البلاد ، وذلك لأن من أسباب خيرية هذه الأمة وتميزها عن أهل الضلال والزندقة ، هو بإقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو كما يطلق عليها : الحسبة ، وذلك لأن التطوع للحسبة وحده لا يكفي ، بل لا بد للحاكم المسلم من إيعاز الحسبة لمن يوثق بدينهم وصلاحهم [2]. وهي من أسباب دحر الحركات الهدامة كالشعوبية وغيرها ، لأن أعظم المعروف هو الدعوة للتمسك بدين الله وتوحيده والصلوات الخمس ، ومنع الخمور وإعلان الفسق والخنا بين الناس ، وغير ذلك مما عرّفَنا الشرعُ بصلاحه وحسنه . وأعظم المنكرات هو الشرك بالله والكفر والزندقة وارتكاب الكبائر وهذه موجودة في الفكر الشعوبي ، فقيام شعيرة الاحتساب تمنع تلك الضلالات العقدية ، وكذلك تمنع التفسخ الأخلاقي والانحلال الذي هو سمة في خُلُق الشعوبيين ، وهذا كله يعود إلى الأصل الجامع وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [3].

كما أن على الإمام أن يختار للحسبة من يصلح لها ، ممن يتصف بالعلم والرفق والحكمة ، ومعرفة عواقب الأمور ، وأن يكون معيار الإنكار أو الأمر هو الشرع ، لا بمجرد الأهواء أو المنافع الدنيوية [4].

ثالثاً : إقامة العقوبات الشرعية ، سواء كانت حدوداً وفق ما قرره الشرع ، أو تعزيراً باجتهاد الحاكم ، وكما يقول أهل العلم أنها زواجر وجوابر ، وهي من أسباب بقاء الدولة الإسلامية ؛ لأن إقامة الحدود تحيا بها النفوس ، وتطمئن بها الأمة . وأعداء الملة يخشون سياط السلطان ، فكم من عدو يريد أن يَقتل ، لكن يمنعه خوفُه أن يُقْتل [1]. وكذلك مما يقوي شوكة الدولة الإسلامية ويعززها ، إنفاذ تلك العقوبات فيمن يكون بين ظهراني المسلمين من غيرهم من

---

[1] انظر : السياسية الشرعية لابن تيمية مع التعليق عليه لابن عثيمين ، ص : ٦٤ — ٧٤

[2] انظر : الأحكام السلطانية ، الماوردي ، ص : ٣١٥ ، وانظر / الطرق الحكمية لابن القيم : ٦٢٢ – ٦٢٥

[3] مجموع الفتاوى : ٢٨ / ٦٠ — ٧١ ، وانظر : ٢٨ / ١٠٥ ، ١٠٦

[4] المرجع السابق : ٢٨ / ١٣٥ — ١٣٧ ، وانظر أيضاً : ١٥ / ٣٣٧ – ٣٤٠

[1] انظر : تفسير القرآن العظيم ١ / ٢٧٦ .

الديانات الأخرى ، فإنه متى ما ترافع طائفة منهم ، أو ارتكب أحد منهم ما يوجب العقوبة ، فإنه يتعين على الحاكم إقامة حكم الشرع فيهم ، كما قال تعالى ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ [1]. وهذا مؤداه بسط الأمن ، وانتشار هيبة الدولة ، بفضل تحكيم الشرع الحكيم المطهر ، وإقامة الحدود [2].

وأما تعطيل العقوبات الشرعية وعدم تنفيذها ، مع الركون للقوانين الوضعية ، فهذا من كبائر الذنوب ، ومن الإفساد في الأرض ، وهذا مما يعجل بزوال الدولة المسلمة ، ويسلط عليها أعداء الملة والدين فكرياً وعقدياً ومادياً ، ويجعل المسلمين تبعاً لهم وأذلة ؛ لأنها اتصفت بالجاهلية بعد أن أكرمها الله بنور الوحيين . قال تعالى منكراً على من استبدل حكمه بحكم غيره : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [3].

رابعاً : منع النزعات القومية العنصرية الجاهلية

وهذا مما يجب على حكام المسلمين منعه والحد من ذرائعه ، كالأخذ بالثأر ، والفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والنظر للغير بمنظار الطبقية والتعالي ، وتصنيف الناس على غير ما صنفهم الله في الشرع المطهر ، أو بالتحاكم للأعراف الجاهلية التي تضاهي حكم الشريعة الإسلامية ، كل تلك الأمور من بقايا الجاهلية وسوءاتها [1]. والنبي ﷺ قد أبطل جميع دعاوى الجاهلية من العصبيات والحميات ، التي تعود على المسلمين بالتنازع والافتراق في حجة الوداع حين قال عليه الصلاة والسلام : " ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدميَّ موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ." [2].

كما أن على الحكام أن ينظروا إلى رعاياهم بعين الأبوة والعطف ورعاية المصالح ، وأن يكون

---

[1] سورة المائدة ، آية : ٤٢ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ٢ / ٨٤

[2] انظر : السياسة الشرعية مع تعليق ابن عثيمين ، ص : ١٨٧ — ٢٣٠، وأثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع ، محمد حسين الذهبي ، ص : ١٩ .

[3] سورة المائدة ، آية : ٥٠ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ٢ / ٩٤

[1] انظر : العصبية القبلية من منظور إسلامي ، خالد الجريسي ، ص : ٣٣ - ٤٣

[2] أخرجه مسلم في صحيحه ، رقم : ١٢١٨ .

منهجهم مع الرعية هو : العدل ، فإنه بالعدل تدوم الولايات ، وينال الرعية حقوقهم ، وتُصد النزعات العصبية الجاهلية ، وقد تقدم في الفصل الماضي أن من أسباب انتشار الحركة الشعوبية غلبة الظلم والعدوان في البلاد . ومما تجدر الإشارة إليه ، الرفق بالخدم والخول الذين يأتون من بلاد بعيدة لغرض التكسب والمعيشة ، فإنه ما أجبرهم على ترك بلادهم والسفر عنها إلا الحاجة وسد الفاقة ، فيجب النظر إليهم بعين الأخوة الدينية ، والاستفادة من وجودهم في تعليمهم العقيدة الصافية ، فإنه متى ما تلقوا العقيدة السمحة ، فسيكون ذلك من أعظم دفع العصبيات والقوميات ، وسيكونوا سفراء للإسلام في بلادهم ، بنقل الصورة السمحة للإسلام والمسلمين ، وبهذا يكونوا جبهة خارجية للدفاع عن وصف الشعوبيين للمسلمين بالتسلط والكبرياء ومنع الحقوق .

ومما يمنع النزعات القومية : اختيار الأصلح من قبل الحاكم وممن يتصف بالقوة والأمانة ، فيمن يلي الوزارات أو الثغور أو أي أمر يتعلق بمصالح العباد ، فإن هذا مما يعين الحاكم المسلم على نشر العدل ، وإيصال الحقوق لأهلها ، ويعين على دفع كل ما يهدد البلاد الإسلامية من خطر حسي ومعنوي [1]. وفي المقابل إذا كان من يلي مصالح المسلمين من الخونة أو ممن يوالي أعداء الملة فسيكون مصدراً لتخريب البلاد وإسقاطها ، وسبباً للحركات الهدامة كالشعوبية وغيرها ، وسبق في الباب الأول أن من أسباب قيام الشعوبية وانتشارها ، تولية ذوي الولاء الشعوبي المناصب في الدولة .

---

(1) انظر : السياسة الشرعية مع تعليق الشيخ ابن عثيمين ، ص : ٢١ — ٣٧

المطلب الثاني : حماية الدول الإسلامية تجاه ما يهددها من عدوها

وهذه الحماية يتعلق بها جانبان أساسيان ، **الأول** : الإعداد المعنوي وما يتعلق به ، وهو دور العلماء والدعاة والمصلحين ، الذين يغارون على دينهم وبلادهم ، وأول ذلك الإعداد هو الجهاد لسلامة المعتقد والفكر ، ولا يكون ذلك إلا بتعليم العقيدة الصافية وتحصين الناس بها ، خصوصاً الشباب والشابات في هذا الزمن الذي عصفت فيه المذاهب المنحرفة بعقولهم. كما يجب تبصير الناس بمخططات الأعداء وأن الصراع بين الخير والشر ما زال ، بل هو أشد وأعظم في هذا العصر ، ولا يغر الشباب ما يخادع به الغرب الفاجر وأذنابهم من دعاوى الحوار والسلام والتعايش ، فواقع البلاد الإسلامية شاهد وكفيل بتكذيب كل تلك الدعاوى ، ومن ذلك أيضاً أن يفقه الشباب فيما يجب أن يعاملوا به غير المسلم وفق الشريعة الإسلامية ، بدون إفراط أو تفريط[(١)].

ومن الإعداد المعنوي كذلك : تذكير المسلمين بفضل الجهاد في سبيل الله ضد أعداء الدين ، على اختلاف صور ذلك الجهاد ، وتفقيههم بشروط الجهاد الشرعي الذي رتب عليه الشرعُ الفضلَ العظيم والجزاء الكبير ، بأن يكون مع الإمام المسلم وتحت رايته ، وبرضا الوالدين ، إلى غير ذلك من الضوابط الشرعية [(٢)].

ومن أعظم الجهاد كذلك جهاد المشركين والمنافقين والملحدين أعداء الدين ، بالبيان والحجة ، فإن ذلك من أعظم الأمور ، وبه تحمى بيضة الدين ، وهو واجب في كل حين ، بخلاف جهاد القتال . وحتى تحمى الأمة من كل خطر يهددها ، يجب أن يكون الجهاد والإعداد له على كافة الأصعدة ليس فقط بجهاد القتال .

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (... الواجب على الأمة الإسلامية أن تقابل كل سلاح يصوب نحو الإسلام بما يناسبه ، فالذين يحاربون الإسلام بالأفكار والأقوال يجب أن يبين بطلان ما هم عليه بالأدلة النظرية العقلية ، إضافة إلى الأدلة الشرعية ، حتى يتبين بطلان ما هم عليه . والذين

---

(١) انظر : محاضرات إسلامية هادفة ، ص : ١١٣ – ١٢٦

(٢) انظر : مجلة البحوث الإسلامية ، الفرق بين الجهاد والإرهاب ، لمياء الطويل ، ص : ٢٢٣ ، العدد : ٩٧.

يحاربون الإسلام من الناحية الاقتصادية يجب أن يدافعوا ، بل أن يُهاجموا إذا أمكن بمثل ما يحاربون به الإسلام ، ويبين أن أفضل طريقة لتقويم الاقتصاد على وجه عادل هي طريقة الإسلام ، والذين يحاربون الإسلام بالأسلحة ، يجب أن يقاوموا بما يناسب تلك الأسلحة ، ولهذا قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1]

ومن المعلوم أن جهاد المنافقين ليس كجهاد الكفار ، لأن جهاد المنافقين يكون بالعلم والبيان ، وجهاد الكفار يكون بالسيف والسهام ...) [2].

وأما دور الحكام والأمراء تجاه الإعداد المعنوي فقائم ولا يستقيم إلا بهم ، فيتعين عليهم حماية العقيدة الصافية ، والشريعة الطاهرة من أفكار المبتدعة والملحدين والمنافقين ، بتمكين العلماء والدعاة والمصلحين من تعليم العقيدة وتحقيقها ، وحماية كل ما من شأنه إبقاء ذلك . وتهيئة المحاكم الشرعية التي تنزل حكم الشرع تجاه من يهدد الأمة من أعداء الإسلام والمسلمين . ويتولى الإمام تنفيذ حكم الله فيهم ، وتتبع المرجفين والمنافقين الذي يفسدون في داخل الأمة ويتربصون بها الدوائر ، وأن يئد ذلك التربص والإرجاف منذ مهده وبدايته ، وألا يترك حتى ينوء به ويهدد الدولة الإسلامية ، ومن أفضل ما يفعله الوالي المسلم لصد كيد المنافقين والمخذلين والزنادقة بعد الاستعانة بالله والتوكل عليه ، قراءة التاريخ الإسلامي للدول قبله ، وكيف عانت من أمثال أولئك الشعوبيين .

ومن جميل ما نقل أهل التاريخ والسير في ذلك ، ما ذكره ابن كثير عن الخليفة مروان بن محمد – آخر خلفاء بني أمية – حين حاصره دعاة بني العباس قبيل مقتله ، قوله لأحد خدمه ومرافقيه : ألا ترى نحن ما فيه ؟ وَا لهفّاه على دولة ما نُصرت ، وكفٍّ ما ظفرت ، وأيدٍ ما ذُكرتْ ، ونِعَم ما شُكرتْ ، فرد عليه الخادم – وهو يذم تأخره في إخماد الفتن ودعاتها – بقوله : (يا أمير المؤمنين : من أغفل الصغير حتى يكبر ، والقليل حتى يكثر ، والخفي حتى يظهر ، وأخّر فعل اليوم لغد ،

---

[1] سورة التوبة : آية : ٧٣ .

[2] فتاوى علماء البلد الحرام ، ص : ١٧٣٣

حلّ به أكثر من هذا ، فقال مروان : هذا القول أشد علي من فقد الخلافة)[1] .

كذلك إقامة الحدود والحسبة ومنع المظاهر الشركية والبدعية كلها ، ولا يسمح لأي مبتدع بأن يعلن بدعته ، أو يفرق صف الأمة ، سواء كان هذا التفريق معنوياً أم حسياً وواقعياً [2].

ويبقى النوع الثاني من الإعداد ، وهو إعداد العدة والسلاح والمجاهدين ، الذين يحمون الثغور ، ويرابطون على الحدود ، ويقفون ضد اجتياح العدو للدول الإسلامية ، فإنه ما زال المسلمون في عزة متى ما ظلوا يعدون أنفسهم لرفع راية التوحيد وتحقيق ذروة سنام الإسلام ، وبذل الوسع في توفير ما تحتاجه الأمة من ضرورياتها وحاجاتها في هذا الشأن ، بقدر استطاعتها وإخلاصها لله وتمسكها بإيمانها ، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً [3].

وقفة مع عاصفة الحزم

في الساعات الأولى من فجر يوم : الخميس السادس من جمادى الآخرة لعام ١٤٣٦هـ الموافق : ٢٦ مارس ٢٠١٥ م ، انطلقت عاصفة الحزم من بلاد التوحيد والسنة السعودية ، حفظها الله كما حفظت دينه وأقامت شريعته وتوحيده ، على أذناب المجوس الرافضة الصفويين الشعوبيين ، في اليمن ، الذين يهدفون لاحتلال اليمن الإسلامي العربي ، يمن الإيمان والحكمة ، ويهدفون أيضاً لتطويق بلاد السنة والتوحيد ، ونشر العقائد الرافضية المجوسية ، والإفساد في دول الخليج العربي ، حتى يدخلها المد المجوسي الرافضي الصفوي ، وتكون تحت حكم العمائم من قم ، وقد تقدم بيان الحركة الحوثية ، وكيف أنها ذراع الثورة الخمينية الشعوبية في اليمن . وكانت بداية العاصفة بأمر وقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود ، وفقه الله ويسر له بطانة صالحة تعينه على الخير ، وبمساعدة عدد من الدول الإسلامية ، أبرزها كانت الإمارات العربية المتحدة ، والبحرين ، والسودان ، والكويت ، والأردن ، والمغرب ، ومصر ،

---

[1] البداية والنهاية : ٩ / ٢٤٩ ، وانظر : الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم والتحذير من مفارقتهم ، عبد السلام البرجس ، ص : ٦٨

[2] انظر : رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين للشوكاني ، ص : ٢٠

[3] انظر : مفهوم الجماعة والإمامة ، سليمان أبا الخيل ، ص : ١١٢ ، ١١٣

وقطر [1]، والوقفة مع هذه العاصفة وفق عدة نقاط :

أولاً : من حيث وقائع الحرب : كانت تلك العاصفة على اسمها حازمة حاسمة جادة ، ففي الساعة الأولى من بدايتها استطاعت السيطرة على الأجواء في اليمن ومنع كل محاولة غاشمة بائرة من معونة المجوس الرافضة لأفراخهم هناك ، وأنى لهم ذلك والسماء ترعد بمقاتلات أهل السنة ، والأرض تلهب بمدافعهم ، وفرضت بذلك حظر جوياً وبحرياً وبرياً على بلاد اليمن ، تحسباً لما لا يحمد عقباه . واستطاعت أيضاً في بدايات الحرب أن تدمر الأسلحة الخطيرة والإستراتيجية ومواقع تحكمها ، التي كانت بيد أذناب المجوس وغيرهم ممن خان بلاد اليمن وسلمها لإيران الباغية [2].

ثانياً : فرح أهل السنة واستبشروا بذلك أشد الفرح ، فبهذه العاصفة جدد المسلمون جهادهم ضد الشعوبيين من المجوس والروافض والباطنيين ومن يقف خلفهم ، وجزى الله السعودية خير الجزاء وقيادتها الذين تولوا تلك المهمة ، وأحيوا فريضة الجهاد ضد المجوس والباطنية ، فكتب الله لهم أجر ذلك وجعله في موازينهم ، حيث أن شوكة أهل السنة قويت وشمخت ، فلله الحمد من قبل ومن بعد [3].

ثالثاً : أفتت المجامع العلمية الشرعية المعتبرة ، ودور الإفتاء الإسلامية ، بشرعية تلك العاصفة ، وسلامة أهدافها ، وأيدت ما سعت إليه من تخليص بلاد اليمن العربي المسلم ، من أيدي المجوس الشعوبيين العابثين وأذنابهم ، وأول تلك المجامع المعتبرة ، هيئة كبار العلماء بالسعودية ، حيث صدر بيان الهيئة في دورتها الواحدة والثمانين ، بتاريخ : ٦ / ٨ / ١٤٣٦هـ ، مؤيداً لها [1].

---

[1] انظر : عاصفة الحزم ... ، سليمان الهتلان ، ص : ٦٤

[2] انظر : المرجع السابق ، ص : ٦٨ ، ٧٢ ، ٩٤

[3] حتى أن سعر النفط ارتفع مع أول يوم بدأت فيه العاصفة ، انظر : الخبر في الموقع الاقتصادي http://businessechoes.com/ ، بتاريخ : ٢٦ مارس ٢٠١٥م ، وانظر أيضاً : موقع قناة العربية للأخبار : http://ara.tv/zhxbh ، وكأن هذا والله أعلم : من بركة إعلان الجهاد ضد المجوس والباطنية ومن معهم .

[1] انظر البيان في موقع وكالة الأنباء السعودية الرسمية على الرابط : http://spa.gov.sa/١٣٦٦٦٠٥

وكذلك المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي ، في دورته الثانية والعشرون [(١)].

رابعاً : من الآثار المباركة لقيام عاصفة الحزم ، وإعلان الجهاد ضد المجوس الفرس ومن معهم ، قيام التحالف الإسلامي ، الذي دعت إليه المملكة العربية السعودية ، ومركزه الرياض ، والذي يهدف لدفع العبث والإفساد عن البلاد الإسلامية ، تجاه ما يهددها من صور الإرهاب الآثمة ، التي عصفت بالبلاد الإسلامية . وما إن أعلنت السعودية ذلك التحالف إلا واجتمع لها بضعاً وثلاثين دولة ، وبارك قيامه العلماء والناصحون لهذه الأمة ، وما زال التحالف في ازدياد ، نسأل الله أن يبارك فيه ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يعين حكام المسلمين ويوفقهم لما فيه صلاح البلاد والعباد [(٢)].

خامساً : إن ما تقوم به دولة التوحيد والسنة السعودية من دور رائد في العالم الإسلامي ، على المستوى الديني أو الدنيوي ، يؤكد حرص قادة هذه الدولة المباركة ، على مصالح الأمة الإسلامية ، لاجتماعها ، والوقوف بقوة ضد من يحارب الدين ويستهدف البلاد الإسلامية ، ويؤكد أحقيتها بقيادة العالم الإسلامي لما متعها الله بمزايا وخصائص ، وبذل الجهود والإنفاق لمصالح الدين الإسلامي وتبليغه ، كقيامها بواجب الحج والعمرة ، وخدمة ضيوف بيت الله الحرام والمسجد النبوي ، والعناية بطباعة المصحف الشريف وتهيئة مجمع خاص به ، وإغاثة البلاد الإسلامية . كل ذلك يؤكد أحقيتها بقيادة البلاد الإسلامية .

وهذا الدور الريادي قد سنه لها مؤسسها : الملك عبد العزيز رحمه الله منذ أن وحد البلاد ، ففي إحدى خطبه يقول : (إن أحب الأمور إلينا أن يجمع الله كلمة المسلمين ، فيؤلف بين قلوبهم ، ثم بعد ذلك أن يجمع كلمة العرب فيوحد غاياتهم ومقاصدهم لسيروا في طريق واحد ، يوردهم موارد الخير ...) [(١)].

[(١)] انظر نص البيان في موقع المجمع على الرابط : http://ar.themwl.org/node/١٦٣

[(٢)] انظر تفاصيل قيام التحالف في الموقع الرسمي لوكالة الأنباء السعودية ، على : http://spa.gov.sa/١٤٢٩٢١٠

[(١)] أزهار من رياض سيرة الإمام العادل عبد العزيز ... ، محمد حامد الفقي ، ص : ٨٣

كما أن على البلاد الإسلامية الوقوف صفاً واحداً مع هذه الدولة المباركة وتأييدها ، وإعانتها على القيام بواجبها تجاه أمتها ، وهذا من شكر النعمة التي أنعم الله بها ، بوجود دولة قائمة تعنى بالسنة الخالصة ، وتقوم على تحقيق التوحيد ، ومنع الشرك ومظاهره ؛ لأن وجود مثل هذه الدولة المباركة في هذه الأزمان المتأخرة ، التي كثرت فيها الفتن والفرقة والخلافات ، كشعرة بيضاء في ظهر أسود ، بياضها من تمسكها بدينها ، والسواد حولها بكثرة الشركيات والبدع والمذاهب والأديان الهدامة حولها وخارجها ، فالحماية والتعاون معها فرض على المسلمين في كل مكان [1].

---

[1] انظر : المرجع السابق ، ص : ١٤

المطلب الثالث : إصلاح وسائل الإعلام

يبدأ السعي إلى إصلاح وسائل الإعلام بأن ندرك ونستشعر خطورة الفكر الشعوبي وما يحمله من ضلال عقدي ، وغزو فكري وسياسي وأخلاقي ، لمهاجمة المسلمين في كل مكان . وقد تقدم في البحث بأن من الوسائل التي يحرص الشعوبيون على استخدمها في هذا العصر ، وسائل الإعلام والتواصل على اختلاف أصنافها ، من خلال الشاشات أو حسابات التواصل أو غيرها . كذلك أن نعي وندرك حقيقة واقع الإعلام المعادي من الشعوبيين وغيرهم من أعداء الدين ، مقارنة بما لدى المسلمين من إعلام !!.

وحقيقة واقعنا تقول بأن أعداء الملة على اختلافهم ، استطاعوا أن يضروا المسلمين في عقيدتهم وأفكارهم ، وأن يغزوهم في عقر دارهم من خلال تلك الوسائل الإعلامية ، وأن بيد الشعوبيين من الروافض المجوس الصفويين ، والباطنيين ، وأهل الإلحاد والزندقة من وسائل الإعلام والقنوات ما يكفي لإضلال الناس ، فكيف وهم يزيدون فيها ، ويطورون من أساليبهم الخبيثة ، ما بين إثارة للشبه أو إقحام بعض من لا يحسن في المناظرات أو المناكفات أمام شاشات التلفاز . أضف لذلك بثهم للمظاهر الشركية والبدعية والغير أخلاقية ، أو تصوير الدين الإسلامي بصورة مقلوبة عن الحقيقة ؛ لإلصاق التهم والمثالب به أو بالمسلمين . وجعلوا تلك الوسائل أبواقاً تجاهر بنفاقهم وزندقتهم وفجورهم ، وهذا حال المنافقين من قبل ، (فعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال : إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي ﷺ ، كانوا يومئذٍ يسرون ، واليوم يجهرون)[1]، فإن كان هذا حالهم في ذلك العهد ، فكيف اليوم وقد مكنوا من وسائل الإعلام الحديثة ، واحتموا في حمى الصليبيين والصهاينة وغيرهم من رجس الشياطين .

بل تعدى المكر الشعوبي المجوسي الفارسي مراحل عديدة في حربه على المسلمين والعرب خصوصاً ، فأصبحوا يجندون عليهم قنوات فضائية باللغة العربية ، موجهة لغزو المسلمين ، ويساعدهم على ذلك شيعتهم من اليهود الصهاينة ، الذين يملكون حزماً كبرى من الأقمار الصناعية ، فسهلوا لهم فتح القنوات ومنحوها لهم لبث سمومهم العقدية والفكرية . فقد رصدت

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفتن ، باب : إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه ، رقم : ٧١١٣ ، وانظر: فتح الباري ١٣ / ٩١ ، ٩٢

المراكز المتخصصة بأن هناك ازدياد في القنوات الإيرانية التي خُصصت للهجوم على العرب ، أو إقناع من لا يعرف حقيقة مشروعهم المجوسي الصفوي بما يهدفون إليه ، وتصوير ثورتهم المزعومة بأنها الدين الحق ، والسلام المطلق ، خلافاً للسنة ، إضافة للعشرات من القنوات باللغة الفارسية وغيرها من اللغات الأخرى [١]. وهذه الطريقة من الحرب الإعلامية على المسلمين يسير عليها أيضاً فروع الثورة الشعوبية خارج إيران ، ومنها : حزب الله في لبنان ، حيث أقام نائب أمين الحزب ، المدعو : نعيم قاسم ، ندوة بعنوان : كيف نواجه الحرب الناعمة ؟! ، وغطتها وبثتها قنواتهم : كقناة المنار ، يهدفون من خلالها توظيف القنوات الإعلامية لصالح مشروعهم الشعوبي التخريبي . إذن فهم يسيرون مع الإعلام وفق اتجاهين ، الهجوم والدفاع . فالهجوم من خلال تلك القنوات باستهدافهم للمسلمين في عقائدهم وأفكارهم وبلادهم ، ودفاعاً بتحسين مشروعهم وإعطائه صفة الشرعية والأحقية ، في ظل ما يُسمى بالحرب الناعمة [٢].

ومثل حزب الله في اليمن ، الذراع الخميني الصفوي هناك : الحركة الحوثية ، والتي كان لحربها الإعلامي دور كبير وملحوظ في نشر فكرها وأهدافها وأطماعها . فالحركة أسست لها قنوات إعلامية ، ما بين شاشة ومواقع في الانترنت ، وصحف ورقية والكترونية . كانت قناة المسيرة الحوثية تنقل الخطابات التهييجية لزعيمهم عبد الملك الحوثي ، والذي كان كثيراً ما يندد بالسنة وأهلها ودولها ، ويظهر من خلالها ولائه المنسلخ إلى الفرس المجوس ، إضافة إلى المظاهر الشركية الصفوية التي كانت تعرض على تلك الشاشات والمواقع ، وتعديهم على الصحابة الكرام ، وعلى أئمة الإسلام . وكانت أمهم إيران تدعمهم وبقوة ، على كافة الأصعدة ، ومن ذلك الجانب الإعلامي [١].

---

[١] انظر مقالاً بعنوان : نظام ولاية الفقيه وحرب القنوات الفضائية ، نشر في : ١٦ يناير ٢٠١٦ م ، موقع حملة السكينة ، على الرابط :

http://www.assakina.com/news/news١/٨٣١٦٢.html

[٢] انظر : شبكة المعارف الإسلامية ، تقرير عن ندوة الحرب الناعمة ، نعيم قاسم ، على الرابط :

http://www.almaaref.org/pagedetails.php?supcat=٦&pageid=٣٧

[١] انظر : الحوثية في اليمن الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية ، ص : ١٥٦ – ١٥٩، وانظر : الخطاب الإعلامي الحوثي ، سلمان العماري ، موقع مأرب برس ، نشر في : ٩ يوليو ٢٠١٢ م ، على

=

وأما عن حال ما بيد المسلمين من وسائل الإعلام مقارنة بأعدائهم من الشعوبيين وغيرهم ، فلا يكاد يذكر، فكيف وأكثره غث هزيل . فهو ما بين الفسق والفجور والخنا ، أو في ترهات وسباقات ، لا تهدف إلا لجمع المال كيف كان ، إلا من رحم الله وقليل ما هم . وإن مما يفطر الكبد ويمرض القلب أن يكون بيد بعض أبناء السنة جمع من القنوات ولا يجعل منها شيئاً لواجب الدين وتبليغه وتصفية عقائد الناس ، إلا الشيء البسيط الذي لا يكاد يذكر مقارنة بكثرة ما يبث من برامج ، فضلاً أن يواجه القنوات ذات التوجه الشعوبي أو غيره من الحركات الهدامة . بل العجب والحسرة أيضاً من حال بعض المسلمين ، ممن جعل حتى للدواب والأنعام قنوات خاصة يشاهد فيها تلك الدواب تسرح وتمرح وتأكل ويسابق عليها ، ولا يكون لأهل العلم والحجة قنوات خالصة للتوحيد والسنة وما يلحق بهما ، وأما من جعلها مصدراً للفسق والخنا والفجور بل يتعدى فيها على الدين وثوابته ، أو لأغراض حزبية بدعية مقيتة ، فهذا قد حارب الإسلام من حيث لا يشعر ، وأما إن كان يشعر بفعله فهو من فعل الخائنين المنافقين . يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (... فإن أعداء الإسلام لما غاظهم الإسلام ورأوا دخول الناس في دين الله أفواجاً ، ورأوا أن الغزو العسكري لا يحصل به المقصود من تشكيك الناس في دينهم وإخراجهم من دينهم ، عمدوا إلى أنواع من الغزو الفكري من طريق وسائل الإعلام ، من تلفاز ، إذاعة ، وصحافة ، وغير ذلك مما يكتبه أعداء الإسلام ، ويتكلمون به في الصد عن سبيل الله ، وتشكيك الناس في دينهم ، ولبس الحق بالباطل ...) [(١)].

والخلاصة مما تقدم أن وسائل الإعلام بحاجة إلى وقفة قوية صادقة من الغيورين على دينهم ، من أهل العلم ، والساسة ومن بيدهم الحل والعقد ، ومن أصحاب الأموال والخير ، لإصلاحها أولاً ، وبجعلها أداة لصد هجوم أعداء الدين ، ومن ثم مهاجمتهم فيما ينتحلونه ويتبنونه من عقائد باطلة منحرفة . وأهل العلم وأئمة الدين ولله الحمد ، يدركون خطرها ، ولو استمع لهم أهل تلك

الرابط :
http://marebpress.net/articles.php?id=١٦٤٢٨

[(١)] حديث الصباح من كلمات وتعليقات ومحاضرات سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز ، ص : ٣٢٧ ، جمع : صلاح الدين بن عثمان بن أحمد .

القنوات لاهتدوا ولهدوا غيرهم ، يقول الشيخ ابن باز : (والمطلوب هو الاستكثار من هذا الخير ، وأن يتكلم من لا يتكلم ، وأن يكتب من لا يكتب من أهل العلم والبصيرة ، وألا يكتفي بهؤلاء ، بل عليه أن يجاهد كما جاهدوا ، وأن يكتب كما كتبوا ، وأن يتتبع ما ينشر من الباطل في الصحف ، السيارة ، والمجلات ، والإذاعات ، والتلفاز ، وغير ذلك مما يذاع وينشر ، يتتبعه ويرد الباطل ، وينشر الحق ، ويصبر على الأذى في ذلك ، وعلى التعب ، هذا هو الجهاد ، هذا هو الجهاد . الدعوة إلى الله جهاد ، والكتابة في سبيل الله جهاد ، والتأليف في ذلك جهاد) [١].

ولا شك بأن الأمر عظيم ، والخطر قريب ، لكننا نوقن بأن دين الله منصور ، وكتابه محفوظ ، وجنده هم الغالبون ، فلا بد أن ينهض أبناء الإسلام ؛ ليستدركوا ما فات ، ويسددوا ويقاربوا ، وكما كان بعض السلف يقول : يا له من دين ، لو أن له رجالاً [٢].

---

[١] حديث الصباح ... ، ص : ٣٣٩

[٢] انظر : مفتاح دار السعادة ، ص : ١ / ٤٥٣

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، وله الثناء على توفيقه لاستكمال هذا البحث ، وفي هذه الخاتمة أدون أهم النتائج التي توصلت إليها ، فأقول مستعيناً بالله وحده :

١. أن الشعوبية : حركة فكرية عقدية عدائية ، تهدف إلى طمس العقيدة الإسلامية ، وتعطيل الشريعة الإسلامية ، والسعي لجعل الناس في جاهلية مظلمة ، وفي حالة منكوسة عن الفطر السليمة . كما تهدف إلى إفساد وتشويه ما سطره سلف هذه الأمة وأئمتها ، من تراث عربي إسلامي ، والطعن في حضارتهم التي شيدوها من خلال الفتوحات الإسلامية .

٢. جاءت آثار الحركة الشعوبية على جسد الأمة ومزقته وفتقت فيه وفرقت أعضاءه ، بالثورات الشعوبية الخارجية ، وبتحريض الدهماء للخروج على الولاة في صورة المطالبة بالحقوق ورفع الظلم ، وبإشاعة الأكاذيب والأراجيف على الحكام المسلمين وعلى بلادهم . كما جاءت آثار الشعوبية على روح الأمة الإسلامية ، وجعلتها شعثاء سوداء قتراء ، في ضنك وضيق بما بثته من زندقة وإلحاد ومجون وتفسخ أخلاقي ، إلا من رحمه الله ونجاه من تلك المسالك .

٣. من أخطار هذه الحركة أنها تهاجم المظاهر الدينية العامة ، والشعائر الإسلامية التي يجتمع عليها المسلمون ، ليحاولوا تغييب التدين العام الظاهر ، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ، موقف الشعوبيين من قبلة المسلمين ، ومن فريضة الحج والعمرة ، وقد تقدم كثيراً في ثنايا البحث ما يدل على ذلك ، وكذلك من خلال بث القوميات المتناحرة ، والعصبيات الجاهلية .

٤. ومن أخطار هذه الحركة : أنها لا ترى الأمة العربية الإسلامية مناسِبة لتكون قائدة أو رائدة في أي مجال ، سواء كان دينياً أم دنيوياً ، وتحملهم أي تأخر أو تدنٍ يعود سلباً على الناس وعلى الدول ، وهذا يؤكد أن هذه الحركة لا تتصف ولو بشيء من العدل المتحرر من قيود الغل والحسد والضغينة ، فالأمة العربية الإسلامية قد شُهد لها وما يزال بأنها كانت أساساً في الحضارة الدنيوية ، وأما الدينية فالأمة الإسلامية هي الأولى ، فهي خير أمة أخرجت للناس .

٥. ومن أخطار هذه الحركة : أنها تتنوع في حربها على الأمة في شتى المجالات ، ولا تكتفي بالجانب الديني ، بل الدنيوي على كافة المجالات ، اقتصادية أو تجارية أو سياسية أو عسكرية ، كما تنوعت وتجددت طرقهم لنشر مذاهبهم الهدامة ، وأنشطتهم التخريبية .

٦. ومن أخطار هذه الحركة : أنها دائماً تكون مع أعداء الملة الإسلامية في حربهم على المسلمين ، إضافة للخطر والعداء الذي يأتي منها ، وهذا دأب الشعوبيين من القديم وحتى العصر الحاضر. فالأمة تعاني من هجمتين عدائيتين ، غربية : من الصليبيين والصهاينة ، وشرقية : من الشعوبيين المجوس الروافض والباطنيين والهندوس وكذلك اليهود الصهاينة معهم في هذا الجانب أيضاً. فالتقت جيوشهم حول البلاد الإسلامية ، وخصوصاً العربية منها ، وعند التأمل فيما يحصل في شتى دول العالم من تخريب ودمار وشغب ، تجده في الدول الإسلامية ، وما يحصل في بعض الدول الغربية إما أنهم يتهمون فيه المسلمين تحت أي مسمى ، أو يحاولون نقله للبلاد الإسلامية ، والشعوبيون يؤيدونهم في ذلك ، وخصوصاً شعوبيو الفرس المجوس ، الذين سرعان ما يحملونه أهل السنة ، وكل ذلك ليس اعتباطاً أو اتفاقاً ، بل شيء مدبر يهدف لإسقاط الدول الإسلامية ، ورفع الأعلام الصليبية ، والنار المجوسية فوق المآذن والمنابر .

٧. ومن أخطار هذه الحركة الشعوبية أنها تجرم كل الولايات والحكومات الإسلامية ، التي قامت في التاريخ الإسلامي ، عدا دول الباطنية والحركات الشعوبية التي من جنسها ، فهي عندهم شرعية ، ويلتمسون لها العذر في مناوئتها للخلافة أو الدول الإسلامية . وكذلك هم اليوم ، خصوصاً أتباع الثورة الخمينية الشعوبية وأذنابهم ، لا يرون حاكماً شرعياً إلا العمائم الإيرانية الفارسية .

٨. من خلال استعراض الأهداف الشعوبية يتضح جلياً بأن هذه الحركة متجددة وبحاجة لوقفة ومتابعة حصيفة من كافة أهل الحل والعقد في البلاد الإسلامية ، ومن أدل شيء على تجددها أن الشعوبيين الفرس يدرّسون أبنائهم في المناهج التعليمية ، كثيراً من تلك الأفكار والمظاهر الشعوبية ، وتقدم في ثنايا البحث ما يدل لذلك .

٩. وأخيراً : فإن من أخطر ما تحارِب به الشعوبية اليوم : أنها مظلة لكل مخرب ومفسد يتربص بالإسلام والمسلمين ، حتى من شذ من أبناء المسلمين وعقّ دينه وبلده ، تجد أن الشعوبية تحتضنه ، وتعده ليكون معولاً هداماً داخل بلاده ، فعداؤها داخلي وخارجي .

وأختم بهذه التوصيات :

بعد عرض أهم النتائج لهذا البحث ، ومن باب الوقوف في وجه الشعوبية ، لا بد من حل متعين قائم ، يقوم به فئة من أهل العلم والباحثين وولاة الأمر ، ليكفوا الأمة شر تلك الحركة ، وذلك التصدي لا بد أن يدور حول ثلاثة أمور ، الأول : ماضي هذه الأمة وتراثها الإسلامي ، لا بد من إحيائه وتذكير الناس به ، والعمل على استعادته . الثاني : ما يتعلق بحال الأمة اليوم، لا بد من استدراك التقصير الحاصل في هذا الباب ، وتبصير المسلمين بما يحاك عليهم ، خصوصاً في مجال التعليم على كافة مستوياته ، لا بد أن يُحصن أبناء المسلمين تجاه عدوان المعتدين . الثالث : الإعداد لمستقبل هذه الأمة ، واستشراف ما يجب عليه أن يكون حالها ، وألا يكون موقف الأمة هو الدفاع فقط أو الانتظار حتى يحل البلاء ليُدفع ، بل لا بد من تبليغ الدين الحنيف على بصيرة ، وذلك كفيل بأن تستأصل كل نابتة من جذرها . ومما يعين على التصدي للهجمات الشعوبية بعد توفيق الله واستعانته ، إيجاد كرسيٍ بحثي ، يعنى بدراسة الحضارة العربية الإسلامية ، وتعزيز الهوية الدينية على معتقد أهل السنة والجماعة ، وبسبل مواجهة العدوان العقائدي والفكري نظرياً وعملياً.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ...

الفهارس

فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾	١٠٩	البقرة	٣٨
﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾	١١١	البقرة	٣٨
﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾	١٢٠	البقرة	٣٨
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	١٤٣	البقرة	١٤
﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾	١٩	آل عمران	٦ ، ٤٦٩
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ...﴾	٦٤	آل عمران	٤٩٩
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ..﴾	٧٥	آل عمران	٣٨
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ...﴾	٨٥	آل عمران	٤٦٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾	١٣٥	النساء	٤٢٤
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ....﴾	١٧١	النساء	٢٧
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ .....﴾	٣	المائدة	٥

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ ...﴾	١٨	المائدة	٣٨
﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ﴾	٤٢	المائدة	٤٧٥
﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾	٥٠	المائدة	٤٧٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾	٥١	المائدة	٢٥
﴿وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾	٥٥	الأنعام	٤٥١
﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾	١٠٨	الأنعام	٢٤
﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ ....﴾	١٢٥	الأنعام	٧٣
﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ ...	٦٩	التوبة	٤٥٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾	٧٣	التوبة	٤٧٨
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا ...﴾	٢	يوسف	١٩٦
﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾	١٠٨	يوسف	٤٦٤
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾	٧٥	الحجر	٤٢٨

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾	١٩٥	الشعراء	١٩٦
﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾	٣١	الروم	٥ ، ٢٥
﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ﴾	٣٢	الروم	٥
﴿ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾	١٣	الشورى	٤٢٩
﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ ... ﴾	٣٢	الزخرف	٦
﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾	٣٠	محمد	٤٢٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ... ﴾	١٣	الحجرات	١٢ ، ٣٠
﴿ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾	٤	الرحمن	١٩٧

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأديان والفرق والمذاهب والمصطلحات

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهـــــــرس الأماكـن

م	اسم المكان	الصفحة
.١	الأحساء	٣٠١
.٢	أردبيل	٣٢٦
.٣	باذغيس	٩٠
.٤	تستر	٢٣
.٥	جيلان	٣٢٩
.٦	الحُميمة	٨٧
.٧	ديار بكر	٣٢٨
.٨	زاريا	٣٦٨
.٩	ساباط المدائن	٤٦
.١٠	السلمية	٣٠٩
.١١	سواد الكوفة	٢٩٨
.١٢	شروان	٣٢٩
.١٣	طبرستان	١٦٦
.١٤	فارس	٧٠
.١٥	مُراغة	١٨٦
.١٦	نابلس	٣١٨
.١٧	هجر	٣٠٠

فهرس الأشعار

غرر زهر مناويل	علان الوراق	٢٠٩
وأمسى أبو العباس أحلام نائم	بشار بن برد	٢١٤
وأخشى أن يكون له ضرام	نصر بن سيار	١٦٢
وإن الحرب مبدؤها كلام	نصر بن سيار	١٦٢
أأيقاظ أمية أم نيام ؟	نصر بن سيار	١٦٢
عظيم ولم تسمع بفتك الأعاجم	بشار بن برد	٢١٤
فروعي وأصلي قريش العجم	بشار بن برد	٢١٣
ويصرعه في المأزق المتلاحم	بشار بن برد	٢١٤
ليعرفني أنا أنف الكرم	بشار بن برد	٢١٣
ولا سالم عما قليل بسالم	بشار بن برد	٢١٤
عند الحفاظ ولا حوضي بمهدوم	إسماعيل بن يسار	٢١٦
وهم أذلوا ملوك الترك والروم	إسماعيل بن يسار	٢١٦
ولسان كحد السيف مسموم	إسماعيل بن يسار	٢١٦
من كل قرم بتاج الملك معموم	إسماعيل بن يسار	٢١٦
جرثومة قهرت عز الجراثيم	إسماعيل بن يسار	٢١٧
والهرمزان لفخر أو لتعظيم	إسماعيل بن يسار	٢١٦
مشي الضراغمة الأسد اللهاميم	إسماعيل بن يسار	٢١٦
بصاحبك الذي لا تصحبينا	عمرو بن كلثوم	٢١٥

فهرس المراجع

١.الاتجاهات العقلانية الحديثة ، ناصر العقل ، دار الفضيلة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

٢.اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، لأبي العباس المقريزي ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، وزارة الأوقاف المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

٣.الآثار العقدية للوثنية اليونانية ، علي الشبل ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٤.أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع ، محمد حسين الذهبي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م .

٥.أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين ، يوسف إبراهيم الشيخ ، دار المعالي ، عَمّان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٦.أثر الفلسفة الإشراقية والعقائد الوثنية في برامج التدريب والاستشفاء المعاصرة ، فوز كردي ، مركز التأصيل للدراسات والبحوث ، جدة، الطبعة الأولى ، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

٧.اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، لابن القيم ، تحقيق : بشير عيون ، مكتبة المؤيد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

٨.الأحاديث النبوية في ذم العنصرية الجاهلية ، عبد السلام البرجس ، طبعة خيرية ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

٩.أحكام الترجمة في الفقه الإسلامي ، محمد أحمد واصل ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١٠.الأحكام السلطانية ، للماوردي .

١١.أحكام أهل الذمة ، لابن القيم ، تحقيق : يوسف البكري ، شاكر العاروري ، رمادي للنشر ، الدمام السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م .

١٢.الأخبار الطوال ، لأبي حنيفة الدينوري ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، ١٣٧٩هـ – ١٩٥٩م.

١٣.إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، جمال الدين القفطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ .

١٤.أخبار القرامطة ، سهيل زكار ، دار الكوثر ، الرياض ، ١٤١٠هـ — ١٩٨٩م .
١٥.الإخوان المسلمون وإيران — الخميني ، الخامنئي – ، محمد سيد رصاص ، جداول ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٣م.
١٦.الأدب المفرد ، للبخاري ، تخريج الألباني ، دار الصديق ، الجبيل ، الطبعة الثانية ، ١٤٢١هـ — ٢٠٠٠م.
١٧.أديان العرب في الجاهلية ، محمد بن نعمان الجارم ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٤١هـ — ١٩٢٣م .
١٨.أديان الهند الكبرى ، أحمد شلبي ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الحادية عشرة ، ٢٠٠٠م.
١٩.الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، للمفيد أبي عبد الله العكبري ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، بيروت ، ط.١ ، ١٤١٦هـ — ١٩٩٥م .
٢٠.إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م.
٢١.أزهار من رياض سيرة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، محمد حامد الفقي ، توثيق وتعليق وتخريج: خالد بن محمد المصري ، مكتبة المورد ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩هـ — ٢٠٠٨م.
٢٢.الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق : سعد زغلول ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد الأعظيمة ، العراق .
٢٣.أسرار الآلهة والديانات ، أ.س.ميغو ليفنسكي ، ترجمة : حسان إسحاق ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، الطبعة الرابعة ، ٢٠٠٩م .
٢٤.أسرار وخفايا المقاومة العراقية ، عادل الجوجري ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥ م .
٢٥.الإسلام السعودي الممسوخ ، طالب الخراساني ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ، إيران ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ.
٢٦.الإسلام والأديان دراسة مقارنة ، مصطفى حلمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٤م .
٢٧.الإسلام والحضارة العربية ، محمد كرد علي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة.

٢٨.الإسماعيلية ، إحسان إلهي ظهير ، دار ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، توزيع بيت السلام ، الرياض ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٢٩.الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ، فرهاد دفتري ، ترجمه : سيف الدين القصير ، دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٢م.

٣٠.أصول السنة للإمام أحمد ، دار الصميعي ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٣١.أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي ، محمد أبو ريان ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٩م .

٣٢.أصول الكافي ، محمد يعقوب الكليني ، دار المرتضى ، بيروت ، ط.١ ، ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥م .

٣٣.أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد ، ناصر القفاري ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ — ١٩٩٤م .

٣٤.أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ — ٢٠٠٦م.

٣٥.أطلس الفرق والمذاهب الإسلامية ، شوقي أبو خليل ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الرابعة ، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٣٦.الاعتداءات الباطنية على المقدسات الإسلامية ، كامل الدقس ، هجر للطباعة والنشر ، الجيزة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ — ١٩٨٩م.

٣٧.الاعتصام للشاطبي ، تحقيق : سليم الهلالي ، دار ابن القيم ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٣٨.الأعلام ، للزركلي ، دار العلم الملايين ، بيروت .

٣٩.إعلام الموقعين ، لابن القيم ، تحقيق : مشهور آل سلمان ، دار ابن الجوزي ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ.

٤٠.أعلام وأقزام في ميزان الإسلام ، سيد العفاني ، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٤م .

٤١.أعيان الشيعة ، السيد محسن الأمين ، تحقيق : حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م .

٤٢.إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، لابن القيم ، تحقيق: محمد الطالبي ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٤٣.الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
٤٤.اغتيال العقل الشيعي – دراسات في الفكر الشعوبي - ، علي الكاش ، إصدارات إي –كتب ، بيروت ، الطبعة الأولى .
٤٥.الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ، يحيى بن حمزة العلوي ، تحقيق : فيصل عون ، مراجعة : سامي النشار ، شركة الإسكندرية للطباعة والنشر .
٤٦.أفلوطين عند العرب ، عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥م.
٤٧.اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، مع تعليق الشيخ ابن عثيمين ، تخريج : محمود بن الجميل ، مكتبة الأنصار للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م .
٤٨.الإلحاد الخميني في أرض الحرمين ، مقبل الوادعي ، مكتبة الحرمين ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .
٤٩.الإلحاد في العصر الحاضر وموقف العقيدة الإسلامية منه ، عبد العزيز المحمدي ، رسالة ماجستير في العقيدة ، كلية العلوم الإسلامية ، جامعة المدينة العالمية الماليزية ، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م .
٥٠.أمتنا بين قرنين ، يوسف القرضاوي ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٥١.الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم والتحذير من مفارقتهم ، عبد السلام البرجس ، دار الفرقان ، القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢هـ- ٢٠١٠م.
٥٢.الانتصار لأهل الأثر ، لابن تيمية ، تحقيق : عبد الرحمن قائد ، دار عالم الفوائد ، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدة .
٥٣.الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها دراسة نقدية شرعية ، سعيد الغامدي ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .
٥٤.الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، وآثارها في حياة الأمة ، علي الزهراني ، دار الرسالة للنشر والتوزيع ، مكة .
٥٥.الإنسان الكامل ، عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط.٢ ، ١٩٧٦م .
٥٦.الأنوار النعمانية ، نعمة الله الجزائري ، دار القارئ – دار الكوفة ، بيروت ، ط.١ ، ١٤٢٩-٢٠٠٨ .
٥٧.أهل السنة في إيران ، مركز المسبار ، دبي ، الطبعة الثانية ، ٢٠١٣م .
٥٨.إيران في عهد الساسانيين ، آرثر كريستنسن ، ترجمة : يحيى الخشاب ، مراجعة : عبد الوهاب عزام ، دار النهضة العربية ، بيروت .

٥٩.إيران والحوثيون مراجع ومواجع ، أحمد أمين الشجاع ، مجلة البيان مركز البحوث والدراسات ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٤هـ.
٦٠.البحرين بركان على جزيرة ، أحمد فهمي ، مجلة البيان ، مركز الدراسات والبحوث.
٦١.البداية والنهاية ، لابن كثير ، تحقيق : أحمد بن علي الدمياطي ، عبد الرحمن الزواوي ، دار الغد الجديد ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .
٦٢.بروتوكولات آيات قم حول الحرمين المقدسين ، عبد الله الغفاري ، شبكة الفوائد الإسلامية على الانترنت .
٦٣.بطلان عقائد الشيعة ، محمد عبد الستار التونسوي ، المكتبة الإمدادية ، مكة المكرمة ، ١٤٠٣هـ .
٦٤.البعث الشيعي في سورية : ١٩١٩ – ٢٠٠٧م ، المعهد الدولي للدراسات السورية ، ٢٠٠٩ م.
٦٥.بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد ، لابن تيمية ، دراسة وتحقيق : موسى الدويش ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة النبوية ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
٦٦.البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية ، فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، عَمّان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .
٦٧.بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، محمود شكري الألوسي ، اعتنى به : عثمان محمد بهجة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية .
٦٨.البهائية والقاديانية ، أسعد السحمراني ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.
٦٩.البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها ، عبد الله مصطفى نومسوك ، أضوء السلف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .
٧٠.بيان مذهب الباطنية وبطلانه ، محمد بن الحسن الديلمي ، عني به : شدو طمان ، مكتبة المعارف ، الرياض .
٧١.البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠ م .
٧٢.تاريخ ابن خلدون ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.
٧٣.تاريخ ابن غنام ، عناية : سليمان الخراشي ، دار الثلوثية ، الرياض ، ط.١ ، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م
٧٤.تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، حسن إبراهيم حسن ، الطبعة الرابعة عشر ،

١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ، دار الجيل ، بيروت .

٧٥.التاريخ الإسلامي(١٨)– التاريخ المعاصر لإيران وأفغانستان – ، محمود شاكر ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .

٧٦.تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر الطبري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

٧٧.تاريخ الخلفاء ، للسيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.

٧٨.تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، محمد سهيل طقوش ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .

٧٩.تاريخ الزنكيين ، محمد سهيل طقوش ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ – ٢٠١٠م .

٨٠.تاريخ الفاطميين في شمالي أفريقية ومصر وبلاد الشام ، محمد سهيل طقوش ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

٨١.تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، محمد أبو ريان ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٢م .

٨٢.تاريخ الفكر المسيحي ، حنا جرجس الخضري ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨١م .

٨٣.تاريخ سورية المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف ٢٠١١م، كمال ديب، دار النهار ، بيروت ، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م.

٨٤.تاريخ عرب الأحواز ونقد كتاب أحمد كسروي ، عبد النبي القيم ، دار مدارك ، الطبعة الثانية ، ٢٠١٣م ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة .

٨٥.تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة ، تحقيق: محمد محيي الدين الأصفر ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٨٦.تبصير الهداة بشأن الدعوة والدعاة ، عبد الله القصير ، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٨٧.التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، لأبي المظفر الاسفراييني ، تحقيق : كمال الحوت ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٨٨.تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ، الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٨٩.تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، لأبي العلا المباركفوري ، دار الفيحاء ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢هـ- ٢٠١٠م.

٩٠.تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة ، أبو الريحان البيروني ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٣م.
٩١.تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري ، محمد بن مطر الزهراني ، دار المنهاج ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ.
٩٢.التراث الهندي من العصر الآري إلى العصر الحديث ، همايون كبير ، ترجمة : ذكر الرحمن ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١هـ — ٢٠١٠م .
٩٣.التشابه بين عقائد اليهود وعقائد الشيعة ، خالد القاسمي ، مكتبة النافذة ، دار طيبة ، الجيزة ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٤م.
٩٤.التشيع العربي والتشيع الفارسي دور الفرس التاريخي في انحراف التشيع ، نبيل الحيدري ، دار الحكمة ، لندن ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٤م.
٩٥.التشيع العلوي والتشيع الصفوي ، علي شريعتي ، ترجمة : حيدر مجيد ، دار الأمير للثقافة والعلوم ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٨هـ — ٢٠٠٧م .
٩٦.تصاعد المد الإيراني في العالم العربي ، السيد أبو داود ، شركة العبيكان للنشر ، الرياض ،الطبعة الأولى ، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.
٩٧.تصدير الثورة كما يراها الإمام الخميني ، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني ، قسم الشؤون الدولية .
٩٨.التصوف المنشأ والمصدر ، إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور باكستان ، توزيع بيت السلام ، الرياض .
٩٩.التطلعات الإيرانية في الخليج العربي ، إيمان المطيري ، مكتبة آفاق ، الطبعة الثانية، ٢٠١٣م.
١٠٠.التعليق على رسالة رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين للشوكاني ، ابن عثيمين ، مدار الوطن للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠هـ.
١٠١.تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، مؤسسة الريان للنشر والتوزيع .
١٠٢.تفسير القرآن الكريم ، لابن عثيمين ، الحجرات — الحديد ، دار الثريا للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ — ٢٠٠٤م.
١٠٣.تقريب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق : أبو الأشبال الباكستاني ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤٣٣هـ.
١٠٤.تناسخ الأرواح ، طارق سري ، دار مشارق ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩م .

١٠٥.تيسير العزيز الحميد ، سليمان بن عبد الله آل الشيخ ، تحقيق : أسامة العتيبي ، دار الصميعي ، الرياض، الطبعة الثانية ، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٨م.
١٠٦.الثقافة العربية المعاصرة في معارك التغريب والشعوبية ، أنور الجندي ، مطبعة الرسالة ، القاهرة.
١٠٧.الثنوية جذورها وتطورها وأثرها على الأديان والفرق الإسلامية وغير الإسلامية عرض ونقد، عزيزة كوشك ، رسالة ماجستير من قسم العقيدة ،كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، ١٤٣٤هـ – ١٤٣٥هـ .
١٠٨.الثورة البائسة ، موسى الموسوي .
١٠٩.جامع تراث العلامة الألباني في المنهج والأحداث الكبرى ، شادي آل نعمان ، دار ابن عباس ، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
١١٠.الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، تحقيق : حامد الطاهر ، دار الغد الجديد، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١هـ-٢٠١٠.
١١١.الجامع لشعب الإيمان ، للبيهقي ، مكتبة الرشد ناشرون ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م ، بإشراف مختار الندوي .
١١٢.الجذور التاريخية للشعوبية ، عبد العزيز الدوري ، الطبعة الرابعة ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨٦م.
١١٣.الجذور التاريخية للشعوبية ، عبد العزيز الدوري ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١م
١١٤.جذور الفكر القومي والعلماني ، عدنان زرزور ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
١١٥.جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية ، محمد أحمد لوح ، دار ابن عفان ، الطبعة الثانية ، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
١١٦.الحج الفريضة الخامسة ، علي شريعتي ، ترجمة : عباس أمير زاده ، دار الأمير للثقافة والعلوم.
١١٧.حديث الصباح من كلمات وتعليقات ومحاضرات الشيخ ابن باز ، جمع صلاح الدين بن عثمان أحمد ، دار التوحيد للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٥هـ.
١١٨.حديث المساء من كلمات وتعليقات ومحاضرات الشيخ ابن باز ، جمع صلاح الدين بن عثمان أحمد، مكتبة دار المنهاج ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.
١١٩.الحراك الشيعي في السعودية تسييس المذهب ومذهب السياسة ، بدر الإبراهيم ومحمد الصادق ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ٢٠١٤م.

١٢٠.الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠ – ١٩٨٨م) ، إسلام محمد المغيّر ، وهي رسالة علمية لاستكمال متطلبات الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ والآثار بكلية الآداب بالجامعة الإسلامية في غزة ، فلسطين ، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م .

١٢١.الحرب في صعدة من أول صيحة إلى آخر طلقة ، عبد الله محمد الصنعاني ، دار الأمل ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

١٢٢.الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها ، محمد أحمد الخطيب ، مكتبة الأقصى ، عَمّان، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

١٢٣.الحركات الدينية في إيران في القرون الإسلامية الأولى ، غلام حسن صديقي ، ترجمة : نصير الكعبي ، المركز الأكاديمي للأبحاث ، بيروت ، ٢٠١٣م .

١٢٤.الحركات الهدامة في الإسلام – الراوندية والبابكية – ، قحطان الدوري ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م.

١٢٥.حركة الحشاشين تاريخ وعقائد ، محمد عثمان الخشت ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة .

١٢٦.الحرية الدينية في السعودية ، صالح الحصين ، غيناء للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٢٧.حزب الله – المنهج التجربة المستقبل – ، نعيم قاسم ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

١٢٨.حزب الله ... وسقط القناع ، أحمد فهمي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

١٢٩.الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام ، برنارد لويس ، تعريب : محمد العزب ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٦م.

١٣٠.حضارة العرب ، جوستاف لوبون ، ترجمة : عادل زعيتر ، مكتبة النافذة ، الجيزة ، الطبعة الثانية ، ٢٠١٥م.

١٣١.الحفاظ على الأمن في منظومة مجلس التعاون ودور العلماء ، مجموعة من الباحثين ، مركز ابن خلدون للدراسات الاستراتيجية ، الكويت ، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

١٣٢.حقيقة السبي البابلي ، فاضل الربيعي ، جداول للنشر والتوزيع ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ٢٠١٣م.

١٣٣.حقيقة دعوة التقريب ، بكر أبو زيد ، قدمه للنشر : ناصر القفاري ، مجلة البيان للبحوث والدراسات ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٥هـ .

١٣٤.الحكومة الإسلامية ، الخميني ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٩هـ .
١٣٥.حل الرموز في عقائد الدروز ، محمد سليم الآمدي ، دراسة وتحقيق: حمد صالح الحميده ، دار النصيحة ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٥هـ — ٢٠١٠م.
١٣٦.الحوثية في اليمن الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية ، مجموعة من الباحثين ، إصدار مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث ، صنعاء ، ٢٠٠٨م.
١٣٧.الحوثيون دراسة منهجية شاملة ، أحمد الدغشي ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠م.
١٣٨.حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت ، الحولية الحادية والعشرين ، الرسالة الستون بعد المائة ، ١٤٢٢هـ — ٢٠٠١م .
١٣٩.خريطة الشيعة في العالم ، أمير سعيد ، مركز الرسالة للدراسات والبحوث ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٣٣هـ — ٢٠١٢م .
١٤٠.خصائص جزيرة العرب ، بكر أبو زيد ، مطابع أضواء البيان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢١هـ .
١٤١.الخطاب الإعلامي للثورة الإيرانية وأثره على العلاقات الخارجية ، عصام عبد الحميد ، عين للدارسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة .
١٤٢.الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها الشيعة الإمامية الاثني عشرية ويليه مؤتمر النجف، محب الدين الخطيب ، دار عمار ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م.
١٤٣.خميني العرب حسن نصر الله والرافضة الشيعة الشر الذي اقترب ، سيد العفاني ، دار العفاني ، الطبعة الثالثة ، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
١٤٤.الخميني بين التطرف والاعتدال ، عبد الله محمد الغريب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م ،
١٤٥.الخميني والجماعة — أمريكا وصناعة الإسلام السياسي ، محمد الزمزمي ، سما للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٣م .
١٤٦.خيوط العنكبوت — الحلم الصهيوني ومخططات تقسيم الوطن العربي ، علي مقلد ، كتابي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٤م.
١٤٧.دراسات في التصوف ، إحسان إلهي ظهير ، دار الإمام المجدد القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م .
١٤٨.دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة ، نشأتها ومنطلقاتها الفكرية ، أحمد علي عبد العال ، دار الأوراق الثقافية ، جدة ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٤ هـ — ٢٠١٣م .

١٤٩.دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند والبشارات في كتب الهندوس ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، مكتبة الرشد ناشرون ، الرياض ، الطبعة الخامسة ، ١٤٣٤هـ — ٢٠١٣م .
١٥٠.الدستور الإيراني في ميزان الإسلام ، حافظ عامر ، مكتبة الإمام البخاري ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ — ٢٠٠٦م.
١٥١.دور الموالي في سقوط الدولة الأموية ، إيمان علي بالنور ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ليبيا، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨م.
١٥٢.دولة الإسماعيلية في إيران ، محمد السعيد جمال الدين ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
١٥٣.الدولة الأموية بين القيام والانهيار ، السيد خلف ، مكتبة النافذة ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
١٥٤.الدولة العثمانية من الإمارة إلى الخلافة وسلاطين بني عثمان ، منصور عبد الحكيم ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٣م .
١٥٥.ديوان علي بن أبي طالب ﷺ ، جمع وترتيب : عبد العزيز كرم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.
١٥٦.الراوندية فروعها وأهدافها ، عماش المحمدي ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، جامعة بغداد ، العدد السادس عشر .
١٥٧.الربيع العربي أو عمليات الشرق الأوسط الكبير ، حسن محمد الزين ، دار القلم الجديد ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٤هـ — ٢٠١٣م .
١٥٨.رجال الشيعة في أسانيد السنة ، محمد جعفر الطبسي ، طبعة مؤسسة المعارف الإسلامية ، ١٤٢٠هـ.
١٥٩.الرسالة الأحمدية في تاريخ الطريقة العلية البكتاشية ، أحمد سري بابا ، مصر ، ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م .
١٦٠.الرسالة التبوكية لابن القيم ، تحقيق: محمد شمس ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي ، جدة ، بإشراف الشيخ بكر أبو زيد .
١٦١.الرسالة الخنفرية في الرد على الشيعة الجعفرية في مسألة نكاح المتعة وإثبات حرمتها الشرعية وكشف أسرارها وجذورها التاريخية ، لأبي يحيى الخنفري ، ١٤٣٣هـ — ٢٠١٢م .
١٦٢.رسائل الحكمة (حمزة بن علي ، إسماعيل التميمي ، بهاء الدين السموقي) ، ضمن إصدار سلسلة الحقائق الصعبة (٧) ، نسخة مصورة pdf ، على الشبكة .

١٦٣. رياض العلماء وحياض الفضلاء ، الميرزا عبد الله أفندي الأصبهاني ، تحقيق : السيد أحمد الحسيني ، اهتمام : السيد محمود المرعشي ، مطبعة الخيام ، قم ، ١٤٠١هـ .

١٦٤.الزرادشتية المجوسية ، ر.س.زيهنير ، ترجمة : سهيل زكار ، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق .

١٦٥.الزنادقة عقائدهم وفرقهم وموقف أئمة المسلمين منهم ، سعد العريفي ، دار التوحيد للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٤هـ — ٢٠١٣م.

١٦٦.الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأولى، حسين عطوان ، دار الجيل ، بيروت.

١٦٧.الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليها ، سميرة الليثي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨م.

١٦٨.الزهر والحجر التمرد الشيعي في اليمن وموقع الأقليات الشيعية في السيناريو الجديد ، عادل الأحمدي ، مركز نشوان الحميري للدراسات والنشر، صنعاء ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٧م.

١٦٩.سر الصلاة ، الخميني ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، تعريب : أحمد الفهري.

١٧٠.سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤١٥هـ — ١٩٩٥م.

١٧١.سنن ابن ماجه ، بتخريج الألباني ، عناية مشهور آل سلمان ، مكتبة المعارف ، الرياض، الطبعة الأولى .

١٧٢.سنن أبي داود ، بتخريج الألباني ، عناية مشهور آل سلمان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى .

١٧٣.سنن الترمذي ، بتخريج الألباني ، عناية مشهور آل سلمان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٧٤.سنن النسائي ، بتخريج الألباني ، عناية مشهور آل سلمان ، مكتبة المعارف ، الرياض.

١٧٥.السياسة الشرعية لابن تيمية ، مع تعليق ابن عثيمين ، عناية صالح اللحام ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

١٧٦.سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، تحقيق : خيري سعيد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .

١٧٧.سير الملوك أو سياست نامه ، لنظام الملك السلجوقي ، ترجمه عن الفارسية : يوسف بكار ، مكتبة الأسرة الأردنية ، عَمّان ، وزارة الثقافة .

١٧٨.السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني ، وليد الأعظمي ، دار الوفاء للطباعة والنشر ،

المنصورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م.
١٧٩.الشاهنامه في ملحمة الفرس الكبرى ، لأبي القاسم الفردوسي ، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع ، الكويت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٣٥هـ — ٢٠١٤م.
١٨٠.شبهات عن بني أمية ، سيد الشحات جمعة ، مكتبة الرشد ناشرون ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.
١٨١.الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، أنور الجندي ، دار الاعتصام .
١٨٢.شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي ، تحقيق : أحمد الغامدي ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة التاسعة ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
١٨٣.شرح السنة للبربهاري ، تحقيق : خالد الردادي ، مكتبة الغرباء الأثرية ، الطبعة الأولى ، المدينة النبوية ، ١٤١٤هـ — ١٩٩٣م.
١٨٤.شرح العقيدة السفارينية ، لابن عثيمين ، مدار الوطن للنشر، الطبعة الأولى ، الرياض ، ١٤٢٦هـ.
١٨٥.شرح النووي على صحيح مسلم ، تحقيق: خليل شيحا، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة العاشرة ، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
١٨٦.الشريعة للآجري ، تحقيق : عبد الله الدميجي ، دار الفضيلة ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
١٨٧.شطحات الصوفية ، عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت .
١٨٨.الشعوبية الجديدة ، محمد مصطفى رمضان ، توزيع مكتبة الهجرة الإسلامية ، الثقبة ، السعودية .
١٨٩.الشعوبية حركة مضادة للإسلام والعروبة ، عبد الله السامرائي ، مكتبة جزيرة الورد ن القاهرة ، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
١٩٠.الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، زاهية قدورة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م.
١٩١.الشعوبية والزندقة وأثرهما في ظهور العقائد والفرق المنحرفة ، محمد أحمد الخطيب ، مكتبة الأقصى ، عَمّان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ — ١٩٩٤م.
١٩٢.شمس العرب تشرق على الغرب ، زيغريد هونكه ، ترجمة : فاروق بيضون ، كمال دسوقي ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثامنة .
١٩٣.الشيخ إحسان إلهي ظهير منهجه وجهوده في تقرير العقيدة والردع على الفرق المخالفة ، علي الزهراني ، دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ — ٢٠٠٤م.

١٩٤.الشيعة والتشيع فرق وتاريخ ، إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور باكستان ، توزيع بيت السلام ، الرياض .

١٩٥.الشيعة والسنة ، إحسان إلهي ظهير ، دار ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٦هـ ، توزيع دار السلام بالرياض .

١٩٦.الشيعة والقرآن ، إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور باكستان ، توزيع بيت السلام ، الرياض ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٩٧.الشيعة وأهل البيت ، إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور باكستان ، توزيع بيت السلام ، الرياض .

١٩٨.صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أحمد القلقشندي ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

١٩٩.صحيح البخاري ، ترتيب : محمد فؤاد عبد الباقي ،ألفا للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠هـ – ٢٠١٠م.

٢٠٠.صحيح مسلم ، ترتيب : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ٢٠٠٩م.

٢٠١.صفة جزيرة العرب ، الحسن الهمداني ، تحقيق : محمد الأكوع الحوالي ، إشراف : حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، ١٣٩٤هـ- ١٩٨٠.

٢٠٢.الصفوية التاريخ والصراع والرواسب ، إصدار مركز المسبار ، دبي الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٢م .

٢٠٣.صورة العرب الأدب الفارسي الحديث ، جويا بلندل ، ترجمة : صخر الحاج ، شركة قدمس للنشر والتوزيع ، بيروت .

٢٠٤.صورة أهل السنة في الكتب المدرسية الإيرانية ، نبيل العتوم ، مركز العصر للدراسات الاستراتيجية المستقبلية ، ٢٠١٢م .

٢٠٥.الضعفاء الكبير ، محمد العُقيلي ، تحقيق : عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى .

٢٠٦.ضوابط استعمال المصطلحات العقدية والفكرية عند أهل السنة والجماعة ، سعود العتيبي ، مركز التأصيل للدراسات والبحوث ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٢٠٧.طائفة النصيرية تاريخا وعقائدها، سليمان الحلبي ، الدار السلفية ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٢٠٨.طبقات أعلام الشيعة ، آغا بزرك الطهراني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط.١ ، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م .

٢٠٩.طبقات الأمم ، ابن صاعد الأندلسي ، تحقيق : حياة بو علوان ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م.

٢١٠.طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى البغدادي الحنبلي ، تحقيق : عبد الرحمن العثيمين، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٢١١.الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم ، تحقيق : نايف الحمد ، دار عالم الفوائد ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ ، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدة .

٢١٢.الطرق الصوفية ، محمد البشير الإبراهيمي ، مكتبة الرضوان ، الأردن ، ٢٠٠٨ م .

٢١٣.الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها ، عبد الله السهلي ، كنوز اشبيليا ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥م.

٢١٤.الطورانية التركية بين الأصولية والفاشية ، جهاد صالح، دار الصداقة للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م.

٢١٥.ظاهرة التكفير في مذهب الشيعة ، عبد الرحمن دمشقية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ — ٢٠٠٦م .

٢١٦.عاصفة الحزم — إعادة الأمل ، سليمان الهتلان ، هتلان ميديا ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة.

٢١٧.عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ، سليمان العودة ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٢هـ.

٢١٨.العتبات المقدسة في الكوفة ، محمد سعيد الطريحي ، دار الكتبي للمطبوعات ، بيروت ، ط.٢ ، ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م .

٢١٩.العرب السنة في العراق تاريخهم واقعهم مستقبلهم ، مركز المسبار ، دبي ، الطبعة الثانية

٢٢٠.العرب والفرس قراءة جديدة لدور القوميتين في سقوط الدولة الأموية وأحداث العصر العباسي الأول ، عبد المنعم سلطان ، المكتب الجامعي الحديث ، ٢٠١٠م.

٢٢١.العروبة والإسلام ، أسعد السحمراني ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٢٢٢.العصبية القبلية من منظور إسلامي ، خالد الجريسي ، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان .

٢٢٣.عصر الظهور ، علي الكوراني العاملي ، الطبعة السابعة عشرة ، ١٤٢٧هـ.

٢٢٤.العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ، محمد حامد الناصر ، مكتبة الكوثر ، الرياض ،

الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
٢٢٥.عقائد الثلاث والسبعين فرقة ، لأبي محمد اليمني ، تحقيق : محمد عبد الله الغامدي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة النبوية ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .
٢٢٦.العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر البيروتي ، تحقيق : محمد الشرقاوي ، دار الصحوة ، القاهرة .
٢٢٧.عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها ، صالح الفوزان ، طبعة خيرية .
٢٢٨.العقيدة للإمام أحمد بن حنبل ، جمع وتحقيق: محمد عيد الشبعاني ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
٢٢٩.عنوان المجد في تاريخ نجد ، عثمان بن بشر ، تحقيق : عبد الرحمن آل الشيخ ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
٢٣٠.عودة الصفويين ، عبد العزيز الشافعي ، مكتبة الإمام البخاري ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
٢٣١.عون المعبود شرح سنن أبي داود ، لأبي الطيب شمي الحق العظيم آبادي ، مكتبة المعارف ، الرياض ، عناية مشهور آل سلمان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩م.
٢٣٢.الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، ضمن البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي بجامعة الإمام ١٣٩٦هـ ، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
٢٣٣.الغيبة ، ابن أبي زينب النعماني ، تحقيق : فارس حسون ، دار الجوادين ، بيروت ، ط.١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م .
٢٣٤.الغيبة ، أبو جعفر الطوسي ، ط.١ ، توزيع مكتبة الآداب الشرعية ، النجف العراق ، طباعة : منشورات الفجر للطباعة والنشر ، بيروت .
٢٣٥.فارس نامه ، لابن البلخي ، تحقيق وترجمة : يوسف الهادي ، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
٢٣٦.فتاوى نور على الدرب ، لابن باز ، ترتيب وإشراف : محمد الشويعر ، طبعة ونشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
٢٣٧.فتح الباري لابن حجر ، تحقيق : عبد السلام علوش ، مكتبة الرشد ناشرون ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
٢٣٨.الفرس – إيران في العصور القديمة والوسطى والحديثة – ، هوما كاتوزيان ، ترجمة : أحمد المعيني ،

دار جداول ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٤ م .
٢٣٩.فرق الشيعة ، للنوبختي والقمي ، تحقيق : عبد المنعم حفني ، دار الرشاد ، القاهرة ، ط.١ ، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م .
٢٤٠.فرق الهند المنتسبة للإسلام في القرن العاشر الهجري وآثارها على العقيدة دراسة ونقد ، محمد كبير شودري ، رسالة دكتوراه في قسم العقيدة ، كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ، ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م .
٢٤١.الفرق بين الإرهاب والجهاد ، لمياء الطويل ، مجلة البحوث الإسلامية ، عدد : ٩٧ ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض .
٢٤٢.الفرق بين الفرق ، عبد القاهر البغدادي ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
٢٤٣.فرقة الأحباش نشأتها عقائدها تاريخها ، سعد الشهراني ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ .
٢٤٤.الفصحى في مواجهة التحديات ، نذير مكتبي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ — ١٩٩١م .
٢٤٥.الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم الظاهري ، تحقيق: سامي شاهين ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٣١هـ — ٢٠١٠م .
٢٤٦.فضائح الباطنية ، محمد الغزالي ، تحقيق : عبد الرحمن بدوي ، موسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت .
٢٤٧.فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق: وهبي سليمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٢٤٨.فضل العرب والتنبيه على علومها ، لابن قتيبة ، تحقيق: وليد الخالص ، منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م .
٢٤٩.الفكر الباطني في الأناضول — الإمام علي ﷺ في معتقد البكتاشية نموذجاً – ، بديعة عبد العال ، الدار الثقافية للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١هـ — ٢٠١٠م .
٢٥٠.الفهرست ، لابن النديم ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .
٢٥١.الفوضى الخلاقة ، رمزي المنياوي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٢م.
٢٥٢.قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له ، ابن تيمية ، تحقيق : عبد الله البصيري ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٥٣.قبل سقوط الشاه بقليل ... ، اندرو سكوت كوبر ، ترجمة : حمد العيسى ، دار مدارك للنشر دبي ، الإمارات العربية المتحدة ، ٢٠١٤م.
٢٥٤.القرامطة لابن الجوزي ، تحقيق : محمد الصباغ ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
٢٥٥.القرآنيون وشبهاتهم حول السنة ، خادم حسين إلهي بخش ، مكتبة الصديق ، الطائف ، الطبعة الثانية ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
٢٥٦.قرن السبئية ، حسني شيخ عثمان ، دار عمار ، عَمّان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٨م .
٢٥٧.القصة الكاملة لخوارج عصرنا ، إبراهيم المحيميد ، مكتبة دار البرازي ، سوريا ، حمص ، مجمع ابن سينا ، الطبعة الأولى .
٢٥٨.القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ، وأول من تكلم بالعربية في الأمم ، لابن عبد البر ، تحقيق : محمد هاشم المحمداوي ، دار الرافدين للطباعة والنشر ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
٢٥٩.كتاب الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م.
٢٦٠.كتاب السنة من مسائل الإمام حرب بن إسماعيل الكرماني ، تحقيق وتخريج : عادل آل حمدان ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.
٢٦١.كتاب الطبقات الكبير ، لابن سعد ، تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٢م.
٢٦٢.كتاب المجروحين من المحدثين ، لابن حبان ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، دار الصميعي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م .
٢٦٣.كتاب المجموع النصيري ، نسخة مصورة ، pdf ، على الشبكة .
٢٦٤.كتاب النبوات لابن تيمية ، دراسة وتحقيق : عبد العزيز الطويان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٧هـ ، مكتبة أضواء السلف ، الرياض .
٢٦٥.كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد علي التهانوني ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط.١ ، ١٩٩٦م .
٢٦٦.الكشف ، لجعفر بن منصور اليمن ، تحقيق : مصطفى غالب ، دار النفائس ، بيروت ، ط.١ ، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م .

٢٦٧. كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم ، محمد بن مالك الحمادي ، تحقيق : عثمان الخشت ، مكتبة الساعي ، الرياض .
٢٦٨. كشف الأسرار ، للخميني ، موقع مكتبة نرجس على الانترنت .
٢٦٩. الكشف عن حقيقة التصوف لأول مرة في التاريخ ، محمود عبد الرؤوف القاسم ، توزيع دار الصحابة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .
٢٧٠. كلب أصفهان – الذات المكبوتة في جدلية الصراع بين العرب وإيران ، صلاح النصراوي ، مركز المحروسة للنشر ، القاهرة، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩م.
٢٧١. لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ٢٠٠٥م.
٢٧٢. لسان الميزان ، لابن حجر ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، دار البشائر ، بيروت ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .
٢٧٣. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، علي الوردي ، مطبعة الأمير، قم ، نشر انتشارات الشريف الرضي ، ١٤١٣هـ .
٢٧٤. ما سمعته عن العراق ، إليوت وينبرغر، ترجمة : منى الختلان ، شركة العبيكان للنشر ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
٢٧٥. مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، أحمد القلقشندي ، تحقيق : عبد الستار فراج ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٤م ، ١٩٨٠م.
٢٧٦. ماذا تعرف عن " حزب الله " ؟ ، علي الصادق ، مكتبة الإمام البخاري ، الإسماعيلية ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
٢٧٧. ماذا تعرف عن الحوثيين ؟ ، علي الصادق ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
٢٧٨. مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية ، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الطبعة الأولى ، الرياض ، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
٢٧٩. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ، جمع : محمد الشويعر ، الرئاسة العلمية للبحوث والإفتاء ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٣هـ .
٢٨٠. مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ط.٢ ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م ، توزيع دار الإفتاء بالرياض .
٢٨١. مجموع مؤلفات محمد مال الله الخالدي في الرد على الشيعة الإمامية ، إشراف علي العماري ، دار المنتقى للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٢٨٢.مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ، تخريج وتعليق : محمد رشيد رضا ، لجنة التراث العربي .
٢٨٣.محاضرات إسلامية هادفة ، عمر الأشقر ، دار النفائس ، عَمّان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٢٨٤.محجة القرب إلى محبة العرب ، للحافظ زين الدين العراقي ، تحقيق : عبد العزيز آل حمد ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٢هـ — ٢٠١١م .
٢٨٥.المخابرات الإيرانية —إيران بين السافاك والحرس الثوري ، رمضان فاضل ، مكتبة النافذة ، الجيزة ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٤م.
٢٨٦.مختار الصحاح ، زين الدين بن أبي بكر الرازي ، تحقيق : حمزة فتح الله وترتيب : محمود خاطر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٢٨٧.المخطط الإجرامي لإبادة أمة الإسلام تحت مسمى خروج الإمام المهدي ، منذر الشريف .
٢٨٨.مدارج السالكين ، لابن القيم ، تحقيق: عبد العزيز الجليل ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
٢٨٩.المدثرون بعباءة التدين — المزج الشيعي الصوفي في عقيدة الإخوان - ، محمد عبد الحليم أبو جاد ، الدوحة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٤هـ — ٢٠١٢م .
٢٩٠.مذاهب الإسلاميين ، عبد الرحمن بدوي ، دار العلم الملايين ، بيروت ، ١٩٩٧م .
٢٩١.مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد ، محمود مزروعة ، دار الرضا ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ-٢٠٠٤م .
٢٩٢.المرجع الشيعي علي السيستاني تحت المجهر ، محمد سعد العيد ، مركز الإمام ابن خزيمة للبحوث والدراسات العلمية ، ١٤٣١هـ .
٢٩٣.مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمسعودي ، تحقيق : مصطفى السيد أبو ليلى ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .
٢٩٤.مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، ناصر القفاري ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة العاشرة ، ١٤٣٤هـ — ٢٠١٤ م .
٢٩٥.مسائل الجاهلية للإمام محمد بن عبد الوهاب بشرح محمود شكري الألوسي ، تحقيق : يوسف السعيد، دار عالم الكتب ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ.
٢٩٦.المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة ، عبد الإله الأحمدي ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ.

٢٩٧.مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على النسب ، مرعي الكرمي، ضبط وتعليق : علي حسن عبد الحميد ، دار عمار ، عَمّان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٢٩٨.مسئولية طالب العلم ، ابن باز ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
٢٩٩.مشروع الشرق الأوسط الكبير ، عبد القادر المخادمي ، الدار العربية للعلوم ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥م .
٣٠٠.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، للفيومي ، عناية عادل مرشد .
٣٠١.مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية ، الخميني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ — ٢٠٠٦م.
٣٠٢.مصطلحات في كتب العقائد دراسة وتحليل ، محمد الحمد ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ — ٢٠٠٦م .
٣٠٣.المصنف للإمام عبد الرزاق الصنعاني ، تحقيق ودراسة : مركز البحوث وتقنية المعلومات وتقنية المعلومات ، دار التأصيل ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٦هـ — ٢٠١٥م.
٣٠٤.المصيبة السوداء وأسرار التقارب السياسي والعقائدي بين إيران والإخوان ، محمد عبد الحليم أبو جاد ، الدوحة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٤هـ — ٢٠١٣م .
٣٠٥.مع ابن قتيبة في مسار الصراع العربي الشعوبي ، كاظم حطيط ، دار الهادي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٢م.
٣٠٦.مع الرسول ﷺ في حجة الوداع ، عطية محمد سالم ، دار التراث الأولى ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ — ١٩٨٨م.
٣٠٧.معارك حاسمة في تاريخ الإسلام والدور المظلم للباطنية ، رياض أحمد ليلا، دار مجد الإسلام ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.
٣٠٨.معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٥هـ — ٢٠١٤م .
٣٠٩.معجم التعريفات ، علي الجرجاني ، تحقيق : محمد المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة.
٣١٠.المعجم الفلسفي ، مراد وهبه ، دار قباء المدينة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٧م .
٣١١.المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم ، سهيل زكار ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ — ١٩٩٧م.
٣١٢.معجم مصطلحات الصوفية ، عبد المنعم حنفي ، دار المسيرة، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ

– ١٩٨٧.
٣١٣.معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق: عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت، ١٤٢٠ – ١٩٩٩م.
٣١٤.مفاتيح العلوم ، محمد الخوارزمي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط.٢ ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .
٣١٥.مفتاح دار السعادة ، لابن القيم ، تحقيق : عصام الدين الصبابطي ، توزيع دار الإفتاء بالرياض.
٣١٦.المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، ساعد على نشره جامعة بغداد.
٣١٧.مفهوم الجماعة والإمامة ، سليمان أبا الخيل ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م.
٣١٨.مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .
٣١٩.مقالات الجهم بن صفوان وأثرها في الفرق الإسلامية ، ياسر قاضي ، أضواء السلف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ –٢٠٠٥م.
٣٢٠.مقدمة تفسير البرهان ، أبو الحسن البحراني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط.٢ ، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.
٣٢١.الملل والنحل ، الشهرستاني ، تحقيق : محمد الفاضلي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م .
٣٢٢.مناظرة جعفر الصادق مع الرافضي في التفضيل بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، علي الشبل ، مكتبة الرشد ناشرون ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م.
٣٢٣.منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، لابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، دار الفضيلة ، الرياض ، ١٤٢٤هـ.
٣٢٤.المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، لأبي العباس المقريزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م.
٣٢٥.الموافقات للشاطبي ، تحقيق ودراسة : عبد الله دراز ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م.
٣٢٦.المؤامرة الغربية على اللغة العربية ، محمد الإمام ، مكتبة الإمام الألباني ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .
٣٢٧.الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ناصر القفاري وناصر العقل ، دار كنوز اشبيليا ، الرياض ،

١٤٣٢هـ — ٢٠١١م .
٣٢٨.موسوعة آباء الكنيسة ، عادل فرج ، دار النفائس ، القاهرة ، ط.٢ ، ٢٠٠٦م .
٣٢٩.موسوعة الأديان القديمة — معتقدات آسيوية- ، كامل سعفان ، دار الندى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
٣٣٠.موسوعة السياسة ، عبد الوهاب الكيالي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت.
٣٣١.الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة (٣) ، التجمعات الشيعية في بلاد الشام ، أسامة شحادة ، هيثم الكسواني ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
٣٣٢.موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ، عبد المنعم حنفي ، دار الرشاد ، القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
٣٣٣.موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م.
٣٣٤.موسوعة المدن العربية والإسلامية ، يحيى شامي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م.
٣٣٥.الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، الندوة العالمية ، إشراف مانع الجهني،بدار الندوة العالمية للطباعة والنشر ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٣٣٦.موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، عبد الوهاب المسيري ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م.
٣٣٧.موسوعة تاريخ الخليج العربي ، محمود شاكر ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عَمّان ، ٢٠٠٥م.
٣٣٨.موسوعة تاريخ إيران السياسي ، حسن كريم الجاف ، الدار العربية للموسوعات ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ — ٢٠٠٨م .
٣٣٩.موسوعة شاملة مع الشيعة الاثني عشرية في الأصول والفروع ، علي السالوس ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.
٣٤٠.موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود ، عبد المنعم حنفي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة .
٣٤١.الموضوعات ، لابن الجوزي ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
٣٤٢.موقف الخميني من أهل السنة ، محمد مال الله ، الطبعة الثانية ، أبريل ١٩٨٢م.
٣٤٣.ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للذهبي ، تحقيق: علي البجاوي ، دار الفكر للطباعة والنشر .

٣٤٤.النزعات والدعوات القومية والشعوبية – منشؤها وتأثيرها في تفرق الأمة الإسلامية وذهاب ريحها – ، بركات عبد الفتاح دويدار ، بحث ضمن المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة ، بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، المقام في : ٢٨ – ٣٠ ربيع أول ، ١٤٠٤هـ .

٣٤٥.النصيرية الباطنية وعلاقتها بالمجازر العدوانية في سورية ، أحمد محمود علي ، دار اليسر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٤م .

٣٤٦.النصيرية دراسة تحليلية ، تقي شرف الدين .

٣٤٧.النصيرية وآراؤها الكلامية والرد عليها ، زينب محمد البلادي ، دار المحمدي للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١هـ.

٣٤٨.نظرات في ديوان بشار بن برد ، شاكر الفحام ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٨٣م.

٣٤٩.نقد المسلمين للثنوية والمجوس مع الرد على ابن المقفع ، للقاسم الرسي ، تحقيق : إمام حنفي عبد الله ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٣٥٠.النقد والثورة – دراسة في النقد الاجتماعي عند علي شريعتي – ، خالد عودة الله ، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية ، رام الله ، فلسطين ، ٢٠٠٧م .

٣٥١.نقض فتاوى الوهابية ، محمد حسين آل كاشف الغطاء ، تحقيق : غياث طعمة ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ومعه معجم مؤلفات علماء الأمة الإسلامية في الرد على خرافات الدعوة الوهابية ، للسيد عبد الله محمد علي ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

٣٥٢.النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، دار ابن الجوزي ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥هـ.

٣٥٣.هذا هو التشيع بلسان الخوئي ، عبد الملك الشافعي ، مكتبة الرضوان ، البحيرة مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ .

٣٥٤.هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل ، دار الإيمان ، الإسكندرية .

٣٥٥.هذه هي الوهابية ، محمد جواد مغنية ، تحقيق : سامي الغريري ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، ط.١ ، ١٤٢٧هـ .

٣٥٦.الوافي ، للفيض الكاشاني ، مكتبة الإمام علي العامة ، أصفهان ، ط.١ ، ٢٠٠٠م .

٣٥٧.الوافي بالوفيات ، خليل الصفدي ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، تركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

٣٥٨.وجاء دور المجوس ، عبد الله محمد الغريب ، مكتبة الرضوان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ .

٣٥٩.الوزراء والكتاب ، محمد بن عبدوس الجهشياري ، تحقيق: إبراهيم صالح ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٣٦٠.وسائل وأساليب الشيعة الإمامية الاثني عشرية في نشر مذهبهم وسبل مواجهتها ، زيد العتيبي ، رسالة ماجستير ، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية ، كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى ، ١٤٣٥هـ — ٢٠١٤م .

٣٦١.الوضع في الحديث ، عمر حسن فلاته ، مكتبة الغزالي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٣٦٢.وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩ م .

٣٦٣.ولاية الفقيه وتطورها ، خالد عبد المحسن التويجري ، مركز مجلة البيان للبحوث والدراسات ، ١٤٣١هـ .

٣٦٤.الوهابية في الميزان ن جعفر السبحاني ، تعريب : خضراتس فراز ، دار الصديق الأكبر ، بيروت ، ط.١ ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

مواقع الانترنت التي رجعت إليها في البحث

موقع وزارة الداخلية السعودية

https://www.moi.gov.sa

الموقع الرسمي لوزارة الخارجية البحرينية

/http://www.mofa.gov.bh

وكالة الأنباء السعودية – واس–

/http://nb.spa.gov.sa

موقع سماحة المفتي العام

/http://mufti.af.org.sa

موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء

/http://www.alifta.net

موقع رابطة العالم الإسلامي

/http://www.themwl.org/web

موقع الهيئة العالمية للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته

/http://mercyprophet.org/mul/ar

شبكة الدفاع عن السنة

/ http://www.dd-sunnah.net

موقع البرهان

/http://www.alburhan.com

موقع موسوعة الرشيد

http://www.alrashead.net

موقع أفكار حرة

/http://www.afkarhura.com

موقع المثقف الجديد

www.al-muthaqaf.ne

موقع قناة العربية

/https://www.alarabiya.net

موقع مأرب برس /http://marebpress.net

موقع بي بي سي الإخباري

http://www.bbc.com/arabic

صحيفة سبق الإلكترونية

/https://sabq.org

صحيفة الشرق الأوسط

/http://aawsat.com

صحيفة العرب

/http://www.alarab.co.uk

موقع الموسوعة الحرة

https://ar.wikipedia.org

موقع عُمان ديلي

www.omandaily.com

موقع بوابة الحركات الإسلامية

http://www.islamist-movements.com/

شبكة المعارف الإسلامية

/http://www.almaaref.org

موقع مكتبة نرجس

/http://www.narjes-library.com

موقع أهل القرآن www.ahl-alquran.com

فهرس الموضوعات